ثوار صنعوا الاستقلال

صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية

الناشر دار الشرق للطباعة والنشر
الدكتور المهندس نبيل طعمة
الطبعة الأولى
عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة
تاريخ النشر ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



مذكرات وأوراق
المجاهد
جميل شاكر الخانجي
١٨٩٨ - ١٩٧٦ م

ثوار صنعوا الاستقلال

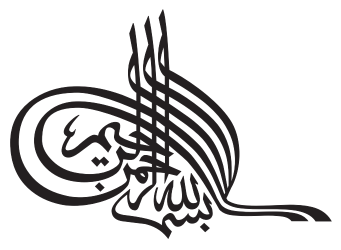
صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية

إعداد وتحرير
نشأت جميل شاكر الخانجي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



صاحب المذكرات المجاهد جميل شاكر الخانجي





وبه نستعين

إهداء

إلى روح والدي: جميل شاكر الخانجي

رحمه الله وأسّكنه فراديس الجنان

إلى كلَ المجاهدين والثوّار

إلى الذين روّوا تراب الوطن بدمائهم الزكيّة

إلى الذين كانوا القدوة في التضحية والفداء

إلى كل المناضلين الشرفاء من أبناء الوطن

الذين عاشوا من أجل أمتهم ووطنهم

حياة التشرد والإبعاد والاعتقال

إلى هؤلاء الذين يمثّلون الرمز والعطاء

إلى الفارس العملاق صاحب السيف والقلم

هذه الصفحات المضيئة من تاريخ الثورة السورية



(بورتريه) صاحب المذكرات المربي الأستاذ جميل شاكر الخانجي

(بريشة الفنان إحسان حلمي)

تقديم

حيث إنه غدا اللقاء المباشـر مع الماضي قريباً أم بعيداً صعباً إلى حد كبير فإنني أدعوكم للتطلع إلى الأمام حيث نمضي معاً في رحلة المعرفة، بتقديمنا لصفحـات هذا الكتاب حيث تأخذ بنا إلى مـا بيننا من الماضي القريب الذي تحمله كلمات على سطورها فتجعله قريباً منا يحيطنا نتعايش معه، شواهده منارة وصوره وضاءة وشخوصه مشاعل نور أحياء عند ربهم يرزقون .

إنهـا صفحات مجد حملت عنواناً كبيراً يحتاج التوقف والتأمل والهدأة كي نبصر ونتبصر بما نقشـت يد كاتبه على سطوره مزينة بصور من صنعوا هذا العنوان، وهم رجالات سـادوا سـاحة عظيمة جالوا فيهـا وأنجزوا بها حرية وتحريراً، كانوا كالأساطير المسطّرة تحييهم حينما نقرأ ما سَطِّر عنهم وكتب وحلل وشـرح وكيفية أدائهم للأمانة والامتثال لها ، إنهم ثوار سـورية صانعوا مجد حياتنا الذين ضحوا بحياتهم ومالهم وفكرهم من أجل أن يستمر ونستمر ألقـاً وشموخاً وكبريـاءً، جمع مُعد ومحرر هذا الكتاب الهـام « ثواراً صنعوا الاسـتقلال » بصفحاته المضيئة من تاريخ الثورة السـورية كل ما استطاع من جمع، أراد به تخليد الثورات ورجالاتها والتحامهم بالثورة السـورية الكبرى، وإرادته في ذلك إرادة رد الجميل والعرفان بهم فهيأ لهم مسـاحات كان لوالده بها مساحة كثائر له الفضل الذي لا ينكره أحد عليه وحضورطيب كريم بين الحضور .

تاريـخ بـه رجال ورجال بهـم تاريخ تنـادى في أعماقهم أن هبـوا وواجهوا الطغـاة والطغيان، ثاروا على الظلم والاسـتعباد والظلـم والاحتلال، حركوا الميـاه الراكدة وأججـوا في وقتهم حمم البركان فطُـرد الغاصب بفعل ثوري جريء وفكر علمي أدبي منظم، كانوا به فسيفسـائية نادرة ونسيجاً ملحمياً سـجادياً فريداً، حمى الأرض بافتراشـهم لها، التقوا رجالات وأرض توحدوا من أقاصي سـورية إلى أقاصيها من الحسكة ودير الزور وحلب وإدلب وحمص وحماة واللاذقية وطرطوس وحوران وجبل العرب الأشم، والتقوا جميعهم مع دمشـق الشام كاليد الواحدة والصوت الواحد الهدار ليتجلّوا كرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، توحدوا فنصرهم بإيمانهم بشـعبهم ووطنهم وقضيتهم

وصدقهم في كلمتهم وحكمة رؤيتهم ودقة بنادقهم غايتهم نصرة شعبهم ورفع الظلـم الذي أحاط بهم جميعهم، وإذ أذكر بأسمائهم أجدهم أعلاماً منضوين تحت علمهم، انتصروا للحق فانتصر الحق لهم، ناضلوا بوطنهم فانتصرالوطن لهـم كانوا وجدانه وضميره الحي الداعي لهـم دائماً وأبداً بالنصر لنصرته، ولم يبخلوا عليه لا بمالهم ولا بقلوبهم ولا بعقولهم ولا بأجسـادهم فمن كل ذلـك ولأجله انتصروا ، نعم أدفع بكـم لقراءة هذا الكتاب الذي أعده وحرره الأسـتاذ: نشـأت جميل شـاكر الخانجي ابن المجاهد المغفور له صاحبٍ هذه المذكـرات وأوراقها وكلماتها جميل شـاكر الخانجي، الـذي نقف إجلالاً ليسٍ أمامـه فقط بل وأمام كل مـن ذكرهم في هذا الكتاب، الـذي أعتبره عظيماً بكونه يمتلئ طاقة وقوة وحياة، تعالوا نتأملٍ في كلماته وصور ثواره ومفكريه وأدبائـه وعلمائه، فنـزداد قوة وطاقة وحباً لهذا الوطـن الغالي على قلوبنا المحمـول بين جنباتنا، والواجب يدعونا للتعلم مـن تلك المنارات حب الوطن وآليـات الدفاع عنه، له الشـكر منا آملاً على كل واحـد اقتناؤه، فهو حاجة مهمـة نغني بهـا مكتباتنا وأمانة ندعها لأجيالنا، كل الشـكر عن هذا الجهد الإعدادي التحريري والاحترام والخشوع لشهداء تحرير سورية من الغاصب المحتل.

د. نبيل طعمة

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

سررت بمراجعة كتاب (صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية ورجالاتها) للمجاهد جميل شاكر الخانجي، الذي أعدّه وحرره نجله الأستاذ نشأت جميل شاكر الخانجي، تعلمت الكثير من الكتاب، وتتلمذت من خلاله على يد هذا المجاهد الفذ الشفاف الجسور. ومنذ عرفت الأستاذ نشأت إبن المجاهد جميل شاكر وهو يحدثني عن مذكرات والده المجاهد ويتحدث عن تاريخ الثورة السورية وعن المجاهدين والشهداء. وقد قدم الأستاذ نشأت الخانجي قبل إصدار هذا الكتاب أكثر من محاضرة تناول فيها هذا الموضوع. كان دؤوبًا لا يمل في جمع المعلومات لإغناء مذكرات والده المجاهد وإخراجها ضمن هذا الكتاب.

وأريد أن أسطّر هنا أن بعض المسميات المذهبية والمكانية كانت هي السائدة عندما كان المجاهد جميل شاكر الخانجي يخطّ مذكراته. وقد أشرت على الأستاذ نشأت الخانجي أن يغيّر بعضها حتى تناسب ما يصطلح عليه من المسميات في وقتنا هذا.

كما قمت بضبط قواعد الصرف والإعراب، وحاولت أن لا يفوتني شيء إلاَّ وقفت عنده وأنعمت النظر ورجعت إلى كتب الصرف والنحو عند الإشكال. كما أنني كنت وحسب معرفتي المتواضعة بعائلات وعشائر وأسر وأماكن بلاد الشام وكذلك بعض الأحداث التاريخية إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم، كنت أشير إلى صديقي الأستاذ نشأت الخانجي أن يضيف أو يعيد النظر، ويتحقق منها قبل الطبع.

إنه جهد كبير وعمل فذّ سطّره قلم المجاهد جميل شاكر الخانجي ساعة بساعة ويومًا بيوم. كنت أشعر أن هناك الكثير الذي كان يود المجاهد جميل شاكر أن يقوله لكنه آثر المثل السائد (ما كل ما يعرف يقال). وسوف يكون ما كتبه المجاهد وما أضافه نجله فيه الجديد للمؤرخين والباحثين وعشّاق أقسام التاريخ في جامعاتنا. وأجزم أن هذا الكتاب سيكون مرجعًا نطلع من

خلاله على الشــخصيات والأحداث التي عاشــتها سورية الحبيبة من حقبة خروج الأتراك إلى تاريخ طرد الغاشم الفرنسي المستعمر.

وأسـطّر هنا أن سـورية تكـون بمأمن وسـكينة إذا كانـت علاقاتها أخوية مميـزة مع تركيا، في الوقت الذي يجب على صناع القرار والمواطنين الحذر في العلاقات مع فرنسـا وبريطانيا وأميركا، تلك الدول الاستعمارية المتغطرسة الـتي تمتص خيرات الوطن العربي، ولا تغمض لها عين، بل هي دائمة النظر إلى سـورية والوطن العربي نظرة الحاقد الحاسـد المستغل. ولمن يريد المزيد من المعرفة عن شـناعة هذه الـدول الثلاثة المذكـورة أن يطالع هذا الكتاب وتاريخ الحملات الصليبية، وتاريخ الاسـتعمار في القرن العشـرين، وحاضرنا هذا، حيث تفتك آلة الحرب الصهيونية - الأميركية والفرنسية والبريطانية بشكل مباشر أو عن طريق عملاء، تفتك بإخوة لنا في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانسـتان والصومال والجزائر وغيرها من الدول العربية والإسـلامية. إن هدف هذا الاسـتعمار الحديث الغاشـم هو الحيلولـة دون ولادة مجاهدين أمويين وعباسـيين وأيوبيين وأندلسـيين حقيقيين يعيدون التاريخ إلى جادة الصواب.

الباحث : عبد الرؤوف عدوان
استشاري في البرامج الإعلامية والثقافية والتعليمية

مُقدِّمة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
الحمد للّه وكفى وسلام على عباده من الأنبياء والرسل الذين اصطفى.
الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين.
الحمد للّه الذي استهديناه فهدانا، واستعنّاه فأعاننا...!
الحمد للّه... نحمده ونثني ونشكر ونمدح وبه نستعين...!
الحمد للّه الذي لا يقضي الأمور ولا يُسيّرها غيره، ابتدأها بعلمه، وأمضاها بقدرته... يخلق ما يشاء ويختار، سبحانه وتعالى عمّا يشركون، وبعد:
نحن أبناء حضارة نذكر (اسم اللّه) في كلّ شيء... ونستفتح باسمه... دائمًا... وحجّتنا حاجتنا إليه، وعجزنا بين يديه!!!
الحمد للّه الذي هدانا لهذا... وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه...
(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) [الأعراف: ٨٩].



هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ يحكي سيرة مناضلين شرفاء ويقدّم أسماء أعلام بقي بعضها مخبأً في رحم التاريخ، رغم كونها شخصيات نبيلة نادرة.
ويعيد هذا الكتاب إلى دائرة الضَوْء، ألق حقبة نضالية مهمة في تاريخ سورية، منذ أواخر العهد العثماني وحتى أواخر عهد الانتداب البغيض وما رافقها من معارك التحرير والاستقلال...!! معارك الشرف والنضال والبطولات وصورها التاريخية النادرة وتفاصيلها الدقيقة على مفاصل جبهات القتال.
وتاريخ الأمة والوطن لا يموت مهما تقادمت عليه السنون. كما أن حركة التاريخ والحضارة الإنسانية، حركة دائبة متواصلة لا تتوقف: تشمل مختلف نواحي الحياة وتأخذ أبعادًا رحبة تفتح فضاءات الزمن ومتاهاته، وتستند إلى تواصل الأجيال في أهم منجزات الأمة الوطنية وقضايا الاستقلال، لتكون

مرجعًــا تاريخيًا مهمًا يبيّن للأجيــال الصاعدة الواعدة صــورًا من تاريخها، لتســتفيد منها في حاضرها ومســتقبلها، بكل ما فيها من قيم تؤجج المشاعر والأحاسيس، والمروءة والإقدام والصدق والأخل اق..!!

وأرى أن نشر هذه "الأوراق" في هذا الوقت العصيب الذي تمر به أمتنا يُعدُّ واجبًا وطنيًا خاصة تجاه الرجال الأفذاذ الذين صنعوا لنا هذا الاستقلال..!! وغالبية هؤلاء العظماء لم ينصف بعضهم التاريخ ولم يأتِ على ذكرهم.

وصاحب هذه المذكرات واحد من هؤلاء...!!



المجاهد جميل شاكر الخانجي بلباس الثوار
(أمين السر العام للثورة السورية)

الباب الأول

صاحب المذكرات
المجاهد جميل شاكر الخانجي

• نشأته وتعليمه:

ولد صاحب السيرة «جميل بن شاكر بن عمر الخانجي»، في دمشق عام ١٨٩٨م الموافق ١٣١٤هـ، من أسرة دمشقيّة عريقة، عزيزة النفس، متواضعة الحال، ينتهي نسبها لآل البيت والدوحة النبوية الشريفة، كانت تعيش في حيّ (القيمرية) بدمشق، وتضم أربعة من الذكور «توفيق وعمر وعبد اللطيف وجميل» وخمسًا من الإناث، أفرادها كلّهم مثقفون متعلّمون، برزوا قادةً عظامًا، تبوّأوا أعلى المراتب، وكرّسوا حياتهم للدفاع عن الوطن، وماتوا وهم عظماء.!!

تعلّم «صاحب السيرة» في مدارس دمشق، وأكمل تحصيله في مدرسة التجهيز الوحيدة في دمشق «مكتب عنبر»، ثم تلّقى دراسته في (دار المعلمين). ولمّا أنهى تعليمه، سيق خلال الحرب العالمية الأولى، إلى «الخدمة المقصورة» احتياط ضابط – حيثٍ أتمَّ الدورة التعليمية في تركيا. وفي أثناء الخدمة، لاقى مع رفاقه العرب ضغوطًا شديدة من الأتراك (الطورانيين) في – حزب الاتحاد والترقّي – الذي كان يتزعّمه:

نيازي، وأنور، وجاويد، وطلعت باشا، وأحمد جمال باشا (الملّقب بالسفّاح)، وهم الذين حاولوا (تتريك) العرب، وصهر بقيّة العناصر غير العثمانية، في بوتقة العنصر التركي. بينما كان (حزب الائتلاف)، الذي يتزعمه (كامل باشا) يدعو أن تبقى العناصر العربية والقوميات الأخرى إلى جانب الأتراك، لهم حكمهم الذاتي في ظلّ دولة عثمانية واحدة وعلم واحد.

• نضاله وجهاده:

اشترك والدي في معركة (جناق قلعة) ضدّ أسطول الحلفاء البحريّ، وقاتل في جبهة (جبا قجور) ثم عاد إلى دمشق، حيث أُدخل المستشفى للمعالجة. ولمّا شفي، تقرّر إعادته إلى الجبهة، إلاّ أنَّ دخول الجيش العربي، بقيادة الأمير فيصل الأول دمشق عام ١٩١٨م حال دون إرساله إلى الجبهة. وخلال العهد الفيصلي، عُيّن مديرًا لمدرسة (التوفيق والإرشاد) في (برزة). وكان عضوًا في النادي العربي بدمشق، كما اشترك في برنامج مكافحة الأميّة.

ولمّا احتلّ الفرنسيون السواحل اللبنانية والسورية، وتقدموا نحو دمشق.. قام مع أخيه الشهيد (عمر شاكر الخانجي) وعدد من الضبّاط، بتدريب المتطوعين والشباب على حمل السلاح، في كلّ حيّ من أحياء دمشق. ثم ذهب مع رفاقه من المناضلين إلى قرى الغوطة والمرج، لتحريض الأهالي على مقاومة الغزو الفرنسي، وساهمّ في جمع المتطوعين الذين خاضوا معركة ميسلون.

وبعد أن احتلّ الفرنسيون دمشق، أصدروا قائمة بإعدام الوطنيين... فغادر المجاهد الثائر (جميل شاكر الخانجي) مع إخوته إلى مدينة درعا، حيث اتّصل ببعض شيوخ حوران، وارتجل خطبة وطنيّة بعد صلاة الجمعة، حثّ فيها المصلّين على الجهاد والمقاومة...! وعلى أثر ذلك، هبّ أبناء حوران، في ثورتهم المشهورة عام ١٩٢٠م.

وحَكَمَ الفرنسيون على – من أسهم في هذه الثورة – واشعال فتيلها ومنهم (جميل شاكر الخانجي) بالإعدام، ومصادرة الأموال والممتلكات. ونُشر الحكم في جريدة (ألف باء) في عددها الصادر رقم ١٧٣٦ في ١٩٢٦/٨/٦م. بعد ست سنوات من تحريضه على ثورة حوران. ومثل هذه الأحكام تعدّ وسام شرف يعلّق على صدور الثوّار.

وأقدمت السلطات الفرنسية على نهب منزل أسرته، في حيّ (القيمرية) بدمشق... وعلى أثرها، جاء إلى مدينة أربد، ولكونه متعلمًا، عُيّن مديرًا لمدارس لواء عجلون... كما كان ناطقًا رسميًا باسم الثوّار.

وفي مطلع عام ١٩٢٣م.. رافق الأميرَ علي بن الحسين، وأخاه الأمير عبد الله بن الحسين، لتأدية فريضة الحج ضمن الوفد الكبير الذي ضمّ رجالات العرب، من أجل مبايعة أمير مكة الحسين بن عليّ بالخلافة...!!

في تلك الفترة استشهد شقيقه الصحفي والشاعر (عمر شاكر الخانجي)، عندما كان يحاول حقن الدماء بين الهاشميين والسعوديين، حيث أقام له رجال الصحافة في دمشق، احتفال تأبين في «النادي السوري» باعتباره

صحفيًّا، ومؤلفًا لعدّة كتب في الزراعة والكيمياء والهيئة (العلوم الفلكية).

ثم كان الاجتماع الذي عقده مع الشريف الحسين بن عليّ في محطة معان، وسلّمه ما لديه من رسائل، ورافقه إلى العقبة، حيث مكث معه أسبوعًا، بانتظار وصول الباخرة التي ستقلّهم إلى جدّة.

في تلك الأثناء، وصلت البارجة الحربيّة البريطانيّة (كورن فْلَوَر) إلى ميناء العقبة، وهي تحمل إنذار الحكومة البريطانية المشهور، للشريف الحسين بن عليّ الذي يتضمن: «إنذاره بوجوب مغادرته العقبة إلى قبرص». وقد غضب الشريف حسين بن عليّ، وقال لقائد البارجة الحربية البريطانية: «لن أتحرك أنا من هنا، ولو هلكت أنا وعائلتي، بقنابل حليفتي بالأمس».

وقد كلّف والدي - رحمه الله - بالردّ الخطيّ على الإنذار.إلاّ أن بريطانيا أصرّت على مغادرته، ولم تقبل بغير ذلك....!

وقبل أن يغادر الشريف حسين بن عليّ العقبة في الثامن عشر من حزيران سنة ١٩٢٥م جلس على رمالها الذهبيّة، وطلب من والدي أن يأتيه بنماذج من حجارتها المليئة بالمعادن الكثيرة، والمنتشرة فوق تلالها ووهادها، وقال لمن حوله: «لقد أضعت عرشي وملكي، للاحتفاظ بهذه الكنوز الثمينة... وعدم التفريط بشبر من أرض فلسطين، ورسالتي للأمة العربية بالاتحاد». وبقي في منفاه في قبرص، حتى وافته المنيّة، وضاعت آمال العرب من جني ثمار ثورتهم وتضحياتهم.

بعدها سافر والدي إلى مدينة جدّة في أواخر حزيران ١٩٢٥م، حيث قابل الملك عليّ بن الحسين، وسلّمه ما لديه من رسائل من عضو حزب العهد العسكري (عارف التوّام) ورجالات سورية، والمتضمّنة التوّسط بين الهاشميين والسعوديين، لفتح باب الحوار والمفاوضات، والعمل على حقن الدماء..!!

فأنعم عليه (بوسام) الاستحقاق، تقديرًا لجهوده وتضحياته.

• اشتراكه في الثورة السورية عام ١٩٢٥م:

ثم عاد مباشرة إلى جبل العرب، واجتمع بقائد جبل العرب سلطان باشا الأطرش وانخرط ثانية في الثورة...! ورافق الشيخ محمد الأشمر..!!

وانتخبه الثوّار أمين السّر العام للثورة، وضابط الارتباط بين المناطق الثائرة، في الغوطة والمرج والشمال، وبين القيادة العامة... مع تأمين المخابرات بينها وبين قادة المناطق، وتزويد الصحف بسيرٍ المعارك في مختلف الجبهات، كما انتخب من قبل المجلس الوطني مسؤولاً عن الدعاية والاستخبارات، وأوفده قادة ورؤساء الثورة بموجب تفويض خطيّ إلى عمّان، حيث قابل

الأميرَ عبد الله بن الحسين، وشرح له أوضاع الثوّار، وحاجتهم الماسّة إلى المال لشراء التجهيزات الحربيّة والعتاد، فوافق على دعمهم بخمسة آلاف دينار.

وقد قام الفرنسـيون بعد ذلك بالضغط على الإنجليز، من أجل تسليمهم - جميل شـاكر الخانجي - بعد أن حكموا عليه بالإعدام، إلاّ أن الأمير عبد الله أخبرهم... أنَّ (جميل شاكر) في حمايته!!.

وبقي يعمل في سلك التربية والتعليم يبثّ الروح الوطنية في جيل الشباب، أكثر من أربعين عامًا.

وقد كتب عنه القائد (محمد سـعيد العاص) في كتابه (صفحة من الأيام الحمـراء)(١) ، كما كتب عنـه «أدهم آل الجندي» في كتابـه (تاريخ الثورات السورية)(٢).

• دوره النضالي والتربوي:

نذر صاحب السيرة نفسه وحياته - بعد أن نال الوطنُ الاستقلال - للتعليم في الأردن لبناء أجيال الأُمة، ونشـر المعرفة، وإذكاء الروح الوطنيّة في عقول أجيال الشباب القادمة...! إذ كان يعتبرها كالجهاد في سبيل الله.

فالعلم بالنسبة إليه تثقيف وتهذيب ووطنية.....!

وهكذا أمسـك بالسـيف والقلم معًا..!! فكان وطنيًا صادقًا، وجنديًا باسلاً فـذًّا مقدامًا، ومربيًّا فاضلاً...!! وتقديـرًا لخدماته الطويلة في التربية أُنعم عليه بوسام التربية.

فقد كانت هذه النُخَب متميّزة ونادرة، وعلى مستوى عالٍ من الوعي الفكري والثقافي والوطـني والقيادي، يُمثِّل رجالها ضمير الأمة الَحيّ، والنواة الحيّة والفاعلة في المجتمع.

أخرجـوا أجيالاً من المبدعين تفخر بهم الأمـة، انتماؤهم للوطن وحده... ونحـن إذ نفتقـد أمثالهم في تاريخنـا المعاصر فإننا نأمل أن تسـتكمل الأمة صحوتها لتمنحنا أمثالهم.

---

(١) كتاب (صفحة من الأيام الحمراء)، لمؤلفه القائد محمد سعيد العاص، صفحة ٢٤١.

(٢) كتاب (تاريخ الثورات السورية) – لمؤلفه أدهم آل جندي، تحت عنوان: (مجاهدو آل الخانجي) صفحة ٥٢٣ و٥٢٤. والمراجع:

- كتاب (كفاح الشعب العربي السوري)، لمؤلفه الدكتور إحسان هندي، الصفحات ٢٤١/٢٣٨.
- كتاب (الثورة العربية الكبرى) المجلد الثالث، لمؤلفه أمين سعيد، الصفحات ٤٤٨/٤٥٣/٤٥٤.
- كتاب (نضال شعب وسجل خلود)، لمؤلفه جميل العلواني، الصفحات ٣٢٦/٣٢٧.
- كتاب (تاريخ الثورة السورية)، لمؤلفه الدكتور محيي الدين السفرجلاني، الصفحات ٢٧٢/٤١٠.

• وفاته وتأبينه:

وانتقل المجاهد الثائر (جميل شـاكر الخانجي) إلى عالم البرزخ وأصبح في ذمّة التاريخ، في الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني من عام ستة وسبعين وتسعمئة وألف، وهو في السجود الأخير من صلاة المغرب..!!

ومشـى وراء نعشـه، كبارُ رجال الدولة، وبكاه الذيـن أحبّوه واحترموه...! وأُقيم له حفل تأبينيّ كبير... تبارى الأدباء والشـعراء في تعداد مناقبه...! وتكريمًا له... أُطلق اسمه على مدرسـة ثانويـة نموذجية هي الأولى في حي الصويفية وشارع في حي طارق في عمّان العاصمة، وحديقة في مدينة السلط الأردنية.

وكلّي أمل أن «يُنصفه» الوطن، الذي جاهد ودافع عنه، وأحبَّه بكلِّ ذرّة من كيانه، «ويُكرَّم» في وطنه سورية، كما كرّمه الأردن ورجالاته.

رحمك اللّه... يا أبا عادل...!
فقد كنت فذًّا في حياتك، وفذًّا بعد موتك....
طوبى لكم يا أحرار بلدي وثوّارها....
طوبى لكم وحُسن مآب.



جميل شاكر الخانجي





جميل شاكر الخانجي



وسام الاستقلال من الملك علي بن الحسين ١٣٤٤ هـ



الديوان الهاشمي

عدد ٩٥

علي بن الحسين

المملكة الحجازية الهاشمية

أما بعد فلما كان الشهم الغيور الشيخ جميل شاكر ممن تحقق صدقه وإخلاصه نحو عرشنا

الهاشمي بما ظهر على يديه من الخدم المشهورة والمساعي المبرورة

فقد صدرت إرادتنا الملوكية بمنحه وسام الاستقلال

العالي الشأن من الدرجة الرابعة مكافأة له على عمله وتقديراً

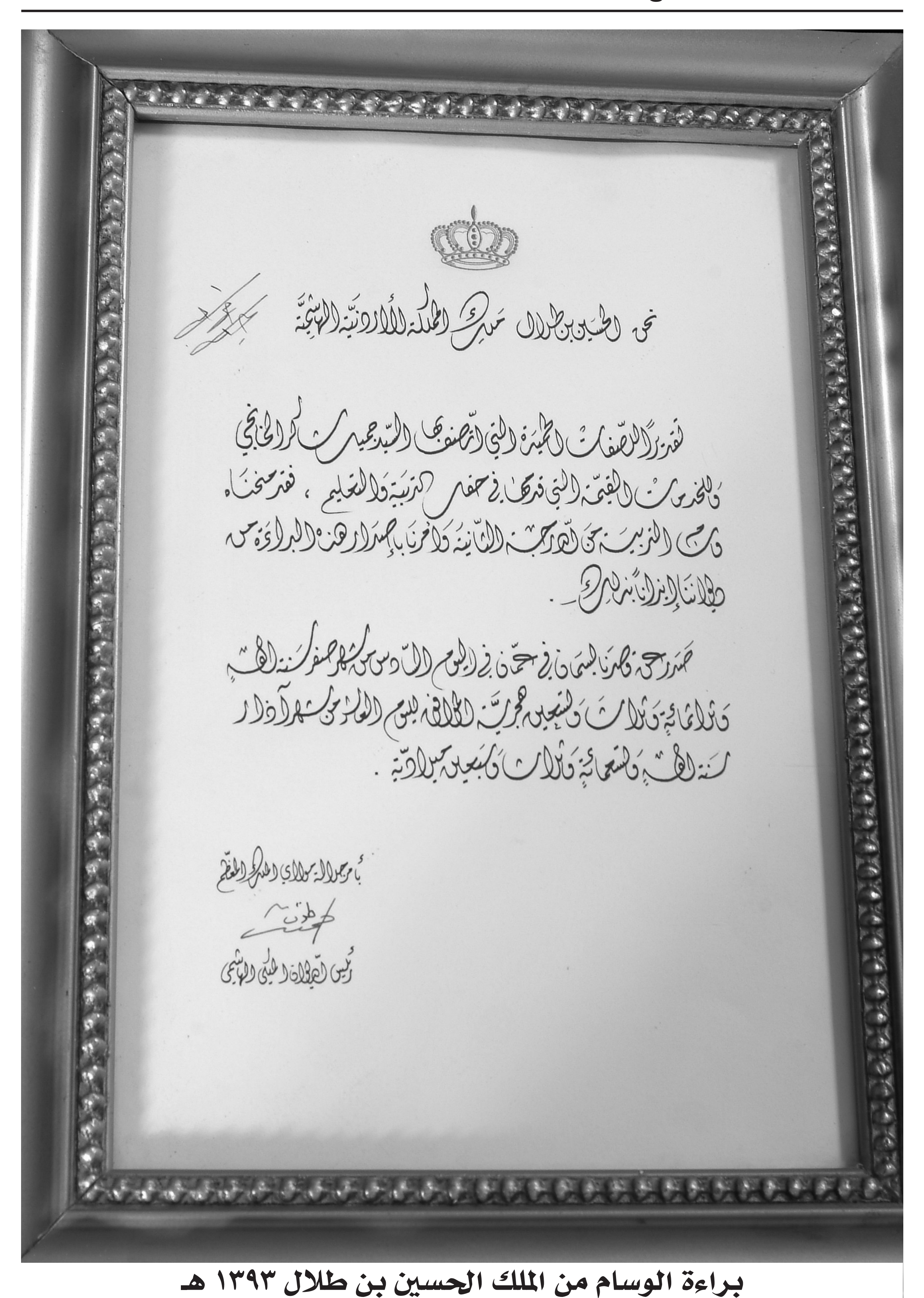
لإخلاصه والله يجزي المحسنين خيراً

حرر في القصر الملوكي بجدة ١٩ محرم سنة ١٣٤٤

براءة الوسام من ملك الحجاز علي بن الحسين ١٣٤٤ هـ



وسام التربية والتعليم من الملك الحسين بن طلال ١٩٧٥ م



نحن الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية

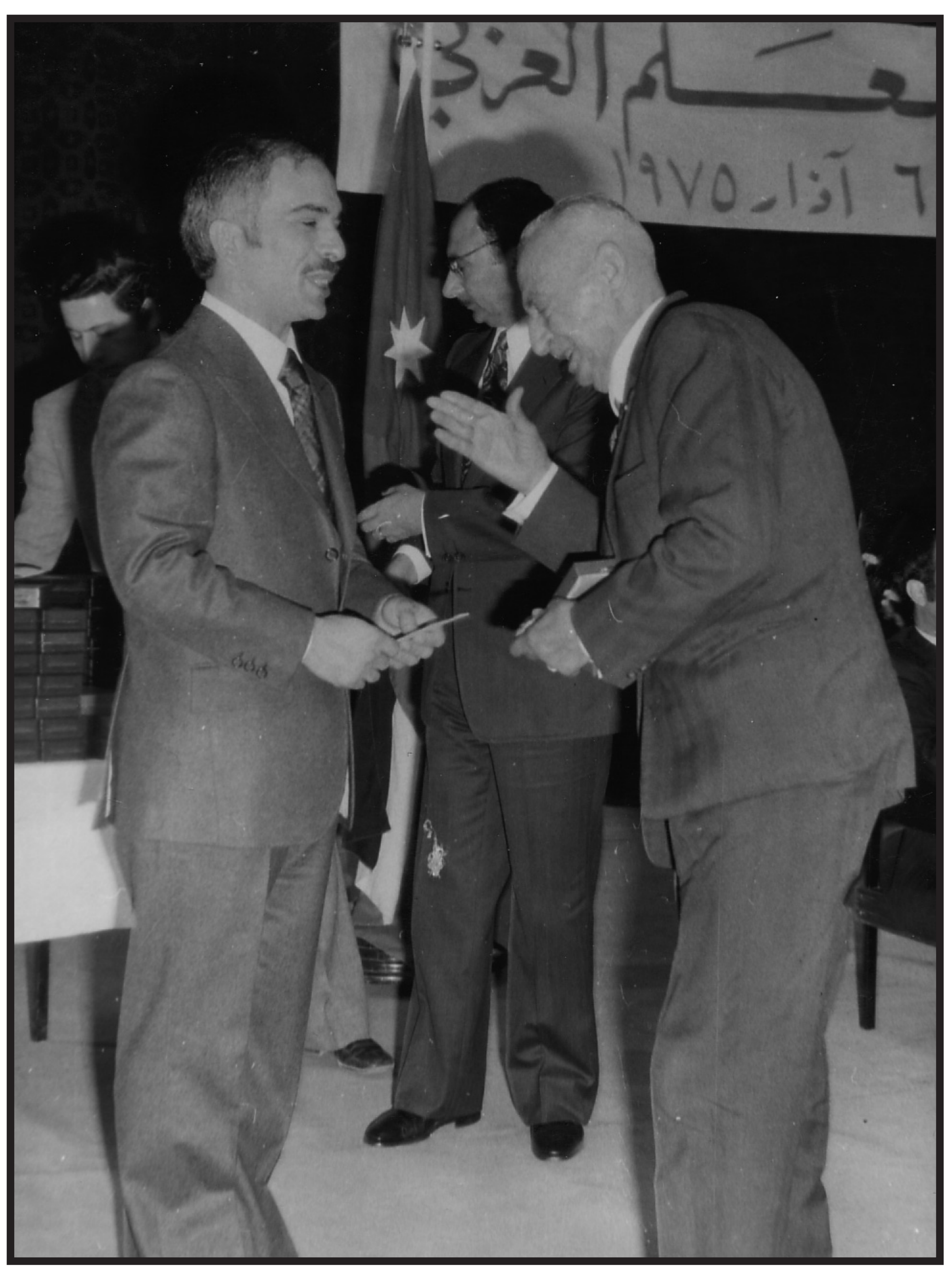
تقديراً للصفات الحميدة التي اتصف بها السيد حميد شاكر الخانجي وللخدمات القيّمة التي قدمها في حقل التربية والتعليم، فقد منحناه وسام التربية من الدرجة الثانية وأمرنا بإصدار هذه البراءة من ديواننا إبرازاً لذلك.

صدر عن قصرنا بسمان في عمّان في اليوم السادس من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين هجرية الموافق لليوم العاشر من شهر آذار سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين ميلادية.

بأمر جلالة مولاي الملك المعظم

رئيس الديوان الملكي الهاشمي

براءة الوسام من الملك الحسين بن طلال ١٣٩٣ هـ

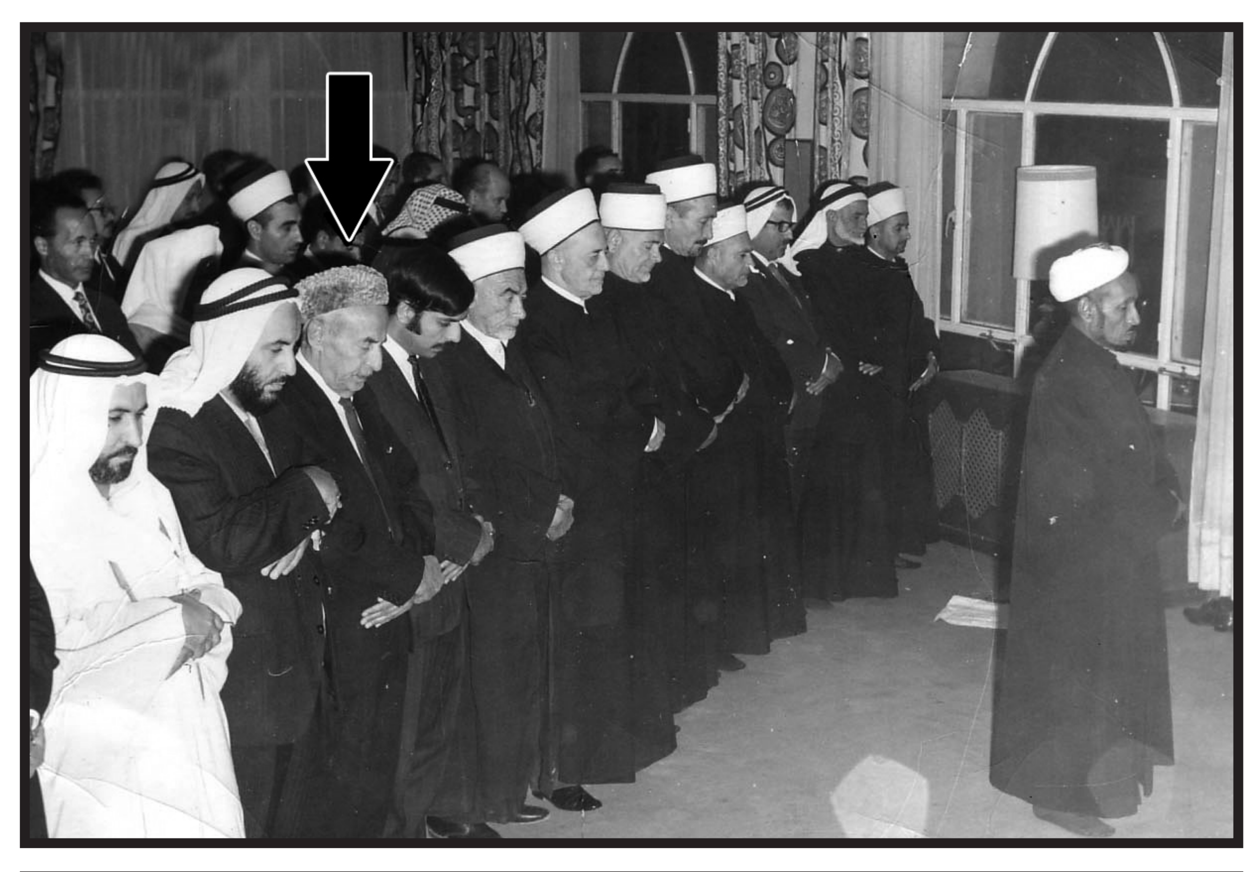


(صاحب المذكرات) جميل شاكر الخانجي يتسلم وسام التربية والتعليم من الملك الحسين بن طلال عام ١٩٧٥ (قبيل وفاته بعام واحد)



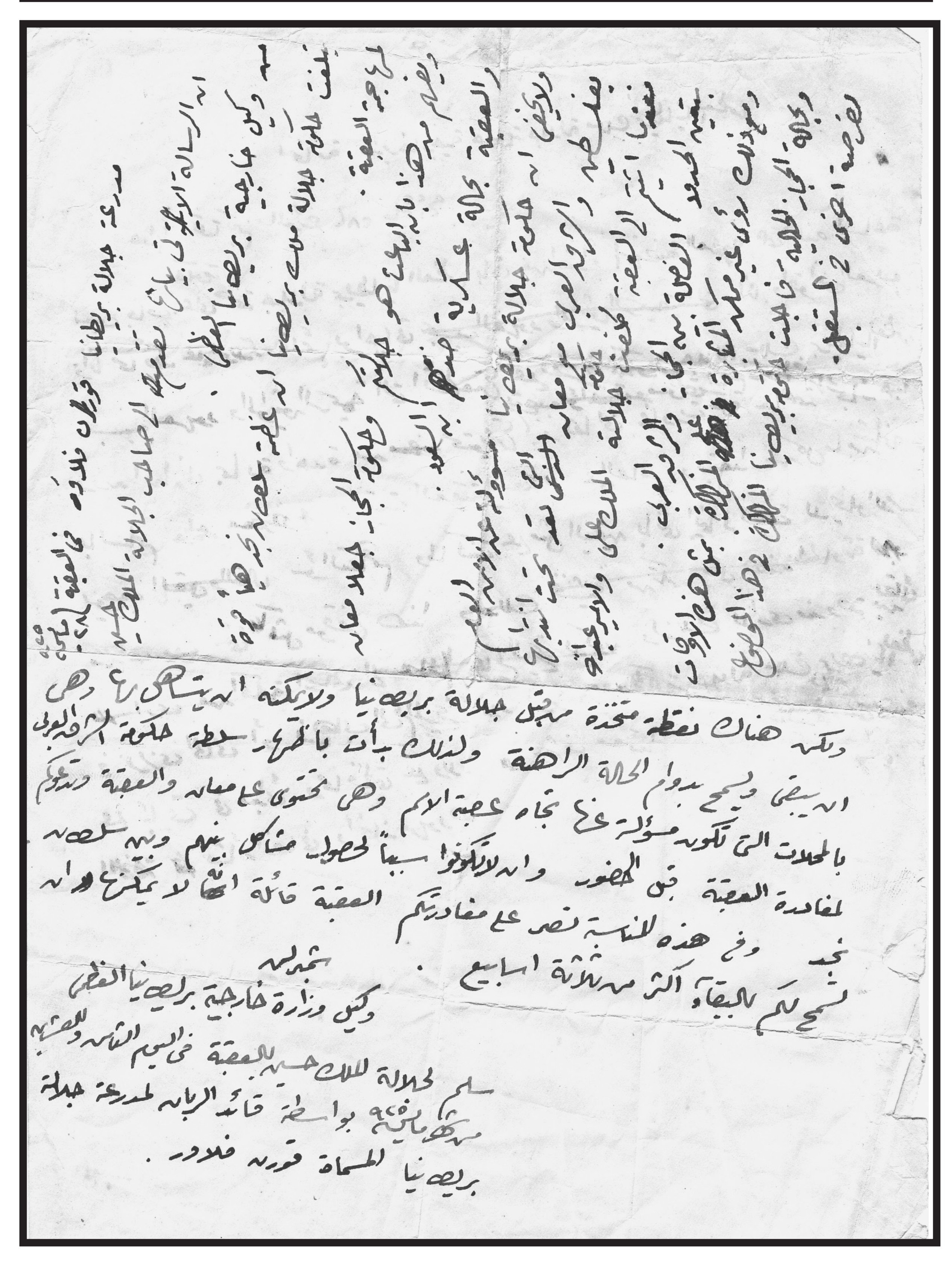


شارع جميل شاكر (في منطقة طارق-حي الشهيد الشمالي) - عمان



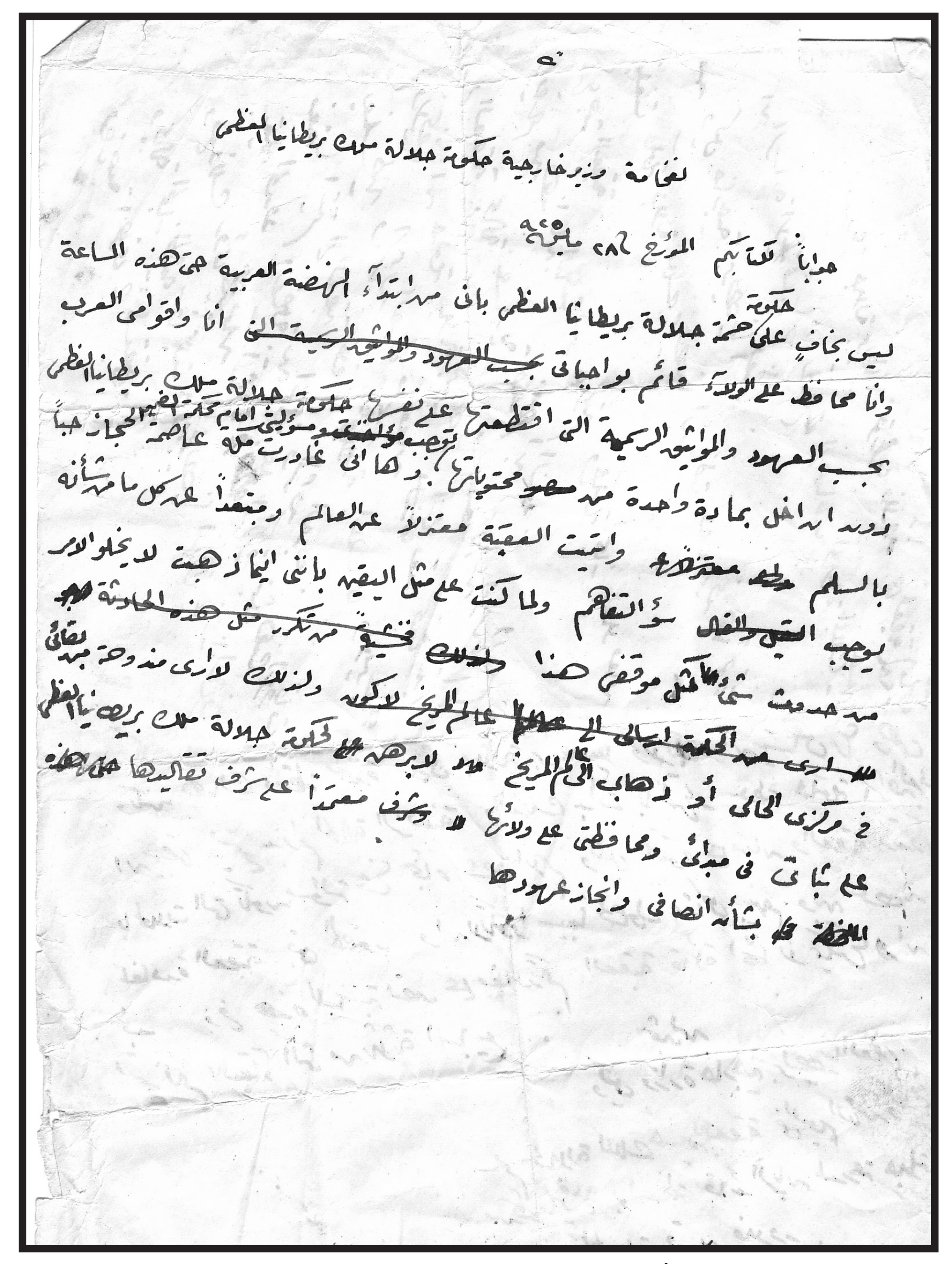


(الصلاة الأخيرة) : في ١٩٧٦/١/٣١م سلم (صاحب المذكرات) روحه إلى بارئها في السجود الأخير من صلاة المغرب .



ولكن هناك نقطة متخذة من قبل جلالة بريطانيا ولا يمكنه أن يتساهل بها وهي
سلطة حكومة الشريف العربي الراهنة ولذلك بدأت بالخروج
أن يبقى ويسمح بدوام الحالة وهي تحتوي على معان والعقبة وتدعيم
بالمحلات التي تكون مسؤولة عن تجاه عصبة الأمم وأن لا يكونوا سبباً لحصول مشاكل بينهم وبين سلطة
لمغادرة العقبة قبل الحضور العقبة قائلة أنها لا يمكن ولا أن
نجد وفي هذه للنسبة نصر على مغادرتكم
تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع .
وكيل وزارة خارجية بريطانيا العظمى
سلم لجلالة الملك حسين بالعقبة في اليوم الثامن والعشرين
من شهر مايس ٩٢٥ بواسطة قائد الربان لمدرعة جلالة
بريطانيا المسماة قورن فلاور .

انذار البارجة البريطانية (كورن فلور) للشريف حسين ٨/مايو/١٩٢٥م
(والترجمة بخط يد والدي)



لفخامة وزير خارجية حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى

جواباً لكتابكم المؤرخ ٢٨ مايو ٩٢٥

ليس بخافٍ على حكومة جلالة بريطانيا العظمى بأني من ابتداء النهضة العربية حتى هذه الساعة أنا وأقوامي العرب
وأنا محافظ على الولاء قائم بواجباتي بحسب العهود والمواثيق الرسمية التي اقترحتها على نفسي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى
توجب [illegible] مسؤوليتي أمام محكمة [illegible] الحجاز [illegible] وها أني غادرت مكة عاصمة
ودون أن أخل بمادة واحدة من محتوياتها ومتبعداً عن كل ما من شأنه
وأتيت العقبة معتزلاً عن العالم
بالسلم [illegible] ولما كنت على مثل اليقين بأنني إنما ذهبت لا يخلو الأمر
يوجب [illegible] سوء التفاهم خشية من تكرر مثل هذه الحادثة
من حدوث شيء [illegible] موقف هذا [illegible] ولذلك لا أرى مندوحة من بقائي
في مركزي الحالي أو ذهابي إلى عالم المريخ لا أبرح [illegible] حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى
مصراً على شرف تقاليدها
على ثباتي في مبدئي ومحافظتي على ولائي
[illegible] بشأنه انصافي وانجاز عهودها

الرد على الإنذار الأخير من شريف مكة الحسين بن علي إلى الحكومة البريطانية (بخط يد والدي)

حين يرحل الكبار

هــذه لمحة تاريخية عن «عظماء» هذا الوطــن، و«عمالقة» هذه الأمة. عن القامات الوطنية الســامقة المخلصة التي تفرّدت بجرأتهــا وقُدراتها. غادرتِ الوطن وفي حقيبتها حب الوطن وعشقه. ظلّ الوطن يسكن روحها التي رحلت إلى محطة الأبدية، بعدَ أن أضناها طول الانتظار. عبرت جسر الحياة ودروبها ورحلت وهي تئن من الجراح التي أثخنت الوطن.

لم يتمهــل الفارس قبل الرحيــل. لكنه قبل أن يلوذ بالســكينة الأبدية، نســج خيوط حروف كلماته من ســويداء القلب، وحــرارة الأنفاس، وخلجات الوجدان.

كان مســكونًا أبدًا بحبّ الوطن. أفنى عمره بعد أن أعطى الثقافة الوطنية حياته، وضخّ هذه الثقافة في وجدان رجال المســتقبل، فانعكس عطاؤه محبة واحترامًا في نفوس كل مَنْ يعرفونه.

حطّ راحلته ورحل وهو يحمل صدق المشاعر الإنسانية، ونبل الضمائر. وفي حيــاة الراحل الكبير «محطتان» متداخلتان داخل الوطن وخارجه. في داخل الوطن نضال وجهاد وإنجاز، وما اتســم به هذا النضال من وعي لدور الشــعب والجماهير كأساس في معركة الحرية والاستقلال، التي انطلقت تباشيرها مع الثورة الســورية الكبرى، وإنجاز على مستوى معارك التحرير، ومحطة أخرى خارج الوطن. عبّر فيها عن انتمائه وعشقه للوطن، بلهفة العاشق الطريد.

وقد رصد الراحل حيثيات سير المعارك في مختلف جبهات القتال، وكتب من قلب المعركة بوصفه شاهد عيان، ولم يقم أحد من الذين عايشوا تلك الفترة وتابعوا أحداثها عن كثب برصد فعالياتها. لكنه استطاع بكل شفافية وحرفيّة، أن ينقــل أحداث المعارك بإيجاز، وفي براعة من الســرد واللغة وضمّن كتاباته مشاعره بأســلوب غاية في البساطة والدلالة، وبذل جهدًا في اختيار الموضوع – في وقت حرج وعصيب شديد التعقيد – استقاه من التفاصيل اليومية التي كان يعيــش دقائقها، ومِن التجربة الثورية الإنســانية والحضارية لأمته، مع تجسيد القضية التي تبنّاها بجميع أبعادها، في أصالة وطنية صادقة.

لقــد اتكأ الكتــاب كله على المادة التاريخية، دفع بهــا كاتبها إلى قول ما لا يســتطيع التاريخ قوله بحرية، ليلغي الهوامش بين التاريخ كواقع، والمتخيّل كذاكرة جامعة مليئة بنبض الحياة.

ستشعر أيها القارئ وأنت تقرأ نصوص هذا الكتاب، أنه ينقلك من عصرنا إلى عصر هؤلاء المجاهدين، فيصورهم على حقيقتهم، لتتعرّف عليهم وتعيش بينهم ومعهم عن قرب. يستنطق التاريخ، وأرض المعارك، والحجارة، ويستمع إلى أنين الناس وأفراحهم وانكساراتهم. وإلى دقّات القلوب العاشقة المسكونة بحب الوطن الحالمة بالأمل، والمشاعر الزاخرة بالألم والأحاسيس المطعونة بالأسى والإحباط والعيون المكحلة بإرادة الجماهير المسحوقة، المغروسة سواعدها في الأرض المعطاءة، لتُزهر في وجدان الأمة ورودًا وعبق ياسمين.

وفي مخزون غير عادي، يحمل قدرًا من الأحداث والاجتماعات والحكايات يلتقط «صاحب الترجمة» الوجه الحقيقي للحقيقة التائهة، بين الوقائع والأحداث فتتذوق نكهة الماضي، بوصفه «مرآة» لأحداث تركت بصماتها في مجريات الأحداث، التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بنا وبتاريخنا ووطننا، وأصبحت جزءًا من هويتنا وتقبض على لحظة الأحداث عند وقوعها. ويتشظى مخزون الذاكرة، في محاولة للتمرد والبحث عن الذات.

لقد كانت الروح القومية في تلك الفترة العصيبة من تاريخ أمتنا ناشطة. والآمال والطموحات كبيرة والشعوب مندفعة في مسالك التحرّر، مفعمة بالأمل والحماسة. مندفعة بقوة دفع ذاتية، للتخلّص من الحكم الأجنبي، لنيل الاستقلال والسيادة. رغم أن السَطوة الاستعمارية كانت على أشدّها.

في الجهة الأخرى المقابلة اشتدت سطوة المحتلين، بغزو كيان الأجيال الناشئة وعقولهم وفرض لغتهم، حتى غدا الكثيرون يشكّون بقدرة مواطننا العربي، على تحقيق ذاته في العزّة والكرامة.

لكن جيلِ الآباء كان مؤمنًا إيمانًا لا يتزعزع، بأصالة وعدالة قضيته فدافع عنها بكل قُدراته. متّخذًا من الصمود مبدءًا نحو الارتقاء. وبالرغم من شحّ الموارد، والانغماس في تأمين لقمة العيش، والعيش عيش الكفاف لمجرد البقاء على قيد الحياة فقد جابه جيل الآباء – والحق يُقال – التحديات الكثيرة بإيمان شديد. فكان يناوش بين ثنائية الأمل واليأس والالتزام بكل القيم والمورثات، والانطلاق والتحرر من كل القيود مفرطًا في إنكار الذات ليعيش من أجل تحقيق ذاته وإسعاد الوطن.

كان جيل الآباء يرصد الأجيال المقموعة المستلَبة المحكومة بالأمل، يدفعهم هاجس البحث هذا قتامة الواقع الذي تعيشه الأجيال وفجائعيته، واستبدادية السلطة الحاكمة في ظلال المحتلين وتحت حرابهم، والتيه الذي تعيشه الأجيال الصاعدة الواعدة المستجدية حضارة الغربيين المزيفة الآفلة.

ومـن موقع المسـؤولية لوالدي «صاحـب المذكرات» بعـد انتخابه من قِبل المجلس الوطني للثورة، مسـؤولاً عن الدعاية للثورة، وتزويد الصحف بأخبار المعارك اليومية على مختلف الجبهات، ومشـاهداته في هـذه الحروب مع الأعداء المحتلين، والتي لم تتوقف يومًا. هذا الموقع منحه التعرّف على كثير من القادة والمسـؤولين، وأشخاص وأماكن وسلوكيات بشر من مختلف الأطياف في يوميات سـجلها في أماكـن ومنازل متجولاً في سـاحات المعارك، في مخزون عميق من حكايات مؤثرة غير عادية.

وقـد أقام «صاحب الترجمة» تواصلاً بينه وبين المُتَلقّي مرة بالإيحاء ومرة بالرمز ومرة بالشـيفرة. وقدّم «المفاتيح» مباشـرة في فضاء من الإشارات التي تشد الانتباه، وتضّخ الروح الوطنية.

رَضَـع الوطنيـة الأصيلـة وتفقّه على حـبّ الانتماء للوطـن، وامتلك من تجربته الإنسـانية التاريخية رؤية دقيقة وعينًـا لاقطة مكّنته من تحويل المشـاهد والأحداث البَصَريـة إلى كيان متحرك عـبر علاقته الحميمة مع الثـوار وقياداتهم، فكانت تفوح من كلماته رائحة البارود والأمكنة. وأحسـب أنه أمسـك بتلابيب كينونة نماذج بشرية مختلفة وعرّاها ليكشف انتهازيتها أو صدق انتمائها ورغائبها واشتهاءاتها. وكشف ثغرات الماضي ونبش فيه ونقّب بعين الحياد والعقلانية والنقد الموضوعي وفتح الأبواب لقراءة الزمن الحاضر، مما يجعل الماضي ذخيرة لما يجب أن يكون عليه الزمن الآتي.

وتوغـل في مناطق الدهشـة وفي لحظات المخاض العسـير، ليُسـجل رؤاه وتأملاته وليُشـذّب التاريخ مما كان يمور في داخله من أعشـاب ضارة وأسمال بالية.

وتـراه يولـع ولعًا لا ينتهي بوطنه، عاشـق متيّم لمدينته يـكاد يتذوق كل حرف من حروفها، يكشـف كل زيـف يُلطّخ وجهها الذي ترهّل.. في أسـوارها وأبوابًها وأبراجها ومبانيها وأسواقها الّتي كانت تنبض بالحياة، ومآذنها المرصّعة بالصلوات والتواشيح في مكاشفة حادة ومصارحة متشظية. يقف على بوابات التاريـخ ينهل من مسـتودع ثرٍ لتجربة لافتة لم تخل من مشـقات... وسـط جسـامة الأخطار وجشـامَة التنقلات والأسـفار . يتجول بين سطور التاريخ ليكشف الأفخاخ والمشاهد الفاجعة المتراكمة.

ومَنْ يتابع فصول الكتاب سيتعرف على كل شبر من أراضي سورية الحبيبة، فالمـكان حاضر بقوة في كتاباته، لتنوع أماكن معـارك الثوار... والزمن رفيقه الأبـدي في حلِّـه وترحاله... يكتـب بمتعة روحية للتاريخ، وياسمين دمشـق يتماهى في مخيلته مع ارهاصات الحاضر والمًستقبل، يتقاطع من خلال حروفه

مع روح شعبها المضياف.

استقى مادته من التاريخ وسكب فيها من روحه وأفكاره ولغته وثقافته وبلاغته، في صياغة إبداعية من خلال مزج الواقع باللاواقع، ملتقطًا السلوك الاجتماعي لرفاقه وقدّمه ببساطة مختزلة بعيدًا عن التعقيد بقيم فكرية وإنسانية.. مقتحمًا الحدود رافضًا رسم الحدود بين المتخيّل والواقع، معتبرًا أن هذا المتخيل جزء من الواقع، وأنَّ هذا العالم الذي عاش فيه إنما هو عالم أشبه بأحلام اليقظة.

كان شعلة معرفية وإشعاع نور وأمل.. كما كان مسكونًا بوحدة الأُمة وعزتها يُعبّر عن ضميرها معتزًا بعروبته وإسلامه معًا. كما أفرز عصارة تجربته محاولاً بناء «المجتمع الفاضل» بنَزعة إسلامية، كاشفًا بمعطيات البَوْح عن الإنسان المهمش الذي تتساوى عنده الحياة والموت والجسد والروح، دون أن يغرق في رمال الذاكرة.

حاول أن يبوح من وجدانه بمشاعره الدافئة وهو يعطيك من نبضه وأدبه وعلمه لإيصال المتلقّي إلى عالمه دون توقف في المكان والزمان عبر تحويل الصور الصامتة إلى صور متحركة ناطقة متلاحقة ومكثفة وأفكار مبدعه ومشاعر وطنية وأحلام متدفقة متمردة تبوح عن المسكوت عنه وتحدد مكامن الغموض وتخوض في الواقع والمجهول..!

ربّى أولاده على قيم الخير والحق والعدل والحرية والعمل... وعلّمنا كيف يمتح الأديب من معين التاريخ وكيف يتسع صدر الوطن لكل أبنائه على اختلاف انتماءاتهم وأديانهم وأعراقهم موثّقًا صلته بقضايا أمته وهموم وطنه.

وكنت ألحظ في داخله شخصين يتساكنان باستمرار... إنساناً يمتلئ رقة وعطفًا وشفافية، وعسكرياً يتمتع بقسمات قاسية يحمل أثقالاً من العذاب والشقاء.

وكما أن العظماء يعبرون نحو الخلود، لذلك فإن موت الجسد هو عبارة عن عودة الروح إلى الحياة.

ولأن الأحداث تضغط على محورها، وموجودة بعمق في ثنايا حاضرنا المكثّف، فمن غير الإنصاف الحكم على أحداث الماضي، من منظور تجسيد حاضر اليوم. فأحداث الماضي لا يمكن إعادة قراءتها قراءة فورية. بل يجب إعادة قراءتها قراءة متأنية، لأن حياة الماضي لا يمكن أن «تحاكمها» في الحاضر.

وقد حاولت بكل أمانة ودقة نبش مخزون ذاكرة الماضي، بكل ما يعجّ به

من مرارة قاتمة، ضمن احتمالات العثور على الحلقة المفقودة، لتُصبح هذه النهاية جزءًا من هويتنا، نراها اليوم فنكاد نرى أنفسنا.

وأكاد أجزم أن بساطة الأسلوب الذي كتب به والدي «ترجمة حياة» رفاق درب كفاحه وعفويته يكاد يقارب حدّ الواقعية السحرية.

وقد حاولت جاهدًا أن أرفد هذا الكتاب بصور « الثوار الذين صنعوا الاستقلال» من أجل أن تشارك الصورة الكلمة. ورفدته بالكثير من الأفكار والمشاعر تحمل عنوان. (●●● وأنا أقول... :)

والتي لم تكن بعيدة عن محور الحدث الأساسي في تناص يُفضي إلى المشهد التاريخي الذي لا يتوقف، محاولاً - قَدَرَ استطاعتي - أنً أُقدّم «وجبة دسمة شهية» على مائدة واحدة منسجمة مع الصورة الأصلية للنصّ لا تغادر قوالبه أبدًا.



قد يجد القارئ – في بعض الأحيان – تكرارًا أو استطرادًا. رأيت أن أتركه كما هو دون أن أتدخل في محتوياته. ذلك أن «تراجم الثوار» التي كتبها والدي، كان ينشرها في الصحف على فترات متباعدة، أو في المناسبات الوطنية، وعلى مدى سنوات طويلة، وعلى تراخي الزمن «طوعًا ودون مقابل». وقد نجده يسترسل في تدوين آرائه، دون أن يخرج عن الموضوع.

وقد قمتُ بجمع هذه الصحف المهترئة بأوراقها الصفراء وطباعتها القديمة. إذ كان عامل المطبعة يومذاك، يجمع كل «كلمة» من حروف معدنية، فتخرج الصفحات مُثقلة بالأخطاء خالية من الفواصل والهوامش وعلامات الترقيم أو تنتقص منها فقرات كاملة.

كما وثّقت كل ما ورد في الكتاب، وكتبت «تعريفًا» بكل الشخصيات والمدن والقرى التي ورد ذكرها.

وقد امتلأت كتابات الراحل الكبير عن أصدقائه ورفاق دربه بكثير من التفاصيل والذكريات الحميمية.

قد تكون التفاصيل التي يكشفها في كتاباته، لصور معروفة كلها من المؤرخين، لكنها تبقى لها خصوصيتها وألقها تتيح لنا التعرّف على أبطال من تاريخنا، صنعوا استقلال وطننا وكذلك التعرف على المسكوت عنهم في هذا التاريخ.

والعودة إلى تاريخ أمتنا ووطننا يُعيد الاعتبار لكثير من الثوار الذين كانوا جنودًا مجهولين فنكرّمهم، عبر شخصياتهم ومسيرة حياتهم، لنؤبد البُعد الملحمي لنضالهم من أجل أمتهم ووطنهم وبذلك نجسّد روحًا وذاكرة في واقع رمادي تعيشه أمتنا. والمحصلة النهائية من قراءة تاريخنا، أن نعمل بهدايةً

الدروس والعبر التي يوفرها لنا التاريخ.

إنه تجديد للخطاب الذي يمسك بتلابيب الماضي حتى يعيد إليه ألقه وما ضاع منه. وحوار هادئ مع الأجيال الواعدة التي تحمل في أرواحها استمرارية الحياة وقراءة للمستقبل للولوج في فضاء الانتماء ورؤاه، ورحابة الاحتمالات وتأويلاتها، بين تمكين الزمن وتزمين المكان. كما كان يكتب كلماته بحروف كحدّ السيف ومدادها بدم القلب.

كان مدرسة في الوطنية. ينحت كلماته في ضمائر أجيال المستقبل، ويزرع الورود والرياحين في الأراضي الجدباء. لتزهر الفلّ والياسمين. كما كان يتمتع برؤية ثاقبة، وبصيرة واعية، وملاحظة حاضرة. تتغلغل كلماته خاشعة في محراب الفؤاد لتورقَ فيه حبًا وقيمًا ووفاء وأخلاقًا. وكان الأجرأ والأقوى في تحدي القوة الطاغية. علّمنا أن الكلمة سيف مُشرع في وجه الظلم والقهر والدم والموت. وكان أبدًا مسكونًا بحب وطنه. أراد استرداد الحلم الذي بدّده الأتراك واغتاله الفرنسيون الأوغاد فكان حبه لوطنه تضحية وشجناً وفداء وحنيناً. اتخذ الوطن معشوقًا وانتمى للأرض، فكان الحنين نشيده الأبدي.

كان كالسيف المثقوف، مستعدًا دائمًا وأبدًا ليخرج من غمده، ليقاتل من فرط حميته الإسلامية. لم تنلِ المنافي المتنقلة من سلامة انتمائه ولا من حرارة مشاعره، بل فجّرت مخزونًا وطنيًا سحريًا بداخله دافع من خلاله عن هويته. وتحوّل إلى مؤسسة ثورية متحركة يحمل هموم وطنه وقضاياه ويناضل من أجلها. وكان يدافع عن أمته في مواجهة أعدائها، وأخطاء أبنائها، ويُشعل من قنديله البرق والرعد، ويفضح المحتالين في ثياب الرهبان، والمتورمين على جذوع الصبّار، والمتكئين على الجدران الهشة. والمتعبين من أزيز الصمت.

فجيعتنا في مجتمعاتنا. أن المخلصين الصادقين الطيبين. يموتون بلا أكفان ولا قبور. الطريق أمامهم خارقة الوعورة يكبرون من داخل نفوسهم. يعيشون في رضى متضامنين مع قناعة أنفسهم، حياة حميمية هانئة هادئة مطمئنة، في أحضان دافئة واضحة كل الوضوح. ليس فيها لبس ولا تعقيد ولا مواربة.

في حينَ أن الفاسدين والأوغاد الذين يلهثون وراء المال والشهرة والأضواء. المتهالكين على جمع الأموال واكتنازها يَحْظَون بكل شيء يطلون وجوههم طلاء مستعارًا يتجدد في اليوم ألف مرة ومرة. فالمال عندما يتغلغل سلطانه في الضمائر يُفسدها وحين تمتد أيدي «الكبار» إلى مستودعات المال تخرج المبادئ والقيم الوطنية من الصدور. وعندما يقع الكبار تحت سطوة المال وإغراءاته تتهاوى الأخلاق، وتتفتح الرغبات المجنونة ويتلاشى الانتماء

للوطـن عند أول اختبار للمسّ. هـذا التناقض الرهيـب يهزّنا من الأعماق، ويصدمنا كل يوم.

كان يزعجـه ويغيظه عبثية إطلاق رشـقات الرصـاص في الهواء من قِبل أفراد المقاومة تعبيرًا عن الأحزان والأتراح والأفراح. هذه الثقافة الغوغائية والسـفاهة في تبذير طلقات الرصاص بضغطة على زناد رشاش كان يعتبرها إفلاسًا في المنطق والثقافة الوطنية. كما كان يؤلمه أن يعلن أحد فصائل المقاومة عن اسـم الثائر المقاوم الذي نفّذ عملية ضد المحتل المغتصب، ليرشدوا العدوَ إلى بيته ليهدموه وعائلته ليُشردوها. وهي أزمة حقيقية لا نزال نعيشها لهاثًا وراء الشهرة وحالة البؤس والفراغ التي وصل إليها الوعي العربي التائه.

وكان أكثر ما يؤلمه أن يرى المشـهد العربي المؤلم والمرعب والمأسـاوي، الذي يُذكّرنـا بملوك الطوائف في الأندلـس في القرن الخامس عشـر، والمقاومون للاحتـلال يلوون أعنـاق بعضهم في اقتتال كارثي. وقد تكرر هذا المشـهد في التاريـخ ولكنهم لم يتعظوا.. كانوا يحيكون المؤامرات أو يتصادمون بالسـلاح - كمـا يفعلون اليـوم - وكانوا يدفعون الثمن ولا يزالـون.. لم يتحالفوا ولم ينسّـقوا أعمالهـم القتالية ولم ينتصـروا يومًا للحكمـة.. جبّارين يفتكون ببعضهم ويوجهون الرشاشـات والمدافع كالضياغم! جعلوا من بعضهم خصومًا بعمليـات الإقصـاء والإلغاء فبقـي كل واحـد وحيدًا في المعركة! التشـرذم والتقطـرن ديدنهم حتـى أقاموا المـآتم لعزتهم كالعبيـد وخفضت خيولهم رؤوسها! والمحتلون يراهنون على اسـتنْزاف دماء بعضهم بعضًا وتيه بنادقهم ورشاشاتهم عن وجهتها المفترضة!

كمـا كان يؤلمه ويعتصر قلبه، غياب «العدالـة» في المجتمع الدولي، أمام ما كانت تقوم به قوات الاحتلال البريطانية في فلسـطين، من سـجن وتعذيب وقتل وشنق للمقاومين الذين تصدوا للهجرة الصهيونية إلى فلسطين، في حين «تعامُوا» عمّا كانت تفعله أفراد العصابات الصهيونية في فلسـطين من مجازر رهيبة تقشـعر لها الأبدان، حتى أنهم جنّدوا أنفسهم لحمايتهم ومساعدتهم ودعمهم والدفاع عنهم. وكان يردّد باسـتمرار قول الشاعر الدمشقي المتميز «أديب إسحاق»:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تُغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نَظَر
والحق للقوة لا يعطاه إلا مَنْ ظفر
ذي حالة الدنيا فكن من شرّها على حَذَر

كما كانت أُمنيته قبل أن يودّع الحياة، أن يرى للمسلمين «مرجعية» مستقلة تنطق باسمهم. دون أن تخضع لأيّ نظام من النُّظم العربية.

رَحَلَ رجل المبادئ بهدوء بلا ضجيج، وهو يحمل بين جنبيه روحًا وثّابة، وقلبًا نابضًا بعشق الوطن. تاركًا إرثًا وتراثًا. ينابيع تتدفق معرفة وعطاء.

كان ينطلق من إيديولوجيا دينية متكاملة، ومنظومة فكرية وفلسفية متماهية مع قيم رابطة العقيدة الوثقى. وكان الدم يتوهج في عروقه، إذا مسّ إنسان عقيدته. كما كان يحتفظ بخصوصيته مع مجموعة من المثقفين الذين نبتوا في نفس التربة والوقت الصعب. ومع ذلك كانوا مع اختلاف مذاهبهم ذوي حراك سياسي وثقافي نشيط، وكانت مجالسهم ملتقى التيارات السياسية والأدبية والدينية والفلسفية المختلفة.

لقد آمن آباؤنا وأجدادنا بالقيم النبيلة، وبالإسلام المتسامح الذي ملأ الدنيا محبة وسلامًا وتسامحًا، وتقاسموا مع غيرهم الآمال والآلام والوطن، ووقف الجميع في مواجهة غزو الفرنجة والفرنسيين. وسالت دماؤهم معًا لتعلن الولاء للوطن في مواجهة العدوان والطغيان.

كان مدرسة كبيرة في الصبر ورائدًا من روّاد النهضة لم تبهره الأضواء، ولم تأخذه الشهرة والمغريات. كما كان عصيًّا على الاستسلام والأقدر على تحليل الأحداث والتعاطي مع المستجدات برؤية ثاقبة. يتطلع دائمًا نحو الأكمل والأفضل في كل مفصل من مفاصل السياسة والقرار. يوزع صداقاته وينتخب زملاءه حسب انتماءاتهم الوطنية. كما كان الأبرع في مواكبة الأحداث وتطورها، يصارعها بكل عنفوان وصبر ويبادر إلى حل كل العقد المتشابكة. في الوقت الذي يكسب ود ومحبة جميع الأطراف، وتلك مقدرة كان يتمتع بها بامتياز. مما مكّنه أن يكون رجل الملمات والأحداث وقطب الرحى وملجأ لكل الرجال. يختزن الجرأة ولا يعبأ بمن يُرضي أو يستفز مادام يقول كلمة الحق والحقيقة. يدين المفسدين ويستدعي الخائنين ويُعرّي الخونة من أوراق التوت، ويُرغم المواربين على تحمل المسؤولية كاملة. وتراه يقارب بين فصائل الثوار؛ ويخترق الأبعاد، ليفتح أبواب التاريخ، ويقترب من جوهر اللحظة التاريخية. حتى أنك لتشعر بحرارة أنفاسه، وأنت ترافقه في رحلته، أو تقرأ ما بين السطور، لتتواصل معه وتعيش المرحلة التاريخية والمحطة الاستثنائية المتوهجة التي عاشوها، وتتابع خطواته، فتشعر بالحقائق تقفز من بين الحروف. مندفعة لتتغلغل في الأفئدة، وتنطبع في العقول، وتستقر في الضمير. فتمنحه المصداقية والثقة وهو يقدّم لك الأمكنة والأشخاص بأسمائهم الحقيقية دون مواربة، والحياة التي عاشوها بكل أبعادها وتداعياتها.

مثقلة بالألم والمعاناة والجوع والفقر والحرمان وكبرياء الوطن التي تستقر في الأعماق، وصدق الوطنية والانتماء، وقد هجروا أوطانهم كارهين، وقلوبهم مفعمة بالأحزان، فتشتعل الأشواق ويتوهج الحنين للبيت والأهل والوطن. هي متعة السرد والوصف الحسي عندما يسكن كاتبها الهمّ الوطني.

وأجيالنا اليوم حائرة حالمة، تنتابها هواجس مختلفة. بين الواقع الذي تعيشه، ونظرة الطموح نحو المستقبل الواعد بين الألم والأمل. أجسادها مسكونة بالقلق والتوتر، وشخوصها أحاطها الاكتئاب، وهي قابعة مستسلمة في زوايا نفق تنتظر بقعة ضوء لتخرج من عزلتها تنتظر مَنْ يختزل لها حالتها الوجدانية، ويعزف من خلالها على أوتار القلوب، فتُزهر في العقل والقلب ورودًا ورياحين. وتقف على بوابات التاريخ وتخوم الحضارات، مُنشّطة ذاكرة الوطن، ليفتح لها نوافذ عريضة، وآفاقًا واسعة في الرؤى نحو المستقبل المُشرق، بعد أن سقط خطاب إيدلوجيات التنظير وفضاءاتها المتمترسة خلف شعارات برمجت أنصارها على ترديدها.

أجيالنا تعيش واقعًا مُثقلاً بالخوف والقلق، من المستقبل المجهول الذي لا يحمل في طيّاته ما يُبشّر.

ولا تزال أجيالنا تعيش في أزمة البحث عن الذات والانتماء. حتى أنها وجدت نفسها في عراء الانتماء، تقطع شرايين الرغبة في الانتماء، لحالة العجز والانكسار التي تعيشها الأمة. ما دفعَها إلى السباحة بعيدًا في عمق المحيط، لتلهث وراء تقاليد مبتذلة، لا تتناسب مع الإشكالية الغارقة في لُججها والمُحترقة في أتونها.

علينا أن نعترف بأن أجيالنا تعيش في أزمة متجذرة في ثقافتها الوطنية، والخطاب الوطني. وعدم تقديم البديل سيُفضي لمرحلة السُّبات المؤدلجة، وسقوط الدور النهضوي، وتفاقم حالة البؤس التي وصل إليها الوعي العربي التائه.



وفي مرحلة متأخرة من العمر. تأخذ الكلمات والأفكار طريقها إلى محاكمة عقلية ومقارنة قاسية. وتتكشّف في تلك المرحلة الرؤى فتُدرك بعد طول عناء أنك تعيش في «وهم». وتلمس «الفجوة» بين ما كان يجري على أرض الواقع، وبين «الشعارات» الطوباوية، التي كانت تُطرح في فترة «مولد» القوميات كم كانت هذه الدروس والتجارب قاسية على أبناء جيلنا. جيلنا الذي «فشل» في

كل شيء وانتهى إلى «لا شيء».

كم أبحرنا في الخيال وعشنا أحلام اليقظة وكم أُتخمنا بـ«شعارات» حماسية لها إمكانات متخيلة وكم بدّدنا الجهود والأموال وراجعنا الحسابات وكم مرة أعلنا الحرب على الفساد والإقطاع والإقطاعيين وكم كابرنا وتخبّطنا في رسم بُنية الاقتصاد والاقتصاديين ثم أدركنا أخيرًا أننا نتخبط ونسير في تيه.

في مرحلة خريف العمر، يختزن كل إنسان في زوايا ذاكرته، كثيرًا من الذكريات والأحداث والحكايات الأثيرة والحميمية. بعضها يفقد بريقه في زحمة الحياة ومدّها وجزرها، وبعضها الآخر يُمحى بتقادم الزمن، والبعض الآخر يركن في الظّل، لا يسقط بتقادم السنين، ولا يستطيع العقل الهروب منه ليبقى في الوعي والوجدان محفورًا في الذاكرة أبدًا.

قد تستيقظ هذه الذكريات أحيانًا في القلب والعقل معًا كلما أراد اللاشعور الانعتاق من روتين الحياة ورتابتها.

قد تغيب هذه الذكريات لبعض الوقت في زحمة الحياة، لكنها تبقى أبدًا تستوطن الروح والجسد، فتُشعل الفكر عندما تتوهج في خلايا الذاكرة، لتعيش الروح بلحظة النشوة واللّذة والفرح.

هذه الانزياحات اللاشعورية، المتململة في خلايا الدماغ، تحاول أن تجد طريقها في فترات متراخية من الحياة، لتتوهج من جديد في الوجدان، كلما أفلتت من حصار العقل الصارم لها. فتبدو الأطياف التي استحضرتها الذاكرة باهتة في الزمن الهارب، في عمر مُثقل بأعباء الحياة.

لقد قدَّر الله لهذا الكتاب أنْ يخرجَ إلى النور بعد سبات طويل، فقد كانت هذه (المذكّرات)، محفوظة وسط (أكوام) من الكتب، والصحف، والمجلات، والأوراق.

وبعد أن استقّر بي المقام في ربوع الوطن، بعد طول الاغتراب والترحال وبعد أن أخذتنا الحياة بعيدًا، ذاهلين عن يومنا وأمسنا، بمشاغل الحياة وهمومها وتعقيداتها، والتي أفقدتنا مع الماضي أحلام المستقبل وجدت نفسي متفرّغًا، أُفتّش بين الأوراق عن جذوري، وعن الأيام التي سُلبت منّي في مرابع صباي. فالجذور السليمة، التي بقيت محفوظة في الأعماق، طيلة تلك الأعوام الطويلة، كان لا بدّ لها أن تُنبت فروعًا غضَّة من جديد.

قمت بزيارة مفاجئة إلى بيت جدّي في حيّ (القيمرية) مارًّا بأزقتها، ودروبها الضيّقة، وحاراتها القديمة. وقفت أُجدّد صورتها أمام نفسي، وأستوحيها الذكريات، وأُجدّد العهد بها. عادت معي دهاليز طفولتي البعيدة وبدأت الأيام تمرّ بي راجعة إلى الوراء، أراها تطوي لي السنين، حتى رأتني أمامها

وأنا طفل صغير، أبحث في بقايا بيت جدّي، الذي تركه إرثًا لتلك العائلة، التي اشترى أفرادها شرف بلادهم بالدّم، فتركوا بلادهم قسرًا، بعد أن حكم عليهم الفرنسي المحتل بالإعدام، ومصادرة الأموال والممتلكات وتفرقوا في أصقاع الدنيا.

كان لا بدّ للأحرار الشرفاء، أن يثوروا على ظلم الاحتلال، ويعملوا على طرد الغاصبين المحتلّين من الأوطان، وأن يحرّكوا جموع الشعب الغاضب، وأن ينضووا تحت لواء التنظيمات الثورية.

وكان انتساب (آل الخانجي) للثورة منذ بداياتها الأولى، وانطلاقتها المباركة. لم يترك مغناطيس الثورة، والعمل الثوري، عظيمًا من عظماء هذه الأمة، إلاّ جذبه إليه، وأدخله ميدانه.

وكان لا بدّ لشعب سورية، أن يثور على الظلم والاستبداد. كما كان لا بدّ لرموز الثورة، من إذكاء الروح الوطنية، وبعث روح الجهاد من جديد في الأمة، وهي روح التضحية والفداء والإقدام.

استجمعت التاريخ كله، وأنا أقف أمام بيت جدّي. هنا (مكتب عنبر) الذي كان الثانوية الرسمية الوحيدة، ومنارة العلم في كلّ البلاد ومجمعًا للشباب المثقّف، وموئل الوطنية، ومصدر الحركات الشعبية، ومركز المقاومة، مركز النور والنار ومبعث النضال في تلك الأيام يوم اندلعت الثورة السورية، في كل أنحاء البلاد.

تخرّج منه الرعيل الأوّل من الرجال، ومنهم والدي رحمه اللّه.

تخرّج منه الثوّار الأحرار، والمثقفون الذين قامت على أكتافهم، النهضة العلمية في البلاد.

كل شبر من أرض الوطن، ينطق بحقبة من تاريخ الأمم والأجيال، توالت وتطاولت ثم اندثرت، في زوايا العدم والنسيان. ذرّات ترابها، كانت لحدًا لمن تطاول على وطئها. من يتصوّر أننا نحبّ هضابًا وصخورًا ومروجًا وبيوتًا وأشجارًا ورياحين؟!!

ولكنها مشاعر الحنين، تجري في العروق مع الدماء، وحبُ من سكن الديار.

هؤلاء الذين ضحّوا وبذلوا وجاهدوا وصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا لم ينصفهم أحد، ولم يتذكرهم متذكر، واحتسبوا أمرهم إلى اللّه، لهم أجرهم عند ربهم.

هذه النخبة المختارة من الأمة، هبّت منتصبة على قدميها، تعلن عن وجودها وولائها، فوق ذُرا أرض الوطنِ وترابه.

كان الإيمان بالوطن والدفاع عنه أُنشودةً ثائرةً على شفاههم، ولحنًا حالِمًا

يبثّ ألوانًا من الأمواج العاتية في نفوسهم.

والإيمان معجزة الله في البشــر، يعطي راحة النفس، والاطمئنان، والتسليم.

كان رعيل هذه النخبة المختارة من الأمة، دعاة إلى هذا الحقّ، سكب الإيمانُ القوّةَ في قلوبهم، والثقةَ في نفوســهم، والاطمئنان في منطقهم، فأصبحوا على يقــين من أمرهم، أقوياء في تعاملهم، لا يجــدي معهم التهديد ولا التخويف. فهم المؤمنون حقًّا بقضاياهم العادلة.

ومضوا في طريق الجهاد ســائرين، رغم كل الصعوبات، مطمئنين واثقين من النصر على الأعداء.

كانوا منارة هداية في محنة أُمتهم، كما كانوا مَفْخرة لأُمتهم في محنتها.

لم تزعزع النكبات والأزمات من إيمانهم ومبادئهم. ولهذا ســتبقى ســيرتهم، أُمثولة فذّة للأجيال القادمة لتحذو حذوها وتنهج نهجها.

لقد أحبّوا وطنهم، وأحبّوا الموت في سبيل عزّته ورفعة شأنه.

• دوره في قيادة الثورة السورية:

كان والدي واحدًا من ثوّار هذا الوطن. جمع إليه المخلصين والشرفاء وانطلق معهم، يهاجمون القوات الفرنسيّة المستعمرة الغاشمة، ويجعلون الأرض تحت أقدامها، جحيمًا لا يطاق!!!

كان مــع الثــوّار ينطلقون من مختلف مواقعهم، يقاتلــون الغزاة المغتصبين، لتحرير بلدهم من رجْسهم، وكان ذلك في أوائل العشرينيات.

وبقيت أسماء هؤلاء المناضلين الشرفاء مغمورة في رحم التاريخ منسية، رغم كونهم شخصيات أسطورية، وفرسان حقّ لا يُشقّ لهم غبار.



هــذه (النصوص) و(المذكّرات) كان والدي يرحمه الله قد كتبها بخط يده، مؤرّخًــا للثورة وســير عملياتها، في مختلف الجبهات بحكــم مركزه في الثورة: (ســكرتير المجلــس الوطني، وأمين الســرّ العام، وضابط الارتبــاط، بين قادة وزعماء الثورة.!!).

وكان قد تمّ انتخابه، من قبل زعماء الدائرة الشــمالية، في الاجتماع الذي

عقد في قرية (عتيل)(٣)، في الحادي والعشرين من رجب ١٣٤٤ هجرية.

وتمّ في الاجتماع الثاني، الذي عقد في الحادي عشر من محرّم ١٣٤٥ هجرية، تكليفه بتزويد الصحف السورية والمصرية، بسير العمليات الحربيّة. كما تقرّر أن يكون همزة الوصل، بين رفاق السلاح؛ يجمع الصفوف، ويوحّد الأهداف، ويلّم شتات الأحزاب، ويعمل على تأسيس قيادة مركزية للثورة.

وقد احتاج إعداد هذه المذكرات، وإخراج هذا الكتاب، إلى جهد دؤوب، وعمل متواصل و(إعداد) (وتنظيم) للأوراق المشتتة، (ومغالبة) العقبات، (وتحمّل) المشقات. والمتابعة المستمرّة، والمثابرة دون كلل. كما احتاج إعدادها إلى نشاط الشباب الزاخر بالعطاء.

وقد قام (حفيد) صاحب السيرة المهندس الشاب (رائد برهان الخانجي) بالمهمّة خير قيام، حمل هموم العمل، وقام بجهد كبير بنّاء، في دفع عجلة العمل إلى الأمام. وقد صبر كثيرًا على إلحاحي، ومتابعتي المستمرة، فله التحية والشكر.

وكذلك لم يألُ جهدًا (حفيده) الآخر، نجل مؤلف الكتاب المهندس الشاب (حسام نشأت الخانجي)، في مدّ يد العون وتقديم المساعدة التقنية في كل مراحل العمل مع العناصر الفنية من كوادر شركة "تكنوليد" للأتمتة المتكاملة.

كما احتاج هذا العمل إلى (وقفة) أتأمل وأسترجع فيها كلّ ما كتبه والدي، في مسيرة عمره، وما مضى مَن حَياته، التي كانت زاخرة عامرة، بأشواطها الطويلة في ميادين الحياة. كما احتجت إلى (وقفة) أخرى لملمت فيها شعث الأوراق المتفرّقة، التي كتبها بنور عينيه، وحَشاشَة روحه، فكانت حرارة أنفاسه، تقفز بين سطورها.

وجرى تقويم وتجميع الأوراق لطباعة هذا الكتاب، وهو جهد بشريّ متواضع. والكمال في البشر مستحيل، إذ إن الكمال لله وحده.

ولم تقتصر هذه الصفحات المضيئة، من تاريخ الثورة السورية، على سير المعارك اليومية في مختلف جبهات القتال، وإنما قام يرحمه الله بكتابة (تراجم) الثوّار الذين رافقهم ورافقوه في مسيرة النضال. وهو جهد كبير، وعمل شاق، ومتابعة حثيثة، لسيرة رفاق السلاح.

رَصَد حياة الثوار بمنظاره الخاص، وكتب مخزون ذكرياته عن تجربته

(٣) قرية عتيل: مدينة أثرية بائدة في جبل العرب، على بعد خمسة كيلومترات من مدينة السويداء، تقع في أرض بازلتية مغطاة بحراج السنديان، يجاورها «وادي قنوات»، جرت فيها معركة شرسة بين القوات الفرنسية والثوار. تقع على طريق دمشق – السويداء.

الإنسـانية بحسّــه الثوري، ونقل بكل دقة وأمانة مشاهداته وانفعالاته على القرطاس والتي لا تخلو من دهشــة شـعورية ومشـهدية أخَّـاذة التصوير، ليكشـف أسـرار المعادلة والولادة المتعسـرة للثورة، ثم كيف تمَّ إجهاض هذه الثورة. وأماط اللثام عن تاريـخ كان متداخلاً مع علم الجغرافية، وردّد بعض التعبيرات والمفردات بمصطلح المكان والزمان.

لقد حمل المجاهد الثائر (جميل شاكر الخانجي) هموم أمته وآمالها وآلامها، وكانت شـغله الشـاغل أنّى توجّه وارتحل. فكانت زاده اليومي، الذي يقدّمه لأمته، على مائدة الأصالة العربية، والقيم الوطنية.

كانت كلماته الوطنية العفوية الجريئة، تُلهب النفوس حماسًا ووطنيّة.

زرع في أعماق فئات الشـعب إيمانًا راسخًا، وحبًّا دافقًا لوطنهم. وقد تُرجم هــذا الهدف الوطني، إلى جهـاد نابع من إيمان وعقيــدة وأصالة هذه الأمة، وعدالة قضيتها، وحتمية انتصارها على الدخيل المغتصب.

ونحن عندما نتحدث عن ثوّار بلدنا، ونعترف بفضلهم، وأياديهم البيضاء، ونــؤرّخ للثورة ورجالها، الذيــن آثروا الانزواء في الظــلّ، والعمل بصمت، ضد الغزاة المحتلين، فإنما نتحدث عن جزء من تاريخ الوطن.

كان المجاهد الثائر (جميل شاكر الخانجي) قد أسهم في ثورة حوران الأُولى، التي اندلعت عام ١٩٢٠م فقد أثار النخوة الوطنيّة والحميّة في نفوس الشرفاء، فأقســموا بصوت واحد، أن يكونوا مع الثوّار، وأن يقاتلوا المحتلّ المغتصب، وأن يلتزموا بالعهد.

صعد المنــبر بعد صلاة الجمعــة، وارتجل خطبة وطنيّة حماســيّة ألهبت المشـاعر الوطنية. وضجّ المســجد بالتهليل والتكبير وصاح الجميع: الله أكبر الله أكبر.

ثم رمى أحد شـيوخهم (عقالــه) إلى الأعلى، دلالة على التأييد ونشــوة المشاركة بالثورة، ثم تبعه باقي الناس...

ولمّا خرج الجمع من المسجد، هتفوا للثورة والثوّار، وأطلقوا العيارات الناريّة في الفضاء.

واندلعــت الثورة في حوران، كانت الثورة الســورية، ثــورة عفويّة تفجّرت لمقاومة الاحتلال والغزاة وتحوّلت إلى حركة ثورية، في طول البلاد وعرضها.

كانت الثورة شــاملة للمساحة الجغرافية والبشرية معًا امتدت من الشمال إلى الجنوب.

وكان لا بدّ من حشد المناصرين للثورة، وكان لا بدّ من التخطيط للانضواء تحت قيادة واحدة تنسّق وتشرف على العمليات.

كان والدي بحكم تكوينه وتثقيفه وبيئته، يتمتع بالحسّ الثوريّ، والفكر الثوريّ الوطني.

كان انتماؤه للوطن انتماء صادقًا شفافًا استحوذ على كلّ كيانه.

أصبح الوطن وعاءه، ودمه وشريانه، وأصبحت الثورة روحه وأنفاسه.

فكان من هؤلاء الذين يمثّلون مجموعة من القيم في التضحية والبطولة والفداء. وقد سجلتها دماء الشهداء، في صفحات التاريخ المجيد لهذه الأمة.

وفي تاريخ الأمم هناك أيام لا تنسى تبقى خالدة لا تبلى، ومشرقة لا تغيب.

هناك شعوب تزن الرجالَ بميزان تضحياتها، وتاريخ كفاحها ونضالها، وإخلاصها للوطن.

وحين يرحل الكبارِ، يتركون بصماتهم الخالدة على جدارِ الوطن.

فقد سلّمونا رايةً علينا أن نصونها كما صانوها، وآمالاً وأمانيَّ نعيش لها، ونقضي العمر كلّه نجاهد في سبيلها، ونكافح من أجل تحقيقها.

ونحن بدورنا... سلّمنا كنوزنا الغالية هذه، وأودعناها الثرى. وسلّمنا تألقها إلى بارئها، ليجزيها أحسن الجِزاء، وحملنا راية الجهاد خفاقة مجيدة.

سيبقى هؤلاء الثوّار (رموزًا) من رموز الوطن... مقيمين بيننا... ما بقيت الأرض... التي أحبّوها بكل جوارحهم...



ولأن انتماء والدي كان للوطن وللثورة والثوّار... فقد أظهر (بمذكراته) الأسرار الدفينة لتاريخ الثورة وروحها، وما كان يختلج في نفوس الثوّار.

لم يصمت أبدًا أمام ما كان يجري، فكتب يومياته ومذكّراته، بكلّ صدق وعفوية وتلقائية. وأزاح ستارًا كان مُسدَلاً، وكتب ما لا يتجرّأ أحد على قوله يوم ذاك.

من هنا تأتي أهميّة هذه المذكّرات. فقد رصدت أحداث الثورة يومًا بيوم، واخترقت كلّ (الروادع) التي كانت تحدث وسط المعارك الدائرة مع الفرنسيين إبّان الاحتلال، ومواقف بعض القيادات والأفراد، وأنا أنقلها، بكلّ ما فيها من حلو... ومرّ... وبكلّ تجرّد وحيادية.

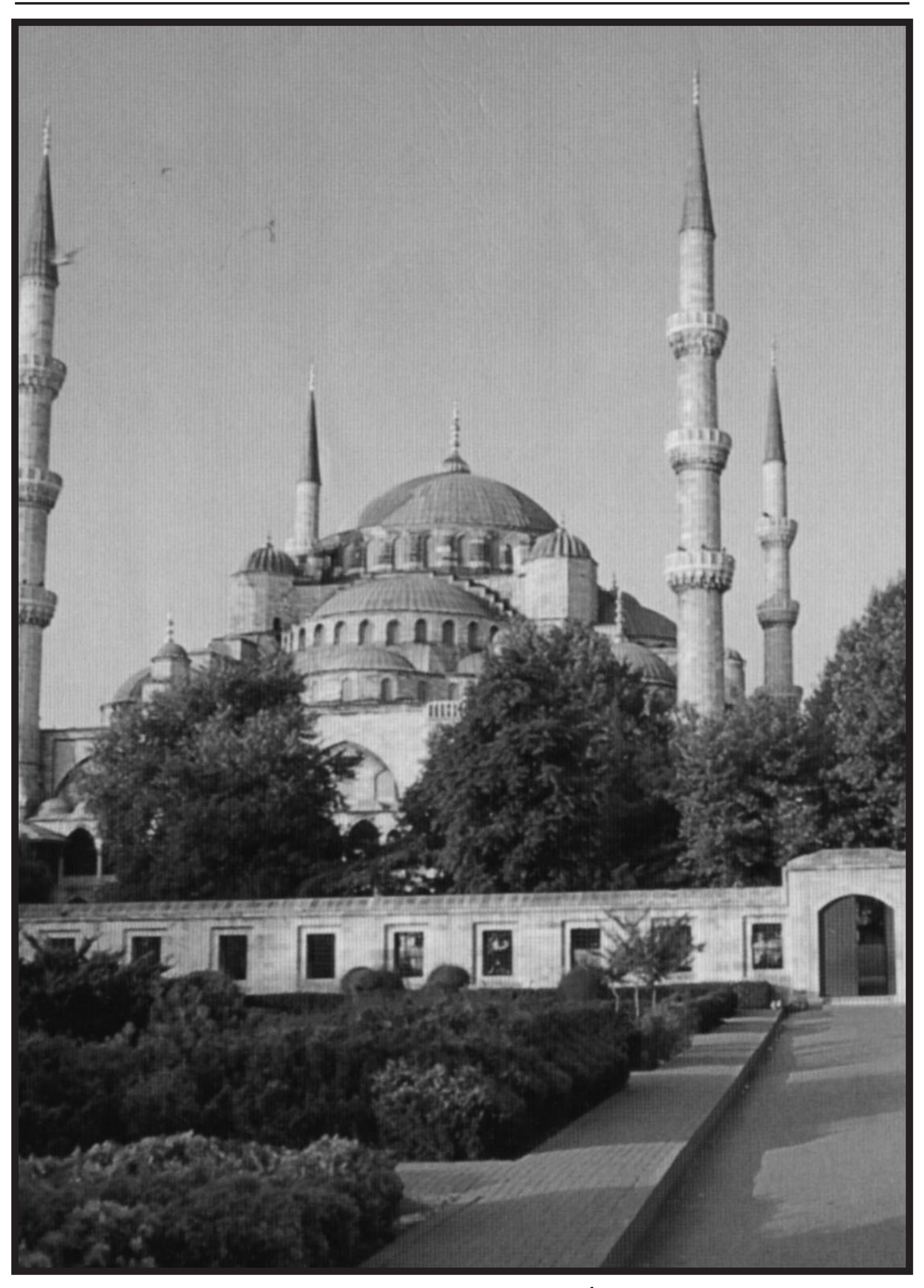
وستشعر أيها القارئ الكريم عندما تسبر أغوار هذه المذكّرات، أنك تستحضر صورة الماضي أمامك، وتعيش الحياة التي عاشها هؤلاء المناضلون الشرفاء، في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الوطن، وما أحاط بهم من ظروف

قاسية، ومشاكل متعددة. ولو أغمض الإنسان عينيه، بعد أن يقرأ فصولاً من هذه المذكّرات، فلربما تراءت له خيالات الرجال الأحرار والثوّار الشرفاء، وهم يحملون هموم الوطن في قلوبهم وعلى أكتافهم، يوجّههم إحساسهم الوطني، بالانتماء للوطن، تحرسهم وتكلؤهم عناية الله.

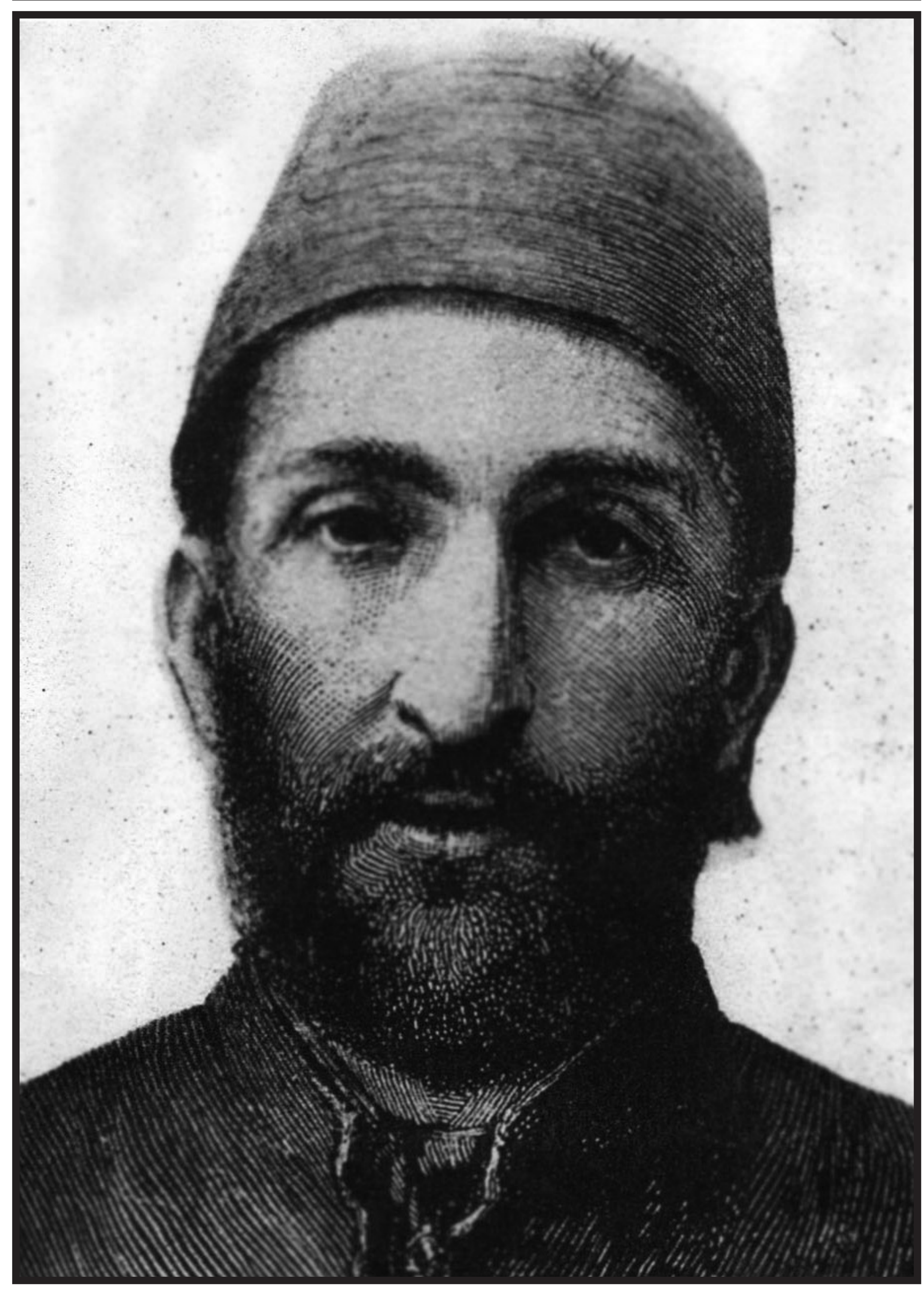
❖❖❖

ودارت رحى المعارك. في كل أرجاء الوطن. وألهب الثوّار الأرض تحت أقدام الغزاة، في تلك الثورة المسلحة التي غذّاها الشهداء بدمائهم.
وسقط الشهداء... من ثوارنا الأبطال..
كلّ (استشهاد) في سبيل الله، دفاعًا عن الوطن (خلود).!!
وكلّ (إصابة) في ساحات القتال والجهاد (وسام شرف).!!
وكل (مجاهد) بطل مقدام...
وأتساءل اليوم:
أترانا نملك "الشجاعة" التي كان آباؤنا وأجدادنا يملكونها؟
أترانا نملك "الإرادة" التي اختزنوها؟
أترانا نختزن "الوطنية" التي استحوذت على كلّ ذرّة من كيانهم؟!
أترانا نستفيد من دروس الماضي؟! أم أننا سنجّتر أخطاء الماضي من جديد؟!
سلام عليكم يا ثوّار بلدي!!!! جنّات عدن مفتّحة لكم الأبواب.
سلام على كل ذرة في الوديان الساحرة والمنحدرات الخضر والسهول اليانعة والجبال العالية من تراب الوطن العزيز.
جثت الجدران إجلالاً لكم...
وأحنت الجبال الشاهقة هاماتها إكبارًا لكم.!
ومالت الأغصان حانية أعوادها حابسة أنفاسها.!!
وطأطأت التلال العالية رؤوسها لكم.!!
وتقوقعت الرياح في شفتي الأودية، عندما عبرت خطواتكم، جسور الأزمنة.!
لتخضّبوا أزهار الوطن وياسمينه بدمائكم...
المجد والخلود لكم يا شهداء أمتنا الأبرار، والعزة والنصر لأمتنا بإذن الله.
(سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالدينَ) [الزمر: ٧٣]
(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين) [يونس: ١٠]

نشأت جميل شاكر الخانجي



مسجد أيا صوفيا (اسطنبول - تركيا)



السلطان عبد الحميد الثاني
نفاه الطورانيون الأتراك إلى مدينة سالونيك ١٩٠٨م

الباب الثاني

العرب والأتراك

كانت الحركات الثورية، قد نشطت ضد الغزاة المحتلين منذ عام ١٩١٩م، وحتى إعلان الثورة عام ١٩٢٥م وكانت سورية، كبقية البلاد العربية، جزءًا لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية.

كما كانت المؤامرات تحاك ضد هذه الإمبراطورية، للإجهاز عليها لأن سلطانها (عبد الحميد الثاني) رفض - رغم كلّ الإغراءات المالية وغيرها- السماح لليهود باستملاك شبر واحد في فلسطين.

وحدث الانقلاب الذي قاده (الطورانيون الأتراك) عام ١٩٠٨م وقاده طلعت باشا، ممثّلاً في (حزب تركيا الفتاة).

ثم كانت حركة العصيان التي قادها جنرالات الجيش في تركية ١٩٠٩/٣/٣١م والتي أدّت إلى عزل السلطان (عبد الحميد الثاني) ونفيه إلى (تسالونيك)(٤).

وهكذا استولى (الطورانيون) - المتعصبون لقوميتهم التركيّة - على مقاليد الحكم في تركيا، وأعلنوا الدستور الجديد العلمانيّ، بعد أن قاموا بإلغاء الخلافة الإسلامية، وفرض اللغة التركيّة على الشعوب التي تحت حكمهم بالقوّة!!!

وبدأ (الطورانيون) في تركيا، يعزفون على أنغام (الثقافة القومية) ذات المحتوى (العلمانيّ)، ويبعثون (النعرة العرقيّة) من مرقدها ممّا أدّى إلى ردّ فعل تلقائي من العرب أصحاب الأمجاد والتاريخ والدين.

وعاش العرب تلك الأيام العصيبة من تاريخ الوطن.

لم يجد أحرار العرب بدًا من مجابَهة هؤلاء المتعصّبين لقوميتهم التركيّة، بقطع الطريق أمامهم، وتكوين (جبهة مقاومة) عربيّة، لوقف هذا التوجّه الخطير.

فقد كان إلغاء الخلافة الإسلاميّة، ضربةً أصابت العرب والمسلمين في الصميم. فثارت الشعوب عليهم، وعلى سياسة (التتريك) التي اتّبعها المتعصبون (الطورانيون)، الذين ساقوا تركيا إلى الدمار.

---

(٤) تسالونيك: عاصمة مقدونيا اليونانية، تقع على خليج «سالونيك» على جزيرة في بحر إيجة. استولى عليها الأتراك عام ١٤٣١م، ثم عادت إلى اليونان عام ١٩١٣م. وهي اليوم ثاني أكبر مدن اليونان.

وقاسـت بلادنا من ظلم (الطورانيين)، الذين أرهقوا شـعوب العالم العربي بالضرائب الفادحة، ومصادرة الأراضي، وبيعها في المزاد العلني، لاستيفاء هذه الضرائب، ممّا أدّى إلى وقوعها في أيدي اليهود الوافدين إلى فلسطين.

وقـد أدّت ريـاح (الطورانيـين) العاتيـة إلى اضطهاد الأحرار الشـرفاء، وتشـريدهم، وتعليقهم على أعواد المشـانق، ونهب موارد الوطن، وخنق الروح القومية، ووأد روح الحريّة في البلاد.

وهكذا... أسـهم (الطورانيون)، بطمس مجد هذه الأمة، العريقة بتاريخها وأصولها، وإذلال شـعوبها، والعبث بالتقاليد العربية، التي تعتّز بها شـعوبنا، وإخضاع تلك الشـعوب، والهيمنة عليها، وصهرها في بوتقة الثقافة التركية. أضف إلى ذلك، نظرة الاسـتعلاء، التي صاحبت هـذا التوجّه، لدى الحركة القوميّة (الطورانية).

وقـد أثارت هذه (التحوّلات) التي تمّت في تركيا، حفيظة العرب، وما رافق هذه الحملة، من الاسـتهانة بالعـرب، الذين اختارهـم اللّه، بلغتهم العربيّة – دون سائر شعوب الأرض – لينيط بهم حمل رسالة الإسلام والسلام.

ولـو عكس الأتراك الصـورة، وارتقوا هم إلى اللغة العربيـة - لغة القرآن الكريم - وتعلّموها وتكلموا بها. وتعاملوا معها. لسادوا العالم كلّه.

ولكنهم خسروا كل شيء...: خسـروا أنفسهم... وخسروا العرب... وخسروا العالم.!!

وكان لا بـدّ من توجّه، لإقامة خلافة إسـلامية بديلـة، تقوم على أنقاض الخلافة العثمانية الملغاة.

وقد اعتبر العرب - والسـوريون على وجه الخصـوص - أَنَّ إلغاء الخلافة الإسـلامية في تركيا، ضربة قاصمة وُجِّهت للنسـيج الاجتماعي والسياسـي والإسلامي، للعرب ولبلادهم.

وهكـذا كان الاتحاديون الأتراك، وباءً وبلاءً ليس علـى الدولة العثمانية فحسـب، بل على العالم العربي والإسلامي كلّه وكانوا سببًا في اندثار الدولة العثمانية، والخلافة الإسلامية.

وقدّمت سـورية قوافل الشهداء ومنهم الذين أعدمهم جمال باشا السفّاح، في السادس من أيار من عام ١٩١٦م.

كان الغليـان في الأمـة العربيّة، قد وصـل إلى أوج مراحله، ضدّ السـلطة الطورانية الحاكمة..

وكانـت رؤية الطليعة العربيّة، لمسـتقبل أمتهم، هو التحـرّر من الارتباط، بالكيان التركي (القومي الطوراني) وإنشـاء كيان (قوميّ عربيّ)، واسترداد

الخلافة الإسلاميّة، وإقامتها مجدّدًا بخليفة عربي.

وكان أمير مكة الشريف حسين بن عليّ بما له من نسب عربي قرشيّ هاشمي، من الذين يُشار إليهم بالبنان في ذلك الوقت ممّا يؤهله ليتبوأ مركز الخلافة والجلوس على قمّة السلطة، في دولة عربيّة ذات بعد إسلامي، بعد انهيار الأتراك وخلافتهم. ليقوم هذا الكيان العربي المستقل الجديد، على أنقاض الإمبراطورية العثمانية.

كان هذا التصوّر هو أمل الطليعة العربية على مختلف مستوياتها فاتجهت أنظار العرب كلّها إليه. لكن لم يكن من السهل إقناع الغربيّين بهذا (التوجّه) الجديد في ظلّ المعادلات والتوازنات الدولية!!

في الوقت نفسه! كانت الدولتان إنكلترا وفرنسا، تبحثان عن حليف في المنطقة، لتواجه به التحالف التركي الألماني، والذي عقد في ١٩١٤/٨/٢م لإجراء عملية التوازن، وإغراء أمير مكة للتنسيق معهما، للاتفاق على صورة الدولة العربية المقبلة.

وبهذا (تقاطعت) مصالح أطراف المعادلة. وجرت الاتصالات بين هذه الأطراف بين الشريف حسين بن علي والإنجليز، في أواخر عام ١٩١٥ حيث وعدوه إن هو ثار على الأتراك ووقف إلى جانبهم، أن يعترفوا باستقلال البلاد العربيّة، ونقل الخلافة الإسلامية للعرب.

كان شريف مكة الحسين بن علي، يفاوض الإنجليز بقلب طيّب صادق، يعبّر عن بيئته العربية البدوّية الأصيلة، التي تتمتع بالصدق والنَّزاهة والعراقة، دون أن تحدّثه نفسه، بألاعيب السياسة وخفاياها.

كان الشريف يرمي إلى فصل العرب عن الأتراك، وتأليف حكومة عربيّة، تجمع شتات الجزيرة العربية، والعالم العربي، ويلتفّ حولها كل العرب، ممّا يجعلهم يتحدون تحت راية واحدة، وعلم واحد، لإعادة مجد العرب السالف.

لم يترك شريف مكة أثناء مفاوضاته مع الإنجليز، بندًا من البنود إلاّ تطرّق إليه، محاولاً أن يؤمن حقوق العرب كاملة.

كان مطلب كلّ أحرار العرب، أن تتحمّل الأمة العربية مسؤولياتها، وتعيد الخلافة الإسلامية، وتسعى لاستعادة حريتها واستقلالها.

ولولا سوء الإدارة العثمانيّة، وتعصّب الحكّام الأتراك ضدّ العرب، لقبل العرب إنصافهم، في إطار الدولة التركية، والمحافظة على الخلافة الإسلامية.

وأطلق شريف مكة وأميرها - (الحسين بن عليّ) - الرصاصة الأولى، معلنًا الثورة العربية، ضدّ الأتراك (الطورانيين)، وحكومتهم الظالمة. في التاسع من

شهر شعبان ١٣٣٤ هجرية الموافق العاشر من حزيران ١٩١٦ ميلادية!!

واستولت القوات العربيّة على مكة وجدّة والطائف، وبويع أمير مكة (الشريف حسين بن عليّ) في مسجد (الخيف) بمنى ملكًا على العرب في يوم الاثنين الأوّل من محرّم عام ١٣٣٥ هجري الموافق ١٩١٧ ميلادية، بحضور وفود من جميع الأقطار العربية.

وأمر السلطان العثماني محمد رشاد، قائده (فخري باشا) بأن يترك المدينة المنوّرة، وينسحب منها مع جنوده.

وقد اجتاحت قوات الأمير فيصل (النجل الثالث للشريف حسين) الساحل الحجازي على خليج العقبة، واحتلّ معان، وجعل قلعة الأزرق مقرًا له.

كما احتلّ نجله الثاني الأمير عبد اللّه مدينة الطائف، ثم التقى مع أخيه فيصل في مدينة العقبة.

أما نجله الرابع زيد فقد احتلّ مدينة الطفيلة. واحتلّت الحاميات الإنجليزية المساندة مدينة عمّان والسلط. وبقي نجله الأول (عليّ) معه في الحجاز.

واجتمع الأمير فيصل في مقرّ إقامته في قلعة الأزرق بالكولونيل (لورنس) و(نوري الشعلان) شيخ مشايخ (الرولة) و(عودة أبو تايه) شيخ مشايخ (الحويطات)، وعاهدوه على تقديم العون والمساندة.

وكانت البحريّة البريطانية، تقصف الثكنات التركيّة بمدافعها من البحر. كما قاد (فيصل بن الحسين) جيشًا من الحجاز واسترجع العقبة وفلسطين من الأتراك. وحين دخل سورية، نودي به ملكًا عليها. وهكذا كانت رؤية شريف مكّة، أن ينفصل عن الدولة العثمانيّة، ويتّفق مع خصومها، عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى.

وقاتل جيشه، بقايا الحاميات العثمانية، في جدّة ومكّة والطائف، ثم أخذ يحاول حصار المدينة المنوّرة.

إلاّ أن ملك نجد، عبد العزيز آل سعود، قدم بفرسانه ورجاله إلى مكة، وشرّد الشريف وجيشه، واستولى على الحجاز بأكمله، وأضافه إلى مملكته.

وأقام الشريف حسين مدة في باخرة بخليج العقبة، يحاول استرداد مُلكه، لكن بريطانيا التي كان قد ساعدها خذلته.

كان كلّ أحرار العرب في الواقع، يعملون على تجديد الخلافة الإسلاميّة، باعتبار العرب هم ورثتها.

فقد وحّد الإسلام، رعايا الدولة العثمانية، على امتداد مساحتها، وعلى اختلاف جنسياتهم وأعراقهم، وتباعد أوطانهم.

صهرهم الإسلام في بوتقة واحدة. وجمعتهم عقيدة واحدة، نظّمت شؤون حياتهم. ودينًا واحدًا وحّد بينهم، وانتظموا كلّهم تحت لوائه.

وقد كان العرب يعتبرون أن انتصار الأتراك، في مشارق الأرض ومغاربها، هو انتصار للعرب والمسلمين.

ولم يكن العرب يفكرون في يوم من الأيام، في الثورة ضدّ الأتراك العثمانيين. فقد كان الضباط العرب، يحاربون جنبًا إلى جنب، مع الأتراك في حربهم على كل الجبهات.

وقرّر أحرار سورية الثورة ضدّ التوجّه (الطوراني) التركي، ليكونوا في طليعة الثائرين، مع شريف مكة وأميرها الحسين بن عليّ، ضد العثمانيين الأتراك.

لكنّ الإنجليز (الثعالب) الذين كانوا يفاوضون أمير مكة، الشريف الحسين بن علي، لإقامة الدولة العربية الكبرى، وتجديد الخلافة الإسلامية في العرب، وتحديد شكل ومعالم الدولة العربيّة المقبلة، كانوا يخطّطون بكلّ خسّة ونذالة، ويتآمرون على تقسيم البلاد العربية فيما بينهم وبين فرنسا في اتفاقية (سايكس – بيكو)!!! «مارك سايكس»(٥) البريطاني، «وجورج بيكو»(٦) الفرنسي، ولم يعلم أحد بما بيّته هؤلاء المخادعون في اجتماعاتهم واتفاقياتهم لولا قيام الثورة الاشتراكية في روسيا. وقد نشر الروس نصوص الاتفاقية مع بداية ثورتهم عام ١٩١٧م.

وكان من نصوص اتفاقية (سايكس - بيكو) التي عقدت في الرابع من آذار من عام ١٩١٦م، إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، عُرف فيما بعد باسم (وعد بلفور)، في الثاني من تشرين الثاني من عام ١٩١٧م وإغراق فلسطين بالمهاجرين اليهود.

ووضع الحلفاء سورية ولبنان، تحت الوصاية الفرنسية، بحجة «تطويرهما»، لتحمّل مسؤولية الاستقلال.

وبنفس أسلوب الصهاينة الأوغاد، لجأت إنجلترا إلى أسلوب المكر والمراوغة والخداع، مستغلّة طيبة القلب التي يتّصف بها الحسين بن عليّ، وصدق سريرة

---

(٥) السير مارك سايكس: نائب في مجلس العموم البريطاني، والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى في مصر. تفاوض مع المندوب السامي لفرنسا (جورج بيكو)، عام ١٩١٦م في مستقبل البلاد العربية، وعقد معه المعاهدة المعروفة بمعاهدة (سايكس – بيكو) بين بريطانيا وفرنسا، لتقسيم البلاد العربية بينهما.

(٦) جورج بيكو: كان جورج بيكو مندوبًا لفرنسا، ومستشارًا للقيادة العامة الفرنسية، عيّن في التاسع من نيسان عام ١٩١٨م مفوضًا ساميًا لفرنسا في الشرق، وزاول عمله حتى الثامن من تشرين الأول عام ١٩١٨م (ستة أشهر) حيث عيّن مكانه الجنرال غورو.

يتّصف بها أمير مكة، ووفاءً بالعهد يتّصف بها كلّ العرب، وكلّ من نشأ في أُمة تزرع في عقيدة أبنائها، حبّ الوفاء بالعهود.

كان سلاح الغدر والمكر والخديعة، أمضى من المدفع والدبابة والطائرة. استُبدل بالوعود البريطانيّة، تخطيطٌ رهيب، كان بين الإنجليزي (سايكس) - (وبيكو) الفرنسي لتنفيذ (وعد بلفور).

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى، وعقد الصلح بين المتحاربين في (مؤتمر لوزان)، حتى تخلّى الأتراك (الطورانيون) عن جميع البلاد العربية.

وامتلك (المنتصرون) جميع أملاك السلطنة العثمانية.

بعد مبايعة الحسين بن علي، توجّه نجله الأمير فيصل إلى دمشق، حيث وصل إلى (تل شهاب)، ثم توجّه مع ابن عمه الشريف (ناصر بن علي) إلى دمشق، عن طريق (الكسوة).

وانسحب العثمانيون الأتراك، آخر انسحاب لهم من دمشق، يوم الأحد التاسع والعشرين من أيلول، من عام ١٩١٨م.

ورفض أمير اللواء التركي (جمال باشا الصغير المرسيني)(٧) - قائد الفيلق الثامن العثماني - تدمير مدينة دمشق، قبل انسحابه منها.

وأقام له (شكري باشا الأيوبي)، حفلة وداع في (حديقة الأُمة) في المرجة تكريمًا له، وهي لمسة وفاء لأنه رفض تدمير دمشق قبل انسحابه منها.

وبعد ثلاثة أيام من انسحاب الأتراك، دخل الأمير فيصل بن الحسين مدينة دمشق، في يوم الخميس الثالث من شهر تشرين الأول عام ١٩١٨م. استقبله أهل الشام استقبال الفاتحين وسلّم مقاليد الحكم لقائده العسكري (رضا باشا الركابي)، ونزل في فندق (فيكتوريا)، ورفع العلم العربي لأول مرّة على دار الحكومة ثم نودي به ملكًا على سورية.

ثم أقام ضيفًا عدّة أيام في دار (محمود البارودي) في القنوات، ثم اتخذ من قصر (نوري باشا) في الصالحيّة مقرًّا له.

ودخل مع فيصل إلى سورية الإنجليز دخل معه (لورنس)، والجنرال (اللّنبي) قائد قوات الحلفاء، الذي وزّع (بيانًا)، قال فيه ما يقوله كل مستعمر دخيل في كلّ زمان وكلّ مكان:

«إنَّ السبب الذي حاربت إنجلترا وفرنسا من أجله، هو تحرير الشعوب،

(٧) جمال باشا (الصغير) المرسيني تمييزًا له عن أحمد جمال باشا السفاح. تولى قيادة القوات التركية في سورية خلفًا للسفّاح، وكان حسن السيرة، وقف موقفًا نبيلاً، حين رفض أمر تدمير دمشق قبل الجلاء عنها، مما شجع القائد النمساوي على العدول عن تدميرها. كما شجّع العرب على إعلان الاستقلال، ليقطعوا الطريق على الحلفاء. أقام له أهل دمشق حفل تكريم قبل رحيله، وقيل إن جذوره عربيّة.. والعرب ينسبون كلّ من «يُحبّهم» إليهم..

التي رزحت عدّة قرون، تحت نير ظلم الأتراك تحريرًا تامًّا...(!!!)

وإقامة حكومة وطنيّة، تستردّ سلطتها من الشعب...(!!!)

إن الحكومة الإنجليزية والفرنسية، لا تقصدان الاستئثار بالحكم. وإنما مساعدة أهل البلاد أنفسهم...(!!!)

والمساواة بين الجميع، وإنعاش اقتصاد البلاد المتوقّف، وإحياء المواهب وتشجيعها ونشر العلم وإقناع السوريين بأن الحلفاء يريدون لهم الخير..!!!»

لقد جرَّب (المستعمرون) الغزاة كلّ الوجوه المستعارة، والأقنعة المزيّفة، في كلّ البلاد التي ابتليت بهم في فلسطين، ولبنان، وسورية. وكذلك هم يفعلون اليوم بشعب فلسطين والعراق وشعب لبنان وأفغانستان وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

يعبثون بكرامة الشعوب، ويدمّرون الأوطان ويحتلونَها، ثم يفرضون على شعوبها ظلّهم الكئيب؟!!

لقد خُدع الشريف الحسين بن عليّ بوعود الإنجليز، الذين كانوا يتلوّنون بسياستهم تلوّن الحرباء حسب منافعهم. ولمّا قضت إنجلترا من الشريف حسين مآربها، نبذته نبذ النواة، وأخذت تتلاعب وتغالط في الألفاظ، وتساوم الشريف حسين على البلاد العربية، التي وعدته بأن يكون ملكًا عليها. ثم نفته إلى قبرص. ومات قهرًا هناك.

وفي السابع عشر من حزيران، من عام ١٩١٩م اجتمع أعضاء المؤتمر السوري في النادي العربي، ورأس الاجتماع (محمد فوزي العظم) والد الراحل خالد العظم، وافتتح المؤتمر الملك فيصل، وأقرّ استقلال سورية، ورفض الانتداب!!! لكنَّ فرنسا ألقت بقرارات المؤتمر السوري، في سلّة المهملات!!!

وفي تشرين الثاني من العام نفسه ١٩١٩م بدأ الإنجليز بالجلاء عن سورية، بالاتفاق مع الفرنسيين. وعُيّن (جورج بيكو) الفرنسي، مفوّضًا ساميًّا على سورية ولبنان، ثم استبدل بالجنرال (غورو).

وتمت مبايعة (فيصل بن الحسين) وأعلن استقلال سورية في الثامن من آذار من عام ١٩٢٠م. ثم عُقد مؤتمر (سان ريمو) في النصف الأخير من نيسان ١٩٢٠م الذي كرّس الانتداب الفرنسي على سورية!! ورفض أعضاء المؤتمر السوري، قرارات مؤتمر (سان ريمو).

وهكذا لمّا تمّ تحرير سورية، من قبل جيش الثورة العربية الكبرى، ظهرت نوايا الحلفاء، في الالتفاف على اتفاقيتهم مع الشريف حسين بن عليّ يرحمه اللّه.

وتألفت أول حكومة برئاسة (رضا باشا الركابي)، ثم وزارة (هاشم الأتاسي).

إلاّ أنَّ فرنسا أرسلت إنذارًا إلى الملك فيصل، في الرابع عشر من شهر تموز عام ١٩٢٠م بواسطة الجنرال (غورو) يطلب فيه: الاعتراف بالانتداب الفرنسي، وحلّ الجيش، وإلغاء التجنيد الإجباري، وتسليم الثوار الوطنيين إلى فرنسا. واستمهلته أربعًا وعشرين ساعة. وحمل الكولونيل (نيجر) إنذار (غورو) إلى الملك فيصل.

وعقد المؤتمر السوري اجتماعًا، حضره الملك فيصل، رافضًا إنذار فرنسا، وحمّل الحكومة المسؤولية إن هي قبلت به.

وعلى أثرها استقالت الوزارة وحلَّ المؤتمرُ السوري نفسَه. لكنَّ الملك فيصل رفض استقالة الوزارة. واجتمع أعضاء الوزارة والملك وقرروا بالإجماع قبول الإنذار، ووقّع وزير الحربية (يوسف العظمة) مكرهًا.

إلاّ أن المتحمسين من الجيش والأهالي، هاجوا وماجوا، بعد أن وقّع الملك قرارًا بتسريح الجيش. وأخذوا يرمون قادة الجيش بالبيض الفاسد والبندورة.

أما البرقية التي أرسلها الملك فيصل إلى الجنرال (غورو) بقبول (شروطه)، فلم تصل لانقطاع الأسلاك البرقية. لذلك أمر الجنرال (غورو) جيشه بالتقدم نحو دمشق وادّعى (غورو) أن برقية الملك وصلت بعد فوات الأوان وأن الحملة بدأت ولن تتراجع.

أمام هذا الأمر الواقع، كان لا بد من الدفاع عن العاصمة، ومقاومة الغزاة. وذهب الملك فيصل إلى الجامع الأموي، وخطب في الناس يحثهم على الجهاد والدفاع عن الوطن. بالمُهج والأرواح. وقال: إنني ذاهب أمامكم للدفاع عن الوطن.

وبلغ الحماس أوجه... بالجيش وبالمواطنين... وطافوا في الشوارع وهم يُكبّرون ويهتفون..!!

وقرّر وزير الحربيّة يوسف العظمة المسير إلى ميسلون في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر تموز عام ١٩٢٠م لإدارة المعركة، وليوقف تقدم الجيش الفرنسي، بما تجمّع لديه من ثوّار، لكن قذيفة غادرة من إحدى الدبابات الفرنسية أردته شهيدًا. وخرّ مضرّجًا بدمائه في ١٩٢٠/٧/٢٤م وتراجعت فلول الجيش إلى دمشق، وحدثت المأساة المؤلمة.

خاض السوريون مع ما تبقى من جيشهم الفتّي - بعد الأمر بتسريحه - معركة غير متكافئة مع فرنسا. ومعهم بعض الثوار المتطوعين. وحاولت القيادة السورية الوليدة، منع (غورو) وقواته الزاحفة من لبنان إلى دمشق من التقدم.

وكان المفاوض السوري - وزير المعارف (ساطع الحصري) - قد لبّى كلّ طلبات

الجنرال (غورو) رغم إجحافها. إلاّ أن (غورو) كان قد حزم أمره بالدخول إلى دمشق، وتنفيذ ما خططت له فرنسا.

ودخلت فرنسا على جثث أبناء الطليعة من دمشق، الذين ضرّجت دماؤهم أرض ميسلون، يتقدمهم قائدهم يوسف العظمة.

سكبوا دماءهم غزيرة في ميسلون، وروّوا تراب وطنهم، دفاعًا عن عرضهم وشرفهم ودولتهم الفتيّة.

وفي الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م دخل الجيش الفرنسي دمشق، بقيادة الجنرال (غوابيه) دون قتال ولا مقاومة.

وانسحب فيصل ووزراؤه إلى قرية (الكسوة) بعد أن قلّد مستشاره (علاء الدين الدروبي) رئاسة الوزراء.

وانتهى حكم الملك فيصل...!

وتمّ تسريح الجيش، ونزع سلاحه، وفرضت غرامة مالية قدرها (١٠٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين فرنك على مدينة دمشق.

وحكم على دُعاة الاستقلال والثوار بالإعدام، فهرب أكثرهم، وتواروا عن الأنظار، وتشتتوا في كل مكان...!

ورغم قبول فيصل وحكومته بالاحتلال، والانتداب الفرنسي. إلاّ أنَّ الفرنسيين كانوا مصرّين على رفض وجود فيصل.

فأعدّوا له قطارًا خاصًا لينقله إلى خارج سورية. وأبلغوه بواسطة الكولونيل (تولا) - ضابط الارتباط الفرنسي بدمشق - أن يغادر بلاد الشام مع عائلته وحاشيته. فذهب الملك إلى حوران، وأقام في درعا يومًا، كان يحثّ الناس على مقاومة الفرنسيين الغاصبين.

وطلبت فرنسا بواسطة رئيس البعثة الفرنسية بدمشق - الكولونيل (تولا) - من رئيس الوزراء آنذاك (علاء الدين الدروبي) أن يطلب من الملك فيصل الرحيل. وإلاّ فإنَّ الطائرات الفرنسية، سوف تقصفه بقنابلها.

عندها اضطر الملك فيصل إلى الرحيل بالقطار متوجهًا إلى حيفا.

وهكذا طغى النفوذ الفرنسي على عاصمة فيصل، وشنّ المحتلّ الغاصب هجومه على رجالات سورية، بالسجن والنفي والإعدام.

وازداد أهل حوران هياجًا، واتهموا الحكومة بموالاة الفرنسيين والخضوع التام لهم.

وقرّر رئيس الوزراء (علاء الدين الدروبي) الذهاب إلى حوران ومعه الوزيران: (عبد الرحمن اليوسف) و(عطا الأيوبي) لمفاوضة أهل حوران وتهدئتهم. وعند وصول القطار الذي أقلّهم إلى (خربة الغزالة)، أوقف أهل

القريـــة القطار، وأنزلوا منه الــوزراءِ، وقتلوا (علاء الديــن الدروبي) رئيس الوزراءِ، و(عبد الرحمن اليوســف). وأَنقذ (عطــا الأيوبي) من موت محقّق، رجلٌ من أهل حوران، كان يعرفه الوزير.

ثــم تألفت وزارة جديدة، برئاســة (جميل الألشــي). كمــا انتخب (حقّي العظم) رئيسًا لمجلس الشورى في سورية.



كانــت هذه هي حال البــلاد : فوضى عارمــة ومقاومة في كل مــكان. احتلّ الفرنســيون البلاد واســتعمروها باسم الانتداب، ونســفوا كل وعودهم التي قطعوها بمباحثات (حســين – مكماهون)، والــتي قضت بإقامة دولة عربيّة، تحت إمارة الحسين بن علي.

وطردت فرنسا الحكومةَ الوطنية، وحلّت الجيش، واعتقلت الأحرار، وعبثت بكرامة الوطن وشعبه.

ثــم صدر في الرابع والعشــرين من تموز عام ١٩٢٢م (صــكّ الانتداب) عن عصبة الأمم، على سورية ولبنان، مكرّسًا الاحتلالَ والانتداب، دون أن يستطلع رأي الأمة المنتدَب عليها.

وهكذا... احتلّ المستعمرون البلاد، وقسّموها إلى دويلات، واستنْزفوا أموال الشعب، وأهانوا زعماء البلاد، وزجّوا أحرارهم في السجون، وفرضوا الغرامات والضرائب الباهظة، وداسوا كرامة الشعب، وأماتوا تجارته.



وكان لا بدّ من تنظيم ثوري، يجمع شتات المجاهدين. فتداعت القوى الثورية، عام ١٩٢٣م للقيام بالثورة المسلحة، ضد الفرنسيين في جميع أنحاء البلاد.

كانت الاتصالات تجري بين دمشق، بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، القائد الروحي للثورة، وبين قائد جبل العرب (سلطان باشا الأطرش).

وتمّت الترتيبات بين زعماء الثوّار على تحديد اليوم الذي تبدأ فيه الثورة، يوم المولد النبوي، تيمّنًا بمولد صاحب الرســالة، وهو الثاني عشــر من شهر ربيع الأول عام ١٩٢٥م.

كان هدف الثوّار تنظيم أمور الحـركات الجهادية وترتيبها، وجمع الأنصار والمحاربـين والمتطوّعين، لمهاجمـة المحتلّين، وتجريد جنودهم من أسـلحتهم، والاستيلاء عليها، واسـتخدامها ضدّهم، وتسليح الثوّار والمتطوعين، وإطلاق سراح السـجناء والمعتقلين، ثم تحرير أرض الوطن، وطرد الغزاة المستعمرين ووقـف أعمال السـلب والنهب وفرض القانون وتشـكيل حكومـة وطنيّة من الشعب.

وكان قادة الثورة الروحيّون، هم علماء الدين في سـورية ومشايخها، الذين ألهبوا الشعور الديني، ضد المستعمرين.

وهكذا تكوّنت عصبة مؤمنة عشـقت الوطن، والجهاد في سبيل الله. وبرزت بطولات رائعة، سـطّرها الثوّار في صفحات الوطـن، كان أروعها وأغناها، تلك التي كانت مضمّخة بالبذل والتضحية والفداء.

منحوا البطولـة أسمى مراتبها، وأعطوها أقـدس معانيها. حتى إن طلاب المدارس، أجّجوا الشعور الوطني، وكانوا عَصَب المظاهرات وطليعتها، وانضمّت إليهم فئات الشـعب الأخرى. وكانوا يرشـقون الثكنات العسكرية بالحجارة، تعبيرًا عن رفضهم الاحتلال.



وأصرّ المجتمعون على رفض المفاوضات مع الفرنسيين، بأي شكل من أشكالها، والثبات على الجهاد الوطني المقدّس ومقاومة المحتل الغازي حتى يخرج نهائيًا من البلاد.

والمقاومة حقّ مشروع في جمع الأديان والشرائع والقوانين تكتسبه الشعوب المحتلـة حتى لو وَصَفَها مَنْ وَصَفَها «بالإرهاب». ودورنا ترسـيخ ثقافة المقاومة في وعي الشـعوب العربية والإسـلامية بوصفها وسيلة للنصر وتحرير الوطن من المحتل المغتصب.

فالشعوب المقاومة الرافضة للاحتلال كانت دومًا وستبقى أبدًا حفّارة لقبور إمبراطوريـات الظلم والاسـتعمار. ومهمـا عظمت قوة تلك الـدول وترامت أطرافها ومارست قهرها وظلمها وغطرستها، وفاخرت ببغيها وجرائمها فلا بدّ أنها آيلة للانهيار والسقوط، ذلك لأن غطرسة القوة لم تكن في يوم من الأيام تضمن ديمومة التفوق والبغي وحججه العدائية العدوانية الواهية..!

وقد أَلّف الثوّار هيئة تنفيذية للثورة، مع الكوادر والهيئات الإدارية الملحقة بها، لإيقاد نار الثورة، في وجه الجيوش الفرنسية الغازية.

تمهيد

لا بدّ لي، قبل أن أبدأ بكتابة هذه المذكّرات عن الثورة السورية ورجالاتها، أن أشــرح الحالة التي كانت عليها البلاد العربية، أثناء حكم الأتراك، وقبل الاحتلال الفرنسي لسورية، ثم كيف استطاعت فرنسا، اغتصاب بلاد الشام؟ والتساؤلات تطرح نفسها.

هــل كان العــرب علــى وعي، أثنــاء حكم الأتــراك؟ منذ القرن الســادس عشــر، وخلال أربعمائة ســنة من حكمهم؟ أم تخلّفوا عــن الحسّ بالعواطف الوطنيّة؟

ثم كيف تطوّر هذا الوعي عند العرب؟

وكيــف نما هذا الشــعور الوطــني؟ من حسّ ديــنّي، مأخوذ مــن العقيدة الدينيّــة، ومن الهمس الخافت، إلى المناداة بالقوميّة، والمطالبة بالاســتقلال، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة؟

ثم هــل كان التفكير العربي إقليمــي النظرة، أم أن النظــرة كانت قوميّة وطنيّة شاملة؟

ولماذا خاب أمل العرب بالأتراك؟

وكيف بلغ الشــعور الوطــني بالنخبة المثقفة إلى الثــورة، والمطالبة بكيان عربيّ مستقلّ، كتعبير للأمة عن ذاتها وشخصيتها؟

وما هي دوافعه وأساليبه ومدلولاته؟

في القرن التاسع عشر، ترنّحت الإمبراطورية العثمانية، وبدأت تميل نحو الانهيار، بعد أن انهالت عليها الضربات من الداخل والخارج.

كما بدأت أطرافها تتناقص شــيئًا فشيئًا، وأخذ الاستعمار الغربيّ، يتسلل إلى تلك الإمبراطورية المريضة التي شــاخت، وكان يزداد ضراوة في هجومه. واحتل كثيرًا من البلاد التي كانت تحت حكم الأتراك..

فقد احتلت فرنســا الجزائر عام ١٨٣٠م. كما احتلت بريطانيا عدن. وغزت فرنســا تونس، واحتلتها عام ١٨٨١م، ثم احتلــت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م. لحماية عرش الخديوي، من انتفاضة الشــعب المصري. كما ســيطرت فرنسا على مراكش عام ١٩١٢م واحتلتها. وغزت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١م واحتلتها.

وأعلنت بريطانيا حمايتها على الكويت، ومنطقة الخليج، ونجد، وأبرمت المعاهدات مع شيوخ وأمراء هذه الأقطار.

ثم بدأت «تُحاك» المؤامرات، والمعاهدات، والاتفاقيات.

وهكذا سقط العالم العربي، بين مخالب الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي.

توطئة تاريخية

كلمة لا بدّ منها:

ابتدأت أزمة عدم الثقة بين العرب والأتراك بشكل واضح ملموس بعد «انقلاب المشروطية» - لجمعية الاتحاد والترقي - الذي حدث عام ١٩٠٨م، وأفرغ الانقلابيون الخلافة من بُعدها الإسلامي، وحولوها إلى سلطة تركية، في وقت بلغ فيه الوعي العربي مرحلة متقدمة، ليجد أمامه محاولات تركية لخنق أصوات الحرية والمفكرين والمصلحين الذين حاولوا النهوض بقضيتهم العربية.

ولم يكن بروز الفكر القومي في صفوف العرب وحدهم، وإنما برز لدى جميع الأقليات التي عاشت تحت السيطرة التركية، ردًا على الأتراك الذين سيطرت فكرة الطورانية «القومية التركية»، على سياستهم، وأصبحت السياسة الرسمية للدولة هي «سياسة التتريك».

وقد كان ولاؤنا لدولة الخلافة في تركيا ولاء صادقًا، لما تربطنا بها من وشائج القربى في الدين والعقيدة.

وقد فرح الوطنيون العرب كثيرًا عندما أعلن الدستور في تركيا عام ١٩٠٨م، وقامت جماهير المتظاهرينٍ لتحيته، حتى إن أحدهم قال:

قولوا «لمدحت» مَنْ في التُرب مضجعه
قم انظر الآن ماذا الشعب يصنعه

ولَّما طرد «مصطفى كمال أتاتورك» اليونان من «أزمير» والحلفاء من «اسطنبول» عام ١٩٢٢م قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

يا (خالد) الترك
جدّد (خالد) العرب!

وأصبحت قصيدة شوقي على ألسنة كلّ العرب، من المحيط إلى الخليج.

ولّما استولت النمسا على «البوسنة» و«الهرسك» عام ١٩٠٧م، استبدلنا «طرابيشنا» الحمراء بـ«عمائم» بيضاء من صنع مصر، تضامنًا مع دولة

الخلافة.

ولمّا تآمرت أوروبا مع دول البلقان ضدّ الأتراك عام ١٩١٣م، كانت مشاعرنا كلّها مع الأتراك. نهتف لأبطال تركيا تمامًا كما هتفنا للملك فيصل. بل وقام شبابنا – وأنا منهم – بالقتال إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى، وكنّا نفرح لانتصارات تركيا وألمانيا، وتُصدر صحفنا «ملحقًا مسائيًا» لمتابعة الأحداث أولاً بأول.

لكنّ سياسة «التتريك». اتبعها الأتراك بعد انقلاب «المشروطية» وخصّوا بها العرب ولغتهم بالاضطهاد، وحاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية، بإبطالها من المدارس، ومنعها من الدواوين والمحاكم، وقَتْل اللغة العربية قتلٌ للإسلام نفسه، فالإسلام دين عربي، وقرآنه أُنزل باللغة العربية.

كما نفت الحكومة التركية مئات الأسر والعوائل العربية إلى بلاد الأناضول، ليسهل «تتريك» البلاد السورية، وطمس الهوية العربية.

كما طارد «أحمد جمال باشا السفاح» الأحرار في سورية، وعلقهم على أعواد المشانق. وأقدم على شنق قافلتين كانوا من أبرز أعلام النهضة العربية، في مذبحة تفضح ما كان يكنّه الاتحاديون الأتراك للعرب.

وجمعية الاتحاد والترقي: هي جمعية تركية من مؤسسيها: أنور باشا، وطلعت باشا وجاويد، وأحمد جمال باشا.

غذّاها الصهاينة بأموالهم للفتك بالخلافة الإسلامية، وإضعاف القدرة العثمانية على القتال، ليتمّ تمزيق الدولة وتقسيمها، ولتكون فلسطين هي الثمن الذي تحصل عليه الصهيونية.

وكلما ازداد (الاتحاديون) عتوًّا، ازداد الوطنيون من رجال الفكر والقلم هجومًا أكثر شدّة وعنفًا. وشملت النقمة على الأتراك جميع شرائح الشعب.

وتحرك غضب الشعب وقام طلبة المدارس والجامعات بالمظاهرات مستنكرين ظلم واضطهاد الطغاة.

وأفاق أهل دمشق في السادس من أيار عام ١٩١٦م والمشانق منصوبة في ساحة المرجة، وعلى عوارضها أركان الحركة الوطنية.

وتنديدًا بسياسة الأتراك، واستنكارًا لمواقفهم من العرب، ونقدًا لسياسة الاتحاديين، ظهرت دعوات قوّية لإعادة دور العرب كأمة عريقة لها تاريخ وحضارة، وكان لها دور عظيم في نشر الثقافة والعلم في أوروبا والعالم.

العرب هم أصلح أمة لبناء دولة الإسلام، فالترابط بين العروبة والإسلام ترابط أزلي، ولا يمكن استمرار عزِّ الدولة، إن لم يكن العرب بُناتها وأركانها.

فلا بدّ لإعادة دور العرب القيادي، والتفوّق العربي يرفض تسلّط الأعاجم، والعرب يرفضون بحكم تكوينهم البيولوجي الخضوع لحكمِ «أجنبيّ» من غير أبناء جنسهم.

هذه الأبجدية في التكوين العربي. يرفض كل دخيل التسليم بها. فكان هذا التمرّد العربي أو النهوض العربي الذي قام داخل الدولة العثمانية، واتخذ شكل الثورة العربية.

وكان العثمانيون قد مدّوا سلطانهم في العالم، حتى تنازل لهم (المتوكل على اللّه) - آخر خلفاء العباسيين - عن الخلافة. خلافًا لما أجمع عليه المسلمون بعد وفاة النبي - صلوات اللّه وسلامه عليه - في وجوب الخلافة في قريش والمهاجرين بالذات، إذ إن العثمانيين ليسوا بقرشيين ولا عرب. ومما أزال عنهم «الخلافة» عدم توفر خصائص الخلافة: من فقه وعقل وتراث ديني. فكانت ولايتهم بداية عصر الانحطاط، وتراجع العرب والمسلمين.

وقد رأى السلطان محمود تدريب الأمة على أصول الحكم الذاتي، وتأليف «مجالس استشارية» من الأهالي على اختلاف مذاهبهم في العاصمة والولايات العثمانية، لإشراكها في تنظيم القوانين الاجتماعية، وتقرير الأحكام الإدارية. ثم تبعه السلطان عبد العزيز فأسس دوائر البلديات ومجالس الإدارة.

ولما تسلم «السلطان عبد الحميد» الحكم. قَبِلَ أصول «المشروطية» التي تجعل أمور الدولة تحت مراقبة مجلس عام يؤلفَ من فرعين:

الأعيان الشيوخ، و«المبعوثان» نواب. وتكون هيئة الحكومة واسطة لتنفيذ ما يقرره هذا المجلس، ويقترن بتصديق السلطان، صاحب الكلمة العليا في أمور السلطنة كلها. وأوعز إلى وزيرَيْه «مدحت باشا»(٨)

- الصدر الأعظم(٩) - و«سعيد باشاَ» - رئيس الكتّاب، بإعداد قانون أساسي ليكون دستورًا تسير عليه الدولة في أمورها الإدارية.

(٨) مدحت باشا: سياسي تركي ولد عام ١٨٢٢م، ويُعدّ من أعظم رجال الإصلاح العثمانيين في القرن التاسع عشر. عُيّن والياً على بغداد عام ١٨٦٩م، ثم رئيسًا للوزراء «صدرًا أعظم» من عام ١٨٧٢م – ١٨٧٧م. وضع أول دستور عثماني عام ١٨٧٦م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. إلا أن الحاسدين أوغروا صدر السلطان عليه، فحكم عليه بالإعدام، ثم استُبدل بالنفي المؤبد، ومات عام ١٨٨٣م.

(٩) الصدر الأعظم: لقب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، منذ عهد السلطان سليمان القانوني. وكان «الصدر الأعظم» يحمل خاتمًا من الذهب عليه ختم السلطان. كما كان يرأس الديوان، ويعقد الاجتماعات الشهرية، ويستقبل كبار الموظفين، باعتباره ممثلاً للسلطان. فإذا صدر الأمر بعزله، يُسلِّم خاتمه في حفل عام، ويذهب إلى منفاه طوعًا، إذا لم يُحكم عليه بالموت. وقد أصبح «الصدر الأعظم» بعد «إعلان الدستور» عام ١٩٠٨م مسؤولاً أمام البرلمان. وكان آخر «صدر أعظم» – الداماد فريد باشا – الذي توفي في مدينة «نيس» في فرنسا، وألغي هذا اللقب عام ١٩٢٢م، كما أُلغي لقب «السلطان» و«شيخ الإسلام» بعد أن ألغى «كمال أتاتورك» الخلافة وحوّل الدولة إلى «العلمانية».

فأعدّ كلا الوزيرين دستورًا استقاه من الدساتير الأوروبية وعرضاه على الأعتاب السلطانية، فقبل السلطان الدستور الذي أعدّه «سعيد باشا»، وأمر بوضعه موضع العمل والتنفيذ.

لكن بعض المؤرخين سمّوا «مدحت باشا: أبو الدستور».

ولأول مرة انتُخب في مجلس «المبعوثان» بواسطة مجالس الإدارة في الولايات المنتخب أعضاؤها انتخابًا. وقد انتخب:

توفيق القدسي	عن دمشق.
خالد الأتاسي	عن حمص.
حسين بيهم	عن بيروت.
يوسف ضيا الخالدي	عن القدس.
نقولا النقاش	عن طرابلس.
خليل غانم	عن بيروت

واجتمع المجلس لأول مرة عام ١٢٩٤هـ وتوالت اجتماعاته، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى، ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، اضطر السلطان إلى تعطيل المجلس إلى أجل غير مسمى.

وكان من أعضاء مجلس «المبعوثان» التركي من العرب: السادة: شفيق المؤيد العظم، رشدي الشمعة، محمد العجلاني، شكري العسلي، سليمان الجوخدار، جبران لويس. وجميعهم من لواء دمشق المركزي. ومن لواء حماة: خالد آغا البرازي، وعبد الحميد الزهراوي.



وقد كان بعض الولاة الأتراك - والحق يقال - من الذين تعاقبوا على الحكم في سورية - حتى لا نغمطهم حقهم -، يعملون لصالح وخدمة الشعب في سورية، دون أن يفرّقوا بين تركي وعربي. كما كانوا يعارضون سياسة حكامهم.. وقد ترك كل واحد منهم آثارًا تشهد بإخلاصهم حتى يومنا هذا. فالصدر الأعظم «أسبق مدحت باشا» يذكره الدمشقيون بكل فخر واعتزاز. فهو الذي قام بفتح شارع مدحت باشا «الشارع المستقيم»(١٠)، ووسّع الكثير من شوارع دمشق، وكان في نيّته كشف نهر بردى من ساحة المرجة إلى باب توما،

(١٠) الشارع المستقيم: «شارع مدحت باشا»: أنشأه الوالي مدحت باشا، في أوائل القرن التاسع عشر وكان يدعى الشارع المستقيم في العهد الروماني، وقد جعلوه ينصّف دمشق كأنه قطرها بطول كيلومتر ونصف الكيلومتر، مخترقًا دمشق من شرقها حيث «الباب الشرقي» ذو الأبواب الثلاثة، إلى غربها حيث «باب الجابية» ثلاثي الأبواب أيضًا.

وهدم الأبنية المشـادة على جانبيّ ضفة النهر، وشـقّ شارعين كبيرين فيهما، كما أسـس مكتبة جمع فيها الكتب سماها «دار المكتبة العمومية»، وتشكلت في عهده دوائر العدلية والشرطة والدرك. وقد استُشهد مدحت باشا في مدينة الطائف عام ١٣٠١هـ في الحجاز.

أما الوالي «حسين ناظم باشـا»(١١). فيذكره الدمشقيون بأعماله، وزيارته لسـورية بعـد أن «تقاعد». فقد تولى الحكم في سـورية ثلاث مرات، وأشـاد «سـراي الحكومة» - مـكان وزارة الداخلية - في عهده، و(مستشـفى الغرباء) - المستشـفى الوطني-، و(الثكنة العسـكرية) - مكان جامعة دمشـق -. كما أنشـأ الخط البرقي والهاتف بين دمشق والمدينة المنوّرة، وبنى له دارًا في حيّ المهاجريـن - اتُخذت قصرًا لرئاسـة الجمهورية -، وجـرّ «مياه عين الفيجة» لدمشق، وأقام «سبلاً» في أحياء المدينة، بعد انتشار وباء الكوليرا نتيجة شرب مياه الأنهار المجرثمة، كما سقف الأسواق الكبيرة منعًا لانتشار الحريق.

كما يذكر السـوريون الولاة شـكري باشـا، وإسماعيل فاضل باشا، وعارف الماردينـي، وتحسـين بك. وكان هؤلاء الولاة لا يكتمون استنكارهم لتصرفات رؤسائهم، ونقمتهم على سياسة الاتحاديين الظالمة.

وقد سـاءت أحوال البلاد في زمن الأتراك. وعمّ الظلـم، وكثر الانتهازيون والمنتفعون، ووصلـوا بغفلة من التاريخ إلى مفاصل القرار. وتدهور الاقتصاد، ودبَّ الفساد في أجهزة الدولة، وخرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة المركزية، وفقد الجيش قدرته القتالية، وتمرد الأمراء والشـيوخ العرب على الباشوات الأتراك، واندلعت النِّزاعات القبلية، وتوسعت النَّزعات الانفصالية، واستقلت بعض الأقاليم العربية عن السلطة التركية، وانتقلت تحت سيطرة الطغمات الإقطاعية المحلية، التي حاول رؤسـاؤها الانفصال عن الباب العالي، وتشكيل أسر حاكمة مستقلة، كما فعل محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا.

وظهر التذمر والاسـتياء في كل مكان من تصرفات «السـلطان عبد العزيز» الـذي اتُهم بخيانة تركيا إرضاءً للأجانب، حتى تحولت الدولة العثمانية إلى دولة (عميلة) للمرابين الأجانب.

وفي الثلاثـين من أيار ١٨٧٦م قامت مجموعة من القوات العسـكرية بعزله ووضعت مكانه على العرش أخاه (مراد الخامس) المعروف بغبائه.

وبعد شهرين تمّ خلع السلطان في آب ١٨٧٦م مرة ثانية ونصّب «عبد الحميد

(١١) ناظم باشا: والٍ تركي عُيّن في دمشق عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، ودامت ولايته اثنتي عشرة سنة، وعُرف بحب الإصلاح. أنشأ «حيّ المهاجرين» بدمشق. أُعيد والياً على دمشق عام ١٣٣٠هـ. وزار دمشق بعد انتهاء ولايته. سمي شارع باسمه في حي المهاجرين تقديرًا له.

الثاني» سلطانًا على الإمبراطورية.
وقد عمّت موجة الاستياء من عهد ظلم الباشوات الأتراك، وانعكس هذا الاستياء في تفشي روح المعارضة بين المثقفين العرب، والانتفاضات العفوية على الأتراك. وطالبت الجمعيات بتحقيق أماني العرب الوطنية، ضمن إطار الإمبراطورية العثمانية، وطالب بعضها بالثورة على الأتراك.
وفي عام ١٩٠٨م قام ضباط (جمعية الاتحاد والترقي) التركية - الطورانيون - بانقلاب «المشروطية» - الدستور - وبدؤوا بسياستهم الجديدة (تتريك العرب).
وأصبح الحكم الجديد كارثة على كل العرب.
وصار النضال ضد الأتراك مسؤولية وطنية قومية وتشكلت الجمعيات العربية التي اتسمت بطابع السرية.
كالجمعية القحطانية وغيرها من الجمعيات والتي ابتدأت بها المواجهة النضالية الفكرية والسياسية.
وبرزت في الساحة النضالية العربية جمعيتان: جمعية العربية الفتاة (الفتية)، و«جمعية العهد» التي ضمت في صفوفها خيرة الضباط العرب في الجيش العثماني.

قصة السلطان عبد الحميد

في أوائل القرن التاسع طلب عميد يهود (الدونمة)(١٢) في سالونيك المدعو (عمانوئيل قره صو) مقابلة السلطان (عبد الحميد)؛ ولما مثل في حضرته أبلغه أنه رسول الجمعية الصهيونية العالمية إليه، ليطلب منه قطعة أرض واقعة في المثلث القائم بين يافا وغزة والبحر الأحمر، مقابل خمسة ملايين ليرة ذهبية تقدمها الجمعية هدية إلى حسابه الخاص، وعشرين مليونًا تقدمها قرضًا من دون فائدة إلى الحكومة التركية لتُعين خزينة الحكومة العثمانية.
ولما سمع السلطان عبد الحميد ذلك ثار غضبه وقال : اذهبوا أيها الصهاينة إلى جهنم ولن يكون لكم في مملكتي شبر من الأرض، ثم طرد الزعيم اليهودي من قصره. فقال له وهو يخرج من القصر.. لنا لقاء قريب.

(١٢) يهود الدونمة: هم بقايا اليهود الذين لجؤوا إلى أزمير بعد المذابح التي جرت في أسبانيا والأندلس بعد طرد المسلمين منها، وأُفول الحكم العربي عنها.

حقدت الصهيونية على موقف السلطان وأضمرت له السوء، وصممت على خلعه، وكان سبيلها إلى ذلك تأليف جمعية سرية في سالونيك من جماعة (الدونمة) الذين يتظاهرون بالإسلام مع احتفاظهم خفية بالدين اليهودي.

ووطدت هذه الجمعية علاقاتها مع أركان (جمعية الاتحاد والترقي) التي تأسست عام ١٨٩٦م، وانتهى إلى التواطؤ على خلع السلطان، والاستيلاء على الحكم.

وبواسطة هؤلاء تمكن الصهاينة من التسلل إلى قيادات الجيش التركي في سالونيك، واستمال هؤلاء عددًا من الضباط والشبان الأتراك ممنّيهم بالوعود.

وزحفت قوات الجيش في سالونيك إلى العاصمة فاحتلتها، واقتحم قادة الانقلاب قصر السلطان، يتقدمهم المدعو (عمانوئيل قره صو) اليهودي عميد الدونمة في سالونيك.

واختار قادة الانقلاب (عمانوئيل قره صو) دون غيره ليسلّم السلطانِ عبد الحميد قرار خلعه. ولا أدري لِمَ استسلم السلطان بهذه السهولة؟! ثم أُرسل إلى منفاه في سالونيك عام ١٩٠٨م.

واستولى الاتحاديون على الحكم، وجاؤوا بالسلطان (محمد رشاد)، وكان ألعوبة بيدهم، وتعاظم نفوذ اليهود في أوساط الدولة التركية، ووقفت الصهيونية العالمية وراء الانقلابيين يدعمونهم بمؤامراتهم ومخططاتهم، وزرع بذور التفرقة والخلاف بين الأتراك والعرب.

وواجه العرب سياسة الحكام الأتراك الجديدة التي تستهدف تتريكهم والقضاء على قوميتهم وكرامتهم، بمختلف أنواع الظلم والقسوة.

واعتبر الأتراك أن العرب تمردوا على السلطان. مع أن الأتراك الدونمة هم الذين تمردوا على السلطان ونفوه. وراحوا يطاردونهم بكل قسوة، وينصبون لأحرارهم المشانق.

وما كان العرب ليثوروا على الاتحاديين الطورانيين، لو لم يقلبوا لهم ظهر المِجنِّ، فالأتراك وحدهم – وليس العرب – هم الذين هدموا الدولة العثمانية وحفروا قبرها بأيديهم.

ويذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته:

«أجبرني رؤساء (جمعية الاتحاد) والمعروفة باسم (جون تورك) على ترك الخلافة. هؤلاء الذين قاموا بالانقلاب أصرّوا اصرارًا عليّ، بأن أُصادق على إقامة وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة بفلسطين.

ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية بهذا الطلب، وأخيرًا وعدوا بتقديم

(١٥٠) مليون ليرة ذهبية. لحسابي الخاص، (٤٥٠) مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة، فرفضت طلبهم أيضًا.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سوف ينفونني إلى (سالونيك) .

وقد شهدت الإمبراطورية التركية، محاولات متعددة للقضاء على الفساد والرشوة، وإطلاق الحريات العامة، والاحتكاك بالحضارة الغربية، وغزو الرأسمال التجاري الأجنبي والبنوك الأجنبية. مما أدّى إلى نشوء تأثير حضاري، مستمد من الحضارة الوافدة.

ورغم الإصلاحات والتنظيمات الدستورية التي حاول «السلطان عبد الحميد» أن يجريها في بداية عهده، إلا أنها لم تؤت ثمارها، لأن «الطبقة الحاكمة» في تركيا، كانت تُحكم سيطرتها على كل شيء.

أضف إلى ذلك. أن الدول الأوروبية، تحوّلت بعد الثورة الصناعية، إلى دول استعمارية. لتصريف منتجاتها، وأخضعت اقتصاد البلاد التي استعمرتها، لخدمة مصالحها اقتصاديًا وعسكريًا وسياسيا وثقافيًا وإيديولوجيًا.

إعلان الثورة على الأتراك

• البداية. !!

كان التذمّر الشعبي، من فساد أجهزة الحكم التركية، قد بلغ أوجه. في بلاد الشام.

وقد بدأ بتململ بسيط، ثم بتذمّر خافت، من الطغيان «الطوراني» التركي.

كان الانقلاب الذي قام به «الطورانيون»(١٣) الأتراك عام ١٩٠٨م، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩م، ونفيه إلى سالونيك، ثم تخلّي الأتراك عن رفاقهم العرب المسلمين، مما أدّى إلى إقصائهم عن مراكز الدولة.. واضطهادهم، والاحتقار والسخرية بالعرب وتراثهم، واستمرار إهمال بلادهم، وإساءة معاملتهم، مما أدّى إلى تدهور أوضاعها، وسوء أحوالها، وتفشّي الفقر والبؤس فيها. كلّ هذه الأمور أدّت إلى إيقاظ الوعي العربي من سباته.

(١٣) الطورانية: مجموعة اللغات غير الهندية – الأوروبية. كانت تُطلق أصلاً على لغات أوساط آسيا. وطوران: اسم أطلقه جغرافيو العرب قديمًا على مقاطعة «بلوجستان».

وفلسفت الحركةُ (الطورانية) التركية، هذا الاستبداد وبررّته. واتخذته منهاجًا لها.

وكان ردّ الفعل، لهذا التحدّي (الطوراني)، المطالبة بالاستقلال، ثم إلى الثورة على الأتراك.

كما أدّى ردّ الفعل هذا، إلى تنادي العرب «بالقوميّة» ردًا على «الأُصولية» الطورانيّة التركيّة، وجرى تعبئة الشعوب العربية، على اختلاف طبقاتها وعناصرها وطوائفها، لتحقيق العدالة الاجتماعيّة.

وأرسل خمسة وثلاثون نائبًا عربيًا، في مجلس (المبعوثان) التركي، عام ١٩١٣ ميلادية، رسالة إلى شريف مكة، الحسين بن عليّ، يبايعونه زعيمًا عليهم، وخليفة للمسلمين(١٤).

وتألف حزب العهد والفتاة، منذ ربيع عام ١٩١٥ ميلادية، من كبار الضباط العرب، الذين خدموا في الجيش العثماني.

وكانت جميع الحركات العربية، تنادي بالإصلاح، والحكم الذاتي، ضمن الدولة التركية.

وقد كان الحسين بن علي - زعيم الثورة العربية - أميرًا على مكة منذ عام ١٩٠٨ ميلادية.

كما كان عبد العزيز بن سعود، حاكمًا في نجد، والإمام يحيى بن حميد، حاكمًا في اليمن.. ومحمد الإدريسي حاكمًا في عسير وابن رشيد شيخ مشايخ شمّر، حاكمًا في حائل، والعجيمي شيخ مشايخ (المنتفك)(١٥) يحكمون جميعهم في ظلّ الأتراك، والدولة التركية.

إلاّ أنَّ حكم الأتراك زال نهائيًا، بنهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م).

وقد بدأ روّاد اليقظة العربيّة، مباهاة الأتراك بعروبتهم، كردّ فعل (للطورانيّة) التركيّة، والتفاخر بعراقتهم التاريخية وحضارتهم.

وقد قاوم العرب... هؤلاء الأتراك، للتخلّص من حكمهم، لسوء وفساد إدارتهم، وقسوة حكمهم، وجشع حكامهم، والإرهاب الذي مارسه جيشهم. ولكنهم لم يقاوموا الخلافة! قاوموهم لأن الأمل انعدم، من إمكانية إصلاح الأوضاع، تحت ظلّ الحكّام الأتراك.

---

(١٤) (نحن النوّاب العرب في مجلس المبعوثان، نقرّك على إمارة مكة، ونعترف لك دون سواك، بالرئاسة الدينيّة، على جميع الأقطار العربية).

(١٥) المنتفك: من الأراضي العراقية، نزحت إليه القبائل العربية من بني صخر والعدوان قادمة من جنوبي الأردن واستوطنت فيه.

قاوم العرب شعارات (التتريك)، التي رفعها الحكّام الأتراك الجدد من (الطورانيين). ولم يقاوموا الدولة.

لكنَّ هذا الشعور تطوّر، إلى الدعوة إلى فكرة إحياء حقّ العرب بالخلافة.

وقد برزت فكرة (عروبة الخلافة)، قبل أن تبرز فكرة (عروبة الدولة). وأنا أسجّل هذا الموقف للتاريخ.

لكن كان يتنازع على الخلافة في ذلك الوقت، خديوي مصر (عباس حلمي) حفيد محمد علي باشا، رائد أوّل وحدة عربيّة بين مصر وسورية، وأمير مكة الحسين بن علي، والأمير عبد القادر الجزائري.

لكنَّ الأمير الجزائري توفي عام ١٨٨٣م، وعزل الإنجليز عباس حلمي عن عرش مصر عام ١٩١٤م، ولم يبقَ مَنْ يستحق هذا الاستثناء سوى أمير مكة الحسين بن عليّ لنسبته إلى رسول الله صلوات الله عليه.

وراح الحلفاء يعزّزون هذا التوجّه، وينفخون في البوق، ويؤجّجون سعاره بصحافتهم، ويردّدون:

أنَّ العرب شرّفهم الله بانتمائهم إلى النبيِّ القرشيّ، وهم يعادون الأتراك، لأنهم سلبوا منهم هذه السيادة، التي منحها الله لهم، وهم يشعرون بنفس المشاعر القومية التي تربطهم ببعض، ويهدفون إلى بناء إمبراطورية عربيّة تضمّ كل العرب، وقاعدتها مكة، وأنَّ الخلافة من حقّ العرب وليس الأتراك.

وكان للدول الاستعمارية، دور فاعل في المنطقة وكان الدور الإنجليزي، للسيطرة على المنطقة من أبرزها، وذلك لتأمين خطوط مواصلاتها، كدولة مستعمرة، التي تساوي نقطة النفط عندها نقطة الدّم.

كانت خطة الإنجليز احتلال البلاد العربيّة احتلالاً مباشرًا.

في تلك الفترة، تساقطت أطراف الدولة العثمانية، الواحدة بعد الأخرى، وتحوّلت إلى (رجل مريض) يهزأ العالم به، ويحضّر نفسه ليرثه ويتقاسم ثروته.

وانزلق العرب في أحضان الأجانب، بسبب عدائهم للأتراك.. وهكذا مهّدوا الطريق، لإبدال الأتراك بمستعمر آخر.

والواقع أنه عندما خرج الأتراك، أو أُخرجوا من المنطقة، تركوا فراغًا سياسيًا، لم تستطع الحركات العربيّة أن تملأه. فملأه الأجانب الأغراب.

وكان الإنجليز في مصر، يستضيفون كلّ الهاربين من جَوْر الأتراك ومنهم بعض زعماء الأحزاب في سورية، (كالدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وأسعد داغر، ومحمد شريف الفاروقي) كورقة رابحة في أيديهم.

وفي كانون الثاني من عام ١٩١٥م، أرسل الوطنيون في سورية (فوزي البكري)،

للاتصال بأمير مكة، ليعرض عليه فكرة «الثورة على الأتراك».

أرسل الحسين بن علي ابنه فيصل إلى دمشق، وجرت المفاوضات مع الأمير فيصل في (دار البكري) في نيسان من عام ١٩١٥م، وحمل فيصل مذكّرة من الوطنيين في سورية، عرضها على أبيه في مكة.

في تلك الفترة، وفي الرابع عشر من تموز من عام ١٩١٥ ميلادية، أجرت بريطانيا اتصالات مع شريف مكة - الحسين بن علي - بواسطة سفيرها المندوب السامي في مصر - مكماهون - برسائل تحدثت فيها عن حقوق العرب ومصالحهم، وتقاربها مع المصالح البريطانية، واعترافها بخلافة عربية.

في تلك الفترة أيضًا اعتقل جمال باشا السفّاح، القافلة الأولى من المناضلين الأحرار في سورية، وعلّقهم على أعواد المشانق، في الرابع عشر من شهر آب عام ١٩١٥ ميلادية(١٦).

في الوقت نفسه وصلت بلاغات حكوميّة تركية، للشريف حسين باعتباره أمير مكة، تدعوه لنصرة الدولة التركية، وإعلان الجهاد المقدّس..

إزاء تلك الأحداث المتسارعة، التي فرضتها الظروف المتلاحقة، ماطل أمير مكة كثيرًا. ولكنه في النهاية، أعلن الثورة على الأتراك فجر يوم السبت في العاشر من حزيران عام ١٩١٦ ميلادية، الموافق التاسع من شعبان ١٣٣٤ هجرية، بأن أطلق الرصاصة الأولى من شرفة قصره، باعتباره الخصم المؤهل، للوقوف في وجه الخليفة، وتعطيل فتواه بالجهاد إلى جانب الأتراك.

وهكذا أعلنت الثورة العربية ضد الأتراك، بعد القسوة - الغير مبرّرة - التي قام بها الأتراك، بتعليق النخبة المختارة من العرب على أعواد المشانق، وفرض التجنيد الإجباري القاسي، وانتشار الفقر والمجاعة، وتفشي الجهل والمرض وتدهور القيم.

كان الهدف الذي سعت إليه الثورة العربية ضد الأتراك، جمع كلمة العرب وتوحيدهم، والمناداة باستقلال البلاد العربية في إطار دولة واحدة. كانت الثورة بالنسبة لكل العرب، معركة وجود عربي أو لا وجود.

قامت الثورة نتيجة معاناة مريرة، خاضها وطنيون وقوميون ومثقفون. فقد لاقت الثورة قبولاً في صفوف المثقفين والمفكرين العرب، وتقاطعت مع أمانيهم القومية.

ومهما كانت نتائج الثورة، وعلاقتها بإنجلترا وفرنسا، اللتين حاولتا إجهاضها

(١٦) طالب هؤلاء الأحرار تركيا بالإصلاحات، فنفذ فيهم جمال باشا حكم الإعدام شنقًا في بيروت. وهم: نايف تللو، عبد القادر الخرسا، مسلم عابدين، محمد المحمصاني، محمود المحمصاني، محمد نجا العجم، أحمد حسن طبارة، علي الأرمنازي، سليم عبد الهادي، نور القاضي، ومحمد الشنطي.

وتحجيمها، والضغط على قادتها، والعمل على إفشالها، فلا بد أن نعترف أمام التاريخ، أن «الثورة» حققت للعرب يقظة ووعيًا، وعمقًا في تفكيرهم، واندفاعًا لتحقيق مطالبهم، وولاء لقضيتهم، وتبنيًا لاستقلالهم، ونقلة نوعية في أسلوب نضالهم. فلا غرو أن نجد أن أكثر الدول العربية، قد اتخذت من «راية الثورة العربية» علمًا لها. كسورية والعراق والأردن وفلسطين ومصر.

أيّد جميع أهل سورية، من عسكريين ومثقفين، الثورة التي أعلنها أمير مكة، الحسين بن عليّ ضدّ الأتراك، والتحق قسم كبير من الضبّاط العرب، بالثورة في الحجاز.

وكانت قد جرت «البيعة»(١٧) للشريف حسين بن علي «أمير مكة»، وحضر وفد من كبار رجالات سورية البيعة في الثالث من شهر كانون الأول من عام ١٩١٦م.

كان التفكير والشعور القومي، لرجال الحركة الوطنيّة، من أحرار العرب والمناضلين، تأسيس دولة عربية مستقلة ومتّحدة، وتجديد الخلافة في العرب.

أما حكّام الأتراك الجدد من «الطورانيين»، فماذا فعلوا للعرب غير محاولة إبادتهم، واستعبادهم، وإهانتهم؟ كيف يتوقع الأتراك أن يكون العرب أصدقاء لهم، وهم يعلّقون أحرارهم على أعواد المشانق؟

لا ينكر أحد عظمة الإمبراطورية العثمانية، في عهد الخلفاء فقد كانت الدولة أكثر نظامًا، وأكثر قوّة، وأكثر تجديدًا.

ولكن إلغاء الطورانيين للخلافة الإسلامية، وخلع ونفي السلطان عبد الحميد، الذي رفض بإباء، منح وطن قوميّ لليهود بفلسطين، جعل الدولة التركية، وكأنها جسم بلا رأس، يرقص رقصة الذبيح. «وأجبتُهم: ما كلّ رقص يُطرب.»

وقد فهم ثوّار سورية، أنَّ القومية الصادقة، إنما هي لخدمة الوطن، وأن الوطنيّة الحقّة، هي الدفاع عن الأوطان وحمايتها، والذود عن الإسلام والمسلمين.

وقد خاض الوطنيون العرب الثورة، وأشعلوا نيرانها، وغذّوها

(١٧) البيعة: تمّت مبايعة الشريف حسين بن علي أمير مكة، في مسجد «الخيف» بمنى في ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٦م في موسم الحج حضرها وفود عن العالم العربي. وتكونت أول حكومة عربية برئاسة الأمير علي، وعضوية الأمير فيصل وزيرًا للداخلية، والأمير عبد الله وزيرًا للخارجية، وعزيز علي المصري رئيسًا للأركان العامة وقائدًا للجيش العربي.

بالتضحيات(١٨).

وفي الوقت الذي كان فيه أمير مكة يفاوض الإنجليز، كان الإنجليز يتقاسمون مع فرنسا الوطن العربي. بكل خسّة ودناءة.

تقاسمت بريطانيا وفرنسا، الوطن العربي كله، في اتفاقية سايكس - بيكو بتدأت في ٤ آذار ١٩١٦م وانتهت في النصف الأول من أيار من عام ١٩١٦م، في اتفاقية سرّية بين حكومتيهما دون استشارة الشعب العربي، ودون إعلامه.

خدعت بريطانيا - رأس الأفعى - العرب خديعة كبيرة.

وَوَقَع أمير مكة - الحسين بن عليّ - في «أحابيل» السياسة البريطانية، وخفاياها وأطماعها.

كان يمثّل البدوي البسيط، وبساطة البادية، التي تجهل ما في المدينة من أكاذيب وشرور وأطماع، وما في السياسة من خبث وخداع، وكذب واحتيال، ومكر ودهاء، تميّز بها الساسة الإنجليز، على مرّ العصور والأزمان.

وقد خطب جورج بيكو الفرنسي في أواسط شهر أيار من عام ١٩١٧م، في جمع من السوريين في القاهرة، وأعلن أنّ الحلفاء (اختاروا) فرنسا (وصيّة) على سورية، (واعترفوا) بامتيازاتها في الشرق.

رفض أحرار العرب في سورية، الخديعة التي قام بها الإنجليز، وأرسلوا وفدًا منهم، برئاسة (رفيق العظم) في الحادي عشر من شهر آب، من عام ١٩١٧ ميلادية، للوقوف على اتفاقيات الحسين بن علي مع الإنجليز.

وظلّ الحسين بن عليّ، حتى لحظاته الأخيرة، على ثقته بالإنجليز، وكان يؤكد أن شرفه العربي، يمنعه من التخلّي عن حلفائه عند الأزمات الحرجة.

وتكتّل السوريون، وألّفوا (حزب الوحدة السورية)، وضمّ أعضاؤه: (الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ورفيق العظم، وفوزي البكري، وخالد الحكيم، ومختار الصلح، وكامل القصاب، وحسن حمادة).

وذهب وفدهم إلى مكة، لمقابلة الحسين بن عليّ، في كانون الثاني من عام ١٩١٨ ميلادية، للاستفسار منه على حقيقة الأمور.

أما على صعيد سير المعارك، فقد واصل الجيش العربي تقدَّمه، بقيادة فيصل بن الحسين، ومعه مجموعة من الضبّاط الإنجليز بينهم لورنس

(١٨) استسلمت الحاميات التركية في مكة بعد ثلاثة أسابيع وسلّمت جدة ١٩١٦م، كما حاصرت القوات العربية الطائف وسلّمت في أيلول / سبتمبر ١٩١٦م. ثم استسلم والي الحجاز (غالب باشا) مع رجال حاميته. وأصبحت المدن الرئيسية في الحجاز بيد قوات الثورة العربية ما عدا المدينة المنوّرة. والتي بقيت محاصرة حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى.

بينما كان الجنرال (إللَّنبي)(١٩) يقاتل في فلسطين واحتلّ الجيش العربي العقبة، ثم شرق الأردن من الأتراك، ثم سقطت القدس بدون حرب، وبعدها سقطت درعا.

وانسحب الأتراك من دمشق في التاسع والعشرين من شهر أيلول عام ١٩١٨م.
ودخل فيصل بن الحسين دمشق في يوم الخميس الثالث من تشرين الأول عام ١٩١٨م، بعد أن انسحب الأتراك منها، واستقُبل من قبل أهلها استقبال الفاتحين، واعتبر بطلاً قوميًا، ومحرّرًا لسورية.. ثم نودي به ملكًا عليها.

ووضعت فلسطين تحت الإدارة الإنجليزية العسكرية، منذ أن احتلها الجنرال اللنبي - القائد العام للقوات البريطانية -.

وبدأ الإنجليز يطبخون المشاريع السياسيّة، ويعدّونها في أطباق من ذهب، بإشراف كبار الطهاة الإنجليز.

قسّموا المناطق التي كانوا يديرونها ويسيطرون عليها وزعموا أن هذه التقسيمات مجرّد إجراءات إدارية اقتضتها المصلحة العسكرية للحلفاء، وليس فيها أيّ مدلول سياسي.

وأبدى الملك فيصل الأول، استعداده لقيادة الصراع، من أجل تحقيق الوحدة والاستقلال.

وسافر فيصل في أواخر عام ١٩١٨م إلى فرنسا، وحضر مؤتمر الصلح في الثالث من كانون الثاني عام ١٩١٩م، وخطب مندوبًا عن أبيه وباسم كلّ العرب.

تحدّث عن حقوق الشعوب وحقّ تقرير مصيرها وصون استقلالها حسب ميثاق عصبة الأمم الذي ولد حديثًا.

وقال أن الشعب في سورية يرفض «الوصاية» عليه ويطالب بالاستقلال.
لكن أحدًا لم يستمع إليه.

وفي الثلاثين من شهر نيسان عام ١٩١٩م، وصل فيصل الأول إلى بيروت عن طريق البحر، بعد غياب استمرّ نصف عام تقريبًا.

واستقبلت سورية بعد ذلك لجنة «كنج - كراين»(٢٠) الأمريكية، وقد تجوّلت

---

(١٩) الجنرال إللَّنبي: اسمه (أدموند هنري هيومان) ولد عام ١٨٦١م وتوفي ١٩٣٦م، هو قائد القوات البريطانية التي دخلت دمشق مع الأمير فيصل. قام مع لورنس بسرقة الأكليل المصنوع من البرونز والذهب، الذي وضعه الإمبراطور الألماني «غليوم الثاني» على قبر البطل صلاح الدين الأيوبي في زيارته التاريخية لسورية أيام الحكم العثماني. ويُذكر أن الإمبراطور «غليوم الثاني» قيصر ألمانيا قام برحلة تاريخية عام ١٩٠٨م إلى الشرق، واحتفى به السلطان عبد الحميد خان الثاني حفاوة عظيمة في القسطنطينية.

(٢٠) حادثة المستر كراين: أول صرخة دوّت في سورية ضد المستعمر الفرنسي الغاصب عام ١٩٢٢م، والتي حُكم فيها على الدكتور الشهبندر وإخوانه بالسجن. وعلى خلفية حادثة المستر كراين تألف «الحزب الحديدي» وسجن بعض من أعضائه (نادر الساطي ومحمود البيروتي) في (جزيرة أرواد) حيث التقوا هناك بالدكتور الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر .

خلال ستة أسابيع في ستّ وثلاثين مدينة سورية، للوقوف على رأي الشعب في الانتداب.

وخرجت اللجنة بتوصياتها، بأنَّ السوريين يطالبون باستقلال بلادهم وتوحيدها، ويرفضون الانتداب.

ولم يستمع لتوصيات لجنة (كنج – كراين) أحد، لأنَّ العالم لا يريد أن يستمع لصوت الحقّ. وصوت الشعوب. إنما كان يستمع لصوت المستعمرين.

ومشروع الانتداب هو المشروع الذي أقرته عصبة الأمم المتحدة، لحماية حقوق الشعوب الضعيفة.

لكنّ الفكرة انبعثت من مخيلات المستعمرين، الذين اعتبروا أن الشعوب المتأخرة، بحاجة لمن يرشدها ويشرف عليها، وعلى إدارة شؤونها، حتى (تنضج)، وتصبح قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها.

وبذلك سلّموا «الذبيحة» إلى «جزّاريها»، واعتبروا الشعوب «قطيع أغنام».

كان (الانتداب) وبالاً على الشعوب التي يحكمها.

فقد صادرت الدولة المنتدبة إرادة الشعوب ورغباتها، وأرهبت «مواطنيها».

كما نهبت خيرات البلاد ومواردها، وأفسدت ضمائر أهلها، وزرعت العملاء، وقمعت حركات التحرّر وقيّدتها. واستأثرت بالشؤون العسكرية والقرار السياسي.

فما يعنيه (الانتداب). إنما هو (الاحتلال) ولو ستر وجهه البشع، بألف قناع وقناع.

كما كان (الانتداب). وبالاً على أهل فلسطين خاصة، بعد أن سمحت الدولة المنتدبة - بريطانيا – لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وامتلاك أراضيها.

وخطب فيصل في المؤتمر السوري في السابع عشر من حزيران عام ١٩١٩م مفتتحًا النادي العربي بدمشق. وقال: «ليس هناك من أمّة تستطيع استعبادنا».

وأكدّ على وحدة البلاد السورية واستقلالها، ورفض الانتداب.

وفي السابع من آذار عام ١٩٢٠م، انعقد المؤتمر السوري ورأسه (محمد فوزي العظم) و(هاشم الأتاسي) في دار البلديّة بدمشق، وحضره وجهاء البلاد ومشايخها، ورجال الأحزاب والسياسيين. وأعلن المؤتمر، وسط احتفالات شعبية.

أن سورية مملكة عربية مستقلة، وانتخاب فيصل بن الحسين، ملكًا عليها.

وأقسم فيصل الأول، يمين الولاء للدستور وبويع في السابع من آذار عام ١٩٢٠م ملكا على سورية.

وتألفت أول حكومة ملكية دستورية، برئاسة (رضا باشا الركابي) وعضوية سبعة من الوزراء في العاشر من شهر آذار عام ١٩٢٠م(٢١).

لكنّ مجلس الحلفاء الأعلى، انعقد في مدينة (سان ريمو)، في السادس والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٢٠م، وأعلن بقراراته، تكريس الانتداب، ورفض قرارات المؤتمر السوري.

وفي الرابع عشر من تموز عام ١٩٢٠م، بعث الجنرال (غورو) - الحاكم العام في لبنان - مذكرة إلى الملك فيصل بن الحسين، تتضمن المطالب الفرنسية:

- الموافقة على الانتداب الفرنسي على سورية.
- إلغاء التجنيد الإجباري.
- تسريح الجيش. العربي.
- تسليم الثوار إلى السلطات الفرنسية لمحاكمتهم.
- استبدال العملة السورية والذهبية بالعملة الفرنسية الورقيّة.

كان هذا الإنذار تعدّيًا صارخًا على سورية وشعبها.

وفي جلسة تاريخيّة، أعلن المؤتمر الوطني السوري، رفض الانتداب، والاستعداد للدفاع عن كرامة البلاد، وأوكل المهمّة، لوزير الحربيّة (يوسف العظمة).

وبعث فيصل وزير المعارف (ساطع الحصري) ليفاوض الفرنسيين، للقبول بشروطهم رغم إجحافها، وبعث برقية بهذا الخصوص، لكن (غورو) كان قد حزم أمره، وسار بجيشه، وادّعى أنه لم يتسلّم برقية فيصل إلاّ متأخرًا.

وجمع وزير الحربيّة (يوسف العظمة) كلّ المحاربين والمتطوعين والثوّار، وسار بهم نحو (ميسلون)، بما توّفر لديه من أسلحة.

ذهب إلى معركة غير متكافئة. مع البقية الباقية من الجيش الذي صدر أمر سابق بتسريحه.

ذهب إلى «معركة الموت».. واستُشهد في ميسلون.

(٢١) حكومة رضا باشا الركابي (دمشق) رئيسًا للوزراء، رضا الصلح (بيروت) وزيرًا للداخلية، سعيد الحسيني (القدس) وزيرًا للخارجية، عبد الحميد قلطقجي (دمشق) وزيرًا للحربية، فارس الخوري (حاصبيا) وزيرًا للمالية، جلال زهدي (الاسكندرون) وزيرًا للعدلية، ساطع الحصري (حلب) وزيرًا للمعارف، يوسف الحكيم (اللاذقية) وزيرًا للنافعة (الموصلات)، كما عيّن (علاء الدين الدروبي) من حمص رئيسًا لمجلس الشورى.

ودخل الجيش الفرنسي دمشق في الرابع والعشرين من شهر تموز عام ١٩٢٠م.

وغـادر الملك فيصل وأركان الدولة إلى قرية (الكسـوة)(٢٢). ثم إلى مدينة (درعا)، معلنًا عن تأليف حكومة برئاسة (علاء الدين الدروبي).

ثم طلبت فرنسا منه مغادرة (درعا)، وإلاّ فإنها سوف تقصفه بطائراتها.

واستقلّ الملك فيصل القطار، وغادر إلى حيفا.

وانتهى عهد فيصل في تموز عام ١٩٢٠م.

وضاعت آمال العرب، في الوحدة والحرية والاستقلال، وقيام دولة عربيّة.

وفَتّت المسـتعمرون الدولـة الموحّـدة، إلى مجموعة كيانـات مبعثرة. هنا وهناك.

كان همّهم وشغلهم الشاغل، وضع موضع قدم لهم في منطقة الشرق الأوسط، لتنفيذ مخططاتهم العدوانية، والاستيلاء على منابع النفط، وتوطين اليهود في قلب الأمة العربية.

ولهـذا كان لا بدّ من التغلّب علـى المقاومة الوطنية، الـتي يقودها أحرار سورية وثوّارها، وعزل تلك التيارات الشعبية، عن النضال السياسي.

لكن الشـعب السوري. خيّب آمال الدخلاء المستعمرين، وفاق كلّ توقعاتهم. أحـال همم الاحتلال إلى هموم، وهموم الشـعب إلى همـم. وآمال المغتصبين المحتلّين إلى آلام، وآلام الشعب إلى آمال.

عرف الشـعب كيف يثور، ومتى ولمـاذا يثور، وكيف يتوحّـد على اختلاف عناصره وطوائفـه وانتماءاته الدينية، وكيف يحافظ على الأمن في المناطق الثائرة.

والواقـع أن فيصـل بن الحسـين كان قد نجح في مؤتمر فرسـاي في عرض قضية بلده، ونجح بقيادة جيوش الثورة العربية، ونجح في مقاومة الأتراك في الحجاز وبلاد الشام، حتى ارتفع إلى مستوى الزعامة. وقُدّم له عرش سورية، ثم قُدّم له عرش العراق فيما بعد، على أطباق من ذهب.

لكـن الفرنسـيين كان لهـم رأي آخـر في فيصل. خافـوا أن «يُفسـد» كل مخططاتهم، فأنهوا حكمه، وطردوه من سورية كلّها، فتربّع على عرش العراق، في الثالث والعشرين من آب ١٩٢١م.

وكان الأمير عبد الله، قد عرض على أبيه – الشريف حسين بن عليّ – أن يتوجّه إلى سورية، ليستعيد عرشها من أيدي الفرنسيين، فعيّنه والده قائدًا عامًا للجيش العربي في الحجاز.

---

(٢٢) الكسوة: مدينة تقع جنوبي دمشق على طريق الحج، وسميت بذلك لأنه كان يُقام فيها احتفال تسليم «كسوة المحمل الشريف» إلى «الكعبة المشرّفة». وكان الناس يرافقون حجيجهم لوداعهم حتى قرية الكسوة.

وصل الأمير عبد الله مع جيشـه إلى مدينـة معان، ودعا العرب من هناك إلى الاشـتراك في حربه المقدّسـة، كما طلب من رجـالات الحركة الوطنيّة في سـورية مساعدته لحرب فرنسـا، وموافاته إلى مدينة (معان) - في شرقي الأردن - وأقسم أنه لن يترك ميدان القتال، إلاّ بعد أن يسترجع سورية.

ولبّى أبناء سـورية الأحرار النداء، لتخليـص بلادهم من الاحتلال، وكان أكثرهم من حزب الاستقلال.

جعل الأمير عبد الله من مدينة (معان) قاعدة لانطلاق رجاله وفرسـانه. وأسّـس هناك جريدة (الحقّ يعلو)، ولقّبته الجريدة «بصاحب الجلالة منقذ سورية ومحرّرها»!

كان يُشـرف على تحرير جريدة (الحق يعلو) – أخي (عبد اللطيف شـاكر الخانجي)، ولفيف من رجالات سـورية، من المثقفين الذين اضطرتهم ظروف الاحتـلال الفرنسـي، إلى الخروج من سـورية، هربًا من اضطهاد السـلطات الفرنسـيّة، التي حكمـت على عدد كبير منهم بالإعـدام، ومصادرة الأموال والممتلكات، وتغريمهم بالغرامات الماليّة. الباهظة.

واتّصل الأمير عبد الله بشـيوخ البدو، ووافاه شـيخ مشـايخها (عودة أبو تايـه)(٢٣) ووعـد بمناصرته، والوقـوف إلى جانبه، لتحرير بلاد الشـام من الفرنسيين.

كان الشعور الوطني، بتحرير سورية من المحتلّين الفرنسيين، الذين اغتصبوا عرش فيصل، قد بلغ أوجه فرجالات سـورية يريدون قائدًا يقودهم لتحرير وطنهم من المحتلّ المغتصب. والغريق يتمسّك دائمًا «بقشّة».



هذه الفترة العصيبة من تاريخ سورية، عايشتها يومًا بيوم، وساعة بساعة.. لم يكن أمامنا سوى التحرّك بقوّة، ودفع الثوّار للانضمام.

---

(٢٣) عودة أبو تايه: زعيم عشيرة (حويطات التوايهة) الذين يقيمون حوالي مدينة معان في الأردن، ومن أشهر فرسان البدو. قام بدعم قوات الجيش العربي في الثورة العربية، وكتب عنه القائد الإنجليزي «لورنس» – كصديق له – في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة». ولد عودة أبو تايه في منطقة الجفر في الصحراء الأردنية عام ١٨٧٠ م. والده الشيخ حرب أبو تايه وأمه عمشة أبو تايه. تولى زعامة القبيلة في سن مبكرة بعد وفاة والده وهو في سن الرابعة عشر . ناصب الدولة العثمانية العداء وانتظم تحت لواء الثورة العربية الكبرى وساهم في حروبها. قيل أنه كان قبيلة في رجل وتزوج ٢٨ زوجة ، وكان على علاقة وطيدة مع زعماء الثورة السورية في بلاد الشام. توفي بعد أن أصيب بمرض السرطان في معدته.

كان (النادي العربي)(٢٤) بدمشق، في تلك الفترة المهمّة من تاريخ سورية، بمجلس إدارته المتميّز، منارة هداية، وشعاع أمل، في حلكة الليل البهيم.
كان يجمع الهيئات الوطنيّة ومؤسساتها، ويعمل على لَمّ شمل الأحزاب الوطنيّة، ويدير دفّة التوجيه السياسي، كما كان يتزعّم مبادئ الحركة القوميّة، ويعمل على انطلاقتها.
وكم من قرار وطنيّ، من قرارات المؤتمر الوطنيّ العتيد، صدرت من النادي العربي بدمشق.



تحرّك الأمير عبد الله بن الحسين، فوصل عمّان في اليوم الثالث من شهر آذار عام ١٩٢١م. وكان شرقيّ الأردن، تابعًا للحسين بن عليّ في الحجاز.
وقد استغلّت بريطانيا، وضع المنطقة تحت الانتداب البريطاني، في مؤتمر سان ريمون، وأرسلت الضابط الإنجليزي (الميجر فريدرك بيك باشا)(٢٥)، ليشرف على توطيد الأمن في المنطقة، بعد الفراغ السياسي الذي تركه رحيل فيصل الأول عن دمشق.
وأحضر الضابط البريطاني (الميجر فريدرك بيك) معه عام ١٩٢٠م بعض المعدّات والجنود، وهم الذين كانوا فيما بعد نواة للجيش العربي في الأردن. ثم انضمّ إليه فيما بعد في عام ١٩٣٩ ميلادية الجنرال البريطاني (جلوب باشا)(٢٦).
كان الوضع الاقتصادي والسياسي والمعيشي في عمان مأساويًا.وكانت

(٢٤) نشيد النادي العربي: كان النادي العربي موئلاً للفكر الوحدوي، ومنبرًا سياسيًا ونضاليًا، قبل أن يتحول نحو الحياة الاجتماعية والثقافية والخيرية. وكان النادي العربي أول مؤسسة تنادي بوحدة العرب والعمل من أجلها، في حين أن ميثاق الجامعة العربية ليس فيها بند واحد لتحقيق الوحدة العربية. بل صيانة لاستقلال البلدان العربية وسيادتها. «أي تكريس للتجزئة».
ونشيد النادي: نحن أجناد البلاد. نحن آساد الحمى. نتهاوى للجهاد. ونضحّي بالدماء. قد تعاهدنا على حفظ العهود. ونَهَجنا منهج الحقِ المبين. نصدق القول ونوفي بالعهود. ونصون السرّ في حرز مكين.
(٢٥) بيك باشا: اسمه فَريدرك بيك، ضابط بريطاني كان القائد العسكري الأول في الأردن. ألّف كتابًا عن العشائر الأردنية أسماه: «تاريخ شرق الأردن وقبائلها».
(٢٦) كلوب باشا: اسمه جون كلوب، وصل إلى شرقي الأردن في الخامس من تشرين الثاني ١٩٣٠م، عاش بضع سنوات مع عشائر البدو، وكسب ثقتهم، وأسس «فرقة البادية» من عشائر «الحويطات» ومُنح رتبة زعيم في تموز ١٩٣١م وتسلم قيادة الجيش الأردني في ٢٥ تموز ١٩٣٩م. وفي يوم الخميس الأول من آذار/ مارس ١٩٥٦م طرده الملك حسين بن طلال في حركة لتعريب الجيش بعد أن قضى في الأردن ٢٦ عامًا. ويُسجل له في كتابه (جندي مع العرب) أنه فضح جرائم اليهود وأساليبهم الوحشية في فلسطين. وقد أثار الكتاب ضجة كبيرة في أمريكا.وقد أطلق عليه(العامة)في الأردن اسم (أبو حنيك).

البلاد بأيدي الوجهاء التقليديين من شـيوخ العشائر والبدو. فلا مدارس ولا مستشـفيات، ولا شـرطة ولا جيش، ولا مكاتب ولا أجهزة حكومية، ولا طرق ولا مواصلات، ولا كهرباء ولا محاكم، ولا قضاء. ولا شيء على الإطلاق.

كانـت المدينة كلّها تتوضّـع حول (المدّرج الرومانـي)، وكانت مضارب البدو تتناثر حوله. هنا وهناك. هكذا كانت الحال في عمّان.



وكان الحسين بن عليّ، قد قام برحلته التاريخية، من الديار الحجازية إلى شـرقي الأردن، وكنت برفقته في جدّة إسبوعًا كاملاً، بانتظار وصول الباخرة (رضوى) التي سـتقلّه إلى ميناء العقبة. وأنعم عليَّ بوسام الاستقلال وبراءة شـرف، وكان ذلك في كانون الثاني من عام ١٩٢٣ ميلادية. وانتقل شريف مكة - الحسـين بن علـيّ - من مدينة (العقبة) إلى مدينـة (معان) على حصانه، والمسافة بينهما لا تقلّ عن مئة كيلومتر.



كان مركـز الخلافة في تركيا شـاغرًا، منذ إقصاء السـلطان عبد الحميد الثاني، ومنذ أن استتبَّ الأمر لـ(مصطفى كمال أتاتورك)، إثر الاستيلاء على مركز الخلافة، أعلن الحسـين بن عليّ نفسـه خليفة وأمـيرًا للمؤمنين، بعد عودته للديار الحجازية.

لكنّ الأمر لم يطل.

إذ في صيـف عام ١٩٢٤م. هاجم الوهابيون الطائـف بقوّة، وقد دافع عنها (عليّ بن الحسـين). إلاّ أنها سـقطت بيد ابن سـعود، واستسلم أهلها، والتجأ عليّ بن الحسين إلى جدّة.

وتنازل الحسـين بن عليّ، لابنه الأكبر عن المُلك، وبويع (عليّ بن الحسين) مَلكًا على الحجاز في الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٢٤م.

وبقي الحسـين بن عليّ في جدّة أسبوعًا، وكنت برفقته كما ذكرت، بانتظار وصول الباخرة التي ستقلّه إلى ميناء العقبة.

واستمرت القوّات الوهّابية في التقدّم، فاستولت على مكة، وحاصرت مدينة جدّة حصارًا شديدًا.

وفشلت كلّ الوساطات العربية، والجهود لوقف الدماء العربية.

أرسلت سورية وفدها المكوّن من «القائمقام العسكري عارف التوّام» و«القائد محمد شريف الحجّار»(٢٧).

واســتمرت القوات الوهابية في التقدّم وأصّر ابن ســعود، أن يغادر (عليّ بن الحسين) جدّة.

فغادرها إلى البصرة، في الثالث والعشــرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٢٥ ميلادية، على ظهر باخرة إنجليزية.

في الوقت نفســه تلّقى الحســين بن عليّ، إنذارًا من الحكومة البريطانية، بضرورة مغادرته ميناء العقبة.

إلاّ أنّ الحسين بن عليّ، رفض الإنذار من حليفته بالأمس بريطانيا. فأنذره قائد البارجــة الحربيّة البريطانية، بضرورة مغادرتــه ميناء العقبة، خلال أربع وعشرين ساعة، وإلاّ فإنهم سيقصفون قصره.

ونقلته البارجة الحربيّة (كورن فَلَوَر) إلى جزيرة قبرص.

وعاش في منفاه خمس سنوات، واشتدّ عليه المرض، فنقل في تشرين الثاني (نوفمــبر) من عام ١٩٣٠م إلى مدينة عمّان. وتــوفي في الخامس من حزيران (يونيو) عام ١٩٣١م، ودفن في مدينة القدس.

وهكذا كانت خطوات تجزئــة الوطن العربي، قد أُقرّت ونفّذت بمخططات إنجليزية فرنسية.

واســتطاع المســتعمرون، تفريــق شمل العــرب، وتقطيع أوصالهــم، وفرض (كيانات) متعدّدة، وخلق وطن عربي ممزّق.

ومات الأمل في الوحدة والاستقلال، وإعادة الخلافة الإسلامية.

لم يكن يخيف المســتعمرين، ســوى توحيد البلاد العربيــة.. كان هذا هو هاجسهم.

ولتحطيم المعنويات العربية أشــاع المســتعمرون أنَّ العرب بدو لا تصلح لأن تتّحد. وأنهم بقايا شعب محطّم ضعيف، يستعطي خبزه على قارعة الطريق، ويغزو بعضه بعضًا، ويسرق وينهب ويقتل.

(٢٧) القائد محمد شريف الحجّار: مدير الشعبة الثانية لرئاسة أركان الحرب، اشترك اشتراكًا فعليًا في معركة ميسلون، ضد الغزاة الفرنسيين المحتلين. تولّى الحجّار تنظيم «المتطوّعة» على القطعات العسكرية، مع وضع كل ثائر حسب نوع سلاحه في فرقته، كما كان قد تولّى مهمة التموين والتنظيم والمراكز الصحية والجنود والمشاة. اشترك في معركة ميسلون مع: قائد الفرقة الأولى «تحسين باشا الفقير»، وقائد المدفعية «أحمد صدقي الكيلاني»، وقائد اللواء الثاني «توفيق العاقل»، وقائد اللواء الأول «محمد حسن الهندي».

وساهمت الصحافة، التي تمتلكها الصهيونية، في تصوير العرب بأنهم شعب متخلّف، يمشون وراء الجمال في الصحراء.. جهلة لا أخلاق لهم، ولا يُؤمن جانبهم، «معوّقين» عقليًا وَجسديًا منغمسون في البداوة والتخلُّف، والفقر والفوضى والاستعباد. وهم حتى اليوم، لم يتمكنوا من إسكات رواسب الجاهلية في أعماقهم.

تقفز أحيانًا إلى مخيّلة أحلامهم، أمجادهم الغابرة، ويتخيّلون «صلاحِ الدين» الذي أشاد لهم مُلكًا على أنقاض الصليبين(٢٨). وهم يحتاجون إلى مَنْ يقتلعهم، من حياة الماضي وأمجاده...!!

لكنّ الشعوب - رغم كلّ المعوّقات - تطلّعت إلى الاستقلال والنهضة.

عمّ السخط، من نتائج نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ العالم العربي كله.

وتطوّرت ونمت المفاهيم القومية، والأساليب والوسائل الوطنية، وتبدّلت القيادات والزعامات.

ورفدت الحركات الإصلاحية الشعوب بوقودها، وبدأت صفحة من تاريخ النضال القومي.

وأسهمت الحركات الثورية العربية، الإسلامية منها والقومية، في فضح المؤامرات الاستعمارية.

وكان المجتمع العربي في تلك الفترة من القرن التاسع عشر، مجتمعًا دينيًا في تقاليده ومفاهيمه.

وقد تمرّدت الشعوب على سجّانيها، وبارزت «الكيانات المفتعلة»، ولم تعترف بـ(الانتدابات المفروضة)، وطالبت بالاستقلال والوحدة الوطنية.

وتكوّنت الزعامات الفكرية. وتصارعت الأفكار، والحركات القومية والدينيّة والسياسية، ممّا خلق وعيًا لدى المواطن العربي.

لكنّ كلّ هذه الحركات، كانت تفتقر إلى المحتوى الاجتماعي والإنساني.. كانت مفرّغة من كل شيء. صحيح أنها عملت «للوطن» في وقت من الأوقات، ولكنها لم تعمل «للمواطن». أهملت المواطن العربي في سبيل الأمة، وأهملت الأمة في سبيل الأرض، وأهملت الأرض في سبيل رفع الشعارات الطنّانة الرنّانة. الخلاّبة.

وتخلّت كلّ هذه الحركات، عن «الجوهر» في المواطن. أهملته ولم تعتن به. وفهمت أن الاستقلال، هو خروج الأجنبيّ واستبداله بحاكم مستبدٍ، ولم

(٢٨) انطلقت الحروب الصليبية وهي تحمل «شارة الصليب» وباسم الصليب، نحو فلسطين أرض «الهلال»، للتحكّم والسيطرة وبناء المجد للعروش الأوروبية الحاكمة. فأججّوا التعصّب الديني للاستيلاء على الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، فضلاً عن كونها الأرض المقدّسة.
وظلّ الدافعان السياسي والاقتصادي. والطمع في الموارد العربية، حبيس صالونات القصور وأروقة الكنيسة.

تفهم أن الاستقلال استقلال في كل شيء. وزوال السيطرة الأجنبيّة عن الأرض، وعن الصناعة والزراعة والاقتصاد والتعليم والسلاح، وكل مرفق من مرافق الدولة.

كان فشل كلّ تلك الحركات، أنها اكتفت بالسلبيّة، واعتمدت على البكاء والعويل والنحيب. لم تخطّط لأنها كلها ارتجالية، ولم تبنِ لأنها كانت فوضوية، ولم تعدّ الشعب لأنها كانت كلها اتكاليّة.

ظنّت أنَّ «الوحدة».. مصافحة بالأيدي، وتبادل للقبلات والابتسامات، أمام عدسات المصوّرين. ولم تفهم أن «الوحدة». هدف وأمنية وإرادة شعب.

رسّخت الفرديّة والكيانات، واحتكرت وحدها الوطنيّة. ثم رقصت على الأنغام «الشرقية» تارة. وتارة أخرى على الأنغام «الغربيّة»، فنسيت مشيتها الأصليّة.

هذه «الحقيقة» يجب أن نعترف بها ونستوعبها، لنتجاوزها ونتحرّر منها، وننطلق بدون قيود أو عوائق.

كلّ «الحركات». «والأحزاب» فلسفت الأمور والقضايا من منظارها. كانت «تناضل» في «الصالونات»، و«تحارب» وراء الكراسي، وتنظّر من وراء نظارات سميكة تحجب عنها الرؤيا، «متمترسة» خلف منضدة أو دبّابة. تستولي على «الغنائم» دون أن تقدّم «القرابين» أو ضريبة الدم.

وتوقفت الثورة السورية...

كان من أسباب توقّفها.. مطاردة المحتّل للقيادات المتعلمة والمدرّبة على حمل السلاح وتوجيه المعارك، بالإعدام أو النفي والمطاردة. شلّوا قدراتها، فتفرق أفرادها في أصقاع الدنيا.

وبقيت العناصر الشعبيّة، تملأ الصفوف الخلفيّة، ولكن بدون فعّالية فاعلة. وقيادة قويّة متعلمة، توجّه وتقود.

ثم كانت «تجاوزات» بعض «عصاباتها»، واحتكار الزعامات وتنافسها. أضف إلى ذلك كلّه، المزايدات القوميّة. وقلّة الموارد والعتاد.

وحَمَلَ المواطن العربي البسيط أعباء المقاومة ولواء النضال الوطني.

غذّى الثورة ورفدها.. بجسده ودمه وسلاحه وماله فكان الشعب كلّه شعباً ثائراً.

لكنّ النضال الوطني ضد المستعمر الدخيل، تحوّل في بعض الأحيان إلى نضال وصراع بين الأحزاب نفسها. وبين فرق المقاومة والعصابات. ثم سرى سعيره إلى قادة المقاومة والتنظيمات، و«تكتّل» بعضهم ضد بعض أو إلى جانب بعض.

وبقي الشارع «موزّع» الولاءات.. والشعب يُداس بأقدام هذا أو ذاك.

وتحـوّل «المناضلـون» إلى «خصـوم» يتقاتلون. نسـوا الشـعب وحاجاته ومطاليبـه. نسـوا من أوصلهم إلى مراكز القيادة.. نسـوا أنهم أمام مسـتعمر محتلّ مغتصب دخيل.

وتخلّفوا عن الشـعارات التي كانـوا يرفعونها، وارتبـط ولاء البعض منهم بالشرق أو بالغرب.

كانت الغاية الرئيسـية لبعض الحـركات المختلفة، الوصول إلى السـلطة والزعامة فكانت الدسـائس تُحاك، والتملّق يزداد، والرشاوى تُدفع، والإرهاب يُقترف، والوصولية تظهر. وكان كل شيء مُباحاً.

وعاشـت العقيدة كاليتيم داخل نفوس البشـر، لا تستطيع أن تنتصر، ولا أن تنتشر.

كان العـالم يتطوّر، والعـالم العربي ينحدر ويغوص في القـاع. والوطن في تراجع مسـتمر، والمجتمع راكد مخدّر يغطّ في سبات عميق، كالميت لا حراك فيه.

وعادت إلى الظهور، في عموم الوطن العربي، دعاوى الجاهلية القبليّة التي تجاوزها الإسـلام، وحثّ على تركها. «دعوها فإنها منتنة» تظهر على السطح من جديد.

فرعونيّة بربريّة كرديّة آشـورية طاجيكية فارسـيّة أمازيغيّة شيشـانيّة «قوميات» لم نسمع بها إلاّ اليوم كان الإسلام قد أذابها في بوتقته.

ولكـن غذّاها خصوم العرب مـن الغربيّين، والصهاينة والمرتزقة، لتنتشـر انتشارًا واسعًا.

تحوّلت المفاهيم التي نعرفها، للأُمة والوطن والعروبة إلى مفاهيم إقليمية ضيّقة بائسة.

وتحوّلـت الصراعات بين فصائل الثوّار، إلى صدامات بالأسـلحة المختلفة، للبحث عن مكاسب شخصية آنيّة تافهة.



وهكذا تآمرت فرنسـا وبريطانيا على العرب، وأسهمت الصهيونية الحاقدة في حملتهم، فهم يكرهون العرب والمسلمين كرهًا عميقًا. وقد تأصّل ذلك الكره في «تلمودهم» وكتبهم الدينية.

هـم يكرهون كلّ ما يمتّ إلى العرب والمسـلمين بصلة. وهم يشـيعون بأنّ

العربي يتمّيز بضعف حسّــه الاجتماعي، والولاء القومي وبإقليمية تفكيره، وهو يحصر اهتماماته وولاءاته في نفسه وأسرته فقط.

لكنّ الثورة الســورية استمرت طيلة هذه الفترة دون إمدادات تُذكر. إلا ما غنمه الثوّار من الفرنســيين، أو ما تركه الأتراك حين انسحابهم. بينما كانت الإمدادات العسـكرية الفرنسـية، تتوالى على القيادة الفرنسية في سورية، وكلمــا قضى الثوّار على حملة من الحملات، أو فرقة من الفرق، كانت فرنســا تبعث جنودها، وبأعداد تفوق كثيرًا ما أباده الثوّار.

وكان جُلّ أسلحة الثوّار، من مُخلّفات الجيش التركي، بِينما استخدم الجيش الفرنسي، أحدث الأسلحة، من دبابات ومصفحات ومجنزرات وطائرات. حتى العربـات لم تكن موجـودة لدى الثوار، فقــد كانوا يســتخدمون الدّواب في تنقّلاتهم.. والخيول في قتالهم.

وكان الجنود الفرنســيون، من الضباط والجنرالات، مدرّبين تدريبًا عاليًا، يواجهون بســطاء مــن عامة الناس، أخذتهــم الحميّة الوطنيّــة للدفاع عن بلادهم.

لكل هذه الأســباب وغيرها توقفت الثورة. فالأنهار إن لم ترفدها السواقي تجفّ.



ونحن أمة تنتمي إلى جذورها التاريخية، ولا بدّ لِنا - كأبناءِ لهذا الوطن - من إثارة الحسّ الوطني في جيل الشــباب، وأفراد الأُمة والمجتمع، لربط تاريخ هذه الأمة بتراثها، وإحكام صلتها بماضيها الناصع التليد، واســتذكار أمجاد الماضي، لبناء أمجاد شبيهة بها.

نحــن أمة تربطنا لغة ودين وتاريخ مشــترك. والعروبة على مِدى تاريخها ترتبط بالإســلام قلبًا وقالبًا. والعرب أمة روحها الإســلام. وإن أُخرجت هذه الروح، أمسى «جيفة» لا تُطاق.

وتحقّق استقلال البلاد، وكان الجيش العربي قد تسلم المسؤولية الوطنية في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦م، بعد صراع مرير مع الاحتلال، وبفضل الدماءِ الطاهرة التي بذلها أبنــاء هذا الوطن. وكان جلاء القوات الأجنبية، الثمرة الأولى لنضال هذا الشــعب، وما قدّمــه من تضحيات وبطولات رائعة. ستظلّ تذكرها الأجيال.

وتدرك الشعوب، أن الاستعمار وأعوانه لا يستسلمون بسهولة، وسيحاولون

«غزونا» من جديد - بوساطة أداتهم الطيّعة «إسرائيل» - عسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا... فعلينا أن نكون في يقظة تامة، ومستعدين للتضحية. من جديد... فأطماع الاستعمار والصهيونية ما زالت قائمة، والعالم الأوربي مشحون بالتآمر والتنافس، ومهووس بالتغيير ورسم الخرائط.

وقوى الشّر والبغي والعدوان، قوى عنيدة وشرسة، وهي تحاول بكل ما أُوتيت من قوة عسكرية وغدر وخيانة ومكر وخداع، أن توقف مسيرة أُمّتنا، كما تحاول أن تضرب في كل مكان من الوطن العربي. فالأخطار ما زالت قائمة، والمعارك ما تزال تنتظرنا، وعلى عواتقنا تقع مسؤولية التحرير، وعلينا أن نحشد كلّ امكاناتنا لليوم الموعود.

فقد ولد المارد العربي..!!

وهو يتقدّم «حماة الديار..!!»

هاتفًا...»اللّه أكبر...!!»

إلى الإمام... إلى الأمام...



● ● ● وأنا أقول... :

منذ أن تسلّم الأتراك الحكم في الدولة العباسية، حدث الشرخ والتخلخل والتحلّل في كيان الدولة.

انتقل الأمر من أيدي العرب - حرّاس الإسلام وأصحاب اللغة - إلى غير العرب. يوم ارتأى «المعتصم»(٢٩). تكوين القوّة العسكرية في جيشه من الأتراك. حتى لا يكونوا طرفًا في الصراعات الدائرة، بين مختلف الفصائل. إذ لا مصلحة لهم فيها. وبنى لهم مدينة «سامراء» - سُرّ من رأى - حتى لا يختلطوا بغيرهم من الناس.

لكن سرعان ما تضخّمت هذه المؤسسة العسكرية وعظم شأنها، تبعًا لاتساع مهامها في مواجهة الثورات الداخلية، والتمردات والانشقاقات، والأخطار الخارجية من صليبيين وتتار.

وغدت مراكز الثقل بيد هؤلاء القادة. حتى صارت الدولة في قبضتهم، وتحوّلت الخلافة إلى لعبة في أيديهم فاستبدوا بالحُكم، وقتلوا بعض الخلفاء كالمتوكل.

(٢٩) المعتصم: هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، ولد عام ١٧٩هـ من أم تركية. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨هـ ولقب بالمعتصم بالله. استقدم الأتراك وكانوا محاربيين أشداء وولاهم قيادة الجيش وآثرهم على العرب.

صحيح أنهم دافعوا عن دولة الإســلام. لكن لم يكن لهم القلب الذي «هذّبه» الإسلام... ولم يكن لهم العقل الذي «روّضه» الإسلام... دخلوا الإسلام بخشونة الطبع، وجهالة العقل... يحملون معهم ألوية الظلم.

لهذا كله... لم يُشــرق الإسلام بأنواره في قلوبهم، ولم يتذوقوا طلاوة القرآن وحلاوته في نفوســهم، لصعوبة إدراكهم لمعانيــه. وتلك حقيقة يعترف بها كبار العلماء. لبسوا الإسلام على أبدانهم، لكنه لم ينفذ إلى وجدانهم.

لقد حدث الشــرخ في الدولة العثمانية يوم اســتُبعد العنصر العربي، باعث مجد الأمة، وصانع تاريخها وحضارتها. وتزلزل كيان الدولة وأركانها من القواعد، وتحوّلت شــخصية الأمة وطابعها المتميز إلى هامــش حضاري فمات ضميرها وتخدّرت مشــاعرها وحواســها وخبا ضوءها المتألق ودفنت حضارتها الإنسانية الزاهرة، وامتلأ الجدار بالثغرات.

لقد لعبــت فرقة «يهود الدونمة» دورًا رئيســيًا، في ســحب خيوط القومية التركية من النسيج الإسلامي، فحرموا من عطائه.

وتحت «العباءة التركية» استطاع الفكر الصهيوني، أن يزرع في قلوب الأتراك، نظريــة انتمــاء الأتراك إلى «الجنــس الآري»، المتفوّق والمتقــدّم على الجنس الســامي. وأنَّ الانحطاط سببه الإســلام - «كما يفعل المستعربون اليوم..!!» - ولا خلاص للأتراك إلا بالتخلص من إسلامهم، وفكّ ارتباطهم بالإسلام.

فاستُبدل الإسلام بالقومية الطورانية. وبالعصبية القبلية المنتنة التي كان الإسلام قد تجاوزها.. فعادت من جديد. مما أدّى إلى تفسّخ وحدة الإمبراطورية العثمانية واقتسامها واستلاب أطرافها.

والــذي قــام بالانقــلاب في تركيا عــام ١٩٠٨م، وسُــمّي فيما بعــد بانقلاب المشــروطية أو «الدستور»: هو الفريق «محمود شوكت باشا البغدادي» – «قائد الفيلق الثالث» – في «سالونيك»، ومعه عصابات البلغار، وزحف بهم إلى العاصمة اســطنبول واحتلها. ورفض السلطان عبد الحميد الثاني مقاومته، حرصًا على دمــاء الأمة من أن تراق هدرًا. وخلــع مجلس المبعوثان - المؤلف من الاتحاديين - الســلطان عبد الحميد، ونصّبوا أخاه «محمد رشاد» - باسم السلطان محمد الخامس - ثم أعدموا ونفوا كل مَنْ كان ضدهم، واستولوا على وظائف الدولة.

وقد قام «أنور باشا» - بطل الحرية - بقتل وزير الحربية «ناظم باشا»، واغتصب الحكم، وألف الوزارة «سعيد حليم باشا» - حفيد محمد علي باشا - الذي دخل الحرب العالمية الأولى في ١٤ آب ١٩١٤م إلى جانب ألمانيا والنمســا وإيطاليا ضد إنجلترا وفرنسا وروسيا وكانت الهزيمة وتقطيع أوصال الإمبراطورية.



الجنرال إدموند هنري إللنبي



الملك عبد العزيز آل سعود



ناظم باشا



جمال باشا (الصغير) المرسيني



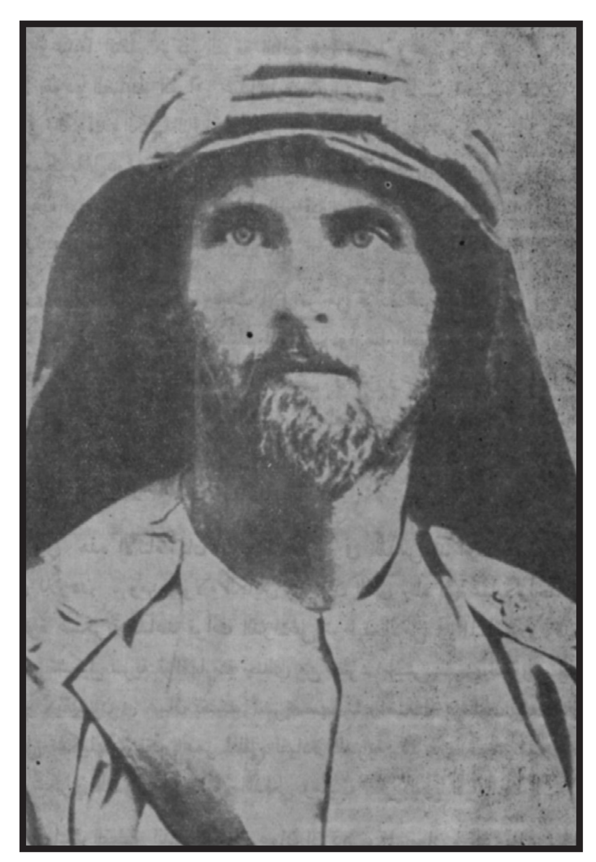
فخري باشا



الجنرال كلوب باشا



عودة أبو تايه



الجنرال بيك باشا



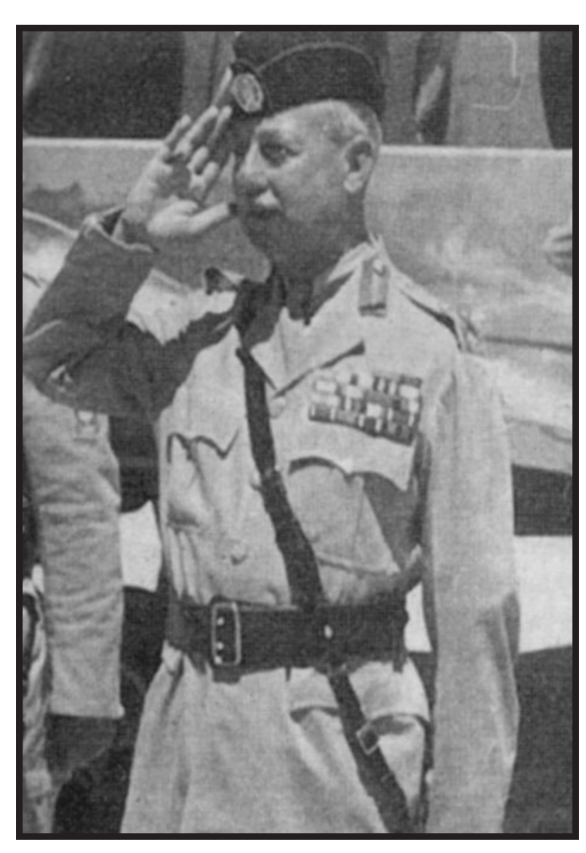
فخري البارودي



محمد فوزي باشا العظم



محمد شريف الحجار



الجنرال جون كلوب باشا

الباب الثالث

الفصل الأول

الفترة الفيصلية

كان السبب المباشر الذي أشعل نار الثورة ضد الأتراك، هو رفض جمال باشا السفاح، العفو عن قافلة من الوطنيين العرب، والتي أحالها الطاغية السفّاح للديوان العرفي لإعدامهم.

وقد سعى الأمير فيصل، عند وصوله لدمشق في أوائل عام ١٩١٦م، أن يُقنع جمال باشا السفاح بالعفو عن هؤلاء، والإفراج عنهم، مقابل تأليف جيش عربي، يقاتل مع الجيوش العثمانية في جبهة السويس.

لكن جمال باشا السفّاح رفض إلاّ إعدامهم فكتب فيصل إلى أبيه - أمير مكة الحسين بن علي - عن رفض السفّاح العفو عنهم، وإصراره على البطش برجالات العرب وهذا سرّع في إشعال نار الثورة ضد الأتراك.

كانت قافلة الشهداء الأولى، التي أصدر الحكم عليهم جمال باشا السفّاح بالإعدام، قد نفّذ الحكم بهم شنقًا، في صباح الحادي والعشرين من آب عام ١٩١٥م في مدينة بيروت. وقد ضمّت هذه القافلة[٣٠]:

محمد المحمصاني، محمود المحمصاني، عبد الكريم الخليل، نور الدين القاضي، عبد القادر الخرسا، علي الارمنازي، سليم عبد الهادي، محمد نجا العجم، نايف تللو، محمد مسلم عابدين.

لم يكتف جمال باشا السفاح بالقائمة الأولى من الوطنيين الأحرار الذين أعدمهم في بيروت، بل قدَّم قافلة أخرى من الشهداء، وأعدمهم شنقًا، في كلّ من بيروت ودمشق في السادس من أيار عام ١٩١٦م.

وقد ضمّت هذه القائمة، أبطالا أعدموا في بيروت وهم:

سعيد عقل، أحمد طبارة، عبد الغني العريسي، عمر حمد، أمين لطفي الحافظ، باترو باولي، جرجي الحداد، الأمير عارف الشهابي، محمد الشنطي، توفيق البساط، عبد القادر الجزائري، سيف الدين الخطيب، محمود جلال الدين البخاري، علي الحاج عمر.

(٣٠) كتاب (نضال شعب وسجل خلود)، ص٣٨٩ لمؤلفه (جميل العلواني).

مجازر السفاح وقوافل الشهداء

قام أقطاب «الاتحاديين» – الطورانيين – بالتنكيل بزعماء العرب ومفكريهم، وزعماء الأحزاب العربية. وحوكم كبار الرجال الوطنيين من زعماء الحركة الإصلاحية، في محاكم الاتحاديين، وحُكم عليهم بالإعدام، وتم إعدام ، عبد الحميد الزهراوي(٣١) ورفاقه(٣٢) في ساحة المرجة بدمشق.

وكان كبار المغالين الأتراك يقولون: «إن لم نعامل العرب كما نريد، عاملونا بما نستحق»، فذهب قولهم مثلاً.

كما تمَّ إبعاد فريق من الإصلاحيين الأتراك، الذين يتزعمهم أنور باشا، وجاويد باشا(٣٣) وزير المالية، وسعيد حليم باشا وشقيقه عباس حليم باشا عن الحكم أو تمّ اغتيال بعضهم كـ«ناظم باشا»، أو أقيلوا كوالي بيروت «أدهم باشا» حتى استطاع الاتحاديون إحكام قبضتهم الحديدية على البلاد، بإسقاط وزارة «كامل باشا»، واستيلائهم على مقاليد الحكم.

وراح صاحب جريدة «طنين» – «أحمد شريف بك» – يؤجج العنصرية «الطورانية» التركية بقوله: «لا يزال العرب يلهجون بلغتهم «العربية».

وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تامًا، كأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك. فمن واجبات الباب العالي، أن يُنسيهم لغتهم، ويجبرهم على تعلّم لغة الأمة

---

(٣١) عبد الحميد الزهراوي: ولد في حمص عام ١٨٥٥م، وتعلّم في المدرسة الرشدية، أتقن التركية، ودَرَس علوم اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث. أصبح محررًا في جريدة المنير، ثم أصدر جريدته الأسبوعية «الحضارة» في «الآستانة». وانتخب رئيسًا للمؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣م، وطالب مع عبد الغني العريسي الحكومة العثمانية بحقوق العرب المشروعة. وانتخب عضواً في «مجلس المبعوثان». ساقه جمال باشا السفاح مع قافلة الأحرار إلى ساحة الإعدام في السادس من أيار ١٩١٦م، حيث نفذ فيه حكم الإعدام شنقًا في دمشق.

(٣٢) قائمة الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا السفاح. المصدر نفسه ص ٣٨٩، و(كتاب مرآة الشام ص٣٩٨ لمؤلفه عبد العزيز العظمة). عبد الحميد الزهراوي شفيق المؤيد العظم، رشدي الشمعة، شكري العسلي، عبد الوهاب الإنجليزي، الأمير عمر الجزائري، رفيق رزق سلوم.

(٣٣) أحمد جاويد: من أبرز أعضاء حزب «الاتحاد والترقي» – ووزير المالية التركي. من يهود «الدونمة» الذين تظاهروا باعتناقهم الإسلام، وهو ابن تاجر من «سالونيك»، تخرّج من المدرسة الملكية الشاهانية، وشغل مناصب عديدة في تركيا، وأظهر كفاءة عالية، وأبرزته الصهيونية، فأصبح «نائبًا» ثم «وزيرًا» للمالية اتُهم عام ١٩٢٦م بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال مصطفى كمال «أتاتورك» – رئيس الدولة – فحوكم وشُنق... تبيّن فيما بعد أنه كان مرتبطًا مع فرنسا على أثر القروض التي عقدها لحساب الدولة، وتعهّد للفرنسيين بأن لا تدخل تركيا في حرب ضدّها.

التي تحكمهم. والعرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم، فإنهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً لاسترجاع مجدهم الضائع، وتشييد دولة عربية جديدة، على أنقاض دولة الأتراك.

لهذا قرّر غلاة الاتحاديين «حسم المسألة العربية» وسحق واستئصال العناصر العربية وبتر الأعضاء من العناصر التركية، التي يُخشى أن تضعف، وإحياء كل ما هو «طوراني».

قام «الاتحاديون» الأتراك – عبر سلسلة من الإجراءات التعسفية – بحملة شعواء على «الرموز الوطنية» في البلاد العربية.

فقد حاولوا استبدال شريف مكة الحسين بن علي، بالشريف علي حيدر، لكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع.

كما حاولوا إرسال حملة تركية إلى العراق بقيادة «جاويد باشا»، وتعيينه حاكمًا عسكريًا.

ثم إرسال حملة للدول العربية، للقضاء على فكرة القومية العربية وقاموا بإقفال المنتديات الأدبية، وإغلاق الجمعيات العربية، واغتيال الزعماء الوطنيين، وتعيين ضباط أتراك بدلهم، وفرضوا الرقابة على الرسائل والبرقيات، ومنعوا الموظفين من الاشتغال بالسياسة، وأغلقوا بالشمع الأحمر مكاتب اللجان الوطنية، والأندية العربية وضبط أوراقها وملاحقة مؤسيسها، وملاحقة الوطنيين والثوار، والحكم عليهم بالسجن أو النفي.

وبعد أن أعلنت تركيا، دخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، قسمت الدولة العثمانية إلى أربع مناطق عسكرية ليسهل إدارتها: فكان الجيش الأول في الدردنيل. والجيش الثاني ومقرّه في الآستانة. والجيش الثالث على حدود البلقان. وأما الجيش الرابع فكان مقرّه في دمشق.

وكان زكي باشا الحلبي قائدًا للجيش الرابع، ولكن عند بدء الحرب، سرعان ما استبدل بوزير الحربية «جمال باشا السفاح».

غادر جمال باشا الآستانة في ٢١ تشرين الثاني عام ١٩١٤م، ووصل سورية في أوائل كانون الأول ١٩١٤م، متظاهرًا بكره «الاتحاديين» والميل إلى العرب، وأخذ يقرّب الأحرار الوطنيين في سورية والعراق منه، ويستشيرهم وينفّذ رغائبهم، إلى أن أمنوا جانبه وأخلصوا له، فاستخدم بعض الذين كانوا واسطة التفاهم بين الأتراك والعرب كالشهيد عبد الكريم الخليل، وقاسم الخليل وغيرهم من الوطنيين العرب، لتنفيذ خطته وحملهم على إقناع الضباط العرب وقادتهم، بقبول وظائف عسكرية أو مدنية كبيرة في بلاد الأناضول، وعلى حدود جبهات القتال، بحجة أن الدولة بحاجة إلى خدماتهم، ثم ما

لبث أن أغلق «معهد صف الضباط»، وشرّد نيّفاً وخمس مئة ضابط من خيرة الضباط العرب.

وقام بتفريق كتيبة الضباط العرب هذه وإرسال أفرادها إلى ميادين القتال في الدردنيل والقوقاز، والأماكن النائية في خطوط النار فقد أزعجته «أناشيدهم الوطنية» في الحفلة التي أقامها «النادي العربي» وحضرها جمال باشا السفاح وفي الوقت نفسه قرّب إليه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وجعله طبيبه الخاص، والوطني الجبّار عبد الكريم الخليل تمهيدًا للبطش بهما فقد كانت «فراسته» بالرجال الوطنيين الأحرار لا تخيب.

وفوجئ الناس – بعد فشل الحملة التركية في قناة السويس – في أواخر شهر حزيران / يونيو ١٩١٥م، بنبأ اعتقال المناضلين:

. عبد الكريم الخليل «مؤسس المنتدى الأدبي»	الشيّاح – لبنان
. رضا الصلح	لبنان
. صالح حيدر	بعلبك - لبنان
. مسلم عابدين «صاحب جريدة دمشق»	دمشق
. نايف تللو «مراسل جريدة المقتبس»	البقاع - لبنان
. محمد المحمصاني «المحرر بجريدة المفيد»	بيروت
. محمود المحمصاني	بيروت
. عبد القادر الخرسا	دمشق
. محمد محمود نجا العجم	فلسطين
. سليم عبد الهادي	جنين - فلسطين
. نور الدين القاضي	بيروت
. علي الأرمنازي «صاحب جريدة نهر العاصي»	حماة

وقدّم السفّاح النّخبة المثقفة إلى «ديوان الحرب العرفي» في «عاليه» - بلبنان - متهمين بتشكيل الجمعيات اللامركزية السرّية والحركات الثورية ضد الدولة التركية.

ولشد ما كانت دهشة الجميع، عندما علموا بأن الموقوفين قد عُلقوا على أعواد المشانق في بيروت، في صباح الحادي والعشرين من آب عام ١٩١٥م.

وهناك حادثة حصلت بعد أن قدّم والي دمشق «خلوصي بك» استقالته، احتجاجًا على انتهاك جمال باشا السفاح القوانين والأنظمة والاعتداء عليها، وقد نصح «الوالي» الدكتور الشهبندر بالتواري عن الأنظار خوفًا من فتك السفاح به.

بعد أن قام إمبراطور ألمانيا «غليوم الثاني» في السنة الثانية للحرب الكونية بتقديم هدية عبارة عن «قنديل» ليعلّق على ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي، فتقرّر أن يُقام احتفال بهذه المناسبة، في شهر أيلول عام ١٩١٥م في الجامع الأموي وأن يخطب في هذا الاحتفال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر باللغة العربية، ووالي دمشق «خلوصي بك» باللغة التركية، والبارون «اوبنهايم» باللغة الفرنسية، ويختتم الاحتفال جمال باشا السفاح باللغة التركية. وانتهز الدكتور الشهبندر الفرصة، فتكلم عن صلاح الدين الأيوبي، وعدله وسعة صدره وإنصافه، حتى في معاملة أعدائه وقال: «وما على جمال باشا إذا أراد أن يسجل التاريخ اسمه، كما سجل اسم صلاح الدين الأيوبي ألا أن يسير على منواله».

وما كاد الدكتور الشهبندر ينتهي من كلمته، حتى تقدّم جمال باشا ووقف خطيبًا - دون أن يتقيد ببرنامج الاحتفال - وقال:

«ليس السلطان صلاح الدين الأيوبي - الذي أسهب الدكتور الشهبندر في مدحه - الخليفة الوحيد في عظمته، بل أن التاريخ سجّل اسم السلطان سليم بين كبار الخلفاء، مع أنه فتك بإخوته وبأهله وبرجال دولته، لأنه وجدهم قد تآمروا عليه، وهدّدوا الإمبراطورية الإسلامية وسيأخذ القانون مجراه في معاقبة الذين تجرؤوا على معاداة الدولة، والتآمر على سلامتها.»

ولم ينقض بضعة أشهر، حتى نفى جمال باشا السفاح الوطنيين وملأ السجون بالمَعتقلين، وبثّ الرعب والإرهاب في قلوب المواطنين. وقلب للعرب ظهر المجنّ فنصب المشانق، وطرق المنافي، وأبواب السجون للأحرار: فشنق الشيخ عبد الحميد الزهراوي «الصحافي المحرر في جريدة المنير»، وسجن بطرس البستاني «صاحب جريدة نفير سورية»، وإبراهيم اليازجي «صاحب مجلة الضياء»، ومحمد رشيد رضا «صاحب جريدة المنار»، وطارد الإمام محمد عبده «صاحب جريدة الوقائع»، وعبد الرحمن الكواكبي «صاحب جريدة الشهباء».



وقد اشتهر جمال باشا السفاح بقسوته وشدته وتفنّنه في طرق القتل والاغتيال، وجرأته على سفك دماء الأبرياء.

وقد اختارت «جمعية الاتحاد والترقي» جمال باشا السفاح، لأنها رأت فيه أنه أقدر الرجال على تنفيذ خطتها بـ«تتريك» البلاد العربية.

ثم رأى جمال باشا السفاح، أن يُثبت عدالة مجلسه العرفي للملأ فنشر في السابع من مايو / أيار ١٩١٦م / ١٣٣٤هـ بيانًا في الصحف السورية يقول فيه: «لقد تمّ القصاص من بعض الأشخاص المنتمين إلى «حزب اللامركزية»، والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي في «عاليه» والتحقيقات جارية بحق أعوانهم الأشرار.

إن الوثائق السرية التي اكتشفناها، واعتراف (عبد الغني العريسي) صاحب جريدة «المفيد» الذي أُلقي القبض عليه، واعتراف (سيف الدين الخطيب) عضو محكمة بداية حيفا، و(رفيق رزق سلوم) الصحافي الشاعر ضابط الاحتياط، لاشتراكهم في جمعية مقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية، وجعلها إمارة مستقلة.

فحكم ديوان الحرب العرفي، على أفراد هذه القائمة بالإعدام:

- شفيق المؤيد العظم[٣٤] «عضو مجلس المبعوثان» — دمشق
- الأمير عمر بن الأمير عبد القادر الجزائري [٣٥] — دمشق
- عمر بن مصطفى حمد «الأديب والشاعر» — لبنان
- رفيق بن موسى رزق سلوم «مؤلف حقوق الدول» — حمص
- محمد بن حسين الشنطي — طولكرم
- شكري بن بدري بن علي العسلي[٣٦] — دمشق

(٣٤) شفيق المؤيد العظم: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٥٧م، ودرس في مدارسها، وأكمل دراسته في تركيا. كان من طلائع النهضة العربية في أواخر العهد التركي، كما كان من مؤسسي (جمعية الإخاء العربي) في تركيا. انتُخب شفيق العظم نائبًا عن دمشق في مجلس (المبعوثان)، ووقف في إحدى جلسات المجلس، يدافع عن حقوق العرب، ويهاجم سياسة «التتريك»، التي يمارسها الحكام الاتحاديون، فردّ عليه «طلعت باشا» – الصدر الأعظم ومن كبار مؤسسي «جمعية الاتحاد والترقي»، ردّ بقوله: «إنَّ كلَّ مَنْ يتهجم على سياسة الدولة يُعتبر خارجًا عليها». واعتبر شفيق المؤيد العظم كلام «طلعت باشا» اتهامًا له بالخيانة، فتقدم منه وصفعه صفعة قوية على وجهه، أطارت الشرر من عينيه، وكادت تتحول إلى معركة بالأيدي لولا تدخّل أعضاء المجلس. وقد أثار هذا الحادث، حقد ونقمة الأتراك، وكان شفيق المؤيد العظم أحد الرجال الوطنيين الأحرار الذين نفّذ فيهم «أحمد باشا السفّاح» حكم الإعدام شنقًا في ساحة المرجة بدمشق، على أرجوحة الأبطال، في السادس من أيار عام ستة عشر وتسعمئة وألف. وانضم إلى قافلة الشهداء، أعلام الوطنية والثقافة والعلم، الذين صنعوا الاستقلال. وتخليدًا لذكراه، أُطلق اسمه على الشارع الممتد بين الجسر الأبيض، ودوار ركن الدين في شارع الشهبندر.

(٣٥) الأمير عمر بن الأمير عبد القادر الجزائري «الكبير»: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٧١م، وعمل مع الشباب العرب من أجل القضية العربية. ولمَا قرر جمال باشا السفاح البطش بهؤلاء الأحرار أخذ يطاردهم فتواروا عن الأنظار. ووعد السفاح أسرته أن لا يمسه بسوء فسلّمته أسرته إليه. لكنه نقض عهده، وقدّمه إلى الديوان العرفي في عاليه، فحكم عليه بالموت بتهمة أنه كان واسطة التعارف بين شكري العسلي، والمناضل الشهيد عبد الوهاب الإنجليزي وقنصل فرنسا، وأنه كان يتقاضى الأموال من المعتمد الفرنسي. وقد أُعدم شنقًا في ساحة المرجة بدمشق فجر يوم السبت السادس من أيار ١٩١٦م، وانضم إلى قوافل الشهداء

(٣٦) شكري العسلي: ولد عام ١٨٦٨م في مدينة دمشق. حصل على شهادة الحقوق، وعيّن قائمقامًا في «قونيه»

- عبد الغني بن محمد العريسي «صاحب جريدة المفيد» دمشق
- عارف بن محمد الشهابي «جريدة صدى المفيد» حاصبيا - لبنان
- توفيق بن أحمد البسّاط «جمعية العربية الفتاة» صيدا
- سيف الدين بن أبي النصر الخطيب «المنتدى الأدبي» حيفا
- الشيخ أحمد بن حسين طبّارة «صاحب جريدة الاتحاد» فلسطين
- عبد الوهاب بن أحمد الإنجليزي(٣٧) دمشق
- سعيد بن فاضل عقل «رئيس تحرير جريدة النصير» لبنان - بيروت
- باترو باولي بيروت
- جرجي بن موسى الحداد(٣٨) جبل لبنان - زحلة
- سليم بن محمد سعيد الجزائري دمشق
- علي بن محمد بن حاجي عمر دمشق
- رشدي بن أحمد الشمعة «الشاعر والكاتب المعروف» دمشق
- أمين بن لطفي بن محمد الحافظ(٣٩) حلب
- محمود جلال الدين بن سليم البخاري(٤٠) دمشق

- بالأناضول - ثم في مدينة الناصرة في فلسطين. انتُخب نائبًا في مجلس (المبعوثان) التركي عام ١٩١١م عن مدينة دمشق، ثم عمل في مهنة المحاماة، وأصدر جريدة (القبس). عُيّن مفتشًا لولاية حلب، إلا أنه تعرّض لنقمة الطغمة الحاكمة من الاتحاديين الأتراك لمناداته بالمركزية، فحكموا عليه بالإعدام. وأعدم شنقًا في ساحة المرجة، مع باقي شهداء السادس من أيار ١٩١٦م. ويُعتبر الشهيد شكري العسلي أول من نبّه في مجلس (المبعوثان) إلى استفحال أمر الحركة الصهيونية.

(٣٧) الثائر عبد الوهاب الإنجليزي: ولد في قرية «المليحة» من قرى غوطة دمشق عام ١٨٧٨م، وتلقى دراسته في المدرسة «الجقمقية الرشدية». ثم ألغيت هذه المدرسة عام ١٨٩٣م، ونقل طلابها إلى الصفوف المعادلة لصفهم في مدرسة مكتب عنبر الإعدادية بدمشق. ذهب الشهيد عبد الوهاب الإنجليزي مع زميله «الشهيد شكري العسلي» إلى اسطنبول، ودخلا الصف الأول من القسم الإعدادي، ثم دخلا المدرسة الملكية الشاهانية وتخرّجا منها عام ١٩٠٢م. من أعضاء حزب اللامركزية العربية. ألقى جمال باشا السفّاح القبض عليه، وأعدمه مع قافلة الشهداء الثانية شنقًا في ساحة المرجة، في يوم السبت السادس من أيار ١٩١٦م. وسمّيت عائلته «بالإنجليزي» لأن جدّهم الرابع كان عصبي المزاج فكان يُقال له: «إنك مثل البارود الإنجليزي»، فغلبت هذه «الكنية» عليه.

(٣٨) جرجي (جورج) الحداد بن موسى: أديب وشاعر، ولد في مدينة زحلة بلبنان، وانتقل صغيرًا إلى دمشق وتعلّم في مدارسها. حرّر جريدة «العصر الجديد»، ثم جريدة «الراوي» الأسبوعية، فمجلة «النعمة». حكمت عليه المحكمة العُرفية التركية في «عاليه» بالإعدام، وانضم إلى قافلة الشهداء الذين أعدموا في بيروت، صباح السادس من أيار ١٩١٦م / ١٣٣٤هـ.

(٣٩) الأميرالاي أمين لطفي الحافظ: من كبار ضباط الأركان في الجيش العثماني، ومن أعضاء جمعية العهد. حوكم في المحكمة العسكرية التركية في «عاليه»، وحكم عليه بالإعدام، وانضم إلى قافلة الشهداء الذين أعدموا في السادس من أيار ١٩١٦م، باعتباره رئيس حزب العهد العسكري في حلب، وكان شجاعًا حتى في ساعة إعدامه. وقد أُحرقت وأُتلفت جميع آثاره الكتابية.

(٤٠) محمود جلال الدين البخاري: ولد عام ١٨٩٠م، ودرس في مكتب عنبر بدمشق، وفي المدرسة الملكية الشاهانية في اسطنبول، وتخرّج من كلية الحقوق التركية عام ١٩١٣م. كان عضوًا في «المنتدى العربي»، وساهم في الدفاع عن حقوق العرب. حكمت عليه المحكمة العرفية التركية في «عاليه» بالإعدام، ونفّذ حكم الإعدام شنقًا في

لثبوت اشتراكهم في هذه المؤامرة بصورة فعلية من الدرجة الأولى وحكم على الذين شاركوا في هذه الدسيسة بصورة فرعية:

- سالم بن مصطفى مظلوم (بالسجن ٥ سنوات في سجن القلعة)
- توفيق بن محمد الناطور (بالسجن ١٠ سنوات)
- يوسف بن مخيبر سليمان (بالسجن ١٠ سنوات)
- حسين بن خليل حيدر (بالسجن ١٥ سنة)
- رياض بن رضا الصلح (النفي المؤبد)
- الأمير طاهر بن أحمد الجزائري (السجن ١٠ سنوات)

وبراءة ومنع محاكمة: محمد كامل الهاشم، إبراهيم القاسم، سامي العظم، الشيخ جمال الدين الخطيب، عبد الحميد معلم الرسم، محيي الدين فريحة، حسين صبري البيطار، رشد الغزي، عاصم بسيسو الغزي، عزت الأعظمي، مصطفى الكيلاني، عبد الرحيم حنّون، الدكتور حسام الدين، الشيخ فتح الله، حسين صبري، الدكتور أحمد قدري، سليم الطيارة، جميل الحسيني، المفتي سعيد الباني، سليم الشمعة، سليم البخاري، فايز الخوري، رشيد الحشيمي، عمر الأتاسي، البكباشي علي رضا، الدكتور قازما، سعيد عدرة، الدكتور عبد الحفيظ، اليوزباشي جميل، فريد باشا اليافي، عثمان العظم.

وذكر البيان: أن حكم الإعدام نُفّذ بالذين صدر بحقهم حكم الإعدام صباح اليوم في دمشق، والآخرون جرى إعدامهم في بيروت، وسيق جميع المجرمين إلى منفاهم وسجونهم».

بعد هذه المجزرة الرهيبة، التي قام بها جمال باشا السفّاح، بإعدام القافلة الثانية من شهداء السادس من مايو / أيار ١٩١٦م، وما أثارته من ضجّة واحتجاجات في جميع أنحاء الوطن العربي اضطر «الاتحاديون» - الحاكمون في تركيا – إلى استدعاء جمال باشا إلى الآستانة فعاد إلى بلاده عودة المهزوم المنكسر الفاشل، وقد تلاشت أحلامه، وأنهارت آماله، في تأسيس عرش له في دمشق يتمتع به ثم يورثه لأولاده بعد مماته.

وبقي اليوم السادس من أيار من الأيام الخالدة في الذاكرة العربية، به بدأت معركة التحرر العربية، وبه تجسدت قيم الشهادة والشهداء.

وكانت فرنسا قد قامت وبإيعاز من جهاز المخابرات البريطانية، بإيداع خزانة القنصلية الفرنسية في بيروت (لائحة) تتضمن أسماء شخصيات عربية قامت بالتعاون معها في سورية ولبنان، هادفة من وراء ذلك وضع العرب والأتراك في

بيروت، صباح يوم السبت السادس من أيار ١٩١٦م / ١٣٣٤هـ، ودُفن في مقبرة «الرمل». ونُفيت أسرته إلى بلاد «الأناضول» والتي تُعني بلاد مشرق الشمس.

مجابهة مع بعضهما البعض. ولتحقيق هذه الغاية كان لا بدّ للفرنسيين أن يضحّوا ببعض الذين كانوا يتعاونون معهم. وقد وجدت السلطات التركية هذه اللائحة في خزانة مخفية في إحدى جدران القنصلية الفرنسية بعد اقتحامها، مع المبالغ التي قبضها هؤلاء للعمل مع الفرنسيين. وقد دسّت هذه اللائحة عميلة المخابرات البريطانية «سارة آرونسون»[٤١] عشيقة جمال باشا السفّاح. وقد لعبت شبكة التجسس الصهيونية هذه والتي ترأسها (سارة) - حسب رواية الكاتب والصحفي التركي لطفي أكدوغان[٤٢] - دورًا كبيرًا في تسريب أسرار وخطط الهجوم التركي للإنجليز. وكان مركز شبكة التجسس الصهيونية في مستعمرة «عتليت» جنوبي حيفا.

ومن المعروف أن جمال باشا قد أعدَّ الجيش الرابع للهجوم على الإنجليز في قناة السويس في شباط / فبراير ١٩١٥م.

وقد أصدر جمال باشا السفّاح أمرًا باعتقال كل مَنْ وُجد اسمه في هذه «اللائحة» وأحالهم إلى المحكمة العسكرية العُرفية في «عالية». وكان أغلب هؤلاء ينتمون إلى عائلات مرموقة في بلاد الشام، وقد كان جمال باشا يستجوبهم ثم يُصدر بحقهم قرار الإعدام ويأمر بتنفيذه فورًا...

وقد عانى العرب كثيرًا من حكم «الطورانيين» الأتراك، وسياسة «تتريك» العرب، وذلك بإحلال اللغة التركيّة كلغة رسمية، محل اللغة العربية في المدارس، ودوائر الدولة الحكومية، ودور القضاء ممّا أثار حفيظة العرب.

وكان آخر انسحاب للأتراك العثمانيين من دمشق، في التاسع والعشرين من أيلول عام ١٩١٨م. وفي يوم الخميس الثالث من تشرين الأول من العام نفسه بعد أيام من خروج الأتراك، دخل فيصل الأول مدينة دمشق.

ثم كانت معاهدة (موندروس)[٤٣] بين تركيا وإنجلترا في الثلاثين من تشرين الأول ١٩١٨م، وأعلنت أول حكومة فيصلية، بعد دخول فيصل في الخامس من تشرين الأول ١٩١٨م.

---

(٤١) سارة أرونسون: عشيقة جمال باشا السفّاح وزير البحرية التركي وقائد الجيش الرابع كانت عضوة في شبكة التجسس الصهيونية الشهيرة باسم «نيلي» ومركزها مستعمرة «عتليت» (جنوبي حيفا بين رأس الكرمل والطنطورة على بعد ٢٠ كم) وقد لعبت هذه الشبكة دورًا كبيرًا بتسريب خطط وأسرار الهجوم التركي للسلطات البريطانية مما أدّى إلى فشل حملة السويس.

(٤٢) لطفي أكدوغان: صحفي تركي وُلد عام ١٩٣٠م في انطاكية، مارس مهنة الصحافة عام ١٩٥٠م. كان يتقن العربية انضم إلى «حزب العدالة» عام ١٩٦٥م ولمع نجمه كثيرًا وأقام علاقات ودّ وصداقة مع عديد من ملوك ورؤساء الدول العربية وأمراء الخليج. كتب قصة («سارة» المرأة التي هدمت الإمبراطورية العثمانية).

(٤٣) معاهدة موندروس: وقّع اتفاقية الهدنة في جزيرة (موندروس)، الأميرال البريطاني (كالتروب) وقد قبلت بها فرنسا على مضض، أملاً أن يتاح لها حرية التصرّف في وضع الهدنة على جبهات القتال الأخرى، فقد تابع الجنرال الفرنسي «مارشال» تقدمه في العراق، حتى احتل الموصل «المنطقة النفطية».

وقامت أوّل حكومة عربية، بعد أربعمئة عام من الحكم العثماني لكنّ الأحداث تسارعت بسرعة كبيرة، فقد احتلت فرنسا شواطئ بيروت في السابع من تشرين الأول عام ١٩١٨م، ورفع الفرنسيون العلم الفرنسي بدل العلم العربي، مُتحدِّين كل المشاعر العربيّة.

ثم ما لبثت فرنسا أن احتلت الشواطئ السورية في اللاذقية، في العاشر من تشرين الأول، وأكملت احتلالها في السابع من كانون الأول ١٩١٨م.

وأصدر الفرنسيون والإنجليز بيانًا في السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٨م يؤكد بأن فرنسا وإنجلترا قد حاربتا في الشرق «لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طويلة، تحت مظالم الأتراك، تحريرًا تامًا ونهائيًا، وإقامة حكومات وإدارات وطنية، تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارًا حرًا.».

إلا أن الشعب الذي تحرّر من حكم الأتراك، لم يقبل بالانتداب والاستعمار الفرنسي، ولن يقبل بغير الاستقلال التام بديلاً. وقد طلب الحسين بن علي، من ابنه فيصل التوجه من دمشق إلى باريس، لحضور مؤتمر الصلح مندوبًا عنه، وقد عقد المؤتمر في الثامن عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩م حضره الأمير فيصل ومحمد رستم حيدر.

وراح فيصل يطالب الحلفاء بتحقيق الوعود التي قطعوها لأبيه - شريف مكة الحسين بن عليّ - خلال الحرب العالمية الأولى.

إلا أنه واجه الواقع المحزن المؤلم: طُمست التواقيع وتبخّرت الوعود وحلّت أطماع «القويّ بالضعيف» وتفاقمت واستشرت.

كما اتضح للأمير أن الدولتين اتفقتا على اقتسام أراضي الإمبراطورية العثمانية، في معاهدة «سايكس – بيكو».

وتطبيقًا لهذه المعاهدة عيّنت بريطانيا – «دولة المراوغة والثعالب»- اليهودي الصهيوني «هربرت صموئيل» مفوّضًا ساميًا على فلسطين، كما عينت فرنسا الجنرال «هنري غورو»، مفوّضًا ساميًا على لبنان وسورية.

وقد قرّر المؤتمر: فصل البلاد التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية عن تركيا، واستفتاء سكانها في تقرير مصيرهم، وفي اختيار وصيّ لها يُنتدب عليها، ريثما تصبح قادرة على إدارة نفسها بنفسها.

وألقى فيصل في جلسة المؤتمر، في السادس من شهر شباط سنة ١٩١٩م خطابًا باللغة العربيّة، ترجمه له إلى اللغة الإنجليزية، الكولونيل الإنجليزي (لورنس).

طلب فيصل في خطابه من المجتمع الدولي، الاعتراف بالبلاد العربية،

كوحدة جغرافية مستقلة برئاسة أبيه الحسين بن علي، واستقلال سورية استقلالاً كاملاً، على أن تكون مرتبطة في شؤونها الخارجيّة بحكومة الحجاز. كما هاجم فيصل تقسيم البلاد العربية، وفق معاهدات سريّة، وجعلها (مناطق نفوذ) للدول الكبرى.

لكنّ المؤتمر قرّر في جلسته، في الحادي والعشرين من آذار عام ١٩١٩م تعيين لجنة دولية لاستفتاء سكان البلاد، التي كانت تخضع للدولة العثمانية.

وطالبت أمريكا بإرسال لجنة «كنج – كراين» لتقصّي الحقائق في سورية.

وفي طريق عودة الأمير فيصل لسورية، قابل رئيس الوزراء الفرنسي (كليمنصو) في السادس عشر من نيسان عام ١٩١٩م. فأخبره بأن الإنجليز سوف ينسحبون من سورية، وستحلّ الجيوش الفرنسيّة محل القوات الإنجليزية المنسحبة.

أجابه الأمير فيصل، بثقة المواطن العربي، بأن القوات العربيّة تكفي لتحل محل القوات الإنجليزية المنسحبة.

وأجابه (كليمنصو) بصفاقة وحماقة الفرنسيين: «إن فرنسا تأبى إلاّ أن ترفع علمها فوق أرض سورية، محروسًا من قبل قوّة عسكرية فرنسية ولو كانت قليلة العدد».

وتمّ استبدال القوات الإنجليزية - بالاتفاق مع الفرنسيين - بقوات فرنسية، في الخامس عشر من أيلول عام ١٩١٩م.

فالمستعمرون متفقون دائمًا في ألاعيبهم ودسائسهم ومؤامراتهم على الشعوب التي يحكمونها والتي ابتليت بهم.

ولمّا وصل فيصل بطريق البحر إلى ميناء بيروت استقبله الشعب هناك، كما استقبلوه في سورية استقبالاً حافلاً، فقد كان يمثّل رمز الوحدة الوطنية، وطلب فور وصوله دمشق دعوة (المؤتمر السوري العام)، إذ لم يتخذ قرارًا واحدًا دون استشارة أعضاء المؤتمر، فقد كان يعتبرهم أفراد أسرة واحدة.

وافتتح الأمير فيصل بن الحسين المؤتمر السوري، في السابع من حزيران عام ١٩١٩م في النادي العربي السوري بدمشق[٤٤]، فقد كان المؤتمر السوري يمثل البلاد السورية كلها بحدودها الطبيعية، ونادى المؤتمر مؤكدًا على استقلال

(٤٤) تأسس النادي العربي السوري بدمشق عام ١٩١٩م وهو من الأندية العريقة بأعضائه ولجانه وأفراده، قام بدوره الوطني في تلك الفترة العصيبة التي مرت على البلاد، إذ كان يؤدي أكبر الخدمات القومية والثقافية، وكان منارة هدى وهداية، وعمل النادي بأعضائه ولجانه بإشعال نار الثورة في البلاد، وكان كل أعضائه من المثقفين والوطنيين، الذين قامت على أكتافهم النهضة الوطنية والعلمية في البلاد. وقد داهم الفرنسيون مركز النادي أكثر من مرة، بعد اكتشاف تحركات أعضائه. وبعد تفتيشه أغلقوه بالشمع الأحمر، واعتقلوا بعض أعضائه، كما لوحق رئيسه وكثير من أفراده فالتجأوا إلى الأردن والعراق ومصر.

سورية بحدودها الطبيعية.

في الوقت نفسه وصلت اللجنة الأمريكية (كنج – كراين)، في الثاني من تموز ١٩١٩م إلى دمشق، ورافقها في تحركاتها في مختلف المدن السورية، أعضاء من المؤتمر السوري.

كانت مقرارات اللجنة، أنَّ الشعب في سوريا يرفض الانتداب، ويطالب بالاستقلال. وكتمت وزارة الخارجية الأمريكية، تقرير لجنة (كنج – كراين)، بناء على ضغوط من فرنسا وإنجلترا، فالمستعمرون يجمعهم همٌّ واحد، هو التآمر على الشعوب واستلاب حريتها.

وإمعانًا في الخديعة، أرسل رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج)، برقية للأمير فيصل في العاشر من أيلول ١٩١٩م لمقابلته في لندن. وفور وصوله أقنعه بأن عليه إقناع المسؤولين الفرنسيين بمطاليبه، والتفاوض مع الدولة «المنتدبة» فرنسا، متخلّيًا كليًّا عن وعود بريطانيا مع أبيه واتفاقها معه.

لم يجد فيصل بدًّا من السفر إلى العاصمة الفرنسية، فوصلها في العشرين من تشرين الأول ١٩١٩م.

وبدأ مباحثاته مع رئيس الوزراء الفرنسي المسيو (جورج كليمنصو)[٤٥] وطالت المباحثات، وتشعبت بينهما دون جدوى وأخيرًا أُفهم فيصل وبصريح الكلام بأن مهمته إحلال الجنود الفرنسيين محل الجنود البريطانيين.

وقامت فرنسا بتعيين الجنرال (غورو) قائدًا عامًا للجيش الفرنسي في الشرق. وقد وصل فعلاً إلى بيروت في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩١٩م.

لقد اعتمد الحسين بن عليّ على وعود بريطانيا له، حين أجمع أمره وأعلن الثورة على الأتراك، في العاشر من حزيران ١٩١٦م، وكان قد حصل على وعد قاطع من بريطانيا بإنشاء كيان عربي مستقل، وتعيينه خليفة على المسلمين. كان جاهلاً تمامًا بوجود اتفاقية (سايكس – بيكو)، التي وقّعتها بريطانيا مع فرنسا في السادس والعشرين من أيار عام ١٩١٦م أي قبل شهر واحد فقط.

يتآمرون بكل خسّة ونذالة على الشعوب التي وثقت بهم، ويتحدثون باسمها، ليأخذوا بيدها.



ودعا الأمير زيد بن الحسين، نائب أخيه الملك فيصل أثناء غيابه خارج البلاد، المؤتمر السوري للانعقاد في الأول من شهر كانون الأول عام ١٩١٩م

(٤٥) جورج كليمنصو (١٨٤١-١٩٢٩): رئيس وزراء فرنسا (١٩٠٦-١٩٠٩) (١٩١٧-١٩٢٠). سياسي راديكالي عُرف بـ(النمر). قاد فرنسا إلى النصر في الحرب العالمية الأولى. ألّف كتاب «كتاب ديموستين» عام ١٩٢٥م.

ليعرض عليه الأمر للتداول.

وقرّر المؤتمر السوري بالإجماع التأكيد على استقلال سورية التام، ورفض الانتداب، وعدم الاعتراف بالمعاهدات التي أبرمتها الدول الاستعمارية، لفرض هيمنتها على الشعوب.

ووصل الأمير فيصل بيروت قادمًا من فرنسا، في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٠م. وفور وصوله دمشق، دعا المؤتمر الوطني إلى عقد جلسة تاريخية بدار البلدية.

بعد ظهر الثامن من آذار عام ١٩٢٠م وصل الأمير فيصل الأول، واستقبله الحاضرون وقوفًا بالتصفيق والترحيب.

وقف رئيس المؤتمر السوري (هاشم الأتاسي)، وأعلن باسم المؤتمر والمؤتمرين إعلان الملكية بين تصفيق الحضور وهتافهم.

كان يحيط بالأمير فيصل سكرتير المؤتمر (عزّة دروزة)، ورئيس البلدية (غالب زالق)، ومرافق الأمير (فخري البارودي)[٤٦].

ثم رفع العلم الفيصلي على دار البلدية لأول مرة، بينما كانت المدفعية السورية تطلق مئة طلقة وطلقة، معلنة استقلال سورية.

ثم بدأت «البيعة» من قِبل الأمير زيد بن الحسين - شقيق الأمير فيصل - وتلاه بطريرك الروم، ورجال الدين والحكومة، وأعضاء المؤتمر ووجهاء مدينة دمشق ورجالاتها.

كان يحضر هذا الاحتفال المهيب بتنصيب فيصل، ملكًا على سورية جميع القناصل المعتمدين في سورية، مندوبين عن حكوماتهم، بما فيهم مندوب فرنسا وإيطاليا، حيث كانت إيطاليا تتمتع بحضور قويّ.

أما بريطانيا الدولة المراوغة المتآمرة. فلم ترسل أي مندوب عنها.

وشكّل (رضا باشا الركابي) - القائد العسكري - أوّل حكومة فيصلية في التاسع من آذار عام ١٩٢٠م.

وتألفت حكومة الركابي من سبعة وزراء. (فارس الخوري، ساطع الحصري، يوسف الحكيم، رضا الصلح، سعيد الحسيني، عبد الحميد القلطقجي، ومحمد جلال الدين).

---

(٤٦) فخري البارودي: ولد في دمشق ١٨٨٥م، وتلقى علومه في (مكتب عنبر)، ثم في مدرسة (الفرير). تخرج ضابطًا من المدرسة الحربية برتبة ملازم ثان، التحق بالجيش الفيصلي، وعين مرافقًا خاصًا للملك فيصل، وعُهد إليه بمديرية شرطة دمشق. كان من أركان (الكتلة الوطنية). بعد دخول الفرنسيين دمشق بعد معركة ميسلون التجأ إلى الأردن. وعاد بعد إعلان الثورة السورية ١٩٢٥م. اتهم بمساعدة الثوار، فاعتقل وسجن في قلعة دمشق وكان شوكة في عيون الفرنسيين. انتخب نائبًا عن دمشق عام ١٩٢٨م وأعيد انتخابه أربع دورات نيابية. توفي عام ١٩٦٦م

إلاّ أن بريطانيا الدولة الماكرة المخادعة، وفرنسا الدولة المفترسة، رفضتا الاعتراف بقرارات مؤتمر دمشق وطلبتا من الأمير فيصل الحضور إلى أوروبا لعرض قضية بلاده للمماطلة والمراوغة، وكسب الوقت.

وانعقد مؤتمر الحلفاء في بلدة (سان ريمو)، في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠م، مكرّسًا فرض الانتداب على سورية؛ وهي كلمة مهذبة عوضًا عن كلمة الاحتلال والاغتصاب.



وردًا مباشرًا لمؤتمر الحلفاء، عقد «المؤتمر الوطني السوري» جلسة، في اليوم نفسه الذي عقد فيه مؤتمر الحلفاء في ١٩٢٠/٤/٢٤م رافضًا قرارات مؤتمر (سان ريمو) وحمّل الحكومة المسؤولية إن هي قبلت به.

استقالت الحكومة، وكلّف الملك فيصل السيد (هاشم الأتاسي) بتشكيل حكومة وطنيّة، تضم ممثلين عن كافة فئات الشعب.

وألّف الأتاسي حكومة حرب من: (الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، يوسف العظمة، ساطع الحصري، فارس الخوري، رضا الصلح، جورج رزق الله، علاء الدين الدروبي، ومحمد جلال الدين).

ونالت الوزارة ثقة المجلس الوطني بالإجماع في الثالث من أيار ١٩٢٠م.

كان برنامج الوزارة الوطنية الجديدة، الإقرار بوحدة سورية، وتأييد استقلالها، وتعزيز جيشها الوطني، وفرض التجنيد، ورفض كل تدخّل أجنبي يمسّ سيادة الوطن.

كان الملك فيصل في موقف حرجٍ لا يحسد عليه فالدولتان الحليفتان خانتا العهود والمواثيق، وتحاولان أن تُمليا عليه بالقوة التسليم بقبول الانتداب بينما الشعب الذي اختاره وانتخبه ملكًا يدعوه إلى مواجهة القوّة بالقوّة، وحماس الشعب يزداد ويشتد تصميمًا على مقاومة الجيوش الفرنسية الغازية الزاحفة. وكان رئيس الوزراء الفرنسي «مليران» قد بعث بلاغًا رسميًا في الأول من أيار ١٩٢٠م، يُعلم فيه الملك فيصل، وضع سورية تحت الانتداب.

واتخذت الحكومة الوطنية تدابير عسكرية فورية لمواجهة الأمر الواقع. عُيّن يوسف العظمة وزيرًا للحربية. والأمير زيد قائدًا للجيش العربي، وياسين باشا الهاشمي[٤٧] قائدًا لجبهة دمشق، ويحيى حياتي قائدًا لمنطقة

(٤٧) ياسين باشا الهاشمي: ولد في بغداد عام ١٨٨٢م، وتخرّج ضابطًا من تركيا ثم من ألمانيا عام ١٩٠٥م. حارب في البلقان، ودخل «جمعية العهد» و«الفتاة»، وظلّ في صفوف العثمانيين حتى سقوط دمشق. كان جريحًا واختبأ

حمص وحماة، ومحمد إسماعيل الطباخ قائدًا لفرقة حلب، وإسماعيل الصفّار قائدًا لفرقة درعا، والقائد أحمد اللحام رئيسًا لأركان الجيش العربي، والقائد مصطفى وصفي السمان للحركات الحربية، والقائد محمد شريف الحجار مديرًا للاستخبارات، والقائد حسن يحيى الصبّان لإدارة القوى العمومية، والقائمقام عارف التوّام رئيسًا لإدارة التسليح، والقائمقام حسن الخيمي لرئاسة التموين، والقائمقام أحمد صدقي الكيلاني آمر حامية المدفعية في عقبة الطين، والقائمقام حسن الهندي قائد اللواء الأول الذي يتبع الفرقه الأولى في عقبة الطين، والقائمقام تحسين باشا الفقير قائدًا للفرقة الأولى، والقائمقام توفيق العاقل قائدًا للواء الثاني في الجيش العربي.

وحدث بعد ذلك أن طلب الجنرال الفرنسي (غورو) من الحكومة الفيصلية، السماح لجيشه باستخدام الخط الحديدي الحجازي، (خط رياق – حلب)، وذلك لنقل الإمدادات الفرنسية إلى الجبهة التركية، التي كانت تدور فيها الحرب، فرفضت الحكومة الوطنية في سورية، طلب الجنرال (غورو) فأسرّها الجنرال الفرنسي في نفسه.

ممّا اضطرّ الجنرال الفرنسي، إلى إرسال إمداداته عبر البحر إلى ميناء الاسكندرون، ومنها إلى جبهة القتال في (كيليكيا).



وفي الرابع عشر من تموز عام ١٩٢٠م، قام الكولونيل الفرنسي (نيجر) بتقديم إنذار (غورو) إلى الملك فيصل، طالبًا قبول كل الشروط الفرنسية: القبول بالانتداب الفرنسي، دون قيد أو شرط، وتسريح الجيش، وإلغاء التجنيد الإجباري، ووضع سكة حديد (رياق – حلب) تحت تصرّف فرنسا، وتسليم الثوار لمحاكمتهم، وقبول التعامل بالعملة الورقية الفرنسية.

هذه الشروط «التعجيزية» يجب قبولها جملة وتفصيلاً، خلال أربعة أيام، تبدأ من منتصف ليلة الخميس الخامس عشر من تموز، وتنتهي في منتصف يوم الثامن عشر منه.

واهتزت البلاد بإنذار «غورو» وشروطه القاسية، واحتلاله معلقة (زحلة – رياق)، ودعا فيصل المؤتمر الوطني، لعقد جلسة استثنائية في منتصف شهر

حتى دخول فيصل دمشق حيث عيّنه رئيسًا للشؤون العسكرية، اعتقله الإنجليز عام ١٩١٩م، ثم ما لبثوا أن أطلقوا سراحه بعد ستة أشهر. تولى عدّة مناصب وزارية في العراق، وألّف حزب «الشعب»، كما عُيّن رئيسًا للوزراء في العراق، وظل هناك حتى قيام ثورة «بكر صدقي» عام ١٩٣٦م، فهرب إلى دمشق، وتوفي فيها عام ١٩٣٧م، ودُفن إلى جانب ضريح صلاح الدين الأيوبي.

تموز وكانت جلسة صاخبة وقرّر المجلس أنه لن يقبل بأي معاهدات أو اتفاقات تتعلق بمصير البلاد ما لم يوافق المجلس الوطني عليها وأكّد مرة أخرى، على استقلال ووحدة الأراضي السورية بحدودها الطبيعية، ورفض الهجرة الصهيونية إلى فلسطين.

واتخذت الرابطة الوطنية في سورية، التدابير العسكرية الدفاعية، واجتمع المجلس الحربي، وتحمّل مسؤولية الدفاع عن الوطن، رغم أن مستودعات الذخيرة كانت شبه فارغة.

فقد استدعى الملك فيصل مجلس الوزراء، والمجلس الحربي العسكري[٤٨]، وهيئة الأركان للاجتماع في قصره وسألهم عن قدرة الجيش الدفاعية فكان رأي القادة العسكريين: «أنَّ في إمكان الجيش أن يُقاوم بضع ساعات إذا كانت المعركة غير جدّية وإذا كان القتال حاميًا فلا يستطيع أن يصمد أكثر من خمس دقائق».

أمام هذا الأمر الواقع قرر الملك وأعضاء الحكومة، قبول الإنذار وعُلّقت جلسات المؤتمر الوطني لمدة شهرين، وصدر أمر من القيادة العسكرية بتسريح الجيش، في الثامن عشر من تموز ١٩٢٠م حتى لا تتخذها فرنسا ذريعة للهجوم، وسلّم الملك مذكّرة (القبول) في العشرين من تموز، إلى المعتمد الفرنسي بدمشق الكولونيل (كوس).

لكن البرقية لم تصل حسب ادعائهم أو أنها تأخرت في الوصول.

وفي الحادي والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م، سار الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال (غوابيه) نحو دمشق.

أرسل الملك فيصل على عجل، وزير المعارف (ساطع الحصري)، ومستشاره العسكري (جميل الألشي) لمقابلة الجنرال (غورو) وزوّده بصلاحيات واسعة، لوقف تقدّم الجيش الفرنسي نحو دمشق.

كان (غورو) في مقرّ قيادته، يصطاف في مدينة (عاليه) اللبنانية، في منتصف الطريق قريبًا من الحدود السورية.

فقابله (الحصري) وسلّمه كتاب قبول حكومته بالإنذار، إلاّ أنه تعلّل بأن برقية الإجابة لم تصله، فأمر جيشه بالتحرك نحو سورية، وحزم أمره باحتلال دمشق ثم طلب أن تسهّل له الحكومة السورية مرور جيشه ليرابط في مرتفعات ميسلون للتزوّد بالماء زيادة في التحدّي.

لم يعد هناك أي مجال لمزيد من المفاوضات، فقد وضع (غورو) العصي في

(٤٨) المجلس الحربي العسكري وهيئة أركان حرب الجيش: مؤلف من ياسين الهاشمي، أحمد اللحام، مصطفى وصفي السمان، محمد شريف الحجّار، عارف التوّام، مصطفى نعمة، حسن يحيى.

الدولاب، وكانت طلباته كلها طلبات (تعجيزية).

أرسلت الحكومة الفيصيلة برقيات «استغاثة» إلى جميع دول العالَم لوقف العدوان الفرنسي.

لكن العالَم كان قد أصمّ أُذنيه وعلى «الذبيحة» أن تستسلم وتسلّم نحرها طائعة «للجزّار ليذبحها».

أسند وزير الحربية (يوسف العظمة) القيادة في جبهة ميسلون، إلى القائمقام (تحسين الفقير). ثم انطلق مع مرافقه الشاب (ياسين الجابي)، إلى قصر فيصل في (العفيف)، ليستأذنه ويودّعه ويترك ابنته الوحيدة (ليلى) أمانة في كنفه، ثم أدّى التحيّة العسكرية للملك، وخرج ليتولى قيادة الجبهة في ميسلون، وهو يعلم أنه ذاهب إلى معركة الموت.

مع إشراقة فجر الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، دارت رحى الحرب، وظلت المدفعية الفرنسية والسورية تتناوبان القصف وأصابت إحدى القذائف الغادرة وزير الحربية يوسف العظمة، فرسمت على صدره الوشاح الأكبر، فخرّ يتخبّط بدمائه شهيد الواجب والوطن، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة والنصف من ذلك اليوم وكان يلبس بزّته البيضاء.

وتراجعت القوات العربية.

وسجّلت «ميسلون» على روابيها بأحرف من نور، عنوان مجد، وشعار تضحية، وصفحة فخار واستُشهد ثمانمئة من أفراد الجيش والثوار، وقُتل من الفرنسيين ثلاثمئة.



كان الملك فيصل وأخوه زيد متوجهين نحو خط جبهة القتال، لتسقّط أخبار المعارك، وللاشتراك بالدفاع عن الوطن فقابلا ياسين الجابي مرافق القائد يوسف العظمة وسائقه عمر نصري عائدًا بسيارته، دون أن يكون معه وزير الحربية وأعلمه بأن يوسف العظمة قد استُشهد، وأن الجيش يتراجع، وأن الطريق إلى مدينة دمشق أصبح مفتوحًا.

لم يجد فيصل بدًّا من نقل مقرّ حكومته وقيادته من دمشق إلى قرية (الكسوة) القريبة من دمشق.

ودخلت القوات الفرنسية دمشق، في الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م.

استقالت حكومة (هاشم الأتاسي)، وشكّل الملك فيصل حكومة رأسها (علاء

الدين الدروبي)، وكان من أعضاء حكومته: (بديع المؤيد، يوسف الحكيم، عبد الرحمن اليوسف، عطا الأيوبي، جميل الألشي، فارس الخوري، ومحمد جلال الدين).

ودخل الجيش الفرنسي «المنتصر» دمشق.

وبينما كانت دمشق تسقط بعد معركة ميسلون كانت الثورات في الشمال تشتعل ضدّ القوات الفرنسية الغازية، التي نزلت في الساحل السوري.

اندلعت ثورة في جبل الزاوية قادها إبراهيم هنانو، وثورة في جبل العلويين قادها الشيخ صالح العلي، وثورة «الدنادشة» في غرب حمص وشمالي البقاع، وثورة «رمضان شلاش» في دير الزور والبوكمال، وثورة «الأمير محمود الفاعور» في جبل عامل جنوب لبنان.

وفي الخامس والعشرين من تموز، اخترقت قطعات رمزية من القوات الفرنسية شوارع دمشق، وأمامها الجوقة الموسيقية، يتقدمها «الجنرال غوابيه» على حصان، بدءًا من شارع بيروت إلى جسر الحرية، فساحة المرجة فالسنجقدار فشارع النصر فمحطة الحجاز، فشارع الجامعة، فالثكنات العسكرية في طريق المزّة وسط وجوم الناس وذهولهم وحزنهم واكتئابهم.

وتسلّم «الفاتحون» مفاتيح عاصمة بني أُميّة من اللواء «نوري السعيد» قائد موقع دمشق، والقائمقام «جميل الألشي».

ودخل الفرنسيون شوارع خالية وأسواقًا مقفلة، وأغلق الشعب عليه أبواب بيوته في حزن وأسى.

وفرض الجنرال الفرنسي (غوابيه) غرامة حربيّة علىِ دمشق، بأن تدفع (عشرة ملايين فرنك)، وتجمع عشرة آلاف بندقية، وتَنْزع سلاح الجيش العربي.

بعد كل هذا.

بعث (غورو) بإنذار جديد إلى الملك فيصل، سلّمه إليه الكولونيل (تولا) في مساء السابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م. يقضي: بضرورة مغادرة الملك فيصل دمشق، في الثامن والعشرين من تموز، في قطار خاصّ، سيتحرك من محطة الحجاز في الساعة الخامسة صباحًا محمّلاً الملك مسؤولية ما حدث.

إذ لم تعد ضرورة لوجوده.

وغادر الملك فيصل دمشق، في الثامن والعشرين من تموز مع لفيف أفراد أسرته وحاشيته، ومعه وزير المعارف (ساطع الحصري)، وسكرتيره الخاص (عوني عبد الهادي)، ومرافقه العسكري (تحسين قدري)، وطبيبه الخاص (الدكتور أحمد قدري)، ومرافقه الخاص (إحسان الجابري).

توقّف الملك فيصل في مدينة (درعا) – على الحدود الأردنية – وخطب في وجهاء وشيوخ أهل حوران، وحثّهم على مقاومة الدخيل المغتصب، وعلى الجهاد للدفاع عن شرف الوطن.

وكلفت فرنسا رئيس وزرائه، في التاسع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، ليطالبه بأن يغادر درعا، وإلاّ فإن الطائرات الفرنسية، سوف تقصفه بقنابلها، كما ألقت طائراتها على السكان قصاصات ورق، بضرورة طرد فيصل من المدينة، وإلاّ فإن الطائرات الفرنسية سوف تقصف المدينة.

غادر الملك فيصل مدينة (درعا)، في الأول من شهر آب عام ١٩٢٠م، متوجهًا بقطار خاص إلى حيفا، حيث بقي فيها عدّة أيام، غادر بعدها إلى مدينة (كومو) في إيطالية.

وانتهى حكم فيصل.

وتسلّم المستعمرون الغادرون مقاليد الحكم في البلاد.



ومنذ اليوم الأول لدخولهم أَلَّف الفرنسيون مجلسًا حربيًا لمحاكمة الأحرار الذين كانوا يعارضون وجودهم، وأصدر المجلس الحربي بتاريخ التاسع من آب ١٩٢٠م حكمًا بالإعدام، وحجز ومصادرة الأموال، على قائمة تضم خمسين اسمًا من كبار الوطنيين. وقد ضمّت القائمة[٤٩]: «كامل القصاب، علي خلقي، أحمد مريود، الأمير محمود الفاعور، فؤاد سليم، صبحي الخضرة، مفلح هارون، عوني القضماني، شكري الطباع، عمر شاكر الخانجي، سليم عبد الرحمن، عمر بهلوان، عثمان قاسم، سعيد حيدر، عبد القادر سكر، خليل باكير، حسن رمضان، عادل أرسلان، محمد إسماعيل، رشيد طليع، عوني عبد الهادي، إحسان الجابري، الحاج فاتح المرعشلي، الشيخ رضا الرفاعي، الدكتور أحمد قدري، رفيق التميمي، بهجت الشهابي، توفيق اليازجي، رياض الصلح، خير الدين الزركلي، محمد علي التميمي، نبيه العظمة، شكري القوتلي، عيد الحلبي، ياسين دياب، خالد الحكيم، صادق حمزة، محمود أحمد البزرة، رياض محمد، حسن فرحات، عبد المجيد محمد البزرة، محمود فرج سليمان، موسى بورقيلي، الشيخ عبد الله عز الدين، أدهم خنجر» وغيرهم.

وقد كان للاسم الأخير المجاهد (أدهم خنجر) السبب في ثورة جبل العرب. كما سيأتي.

وغادر الوطن عدد كبير من رجالات سورية، من الذين صدرت بحقهم أحكام

(٤٩) كتاب (نضال شعب وسجل خلود)، صفحة ١٦٢ لمؤلفه (جميل العلواني).

الإعدام، من المحاكم الفرنسية، ومنهم أخي عمر شاكر الخانجي، وأقاموا في شرق الأردن يترقبون ويتربصون، للقيام بواجب الوطن، ومقاومة الأجنبي الدخيل المغتصب.

وتحت الضغوط المختلفة، غادر بعضهم إلى الديار الحجازية، وبعضهم إلى فلسطين، وبقي الآخرون في شرق الأردن وسار بعضهم إلى منفاه في مصر طوعًا.

قبل الرحيل

بعث الملك فيصل قبل معركة ميسلون، برقيات إلى قناصل الدول المعتمدة في دمشق.

في الحادي عشر من تموز عام ١٩٢٠م لإبلاغ حكوماتهم وقف الكارثة قبل وقوعها.

وهذه هي بعض هذه البرقيات:

برقيات إلى قناصل الدول المعتمدة في سورية:

❖ حشد الجنرال هنري غورو جيوشه، على الحدود الفاصلة بين المنطقتين الشرقية والغربية في سوريةٍ، وأنشأ قواعد عسكرية استعدادًا للحربِ علينا، وأخذ يزعم أن لديه شروطا يريد إملاءها علينا، وتتضمن انتهاكًا صرِيحًا لسيادتنا الوطنية. وصرّح الجنرال أنه سيمنع سفري إلى باريس، إذا لم تُجب مطالبه ورغبة مني في اجتناب كل عمل عدائي، وفي عدم إراقة الدماء، راجيًا أن تستعملوا نفوذكم، لوقاية هذه البلاد، من حرب لا تعود عليها بغير الخراب والدمار.

التوقيع: فيصل

إنذار الجنرال غورو

إلى صاحب السموّ الملكي الأمير فيصل بن الحسين، باسم الحكومة الفرنسية،

لي الشرف أن أعرض لسموّكم الملكي، لآخر مرّة موقف الحكومة الفرنسية.
ترى فرنسا أنها مضطرة، لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنودها، وسلامة السكان، الذين «نالت» من «مؤتمر السلم» مهمة «الانتداب» عليهم.
وأتشرف بإبلاغ سموّكم الملكي، أنَّ هذه الضمانات هي كما يأتي:

١- التصرّف بسكة حديد «رياق – حلب» بصورة مطلقة.
٢- إلغاء التجنيد الإجباري، وتسريح قوى الجيش.
٣- قبول الانتداب الفرنسي.
٤- قبول العملة الورقية (استبدالها بالذهب).
٥- تأديب (المجرمين) - يعني بهم الثوار - أعداءِ فرنسا.

هذه الشروط تقدّم جملة، وينبغي قبولها جملة أيضًا، بلا تجزئة، خلال أربعة أيام تبتدئ من منتصف ليل ١٥ تموز وتنتهي في ١٧ منه الساعة ١٢ ليلاً.
وإذا لم يصلني من سموّكم، قبل انقضاء هذا الموعد، إعلان يشعر بقبول هذه الشروط، فأتشرف بإبلاغكم أنَّ الحكومة الفرنسيّة، ستكون مطلقة اليد في العمل.

التوقيع غورو

ومن الجدير بالذكر، أن الكولونيل الفرنسي (تولا) - ضابط الارتباط الفرنسي بدمشق - وزميله (كوس) - المعتمد الفرنسي بدمشق ورئيس بعثتها - كانا يريان أن ترضى سورية وتقبل بما جاء في الإنذار الفرنسي «تحبيطًا» – على حدّ قولهم – لما يسعى إليه الجنرال «غورو» من دخول دمشق ظافرًا..!!
ومنعًا له من نوال هذا الشرف، المتأججة ناره في فؤاده...!!
وقد نصحا الملك فيصل، بعدم التردّد في إبلاغ الجنرال «غورو» قبول ما نصّ عليه الإنذار، كما أطلعاه على ما يتذرع به الجنرال، من أوهى الأسباب لتطبيق برنامجه الاستعماري، ودخوله دمشق العاصمة دخول الفاتحين...!!

برقية من فيصل إلى الجنرال غورو

رغبة مني في إنقاذ البلاد من ويلات الحرب، وأملاً في إنشاء سلم موطّد، لا يتسنّى إدراكه إلا بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء ومودتهم، وخصوصًا مودة

الحكومة الفرنسيّة، أُبلغكم أنني أقبل مطالبكم، مع الايضاحات الواردة في برقيتكم.

التوقيع فيصل

ولكن... هل يحافظ الجنرال (غورو) على كلمته، ويقوم بتنفيذ تعهداته، ويأمر جيشه بالانسحاب، والرجوع إلى مواقعه المعينة في الإنذار، أم يتذرع – شأن كل المستعمرين المغتصبين المحتلين – (بأشياء أخرى)، لتنفيذ خطة فرنسا بالاستيلاء على سورية.

كان موقف الملك حكيمًا... ليحبط كل الذرائع وكل المخططات الاستعمارية.

لجأ الملك فيصل بعد ذلك إلى الأمة، يجمع كبار رجالها، ويعقد الاجتماعات لقادتها وأركان حرب جيشها، موجّهًا كلمة للأمة.

بلاغ من الملك فيصل إلى الأمة

إننا اتخذنا من الحكمة، ومن الأناة والحلم والصبر منتهاه، وأننا طلبنا من الجنرال «غورو» أن يُوقف جيشه عن الزحف. فسخر منا، وهزأ بمطالبنا، وظهر أن لا حول لنا ولا قوة ولا إرادة، وأننا كالشاة التي تقاد إلى مذبحها دون معارضة أو ممانعة.

رضينا بالإنذار وما جاء فيه، إعلانًا للملأ أننا روّاد حياة حقة ودعاة سلم، وأننا ما اعتدنا أن نقابل من يبادلنا الخير بالشر.

ولكن الفرنسيين مهما رأوا منّا سعة الصدر والحِلم، فقد أصبح صنيعهم تحدّيًا لنا، وإذا سكتنا على هذا الذلّ والهوان، سجّلنَا على أنفسنا عار الدهر إلى الأبد.

لابد أن نوقفهم عند حدهم، وندافع عن عريننا، ونخوض غمرات الحرب، دفاعًا عن الوطن.

نحن بحاجة إلى سواعدكم، وهممكم... فقد خُلقتم لتكونوا أحرارًا... وتموتوا في سبيل الله والوطن والعزّة القومية... أو تموتوا أذلاء يقتلكم الخزي والعار والذل والهوان.

لم يحفظ الحلفاء لنا عهدًا ولا وعدًا، مع أننا وقفنا إلى جانبهم، وقد حاولنا بكل وسيلة إفهامهم، أننا لسنا مُضغة للآكلين... فلم يسمعوا صوت الضمير.. وإنما سمعوا صوت قصف المدافع، وأزيز الرصاص لحنًا ونشيدًا.

فإن كان هذا ما يريدون... فلهم ما يشاؤون.

إننا أمة تطلب الموت في ساحات الوغى فتوهب لنا الحياة. إنَّ أعلام النصر معقودة بلوائكم... فوالله ما مات حرٌ أبيٌّ، ولا عاش عبد ذليل.

وهمم الرجال تدكّ الجبال، وأقوى من الحديد والفولاذ، وأمتن من الصخور الشمّ الرواسي.

وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله... والله مع الصابرين..

فإلى ساحاتِ القتال... فأنا ذاهب أمامكم...!! دمي وحياتي وروحي... فداء للوطن الذي أُحبّه... وكل فرد من أفراد الأمة، مدعوّ للسير إلى الإمام... حيث الشرف والمجد والدين والوطن... حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً..!

التوقيع: فيصل

برقية من فيصل إلى غورو

على أن الملك فيصل – رغم كل ما حصل على أرض الواقع – جنح إلى السلم، وبعث ببرقية إلى الجنرال «غورو» في ٢١ تموز ١٩٢٠م:

«بعد قبولنا بكافة الشروط الواردة في مذكرتكم، لم يمنع الجيوش الفرنسية، من متابعة زحفها إلى دمشق.

ورغبة مني في الحيلولة، حتى آخر لحظة، دون إراقة الدماء بلا طائلٍ، أطلب إليكم عقد هدنة بين الجيشين المتحاربين، تُسمح لنا بالمحادثات، وفقًا لما أشرتم إليه في برقيتكم المرسلة هذا اليوم، وقد أُوفد إليكم ممثل حكومتي للتفاوض معكم باسمها.

التوقيع فيصل

بلاغ من فيصل إلى الشعب

حقنًا للدماء البرئية وحبًّا للسلم، قبلت الحكومة الشروط المصحوبة بالإنذار - قبل انتهاء الموعد - وموافقتها الرسمية. لكن الجنرال «غورو» نقض العهد وبادأنا بالعداء.

فعلى الأمة - بعد الاتكال على الله - والاستمداد من نهج رسول الله - الدفاع عن كيانها وحياتها وشرفها، ملقية تبعة ما ينجم من ويلات الحرب على الجنرال «غورو» وفرنسا.

وعلى جميع أبناء الوطن ورجال الحكومة والدولة أن يقوموا بواجباتهم الوطنية، بعزم وقوّة، متكلين على اللّه، ليوقفوا هذا الاعتداء، الآثم، وما النصر إلا من عند اللّه يؤتيه من يشاء.

التوقيع فيصل

بيان من القيادة الفرنسية

كان ضابط الارتباط الفرنسي (تولا)، وزميلة المعتمد الفرنسي (كوس)، يعملان على تهدئة الأمور، وإطفاء النيران المشتعلة، بين الملك فيصل والجنرال «غورو»... وإبقاء فيصل على عرش سورية... بعد تنفيذ كل رغبات الجنرال المتغطرس، وإقناعه بأن لا يطرده خارج سورية.

لكن قائد الحملة الفرنسية «الجنرال غوابيه» أذاع بيانًا بعد دخوله دمشق قال فيه: «بما أنَّ الأمير فيصلاً جرّ البلاد إلى الخراب والدمار، فقد حُرّر من سلطة الحكم.

وقد أصدرت الأمر، بدفع عشرة ملايين فرنك، كتعويض للخسارة التي أصابت المنطقة من جراء حرب العصابات، مع نزع سلاح الجيش العربي والأهالي، وتسليم «المقاتلين» — الثوار لمحاكمتهم... وانتهاء حكم فيصل.»

برقية احتجاج من فيصل

وبعث الملك فيصل في السابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م برقية احتجاج إلى الجنرال «غورو» قال فيها:

«أحتجّ على بيان قائد الحملة الفرنسية الظالم، وأتنصّل من كل تبعة أردتم أن تحمّلوني إياها.

وأعتبر أن جميع التعليمات التي تُصدرونها إلى حكومتي مباشرة، ودون وساطتي مُلغاة، وغير مشروعه أمام جمعية الأمم.

وأنا أُعرب عن رغبتي في اجتناب كل نزاع.

التوقيع: فيصل

برقية غورو الأخيرة

في اليوم نفسه... السابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، سلّم الكولونيل «تولا»

الملك فيصل، برقية أخيرة من الجنرال «غورو» هذا نصّها:
«أتشرف بإبلاغ سموّكم الملكي، قرار الحكومة الفرنسية:
ترجو منكم مغادرة دمشق بأسرع ما يمكن، بسكة حديد الحجاز مع عائلتكم وبطانتكم، وسيكون تحت تصرّف سموّكم، والذين معكم قطار خاصّ، يبرح محطة الحجاز بدمشق غدًا في ٢٨ تموز ١٩٢٠م، في الساعة الخامسة صباحًا».

التوقيع غورو

وفي نفس اليوم بعث الملك فيصل برقية إلى الجنرال (غورو) في السابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م هذا نصّها:

برقية من فيصل إلى غورو

أبلغني الكولونيل «تولا»، قرار الحكومة الفرنسيّة، تدعوني فيه إلى مغادرة دمشق، عاصمة مُلكي، بقطار خاص في الساعة الخامسة من صباح غد.
إنّني لا أعترف بالاحتلال، ولا نزع الاختصاص، ودخول جيوشكمٍ دمشق بعد معركة قصيرة مع الشعب، واحتلالكم لعاصمة البلاد، عمل خطير الشأن، وغير عادل، وخرق لمقررات مؤتمر السلام، لأنه وقع بعد تسريح الجيش حسب إنذاركم.
لقد سلّمت معتمدكم الكولونيل «كوس»، كتاب قبول شروطكم، قبل انقضاء الموعد المحدد بست ساعات، الأمر الذي لا يسوّغ لكم سَوْق جيوشكم واحتلال دمشق.
اتخذتم ذريعة للتدخل واحتلال دمشق، بجيوشكم المسلحة بجميع أدوات التدمير الحديثة، لتقهروا شعبًا، وأنكم لن تستطيعوا نزع لقب لقّبني به الشعب.
وإن تصرّفاتكم تخالف كل الاتفاقيات المعقودة، وجمعيّة الأمم، وقرارات مؤتمر «سان ريمو»، والقوانين العامة، ومبادئ الأخلاق الدولية.

التوقيع فيصل

الرحيل... !!

في الساعة الخامسة من صباح الثامن والعشرين من تموز، غادر الملك فيصل دمشق في القطار إلى (درعا) وقال قبل رحيله:

«كان بإمكاني أن أفعل ما فعله «الخديوي توفيق»، فأستعين بالإنجليز وأتفق معهم، ولكنني لم أفعل ذلك، لأنني واثق من حقي وعدالة القضية، ومن فوز الأمة في النهاية.

وأنا ذاهب الآن، وقد ضاعف همتي ونشاطي ما رأيت وستسمعون صوتي ما حييت، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ويختار ويريد».

وغادر الملك فيصل مدينة «درعا»، في الأول من شهر آب ١٩٢٠ ميلادية، متوجهًا بالقطار إلى مدينة حيفا. وبقي هناك حتى الثامن عشر من شهر آب.

بعدها ركب الباخرة «سترولي»، وتوجّه إلى مدينة «كومو» في إيطاليا، ليبقى هناك.



من أقوال فيصل

❖ نحن طلاّب استقلال وحرّية، ولا نرضى سيادة أية دولة من الدول فوق سيادتنا، ولا فرق بين إنجلترا أو فرنسا أو تركيا...، ولدينا القدرة على إدارة بلادنا بأنفسنا، مع الشكر للذين ساهموا معنا في تحرير بلادنا، ولن نقبل أن يكون الثمن استعمارنا.

❖ لا أدري لماذا تقف فرنسا في طريق استقلال سورية، وهي التي تلقّب نفسها: محرّرة الشعوب وحامية استقلالها.

إنكم تحتلون الساحل السوري، وتطمعون إلى التوسع في الداخل، وتسيرون على خطة العداء للشعب السوري.

❖ عندما تحالفنا مع بريطانيا وفرنسا، كنا نعرف أن الدولتين تدينان بالمسيحية، وحاربنا معًا ضدّ تركيا التي تدين بالإسلام، لتحرير الوطن، واستقلال بلادنا من استعمار كرهناه جميعًا كعرب، يوحّدنا جميعًا التفكير القومي، وانتماؤنا للوطن.

وفرنسا تريد استعمارنا، ليس من مفاهيم دينية، بل من مفاهيمها الاستعمارية... فلماذا لا نحارب جميعًا مرة أخرى، ضدّ قوة استعمارية تريد أن تكون بديلة عن الاستعمار العثماني؟

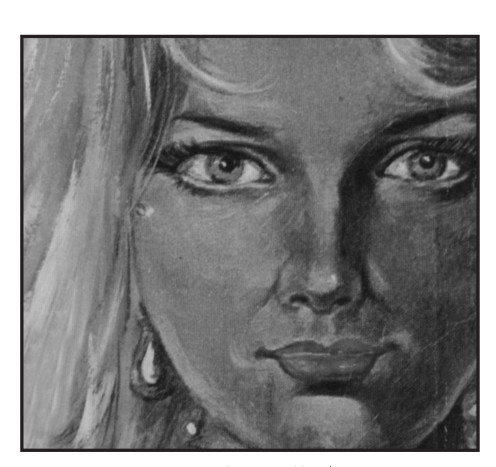
❖ سندعم كل الثوار الأبطال، الذي يُعرّضون مُهجهم للدفاع عن الوطن المقدس، وندعو كل فرد من أفراد الأمة، للسير إلى قتال المحتلين المغتصبين، حيث الشرف والمجد والدين والوطن.

بيان قائد الحملة الفرنسية

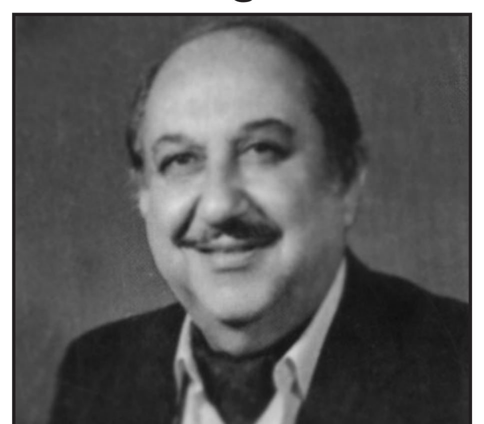
تحركت جموع الشعب منذ الساعات الأولى لتقف في وجه المحتل الغاصب. وقام الوطنيون بتحريك الجماهير، لتقف في وجه ممارسات القمع والإرهاب الفرنسي، وتوظيف القُدرات العسكرية المتواضعة لقيام الانتفاضة، واستعادة الكرامة الوطنية. وشعر الغزاة بالتحرّك الشعبيّ، فأصدر الجنرال «غوابيه»... بيانًا لأهل دمشق قال فيه:

«إنَّ فرنسا لن تتسامح في إرجاع فيصل إلى سورية. كما أنها لن تخرج من دمشق البتة...!!»

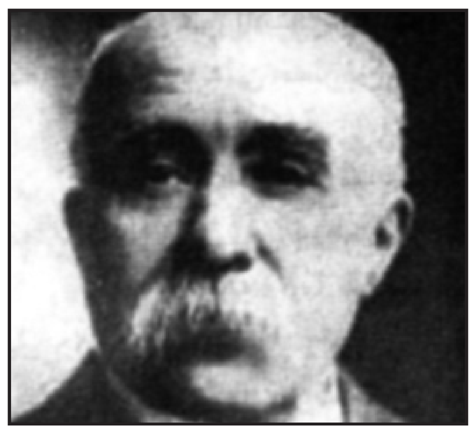
التوقيع الجنرال غوابيه



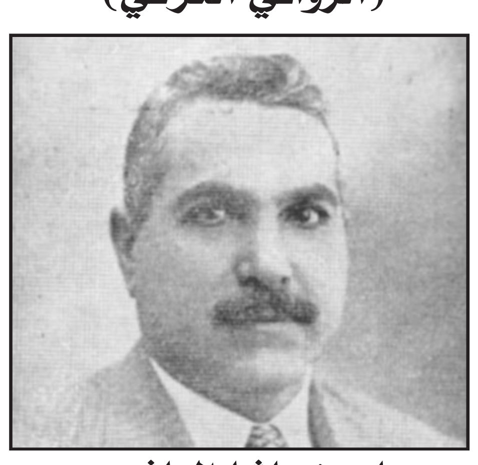
سارة ارونسون
(عشيقة جمال باشا السفاح)



لطفي اكدوغان
(الروائي التركي)



جورج كليمنصو
(رئيس الوزراء الفرنسي)



ياسين باشا الهاشمي
(رئيس الوزراء العراقي)



عبد الحميد الزهراوي

على الأرمنازي

شفيق المؤيد العظم

عبد الغني العريسي

رشدي الشمعة

عبد الوهاب الانكليزي

سيف الدين الخطيب

الامير عمر الجزائري

شكري العسلي



الشهيد الأمير الاي أمين لطفي الحافظ

عارف الشهابي

سعيد فاضل عقل

محمد نجا العجم

محمود المحمصاني

محمود الشنطي

محمد المحمصاني

الشهيد نايف تللو

نور الدين القاضي



الشهيد
عبد القادر الخرسا

الشهيد
عبد الكريم باشا الخليل

باترو باولي

الشيخ أحمد طبارة

رفيق سلوم

الشيخ محمد رشيد رضا

جرجي الحداد

توفيق البساط

جلال البخاري

الفصل الثاني

الأحداث المؤلِمة

في حياة كلّ الشعوب أحداث مؤلمة تحفر أخاديد في ذاكرة كلّ أمة أُثخنت بالجراح. وقد خصّت «القوات الفرنسية الغازية» وطننا وأمتنا بالكراهية والحقد، في محاولة لـ«تشفير» أدمغة أُمتنا وذاكرة الوطن.

وبدلاً أن تحمل هذه القوات المحتلة الغاصبة معها «الحرية والسلام والاستقلال» - كما تدّعي قبل الاحتلال - حملت معها - شأن كل المستعمرين - الدمار والقتل والخراب.

اتفاقية سايكس بيكو

هذه الاتفاقية منسوبة إلى المفاوِض الإنجليزي «مارك سايكس»، واسم المفاوض الفرنسي «جورج بيكو»، وقد أُبرمت بين إنجلترا وفرنسا في السادس والعشرين من أيار عام ١٩١٦م.

وقد كانت أُولى الاتفاقات التي أُبرمت لهذا الغرض ثلاثية، وقّع عليها ممثلو روسيا وإنجلترا وفرنسا في آذار ١٩١٦م.

وقد عيّن الاتفاق مناطق نفوذ لكل دولة من الدول الثلاث المتعاقدة. وقد تقرّر في الوقت نفسه تأسيس حكومة إسلامية مستقلة في الجزيرة العربية، على أن تتولى بريطانيا مراقبتها والإشراف عليها.

وقد انحصرت منطقة روسيا في شرق آسيا الصغرى وجنوبها، ولم تشمل شيئًا من البلاد العربيّة.

وشملت المنطقة الفرنسية السواحل السورية، ومنطقة النفوذ الإنجليزية مصر والعراق وفلسطين، إلا أن قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م فضح هذا الاتفاق السرّي بين الدول الثلاث.

وقد شملت أحكام هذه الاتفاقية سورية والعراق وفلسطين، وقسّمت هذه البلاد إلى خمس مناطق: ثلاث منها ساحلية، واثنتان داخليتان.

وقد لوّنت المناطق الساحلية، باللون الأحمر والأزرق والأسمر، ولذلك عُرفت باسم المناطق «الحمراء»، و«الزرقاء» و«السمراء».أما المنطقتان الداخليتان، فقد تُركتا بدون لون، وعُرفتا باسم (منطقة ألف «أ») و(منطقة باء «ب»).

وشملت «المنطقة الزرقاء»: البلاد الساحلية التي تمتد من رأس الناقورة إلى الإسكندرونة، وأُعطيت لفرنسا.

وشملت «المنطقة الحمراء»: بغداد والبصرة، ومُنحت لإنجلترا.

أما «المنطقة السمراء»: فقد انحصرت في فلسطين، وجُعلت منطقة دولية حيادية... تمهيدًا للوعد الذي سيمنحه مَنْ لا يملكه، لمن لا يملكه..!!!

أما منطقتا «أ» و«ب»: فقد نصّت الاتفاقية على أن تؤلف فيهما... «دولة عربية مستقلة» برئاسة رئيس عربي، ويكون للدولتين حق الانفراد في المشروعات الاقتصادية، وتقديم المستشارين والموظفين الأجانب، لتنظيم شؤون تلك المنطقة، وأن تنشئا نظام الحكم الذي تريانه، وتدير هذه المناطق إدارة مباشرة.

وتدخل (الاسكندرونة)(٥٠) في منطقة فرنسا، وتدخل (حيفا) في منطقة إنجلترا.

ويتعهد كل من الفريقين، أن لا يتنازل عما له من الحقوق في المنطقة المخصصة له، وأن لا يُعطي تلك الحقوق لدولة أخرى، دون أخذ موافقة الطرف الآخر.



وعد بلفور

اللورد بلفور هو وزير الخارجية البريطانية، أصدر في الثاني من نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩١٧م، كتابًا أرسله إلى اللورد (روتشيلد) هذا نصّه:

«عزيزي: يسرني أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك، أنها تنظر بعين الرضا والارتياح، إلى المشروع الذي يراد به أن ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود، وتضع خير مساعيها لإدراك هذا الغرض.

وليكن معلومًا أنه لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية «للطوائف» (غير اليهودية) الموجودة في فلسطين الآن، أو بالحقوق

---

(٥٠) الاسكندرونة: مدينة ساحلية على شاطئ البحر المتوسط تقع شمالي سورية والمرفأ الطبيعي لها. سمَّاها: «ابن حوقل» كما سماها القدماء «ايسوس». قيل أن بانيها الإسكندر المقدوني تمجيدًا لانتصاره في معركة (ايسوس) على (دارا) ملك الفرس. بَنَتْ (زبيدة) - زوجة هارون الرشيد - حصنًا فيها. وقد دمّرها الصليبيون في غزواتهم، إلا أن (إبراهيم باشا) عمّرها وأنشأ فيها مصنعًا للسفن.وقد انتزع الفرنسيون سنجق الاسكندرون الذي يضم ثلاثة أقضية (اسكندرونة، وقرقخان، وإنطاكية) نزعًا من سورية وتم تسليمه إلى الأتراك بموجب معاهدة ١٩٣٨م، باعتبارها الدولة المنتدبة على سورية. ولم تعترف سورية بسلخ لواء الاسكندرونة. وتحيط بخليجها جبال أمانوس (اللكام) فتقف أمامها كالجدار الشاهق، وتتميز الاسكندرونة بأمطارها الغزيرة.

التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها».



حادثة كراين

«شارل كراين» -الثري الامريكي المعروف - هو رئيس لجنة الاستفتاء الأميركية، ومرافقه وكاتم أسراره «برودي»، والدكتور «هنري كينج» رئيس كلية (إديرلان) بإنجلترا العضو الآخر للجنة الاستفتاء التي انتدبها مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م للوقوف على رغائب الشعب في سورية (الاستقلال أو الانتداب).

وقد أظهر الأهالي تذمرهم من الحالة السياسية والمالية. وسمعت لجنة الاستفتاء من الشعب في سورية رفضه المطلق للانتداب ومطالبته للإستقلال التام.

ثم وصلت هذه اللجنة للمرة الثانية إلى سورية في الثاني من نيسان ١٩٢٢م، للتحقيق في مطالب الشعب في سورية.

وقد رافق الدكتور عبد الرحمن الشهبندر لجنة الاستفتاء في تجوالها في جميع المدن السورية، للوقوف على مطالب الشعب في كل أنحاء سورية.

كان الاجتماع العلني الأول بدمشق في حديقة عامة في الصالحية، ثم في منزل الشهيد شكري العسلي في حي المهاجرين، ثم كان الاجتماع الثالث في الميتم السوري الذي ترأس إدارته «أليس قندلفت» حيث اجتمع السيد كراين، بنخبة من كرام العائلات الدمشقية ترأستهم «نازك العابد».

ثم لبّت لجنة «كنج – كراين» دعوة أهل حي الميدان في حديقة منزل دولة حسن الحكيم، ثم اجتمعت بأهل حي القصاع.

وقُدّمت للسيد شارل كراين الوثائق والمستندات وعرائض المطالبة بالاستقلال التام، ورفض الانتداب ووحدة البلاد.

بعد رحيل أعضاء اللجنة أُلقي القبض على الدكتور الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر والدكتور منير شيخ الأرض.

هاج الشعب في دمشق، وقامت المظاهرات العنيفة، احتجاجًا على الاعتقال وحجز الحريات. وتضامنًا مع الزعماء الوطنيين الأحرار الذين اعتقلهم سلطات الاحتلال. وتوالت الاضطرابات في السابع والثامن والتاسع من نيسان فنَزلت القوات الفرنسية للشوارع، تعززها الدبابات والسيارات المصفحة لتفريق الجماهير، وأُعلنت الأحكام العرفيّة، وأقفلت الأسواق التجارية

والمدارس أبوابها في عاصمة الدولة الأموية، وسائر المدن السورية.

في العاشر من نيسان، تجمّع أهالي دمشق في سوق الحميدية والجامع الأموي، وخرجت مظاهرة تقودها سيدات دمشق يهتفن طالبات الاستقلال، وإنهاء الانتداب، وإطلاق سراح الزعماء الأحرار من سجون الاعتقال، وإرسال لجنة دولية للتحقيق. واستمرت حال الهياج الشعبي إلى اليوم التالي مطالبين بنشر تقرير لجنة الاستفتاء الأميركية.

وجرى الصدام بين سلطات الاحتلال والمتظاهرين، الذين كانوا يحملون الأعلام العربية ويهتفون:

نحن لا نرضى الحماية	لا ولن نرضى الوصاية
نحن أولى بالرعاية	لبني العُرب الكرام

وسقط القتلى والجرحى.

وأعلن المحتلون الأحكام العرفيّة، ومُنع التجوّل في الشوارع والطرقات من السادسة مساء حتى السادسة صباحًا... وكان كل من يخالف يُقمع بالسلاح ويُحال للديوان العرفي.

وفي العشرين من نيسان جرت محاكمة للمتهمين وصدر الحكم على الشهبندر بالسجن عشرين عامًا، كما صدرت أحكام بالسجن على رفاقه:

حسن الحكيم عشر سنوات، سعيد حيدر خمس عشرة سنة، منير شيخ الأرض عشر سنوات، د.خالد الخطيب عشر سنوات، عبد الوهاب العفيفي عشرين سنة، توفيق الحلبي خمس سنوات.

ونقل المعتقلون إلى سجن جزيرة «أرواد» وأضربت دمشق وأغلقت حوانيتها ومدارسها وجامعاتها احتجاجًا... وأذاعت سلطات الاحتلال بيانًا تقول فيه: «ليكن في علم الجمهور، أن كل مَنْ لا يفتح دكانه ويعود لمعاطاة أشغاله، يُغرّم بثلاثين ليرة سورية دون محاكمة، ولا يسمح له بالاعتراض».

لكن الشعب لم يحفل بتدابير سلطات الاحتلال، لإخراس الألسن وكمّ الأفواه.

وتحت الضغط الشعبي الهائل أُفرج عن الوطنيين، وخرجت دمشق عن بكرة أبيها لاستقبالهم.

وكان لا بد من حزب يجمع شتات الأمة، فكان «حزب الشعب» الذي ترأسه الدكتور الشهبندر. وضمّ في أعضائه:

فارس الخوري، فوزي الغزي، حسن الحكيم، لطفي الحفار، إحسان الشريف،

سعيد حيدر، أبو الخير الموقع، عبد المجيد الطباخ، توفيق شامية، أديب الصفدي.

ورغم أنه كان مسموحًا بتأسيسه من قبل السلطات الفرنسية بصورة رسمية... إلا أن المستعمرين اعتقلوا عددًا من أعضائه، وحكموا على رئيسه الزعيم الشهبندر بالإعدام، وسُحبت رخصة تأسيسه، ضاربة قوات الاحتلال بالقانون والنظام عرض الحائط.



علاء الدين الدروبي
رئيس أول حكومة في عهد الإنتداب



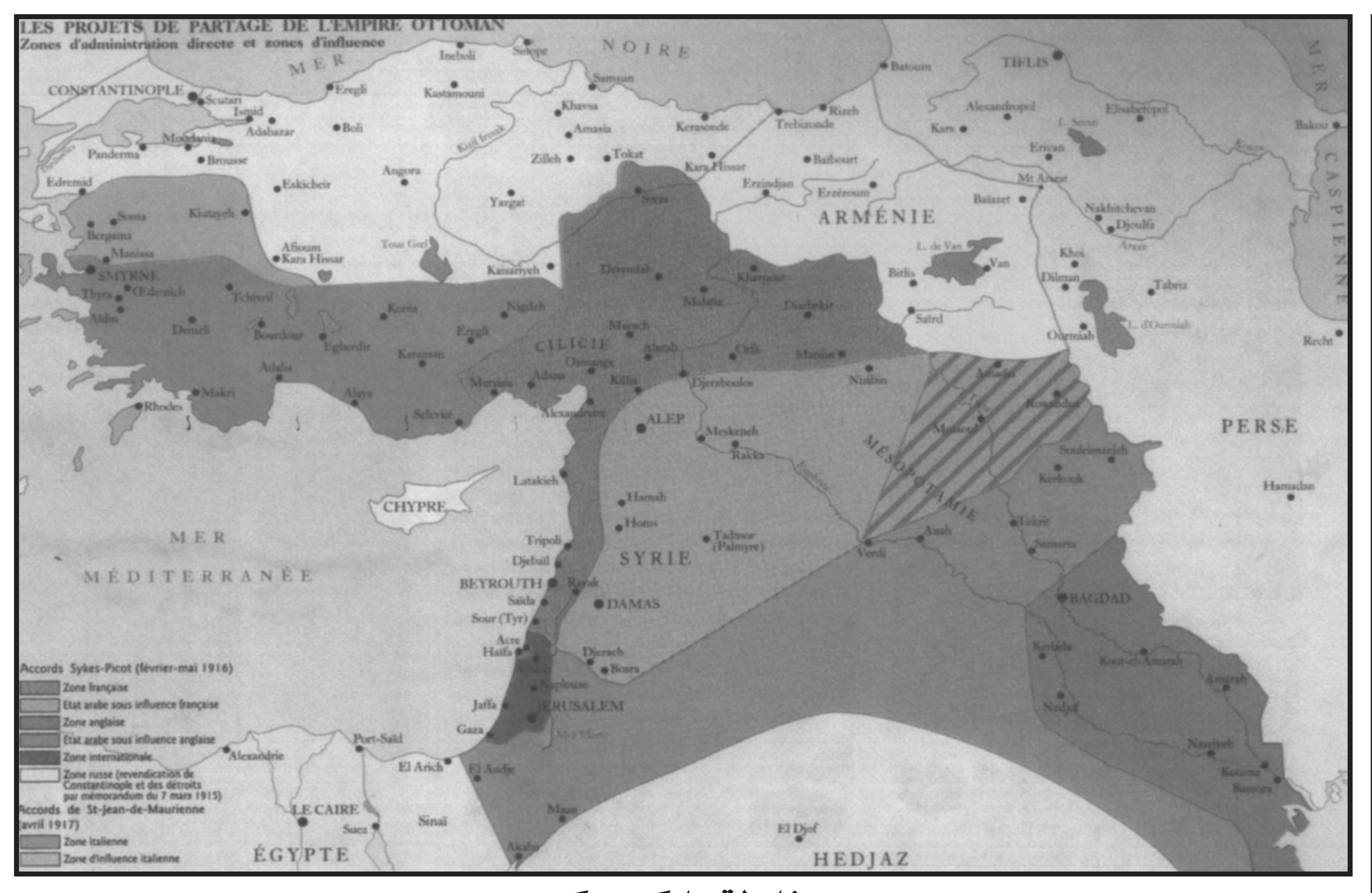
شارل كراين
رئيس لجنة الإستفتاء الأمريكية



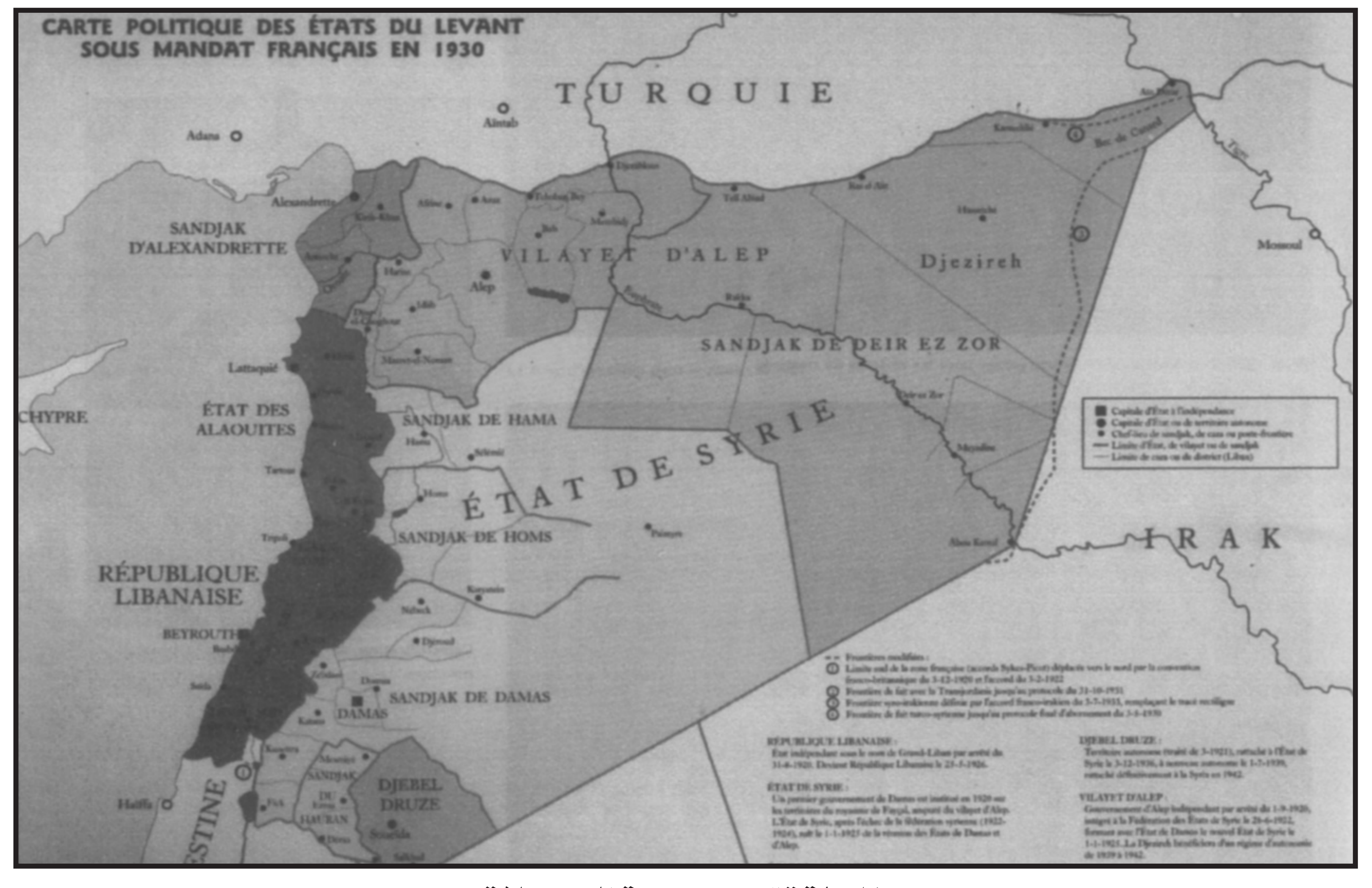
غليوم الثاني
إمبراطور ألمانيا



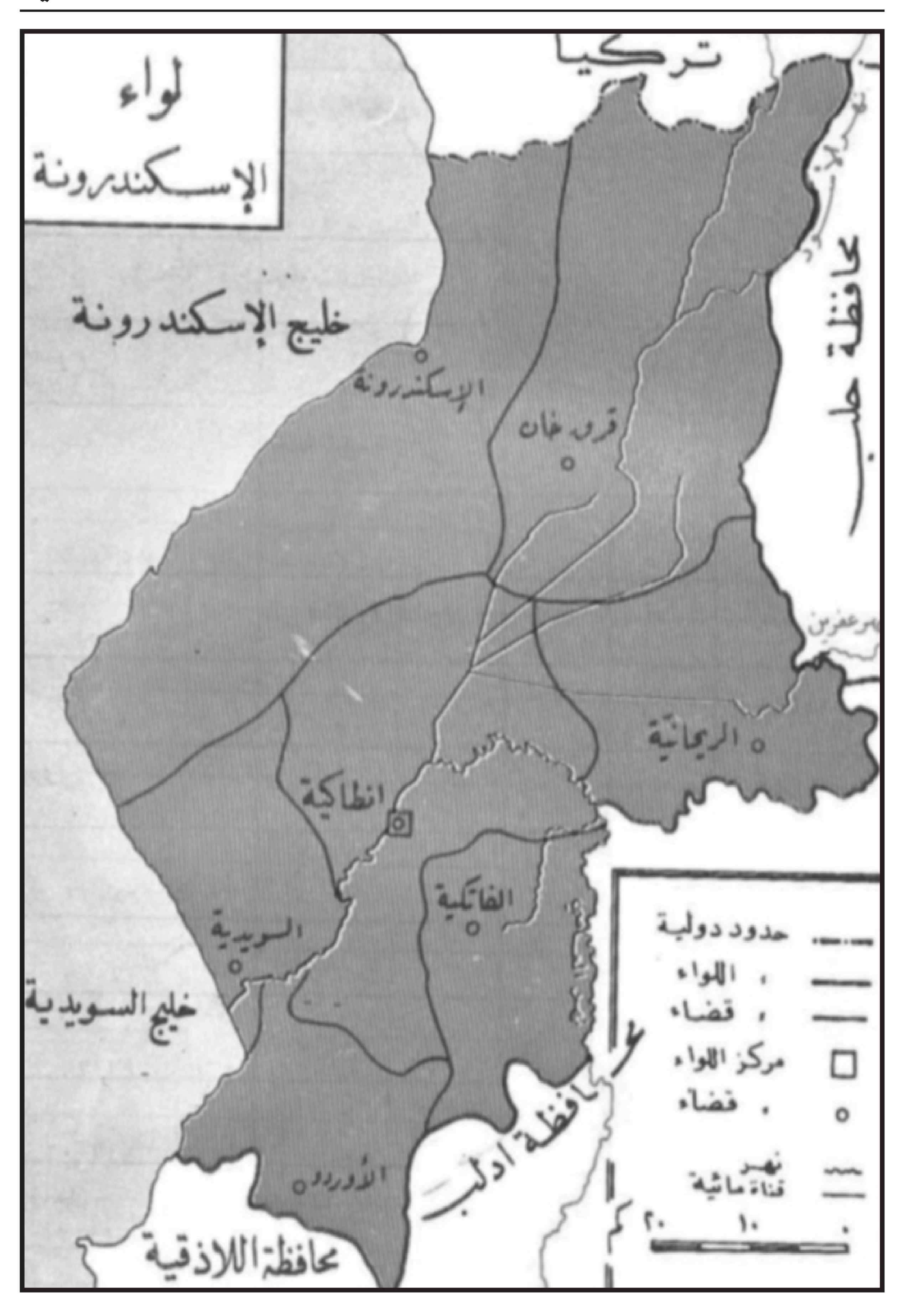
يوسف العظمة مع سائقه عمر نصري



خارطة سايكس بيكو



خارطة تقسيم سورية إلى دويلات


لواء
الإسكندرونة
تركيا
خليج الإسكندرونة
الإسكندرونة
قرق خان
محافظة حلب
الريحانية
انطاكية
الفائكية
السويدية
خليج السويدية
محافظة ادلب
الأوردو
محافظة اللاذقية
حدود دولية
« اللواء
« قضاء
مركز اللواء
« قضاء
نهر
قناة مائية
٢٠ ١٠ كم



مصر في ٨ فبراير ١٩١٨ - ٢٧/٤/١٣٣٦

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير، قد أمرني حضرة صاحب الفخامة نائب جلالة الملك أن أبلغ جلالتكم البرقية التي وصلت إلى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنونتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتكم، وهذا نصها بالحرف الواحد:

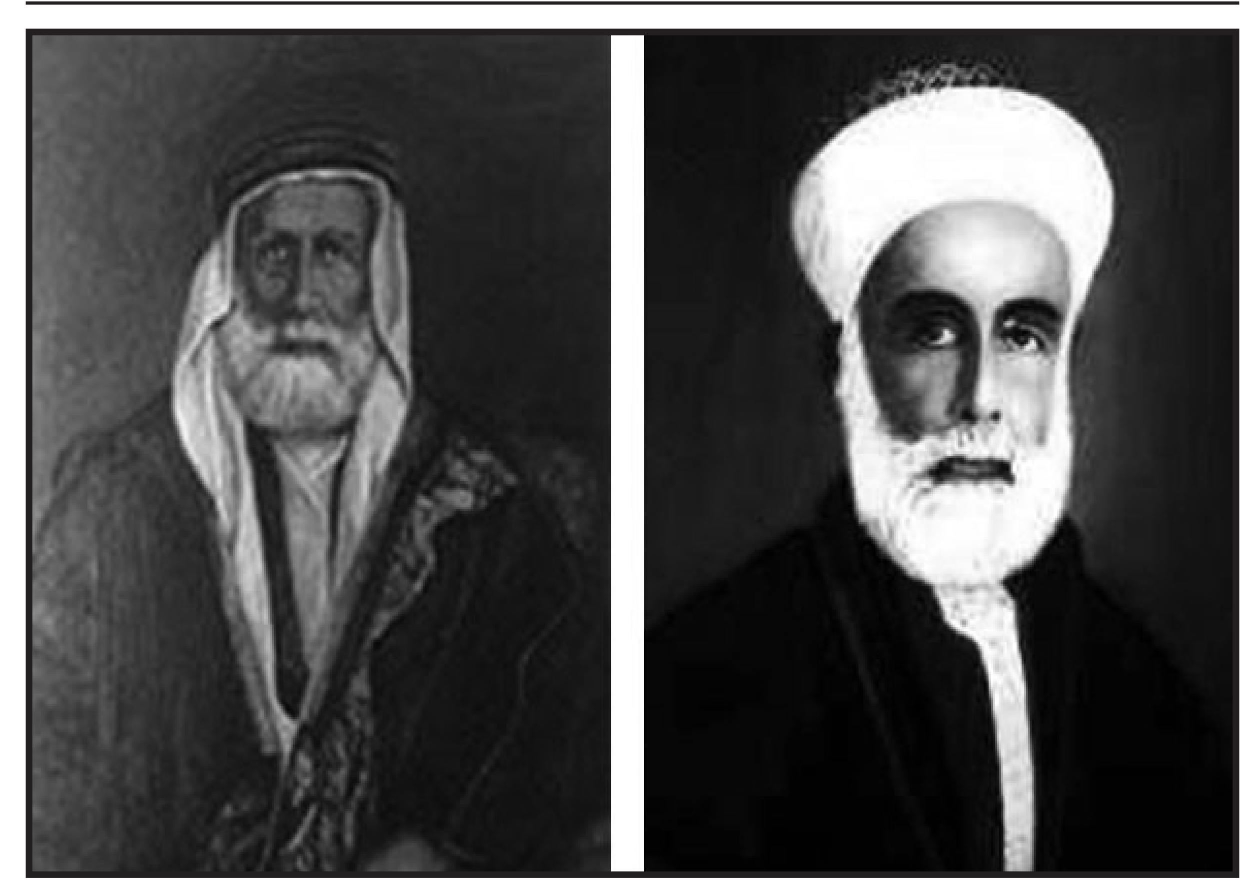
إن الرغبة والصراحة التامة التي تذكرونها جلالتكم في إرسالكم التحريرات التي أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وجعفر باشا إلى جناب فخامة نائب جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى، وإن الإجراءات التي اتخذتموها جلالتكم في هذا الصدد لم تكن إلا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائماً سائدة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وما الاحتياج إلى دليل أن السياسة التي تنتهجها تركيا هي إيجاد الارتياب وإلقاء الشك بين دول الحلفاء والعرب الذين تحت قيادة وعظيم إرشاد جلالتكم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا بإعادة حريتهم القديمة. إن السياسة التركية لا تعتمد تغرس ذلك الارتياب بأنها توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية وتلقي بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن قصدهم ولكن أقوال الدسائس لن تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم إلى فكر واحد وغرض واحد.

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لكل سبب تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة وهي مصممة أن تقف بجانب الأمم العربية في جهادها لأن تبني عالماً عربياً الذي يسود فيه القانون واستريح بدل الظلم العثماني وتمحو التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الأمم العربية، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد أن [illegible] تحمل استغاثة [illegible] بأن تحفظ العرب [illegible] تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين ليبلغوا حريتهم (انتهى)

وفي ختام النص قبول خالص التحيات وعظيم الاحترامات والتمنيات

[illegible] المعتمد البريطاني بجدة
الكولونيل بست

الوثيقة التاريخية لوعد بلفور



شريف مكة الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى



ملك الحجاز علي بن الحسين



ملك الأردن عبد الله بن الحسين

دولة الشريف الحسين بن علي وأنجاله

- بقي شريف مكة «الحسين بن عليّ» أميرًا على مكة من سنة ١٩٠٨م - وحتى عام ١٩١٦م، واليًا مُنتدبًا من قِبل الأتراك.
- وبدأت «المملكة الحجازية» بقيادة «الحسين بن علي» من سنة ١٩١٦م
- وحتى ١٩٢٥م. ثم تنازل لابنه علي وتوفي شريف مكة عام ١٩٣١م ودفن في مدينة القدس.
- وبقيت (المملكة الحجازية) بقيادة (علي بن الحسين) عامًا واحدًا فقط هو عام ١٩٢٥م. وتوفي الملك علي عام ١٩٣٥م.
- و(مملكة العراق) بقيادة (فيصل الأول بن الحسين) فقد استمرت من عام ١٩٢١م - وحتى عام ١٩٣٣م وتوفي فيصل عام ١٩٣٣م.
- و(إمارة شرقي الأردن) و(المملكة الأردنية الهاشمية) بقيادة (عبد الله بن الحسين) فقد استمرت من عام ١٩٢١م - وحتى عام ١٩٥١م وتم اغتيال الملك عبد الله عام ١٩٥١م.
- وقد تسلّم الحكم الملك طلال بن عبد الله ثم ابنه الحسين بن طلال[٥١].



الملك علي بن الحسين [١٨٧٨ - ١٩٣٥ م]

ملك الحجاز وأكبر أنجال قائد الثورة العربية الكبرى، وأمير مكة الحسين ابن علي. وُلد عام ١٨٧٨م، وأصبح وليًا لعهد والده، ثم تسلّم العرش وأصبح ملكا على الحجاز عام ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٢٥م، وأقام في جِدّة. كان قائدًا لأحد الجيوش التي حاصرت الأتراك في المدينة المنورة. لكنه أُكره على التنازل عن العرش، بعد هزيمة قواته أمام قوات الملك عبد العزيز بن سعود. فغادر جدَّة. وقضى السنوات الأخيرة من حياته في مدينة بغداد، ضيفًا في كنف أخيه الملك فيصل الأول ملك العراق. توفي عام ١٩٣٥م، وأصبح ابنه «عبد الإله» وصيًا على عرش العراق، بعد وفاة «غازي» عام ١٩٣٩م. وكانِ «فيصل الثاني» لا يزال طفلاً صغيرًا، حتى إذا بلغ سنَّ الرشد عام ١٩٥٣م، أُسند إليه ولاية العرش.

(٥١) بعد وفاة الحسين بن طلال عام ١٩٩٩م، تولى قيادة الأردن ابنه الأكبر عبد الله الثاني بن الحسين في ٧ شباط / فبراير ١٩٩٩م.(ولد في ٣٠ كانون الثاني / يناير ١٩٦٢ م)

وقد لقي «عبد الإله» مصرعه، هو والملك «فيصل الثاني» في الانقلاب العسكري الذي قام في العراق وقاده «عبد الكريم قاسم» في ١٤ يوليو / تموز ١٩٥٨م. ومنذ ذلك اليوم... لم يتوقف نزيف الدماء في العراق...!!

الملك عبد الله بن الحسين[١٨٨٢-١٩٥١م]

ثاني أبناء شريف مكة الحسين بن علي، وشقيق الملك فيصل الأول ملك العراق، وهو مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية.

وُلد عام ١٨٨٢م، ونُصّب أميرًا على «شرق الأردن» عام ١٩٢١م، ثم ملكًا على المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٦م بعد ضمّ الضفتين.

اغتاله [مصطفى شكري عشّو] في ٢٠ تموز / يوليو ١٩٥١م، وهو يدخل المسجد الأقصى في القدس لأداء صلاة الجمعة، وكان يرافقه حفيده الحسين بن طلال الذي اعتلى عرش المملكة الأردنية.

الملك فيصل الأول[١٨٨٣-١٩٣٣م]

من الرجال الأفذاذ الأبطال، الذين يستحقون التكريم والتقدير والإعجاب، المقترن بأصدق مشاعر الاحترام.

ولد في مكة عام ١٨٨٣م، وقضى سنيّ عمره الست الأولى في صحراء الطائف، متخلّقًا بأخلاق البدو، ثم سافر مع أبيه إلى تركيا، وتلقّى علومه هناك، حيث كان والده نائبًا في «مجلس المبعوثان» التركي.

كما كان رسول والده لحاكم دمشق (جمال باشا السفاح) الداغستاني، ولمؤتمر الصلح والسلام في فرساي.

انتخبه المؤتمر السوري العام بالإجماع، ملكًا دستوريًا على سورية في الثامن من آذار عام ١٩٢٠م، تقديرًا لعبقريته المتوهجة وشخصيته الفذّة، واعترافًا بخدماته وتضحياته، في سبيل حرية بلاده وإعلاء شأنها.

كان عظيمًا في عروبته الأصيلة الصافية، عظيمًا في أداء رسالته القومية، وسهره على رعاية أمته.

كان عظيمًا في سيرته وسَيْره وسريرته، عظيمًا في صبره وحكمته وجلده، صارع الغاصب المحتل، وكان الباني الأول لاستقلال سورية.

تُوّج ملكًا على العراق عام ١٩٢١م، وتوفي في يوم الجمعة ٨ آب / أغسطس عام ١٩٣٣م بالسكتة القلبية، وهو بعيد عن وطنه، في فندق في مدينة (برن)

بسويسرا وهو في الثانية والخمسين من عمره. وصعقت البلاد لنعيه المفاجئ، فقد كان فقده كارثة عربية مدمّرة.

كانت «البساطة» هي التي لازمته، من خندق الثورة حتى عرش الملك، وبساطة العظيم نوع من العظمة.

وقد استوت في ناظريه، وسائد ريش النعام والأحجار الكريمة، وقطع اللحم وكسر الخبز، وركوب السيارات والمشي على الأقدام.

طيّب اللّه مضجعه وسقى الغيث ثراه، وجزاه عن أمته وبلاده خير الجزاء.

الأمير زيد بن الحسين [١٨٩٨-١٩٧٢م]

الابن الرابع وأصغر أنجال أمير مكة الحسين بن علي. كان في التاسعة عشرة من عمره عندما قاد الجيش العربي في وادي البحر الميت، وانتصر على جيش الأتراك في معركة الطفيلة، وأسر منهم خمسمئة جندي، بينهم ضابطان كبيران، واستولى على عشرين مدفعًا، كما استولى على كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر والمواد التموينية للجيش التركي، استعان بها في المعارك التي خاضها.

دخل مع جيش فيصل إلى سورية، وكان ينوب عن أخيه أثناء فترة غيابه.

التحق بفيصل عندما أصبح ملكًا على العراق، وعمل سفيرًا في تركية وإنجلترا. كان مقدامًا وشجاعًا وكريمًا.

توفي في باريس عام ١٩٧٠م عن ٧٢ عامًا ودفن في العراق ومن أنجاله الأمير «رعد بن زيد».

الملك غازي الأول بن فيصل [١٩١٢-١٩٣٩م]

ملك العراق... ابن فيصل الأول بن الحسين «ملك سورية ١٩٢٠م، وملك العراق ١٩٢١م».

وُلد غازي الأول عام ١٩١٢م، وتولى الحكم في العراق بعد وفاة أبيه عام ١٩٣٣م.

عُرف باندفاعه الوطني القومي، ومناوأته للتسلط البريطاني، فلا عجب أن تآمر الغزاة المحتلون على قتله.

وفي عهده قام «الآشوريون» بثورة، فسارع إلى قمعها بشدة، لقي مصرعه

وهو داخل السيارة التي يقودها بنفسه، من قِبل مرافقه الخاص بتدبيرٍ من الإنجليز عام ١٩٣٩م، فخلفه ابنه «فيصل الثاني» الذي لقي مصرعه أيضًا في بغداد ، إثر الانقلاب الذي قام به الجيش في ١٤ يوليو / تموز ١٩٥٨م، وأطاح بالنظام الملكي.



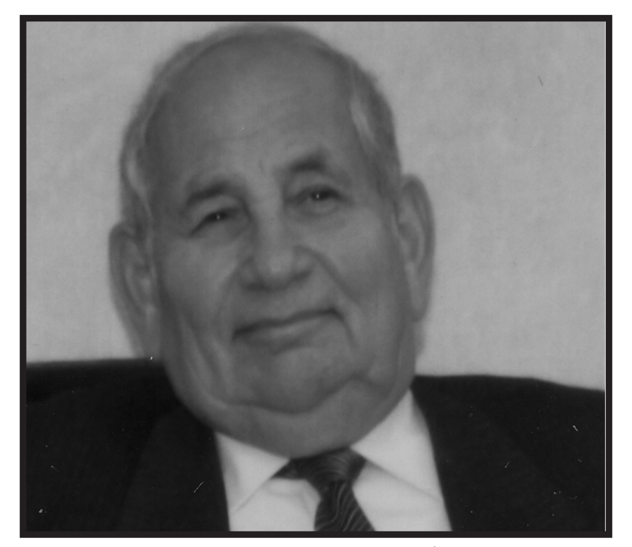
ملك العراق فيصل الأول بن الحسين



الأمير زيد بن الحسين



ملك العراق غازي الأول بن فيصل



الأمير رعد بن زيد

الفصل الرابع

العصابات الوطنية الدمشقية

شجعت الحكومة العربية «الفيصلية» الحركات الشعبية الوطنية، والتي كان يُطلق عليها عبارة «العصابات» الوطنية المجاهدة، وكانت تمدّها بالسلاح والمال.

ولمّا كانت الحكومة الفيصلية لا تستطيع أن تعلن حربًا «مفتوحة» «معلنة» على الفرنسيين، لذا كان عليها أن تملأ البلاد «بالعصابات» الاستشهاديّة التي تستطيع أن تجهز على المحتلين تدريجيًا.

وقد فهم بعض «العوام» أن كلمة «العصابات» تسمية فرنسية، ولكنها تسمية «قرآنية». فقد ذكرها تعالى في كتابه الكريم قبل أكثر من ألف وأربعئمة عام:

يقول ربّ العزّة في سورة النور [آية: ١١]:

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ]

والعصابات شكّلتها اللجان الشعبية للتعبئة (حرب الأنصار) أو (المقاومة الشعبيّة) للإمداد والمعونة، وتقطيع أوصال العدو، وإنهاك قواته، وضرب مؤخرة جيش العدو، لازدياد خسائره بالأرواح والعتاد، وإطالة عمر هذه المقاومة الشعبية، بتزويدها بالرجال والسلاح. يقول الشاعر البزّار:

«عصابةٌ» لم تَزَلْ بالحقِ ظاهرةً   وفي الحرب بالله والأملاك تنتصر

والعصابات والعصبة والعصابة في معاجم اللغة العربية:

«الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير إذا اجتمعت».

وعَصَّب فلانًا: أي جعله سيّدًا.

ومنها جاءت كلمة (العصبيّة): [التي وأَدها الإسلام، وقال عنها رسول الله: «دعوها فإنها منتنة»]: وهي شدّة ارتباط المرء بعَصَبه أو جماعته، والجدُّ في نُصرتها، والتعصّب لمبادئها.

وفي يوم (الفرقان) في غزوة بدر الكبرى، يناشد رسول الله ربه، أن يُنجز وعده له بالنصر والتمكين:

«اللَّهُمَّ نصرك الذي وعدتني».

«اللَّهُمَّ إن تهلك هذه «العصابة» اليوم، فلن تُعبد في الأرض أبدًا».
ومازال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فهل يقتنع هؤلاء (العوامّ)؟ ما تعنيه كلمة «العصابة».
بعد أن تعددت «العصابات الوطنية» في دمشق، كان لا بدّ من تنظيمها، سيما وأن بعضها تجاوز حدوده.

تنظيمات الثورة

شعر الثوار بشدة حاجتهم إلى تنظيم شؤون الثورة، ووضع قواعد يسيرون عليها، منذ ابتداء حركات «المقاومة» ضد الفرنسيين.
فاجتمع رؤساء «العصابات» في السابع والعشرين من شهر فبراير / شباط سنة ١٩٢٦م، وأصدروا القرارات التالية:
١- يؤلف من مجموع «العصابات» الغوطة وضواحي دمشق وحدة تامة، توزّع على المناطق الحربيّة بحسب الضرورة الحربية وأحوال المنطقة.
٢- يؤلف مجلس عام يسمى: «المجلس الوطني للثورة السورية في الغوطة وضواحي دمشق» ينتخب أعضاؤه من قِبَل رؤساء الثوار بتفويض خطي.
٣- تقوم كل عصابة بالأعمال الحربية في منطقتها، برأي مستشارها العسكري. أما الحركات العامة فتكون بقرار من المجلس.
٤- تخصص كل عصابة مفرزة من رجالها لتوطيد الأمن في منطقتها، وتأمين المواصلات مع المناطق المجاورة لها.
٥- يحمل رجال كل (عصابة) شارة خاصة بهم تميّزهم عن سواهم، ولا يجوز لأي مجاهد كان أن يترك (عصابته) المسجّل فيها ويلتحق بغيرها.
٦- الجاسوس الذي يُقبض عليه في إحدى مناطق الثوار، يُحال (بعد أن يضبط زعيم تلك المنطقة إفادته الأوليّة) إلى المجلس الوطني، لينظر في أمره ويُصدر بحقه الحكم النهائي.
٧- يُلاحق المجلس الوطني ملاحقة شديدة، الذين يعتدون على الأهالي، ويدّعون أنهم من الثوار، ويعاقبهم أشد العقاب.
ويُطرد من صفوف المجاهدين الذي يأتي عملاً يخرج به عن غرض الثورة النبيل.
٨- المناطق الحربية تبيّن وتحدّد في نظام توزيعها.
٩- صلاحية المجلس ووظيفته توضح في نظام تأليفه، ومضبطة انتخاب أعضائه.

جرى تقسيم مناطق الثورة وتنظيمها حسب المناطق الآتية:
- المنطقة الأولى: أراضي باب السريجة، وقبر عاتكة، وما بين المزّة وداريا، (والحدّ بينها وبين المنطقة الثانية الخط الحديدي).
- المنطقة الثانية: تمتد من أراضي حيّ الميدان، والشاغور، وقرى ببيلا، ويلدا، وعقربا حتى قرية عباده، (والحدّ بينها وبين المنطقة الثالثة نهر بردى).
- المنطقة الثالثة: تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر نهر تورا. (والحدّ بينها وبين المنطقة الرابعة الطريق بين دوما ودمشق).
-المنطقة الرابعة: تمتد من حدود المنطقة الثالثة إلى مركز قضاء دوما.
- المنطقة الخامسة: تمتد من حيّ الأكراد حتى عدرا.
- المنطقة السادسة: تمتد من سهل القابون حتى صيدنايا، ومن دمّر حتى الزبداني.
- المنطقة السابعة: تمتد من عدرا إلى النبك، حتى تتصل بـ«عصابات الشمال».

قرارات مجلس الثورة الأعلى

عقد مجلس الثورة الأعلى جلسته في ٢٥ فبراير ١٩٢٦م، واتخذ مجلس الثورة الأعلى قراراته التالية:
١- يؤلف المجلس من عشرة أعضاء ينتخبهم زعماء الثورة.
٢- ينظر المجلس بهيئته في القضايا العدلية والإدارية.
٣- ينقسم المجلس إلى ثلاث لجان هي:
(للجنة المالية، ولجنة الحركات الحربية، ولجنة الدعاية والاستخبارات).
٤- وظيفة اللجنة المالية: جمع الأموال والإعانات لتأمين إعاشة الثوار ومهماتهم.
٥- وظيفة لجنة الحركات الحربيّة: تنظيم الخطط الحربية، وقيادة الثوار في مواطن القتال، وإبلاغ التعليمات إلى العسكريين، والسهر على توطيد الأمن في مناطق الثوّار، وتأمين المواصلات بينها وبين المناطق المجاورة.
٦- وظيفة لجنة الدعاية والاستخبارات: بثّ الدعاية للثورة، وحضّ الأهالي على الثورة والقتال في مناطق الثوار ومدينة دمشق، وجمع

الاستعلامات السرية عن حركات الجيش الفرنسي، ومقاومة دعايته، وإذاعة النشرات اليومية والأسبوعية عن أخبار الثوار وحركاتهم في جبهات القتال.

٧- للمجلس الوطني طابع رسمي خاص.

أعضاء المجلس الوطني للثوره [هيئة أول مجلس وطني]

اختار زعماء الثورة السادة الآتية أسماؤهم أعضاء للمجلس الوطني، ووضعوا بذلك المضبطة الآتية:

نحن عموم رؤساء الثوار في مناطق الغوطة وضواحي دمشق، قد انتخبنا أعضاء للمجلس الوطني كلاً من السادة التالية أسماؤهم:

١- زكي الحلبي.
٢- شوكت العائدي.
٣- نزيه المؤيد العظم.
٤- فائق العسلي.
٥- أحمد الحصني.
٦- جميل شاكر الخانجي.
٧- صبري فريد البديوي.
٨- إسماعيل القلعجي.
٩- محمد الشيخ.
١٠- علي ديبو.

وفوضناهم تفويضًا مطلقًا، ليسيروا في أعمالهم حسب قرارنا، الذي اتخذناه في ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦م بإجماع الآراء والقرارات والأحكام التي يصدرها المجلس الوطني بعد الآن تسري على الجميع.

وزعماء الثوار هم القوة التنفيذية لهذا المجلس، وعليه نظّمنا انتخاب أعضائه هذه الموثقة بتوقيعاتنا.

تحريرًا في ٢٧ فبراير شباط سنة ١٩٢٦م.

رئيس المجلس: نسيب بك البكري

القرارات الأولى للمجلس الوطني للثوره

اجتمع المجلس الوطني للمرة الأولى، في اليوم الأول من مارس / آذار، وقرّر

القرارات الآتية:

١- أن يُعهد بأعمال اللجنة «المالية» إلى السادة:
نزيه المؤيد العظم، وعلي ديبو، ومحمد الشيخ.

٢- أن يُعهد بأعمال لجنة (الحركات الحربيّةالعسكرية) إلى الضباط:
زكي الحلبي، وشوكت العائدي، وصبري فريد البديوي.

٣- أن يُعهد بأعمال لجنة (الدعاية والاستخبارات) إلى السادة:
فائق العسلي، وجميل شاكر الخانجي.

٤- أن ينتخب المجلس لكل جلسة رئيسًا بالاقتراع السرّي، وأن يُعهد بأمانة السرّ إلى السيد فائق العسلي وجميل شاكر الخانجي.

ثم حدّد المجلس صلاحية كلّ لجنة، ووضع لها النظام الخاص الذي ينبغي لها أن تسير عليه، ونشر إذاعة عامة على أهل قرى الغوطة والمرج، وإبلاغهم فيها تأسيس المجلس الوطني للثورة وصلاحيته، وأنه أصبح بيده الحكم، وعليهم أن يرجعوا إليه في أمورهم.

- كما تقرر تعيين: الأميرالاي أركان الحرب (مصطفى وصفي السمّان)قائدًا عامًا للغوطة.

وقد تحمّل ثوار الغوطة عبء الثورة الوطنية الأكبر، واستنفدوا الجهد في الدفاع عن وطنهم، والنضال المرير من أجل أمتهم، وظلّوا يقاتلون بكل بسالة وإخلاص وحتى آخر طلقة... وحتى النَّفَس الأخير، فالغوطة هي آخر معقل وقف فيه إطلاق النار... واستسلم للفرنسيين.

بلاغ عام الى عموم العرب الكرام

يا احفاد يعرب وابناء قحطان تحية وسلام لقد حان الوقت الذي تأخذوا به ثاركم من دولة فرنسا وجنودها اللئام تلك الدولة الباغية التي داست حقوقكم وحرجت ملككم وابن نبيكم وهتكت حرمتكم بعد ان اثقلت ظهوركم بالغرامات وزجت رجالكم بالسجون اليس من العار عليكم ايها العرب خاصة والاسلام عامة ان تناموا على الذل والاستعباد وتبقوا دولة فرانسة الفاحشة ببلادكم المقدسة تسومكم سوء العذاب تذبح اطفالكم وتستحل اعراضكم فالجهاد الجهاد كما امركم ربكم لحفظ النساء والاولاد . فما الموت في سبيل تخليص الوطن الا الحياة وما التقاعس والقعود عن الحرب الا الموت .

ثوروا ايها العرب فوالله انكم على حق وعدوكم على باطل واعلموا ان الدول اجمع لا ترتاب في عدالة نهضتكم وشرعية دفاعكم وثورتكم فالقوانين الدولية تؤيدكم والشرائع الانسانية تعضدكم لانكم ايها الثوار منزهين عن كل عيب فالمسؤولية ملقاة على دولة فرانسة ورجال سياستها الذين نقضوا الوعود وخانوا العهود .

فثورتنا مقدسة ودفاعنا عن البلاد والاستقلال مشروع فانهضوا واسحقوا كل من يقف بوجوهكم . هبوا واجعلوا بلادكم مقابر لجنود فرانسة واعوانهم . ايها الثوار الكرام لا ترهبوا احدا في سبيل استقلالكم لا تشفقوا على انسان في سبيل تخليص بلادكم اسفكوا دم كل من يحول دون غايتكم الوطنية ، امحوا وجود كل من يكون عثرة امام حقكم المشروع . واعلموا ان فرانسة لم ترحمكم ولم تشفق عليكم وعلى بلادكم ولم تراعي موقف ملككم فيصل وابن نبيكم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

ذللوا ايها الثوار الصعوبات واهدموا الحواجز واقتحموا الموانع لنيل استقلالكم وانقاذ بلادكم واعادة ملككم فالعار الذي لحق العرب لا تغسله سوى الدماء التي تهرق من الافرنسيين وطردهم من بلادنا

ابشروا ايها العرب خاصة والاسلام عامة بزحف جيوشنا من الجنوب تحت قيادة الامير عبدالله المعظم وجيوش مصطفى كمال من الشمال وتقدم المجاهد الكبير حاجم بن مهيد على حماة ومحاصرة بطل الاسلام الشيخ صالح لحمص وها ان الدائرة بدأت تدور على فرانسة المعتدية الظالمة وعلى الباغي تدور الدوائر .

فجاهدوا ايها المسلم واهتفوا للاستقلال وارعوا الشروط الآتية وفقكم الله آمين .

١ — يجب تأمين الطرق وحفظ المواصلات بين مناطق الثورة .

٢ — بذل الهمة لحفظ الرصاص فلا يجوز اطلاقه في الهواء بدون فائدة .

٣ — الاعتناء بالاسراء ضباطا او جنودا

٤ — حينما تردون من اخوانكم الاسلام الموجودين بجيش فرانسة اشارة التسليم ان تكفوا عن ذبحهم

٥ — حفظ ادوات التلفون والتلغراف وحفظ الاعمدة حيث انها تعود على الامة بمنافع ويجب قطع الاسلاك من الاعمدة فقط حتى تنقطع مخابرات الافرنسيين .

٦ — نسف الجسور وقلع سكك الحديد ، والقناطر التي يمر عليها العدو .

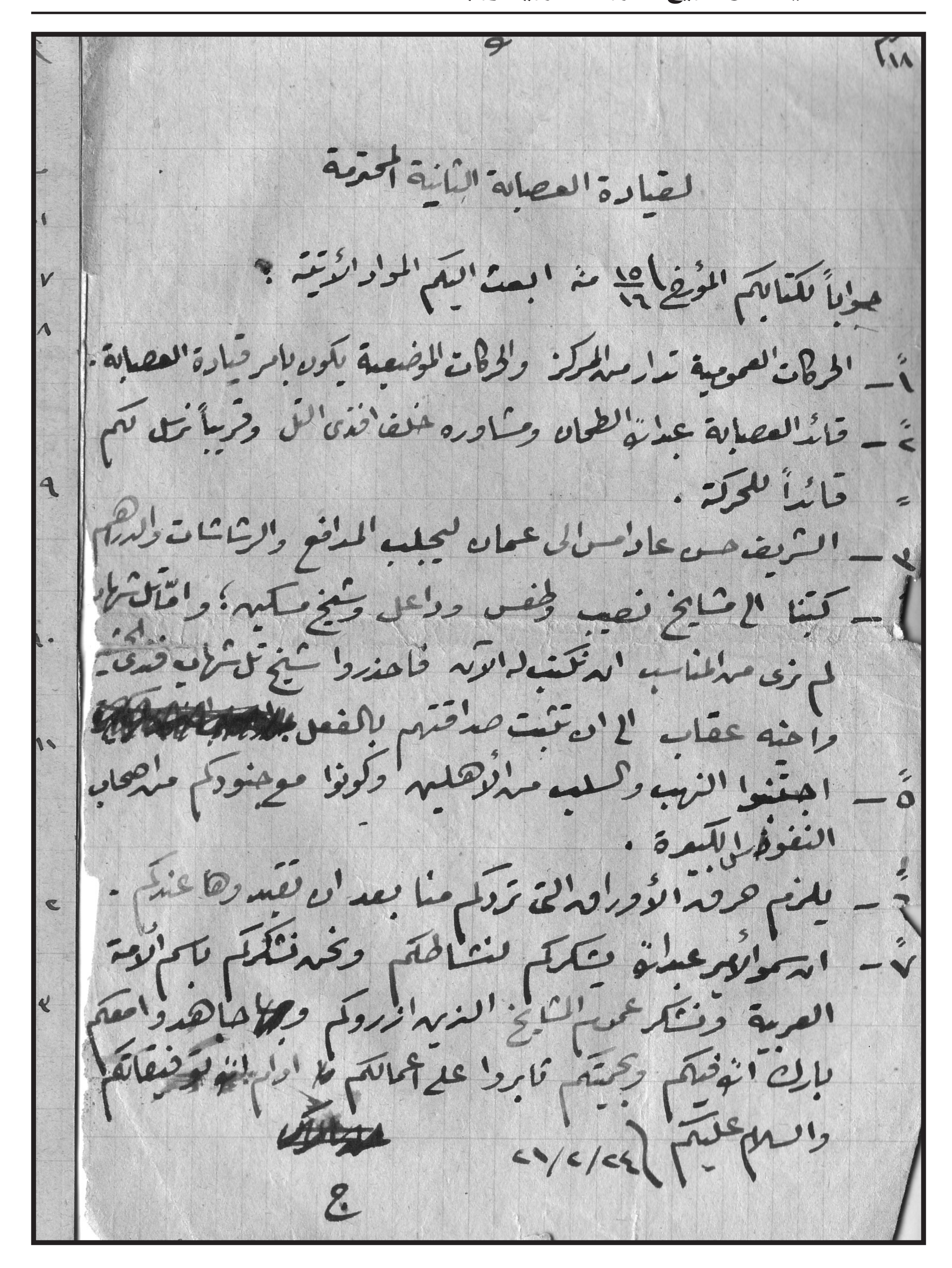
٧ — الاحتفاظ بما يقع تحت ايديكم من عربات النقل والسيارات .

٨ — حفظ المدافع والرشاشات ولا يجوز تخريبها مطلقاً لانها تنفع جيشنا العربي .

٩ — يجب الاعتناء التام بجرحى الاعداء حيث ان الدين يستوجب الرحمة والعطف .

[illegible] الجولان

بلاغ عام ونداء إلى عموم العرب من قادة الثوار



لقيادة العصابة الثانية المحترمة

جواباً لكتابكم المؤرخ ١٥/١٦ منه ابعث اليكم المواد الآتية:

١ـ الحركات العمومية تدار من المركز والحركات الموضعية يكون بأمر قيادة العصابة.

٢ـ قائد العصابة عبد الله الطحان ومشاوره خلف أفندي [illegible] وقريباً نرسل لكم قائداً للحركة.

٣ـ الشريف حسن عاد أمس الى عمان ليجلب المدافع والرشاشات والدراهم

٤ـ كتبنا الى مشايخ نصيب [illegible] و[illegible] وشيخ [illegible]؛ وأما [illegible] لم نرى من المناسب أن نكتب لهم الآن فاحذروا شيخ [illegible] أفندي [illegible] عقاب الا أن تثبت صداقتهم بالفعل [illegible]

٥ـ اجتنبوا النهب والسلب من الأهلين وكونوا مع جنودكم من أصحاب النفوس الكبيرة.

٦ـ يلزم حرق الأوراق التي تردكم منا بعد أن تقرؤوها عندكم.

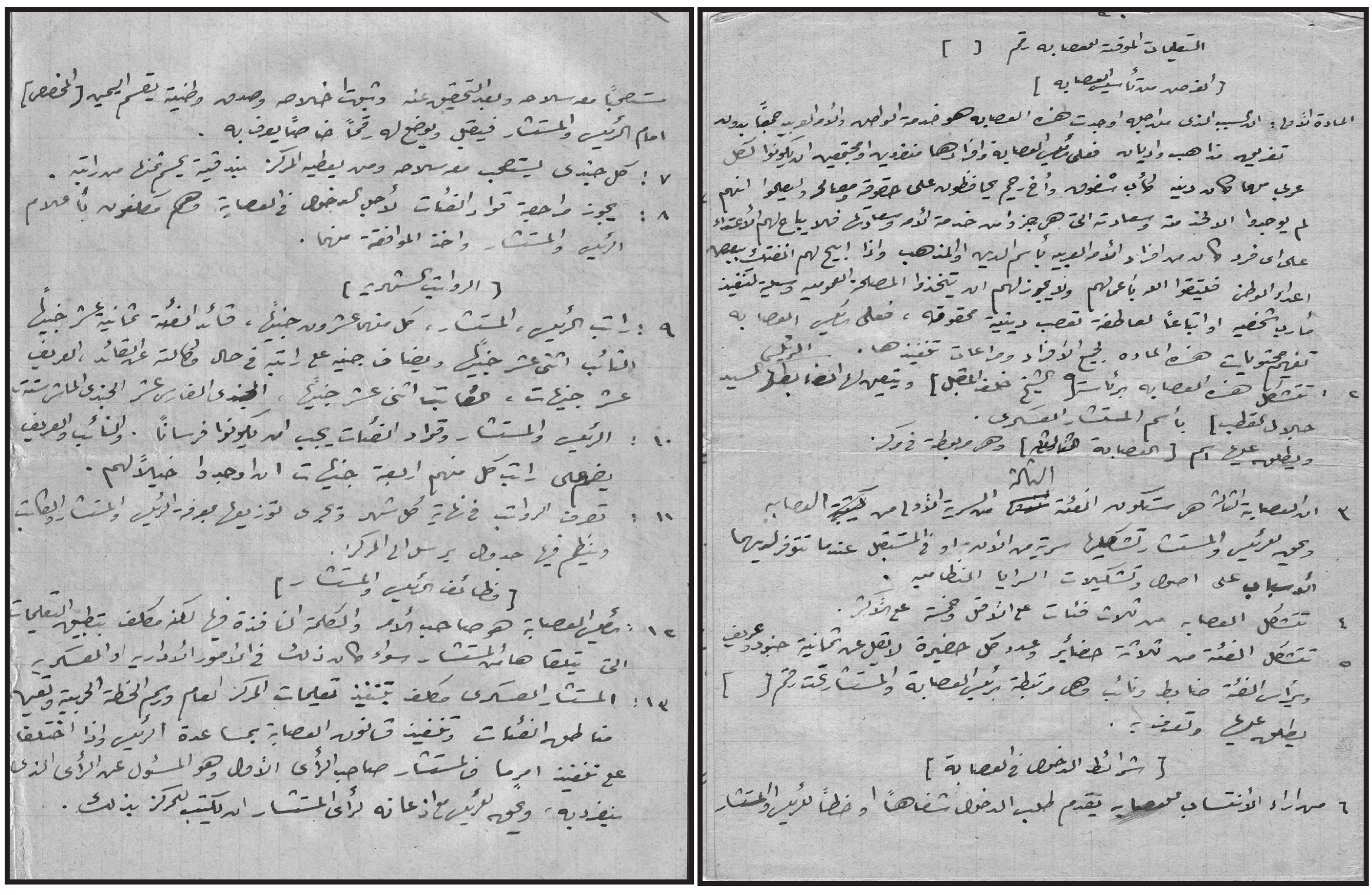
٧ـ ان سمو الأمير عبد الله يشكركم لنشاطكم ونحن نشكركم باسم الأمة العربية ونشكر عموم المشايخ الذين آزروكم وجاهدوا معكم بارك الله فيكم وبهمتكم ثابروا على أعمالكم [illegible] أدام الله توفيقاتكم

والسلام عليكم

٢٤/٢/٢٦

ج

بلاغ عام ونداء إلى عموم العرب من قادة الثوار



التعليمات الموقتة للعصابة رقم [ ]

[القصد من تأسيس العصابة]

المادة الأولى : السبب الذي من أجله وجدت هذه العصابة هو خدمة الوطن والأمة العربية جمعاً بدون تفريق مذاهب وأديان. فعلى أعضاء العصابة وأفرادها تنفيذ [illegible] أن يكونوا لكل عربي مهما كان دينه كأب شفوق وأخ رحيم يحافظون على حقوقه ومصالحه ويعلموا أنهم لم يوجدوا إلا لخدمة سعادته التي هي جزء من خدمة الأمة وسعادتها فلا يباح لهم الاعتداء على أي فرد [illegible] من أفراد الأمة العربية باسم الدين والمذهب وإذا أبيح لهم الفتك ببعض أعداء الوطن فليتقوا الله بأعمالهم ولا يجوز لهم أن يتخذوا المصالح القومية وسيلة لتنفيذ مآرب شخصية أو اتباعاً لعاطفة تعصب دينية ممقوتة، فعلى رئيس العصابة تفهيم محتويات هذه المادة لجميع الأفراد ومراعاة تنفيذها.

٢ : تتشكل هذه العصابة برئاسة [[illegible]] ويتعين الضابط الموقت السيد [illegible] باسم المستشار العسكري.
ويطلق عليها اسم [العصابة [illegible]] وهي مرتبطة بمركز [illegible].

٣ : إن العصابة الثالثة [illegible] تتكون من الفئة [illegible] السرية الأولى من [illegible] العصابة ويحق للرئيس والمستشار تشكيلها [illegible] من الأفراد أو في المستقبل عندما تتوفر لديهما الأسباب على أصول وتشكيلات السرايا النظامية.

٤ : تتشكل العصابة من ثلاث فئات على الأقل وخمسة على الأكثر.

٥ : تتشكل الفئة من ثلاث حضائر ويعد كل حضيرة لا تقل عن ثمانية جنود وعريف ويرأس الفئة ضابط ونائب وهو مرتبط برئيس العصابة والمستشار رأساً [illegible] [ ] يطلق عليهم عريف [illegible].

[شروط الدخول في العصابة]

٦ : من أراد الانتساب للعصابة يقدم طلب الدخول شفاهاً أو خطاً للرئيس والمستشار مستصحباً من سلاحه وبعد التحقيق عنه وثبوت إخلاصه وصدقه ووطنيته يقسم اليمين [المخصص] أمام الرئيس والمستشار فيلتحق ويوضع له رقم خاص يعرف به.

٧ : كل جندي يتسلح من سلاحه ومن يعطيه المركز [illegible].

٨ : يجوز لرئيس قواد الفئات [illegible] الدخول في العصابة [illegible] بإعلام الرئيس والمستشار وأخذ الموافقة منهما.

[الرواتب الشهرية]

٩ : راتب الرئيس والمستشار كل منهما عشرون جنيهاً، قائد الفئة ثمانية عشر جنيهاً، النائب اثنا عشر جنيهاً ويضاف جنيه على الرتبة في حال كفالته عائلة، العريف عشر جنيهات، [illegible] اثنا عشر جنيهاً، الجندي [illegible] عشر [illegible].

١٠ : الرئيس والمستشار وقواد الفئات يجب أن يكونوا فرساناً. والنائب والعريف يعطى لهم [illegible] كل منهم أربعة جنيهات إن وجدوا خيلاً لهم.

١١ : تعطى الرواتب في ختام كل شهر ويجري توزيعها بمعرفة الرئيس والمستشار [illegible] وينظم في جدول يرسل إلى المركز.

[وظائف الرئيس والمستشار]

١٢ : رئيس العصابة هو صاحب الأمر والكلمة النافذة وهو المكلف بتطبيق التعليمات التي يتلقاها من المستشار سواء كان ذلك في الأمور الإدارية أو العسكرية.

١٣ : المستشار العسكري مكلف بتنفيذ تعليمات المركز العام ورسم الخطط الحربية وتعليمها لرؤساء الفئات وتنفيذ قانون العصابة بمساعدة الرئيس وإذا اختلفا على تنفيذ أمر ما فالمستشار صاحب الرأي الأول وهو المسؤول عن الرأي الذي ينفذ به، ويجب على الرئيس الإذعان لرأي المستشار أن يكتب للمركز بذلك.

التعليمات المؤقتة للعصابات الوطنية

الفصل الخامس

وثيقة: «مسوّدة معاهدة الاتفاق»

١- تحقيقًا لرغبات الأمة السورية المنشودة، يوضع قانون البلاد الأساسي على قاعدة السلطان القومي لتحقيق الاستقلال، وانتخاب مجلس تأسيسي عام للبلاد السورية ودعوته للقيام بهذا العمل.

٢- تأسيس دولة سورية موحدة تشمل جبل العلويين، وجبل الدروز على أن يراعى قاعدة (اللامركزية)، حسب ما يقرّره المجلس التأسيسي العام، واسترداد الأقضية الأربعة التي سلخت عن سورية عام ١٩٢٠م وهي: «البقاع، وبعلبك، وحاصبيا، وراشيا» باعتبارها جزءاً لا يتجزأ عن سورية، وتمّ سلخها بقرار عرفي على غير رغبة أهلها.

أما سائر الأقاليم التي أضيفت إلى لبنان، فإنه يجب أن تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها، وتقرّر مصيرها، وعلاقاتها السياسية إذا لم يتوصل إلى الاتفاق بشأنها.

٣- تعقد معاهدة صداقة بين فرنسا وسورية، ولا تكون نافذة المفعول، إلا إذا أبرمها البرلمان السوري، على شرط أن تكون مؤسسة على قاعدة السلطان القومي للسوريين، مع حفظها لفرنسا في النفوذ السياسي، والرجحان الاقتصادي، بما لا يتعارض مع ذلك السلطان القومي.

٤- دخول سورية في جمعية الأمم المتحدة.

٥- الجلاء التدريجي عن سورية متى تألفت في البلاد السورية قوى أمن كافية.

٦- التعويض على المتضررين من جراء الثورة.

٧- إصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي.

٨- توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسًا على قاعدة السيادة القومية، مع حفظ حقوق الأجانب.

٩- إصدار مرسوم العفو العام الشامل، عن جميع الذين اشتركوا في الثورة السورية ضد القوات الفرنسيّة، في جميع المحافظات السورية المختلفة، مع حفظ الحق الشخصي لأربابه.

١٠- إطلاق يد الحكومة السورية في إدارة البلاد، دون تدخّل من السلطات

الفرنسية.

١١- لمّا كانت البلاد السوريّة من حدود البحر الأبيض المتوسط وحتى حدود العراق تعتبر أمة واحدة، ويُؤلف بينها وحدة اللغة والعنصر والتقاليد والآمال، ولمّا كان جبل لبنان قد خصّ بإدارة ممتازة بسبب ضرورة محلية، فإن الواجب يقضي بأن تقدر هذه الضرورة بقدرها، وبأن لا تتجاوز مكانها.

وهذا الاتفاق قد تمّ لإدراك السلام، وتأسيس قواعد الصداقة بين السوريين والفرنسيين كأصدقاء على أن تقوم هذه على أسس من الثقة المتبادلة، والمنفعة المتقابلة.

وهذا كله يعتمد على تأييد مطلق من الشعب، ومؤازرة لا محدودة من عقلاء الأمة.

هؤلاء هم ثوار سورية...

أبطال شرفاء، وقفوا في وجه الأعداء، حفاظًا على الوطن ودفاعًا عنه.

كان لهم دور كبير في تخليص الوطن من نير الاحتلال وصنع الاستقلال.

خاضوا مع العدوّ المغتصب معارك كثيرة، وضحّوا بأنفسهم في سبيل الله، وفي سبيل إنقاذ وطنهم من المعتدين، فدخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، وانتزعوا الفجر من براثن الظلام، وصنعوا من عزيمتهم أساطير المجد لأمة العرب.



دمشق ١٩١٩ .
جلوسا : رضا الركابي والشريف ناصر بن علي .
على الكراسي : فوزي البكري ، عبد الرحمن اليوسف ، الشريف جميل بن ناصر الامير زيد بن الحسين ، الشريف علي بن الحسين الحارثي .
وقوفا : نسيب البكري ، عطا الايوبي ، سامي البكري ، أحمد اليوسف ، محمد كرد علي .

الفصل السادس

العائلات الثائرة

هناك عائلات عريقة جذبها مغناطيس الثورة ومن هذه العائلات:

أبو خليل، أبو الريش، أبو الشامات، أبو غنيمة، أبو هنده، الأتاسي، الأخرس، الأدلبي، أرسلان، الأرمنازي، الأرناؤوط، الأشمر، الأصيل، الأطرش، الأظن، الأفيوني، الأكرمي، آل العظم، آل العظمة، آل خير، الإمام، الإنطاكي، الأيوبي، البارافي، البارودي، الباني، البحرة، البخاري، البديوي، البرازي، بركة، بزّال، البزم، بصلة، البطش، بقدونس، البكري، بكورة، البيتموني، البيرقدار، البيروتي، البيطار، البيك، بيهم، التقي، تللو، التميمي، التوّام، الجابري، الجابي، الجاجة، جُحا، الجراد، الجريس، الجزائري، الجسر، الجندلي، الجندي، جنيد، الجوخدار، الجوري، الحاج يوسف، الحافظ، الحايك، الحبّاب، الحبّال، حبنكة، الحجّار، حجازي الكيلاني، حجازي، الحراكي، الحرش، الحرفوش، الحَسني، الحسيبي، الحصري، الحصني، الحفّار، الحكيم، الحلاّق، الحلبي، حمادة، الحمامي، حَمود، حمودة، حمّوش، الحموي، حميد، حوّاش، الحوراني، حيدر، الخالدي، الخانجي، الخاني، الخجا، الخرّاط، الخربطلي، الخطيب، الخليل، الخنشور، الخوري، الخيمي، الداري، الداغستاني، الدبش، الدرخباني، دَروَزة، الدرويش، دعبول، دعدوش، دغمش، دلول، ديبو، الديراني، الراعي، الربّاط، ربّاطة، الرشواني، الرشيدات، الرفاعي، الركابي، رمضان، رومية، رويحة، الريحاوي، الريس، زبادنه، الزعبي، زعيتر، الزغلول، زلفو، الزين، زيناتي، الساطي، السبيعي، السراقبي، السَروجي، السفرجلاني، السقا، سكر، سلطان، سلوم، السمّان، السندس، اَلسودي، سوسق، السيّد، السيوفي، الشالاتي، شامية، شاهين، الشاوي، الشاويش، الشرباتي، الشُرفا، الشريف، الشريقي، شعبان، الشعلان، الشلاّح، الشمعة، شموط، الشهابي، الشهبندر، الشوا، الشواف، الشوربجي، شورى، الشويكي، الشيخة، الصفدي، الصلاحي، الصلح، الصليبي، الصواف، الطبّاخ، الطباع، طبرة، الطبري، الطحان، طعمة، الطويل، طيفَور، ظبيان، العائدي، عابدين، عاشور، العاص، العاصي، العاقل، عبد الهادي، العبدة، عبّود، عبيد، العبيدات، عجاج، العجلوني، العجم، العدوان، عرابي، العرقسوسي، عريشة، عزيزية، العسلي، العشّي، العطار،

عطايا، العطري، العقّاد، عكاش، العكاوي، العلاّف، العلواني، العلي، العمري، العنبتاوي، العنبري، العوّا، عويد، العياشي، العيسى، الغزاوي، غلمية، غنّام، الغندور، الغُنيمي، غيبة، الفاعور، الفتّال، الفحّام، الفحل، الفرّا، فرعون، الفقير، الفواز، فوق العادة، القاضي، القاوقجي، قباقيبو، القباني، قدري، القدسي، القشلان، القصّاب، القصيباتي، القضماني، قطيفاني، القلم، القوتلي، الكاتب، الكتاني، الكردي، كريّم، الكسم، الكلاّس، كليب، الكيالي، كيوان، اللحام، لنيادو، الماضي، مجاهد، المجتهد، المجذوب، المحاسني، محفّل، المحمصاني، مختار، المدانات، مدخنة، المدفعي، مراد، مردم بك، مريود، المسلماني، المصري، المعري، المعلم، المغربي، المفتي، الملاذي، المهايني، موصللي، الموقّع، الميداني، النجداوي، النحلاوي، النديم، النشاشيبي، النشواتي، نفّاع، النقطة، النوري، النويلاتي، النيّال، هارون، الهاشمي، الهامَش، هنانو، الهندي، هيتو، الوَرِع، وهاب، اليافي.



احمد بن اسماعيل حوراني



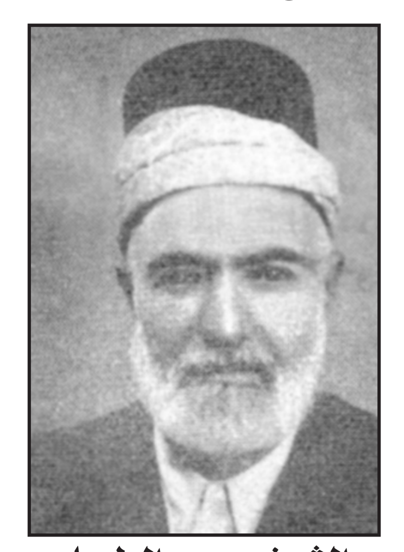
الشيخ شفيق عمر باشا



الشيخ زكي الشربجي



الشيخ محمد الفحل



الشيخ موسى الطويل



محمد نوري الفتح

الشيخ محمد الديراني

الشيخ أحمد الزيبق

علي آغا ديبو

ثوار آل الخانجي


إبراهيم شيخاني


بشير المهايني


ناصح العظم



محمد بن أحمد حوراني

رشيد الجوخدار

الشيخ طاهر الرفاعي

الشيخ رضا الرفاعي

عثمان الحوراني

الشيخ خالد القلعجي

ابراهيم الفحل

الشيخ عربي الخيمي

الشيخ عمر الأيوبي



مصطفى البشري — أبو يحيى الغواص — مصطفى عاشور

وهبي فتوش — رشيد الخنشور — الشيخ نديم شهاب

الشيخ حسن قبايبو — صفوت آغا الجيرودي — محمد حمدي السمان



محمد شوقي المالح — عزة المهايني — محمد المهايني

محمد أبو فهد الشعراوي — الشيخ خضر دلول — بدري آغا المهايني

الشيخ محمد سلوم — الشيخ محي الدين الخولاني — الشهيد سليمان المهايني



اديب العسلي

د . سليم محيش

أبو عبدو عمر الباشا

أحمد عثمان الدمراني

زكي الحلبي

عبد الغني نجيب

حسن الحلواني

حسني الحلاق

محمد حمدي البحرة



د. مدحت شيخ الأرض

واصف المهايني

يحيى المهايني

الأمير أحمد الشهابي

أحمد طلعت حفظي

سعيد الترمانيني

ابراهيم الشيخ (أبو عجاج)

حسن بكري القطاط

محمد اسماعيل الخطيب

الفصل السابع

أعضاء المؤتمر الوطني السوري

يتألف المؤتمر الوطني السوري من ٨٥ عضواً منتخبًا، وخمسة وثلاثين مندوبًا عن القبائل ورؤساء الأديان.

ظهرت فيه كتلتان برلمانيتان هما: «حزب التقدّم»: وهو مظهر برلماني «لجمعية الفتاة» - (الفتيّة) - و«حزب الاستقلال»: وقد بقي مسيطرًا على قرارات المجلس الوطني واتجاهاته. انتخب لرئاسته ثلاثة رؤساء ينتمون إلى «جمعيّة الفتاة» وهم: محمد فوزي العظم، وهاشم الأتاسي، ومحمد رشيد رضا. وكان هذا الحزب يحمل مبادئ إصلاحية واجتماعية، ويتشبث بالاستقلال، وعدم التساهل مع المطامع الأجنبية.

والمؤتمر الوطني السوري... مجلس نيابي (برلمان)، أو هو مجلس تأسيسي يتألف من (نوّاب) يمثّلون جميع الأقطار السورية: الشرقية والغربية والجنوبية «الداخلية والساحلية وفلسطين».

وقد جرى انتخاب أعضاء المؤتمر السوري، وفقًا لأحكام قانون الانتخاب العثماني، وقد جرى انتخاب النواب في المنطقتين الغربية والجنوبية، عن طريق تنظيم (مضابط توكيل) لأنَّ سلطات الاحتلال كانت تمنع الأهالي من إجراء الانتخابات أو عقد الاجتماعات.

كما عقد المؤتمر السوري أُولى جلساته في الثالث من حزيران ١٩١٩م، وآخر اجتماعاته في التاسع عشر من تموز ١٩٢٠م، وعقد المؤتمر خلال هذه المدة ثلاث اجتماعات: عند مجيء لجنة (كنج - كراين) الأميركية في الثالث من تموز ١٩١٩م، للاستفتاء واستقصاء الحقائق في سورية، وعند حدوث أزمة استبدال الجيوش الإنجليزية بالجيوش الفرنسية، وقبيل إعلان الاستقلال والمناداة بالأمير فيصل ملكا دستوريًا على سورية، في الثامن من آذار عام ١٩٢٠م، الموافق يوم الاثنين ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٨هـ.

وكان رئيس لجنة المؤتمر (هاشم الأتاسي) ورؤساء اللجان الأعضاء: محمد سعيد حيدر، والشيخ عبد القادر الخطيب، وفوزي البكري، وإبراهيم هنانو، ومحمد علي العابد، ورياض الصلح، وسعد اللّه الجابري، ووصفي الأتاسي، ودعّاس الجريس، وصلاح الدين الحاج يوسف.

واعتُبر هذا المؤتمر، أول مؤتمر وطني يجري انتخاب أعضائه من قِبل المنتخبين، لأصحاب الرأي والمكانة في الأمة. كما اعتُبرت قراراته قاعدة للسياسة الوطنية، وقراراته ملزمة للمسؤولين، من أجل الدفاع عن قضايا أمة العرب، وإسماع صو تهم للعالم.

وقد افتتح الملك فيصل المؤتمر السوري، في السابع عشر من حزيران عام ١٩١٩م، ورأسه محمد فوزي باشا العظم.

وكان قرار المؤتمر السوري التاريخي بإعلان الاستقلال، في يوم الاثنين السابع من آذار عام ١٩٢٠م، باعتبار هذا المؤتمر يمثّل الأمة تمثيلاً تامًا:

«نحن أعضاء المؤتمر بصفتنا الممثلين للأمة السورية، في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلاً صحيحًا نتكلم بلسانها، ونجهر بإرادتها، استنادًا إلى حقنا الطبيعي والشرعي في الحياة الحرّة أعلنا استقلال بلادنا استقلالاً تامًا، واخترنا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكًا دستوريًا على سورية».

وهؤلاء هم أعضاء المؤتمر السوري الـ(٨٥):

١- فاتح مرعشلي — حلب - إعزاز
٢- ثيودور انطاكي — حلب
٣- محمد رشيد رضا — طرابلس الشام
٤- عزّة دروزة بن عبد الهادي — نابلس
٥- صلاح الدين الحاج يوسف قدورة — صفد
٦- رشيد طليع — طرابلس الشام
٧- هاشم الأتاسي — حمص
٨- عبد الرحمن اليوسف — دمشق
٩- مراد غلمية — راشيا – مرج عيون
١٠- سليم علي سلام — بيروت
١١- رفيق التميمي — الخليل
١٢- عبد القادر الكيلاني — حماة
١٣- الشيخ عبد القادر الخطيب — دمشق
١٤- إبراهيم القاسم عبد الهادي — نابلس
١٥- توفيق البيسار — طرابلس الشام
١٦- شريف الدرويش — الباب - حلب
١٧- جلال القدسي — حلب - إعزاز
١٨- حكمت النيال — حلب
١٩- أحمد العياشي — إدلب

٢٠- عبد الرحمن رشيدات	عجلون
٢١- أمين التميمي	نابلس
٢٢- عيسى المدانات	الكرك - الأردن
٢٣- نوري الجسر	حلب
٢٤- إبراهيم هنانو	حلب–حارم– كفرتخاريم
٢٥- عفيف الصلح	صور
٢٦- محمد المجتهد	دمشق
٢٧- صبحي بركات الخالدي	انطاكية
٢٨- مسلم الحصني	دمشق
٢٩- زكي يحيى البيك	إدلب
٣٠- أحمد القضماني	دمشق
٣١- سليم عبد الرحمن	طولكرم
٣٢- جورج حرفوش	بيروت
٣٣- محمد الشريقي	اللاذقية
٣٤- أمين بيهم	بيروت
٣٥- الشيخ إبراهيم العكّي	عكا
٣٦- سعيد الصليّبي	السلط
٣٧- ناجي علي أدَيب	جبلة
٣٨- مُنح هارون	اللاذقية
٣٩- راغب النشاشيبي	القدس
٤٠- سعيد الحسيني	القدس
٤١- الدكتور محمد سعيد حيدر	بعلبك
٤٢- توفيق مفرج	الكورة – الأردن
٤٣- عبد الفتاح السعدي	عكا
٤٤- عبد الحميد البارودي	حماة
٤٥- عزة الشاوي	دمشق
٤٦- عبد الرحمن النحوي	صفد
٤٧- إبراهيم الخطيب	لبنان
٤٨- تامر حمادة	الهرمل
٤٩- وصفي الأتاسي	حمص
٥٠- سعد الله الجابري	حلب
٥١- أحمد قدري	الخليل

٥٢- رياض الصلح	صيدا
٥٣- عبد الفتاح الزعبي	عكا
٥٤- عبد الفتاح الشريف	عكار
٥٥- الشيخ محمود نديم	منبج
٥٦- خليل التلهوني	معان
٥٧- يوسف الكيالي	حلب
٥٨- جميل بيهم	بيروت
٥٩- عارف العارف	القدس
٦٠- عثمان منير سلطان	طرابلس الشام
٦١- معين الماضي	حيفا
٦٢- فايز الشهابي	حاصبيا
٦٣- الأمير محمود الفاعور	القنيطرة
٦٤- فوزي البكري	دمشق
٦٥- عبد المهدي محمود	الطفيلة
٦٦- دعّاس الجريس (الجرجي)	دمشق
٦٧- رشيد الحاج إبراهيم	حيفا
٦٨- خالد البرازي	حماة
٦٩- رشيد نفّاع	المتن – لبنان
٧٠- حسن رمضان	الزبداني
٧١- ناصر فواز الزعبي	حوران
٧٢- صبحي الطويل	اللاذقية
٧٣- يوسف العاقل	طبرية
٧٤- خليل إسماعيل أبو الريش	النبك
٧٥- محمود أبو رومية	حوران
٧٦- سليمان السودي	عجلون
٧٧- يوسف لنيادو	دمشق
٧٨- الشيخ طاهر الطبري	طبرية
٧٩- عادل زعيتر	نابلس
٨٠- الشيخ سعيد أبو تامر مراد	غزة
٨١- حكمت الحراكي	معرّة النعمان
٨٢- الحاج رشاد الشوا	غزة
٨٣- محمد فوزي العظم	دمشق

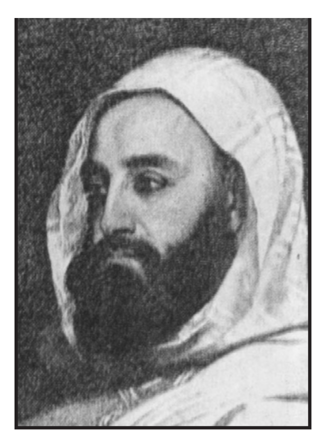
٨٤-	أحمد مريود	الجولان – جباثا الخشب
٨٥-	الحاج أمين الحسيني	القدس
٨٦-	سعيد أبو ناجي	السلط
٨٧-	مظهر أرسلان	حمص
٨٨-	فؤاد عبد الكريم	إدلب
٨٩-	يوسف العيسى	يافا
٩٠-	حسين الزعبي	الناصرة



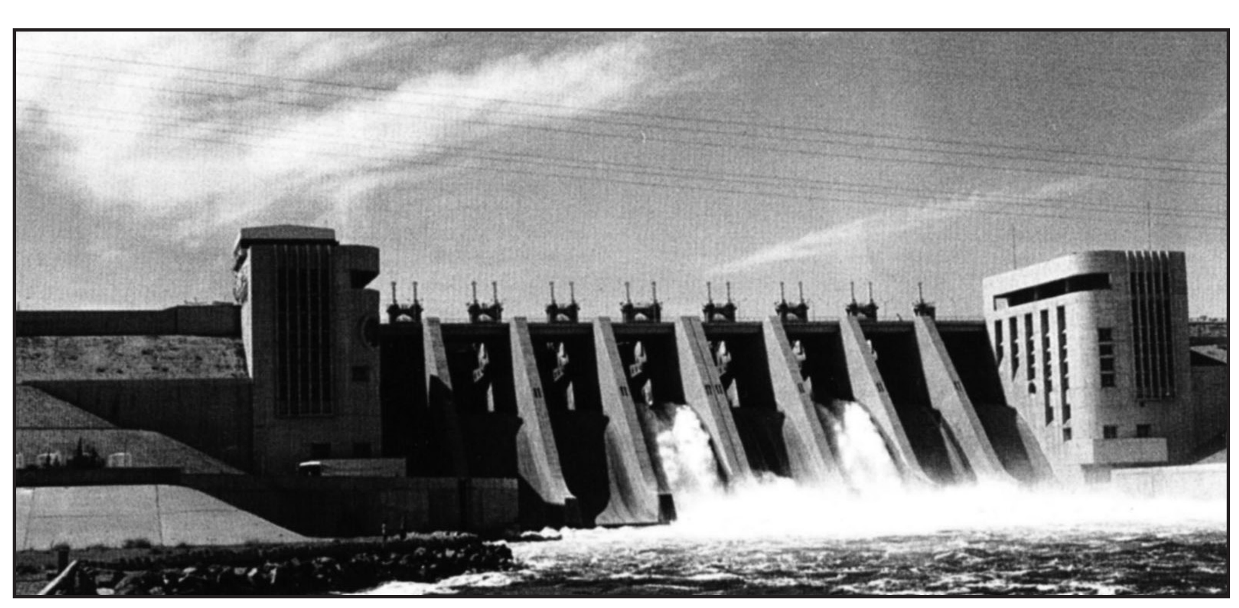
أعضاء المؤتمر الوطني السوري



الشيخ عمر البيطار (زعيم ثورة جبل صهيون)



الأمير عبد القادر الجزائري



سد الرستن

الباب الرابع

الفصل الأول

يوميات محارب/ثورة هنانو

هذه هي حركة الثورة والثوار يومًا بيوم، في مختلف جبهات القتال. هذه هي رحلة أمتنا في نضالها المرير الشاق ضدّ العدو المغتصب.

ونحن إذ نعيش اليوم مع أمتنا نعمة الاستقلال، ونتفيأ ظلاله وظلال علم العروبة الذي رفعه الثوار بسواعدهم القويّة، لنذكر بكل فخر واعتزاز هؤلاء الأبطال الغرّ الميامين، هؤلاء الثوار الذين صنعوا استقلالنا وصانوا كرامتنا وسيادتنا وخطّوا لنا التاريخ بدمائهم الزكية الطاهرة.

هؤلاء الرجال يستحقون منّا كلّ إجلال وتكريم فقد أدوا الأمانة وجادوا بأرواحهم وأنفسهم التي هي أغلى ما يملكون، فكانوا شعاع نور ومنارة هدى للأجيال الشابّة المتوثّبة لتحرير أرضنا في فلسطين(٥٢).

هؤلاء العظماء الذين نكتب عنهم سطروا تاريخ الوطن بدمائهم وتضحياتهم. وستكون أمتنا قادرة بإذن الله تعالى، بشيبها وشبابها، ونسائها وأطفالها، على ردّ كيد المعتدين، مهما بلغ عتّوه.

وستنتصر الإرادة العربيّة إن شاء الله وستُعاد الأرض المغتصبة والكرامة والسيادة، وسترتفع فوق أرضها الطيبة المعطاءة أرضها الطاهرة الطهور، أرض التين والزيتون بأشجارها المباركة - التي يحاول الصهاينة(٥٣) الأعداء، اقتلاعها من الأرض الطيبة - أعلام الوحدة والحرية والاستقلال فوق ربوع هاتيك البلاد، وسيدوّي صوت «الله أكبر» على منابر الأقصى بإذن الله، وستقرع أجراس الكنائس معلنة تحرير الأرض الطيبة المباركة من رجس

(٥٢) أُقيم الكيان الصهيوني، - هذا «الوباء السرطاني» - في قلب الأمة العربية، ليكون عقبة كأداء وعصاً غليظة في دولاب تقدم الأمة وتوحّدها وتحطيم أية قوة عربية يمكن أن تشكل بمنظور «المتصهينين» والكيان المغتصب تهديدًا استراتيجيًا لوجود إسرائيل..وعلى الرغم من كل الدعم العسكري والسياسي والمالي، الذي يناله العدو الصهيوني من الصهاينة و«المتصهينين» في أمريكا، فالمقاومة مستمرة، ولا سلام بين القاتل وطريدته الضحية، لأن يد القاتل المجرمة، انغمست في دم المقتول.

(٥٣) منذ أن أعلن «ديفيد بن غوريون»، قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨م ، والعدو الصهيوني يقتل ويشرد ويعتقل ويستولي على الأرض، وقد جرّب العدو المحتل كل أنواع أسلحته، لكنه لم يستطع وقف مقاومة الشعب، ولم يستطع كسر إرادة المقاومة، فالمقاومة الوطنية ضدّ الدخيل المحتل ستبقى في تصاعد مستمر حتى يخرج من أرض الوطن. فهل نسمّي من يدافع عن وطنه «إرهابيًا»، أيها المنصفون في العالم.

المغتصبين، وإن غدًا لناظره قريب.
وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين.



كانت البداية منذ رحيل الملك فيصل الأول من سورية في الأول من آب ١٩٢٠م، وقد حاولت فرنسا فرض سيطرتها على البلاد التي احتلّتها بقوّة الحديد والنار.

ولكن ما الذنب الذي اقترفه شعب سورية؟ حتى يقاتله الفرنسيون بهذه الوحشية، ويجيئون إليه بجيوشهم وخيولهم وأساطيلهم؟

ماذا فعل أهل سورية حتى تُداس أرضهم بأقدام الغزاة؟

إنّه الاستعمار الفرنسي البغيض، ووجهه الكئيب لا لشيءٍ سوى الاستعمار القبيح جاءت فرنسا بجيوشها ودباباتها لتتمركز في كل مدينة وقرية، كرمز لبسط سيطرتها على شعب أعزل مسالم.

- فقد رأى الجنرال المتغطرس «هنري غورو» - مندوب الاستعمار الفرنسي - السير على قاعدة «تقسيم المقسم، وتجزئة المجزأ».
- فأصدر في الثالث من أغسطس / آب ١٩٢٠م، قراره رقم «٢٢٩» بفصل الأقضية «بعلبك - البقاع - حاصبيا - راشيا» عن الوطن الأم سورية، وضمها إلى جبل لبنان.

وفي ٣١ منه أعلن «غورو» - «دولة لبنان الكبير» - ونشر هذا القرار التعسفي في الجريدة الرسمية في الأول من أيلول ١٩٢٠م.

- وفي الحادي والثلاثين من اغسطس / آب ١٩٢٠م، أصدر «غورو» قراره رقم «٣١٩»، بفصل مقاطعة «جبل العلويين» عن دمشق، وعيّن الكولونيل «نيجر» حاكمًا فرنسيًا.
- كما أصدر في السادس عشر من سبتمبر / أيلول ١٩٢٠م، قرارًا بفصل «دولة حلب» عن دمشق، وعيّن الجنرال «دي لاموت» حاكمًا عسكريًا.
- ثم أصدر في الثلاثين من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٠م، مرسومًا بتعيين الجنرال «غوابيه» حاكمًا عسكريًا في «دولة دمشق».
- وفي الرابع من آذار / مارس ١٩٢١م، أقرّ مرسومًا بتأسيس «دولة جبل الدروز»، وعيّن الجنرال «كولبيه» حاكمًا عسكريًا، يساعده «سليم الأطرش» حاكمًا مدنيًا. وهكذا قسّم المستعمرون وطننا إلى «دول». هلامية هشّة، وفقًا للمقولة الاستعمارية «فرّق تسد». لكن الشعب

الأبيّ في سورية، لم يترك الغزاة يهنأوا بمكاسبهم، بل جعل الأرض تحت أقدامهم جحيمًا لا يُطاق. وزاد المستعمر الدخيل من حملته المسعورة ضد أحرار الوطن.

كلّف محافظ دمشق «نورس الكيلاني»، بمهمة جمع الأسلحة من المواطنين، وإلقاء القبض على الثوار وتقديمهم للمحاكمة، والتعامل بالأوراق النقدية ليدفع الشعب ثمنها ذهبًا «ليرات رشادية ذهبية».

وفرض الغرامات الحربية على أهالي حوران لأن محافظ حوران «أبو الخير الجندي» وكبار شيوخها، قرروا فصل حوران عن سورية وإلحاقها بشرق الأردن.

- **وهكذا ظهرت المقاومة الأولى ضدّ الفرنسيين من أهل حوران.**

فقد اتّهموا أهل الشام، بأنهم سلّموا البلاد للفرنسيين الغزاة المحتلين دون مقاومة فهاجوا وماجوا وثاروا وهاجموا المفرزة التي أرسلتها فرنسا للتمركز في محطة القطار في درعا، ومنعوها من النُّزول، وأجبروها على الرجوع بالقطار إلى دمشق.

فأرسلت فرنسا (علاء الدين الدروبي)، الذي ترأس أول وزارة في عهد الفرنسيين، ومعه وزير الداخلية (عطا الأيوبي)(٥٤)، ورئيس مجلس الشورى (عبد الرحمن اليوسف)(٥٥)، لتهدئة الحالة في حوران، وبسط سلطة فرنسا هناك ومن ثم جمع الغرامات من الشعب الكاره للوجود الفرنسي.

كان ذلك اليوم يوم جمعة صعدتُ المنبر بعد صلاة الجمعة، وارتجلت خطبة وطنية حماسيّة، أثارت الحميّة الدينيّة، فثارت ثائرة المصلين في مسجد درعا، واندفعوا بجموعهم يصيحون: اللّٰه أكبر على المجرمين اللّٰه أكبر على الغاصبين اللّٰه أكبر على المعتدين.

عَلم أهل حوران أن الوفد الحكومي قادم إلى درعا، فتجمّع فرسانهم في محطَة (خربة الغزالة)(٥٦)، لمنع الوفد الذي أرسلته فرنسا، من الوصول إلى درعا، وبثّ الفرقة في صفوف أهلها.

---

(٥٤) عطا الأيوبي: كان وزيرًا للداخلية في حكومة «علاء الدين الدروبي». وقد نجا من المذبحة التي قُتل فيها رئيس الحكومة في محطة «خربة الغزالة» في حوران. كما تولى رئاسة الحكومة المؤقتة عام ستة وثلاثين، أيام المفاوضات مع الفرنسيين، وترأس الحكومة المؤقتة، عام ثلاثة وأربعين باسم رئيس دولة. وتوفي في ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٥٠م.

(٥٥) عبد الرحمن اليوسف: اشترك في الحكومة التي شكّلها «علاء الدين الدروبي» يوم خروج فيصل من دمشق. وقتل مع الدروبي في محطة القطار في قرية «خربة الغزالة» على يد ثوار حوران.

(٥٦) خربة الغزالة: قرية في محافظة درعا «حوران». تبعد عن دمشق مئة كيلومتر، وعن درعا ثمانية عشر كيلومترًا، يصلها بدمشق الخط الحديدي الحجازي.

ما إن وصل القطار محطة (خربة الغزالة)، في الحادي والعشرين من آب ١٩٢١م، وتوقف هناك، حتى صعد فرسان حوران القطار، وقتلوا (علاء الدين الدروبي) و(عبد الرحمن اليوسف)، واستجار (عطا الأيوبي) بفارس من أهل حيّ الميدان يعيش في حوران كان يعرفه الأيوبي، فأجاره من موت محقق. ونقل الوفد المرافق مع «عطا الأيوبي» عن طريق حيفا بحرًا إلى بيروت ومنها إلى دمشق بعد وقوع المجزرة(٥٧).

وقصفت فرنسا مدينة درعا بقنابلها، انتقامًا من الثوار وأهل حوران.

واتخذ ثوّار حوران من قرية (غباغب)، مركزًا للإغارة على المواقع الفرنسية. لكن الفرنسيين لاحقوا الثوار وطاردوهم بطائراتهم وجنودهم، فاتخذ الثوار من قرية (إزرع) خطًا آخر لانطلاق ثوّارهم ضد فرنسا. إلاّ أن الفرنسيين تقدموا واحتلوا قرية (غباغب)(٥٨).

تراجع الثوار إلى موقع (شقرا)(٥٩) وتحصّنوا فيها، واستقدموا مدفعًا وأسلحة من (القطرانة) - الواقعة في الأراضي الأردنية -، وتمترسوا في مواقعهم، وكان عددهم أكثر من مئتي فارس.

علم الفرنسيون بما بيّته الثوار، بواسطة عيونهم وجواسيسهم، فاستقدموا النجدات من دمشق لمساعدتهم في صدّ الثوار، لكنّ ثوّار حوران هاجموهم وكبدوهم خسائر فادحة، بلغت أكثر من ثلاثمئة قتيل، وانسحبوا إلى الجبال.

قام الفرنسيون باجتياح حوران واحتلالها، وجمعوا الأسلحة من أهلها، وفرضوا الغرامات، واعتقلوا شباب ورجال حوران، وزجّوا بهم في غياهب السجون. تلك كانت أول ثورة، واجهت فرنسا منطقة في حوران(٦٠).

---

(٥٧) وقعت المذبحة المشهورة في ١٩٢٠/٨/٢١م إذ أرسلت فرنسا بعد احتلال دمشق، قوة عسكرية مؤلفة من عشرين جنديًا سنغاليًا من المتطوعة، لرفع العلم الفرنسي في محطة «درعا»، إلا أن أهل حوران حالوا دون نزولها من القطار، فعادت أدراجها إلى دمشق. وغضب الفرنسيون لهذا التحدّي فكلّفوا رئيس الوزراء آنذاك «علاء الدين الدروبي» لجمع غرامة حربية، وتهدئة الحالة في حوران. وعندما وصل القطار إلى محطة «خربة الغزالة» هاجم الغاضبون من ثوار أهل حوران القطار، فقتلوا رئيس الوزراء «علاء الدين الدروبي»، ورئيس مجلس الشورى «عبد الرحمن اليوسف»، واستجار «عطا الأيوبي» - وزير الداخلية - بأحد تجار دمشق وكان يعرفه من حيّ الميدان، فأخفاه مع بقية أعضاء الوفد الشيخ عبد الجليل الدّرة، والشيخ عبد القادر الخطيب، وعادوا بطريق البحر من حيفا إلى بيروت فدمشق.

وقد انتقمت الحكومة من أهل حوران، بجمع الغرامات الحربية، ودفعت لكل من ورثة المقتولين عشرة آلاف ليرة ذهبية، واعتقلت الكثيرين، وأعدمت أربعة من الثوار، في ساحة الشهداء بدمشق.

(٥٨) غباغب: قرية من قرى حوران، تتبع منطقة الصنمين في محافظة درعا. وتضم غباغب أحد عشرة قرية، يجاورها شمالاً منطقة قطنا في محافظة دمشق، ومحافظة القنيطرة غربًا، وناحية قرى مركز الصنمين جنوبًا.

(٥٩) شقرا: قرية في حوران تقع عند حافة «اللجاة»، وتتبع منطقة إزرع وتبعد عنها ٧كم، تنتشر حولها صبات بازلتية وينابيع الماء، ويمرُ منها خط حديد دمشق - درعا.

(٦٠) حوران: منطقة سهلية واسعة في جنوبي دمشق، وتضم محافظتي درعا والسويداء. حجارتها سوداء بركانية.

وفي شمال سورية كانت بداية انطلاقة الثورة ضد الفرنسيين، ثورة «إبراهيم هنانو» الذي كان يرافق الجيش العربي الفيصلي، والذي كان يقوده «الأمير ناصر» نجل الأمير فيصل الأول، متعقبًا فلول الجيش التركي، في منطقة (حلب) في شمال سورية أواخر عام ١٩١٨م.

والثائر المجاهد (إبراهيم هنانو)، خرّيج كلية الحقوق في اسطنبول، وكان عضوًا في المؤتمر السوري، وهو من الرعيل الأول، ومن أوائل المثقفين الذين قادوا الثورة ضد فرنسا الغازية.

فقد قاد مجموعة قليلة العدد، سريعة الحركة والتّنقل، لا يتجاوز تعدادها أصابع اليد، استعذب أفرادها الموت في سبيل الله، تباغت العدو أينما كان تقتل وتبثّ الذعر بين صفوف الفرنسيين وأتباعهم، وتقطع طرق مواصلات العدو، وتضرب صفوفه الخلفية، وتكبّده خسائر فادحة، في المعدّات والأرواح، وتؤدب المارقين والخونة المتعاونين مع الفرنسيين.

اتخذت هذه المجموعة الصغيرة من قرية (كفرتخاريم) مركزًا لتجمعهم وانطلاقهم. وخلال فترة قصيرة من الزمن، انضم إليهم عدد من الثوار، حتى بلغ تعدادهم أكثر من أربعين مجاهدًا ثائرًا. وقد قام (ثوّار هنانو) بعمليات كثيرة، أرّقت الفرنسيين, وأنا أسجل هنا للحقيقة والتاريخ المعارك اليومية التي قادها هؤلاء الأبطال في يوميات محارب.

- احتلت القوات الفرنسية السواحل السورية واللبنانية، في الحادي عشر من تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٨م.
- قام ثوّار هنانو في تشرين الثاني من عام ١٩١٩م بمهاجمة الحامية الفرنسية في «ضيعة الشيخ» وبلدة «جكمجة»[٦١] وبلدة «بدركة»[٦٢] / بطركين الموجودة في ضواحي محافظة مدينة (انطاكية)[٦٣] بما توفر لدى الثوار من أسلحة وعتاد كما أغاروا على الحاميات الفرنسية في موقع جسر الحديد وجبال القصير.

دعاها الآشوريون «جورانو» أي الأرض المجوّفة، وأشار إليها الكتاب المقدّس باسم «باشان» أي السهول الخصبة. وحوران من «حور» العبرية، وتعني «الكهف» لكثرة كهوفها ومغاورها. وتشمل أراضي حوران: الصفاة، واللجاة، وجبل الدروز، والجيدور. وقد فتح المسلمون «حوران» قبل دمشق صلحًا.

(٦١) جكمجة: بلدة تقع على جانبي النهر المسمى باسمها في وادي العاصي. تتصل عمرانيًا بمدينة إنطاكية، وتتبعها عشرون قرية.

(٦٢) بدركة: بلدة مكسوة بالحراج، تقع في قضاء إنطاكية، في السفوح الدنيا لجبل الأحمر.

(٦٣) انطاكية: مدينة سورية في الشمال، وهي قاعدة لواء الاسكندرونة (الذي اقتطعه الفرنسيون من سورية وسلموه للأتراك). وهي مدينة قديمة أعاد بناءها (سلوقس) من خلفاء الاسكندر الكبير عام ٣٠٠ ق.م. وأطلق عليها اسم أبيه (انتيوخوس). ثم أصبحت عاصمة الولاية الرومانية في سورية، وقاعدة الرومان العسكرية في حروبهم ضد الفرس. وفي العهد الإسلامي كانت من مراكز الثغور الشامية.

● قام ثوّار هنانو في مساء الثامن عشر من نيسان ١٩٢٠م، بالهجوم على الحامية الفرنسية في (حارم)[٦٤]، وتمكنوا من قتل اثنين وثلاثين من رجالها، وقد انضم أهل المنطقة للثوار، وساعدوهم في تعقّب فلول الهاربين من الجيش الفرنسي.

● احتلت القوات الفرنسية البقاع، في السادس عشر من كانون الأول من عام ١٩١٩م، بحجة اعتداء الأهالي على ضابط الارتباط الفرنسي.

● شعر الشعب في سورية، بالمرارة والسخط على فرنسا وبريطانيا، وطالب حكومته بتهيئة البلاد كلها، للدفاع عن استقلال الوطن.

● كان قرار مؤتمر «سان ريمو»، واتفاقية «سيفر»، التي عُقدت في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م، صدمة وضربة موجعة لآمال الأمة العربية وقراراتها تقضي بوضع سورية تحت الانتداب الفرنسي، والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، وتسعى بريطانيا في الوقت نفسه بتنفيذ وعد بلفور الذي يعطي فلسطين وطناً لليهود.

● قامت الاحتجاجات والمظاهرات في كل أنحاء سورية، وشكّلت وزارة وطنية برئاسة هاشم الأتاسي في ٨ أيار ١٩٢٠م. رفضت الوزارة قرارات مؤتمر «سان ريمو»، وأكدت على الاستقلال التام، والسيادة القومية.

● كانت سورية «في العهد الفيصلي»، في قبضة الوطنيين، الذين استمدوا نفوذهم من وطنيتهم فنصروا قضية بلادهم في الحرية والاستقلال.

● احتلت القوات الفرنسية حلب، وغادرها محافظها (رشيد باشا طليع)، في منتصف تموز ١٩٢٠م.

● في الثالث عشر من شهر آب ١٩٢٠م، قام الفرنسيون بحملة عسكرية توجهت إلى (كفرتخاريم)، يتقدمهم أحد المتعاونين مع فرنسا. لم يكن أحد من الثوّار في القرية، فاعتقلت عددًا من وجوه القرية، وزجّت بهم في السجون.

● في منتصف أيلول ١٩٢٠م، هاجمت القوات الفرنسية قرية (إسقاط)[٦٥] التابعة لـ(حارم)، دافع عن القرية أكثر من سبعين ثائرًا من ثوار هنانو. وقتلٍ من الفرنسيين، ومن المتعاونيين معهم أكثر من ثلاثة وعشرين قتيلاً. واستُشهد ثلاثة من الثوار.

(٦٤) حارم: بلدة في محافظة إدلب، وتبعد عن مدينة إدلب ٥٠كم وهي واقعة في سفح جبل، وترتفع عن سطح البحر ١٣٨م. وتتألف منطقة حارم من: مركز حارم والدانا وسلقين وكفر تخاريم. فيها بقايا قلعة بيزنطية. تشتهر ببساتينها وأشجار الفاكهة ومعاصر الزيتون.

(٦٥) إسقاط: قرية في محافظة إدلب منطقة حارم، تتبع ناحية سلقين وتبعد عن حارم ٨كم وعن سلقين ٣ كم، تقع فوق رابية تطل على وادي الحلبي، وتتصل بطريق حارم - سلقين.

بعد المعركة أعدم الثوار (خيرو كجان) وهو أحد المتعاونيين مع قوات الاحتلال جزاء وفاقًا لخيانته.

• في الثاني عشر من أيلول ١٩٢٠م انضم لثورة هنانو، المجاهد الكبير الثائر (عمر البيطار) ورفاقه، وسريّة تركية يقودها القائد العسكري (بدري الشركس)[٦٦]، وكان معهم مدفع جبلي.

• في السابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٠م، هاجم ثوار هنانو الحملة الفرنسية، الموجودة في (جسر الشغور)[٦٧]، لتأمين الاتصال مع ثوار (صالح العليّ)، واستسلم أكثر من خمسة وعشرين جنديًا فرنسيًا، وقتل قائد الحملة الفرنسية، وغنم الثوار رشاشين.

• قام الفرنسيون في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠م، بحملة عسكرية مؤلفة من ألفين وخمسمئة جندي، تعززهم المدفعية والطائرات لاسترجاع (جسر الشغور) من الثوار.

فاجأ الثوار الرتل الفرنسي بالهجوم عليه من صفوفه الخلفيّة، فاختلّت صفوفه، وكبدوه خسائر فادحة، وانسحبوا ليباغتوه ثانية في جبال (جفرجة)، ثم كمنوا له على طول الطريق، من موقع التلول[٦٨] (تليتا) إلى (كفرتخاريم)، وكبّدوا العدوّ الفرنسي خسائر فادحة.

• هاجمت مجموعة المجاهد الكبير الضابط (إبراهيم الشغوري)، النجدات التي وصلت للفرنسيين لإيقاف تقدّمهم، كما تسلّلت مجموعة القائد (نجيب عويد) تحت جنح الظلام، وهاجمت الحامية الفرنسية، وقذفوها بالقنابل اليدوية، فتضعضعت صفوفهم، وخسِر العدو ثلاثمئة قتيل.

• توالت نجدات القوات الفرنسية، بعد أن أُصيب الفرنسيون بذعر شديد. وفي الثالث من كانون الأول ١٩٢٠م، دخلت مجموعة من القوات

---

(٦٦) الشركس: أحد الفروع التي تنتمي إلى الجنس القوقازي الأبيض. تحدّروا من شمال آسيا، = = ونزحوا إلى بعض أقاليم غرب بحر قزوين، واشتغلوا بالرعي، وتميزوا بأجسامهم القوية. وكانت نساؤهم يُسبَيْن أو يُبَعن طوعًا، فنشأ كثير من أبنائهن في بيوت الأمراء والسلاطين. واشتُهر أمر الشراكسة، إبّان عصر دولة سلاطين المماليك الأتراك في مصر، الذين استخدموا كثيرًا من أبناء الشراكسة في الجيش، تمامًا كما فعل سلاطين الدولة الأيوبية بالمماليك الترك، وانتهى الأمر عام ١٣٨٢ بإنشاء دولة المماليك الشراكسة، على يد «برقوق» الذي اغتصب المُلك من السلطان «حاجي بن شعبان»، آخر سلاطين دولة المماليك الأتراك. واستمر حكم دولة المماليك الشراكسة حتى فتح السلطان سليم مصر عام ١٥١٧م. ومن السلاطين الجراكسة: الملك الأشرف، سلطان مصر: «قانصوه الغوري» و«قايتباي المحمودي الأشرفي» و«طومان باي» وغيرهم.

(٦٧) جسر الشغور: بلدة في محافظة إدلب، تبعد عن مدينة إدلب ٤٦كم وتتبعها ٤٢ قرية. عسكر فيها صلاح الدين الأيوبي قبل هجومه على الصليبيين. وقام حاكم طرابلس محمد باشا الكوبرلي ببناء الجسر الذي يتألف من أربع عشرة قنطرة وطول ٤٠٠م فوق نهر العاصي، وتقع «حمامات عيسى» ذات المياه الكبريتية الحارة على بعد ١٧كم من جسر الشغور.

(٦٨) التلول: قرية في سهول إدلب غرب جبال حارم، وتتبع سلقين وتبعد عنها ١٠كم.

الفرنسيّة قرية (إسقاط) متجهة إلى جبل (الدويلية) فتصدّى لها الثوار، فانعطفت نحو قرية (سلقين) - التي تشتهر بزيتونها وزيتها - فهاجمها الثوّار داخل القرية، وأجبروها على إخلاء القرية.

• أرسلت القوات الفرنسيّة مفرزة من جنودها، لتأمين مرور قافلتها من مضيق (جسر دركوش)(٦٩) - على نهر العاصي - وكان ثوار هنانو يترصدونها هناك، فأفنوا الحامية الفرنسية عن بكرة أبيها، وقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول وسبعة عشر جنديًا فرنسيًا، وقد سقط من الثوار أربعة من الجرحى فقط.

• انتقم الفرنسيون من الأهالي، فأحرقوا قرية (قريباز)(٧٠) و(البرج الكبير)(٧١)، في الثالث من شهر شباط ١٩٢١م، كما أرسل قائد حملتهم الجنرال (غوبو) ثمانية آلاف جندي فرنسي، مدعومين بالمدافع والرشاشات الثقيلة، فهاجموا (كفرتخاريم) و(سلقين) وحين حاول الفرنسيون عبور (جسر دركوش)، تصدّى لهم الثوار، واصطدم الفرنسيون بمقاومة عنيفة شرسة، مما اضطرهم إلى التراجع، متكبدين عددًا من القتلى. وغنم الثوار أسلحتهم.

• في العاشر من شباط ١٩٢١م، جهَّزت فرنسا حملة تعدادها أربعة آلاف جندي فرنسي، بقيادة الجنرال (لبيوتر).

دخلت القوات الفرنسية قرية كللي (كللة)(٧٢) التابعة لمدينة (إدلب)، وروّعت أهلها، وأطلق الفرنسيون النار على سبعة وعشرين رجلاً من أهل القرية.

• قامت مجموعة من الثوار يقودهم الشيخ يوسف السعدون، ومصطفى الحاج حسين، وعقيل السقاطي، ونجيب البيطار باجتياز الحدود إلى سورية قادمين من تركيا، وهاجموا في الخامس والعشرين من شباط ١٩٢١م، قافلة فرنسية في قرية «بدركة» - بين انطاكية ودركوش - وقتلوا ضابطًا فرنسيًا، وخمسة عشر جنديًا سنغاليًا، رماهم سوء

(٦٩) دركوش: بلدة في وادي العاصي، تتبع منطقة جسر الشغور وتبعد عنها ٢٧كم في محافظة إدلب. بُني فيها جسر على نهر العاصي وسُمّي باسمها.

(٧٠) قريباز: بلدة في هضبة القصير، قضاء الفاتكية وتبعد عنها ٢٢ كيلومترًا. وتقع في أرض متموجة تكثر فيها الأشجار الحرجية.

(٧١) البرج الكبير: قرية في هضبة القصير، أخذت تسميتها من برج قديم يعود إلى العصر الروماني، وتبعد عن الفاتكية ١٢كم.

(٧٢) كِللي (كللة): قرية في هضبة إدلب، تتبع ناحية معرتمصرين وتبعد عنها ١١كم. فيها آثار تعود للعهد البيزنطي، وتقع في أرض سهلية في سفوح جبل باريشا.

طالعهم بالتطوّع في الجيش الفرنسي.

• قامت مجموعة المجاهد نجيب البيطار بالتصدي لحملة فرنسية بالقرب من «إدلب» في السادس والعشرين من شباط ١٩٢١م، واستُشهد البيطار مع رفاقه العشرين في أرض المعركة مرويًا تراب الوطن الحبيب بدمائه الزكية.

• قام ثوار من قرية (إحسم)[٧٣] يتزعمهم المجاهد الثائر (مصطفى الحاج حسين)، في السابع والعشرين من شهر شباط ١٩٢١ ميلادية، بالانضمام لثورة الزعيم إبراهيم هنانو فتعززت قوّتها.

• في أوائل شهر آذار ١٩٢١م، جهَّزت القيادة الفرنسيّة حملة هاجمت بها قرية (المسطومة)[٧٤]، إلاّ أن الثوار تصدّوا لها، وقتلوا أربعين من جنودها، وفرّ من بقي منهم على قيد الحياة.

• أرسل الفرنسيون حملة، قوامها ألف جندي من جنودهم، إلى جبلٍ (الزاوية) استدرجهم الثوار إلى مناطقهم ونازلوهم نزالاً عنيفًا، وأصلوهم نارًا حامية، فانسحبت القوة الفرنسية من ساحة المعركة، تاركة خلفها سبعين قتيلاً, وقد أبلى المجاهد الكبير (أبو عدلا) في المعركة بلاءً حسنًا.

• إثر هزائم الفرنسيين المتلاحقة، جهزت فرنسا فرقة من جنودها لاحتلال (جبل الزاوية) - معقل الثوار - وذلك في منتصف آذار ١٩٢١م. كما وجهوا حملات لاحتلال قلاع: مصياف[٧٥] وأفامية[٧٦] والمضيق وشيزر[٧٧].

استطاع الثوار بفضل صلابتهم وبسالتهم، أن يوقفوا الزحف الفرنسي.

ووصلت نجدات للثوار من الزعيم هنانو، بقيادة الشيخ (يوسف السعدون). واستمر القتال ثلاثة أيام متتالية. وقد بلغ عدد الثوار الذين اشتركوا في

---

(٧٣) إحسم: بلدة في أواسط جبل الزاوية، في محافظة إدلب وتضم ١٨ قرية، وتجاورها قرى أريحا ومعرة النعمان ومحافظة حماة.

(٧٤) المسطومة: قرية في حوضة إدلب وتبعد عنها ٦كم. تقع في أرض متموجة جنوب وادي «الحكر»، ويحيط بها تل أثري.

(٧٥) قلعة مصياف: شيدت فوق مرتفع صخري على بُعد ٤٥كم من مدينة حماة. استولى عليها المغول عام ١٢٦٠م وتمكن الظاهر بيبرس من تحريرها عام ١٢٧٠م بعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت. أحجارها تنطق تاريخًا وبناؤها يحكي عراقة الإنسان الذي أبدع ببنائها.

(٧٦) قلعة أفامية: مدينة أثرية في جبل الزاوية بمحافظة حماة وتبعد عنها ٦٠كم. بناها ملك سورية «سلوقس نيكاتور» عام ٣٠٠ق.م وسماها باسم زوجته الفارسية حرّرها المسلمون عام ٦٣٨م.

(٧٧) قلعة شيزر: قلعة أثرية في محافظة حماة وتبعد عنها ٢٥كم وعن محردة ٣كم. تتربع فوق نتوء صخري منيع ويجري أسلفها مهر العاصي. دخلت في الفتوحات الإسلامية ٦٣٩م

هذه المعركة أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل.

وبقي العدو الفرنسي، في سفح (جبل الزاوية)، يقذف حمم قنابله على الثوار.

ثم قام صناديد ومغاوير (نجيب عويد)، بالهجوم المباغت على مخازن الأسلحة الفرنسية، فانفجرت وسمع لها دوّي هائل.

وفي اليوم الرابع من المعركة، انسحب العدوّ تحت جنح الليل، تاركًا خلفه ألف قتيل، أكثرهم من الجنود الجزائريين، الذين رماهم سوء طالعهم، بالقتال إلى جانب الفرنسيين.

وسقط من الثوّار أكثر من خمسة وستين شهيدًا، وهو عدد كبير، ذلك لأن المعركة كانت كبيرة.

خاض الثوار هذه المعركة بكلّ بطولة، وكانت امتحانًا وابتلاءً لهم، فأظهروا شجاعة نادرة وصبرًا وإقدامًا، مما أدخل الخوف والهلع في قلوب الأعداء.

• هاجمت قوّة من الثوار في أواخر آذار ١٩٢١م، يقودهم المجاهد (مصطفى الحاج حسين)، الحامية الفرنسية في (المعرّة)[٧٨].

• قام عشرة آلاف جندي فرنسي، في العشرين من شهر نيسان (أبريل) من عام ١٩٢١ ميلادية، في أربعة عشر فوجًا، تدعمهم المدفعية والسيارات المصفحة والدبابات والطائرات، للاستيلاء على (جبل الزاوية) الاستراتيجي، وأحاطوا به من جميع جهاته.

قاومهم الثوار بكلّ بسالة، وقاتلوهم قتالاً مريرًا، ووقفوا وقفة الأبطال، أمام قوات تفوقهم عددًا وعدّة، والثوار لا يتجاوزون المئات، يقتسمون الرصاصات فيما بينهم، ليطلق كل واحد آخر رصاصة في صدر عدوّه.

كان الثوار بسبب قلة عتادهم في موقف حرج، وأبت عليهم وطنيتهم، أن يتركوا الساحة للعدو ليعيث فيها فسادًا وقتلاً وتدميرًا فاتفقوا على تقسيم أنفسهم إلى مجموعات صغيرة، لمناجزة القوات الفرنسية، بما توفر لديهم من عتاد، وكان العتاد نادرًا، وكان من الصعوبة بمكان الحصول عليه.

• في العاشر من تموز ١٩٢١م، عقدت معاهدة بين فرنسا وتركيا، تعهّد الأتراك عدم تقديم المساعدة الحربيّة للثوار، فتوقف مصدر الأسلحة عن الثوار، وتوقفت الثورة.

---

(٧٨) معرّة النعمان: منسوبة للصحابي «النعمان بن بشير الأنصاري» أصل تسميتها سريانية وتعني «المغاور». وفيها قبر أبي العلاء المعرّي. وهي مدينة في جبل الزاوية في محافظة إدلب وتضم ثلاثين قرية. وفيها شواهد أثرية كثيرة. ساهم أبناؤها في مقاومة الفرنسيين.

وعَبَرَ بعض الثوار إلى الأراضي التركية، وآخرون إلى الأراضي الأردنية، واختفى آخرون في جبال العلويين(٧٩) المنيعة الشاهقة، وبعضهم تفرّق هنا وهناك.

- وفي الحادي والعشرين من تشرين الثاني من عام ١٩٣٥ ميلادية، انتقل المناضل المجاهد الثائر إبراهيم سليمان هنانو إلى جوار ربه، بعد أن أدّى واجبه نحو الوطن.

يوميات محارب / ثورة الشيخ صالح العلي

انطلقت ثورة موازية لثورة الزعيم إبراهيم هنانو، ولا تقلّ أهميّة عنها، هي ثورة (الشيخ صالح العلي) من منطقة مدينة (طرطوس)(٨٠) الساحلية، منذ الأيام الأولى لاحتلال الفرنسيين لمنطقة الساحل، في أواخر عام ١٩١٨ ميلادية.

والشيخ صالح العلي من قرية (المريقب) - ناحية الشيخ بدر - بمنطقة طرطوس، وقد أعلن الثورة ضدّ الفرنسيين الغزاة المحتلين، في منطقته بقرية (الشيخ بدر)، واتسعت ثورته بعد ذلك.

وانطلقت تلك الثورة في الخامس عشر من شهر كانون الأول من عام ١٩١٨م، وتولى (الشيخ صالح العلي) قيادتها.

- فقد وجّه الشيخ صالح العلي، في الخامس عشر من كانون الأول من عام ١٩١٨م، دعوة للجهاد ضد الفرنسيين الغزاة، بعد شهر ونصف من استباحتهم السواحل السورية واللبنانية في الحادي عشر من تشرين الأول عام ١٩١٨م.
- كانت أول رصاصة أُطلقت في وجه المحتلين، تلك الرصاصة التي أطلقها المجاهد الكبير (محو شاشو الكردي).
- عندما بدأ الفرنسيون بالتغلغل في العمق، تزعَّم المجاهد الثائر

(٧٩) جبال العلويين: من أمنع المعاقل الطبيعية، فهي تتألف من سلسلة جبال شاهقة، صعبة المرتقى، تنتصب نواتئها في سفوح كثيرة الصدع. يقطن جبال العلويين شعب نزوع إلى القتال يأتمر بأمر زعمائه ويطيعهم طاعة عمياء. وتقع الجبال في محافظة اللاذقية وقد سمّاها الأقدمون (برجل)، ومعناها بالفينقية (الحديد)، وهو نفسه جبل (هور) المذكور في «الكتاب المقدس» ويرتفع شرقي «أرواد»، ويمتد على طول وادي العاصي وساحل البحر، وينتهي عند وادي الحسن بمحاذاة لبنان.

(٨٠) طرطوس: مرفأ سورية على البحر، وعروس الساحل السوري، سمّاها الإغريق «انتارادوس». عمّرها الأرواديون» في عهد الرومان. وشهدت معارك شرسة بين الصليبيين والمسلمين. ترتبط بخط حديدي عريض، وفيها حوض لإصلاح السفن، ومتحف، وقلعة تتصل بنفق مفتوح على البحر، هرب منه الصليبيون عام ١٢٩١م إلى قوارب أقلتهم إلى قبرص.

«عمر البيطار»[٨١] عشيرة آل البيطار أقوى العشائر، وقاد المقاومة ضد الفرنسيين، ومعه رجال العشيرة الأشداء في منطقة جبل صهيون[٨٢]، وكبار الثوار: حسن سعدية، مصطفى إسماعيل، جمال الأزهري، نجيب ومحمد البيطار، عزيز ونديم وعبد الواحد آغا هارون، صالح وحامد ميهوب، محمد جوفين، علي الشيخ خميس، محمد وشحادة زكريا، حسن علي ديب، محمود عطور والقائد التركي بدري بك.

- **كانت الثورة ضد الغزاة الفرنسيين المحتلين، تزداد ضراوة ومقاومة[٨٣] وعنفًا وقوّة، وكان الفرنسيون الدخلاء يزدادون شراسة وغدرًا.**
- **تقرر أن يكون الملازم إبراهيم الشغوري، ضابط الارتباط بين المجاهدين والحكومة، لتدريب الثوار على استعمال مختلف أنواع الأسلحة، ورسم الخطط الحربية، لضرب المواقع الفرنسية. وردًا على الثوار.**
- **وجّهت القيادة الفرنسية كتيبة مشاة مدعومة بالمدفعية من (القدموس) لاحتلال قرية (الشيخ بدر)، واعتقال زعيم الحركة (الشيخ صالح العلي) للقضاء على حركته.**

تمكّن الثوار من منازلة الفرنسيين، في غابة بالقرب من (وادي العيون)[٨٤] في قرية (أريحا)[٨٥] والثوار يعرفون تلك المنطقة شبرًا بشبر، وأهل مكة أدرى

---

(٨١) عمر البيطار: مجاهد وطني من أبناء منطقة (اللاذقية). ولد في قرية (شير القاق) عام ١٨٨٦م، وتزعّم الثورة ضد الفرنسيين المحتلين. شارك مع ثوار هنانو والشيخ صالح العلي في قتال الغزاة الفرنسيين، ثم لجأ إلى تركية. ولما عاد منها عام ١٩٣٨م أعتقله الفرنسيون. انتُخب نائبًا عن قضاء «الحفّة» في البرلمان. حاول الفرنسيون اعتقاله عام ١٩٤٥م إلا أنه هرب إلى تركية، واشتغل بالزراعة. وتوفي عام ١٩٤٦م في مدينة إنطاكية ودُفن فيها.

(٨٢) جبل صهيون: تتألف منطقة جبل صهيون، من مجموعة من القرى، وعلى بُعد حوالي أربعة كيلومترات من اللاذقية يقع جبل صهيون، ويقوم عليه حصن مبني على صخور مرتفعة، تشرف على منحدرات سحيقة سمي بحصن صلاح الدين. وقامت الثورة ضد قوات الاحتلال الفرنسي في جبل صهيون، بسبب إعدام الفرنسيين أحد أبناء المنطقة، بدون ذنب أقترفه، لإرهاب سكان الجبل. وهي ثورة مستقلة عن ثورة الشيخ صالح العلي. وزعيم هذه الثورة هو المجاهد «عمر البيطار».

(٨٣) المقاومة الشعبية: ردّ فعل طبيعي، لأي شعب في العالم يقاوم الاحتلال وقد قاومت كل شعوب العالم المحتلين الغزاة، للحصول على حريتها واستقلالها. فلماذا يُنكرون على شعوبنا، حقها في مقاومة الاحتلال؟ كل الشعوب تؤمن بحق الدفاع عن أوطانها ومقاومة المحتل إلا نحن متهمون ممنوعون من ممارسة حقنا في الدفاع عن تراب وطننا ومقدساتنا ولأنهم «محتلون مغتصبون»، يصفون كل مَنْ يقاومهم بـ«الإرهابي».فمَنْ هو «الإرهابي»؟ هل هو المواطن الذي يدافع عن أرضه وبلاده أم ذاك الذي قطع آلاف الأميال، ليدمّر بطائراته القرى والمدن فوق رؤوس ساكنيها؟ ما أقبح منطقكم أيها الغزاة صهاينة ومتصهينين.

(٨٤) وادي العيون: وادٍ جبلي عميق في جبال اللاذقية محافظة طرطوس. سمي كذلك لكثرة ينابيعه ويضم ١٩ قرية. يشطر بلدة وادي العيون إلى شطرين، ويبعد عن مصياف ٢٤كم، وتتناثر التجمعات البشرية على جانبيه، وينتهي إلى البحر.

(٨٥) أريحا: بلدة أثرية في سفوح جبل الزاوية، تتبع محافظة إدلب. يجاورها معرّة النعمان ومحافظة حماة وإدلب

بشعابها.

تراجعت القوات الفرنسية، مخلّفة وراءها خمسة وثلاثين قتيلاً، وأسلحة وذخائر.

- **في الثاني من شباط ١٩١٩م أعاد الفرنسيون هجومهم على قرية (الشيخ بدر)، ولطبيعة المنطقة التي يعرفها الثوار، استمرت المعركة من الصباح حتى المساء، وأسفرت عن هزيمة مؤلمة للفرنسيين، وهربوا تاركين وراءهم أكثر من عشرين قتيلاً، ومعدّات وأسلحة وذخائر، ووقع ثلاثة من الجنود الفرنسيين أسرى بأيدي الثوار.**
- **اشترك المجاهد الكبير (الشيخ عز الدين القسّام)، وهو من أهالي مدينة (جبلة) في الثورة ضد فرنسا. إذ قام مع صحبه الثوار بمحاولة للهجوم على ثكنة عسكرية فرنسيّة في اللاذقية، كما تعرّضوا لمفرزة فرنسية أخرى في الطريق.**
- **فرضت السلطات الفرنسيّة المحتلة غرامات حربية على منطقة (الحفّة)[٨٦] و(بيت طبش) و(بابنا)[٨٧] وذلك في منتصف شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩١٩ ميلادية، ووجهت مدافعها نحوهم لأنهم ساعدوا الثوار.**
- **قام الغزاة الفرنسيون بالهجوم على قرية (بابنا)، وأعدموا ثلاثة من الثوار شنقًا أمام أهل القرية لإرهابهم، والشهداء هم: محمود علي إسماعيل، وعلي زاهر، ومحمود ضوا. وقد قاوم الثوار الجنود الفرنسيين حتى نفذت منهم ذخيرتهم فانسحبوا.**
- **في السادس عشر من نيسان ١٩١٩م، هاجم ألف مقاتل بقيادة «حسن طه» الجيش الفرنسي، المتواجد في قرية «بابنا» وكبدوه خسائر فادحة.**
- **قامت حملة فرنسية باحتلال قرية (الشيخ بدر) و(الرستن)[٨٨].**

وجسر الشغور وتضم ٢٢ قرية.

(٨٦) الحفّة: تبعد عن مدينة اللاذقية ٣٠كم، وهي قرية صغيرة، تقع فوق هضبة ترتفع عن سطح البحر ٣٠٠م، وتحيط بها أودية عميقة، وتشرف على مدينة اللاذقية. أخذت تتسع وتتطور بسرعة كبيرة لوقوعها في الطريق إلى مصيف «صلنفة». وتمتاز الحفّة ببحيرتها العذبة، واشجار الفاكهة، ونسيمها العليل. كانت مركز قرية «بابنا» وعلى بعد أربعة كيلومترات منها تقع قلعة جبل صهيون. قال ياقوت الحموي في معجمه إن اسمها اشتق من الأداة الحاكّة التي تعمل على حياكة ونسج الثياب.

(٨٧) قرية بابنا: قرية صغيرة تقع شرقي مدينة اللاذقية الواقعة على شط البحر الأبيض المتوسط وتبعد عنها حوالي أربعين كيلومترًا، كما تبعد عن قرية «الحفّة» سبعة كيلومترات. وقعت فيها معارك عنيفة بين الثوار والقوات الفرنسية عام ١٩١٩م.

(٨٨) الاسم الصحيح هو (الرسته): من قرى الشيخ بدر على طريق وادي العيون_مصياف. أما الرستن: مدينة على

هاجمها الثوار هجومًا مباغتًا، واستمات الثوار في الدفاع، باعوا أنفسهم لله فربح البيع والشراء، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للفرنسيين.

كبّد الثوار جيش العدوّ خمسة وثلاثين قتيلاً، وتركوا الكثير من المعدّات والذخائر خلفهم.

• انضم ضباط من الجيش الفيصلي للحركة، كما انضم ثوار آخرون.

وفي منتصف شهر حزيران ١٩١٩م، أعدّ الفرنسيون حملة كبيرة بقيادة الكولونيل (جان) لاحتلال قرية (الشيخ بدر) بلغ تعدادها أكثر من ألفيّ جندي فرنسي.

اختفى الثوار في بطن (وادي الوَرديَّة)[٨٩]، وفي أعالي الجبال، وما أن أصبح الفرنسيون في وسط الوادي، بمعداتهم الثقيلة، حتى أطبق عليهم الثوار من كل جانب، فتصدّعت صفوفهم، وأختلّ توازنهم ونظامهم.

ضرب الثوار مؤخرة الجيش الفرنسي، وانهالوا عليهم ضربًا، حتى أفنوا ثلاثمائة من جنودهم، وهرب الباقون عبر الجبال.

وأسر الثوار ستة عشر جنديًا فرنسيًا، وغنم الثوار كل أسلحة الحملة.

• زحفت قوّة فرنسيّة في منتصف شهر تموز ١٩١٩م من طرطوس، واستقرّت في قرية (عقر زيتي)[٩٠] و(قلعة الخوابي) الأثرية. وقد تصدّى لها أبناء المناطق.

• في الحادي والعشرين من تموز ١٩١٩م، قام الثوار بالهجوم على قلعة (المريقب) - شرقي بانياس[٩١] - وقتلوا ستة من الجنود الفرنسيين، وفرّ الباقون، واستولى الثوار على القلعة.

• قام الشيخ صالح العلي، وشقيقه الشيخ محمود علي سليمان، وانضم إليهما «حسن سعدية» ورجاله، بالتصدي لحملة فرنسية في منطقة «الشيخ بدر»، وقتلوا منها ٢٥ جنديًا، وغنموا أسلحتهم.

• حاول الفرنسيون خداع الثوار وغدرهم، ووسّطوا الإنجليز يطلبون الصلح ووقف القتال، ولكنهم كانوا في الحقيقة يبيّتون الغدر ويستعدون

نهر العاصي أُقيم سدّ فيها. تتبع محافظة حمص، وتضم إحدى عشرة قرية. يجاورها محافظة حماة وحمص وناحية تلبيسة.

(٨٩) وادي الوَردِيَّة: يقع في جنوب جبال اللاذقية في محافظة طرطوس وإلى الجنوب من وادي الشماميس. ويتبع منطقة الشيخ بدر ويبعد عنها ٦كم.

(٩٠) عقر زيتي: قرية في السفوح الغربية لجبال اللاذقية، وتتبع محافظة طرطوس، على وادي الخوابي وقلعته الأثرية. تشرف على وادي نهر البلوطة، وتكثر فيها الأشجار الحرجية.

(٩١) بانياس: بلدة في محافظة اللاذقية، على شاطئ البحر الأبيض. تبعد عن اللاذقية ٥٢كم، وعن دمشق ٣٠١كم، فيها محطة لتكرير النفط الذي يصلها من العراق. كان اسم «بانياس» في العهد اليوناني (بالانه) ومعناها (حمامات عامة) – ويظهر أنه كانت هناك حمامات عند مصب نهرها – ثم حُرِّفت الكلمة إلى «بانياس».

للقضاء على الثوار.

• احتلت القوات الفرنسية قرية (كاف الجاع)(٩٢)، قرية الشيخ صالح العلي في (القدموس) منتهزة وجود الثوار خارج القرية.

• بدأت إمدادات الحكومة الفيصلية تصل إلى الثوار، في منتصف شهر تشرين الأول ١٩١٩م، بعد أن قام موفدها بتفقد المنطقة.

• في صباح العشرين من شباط ١٩٢٠م، قامت قوات الثوار بالهجوم على مدينة (طرطوس) من محاور ثلاث لطرد الفرنسيين منها.

تدخلت البحرية الفرنسية، وقصفت مدينة (طرطوس) من البحر، اضطر الثوار إلى الانسحاب خوفًا على الأهالي وتدمير المدينة.

وغنم الثوار أسلحة وذخائر كثيرة.

• هاجم الشيخ صالح العلي، ومعه أربعة آلاف مقاتل، قلعة (القدموس) الحصينة، وحاصروها حتى استسلمت حاميتها.

• أحرق الفرنسيون الجبناء قرية (كوكب الهوا)(٩٣)، فطاردهم الثوار حتى أخرجوهم من القرية.

• حشدت القوات الفرنسية ثلاثين ألفًا من جنودها، تعزّزهم المصفحات والدبابات وأسراب من الطائرات، وقامت بهجوم واسع النطاق على قريتي (خربة الريح)(٩٤) و(نهر الصوراني).

هبّ الثوار والأنصار لمنازلة الأعداء، ورابطوا فوق التلال المرتفعة في (وادي العيون).

تقدّم الفرنسيون إلى وسط الوادي، وبدأوا بنصب خيامهم للراحة، تمهيدًا لزحفهم في صبيحة اليوم التالي.

وكانت المفاجأة التي أعدّها الثوار، وصُعق لها قائد الحملة الفرنسية الضابط (نيجر).

ووقعت المجزرة الرهيبة فتح الثوار أبواب جهنم على مصراعيها. وتكدّست جثث الجنود الفرنسيين وقتلاهم واجتازت فلولهم الباقية (نهر الملتقى) حتى وصلت إلى الساحل.

ترك الأعداء أسلحتهم ومدافعهم غنيمة للثوار، ولاذوا بالفرار، واستولى

---

(٩٢) كاف الجاع: قرية في سفوح جبال اللاذقية، وتتبع ناحية القدموس، منطقة بانياس، في محافظة طرطوس. استمدت اسمها من «الكهوف» والمغائر التي تحيط بها.

(٩٣) كوكب الهوا: قرية في جنوب جبال اللاذقية، وتتبع ناحية قرى منطقة الشيخ بدر في محافظة طرطوس، وتبعد عنها أربعة كيلومترات.

(٩٤) خربة الريح: قرية في سفوح جبال اللاذقية، وتتبع محافظة طرطوس وتبعد عنها ٢٤كم. وتقع على مرتفع جبل الرويسة.

الثوار على ثلاثة مدافع رشاشة، ووقع العشرات من الحملة الفرنسية أسرى بأيدي الثوار. وأخفق الهجوم الذي أعدّ له المغتصبون الدخلاء.

• طلبت فرنسا من الجنرال الإنجليزي (اللنبي)، التوسّط لدى الشيخ صالح العلي لطلب الصلح.

اجتمع الجنرال اللنبي بزعيم الثورة في بيته بقرية (الرستن)، وكانت شروط الشيخ لإنهاء القتال، هي جلاء القوات الفرنسية الغازية دون قيد أو شرط، عن الساحل السوري والجبل.

تظاهر الفرنسيون بقبول شروط الشيخ صالح العلي، واتفق الطرفان على إعلان الهدنة فورًا وأعلنت الهدنة الفعلية بين الطرفين.

كان الفرنسيون الجبناء، يبيّتون الغدر والخداع واكتساب الوقت، بالتواطؤ مع «الإنجليز»، ليتمكنوا من نقل النجدات العسكرية من (كيليكيا).

• في أوائل تموز ١٩٢٠م، علم الثوار أن الفرنسيين حشدوا قواتهم حول مدينة (بانياس) الساحلية، بقصد الهجوم على القلعة الاستراتيجية واحتلالها.

قرّر الثوار أن أفضل وسيلة للدفاع، هي الهجوم على قوات العدوّ في مدينة (بانياس).

وفي الرابع من تموز ١٩٢٠م، زحفت وحدات من الثوار يقودها الشيخ صالح العلي، وهاجمت القوات الفرنسية، واستولى الثوار على مدينة بانياس التي قاوم أهلها قوات العدو مقاومة باسلة، وانسحب الفرنسيون إلى الشاطئ.

• في العاشر من تموز ١٩٢٠م، هزم الثوار قوة فرنسية في موقع (العليقة)[٩٥]، في سفوح جبل الشيخ.

• في الرابع والعشرين من شهر تموز ١٩٢٠ ميلادية، ومع التزامن مع موقعة ميسلون وسقوط دمشق، هاجمت القوات الفرنسيّة بقيادة الكابتن (رساك)قرية (الشيخ بدر) للمرة الرابعة عن طريق قرية (صافيتا)[٩٦]، ونصبت مدافعها على الجبل، وقصفت قرية (المريقب).

تقدّمت مجموعة الثائر البطل (فؤاد سليم)، وباغتت القوّة الفرنسية بنيرانها، فولّوا هاربين تاركين مدفعيتهم وأسلحتهم في أرض المعركة

(٩٥) العليقة: قرية في هضبة الجولان، وتتبع محافظة القنيطرة وتبعد عنها ١٦كم. تقع في أرض بركانية وعرة فيها مواقع أثرية. تعرّض سكانها عام ٦٧ للتهجير.

(٩٦) صافيتا: مدينة في جنوبي جبال اللاذقية، تتبع محافظة طرطوس. اسمها سرياني الأصل «ويعني صفاء الحياة» وتبعد عن طرطوس ٢٧كم. فيها قلعة أثرية وكنيسة، ثمّ تحريرها على يد الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م. وكان حُماتها يتبادلون الإشارات من جبالها مع قلعة الحصن.

غنيمة للثوار.

● في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠م، التحم الثوار في منطقة جسر الشغور مع قوة فرنسية، في معركة ضارية.

● حاول الفرنسيون بكل ما أُوتوا من مكيدة وغدر وخديعة، ومن قوّة عسكرية عاتية وغطرسة، القضاء على ثورة الساحل، وثورة الشمال، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعًا.

ولذلك قرّر الأعداء، ضرب مناطق الثورة في بناها التحتية، وفي مؤخرة خطوطها. وعقر دارها.

وزحف جنود العدوّ نحو (مصياف)(٩٧)، واحتلّت مجموعة منهم مرتفعات جبال (قماقم).

سارع الثوار لمهاجمة مؤخرة الجيش الفرنسي، فاضطرت وحدات الجيش إلى التقهقر، وهي في حالة من الضعف والتفكك والذعر الشديد.

● في (عين القضيب)(٩٨) - شرقي القدموس(٩٩) - تصدّى الثوار في منتصف كانون الأول ١٩٢٠م للجيش الفرنسي وأوقفوا تقدّمه.

ثم قامت وحدات أخرى من الثوار، يقودها الشيخ صالح العلي، بتطويق مرتفعات (مصياف).

طارد الثوار الوحدات الفرنسية، فاعتصموا داخل قلعتها.

حاصرها الثوار تسعة أيام، ولكن القلعة استعصت عليهم. ووصلت نجدات فرنسية قادمة من مدينة (حماة) فتراجع الثوار.

● قامت فرنسا بحملة كبيرة، واحتلت قرية (الشيخ بدر) ومرتفعاتها، منتهزة فرصة تواجد الثوار في قرية (مصياف) وقرية (الصقيلبية)(١٠٠).

أحرق الفرنسيون الجبناء قرية (المريقب) ودمروها، وأطلقوا يد جنودهم فيها. أصيب الثوار بالإحباط والاكتئاب.

---

(٩٧) مصياف: مدينة في جبال اللاذقية، وتتبع محافظة حماة، وتضم ٢٩ قرية. يجاورها ناحية «تل سلحب» شمالاً، ومنطقة محردة وحماة شرقًا، وناحية حرّ بنفسه وحمص جنوبًا، وطرطوس غربًا. ونظرًا لاعتدال مناخها، وجمال طبيعة أرضها، فإنها تعد مصيفًا، ويتبعها وادي العيون.

(٩٨) عين القضيب: قرية في جبال اللاذقية، في منطقة بانياس، محافظة طرطوس. وتتبع ناحية القدموس وتبعد عنها ١٣كم، وتقع فوق مرتفع جبلي أجرد.

(٩٩) القدموس: قرية سورية تابعة لمنطقة بانياس - محافظة طرطوس. بنيت فيها قلعة عام ١١٣٤م، وخرّبها فيما بعد إبراهيم الباشا عام ١٨٣٨م.

(١٠٠) الصقيلبية: مدينة في سهل الغاب، تتبع محافظة حماة وتبعد عنها ٤٨كم، وتضم ٣٥ قرية. تجاورها قلعة المضيق وشطحة ومحردة وتل سلحب ومحافظة اللاذقية.

• انتقل زعيم الثورة الشيخ صالح العلي إلى قرية (بشراغي)(١٠١)، فاستقبله أهلها من (آل سيف) و(آل عبيد) بالترحاب، وأعلنوا ولاءهم للثورة.

• وجّه الفرنسيون حملة في أوائل كانون الثاني من عام ١٩٢١م، عن طريق (وادي الفتيح)(١٠٢) لتأديب قرية (بشراغي) وأهلها الذين دعموا الثوار وآزروهم. استنفر الثوار جميع أهل القرية، ووقف سكان القرية كلهم وقفة رجل واحد للدفاع عن قريتهم. أحاط الشيخ صالح العلي وثوّاره بجنبات الوادي، ولمّا وصلت القوات الفرنسية، انقض عليهم الثوار وباغتوهم بنار حامية، فهربوا لا يلوون على شيء، تاركين جثث قتلاهم وسلاحهم وعتادهم. وكانت غنيمة دسمة للثوار.

• حاول الفرنسيون الانتقام لهزيمتهم، فجهّزوا حملة كبيرة يزيد عددها على ثلاثة آلاف جندي. وتوزع الثوار على جنبات الوادي لمرتفع (قلعة السقانية)(١٠٣).

ثم تقدمت الحملة الفرنسية وهي تطارد الثوار، والثوار يستدرجونها حتى وصلت إلى موقع (مزرعة الكنيسة)، وما أن وصل الفرنسيون إلى (غدير ماء المزيرعة)(١٠٤) حتى أطبق الثوار على عدوّهم ومزّقوهم بنيرانهم.

وغنم الثوار كل أسلحة ومعدات ومدافع ورشاشات العدو، وتكدست أجساد جنودهم في وادي الموت.

• هاجمت كتائب الثوار، مفرزة من الجيش الفرنسي، في قرية (الدويلية). إلاّ أن الفرنسيين قاموا بهجوم معاكس على معاقل الثوار، في (قلعة دريكية الدريكيش)(١٠٥) و(رأس قاسم)، وكان ذلك في أوائل كانون الثاني ١٩٢١م، ولكن الثوار صدّوهم على أعقابهم.

• في منتصف كانون الثاني ١٩٢١م، قام الفرنسيون بهجوم معاكس على قرية (عين شقاق)(١٠٦)، لكن كتائب الثوار شتتوا قوات الحملة

(١٠١) بشراغي: قرية في محافظة اللاذقية، وتبعد عن مدينة «جبلة» ٣١كم.

(١٠٢) وادي الفتيح: ويحمل تسمية خيمة العسكر، ويقع على السفوح الدنيا لجبال اللاذقية، حيث يتسع بطن الوادي إلى خمسمائة متر.

(١٠٣) السقانية: تقع على السفح الأعلى لمرتفع القلعة ٥٨٣م في منطقة الحفة.

(١٠٤) المزيرعة: بلدة تقع في سفوح جبال اللاذقية، وتتبع منطقة الحفّة، وتبعد عنها ٨كم.

(١٠٥) الدريكيش: تقع وسط جبال اللاذقية، وتتبع محافظة طرطوس وتبعد عنها ٣٢كم، وتعني تسميتها باللاتينية «الكهوف الثلاث» وتضم ٢٦ قرية. اشتهرت بنبع مياهها المعدنية.

(١٠٦) عين شقاق: بلدة تقع على سفوح جبال اللاذقية، وتتبع منطقة جبلة في محافظة اللاذقية وتبعد عنها ١١كم، وتطل على البحر على بعد عشرة كيلومترات.

الفرنسية.

• سيّر الفرنسيون في العشرين من كانون الثاني، حملة لاحتلال قاعدة الثوار في قرية (بشراغي).

قامت كتائب الثوار، بالتعاون مع ثوار الزعيم هنانو، وانضم إليهم الأنصار، فتراجع العدو وسحب قواته.

ومع سقوط الحكومة الوطنية الفيصلية، التي كانت تمدّ الثوار بالمال والسلاح توقفت الثورة، بعد أن توقف التموين.

• في الأول من آذار ١٩٢١م احتلت القوات الفرنسية جبل (القرفيص) المطلّ على (نهر السن)، كما احتلت القرية التي تقع في سفوحه.

• احتل الفرنسيون في منتصف آذار ١٩٢١م، قرية (جورة الجواميس)[١٠٧] و(تل ايرس).

• عمّت ثورة الشيخ صالح العلي في بداية عام ١٩٢١م مركز قرية الشيخ بدر وجبل «السرامطة»: ومركزه قرية ظهر جوفين[١٠٨]، ووادي العاصي ومركزه: قرية عين الكرْم[١٠٩]، وجبل «القراحلة» في الشمال.

• قام الفرنسيون في نيسان ١٩٢١م، بتوجيه ثلاث حملات لإنهاء ثورة منطقة الساحل، وحشدوا سبع كتائب مشاة وخياله، ومدافع جبلية، تحت قيادة الكولونيل «نيجر»:.

«حملة موران» : وتضم كتيبتين.

«حملة كليمان» : وتضم كتيبتين.

«حملة مينيان» : وتضم ثلاث كتائب.

• وفي منتصف أيار ١٩٢١م، حاولت كتائب من الثوار الهجوم على المواقع الفرنسيّة في مدينة (جبلة)[١١٠]، ولكن نقص السلاح والعتاد والمؤن،

---

(١٠٧) جورة الجواميس: تقع على مرتفع جبلي، امتداد لرأس قلاد في جبال اللاذقية تتبع منطقة دريكيش محافظة طرطوس، وتبعد عن بلدة حمين ٤كم.

(١٠٨) جوفين: ظهر جبلي يتفرع من رأس الزعتر على شكل سرج، ويتبع منطقة جبلة/اللاذقية.

(١٠٩) عين الكرْم: قرية في جبال اللاذقية، على سفوح جبل الشيخ يونس، وتتبع وادي العيون، وتبعد عنه ٧كم، في منطقة مصياف، محافظة حماة.

(١١٠) جبلة: بلدة في محافظة اللاذقية، تتبعها ٢٥ قرية، وترتبط بها ثلاث نواح هي: (بني علي)، و(الرشادية)، و(سمت قبلي). تبعد جبلة عن مدينة اللاذقية ٣٠كم، فيها مسرح روماني كبير يتسع لثمانية آلاف متفرج، وفيها ضريح السلطان إبراهيم بن أدهم. فتحها الصحابي «عُبادة بن الصامت» عام ١٧هـ عنوة. وأنشأ فيها معاوية بن أبي سفيان حصناً. استولى عليها الروم، وأخرجهم منها «القاضي التنوخي» ثم استولى عليها الصليبيون، وحرّرها صلاح الدين عام ٥٨٤هـ. فيها معامل كثيرة منها معمل للخيوط القطنية. وقد عرفت مدينة جبلة باسم بانيها «جبلة بن الأيهم الغساني» آخر ملوك الغساسنة في بلاد الشام. وكان قد حارب المسلمين في معركة اليرموك إلى جانب البيزنطيين في السنة الخامسة عشر للهجرة. ثم اعتنق الإسلام. ولما وطأ بدوي عباءته، صفعه على وجهه، فشكاه الأعرابي لعمر بن الخطاب، فأنف أن يتساوى مع البدوي، فرجع إلى دينه، وعاد إلى بيزنطة هرقل في القسطنطينية.

أجبر المقاتلين على التوقف والانتظار، لا حول لهم ولا قوة.

• في الخامس عشر من حزيران ١٩٢١م، زحف قائد الجيش الفرنسي الكولونيل (نيجر)، على آخر معاقل الثورة والثوار، في قرية (بشراغي) و(عقبة الزرزار) و(بسمالخ)[١١١] و(النبي صالح) وغيرها من المواقع.

وفقدت قيادة الثورة قدرتها على مواصلة القتال، بعد أن جفّت ينابيع تمويلها، ونفذ ما عند الثوّار من ذخيرة.

وسقطت آخر معاقل الثوار، وتوقفت الثورة.

• قامت القوات الفرنسية باحتلال مدينة (دير الزور) في منتصف شهر يونيو / حزيران ١٩٢١م.

هاجم الأهالي قوات الاحتلال الفرنسية بما توفّر لديهم من سلاح.

كما احتلت القوات الفرنسية مواقع الثوار في مدينة (الميادين)[١١٢] و(الرقّة)[١١٣]. وفي منتصف أيار دخلوا مدينة (الحسكة)[١١٤]، ثم استولوا على جميع القلاع في منطقة الساحل: المرقب[١١٥] والحصن[١١٦] وصلاح الدين[١١٧] وصافيتا[١١٨].

وتفرّق الثوار إلى مجموعات صغيرة، ذابت مع الأيام في جموع الشعب،

---

(١١١) بسمالخ: قرية على السفوح العليا لجبال اللاذقية. في منطقة جبلية وعرة، وتتبع ناحية عين الشرقية، منطقة جبلة محافظة اللاذقية.

(١١٢) الميادين: مدينة في وادي الفرات، وتضم سبعة قرى، وتتبع محافظة دير الزور وتبعد عنها ٤٥كم. أُنشئت زمن هارون الرشيد.

(١١٣) الرقة: مدينة تقع على الضفة الشمالية لنهر الفرات، قبل التقائه بنهر بليخ. تقع على الحدود السورية التركية. ويجاورها محافظات الحسكة، ودير الزور، وحمص، وحلب.

(١١٤) الحسكة: مدينة في شرقي سورية، وتقع على أجمل مواقع الخابور الطبيعية، حيث يتسع النهر أمامها فيصير بحيرة جميلة رائعة. يتبعها ثلاث نواح هي: ناحية رأس العين، وتل تامر، والشدادي. وهي مركز «وعقدة» مواصلات بين أرجاء الجزيرة، كما تتميز بموقعها التجاري الهام ويضم قضاء الحسكة ٥٩٠ قرية.

(١١٥) قلعة المرقب: قلعة أثرية تبعد ٥كم عن بانياس، بُنيت فوق مرتفع صخري من البازلت شديد الانحدار يصل حتى البحر على هامش السفوح الغربية لجبال اللاذقية. احتلها الصليبيون عام ١١١٨م وحررها السلطان قلاوون عام ١٢٨٥م. اعتصمت فيها قوات الشيخ صالح العلي إبّان الثورة السورية. هذا الموروث هو ذاكرة الشعوب والجسر الذي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل والذي يتناقل مفرداته الآباء عن الأجداد ليكون مُعيناً على المعرفة والتواصل مع الماضي التليد.

(١١٦) قلعة الحصن: تتربع مزهوّة شامخة على ذروة مرتفع جبلي وترتفع ٧٥٠٠م عن سطح البحر وتبعد ٦٠كم من حمص ومن مفرق العريضة ٢١كم. من أبراجها يمكن رؤية البحر وميناء طرابلس وبرج صافيتا وبحيرة قطينة. أُنشئت عام ١٠٣١م على يد أمير حمص، وسقط الموقع عام ١٠٩٩م بيد الصليبيين. حرّرها الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م.

(١١٧) قلعة صلاح الدين: قلعة أثرية في شمال غربي جبال اللاذقية وتبعد عنها ٣٣كم وعن منطقة الحفة ٥كم. لها إطلالة استراتيجية على المناطق الجبلية المجاورة.

(١١٨) قلعة صافيتا: تقع في مدينة صافيتا وتبعد عن طرطوس ٢٧كم. بُنيت فوق تل يرتفع ٣٩٠م عن سطح البحر. احتلها الصليبيون وحرّرها الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م.

منتظرة مترقبة أن تسنح لها الفرصة من جديد، لمقاتلة الدخيل الفرنسي المحتل.

يوميات محارب / ثورة جبل العرب

نَعِمَ الشعب في سورية، خلال عامين من فترة الحكم الفيصلي، بالحرية والاستقلال، وازدادت الروح النضالية للشعب، وازدادت نقمته على من احتّل أرضه قسرًا، وسلبه حريته واستقلاله.

كان أمل هذا الشعب، أن يتخلّص من (الانتداب) البغيض، والذي هو (الاحتلال) بأُم عينه، الذي مزّق الوطن ووحدته، وقتل وطارد أحراره وزجّ بهم في غياهب السجون ونهب ثروات البلاد باسم «إعمارها» . هم يدمّرون بقنابلهم الأوطان التي «ابتليت» بهم، ثم يدّعون «إعمارها».

«الانتداب» يعني مساعدة الشعب على تطوير نفسه، والأخذ بيده ليحكم نفسه بنفسه حكمًا ذاتيًا يعمل على استقلاله لا تدميره ونهب ثرواته ولكنه «منطق الاستعمار».

ثورة جبل العرب:

كان السبب المباشر لانطلاق الثورة المباركة في جبل العرب، قيام الفرنسيين في منتصف تموز من عام ١٩٢٢ ميلادية، بإلقاء القبض على المجاهد الثائر (أدهم خنجر) الذي «أجاره» سلطان باشا الأطرش في بيته وحماه كعادة العرب «الأصائل».

ورفض الحاكم الفرنسي (كاربيه)، الذي عيّنته فرنسا بدل الأمير المتوفى (سليم باشا الأطرش) إطلاق سراح (أدهم خنجر) الذي كان (بحماية) سلطان باشا الأطرش.

واعتبِر سلطان باشا الأطرش، أنَّ (القرصنة الفرنسية) إهانة كبيرة له ذلك لأنَّ (حماية) «الضيف المستجير» من عراقة التقاليد العربية التي تتجاهلها فرنسا. وحاولت السلطات الفرنسية، نقل سجينها (أدهم خنجر) بعيدًا فأرسلت لنقله مصفحة تحرسها أربع مصفحات.

هاجم سلطان باشا الأطرش المفرزة الفرنسية بفرسانه، ودمّروا مصفحتين، وقتلوا قائد المفرزة الفرنسية.

ثم حاصروا القائد الفرنسي، الموجود في مدينة (السويداء) ثلاثة أيام متوالية.

وقد عمد الفرنسيون إلى الحيلة والغدر وطلبوا من سلطان باشا الأطرش فك الحصار، مقابل إطلاق سراح ضيفه المجاهد (أدهم خنجر) «المطلوب للعدالة» الفرنسية باعتباره ثائرًا».

ووثق سلطان باشا الأطرش «بكلمة الشرف العسكري» التي قالها القائد الفرنسي «كاربيه» تمامًا كما وثق «شريف مكة» بكلمة شرف بريطانيا العسكري ووعدها الكاذب المكذوب.

في اليوم التالي قصف الفرنسيون بطائراتهم ومدافعهم قرية سلطان باشا الأطرش، وهدموا بيته في قرية (القريّا) لإرهابه، فحذرهم شقيقه (علي بك الأطرش) من مغبّة عملهم الطائش واللامسؤول.

ولم يكتفوا بذلك العمل الجبان البغيض، والذي يتعارض مع أبسط مبادئ «الشرف العسكري» بل أرسلت فرنسا الضابط (نورمان)، ومعه مفرزة مدجّجة بالسلاح، لاعتقال سلطان باشا الأطرش والقبض عليه.

إلاّ أنّ سلطان باشا بعد أن تصدى لحملة نورمان وقضى عليها أحسّ بغدر الفرنسيين، فرحل مع أفراد أسرته إلى إمارة شرق الأردن العمق الجغرافي للثوار.

- عاد سلطان باشا الأطرش إلى الجبل، في السابع عشر من تموز ١٩٢٥ ميلادية، وراح يحرّض سكان الجبل على الثورة ضد الفرنسيين.

تجمّع لدى سلطان باشا الأطرش خمسمئة فارس مسلّح وزحف بهذه القوّة إلى قرية (صلخد).

هاجم ثوار الأطرش دار البعثة الفرنسية وأحرقوها فكانت الشرارة التي أطلقت الثورة السورية عام ١٩٢٥م واستمرت حتى عام ١٩٢٧م.

- حاول الحاكم الفرنسي المعيّن على جبل الدروز الكابتن (كاربيه) إرغام أُنوف عائلة الأطرش في التراب، وسحق نفوذهم في الجبل، وراح يختلق الأعذار، ويختلق الظروف لإرهابهم.

فقد ذهب في جولة تفتيشية فمرّ بطريقه بقرية (عرمان)[١١٩]، فلم يخرج أهلها لاستقباله، بالرجال والخيل والفرسان على جانبيّ طريق «موكبه». ففرض على الأهالي الغرامات الباهظة، ووضعها في جيبه.

وضاعت (هرّة) لملازم فرنسي في مدينة (السويداء)[١٢٠] فغرّم الأهالي

(١١٩) عرمان: قرية في جبل العرب، تتبع منطقة صلخد في محافظة السويداء. تقع في أرض بازلتية وعرة يخترقها وادٍ سيلي، وتبعد خمسة كيلومترات عن صلخد.

(١٢٠) السويداء: عاصمة جبل العرب، تقع جنوبي دمشق، في سهول حوران، ومنها انطلقت شرارة الثورة السورية الكبرى، بقيادة سلطان باشا الأطرش، وتتميز السويداء بحجارتها البازلتية السوداء. في ريفها تمتزج الأساطير بالقصص والحكايات والذكريات: ففي «سيع» معابد وينابيع، وأوابد أثرية في شهبا وصلخد والنمارة والقنوات.

عشر ليرات ذهبية كما كُسر أحد المصابيح في شارع فرعي في مدينة السويداء، فعوقب الأهالي بدفع عشر ليرات ذهبية.

كما ضرب (عريف) في الجيش الفرنسي، قائمقام (صلخد) - فهد بك الأطرش - بالسياط وبيديه ورجليه، على مرأى ومسمع من الجميع كأنه عبد رقيق.

وسدّد (عريف) فرنسي فوهة مسدسه نحو مدير العدليّة (محمد عز الدين بك الحلبي)، وأطلق عليه النار فأخطأه، ومرّت الحادثة دون أن ينال العريف الفرنسي أية عقوبة.

كما كان المزاج العصبيّ لبعض الموظفين الفرنسيين، وجهلهم الفادح بالإدارة وبالشؤون المحليَّة، كان أداة صالحة لنفخ النار في الثورة ضد الفرنسيين وزيادة لهيبها. أضف إلى هذا كله تصرفات بعض ضباط الجيش الفرنسي ضدّ الشعب، وإهانة وجهاء المدينة وعلمائها. وإلقاء الوطنيين في غُياهب السجون، وإثارة النعرات الطائفية، وإلقاء بذور الشقاق بين الأُخوة، كل هذه الأمور عجّلت بقيام الثورة.

- **وقد وقعت احتجاجات سفكت فيها الدماء، وصدامات مع قوات الاحتلال، وإضرابات عن العمل في عاصمة الأمويين، وبقية المدن السورية الأخرى.**
- **وفي مدينة حلب الشهباء اعتصم الثوار في قلعتها[(١٢١)] وقلعة دير سمعان[(١٢٢)].**

كما أغلقت الحوانيت والمتاجر والمخازن أبوابها، احتجاجًا على زيارة (آرثر بلفور)[(١٢٣)] - مؤسس الوطن القومي الصهيوني في فلسطين - لسورية، في أوائل عام ١٩٢٥ ميلادية.

وقد تتابعت هذه الأحداث بسرعة رهيبة، مما رفع مستوى الإدراك

شعبها العريق المضياف هم بقايا السيوف من آل معروف، عرب أقحاح، يتفانون بحب الوطن، والذود عن حِماه. تشدّك أوابدها الأثرية، التي تختزن كنوزًا في جوفها تشي بعظمتها وفيها مُتحف تاريخي يختزن أجمل لوحات الفسيفساء.

(١٢١) قلعة حلب: تتربع على جبل يشرف على المدينة وحولها سور وخندق عرضه ٢٦م وعمقه ٩م. قيل أوّل مَنْ بناها سلوقس وقيل بلقورس من ملوك نينوى. سُميت حلب باسم مَنْ بناها وهو (حلب بن المهر بن عمليق) وسُميت بالشهباء للون أرضها والحوّار الذي تطلي به مبانيها. كانت عاصمة للدولة الحمدانية عام ٩٣٧هـ. ودمّرها التتار عام ١٢٦٠م.

(١٢٢) قلعة دير سمعان الرومانية من أهم أوابد جبل سمعان بمحافظة حلب وتبعد ٦كم من بلدة دارة عزة. تحمل اسم الراهب سمعان العموري تخليدًا لذكراه. إعمارها يعود للعهود البيزنطية.

(١٢٣) ذكر هذه الحادثة أيضًا المرحوم الأستاذ تيسير ظبيان في كتابه عن الثورة السورية الوطنية - إصدار (دار الجزيرة) - الصفحة الثامنة.

السياسي العام لدى المواطن السوري البسيط، لإشعال نيران الثورة.
وكان قد بلغ الاستياء في الأمة أوجه ولم يبقَ إلاّ انطلاقة الشرارة الأولى للثورة حتى تعمّ كل أنحاء الوطن.

- **كان أوّل لقاء عُقد في بيت (قاسم الهمياني) - صاحب جريدة الفيحاء - في أوائل شهر مايو (أيار) عام ١٩٢٥م، حضره مندوبون عن جبل العرب ناب عنهم (الأمير محمد الأطرش)، من أجل الاتفاق على إشعال نار الثورة في كلّ من دمشق والجبل في آن واحد.**
- **ثم أعقبه اجتماعات أوّليّة في الثامن من شهر تموز من عام ١٩٢٥م، في مَنْزل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في حيّ (عرنوس) بدمشق - في آخر طريق الصالحية - حضرها عدد كبير من زعماء جبل الدروز[١٢٤]، منهم: (نسيب باشا الأطرش، عبد الغفار باشا الأطرش، متعب بك الأطرش، حمدي سيف العيسمي زعيم قرية «أمتان»[١٢٥]، وفضل الله باشا الأطرش زعيم قرية (عرمان).**

ثم كان الاجتماع الأخير، الذي عُقد في العشرين من آب ١٩٢٥م والذي تقرّر فيه إعلان الثورة.
وأقسم الحاضرون على تحقيق الحرية والوحدة والاستقلال للوطن.
وقد حدث في منتصف حزيران ١٩٢٥م أن تعرضت قرية (مجدل شمس) - الرابضة في سفوح جبل الشيخ، والتي يقطنها أغلبية من بني معروف لأعمال السلب والنهب والعنف، قام بها جنود الاحتلال.
وقد طلب سكان (مجدل شمس)، النجدة من سلطان باشا الأطرش - القائد العام للثورة السورية - على عجل.
أمر سلطان باشا بعقد مجلس الثورة، والذي كان يضم: زيد الأطرش، ومحمد سعيد العاص، ونزيه المؤيد العظم[١٢٦]، وحسني صخر، وفؤاد سليم.

---

(١٢٤) جبل الدروز: بعد قيام الثورة في جبل الدروز ١٩٢٥م ضد الفرنسيين، أُطلق عليه اسم : (جبل العرب).

(١٢٥) أمتان: قرية في جبل العرب، وتتبع منطقة صلخد في محافظة السويداء. تقع في منخفض سهلي على قناة سيلية متفرعة من «وادي راجل». تبعد عن مدينة صلخد ١٢كم وعن مدينة السويداء ٤٢كم. جرت فيها معركة شرسة بين الأنباط والسلوقيين عام ٨٨ق.م، وانتصر فيها الأنباط وقتلوا الملك السلوقي، وأطلقوا عليها اسم «موتانا» وكان الكنعانيون قد أطلقوا على قرية «أمتان» اسم «أمشانة».

(١٢٦) نزيه المؤيد العظم: قاد جماعة المثقفين. والده «تقي الدين المؤيد العظم»، وشقيقته «سارة العظم» زوجة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. تخرّج من الجامعة الأمريكية، والتحق بجيش الثورة العربية، وخاض معاركها، ودخل دمشق مع جيش فيصل. التحق مع الثوار الذين يقودهم بثورة جبل العرب، واشترك بمعركة «رسّاس» والغوطة ووادي التيم ويلدا وجوبر وحمورة ومعارك النبك، ورافق سعيد العاص ومحمد زكي الحلبي، كما رافق صهره الدكتور الشهبندر، في اللجوء إلى «الأزرق» بعد توقف الثورة. حاولوا اغتياله لكنه تعقّب الجناة بجرأة نادرة وألقى القبض عليهم.

وقد قرّر مجلس الثورة إرسال نجدة سريعة لقرية (مجدل شمس).

● في الأول من تشرين الثاني ١٩٢٥م، قاد زيد الأطرش شقيق سلطان باشا الأصغر كتيبة خيّالة، هاجمت المفرزة الفرنسية في قرية (عرنة) واحتلتها، كما احتلت قرية (مجدل شمس) و(مرجعيون) و(راشيا)، وحاصروا الفرنسيين في (قصر القلعة). وقد سقط أكثر من سبعين قتيلاً من جنود الأعداء، وغنم الثوار عشرين رشاشًا ومدفعين.

● في الثامن عشر من تموز ١٩٢٥م هاجمت الطائرات الفرنسية ثوار الجبل.

أطلق الثوار من قرية (عرمان) النار على الطائرات الفرنسية المهاجمة، فأصابوا إحداها فسقطت، وأسر الأهالي الطيار ومعاونه.

● أرسل الفرنسيون حملة في العشرين من تموز ١٩٢٥م، إلى أهالي (صلخد)[١٢٧] وسكان المقرن الجنوبي لاسترداد الطيار الذي أسقطت طائرته مع معاونه، ووضعت الاستحكامات والمتاريس، ونُصبت المدافع حول بحيرة (الكفر).

● في صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز ١٩٢٥م، تقدّم الثوار نحو بحيرة (الكفر)، وأبادوا القوات الفرنسية بجنودها وضباطها وقائدها واستولى ثوار سلطان باشا الأطرش على جميع أسلحتها وعتادها.

كان لانتصار سلطان باشا الأطرش على الحملة الفرنسية، رنّة فرح في جبل العرب، وفي القرى التي تجمّع رجالها حول قائدهم في (أم الرمّان[١٢٨]، وأمتان، وملح[١٢٩]، وعرمان، وصلخد حتى قرية الكفر[١٣٠]).

لم ينج من هذه الحملة الفرنسية إلاّ بضعة أفراد، نَقلوا خبر الفاجعة إلى الكولونيل الفرنسي (مارتان) في مدينة السويداء.

هذه المعركة ألقت رعبًا بين أفراد القوات الفرنسية، في أول مواجهة لهم مع بني معروف، كما ألقت عبء القيادة على الزعيم المنتصر سلطان باشا الأطرش. وقد استشهد من ثوار الجبل في هذه المعركة أكثر من أربعين فارسًا، بينهم

(١٢٧) صلخد: مدينة في منطقة محافظة السويداء، ترتفع ١٢٠٠م عن سطح البحر، فيها قلعة أثرية ومئذنة منذ عهد الأيوبيين في أواخر القرن الثاني عشر. تشتهر بصناعة أطباق القشّ الملونة والطنافس، كما يوجد فيها أنقاض قلعة صليبية.

(١٢٨) أم الرمان: قرية في جبل العرب ناحية القريّا في منطقة صلخد وتبعد عنها ٢٠كم. فيها آثار قديمة. هزم ثوارها قوات الجنرال الفرنسي «أندريا».

(١٢٩) ملح: بلدة في جبل العرب تتبع منطقة صلخد، وتبعد عنها ١٤كم. جرت فيها معارك بين الفرنسيين والثوار عام ١٩٢٦م، وتضم ١٠ قرى.

(١٣٠) الكفر: قرية في جبل العرب تتبع مدينة السويداء، وتبعد عنها ١٢ كم. فيها آثار قديمة، وجرت فيها أول معركة حربية بين الثوار، وحملة فرنسية بقيادة «نورمان».

مصطفى شقيق سلطان باشا الأطرش، وإسماعيل نجل جاد الله بك الأطرش، وقتل من الفرنسيين أكثر من مئتين وستين جنديًا.

- **دخل الثوار في الثامن والعشرين من شهر تموز ١٩٢٥م مدينة السويداء، والتجأ الفرنسيون للاحتماء في القلعة.**

وأحكم ثوار الأطرش الحصار على القلعة، مما اضطر القوات الفرنسية إلى تزويد المحاصرين بالمواد الغذائية بواسطة الطائرات.

- **قام الجنرال الفرنسي (ميشو)، بقيادة حملة فرنسية تعدادها خمسة آلاف جندي، مزوّدة بمصفحات ومدافع وفرسان، لاسترجاع مدينة السويداء، وتحرير جنودهم المحاصرين في القلعة، وتأديب ثوار جبل الدروز.**
- **في الأول من شهر آب ١٩٢٥م، وصلت طلائع الحملة الفرنسية إلى قرية (الدور)[١٣١] في موقع (تل الخروف)[١٣٢].**

استعمل القائد الفرنسي خدعة مع فرسان جبل العرب، إذ أوعز إلى جنوده بمناوشة الفرسان، ليخرجوهم من مواقعهم، ثم جذبهم لمطاردتهم.

وما كادت المفرزة الفرنسية تتراجع أمام الدروز، حتى همّوا بمطاردتها فحصدتهم النيران الفرنسية، وسقط منهم أكثر من ثلاثين شهيدًا مروين تراب الوطن بدمائهم.

- **في الثاني من شهر آب ١٩٢٥م، وصلت القوات الضاربة للحملة الفرنسية إلى مدينة (السويداء)، وعسكرت في (المزرعة) بضاحية المدينة.**

استغاث الثوار بأبنائهم بدأت النجدات تصل لثوار الجبل.

حاول في البداية ثلاثة آلاف فارس التصدّي للحملة الفرنسية، عندما وصلت إلى قرية (إزرع) فلم يفلحوا.

جاء ثوار من المقرن الشرقي، ومن المقرن الغربي، ومن (نجران) و(نمرة عامرة)[١٣٣] وقرى أخرى يقودهم المجاهد (جاد الله بك سلام) والثائر (محمد بك شرف). وقد أصبح تعدادهم فيما بعد أكثر من مئتي فارس.

التقى هؤلاء الأبطال بمؤخرة الجيش الفرنسي، ما بين قريتي (الدور)

---

(١٣١) قرية الدُّور: قرية في جبل العرب، تتبع ناحية السجن، مركز منطقة محافظة السويداء. تقع على مرتفع بازلتي صخري، وهي منطقة مأهولة غنيّة بالآثار. قاتل أهلها الفرنسيين في معركتي «المزرعة وتل الخروف».

(١٣٢) تل الخروف: تل بركاني في جبل العرب، يبعد ٢كم عن قرية الدور وله شكل مخروطي. وقعت فيه معركة بين الثوار والفرنسيين عام ١٩٢٥م وانتصر الثوار.

(١٣٣) نمرة عامرة: قرية صغيرة تقع في جبل العرب، وتتبع ناحية شهبا وتبعد عنها ٨كم، وإلى الجنوب منها تقع جبال اللجاة وقرية «نجران».

و(بُصْرُ الحرير)[١٣٤]، فقتلوا الجنود الفرنسيين واستولوا على أسلحتهم.

ثم التحق بهم ثوار من مدينة (السويداء) و(المجدل) و(نجران) و(سَلِيمْ)[١٣٥]، واتجهوا بمجموعهم الذي يُقدّر بأربعمئة فارس إلى (المزرعة)، حيث توجد مقدمة الجيش الفرنسي.

وقد اخترق الثوار المتاريس والخنادق وصفوف الدبابات، وقتلوا أكثر جنود الحامية الفرنسية، وهرب الغزاة الباقون ليقلّهم القطار في قرية (إزرع)[١٣٦] إلى دمشق وهكذا وبكل مهارة التفّت هذه النجدات حول مؤخرة الرتل الفرنسي، وانقضّت عليه كالصاعقة، وتمّ سحقها والاستيلاء على أسلحتها، وسقوط القلعة[١٣٧] التي تشبه قلعة تدمر[١٣٨].

وقد حاول الجنرال الفرنسي (ميشو) تجميع قواته المبعثرة وإنقاذها، ولكنّ صفوفها كانت قد تمزقت وتشتت وفرّ الجنرال من ساحة المعركة ناجيًا بنفسه. تاركًا وراءه جثث جنوده القتلى وكانت فاجعة كبيرة لفرنسا.

كانت خسائر الفرنسيين ثلاثة آلاف قتيل، وتدمير جميع آليات العدو وذخائره، واستُشهد أكثر من مئتين وخمسين من الثوار.

يوميات محارب / ثورة الغوطة

كانت الاجتماعات تعقد بين رجالات دمشق وجبل العرب، في أواخر شهر آب ١٩٢٥ ميلادية، للاتفاق على خطة لإعلان قيام الثورة، وإشعال نيرانها وتأجيجها في كل أنحاء الوطن. وكان كثير من المجاهدين في دمشق وضواحيها والمدن السورية الأخرى، قد التحقوا بثورة جبل العرب.

(١٣٤) قرية بُصْرُ الحرير: قرية صغيرة في محافظة درعا (منطقة إزرع)، وتبعد عن إزرع تسعة كيلومترات. وهي غير «بصرى الشام» أو «بصرى أسكي شام» التي تبعد عن دمشق ١٤١كم وعن درعا ٤١كم وتم بناؤها في الألف الثاني قبل الميلاد. وتقع عند حافة اللجاة الجنوبية، ومتاخمة لمحافظة السويداء. أرضها صبّات بازلتية وسهول بركانية خصبة. يمر فيها وادي «أبو الذهب» وهي عقدة مواصلات هامة.

(١٣٥) سَلِيمْ: قرية في جبل العرب، تتبع محافظة السويداء وتبعد عنها ٩كم. وتقع في أرض بركانية وعرة فيها آثار قديمة وسور وأبراج.

(١٣٦) إزرع: بلدة في محافظة درعا، وتبعد عنها ٣٢كم، وعن دمشق ٩٦كم، أهم آثارها كنيسة «القديس مارجريس» الأثرية، وهي أقدم معبد في العالم ٥١٥م.

(١٣٧) قلعة بُصرى: مدينة أثرية تقع في سهل حوران وتبعد عن درعا ٤٠كم، وإليها وصل رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تجارة لقريش واجتمع بالراهب بُحيرا.

(١٣٨) قلعة تدمر: مدينة أثرية تقع وسط بادية الشام وتبعد ١٦٠كم من حمص. نشأت الأُعجوبة (واحة النخيل) عند معبر جبلي يتفجر منه ينبوع ماء جعلها واحة خضراء. وقد أصبحت محطة للقوافل ومدينة سياحية بامتياز. بالقرب منها ينبوع مياه معدنية في (سفوح جبل الكايد).

• كانت أولى المعارك التي قادها المجاهد الكبير (زيد الأطرش) في الثاني والعشرين من شهر آب من عام ١٩٢٥م هي معركة (العادلية)[١٣٩] القريبة من دمشق.

وقد هاجمت الطائرات الفرنسية قوات الثوار، بأطنان من القنابل أثناء سيرها في الطريق متجهة إلى ساحة المعركة وقد اصطدم الثوار بالقوات الفرنسية، ولكن توالي النجدات الفرنسية، اضطر الثوار إلى الانسحاب.

• بدأت المدن السورية تتململ وتنتفض من سباتها العميق، وتنفض عن عينيها غبار الكرى.

• في السابع عشر من أيلول ١٩٢٥م، قامت مجموعة من ثوار سلطان باشا الأطرش، بمهاجمة قرية (المسيفرة) - مركز القيادة الفرنسية - وشعر الفرنسيون بالثوار فحصدوهم بمدافعهم، وسقط الكثير منهم شهداء.

كان بطل معركة (المسيفرة) القائد الكبير الفذّ المجاهد (محمد عزّ الدين بك الحلبي).

فهو الذي وضع خطة الهجوم على الفرنسيين، الذين بلغ عددهم أكثر من ألفيّ جندي، في حين لم يتجاوز عدد الثوار أكثر من خمسمئة ثائر.

وعندما بدأ الثوار هجومهم، ارتدّ الفرنسيون إلى مخابئهم ومتاريسهم، بعد أن قتل منهم أكثر من تسعمئة جندي فرنسي، كانت جثثهم تملأ أرض المعركة.

وكان من بين شهداء معركة «المسيفرة»: الشيخ عطا الله العودة، سليمان حمود الحلبي، محمد قرقوط الحلبي، سلامة صالح الحلبي، وكامل حاطوم الحلبي. وظنّ الثوار أن المعركة قد انتهت، فانشغلوا بجمع الغنائم تمامًا كما فعل «الرماة» في معركة أُحد.

لكنَّ الفرنسيين ظهروا من مخابئهم فجأة، وراحوا يقاتلون فرسان جبل العرب، في حين كانت الطائرات الفرنسية تقصف الثوار بقنابلها مما أدى إلى حصدهم وارتفاع خسائرهم، وإثارة البلبلة بين صفوفهم.

وقد استطاع الشيخ محمد الأشمر الدخول في المعركة بفرسانه، لفكّ الحصار عن فرسان الجبل، وإنقاذهم من الطوق الذي ضربه الجيش الفرنسي عليهم.

---

(١٣٩) العادلية: قرية في حوض الأعوج، وكانت تتبع قضاء قطنا، في محافظة ريف دمشق، على بُعد تسعة كيلومترات من الكسوة وحوالي عشرين كيلومتر من مدينة دمشق.

• هاجمت مجموعة من الثوار مخفر الدرك في قرية (النّشابية)(١٤٠)، واستولوا على أسلحتهم.

بعدها قامت السلطات الفرنسية، بإرسال حملة مؤلفة من مئة وعشرين جنديًا فرنسيًا، للقضاء على ثوار قرية (المليحة).

التقى الثوار مع طليعة الحملة الفرنسية في موقع (الزور) وباغتوهم، واستولوا على أسلحتهم، وأسروا أربعة ضباط نقلوهم إلى جبل العرب.

• قامت القوات الفرنسية، بإرسال حملة مؤلفة من ألف وخمسمئة جندي فرنسي، إلى قرية (المليحة) و(حمورية) و(سقبا) و(جسرين)(١٤١) للقضاء على مقاومة الثوار في موقع (الزور). ولكنهم عادوا ولم يحرزوا أي نصر.

• في مساء الرابع من تشرين الأول ١٩٢٥م، ثارت مدينة (حماة) - لتخفيف الضغط عن ثورة الجبل - وقاد ثورة (حماة) المجاهد فوزي بك القاوقجي، الذي احتلّ المدينة ثلاثة أيام، لكنّ القوات الفرنسية قصفت المدينة الصامدة بقنابل الطائرات حتى دمرتها فترك ثوار القاوقجي المدينة، حتى لا يوقعوا ضحايا بين المدنيين.

اضطر الجيش الفرنسي، إلى إعادة نصف قواته التي كانت تهاجم الجبل، لمجابهة ثورة حماة.

• حمل المجاهد الكبير (منير الريّس)(١٤٢) و(مظهر الرفاعي) صورة لاتفاق وقّعه زعماء الجبل، لاستمرار إشعال نيران الثورة، على أن لا يعقد صلح منفرد مع الفرنسيين. وانضم للاتفاق المجاهد (الدكتور خالد الخطيب).

• حاول الجنرال الفرنسي (غاملان)(١٤٣) احتلال (صلخد) وتأديب بني

---

(١٤٠) النشابية: بلدة في غوطة دمشق، وتتبع منطقة دوما في محافظة ريف دمشق. وتضم ستة عشرة قرية، وتقع في أرض سهلية تبعد عن دمشق ١٨كم، تجاورها ناحية «الضمير» و«حران العواميد» و«الغزلانية» ومحافظة ريف دمشق.

(١٤١) جسرين: قرية في غوطة دمشق ببلدة كفربطنا، ويمرّ بها نهر بردى.

(١٤٢) منير الريس: ولد في مدينة «حماة» عام ١٩٠١م، وتلقى علومه فيها، ثم نال إجازة الأدب من الجامعة السورية. اشتغل في الصحافة والتحق بالثورة السورية بعد أن كان «رئيس ديوان» في جسر الشغور، وحمل رسالة من قائد ثورة حماة «فوزي القاوقجي» إلى سلطان باشا الأطرش. جمعته مع والدي صداقة حميمة، واشتركا معًا في معارك الغوطة، كما اشترك في حملة القائد محمد سعيد العاص على مدينتي حماة والقلمون. توارى عن أنظار الفرنسيين فترة من الزمن، ثم عاد ليعمل في الصحافة. اشترك مع فوزي القاوقجي في ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م. اعتقلته سلطات الاحتلال الفرنسية، وبقي في سجونها أكثر من عامين. كما اشترك في ثورة «رشيد عالي الكيلاني» عام ١٩٤١م في العراق . عاد للوطن عام ١٩٤٥م، وأصدر جريدته الحرّة «بردى».

(١٤٣) الجنرال غاملان (١٨٧٢م – ١٩٥٨م): تولى قيادة الجيش الفرنسي عام ١٩٢٥م، واحتل جبل العرب.

معروف، لكنّ الثوار أدبوه.

قاد هذه المعركة القائد الكبير (محمد سعيد العاص)، كما استُشهد في المعركة التي وقعت في التاسع من تشرين الأول ١٩٢٥م، المجاهد (نسيب الأطرش) و(حمد عامر) وقد شارك في هذه المعركة الكبيرة الأمير حسن باشا الأطرش، ويوسف الأطرش، وزيد الأطرش، وصياح الحمود، وفؤاد سليم، وحمزة الدرويش، وفضل الله باشا هنيدة.

- **اندلعت ثورة في الغوطة، قادها المجاهد الكبير حسن الخرّاط، ومعه أبو عبدو ديب الشيخ، والشيخ نديم، وأبو صلاح العرجا.**

أرسلت فرنسا حملة إلى قرية (المليحة)[١٤٤] لتأديبهم، فأباد الثوار تلك الحملة، وغنموا أكثر من ثلاثين حصانًا، وأسروا كلّ ضباطها.

لم ينجُ من هذه الحملة أحد من الفرنسيين، مما رفع معنويات الثوار وطار صيتهم بين الأهالي.

- **أعدّ الثوار خطة لتحرير واحتلال دمشق، في يوم الأحد ١٨ تشرين الأول ١٩٢٥م:.**

١- يقوم ثوار «نسيب البكري»، يساندهم ثوّار جبل العرب، بالتقدم لتحرير دمشق من جهة «البوابة» في الميدان.

٢- تتقدم مجموعة ثوار «أبو عبده ديب الشيخ» من بساتين «العقيبة». لتحرير دمشق من أيدي القوات الفرنسية.

٣- يقود حسن الخراط مجموعته، ومعه مجموعة من بني معروف «جرمانا» من بساتين الشاغور باتجاه وسط دمشق.

- **علم الثوار التابعين للمجاهد حسن الخراط، أن الجنرال الفرنسي (ساراي) - المفوّض العام - سيزور (قصر العظم) - الموجود في نهاية سوق البزورية - فقرروا اختطافه، وذلك في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٥م.**

كان يرأس المفرزة الأولى من الثوار المجاهد (حسن المقبّعة).

كما كان يرأس المفرزة الثانية المجاهد (أبو علي سليمان كليب)، وقد قام بالهجوم على قصر العظم، مع صحبه من الثوار من جهة (زقاق الصوّاف)، كما قام المجاهد (حسن المقبّعة) وصحبه، بالهجوم على قصر العظم من جهة البزورية، حيث كان من المتوقع أن يقوم المفوّض العام الفرنسي الجنرال (ساراي) بزيارة قصر العظم.

---

(١٤٤) المليحة: بلدة في غوطة دمشق، وتتبع محافظة ريف دمشق، وتتبعها أربع قرى، وتحيط بها كفر بطنا وجرمانا وببيلا ودوما، وتبعد عن دمشق سبعة كيلومترات، ويروي أراضيها «نهر المليحي» وهو فرع من فروع بردى.

تمكنت المفرزتان من دخول قصر العظم، واشتبك الثوار بكل جرأة وشجاعة، مع الحامية الفرنسية الموجودة في القصر.

وحدثت معركة شرسة، بين الثوار المهاجمين والمدافعين عن القصر، وكاد النصر يكون للثوار، لولا أن قائدي المفرزتين (حسن المقبعة - وأبا علي كليب) سقطا شهيدين في ساحة المعركة.

فانسحب باقي ثوار المفرزتين. وأشاع الثوار أن الجنرال (ساراي) هرب على جناح السرعة بإحدى الدبابات الفرنسية، متخفيًا بثياب امرأة، وسقوط أربعة عشر قتيلاً من الفرنسيين.

- **في الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٢٥م، قادت فرنسا حملة لتأديب ثوّار حسن الخرّاط، كان عدد الثوار الذين يرافقوه أقل من تسعين ثائرًا. وكنت معهم أرافقهم، وكان معنا في هذه المعركة من رفقاء السلاح، المجاهد الثائر «منير الريّس»، وقد دام القتال بين أفراد المقاومة[١٤٥] وبين الفرنسيين ستّ ساعات كاملة.**
- **كانت معارك الغوطة مستمرة بين الثوار والجيش الفرنسي، لم تتوقف أبدًا طيلة هذه المدة، وكان بطلها دائمًا المجاهد الثائر البطل حسن الخرّاط، فقد قاتل في جبل العرب، وفي قرية (أم ضبيب)[١٤٦] وفي معركة (الزور الأولى) وفي معركة (الزور الثانية) وجرح في كتفه.**

وفي بستان باكير القريب من حيّ الميدان، جرت مواجهة بين قوّة فرنسية معززة بالدبابات، وبين ثوّار حسن الخرّاط، وكان ذلك في يوم الأحد السادس من شهر كانون الأول من عام ١٩٢٥ ميلادية.

- **وفي يوم الأربعاء السادس عشر من كانون الأول من عام ١٩٢٥ ميلادية، هاجم المجاهد الثائر حسن الخرّاط وصحبه، قوّة فرنسيّة كانت تعسكر**

---

(١٤٥) المقاومة توازن رعب وردع توازن يحمي الأرض والمقدسات، وردع للأعداء «إذا ضربتم عاصمتنا ضربنا عاصمتكم تل أبيب بصورايخنا». المقاومة تملك إرادة المواجهة في الزمان والمكان الذي تختاره، فتشعل النور من دماء الاستشهاديين، لتعلن أن فجرًا عربيًا تحرّريًا تقوده المقاومة لابد أنه قادم بإذن الله. لقد أعادت «المقاومة» بانتصارها في لبنان الثقة للمواطن العربي، بقدراته على صنع النصر على عدوّه الذي يحتل أرضه، وبدّدت روح الإحباط والهزيمة، كما وجّهت ضربة للروح المعنوية لجيش العدو الذي لا يُقهر. ومقاومة المحتل هي الخيار الوحيد للانتصار، تجعل من آليات العدو هياكل متخشبة لا فائدة منها وقد استنْزفت المقاومة قدرات العدو وأفراد جيشه ودبابات «الميركافا» الأمريكية المتطورة، حتى واجه الهزيمة الشنعاء في جنوب لبنان. وخيار المقاومة هو الحل الوحيد القادر على دحر الاحتلال، وهو اللغة الوحيدة التي يفهمها المحتلون وأن نظرية الأمن الإسرائيلية وجدار الفصل العنصري قد أنهارت، بعد أن وصلت يد المقاومة وصواريخها إلى قلب الوطن المحتل. والرايات البيضاء لا تجلب إلا العار والهزيمة والاستسلام وهذا ما يريده الأعداء.

(١٤٦) أم ضبيب: قرية في جبل العرب، محافظة السويداء. تقع فوق مخروط بركاني، وتتبع منطقة شهبا وتبعد عنها ١١كم. جاءت تسميتها من الضباب الذي يحدث فيها. تكثر فيها الآثار والكهوف الجبلية والمزارات.

في بستان الذهبي - القريب من مقبرة اليهود - .

واعتقد الخرّاط أنَّ بإمكانه - بما أوتي من شجاعة وإقدام - القضاء على قوّة الفرنسيين وهزيمتهم.

فدخل بستان الذهبي مع ثوّاره، وراح يطارد القوّة الفرنسية. إلاّ أن قوّة فرنسية أخرى جاءت، وسدّت عليه الطريق وطوّقته.

كان الخرّاط يقاتل الأعداء دومًا وهو واقف، ويصيح في وجوه أعدائه: أنا حسن الخرّاط، لا تفتشوا عني في البيوت، بل أمام استحكاماتكم.

وقد كان هدفًا سهلاً لرصاصة فرنسية غادرة، أصابته في صدره، فرسمت على صدره الوشاح الأكبر، فخرّ صريعًا يتضرج بدمائه، سقط شهيد الواجب والوطن، يقبّل بثغره تراب وطنه، في الحادي والعشرين من كانون الأول ١٩٢٥ ميلادية.

- **في معركة (يلدا)[١٤٧] و(ببيلا) التي حدثت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٢٥ ميلادية، قاد المجاهد الكبير (نزيه المؤيد العظم) خمسين ثائرًا من ثواره، لقتل ذاك الذي كان يتعاون مع الفرنسيين المدعو (سليم المفتي) والأشقياء الذين كانوا يتعاونون معه.**

قابلتْ المجاهد نزيه المؤيد العظم قرب الميدان حملة فرنسية، فاستدرجها إلى قرية (ببيلا)، حيث يتواجد هناك المجاهد (متعب بك الأطرش) ومعه ثمانون فارسًا.

وقد هبَّ لمساعدته من قرية (السّت)، المجاهد الكبير القائد محمد سعيد بك العاص، وعلي بك الأطرش، وعبد القادر آغا سكر[١٤٨].

كما هبَّ للنجدة عند سماع أصوات القتال، القائد الفذّ (محمد عزّ الدين بك الحلبي).

وكان قتالاً عنيفًا وشرسًا، بين الحملة الفرنسية والثوار. هرب الفرنسيون أثناء المعركة، وتركوا أسلحتهم وعتادهم غنيمة للثوار.

---

(١٤٧) يَلْدا: وتعني البنت الجميلة، قرية في غوطة دمشق وتبعد عنها ٩كم وتتصل ببلدة ببيلا.

(١٤٨) عبد القادر آغا سكر: أحد زعماء حيّ الميدان، التحق بالثورة السورية، واشترك في معارك الغوطة و«بيت سحم»، وأبدى بطولات نادرة، كما اشترك مع حسن الخراط في صدّ هجوم الفرنسيين في «قبر الست». رافق عبد القادر آغا سكر الأمير عز الدين الجزائري، ومحمد سعيد العاص، وجميل شاكر الخانجي. وافاه الأجل المحتوم عام ١٩٥١م، ودفن في حيّ الميدان الحيّ الذي أحبه ودافع عنه

* «بيت سحم»: قرية في غوطة دمشق، تابعة لمنطقة «داريا»، تبعد عن دمشق حوالي أربعة كيلومترات، وعن داريا خمسة عشر كيلومترًا.

يوميات محارب / ثورة القلمون

• ثورة القلمون: عمّت الثورة ضد فرنسا منطقة هضبة (القلمون)، وذلك في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٥م.

وقد اصطدم الثوار بقافلة عسكرية فرنسيّة تقدر بخمسمئة جندي، ودارت معركة حامية الوطيس، انتهت بهزيمة الفرنسيين، وتركوا في ساحة المعركة خمسة وستين قتيلاً، وغنم الثوار أسلحتهم.

• قام ما يقارب الثلاثين ثائرًا من أهالي (دير عطية)[١٤٩]، بتعطيل خط السكة الحديدي بين مدينة (حمص - رياق)، لمنع وصول النجدات الفرنسيّة.

• أحرق رجال بني معروف في قرية (ذيبين)[١٥٠] بيت فارس الأطرش، لأنه خان العشيرة وعبث بالوطن. كما أحرقوا بيت سليمان عبده الأطرش في قرية (المجيمر)[١٥١] للسبب نفسه[١٥٢].

• تم الاتفاق بين فصائل الثوار المختلفة على تعيين القائد العسكري الكبير (أميرالاي أركان حرب) «مصطفى وصفي السمان». قائدًا عامًا لقوات الثورة في الغوطة.

• انضمّ كثير من المجاهدين للعمل الثوري والثورة.

ففي الثلاثين من تشرين الثاني ١٩٢٥م قام المجاهد الكبير (توفيق هولو حيدر) - من بعلبك - بمهاجمة القوات الفرنسية في مدينة حمص، وتخريب طرق مواصلات العدو في تلكلخ[١٥٣] وجندر[١٥٤] والجعفريات[١٥٥].

• كانت خطط الثوار الجديدة التي اعتمدها المجلس الحربي للثورة،

---

(١٤٩) دير عطية: بلدة في القلمون تتبع منطقة النبك، في محافظة ريف دمشق، وتبعد عنها ٨٨كم، وتضم ثلاث قرى: الحميرة، وجراجير، وقارة.

(١٥٠) ذيبين: بلدة في جبل العرب، تتبع صلخد في محافظة السويداء، وتضم أم الرمان وبكّا.

(١٥١) المجيمر (المجمر): موقع أثري في جبل العرب، يقع في أراضي قرية العفينة، ناحية القريّا، منطقة صلخد في محافظة السويداء إلى الغرب من نبع عرى وتبعد عنها ٤كم.

(١٥٢) ذكر هذه الحادثة أيضًا الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في مذكراته (الثورة السورية الوطنية) إصدار (دار الجزيرة) في الصفحة ٨٨ من المذكرات.

(١٥٣) تلكلخ: مدينة تقع إلى الغرب من حمص، على الطريق الدولية المتجهة نحو طرطوس، وتضم ٣٩ قرية. يجاورها الأراضي اللبنانية، وطرطوس، وحماة، وحمص.

(١٥٤) جندر: قرية تبعد عن مدينة حمص ٢٧كم باتجاه الجنوب.

(١٥٥) الجعفريات: قرية في سهل عكار في محافظة حمص، وتتبع منطقة تلكلخ.

اتخاذ موقف الدفاع أمام هجمات الفرنسيين، ثم إرسال مجموعات صغيرة أخرى من الثوار، لتطويقه وضرب مؤخرته لإرباكه، نظرًا لمعرفة الثوار بطبيعة الأرض.

وبهذه الطريقة كان الثوار يمزّقون العدو شرّ ممزق، ويجبرونه على الانسحاب.

- **في الثاني عشر من شهر شباط ١٩٢٥م، ألقي الثوار القبض على الخائنين (شفيق القزّاز) و(صويصي الشنيبلي) اللذين لعبا أخطر الأدوار في الخيانة، وبعد ثبوت الجرم عليهما قطعت أيديهما وأرجلهما من خلاف[١٥٦].**
- **كما تآمر المدعو (ظاهر القنطار) والمدعو (إبراهيم الأطرش) مع الفرنسيين، على اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٢٦م مقابل خمسمئة ليرة ذهبية[١٥٧].**
- **تبرأ الشيشان من الشركس المتطوعين في خدمة الفرنسيين، كما تبرأوا مما يفعله بعض المارقين في صفوفهم، مما يحدث ألمًا في نفوسهم ويحزّ في قلوبهم[١٥٨].**
- **في الخامس من كانون الثاني ١٩٢٦م قام المجاهد الكبير محمد سعيد بك العاص من حماة، المشاركة بقواته وثواره الذين يبلغ تعدادهم ستمئة مقاتل، في نسف الجسور، والخط الحديدي، والهجوم على المواقع الفرنسيّة والمراكز الحكومية والمخافر في كلّ من (القصير)[١٥٩] ومدينة (حمص).**
- **في السادس والعشرين من شباط ١٩٢٦م قام ثوار الشيخ محمد الأشمر، ومعهم مجموعة كبيرة من كبار الثوار، بالهجوم على القطار الفرنسي في (خربة الغزالة)، وكان تجمّعهم في منطقة الغوطة متوارين**

---

(١٥٦) ذُكرت هذه الحادثة أيضًا في مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر – في الصفحة ٩٣.

(١٥٧) ذُكرت هذه الحادثة أيضًا في المصدر نفسه – في الصفحة ٩٠.

(١٥٨) نفس المصدر السابق مذكرات الشهبندر عن «الشراكس» - صفحة ٩٢.

(١٥٩) القصير: مدينة تقع شمال مدينة دمشق، في محافظة حمص، وإلى غربها تقع الحدود اللبنانية، يتلوى نهر العاصي بين سهولها وحقولها وبساتينها، كشريان وريدي يغذي جسمها، تقرأ فيها التاريخ والجغرافية معًا. وكانت القصير تسمى قديمًا «قادش»، لكن التاريخ هناك بحاجة إلى استكشاف، والذاكرة بحاجة إلى إنعاش. وفي مدينة القصير مغارة هي امتداد لمغارة «جعيتا» - اللبنانية - يتدلى من أسقفها ألوان «الهوابط» و«الصواعد» وعيون الماء. تقرأ على صفحات سهولها المعطرة برياحين الورود، سطورًا من التاريخ، لتنقلها الأجيال أوراقًا للمستقبل. فيها «دير مار إلياس»، وتتناثر - المقالع - «محاجر قطع الصخور» على أطرافها، لتضخ الغبار في أجوائها بدلاً من روائح العطور والأزهار ، ويعتز أبناء مدينة القصير بتاريخ الثوار الأبطال الذين أنجبتهم مدينتهم، كما يعتزون بماضي وطنهم الذي لم يرضخ يومًا للمستعمر الدخيل.

عن العيون. أحرق ثوار الأشمر أربعًا وعشرين قاطرة للفرنسيين، بعد أن قتلوا سائق القطار ومعاونَيْه. غنم الثوار أسلحة العدو ووزعها الشيخ الأشمر على الثوار، وقد شاركتُ في هذه المعركة، كما اشترك فيها أكثر الثوار[١٦٠].

● إثر هذا الانتصار الساحق، التحق عدد من الجنود المغاربة والتونسيين والجزائريين والأرناؤوط[١٦١] بصفوف الثوار قبيل معركة السويداء، وأبلوا بلاء حسنًا، وسقطوا في ميدان الشرف والبطولة.

● في مطلع الثاني عشر من آذار ١٩٢٦م، قام الفرنسيون بحشد قواتهم لاحتلال منطقة (النبك) - قاعدة الثورة في هضبة القلمون.

تصدّى للحملة الفرنسية العسكرية القائد العسكري الملهم (فوزي بك القاوقجي)، والقائد العسكري الكبير المجاهد (محمد سعيد العاص).

● انتقلت الثورة ضدّ الفرنسيين إلى جبل (اكوم) «امتداد جبال لبنان» ومنطقة (الهرمل)، في أواخر كانون الأول ١٩٢٥م تقودها عشيرة (الجعافرة).

● كما قامت منطقة بعلبك في الحادي عشر من حزيران ١٩٢٦م، بدحر الحملات الفرنسية، يقودهم المجاهد الكبير (توفيق هولو حيدر).

● قام مسلحون من أهالي قرية (قلعة الجندل)[١٦٢] في (جبل حرمون) و(إقليم البلان)[١٦٣] في الخامس والعشرين من أيلول ١٩٢٥م، بنصب كمين لقافلة فرنسية، وكبدوهم عشرين قتيلاً، في حين لم يتجاوز عدد الثوار عن خمسة وعشرين ثائرًا.

● قاد ثورة قرية (جباثا الخشب)، المناضل الكبير البطل الثائر (أحمد مريود)، لتخفيف الضغط عن مناطق الثوار، والتحق بالمعركة الأمير (عادل أرسلان).

وعلى (جسر السيراني) قرب (بيت جنّ) في سفوح جبل الشيخ، وقف أكثر من مئتي مسلح لصدّ الحملة الفرنسية التي تقدّمت في الثلاثين

(١٦٠) ذكر هذه الحادثة الدكتور الشهبندر في مذكراته التي نشرتها له (دار الجزيرة) في الصفحة ١٠٠. وكتاب تاريخ الثورات السورية – لأدهم آل جندي ص٤٣٥ عن الهجوم على القطار.

(١٦١) الأرناؤوط: هم سكان «ألبانيا»، والتي تسمى بلاد «الأرناؤوط»، وهي من دول البلقان، وتقع بين يوغوسلافيا واليونان وبحر الأدرياتيك.

(١٦٢) قرية قلعة جندل: قرية قديمة في سفوح جبل الشيخ، سميت بذلك لقساوة صخورها. تبعد عن مدينة قطنا ١٥كم. يعود بناؤها إلى العهد الآرامي، وفيها معبد وثني.

(١٦٣) إقليم البلاّن: يُطلق هذا الاسم على المنطقة الممتدة غربي دمشق الجنوبي، وتشمل قضاء «وادي العجم» وعاصمته «قطنا» وتبعد عشرين كيلومترًا عن دمشق، وقضاء «القنيطرة» الذي يبعد ٦٥كم عن دمشق، وتتبعه سفوح «حرمون» الشرقية وسكانها من بني معروف.

من أيار ١٩٢٦م على محورين: من (القنيطرة) ومن (خان أرنبة) باتجاه (جباتا الخشب).
شاركت الطائرات الفرنسية بقصف مواقع الثوار، واستمرت المعركة أكثر من ست ساعات، ونفد ما لدى الثوّار من عتاد، واستُشهد في هذه المعركة الكبيرة المجاهد البطل (أحمد مريود)، ورفاقه من كبار قادة الثورة.
• اشترك الشيخ محمد حجازي الكيلاني(١٦٤) ومحمود حجازي الكيلاني وأبو صلاح العرجا، ومحمد منير الخطيب في منتصف تشرين الأول ١٩٢٥م، بالهجوم على حامية (الضمير) الفرنسية، وقضوا عليها وغنموا أسلحتها.
ففي قرية «الهيجانة»(١٦٥) خرج الثوار الذين يقودهم محمد حجازي الكيلاني وأخوته، ومعهم نسيب البكري، ورمضان باشا شلاش، وهاجموا المفرزة الفرنسية في (الضمير) وأبادوها.
• وفي «حران العواميد»(١٦٦) في مرج الغوطة، هاجم ثوار يقودهم أبو عمر ديبو، المتحصّن في قرية (حوش المباركة)(١٦٧) الحملة الفرنسية التي وصلت قرية (الريحان)، وأجبروها على الفرار، مخلّفة وراءها قتلاها وجرحاها وسلاحها وعتادها.
• هاجم الثوار مخفر درك قرية «النشابية»، واستولوا على أسلحتهم وخيولهم. ثم كان الهجوم التالي على قرية «المليحة»، وأرسلت فرنسا أربع كوكبات تعزيزات لجنودها، فهاجمهم الثوار في جسر «الغيضة»(١٦٨) يوم ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٢٦م. يقودهم فوزي القاوقجي والأمير

---

(١٦٤) الشيخ محمد حجازي الكيلاني: زعيم ثوار باب سريجة وقبر عاتكة وأخوته: (رسلان، وسعيد، وعبد الغني، ومحمود). وقد استوطنت هذه الأسرة دمشق قادمة من الحجاز، واشتركت في معركة ميسلون، وجميع معارك الغوطة، وصحنايا، وببيلا، ويبرود، ووادي التيّم، ومعارك الجبل وغيرها من المعارك، وقد داهم الفرنسيون بيوت آل حجازي ونهبوها ثم أحرقوها، واستُشهد سعيد حجازي الكيلاني، وطوى الموت صفحة ناصعة من تاريخ آل حجازي الكيلاني.
وإذا ذكرت الثائرين بمحفل حيّ البطولة خاشعًا متهيبا

(١٦٥) الهيجانة: قرية في منخفض غوطة دمشق، وتبعد عنها ٣٥كم، وتتبع النشابية وتبعد عنها ١٦كم. شكّل نهر الأعوج بحيرة صغيرة في منخفضها. تحبط بها التلال «تل المغير والرأس والقصرين والهيجانة» وتتصل بطريق مطار دمشق الدولي.

(١٦٦) حرّان العواميد: بلدة في مرج غوطة دمشق وتبعد عنها ٣٠كم، وتتبع منطقة دوما وتضم خمس قرى. وتبعد ٩كم من جنوب قرية النشابية.

(١٦٧) حوش المباركة: تقع في مرج غوطة دمشق، على بُعد ٥كم من دوما، وتتبع قرية الريحان في محافظة ريف دمشق.

(١٦٨) جسر الغيضة: جسر في غوطة دمشق على نهر بردى، يصل بين قرى الغوطة الجنوبية والشمالية وقريتي المليحة وجسرين.

عزّ الدين الجزائري. وبعد أن استُشهد (٦١) ثائرًا، انسحبوا إلى مرج السلطان «التي تقع على تخوم الغوطة وقد أُطلق على هذه المعركة فيما بعد «معركة جسر الغيضة».

عندما فشل العدو في صدّ الثوار والقضاء عليهم، دمّر بقنابله قرية «المليحة، وجرمانا[١٦٩]، والبلاط[١٧٠]» وأحرق هذه القرى، ليروّع المواطنين، واستُشهد أكثر من خمسمئة من أهاليها. وهم يقدمون المساعدات اللوجستية للثوار.

- **أمام الهزائم الفرنسية المتوالية، واشتداد المقاومة، ومحاولة اغتيال المعتمد الفرنسي في قصر العظم أمر الجنرال «ساراي» بقصف مدينة دمشق بالمدفعية.**
- **وبدأ قصف القوات الفرنسية الغازية مدينة دمشق بالقنابل، وشبّت النيران في وسط المدينة، في (سيدي عمود)[١٧١] والخضيرية والشاغور، واحترقت بيوت كثيرة، ودام القصف ثلاثة أيام ابتدأت من مساء يوم الأحد الثامن عشر من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٥م.**
- **وفي اليوم التالي قامت الطائرات الفرنسية، بقصف مدينة دمشق بقنابل الطائرات، في الساعة العاشرة صباحًا، واستمر القصف الإجرامي حتى ظهر يوم الثلاثاء في العشرين من أكتوبر / تشرين الأول، وتوقف القصف بعد احتجاج قناصل[١٧٢] الدول الأجنبية.**

هذه الهمجية والوحشية الفرنسية، أثارت سخط الشعب في سورية والبلاد العربية وشعوب العالم.

- **بعد قصف مدينة دمشق بالقنابل، وجّه «سعد زغلول»[١٧٣] نداء في الخامس من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٢٥م إلى دول العالم مستنكرًا الوحشية والبربرية الفرنسية.**
- **وافقت السلطات الفرنسيّة، على إيقاف القصف، بناء على تدخّل**

---

(١٦٩) جرمانا: بلدة في غوطة دمشق يروي أراضيها نهر العقرباوي أحد فروع نهر بردى. تحيط بها نواحي كفربطنا والمليحة وببيلا ومحافظة مدشقنة دمشق التصقت عمرانيًا بالعاصمة دمشق «حيّ الدويلعة ومخيم اليرموك.

(١٧٠) البلاط: قرية في الغوطة الشرقية، تتبع ناحية المليحة، وتبعد ٨كم من دمشق.

(١٧١) بعد القصف الفرنسي الوحشي واشتعال الحرائق في منطقة (سيدي عمود) أطلق عليها اسم (الحريقة) وهي المنطقة الملاصقة لسوق الحميدية في قلب دمشق.

(١٧٢) قناصل: مفردها قنصل، وهي كلمة أجنبية تُعني «المندوب» أو «ممثّل دولة»، لدى دولة أخرى.

(١٧٣) سعد زغلول: زعيم سياسي مصري، ورئيس حزب الوفد، وناضل من أجل تحرير مصر من الاحتلال البريطاني، فسجن ونفي. تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٢٤م، ولكن سلطات الاحتلال البريطانية أكرهته على الاستقالة. وفي انتخابات عام ١٩٢٦م فاز حزبه بأكثرية تؤهله لتأليف الوزارة من جديد، لكن الإنجليز حالوا بينه وبين الوزارة. كان خطيبًا مفوهًا كالشهبندر، لكلماته السحر في نفوس سامعيه.

«الأمير سعيد الجزائري»، شرط أن يدفع أهالي دمشق للسلطات الفرنسيّة، مئة ألف ليرة ذهبية، وجمع ثلاثة آلاف بندقية «كغرامة حربية».

• قامت السلطات الفرنسية - تحت الضغط الدولي - باستبدال الجنرال «ساراي»، بمندوب سام جديد، من أعضاء مجلس الشيوخ، هو المسيو «هنري دي جوفنيل»، الذي باشر عمله في ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٥م.

• في أوائل تشرين الأول ١٩٢٥م، بدأ الثوار يتمركزون في الغوطة، وقد قامت السلطات الفرنسية المغتصبة الدخيلة بإمرة الجنرال (اندريا)، في شهر تشرين الثاني ١٩٢٥م، بتسيير الحملة تلو الأخرى باتجاه الغوطة، وكانت قوات الثوار تتصدى لهذه الحملات باستمرار، فلا تعود الحملات الفرنسية إلى قواعدها، إلاّ وهي متخنة بالجراح، متحملة أكبر الخسائر، في الأرواح والعتاد.

• في العاشر من تشرين الأول ١٩٢٥م، قاد المجاهد الثائر (نسيب بك البكري)، هجومًا على رجال الدرك، ودار الحكومة في قرية (دوما)[١٧٤]. وقد انضم أربعمئة ثائر من دوما إلى الثورة، واشترك (آل الخنشور) في المعركة.

• قاد القائد محمد سعيد العاص، ومحمد عز الدين الحلبي بعد يومين، هجومًا آخر على مخفر (داريّا)[١٧٥] الفرنسي.

• قامت القيادة الفرنسيّة، بحملة على ضاحية (يلدا) و(ببيلا)[١٧٦]، بعد وصول الجنرال الفرنسي (هنري دي جوفنيل) - المفوّض السامي الجديد - في الخامس من شهر كانون الأول ١٩٢٥م، للقضاء على الثورة والثوار.

وصلت مساندة من ثوار جبل العرب، يقودهم (متعب بك الأطرش)، كما وصلت مساندة للثوار، بقوات يقودها (محمد عز الدين بك الحلبي)، ومجموعة أخرى من الثوار، يقودهم (نزيه المؤيد العظم).

• وصلت طلائع الحملة الفرنسية، إلى قريتي (يلدا) و(ببيلا) فأحاطت

(١٧٤) دوما: دوما: بلدة في غوطة دمشق وتبعد عنها ١٩كم، تقع في أرض سهلية خصبة. تجاورها القطيفة والضمير والنشابية ومنطقة التل. اتصلت عمرانيًا بدمشق.

(١٧٥) داريا: من كبريتات قرى الغوطة الغربية، تبعد عن دمشق ثمانية كيلومترات. تشتهر بزراعة العنب. تجاورها المعضمية وقطنا، وقد اتصلت عمرانيًا بدمشق.

(١٧٦) ببيلا: «باب إيل» بلدة في غوطة دمشق وتبعد عنها ٨كم. كانت مركزًا للثورة السورية. يجاورها ناحية جرمانا والمليحة والكسوة وداريا. اتصلت عمرانيًا بدمشق، وفيها مقام السيدة زينب. وتتداخل أراضي يلدا مع أراضي ببيلا وتتبع لها وكانت ترويها قناة تسمى (قناة رامس).

بهم قوات الثوار من جميع الجهات، وأبلى ثوار بني معروف بلاء حسنًا اقتحموا صفوف العدوّ، وأسكتوا أصوات مدافعه ورشاشاته، وطارد الثوار فلول الفرنسيين إلى حيّ الميدان(١٧٧).

غنم الثوار أكثر من مئة وخمسين بندقية، وكبَّدوا العدو أكثر من مئتي قتيل، واستُشهد ثمانية من الثوار كما جرح منهم عشرة.

● امتدت الثورة إلى (جوبر، وزملكا(١٧٨)، وعربين، وحمورية(١٧٩)) ، فأحرق الفرنسيون هذه القرى ونهبوها.

● في العاشر من كانون الأول ١٩٢٥م، اصطدم عدد من المجاهدين كان يقودهم حسن الخراط، يرافقه الشيخ محمد حجازي الكيلاني ومحمود حجازي الكيلاني، اصطدموا بقوّة فرنسية تعسكر في بستان الذهبي. وحدثت بينهما معركة حامية ومواجهة دامية استُشهد خلالها المجاهد حسن الخراط.

● زحف سبعة آلاف جندي فرنسي - في سريّة تامة - يقودهم الجنرال (غاملان)، في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٢٥م اتجاه السويداء، ترافقهم طائرات ودبابات ومدافع ثقيلة. وقد تصدّى لهم ثوار جبل العرب في موقع (تل الحديد)، إلاّ أن الطائرات الفرنسية قصفتهم بحممها، فاضطروا للانسحاب فاحتلت القوات الفرنسية الموقع. وقد تصدّت مجموعة من فرسان آل الأطرش، في قرية (عري) للحملة الفرنسية، إلاّ أنهم انسحبوا أيضًا أمام كثافة النيران إلى قرية السجن(١٨٠).

ودخل الجيش الفرنسي مدينة (السويداء)، وأنقذ الحامية المحصورة في قلعتها منذ أكثر من شهرين، ثم انسحبوا من مدينة (السويداء) لا يلوون على شيء.

---

(١٧٧) حي الميدان: كان يسمى «ميدان الحصى» ويبتدئ من مسجد مصلى العيدين «باب مصلّى» ويمتد حتى الجهة القبلية. وكان الميدان الفوقاني يسمى «القبيبات» وهو يقسم إلى (ميدان تحتاني) ويمتد من منطقة السويقة حتى باب المصلى، و(ميدان وسطاني) يمتد من باب المصلى وحتى جامع الدقاق، ثم (الميدان الفوقاني) ويمتد من جامع الدقاق إلى نهاية حديقة الأندلس. يشمل الحيّ الذي يقع فيه «جامع الدّقاق». ويُذكر أنه كان بدمشق أربعة ميادين مشهورة: (ميدان المرجة): ويشمل ميدان القصر ومكانه اليوم دائرة الشرطة وقصر الحكومة. (ميدان ابن أتابك): ويشمل الملعب البلدي، ومديرية الآثار العامة. (ميدان الشرف الأعلى): وتشمل الأماكن التي تقع تحت جودت الهاشمي. والرابع (ميدان الحصى) في نهاية حيّ الميدان.

(١٧٨) زملكا: قرية في غوطة دمشق، وتبعد عنها ٤كم، وتتبع ناحية «عربين». تسميتها سريانية قديمة وتعني «مصيف الملك» اتصلت عمرانيًا بدمشق.

(١٧٩) حمورية: من قرى غوطة دمشق تبعد عنها حوالي ستة كيلومترات ونصف الكيلو متر. تشتهر بزراعة الفواكه والخضراوات ويمرّ منها نهر الداعياني.

(١٨٠) السجن: بلدة في جبل العرب، استمدت تسميتها من سجن بناه الأتراك، وتتبع محافظة السويداء، وتبعد عنها ١٢كم. تقع في أرض بركانية وعرة وتتبعها ١١ قرية.

● انضمت عصابات الثوار (نزيه المؤيد العظم، وعبد القادر سكر، وأحمد الملاّ) لمساعدة عصابة (أبناء عكاش)، في نواحي قرية (دمّر) و(وادي بردى)، في اقتلاع خط سكة الحديد بين دمشق وبيروت.
وكانت (عصابة عكاش)[(١٨١)] تزداد قوة بما ينضمّ إليها، من ثوار تلّ منين في وادي القلمون، وبرزة[(١٨٢)] ودمّر[(١٨٣)] ووادي بردى.
● تشكلت (عصابات) كثيرة، حتى أصبحت دمشق محاطة بالثوار من جميع جهاتها، وتعجّ بهم لحمايتها والدفاع عنها، وقد تولى زعامتها كبار الثوار، وكانت (عصابة الميدان) من أكبر العصابات، وكان أغنياء الميدان يمدونها بالمال والسلاح والمؤن. ومن هذه العصابات:.

- عصابة عبد القادر سكر في قرى الغوطة والمرج.
- عصابة الشيخ محمد الأشمر قاد مجموعة من ثوار الميدان التي تمركزت في حوش الريحانية[(١٨٤)] والشويخ بين قريتي يلدا وببيلا.
- عصابة حسن الخرّاط ومعه الزيبق في الشاغور، يرافقهم عزّت حماميّة وأحمد وحمدي الفتّال.
- عصابة دوما وحرستا يقودها الخنشور وأبو عمر ديبو.
- عصابة القابون وبرزة يرأسها أبو محيي الدين شعبان.
- عصابة عكاش ويرأسها سعيد عكاش وأخوته في دمّر ووادي بردى.
- عصابة الأكراد يقودها أحمد الملاّ وصادق الداغستاني.
- مجموعة جيش خالد بن الوليد يقوده القائد سعيد العاص.
- مجموعة القائد فوزي القاوقجي.
- مجموعة نزيه المؤيد العظم وآل العسلي.
- مجموعة قبر عاتكة وباب سريجة يقودها الشيخ محمد حجازي الكيلاني ومحمود حجازي الكيلاني. اتخذت من (كفرسوسة) مقرًّا لها.

---

(١٨١) عصابة عكاش: كان يقود العصابة «سعيد عكاش» الذي ولد في قرية دمّر عام ١٨٨٢م، وكان يعمل في قطع الصخور، في سفوح جبل قاسيون، شارك مع إخوته في معارك الغوطة ومعربا وسرغايا وفي نسف القطارات الفرنسية في وادي بردى. اغتيل «عبدو عكاش» من قِبل أحد الأشخاص في قرية «قدسيا» خلال الثورة، كما اغتيل شقيقه «سعيد عكاش» بعد خمسة عشر عامًا من الثورة في سوق العتيق بدمشق. وقد قام الشيخ الأشمر مع بعض زعماء الثوار، بعقد لواء الصلح، لوأد الخصام بين طرفيّ النِّزاع.

(١٨٢) برزة: قرية من قرى غوطة دمشق الشرقية، وتبعد أربعة كيلومترات عن دمشق، وفيها مسجد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد اتصلت حديثًا بمدينة دمشق.

(١٨٣) دمّر: قرية صغيرة غرب دمشق، وتبعد عنها حوالي ثمانية كيلومترات، وتقع في وادٍ جميل، يجري فيه نهر بردى، وقد اشتهرت بجمالها وتعدّد أنهارها وجداولها.

(١٨٤) حوش الريحانية: تقع شرقي الغوطة، وتتبع قرية يلدا ناحية ببيلا، وتبعد عنها ٣كم.

- عصابة العمارة: يرأسها المجاهد أبو عبده ديب الشيخ، وقد اتخذت من بساتين العمارة(١٨٥) وجوبر مقرًّا لها.
- عصابة قبر الستّ: كان يتزعمها الشيخ محمد الصعب.
- عصابة مئذنة الشحم: وكان يقودها فتوش والبحرة وعزيزية والفوّال والزيبق. ومقرّها جسر المطيِّر في قرية المليحة بالغوطة الشرقية.
- عصابة سوق القطن: بزعامة أبي محمود عارف الفارة يقودها معه منير سبع الليل ومعه الشيخ محمد البيتموني ومحمود الجوخي ومحمود البرازي (أبو دياب) ومحمد الخطيب وشفيق السكري ووجيه الخانجي. ومقرها بستان البطيخي.
- عصابة المتعلمين «المثقفين»: وتضمّ مجموعة من المثقفين منهم: صبري العسلي وأخوته، وعبد القادر القوّاص، توفيق سوقيّه، صالح سلو، شفيق الركابي، جميل شاكر الخانجي، ياسين الخانجي، صادق الداغستاني، زكي الحلبي، ومركزها القنوات(١٨٦).

• في الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٥م، صدّ الثوار وعلى رأسهم القادة الميدانيين: محمد سعيد العاص وفوزي القاوقجي، يساعدهم الثوار: يونس الخنشور ومنير الريّس وأبو عمر ديبو وأبناء عكاش، حملة فرنسية كانت متجهة من دمشق إلى دوما، وأوقفوا تقدمها وكبدوها خسائر جسيمة.

• هاجمت عصابة أبناء عكاش وأحمد الملاّ(١٨٧)، في الخامس من شباط ١٩٢٦م أحد القطارات الفرنسية في وادي بردى.

إذ قام سعيد عكاش وأخوته بتخريب الخط الحديدي، ولمّا وصل القطار

(١٨٥) العمارة: كانت (العمارة الجوانية) وسط مدينة دمشق القديمة. و(العمارة البرانية) مباشرة بعد السور خارج (باب الفراديس). أنشئت في القرن الثامن الهجري، بعد بناء «عمارة الإخنائي» خارج باب الفراديس. فصار الناس يقولون: «عند عمارة الإخنائي» فغلب هذا الاسم على المنطقة. ولا يزال يحمل نفس الاسم.

(١٨٦) القنوات: سُميت لكثرة الأقنية التي أقيمت على «نهر قنوات» الذي كان يجري فيها. وقد ضمّ الحيّ الطبقة الارستقراطية التركيّة، التي تجمعت حول السراي. ولا يزال يحمل نفس الاسم. ويجاور باب الجابية، ومقبرة باب الصغير ومحلة قبر عاتكة.

(١٨٧) أحمد الملاّ الكردي: زعيم عصابة حي الأكراد، ولد بدمشق عام ١٨٩١م، في حي الأكراد من أسرة كردية استوطنت دمشق. درس في (مكتب عنبر) بدمشق، والتحق بالجيش التركي، وشارك في الحرب العالمية الأولى، أصدر مع صديقه (صبحي العقدة) جريدة (أبي نواس) فضح فيها الموالين لفرنسا، فطردته السلطات الفرنسية، فتوقفت جريدته عند الصدور. التحق المجاهد أحمد الملا الكردي بالثورة السورية، وتزعم عصابة حي الأكراد، وانضم إليه أبناء حيّ الصالحية. شارك في معارك الغوطة، مع القائد سعيد العاص الذي أشاد ببطولته. اغتالته في قرية (معربا) عصابة (آل عكاش) مع ثلاثة عشر فارسًا من فرسانه في ٢٤ نيسان ١٩٢٦م. قام الشيخ محمد الأشمر، وأبو عمر ديبو، وبعض زعماء الثورة، بعقد لواء الصلح بين طرفيّ النِّزاع من الأكراد لوأد الخصام.

إلى المنطقة المخرّبة تدهور القطار، وكانت عرباته مملوءة بأكياس القمح والأغنام. وقد استولى ثوار عصابة أبناء عكاش، على كل محتويات القطار.

- في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٢٦م، قاد ثوار «الميدان» الشيخ محمد الأشمر ومعه عبد القادر سكر وأبو عمر خيتي الدرخباني، والشيخ ديب القديمي وعبد الغني نجيب وقد تصدوا لقوة عسكرية فرنسية في قرية (الحتيتة)[١٨٨].
- في الثامن عشر من شباط ١٩٢٦م، قامت نخبة من كبار الثوار وزعماء المجاهدين، بانتخاب مجلس وطني للثورة للشؤون الحربيّة، والإدارية، والمالية، والدعاية، ومحاكم ثورية، وقيادة موحدة للثورة والثوار. وقد تولى القيادة العسكرية فوزي القاوقجي وسعيد العاص.
- في الخامس والعشرين من شباط ١٩٢٦م قام القائدان: فوزي القاوقجي ومحمد سعيد العاص، بالهجوم على المواقع الفرنسية في وقت واحد، وفي ساعة محدّدة وسط العاصمة دمشق. مما أثار هلع الفرنسيين وعائلاتهم.
- في الثاني والعشرين من نيسان، أعاد الفرنسيون احتلال مدينة السويداء. وقد خسر الفرنسيون ثلاثمئة قتيل وعشرات الجرحى، كما استشهد من المجاهدين مئة ثائر، سقطوا وهم يدافعون عن مدينتهم.
- احتلت القوات العسكرية الفرنسية مدينة (صلخد) و(شهبا)[١٨٩]، في الأول من شهر حزيران ١٩٢٦م، وانسحب الثوار إلى مرتفعات الصفاة[١٩٠].
- زحفت القوات الفرنسية على المقرن الشرقي في جبل العرب أواخر آب ١٩٢٦م.
- في الثالث والعشرين من شهر أيلول ١٩٢٦م، قام الفرنسيون بإقناع حلفائهم الإنجليز المتواجدين في شرقي الأردن، بمنع الرجال القادرين على حمل السلاح من البقاء في منطقة (الأزرق)[١٩١]. إلاّ أن زعماء

(١٨٨) حتيتة التركمان: تقع على طريق مطار دمشق الدولي، على بُعد ٢٥ كم من مدينة دمشق في «الجسر الخامس». وقد أصبحت منطقة تضم مطاعم فاخرة.

(١٨٩) شهبا: مدينة الإمبراطور الروماني «فيليب العربي». تابعة لمحافظة السويداء، وتبعد عنها ثمانية عشر كيلومترًا، وتقع شمال جبل العرب، وتتوضع في منطقة صخرية بركانية، تطوّقها مخاريط بركانية عالية. وتضم شهبا إحدى عشرة قرية، وتحيط بها ناحية «الصورة» و«شقا» و«عريقة». فيها آثار لا تزال ماثلة للعيان: قلاع وحصون ومعابد ومقابر، وأعمدة وبوابات وحمامات ومسرح وبقايا كنيسة، ومتحف لمديرية الآثار.

(١٩٠) الصفاة: معقل طبيعي أو قلعة طبيعية، كوّنتها يد القدرة الإلهية، من مقذوفات بركانية. وقد أوجدت هذه المقذوفات بانخفاضاتها وديانًا وقلاعًا. هذا المعقل يقع بين جبل العرب والغوطة.

(١٩١) منطقة الأزرق: معقل منيع في منطقة الأردن، واقع على مقربة من جبل العرب، كانت تلجأ إليه عائلات الثوار، تكثر في هذه البقعة الأوبئة والأمراض الوافدة لكثرة المستنقعات.

الأردن، وشيوخ العشائر، وعلى رأسهم شيوخ بني صخر (مثقال الفايز، وحديثه الخريشه، وتركي العبيدات، وسعيد خير)، رفضوا تسليم الثوار السوريين الذين انتقلوا إلى الأراضي الأردنية.

كما مُنع سلطان باشا الأطرش من اللجوء إلى الأردن، فاجتاز إلى (وادي سرحان) في شمال الحجاز، وعاش عدة سنوات تحت الخيام، وفي ظروف بالغة التعقيد، حتى صدر عفو عام بعد تشكيل الحكومة الوطنية في سورية، فعاد إلى الجبل.

كان الهمّ الذي يؤرّق الغزاة المستعمرين القضاء على الثورة نهائيًا، وإقصاء الثوار، ولذلك منعتهم السلطات الإنجليزية[١٩٢]، من اللجوء إلى منطقة (الأزرق).

- قامت السلطات الفرنسية بحملة كبيرة على منطقة (اللجاة)[١٩٣] الشرقية، - شمال غرب جبل العرب - في الثاني من تشرين الأول ١٩٢٦م.
- حاصرت القوات العسكرية الفرنسية، في السابع من أيار من عام ١٩٢٦م حيّ الميدان، ودارت رحى الحرب بين الثوار والقوات الفرنسية، من بيت إلى بيت؛ في منطقة حيّ قبر عاتكة[١٩٤] - وبساتين البيروتي وجمال الدين وحسس (منطقة الزفتية) - وزقاق البصل.

وقد قام بالدفاع عن حيّ الميدان ثوار الشيخ محمد الأشمر، وعبد القادر سكر، وأبو قاسم الدرخباني، واستُشهد من الثوار أكثر من سبعة وخمسين مقاتلاً، ودمرت بيوت كثيرة في حيّ الميدان.

- قاد الفرنسيون حملة ضخمة، في السابع والعشرين من حزيران ١٩٢٦م باتجاه قرية (السّت)، واحتلت (حوش الشعير) وقرية (حجّيرة)[١٩٥].

(١٩٢) قامت السلطات الإنجليزية في منطقة «الأزرق» في الأردن، بإنذار الثوار السوريين وأهليهم، بوجوب مغادرتهم «منطقة الأزرق» خلال أسبوعين. فالاستعمار متعدد الوجوه له رؤوس كرؤوس الشياطين ولمّا لم ينفذوا الإنذار، أمر قائد المنطقة – الضابط الإنجليزي «كروب» – بقطع الماء عنهم، علمًا بأن الكهرباء لم تكن موجودة أصلاً. وقد لجأ أكثر الثوار لمنطقة «الأزرق» – هربًا من بطش الفرنسيين وملاحقتهم – فوجدوا الأبواب مفتوحة لهم، وألفوا محبة وعطفًا، وحماية وإخاءً صادقًا في الأردن، هوّن عليهم بعض معاناتهم وما أصابهم، مما خفّف وقع النكبة في نفوسهم

(١٩٣) اللجاة: أرض وعرة مؤلفة من صخور صماء، تعتبر من أمنع المعاقل الطبيعية في العالم. تقع شرقي حوران. اتخذها الثوار مركزًا لحركاتهم وانطلاقتهم، عندما اشتدّ عليهم الضغط في الغوطة والشمال. وهي أرض جبلية بطول ٤٠كم وعرض ٢٠كم وتقع شمال جبل العرب.

(١٩٤) قبر عاتكة: حيّ من أحياء دمشق، منسوب إلى «عاتكة» بنت يزيد بن معاوية «أم البنين» زوجة عبد الملك بن مروان. كانت تكشف خمارها بين يدي اثنى عشر خليفة كلهم لها محرم، وعاشت حتى مقتل ابنها الوليد بن عبد الملك.

(١٩٥) حجيرة: قرية في غوطة دمشق، تتبع ناحية ببيلا على بُعد ١٢كم جنوب دمشق.

• طوّقت القوات العسكرية الفرنسية الغوطة من جميع جهاتها، وذلك في السادس عشر من شهر تموز ١٩٢٦م.
لقيت الحملة الفرنسية مقاومة عنيفة من الثوار، واستمرت المعركة أربعة أيام بلياليها، وكانت من أشد معارك الثوار. وقد اشترك أكثر قادة الثورة في هذه المعركة الحامية الوطيس.
• نشبت معركة ضارية في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٦م، في قرية (كناكر)[١٩٦] وقرية (زاكية)، بين ثوار يقودهم (فوزي بك القاوقجي) ويرافقه: (شوكت العائدي، وزكي الحلبي، وسليم الأظن، وعبد الوهاب الرجلة، وصالح القربي، وعبد الغني الجلّاد) ومعهم آخرون، وبين حملة فرنسية قدمت من (قطنا)، وساعدتها حملة فرنسية أخرى قدمت من (القنيطرة)[١٩٧].
استطاع الثوار كسر الطوق، والانسحاب إلى أماكن أكثر أمنًا، انضم إلى الثوار المجاهدون: صادق الداغستاني، ومظهر السباعي، وأبو محيي الدين شعبان، وعبد الرحمن حمزة، وأبو خليل الخباز.
• في السابع والعشرين من شهر شباط ١٩٢٦ ميلادية، انتخب زعماء الثورة، أعضاء المجلس الوطني الثوري[١٩٨] من السادة التالية أسماؤهم: زكي الحلبي، شوكت العائدي، نزيه المؤيد العظم، فائق العسلي[١٩٩]، حكمت العسلي[٢٠٠] أحمد الحصني، جميل شاكر الخانجي، صبري

---

(١٩٦) كناكر: قرية في حوض الأعوج في منطقة قطنا. وتبعد عن سعسع ٨كم. تقع في أرض سهلية تمتد بين تل الشيح وتل الهوى.

(١٩٧) القنيطرة: مركز محافظة الجولان، تقع جنوب غرب دمشق، وتبعد عنها ٦٧كم، ذات موقع استراتيجي هام. حرّرت صبيحة يوم الأربعاء، السادس والعشرين من حزيران عام ١٩٧٤م، بعد احتلال دام سبع سنوات من حزيران عام ١٩٦٧م. والذي يزور القنيطرة المحررة، يشاهد آثار التدمير الوحشي المنظّم، الذي قامت به قوات الاحتلال الصهيوني، قبل انسحابها من القنيطرة. فمشاهد الخراب والتدمير تدل على وحشية عدو لم يفلت من حقده وإرهابه وعنصريته الشجر والحجر

(١٩٨) قرارات المجلس الوطني للثورة وتنظيمات الثورة، صفحة ٢٤١ من كتاب «كفاح الشعب العربي السوري – للدكتور إحسان الهندي، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي.

(١٩٩) الشهيد فائق العسلي: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٩٤م، ونُفي مع والديه إلى بلاد «الأناضول» والتي تعني «مشرق الشمس». التحق في الثورة السورية، بعد أن شاهد المظالم التي كان يقترفها السفّاح الفرنسي «بيجان». خاض معركة «جبّاثا الخشب» إلى جانب عمه الشهيد حكمت العسلي، واستُشهد مع قائد المعركة أحمد مريود في الثلاثين من أيار عام ١٩٢٦م. أوكل إليه أعضاء المجلس الوطني لجنة الدعاية للثورة إلى جانب والدي.

(٢٠٠) الشهيد حكمت العسلي: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٨٤م، ونُفي مع أسرته إلى بلاد «الأناضول»، بعد إعدام شقيقه «شكري العسلي» مع قافلة الشهداء التي أعدمها جمال باشا السفاح. استُشهد حكمت العسلي في معركة «جبّاثا الخشب» أيضًا، وقد أنجب ولدين هما: هشام وفيصل. ومن ثوار آل العسلي: أحمد بن محيي الدين العسلي، وعبد اللطيف العسلي، وأديب العسلي، ولطفي العسلي، وصبري العسلي.

فريد البديوي، إسماعيل القلعجيٍ، محمد الشيخ، علي ديبو.
وقد فوّضهم الزعماء تفويضًا كاملاً بإجماع الآراء والقرارات والأحكام، بأنهم القوة التنفيذية لهذا المجلس.
كما عهد المجلس إلى توزيع المسؤولية، فأوكل لجنة الدعاية والاستخبارات إلى السادة: فائق العسلي، وجميل شاكر الخانجي.

- **اشتبك ثوار يقودهم محمد سعيد العاص، ومعه المجاهد الثائر الأمير عز الدين الجزائري وعبد الغني نجيب مع قوّة فرنسية كبيرة، في التاسع من شهر آذار ١٩٢٧ ميلادية في قرية (الدريج) وقرية (بسّيمة)[٢٠١]، وقرية (بالا)[٢٠٢] و(المحمدية)[٢٠٣] و(سقبا)[٢٠٤] و(جوبر)[٢٠٥] و(الست)[٢٠٦] .وقد استُشهد عشرات الشهداء من الثوار، وكان من بينهم المجاهد الكبير الأمير عز الدين الجزائري.**

كانت هذه المعركة آخر معارك الغوطة وبعدها توقفت الثورة.

توقفت الثورة بعد نفاذ العتاد، وصعوبة الحصول عليه، وصعوبة الإعاشة والتموين، والآلة العسكرية الفتاكة التي دفعها العدو، للقضاء على الثورة والثوار.

وقد تحمّل الشعب بأبنائه وثواره، ونسائه وأطفاله وشيوخه أعباء النضال، وتحمّل بروح وطنية عالية الخسائر في الأرواح والأموال، كما تحمّل أساليب القمع الوحشية التي استعملها العدو الغاشم مع الثوار المناضلين، من سجن وتعذيب واعتقال وسفك للدماء، وتدمير للمدن والقرى.



(٢٠١) بسّيمة: قرية في وادي بردى، وتتبع ناحية قدسيا، في محافظة ريف دمشق.

(٢٠٢) بالا: في الطرف الشرقي لغوطة دمشق، وتتبع قرية حرستا القنطرة وتبعد عنها ٣كم، ناحية النشابية في منطقة دوما، محافظة ريف دمشق. وتصلها بمدينة دمشق طريق طولها ١٣كم.

(٢٠٣) المحمدية: قرية تقع في أرض سهلية في غوطة دمشق، تتبع قرية جسرين ناحية كفربطنا. يرتفع حولها «تل القرود» الأثري. تابعة لريف دمشق.

(٢٠٤) سقبا: قرية في غوطة دمشق، تتبع ناحية كفر بطنا في محافظة ريف دمشق، وتبعد عنها خمسة كيلومترات.

(٢٠٥) جوبر: حيّ في مدينة دمشق، كان قرية في غوطة دمشق، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منها. اتصلت عمرانيًا بدمشق. وصارت حيًا من أحيائها.

(٢٠٦) قرية الست «السيدة زينب»: وهي زينب أخت الحسين بن علي t. من فُضليات النساء من آل البيت، وشريفات العقائل. ذات تقى وطهر وعبادة. قيل أن الفاطميين نقلوا رفاتها إلى مصر. وتبعد ضاحية (الست زينب) عن دمشق ستة كيلومترات، وكان اسم القرية قديمًا (راوية).

معركة اللجاة

تعتبر معركة اللجاة بداية النهاية للثورة السورية، كما اعتبرت الحملة الفرنسية على منطقة اللجاة الشرقية، من أقوى الحملات وأكثرها أعدادًا وتنظيمًا.

ومنطقة اللجاة كما هو معروف منطقة وعرة، لا ماء فيها، ولا طريق تسلكها القوافل، وهي فوق ذلك كله معقل حصين، فيها آبار رومانيّة تاريخية، وخزانات قديمة، ويتعذّر على الجيوش النظاميّة القيام بالعمليات الحربية.

ويتعرّض أي جيش يريد الاستيلاء على (اللجاة) للإفناء، سيما إذا اشترك عرب اللجاة بمقاومته.

وتنقسم منطقة اللجاة إلى قسمين:

القسم الأول: منطقة اللجاة، وتتألف من عدّة قرى يقطنها بني معروف، وهي متصلة بقرى اللجاة التي تقطنها عشائر البلقاء.

والقسم الثاني من اللجاة: منطقة جبلية وعرة المسالك، تقع شمالي الجبل، وتتصل بحوران من جهة الشرق، وبالغوطة من جهة الجنوب.

وقد اعتاد بنو معروف أن يتحصنوا فيها إبّان الأزمات والقتال مع أعدائهم، فتردَّ عنهم غارات الجيش المهاجم.

وفي منطقة (اللجاة) هزم بني معروف جيش «إبراهيم باشا»[٢٠٧] والي مصر سنة ١٨٣٢م. وانتصروا على جميع الحملات التركية المتوالية عام ١٨٩٦م.

ولولا الحيلة التي استعملها القائد العسكري (سامي باشا الفاروقي العراقي) الذي قاد الحملة التركية الأخيرة على جبل العرب سنة ١٩١٠م لما تمكّن من إخضاع الجبل، ولتعرضت حملته للهلاك والإبادة، كسابقتها من الحملات التركية.

وكان حصاد الحملات التركيّة إعدام (ذوقان باشا الأطرش) - والد سلطان باشا الأطرش - مع بعض الزعماء شنقًا في ساحة المرجة بدمشق عام

(٢٠٧) إبراهيم باشا: ابن محمد علي باشا، ألباني الأصل، قدم مصر مع حملة «طوسون» بن محمد علي عام ١٢٢٠هـ. قاد الحملات واستولى على سورية عام ١٨٣٢م، وتوغل في بلاد الأناضول وجبال طوروس، حتى دق أبواب الآستانة (القسطنطينية)، وكان يطمح أن يُقيم «إمبراطورية عربية»، لذا تآمرت الدول الاستعمارية، للقضاء على هذا الحلم الكبير عام ١٨٤٠م، وأعاد المستعمرون (الإنجليز والفرنسيين) احتلال الوطن العربي. وبعد رحيل إبراهيم باشا أعاد «المفسدون في الأرض» الوطن العربي، إلى «حالة الفوضى» وعهود القرون الوسطى

١٩١٠م.

هذه الحادثة التاريخية لا يعرفها إلا القليل من أبناء سورية.

وقد اشتملت الحملة الفرنسية على اللجاة الشرقية على كوكبتين من بني معروف، وكوكبتين من فيلق الصباحيين التونسيين، وكوكبتين من فيلق المراكشيين، وثلاثة ألوية من فيلق الرماة المراكشيين، وكوكبة مراكشية يقودها الكولونيل (كاله)، والكولونيل (مايان)، والكولونيل (مارتان)، بالإضافة إلى قصف الطائرات، وذلك في أوائل شهر آب عام ١٩٢٦م.



بعد هذه المعركة توقفت الثورة في الجبل.

فقد كانت خسائر حملة «اللجاة» على الثوار قاسية.

إذ استطاعت قوات العدو، بما تملك من قوّة غاشمة، من مدافع وطائرات ودبابات، أن تقتحم تحصينات الثوار ومدنهم في السويداء وصلخد وشهبا، مما اضطرهم إلى نقل أسرهم إلى منطقة «الصفاة». حرصًا على أرواح النساء والأطفال والشيوخ، مما جعل أمور تأمين الإعاشة والتموين، على جانب كبير من الصعوبة والتعقيد.

كما كان عدد الثوار يتناقص باستمرار، إذ كان الموت يختطف زهرة هؤلاء الشباب، الذين سقوا أرض الوطن بدمائهم الزكيّة، وأدّوا ضريبة الدم، ليعيش الوطن حرًّا مستقلاً، ودفعوا حياتهم ثمنًا لحرية بلادهم.

كما أدّى نقص العتاد، إلى انسحاب قادة الثوار لمتابعة كفاحهم السياسي خارج الوطن حتى لا يبقوا كأحجار الشطرنج دون فعالية.

كما كان لتآمر المستعمرين الإنجليز والفرنسيين، لإخراج الملتجئين السوريين، من منطقة (الأزرق)، سببًا مباشرًا لإجبار الثوار على إنهاء ثورتهم، وعاملاً في توقّف النضال المسلح في جبل العرب، وإن ظلّت بعض المعارك في ضواحي الغوطة مستمرة، بين بعض جيوب المقاومة والفرنسيين.

كانت ثورة جبل العرب، قد زادت من الترابط العضوي بين جبل العرب - الذي كاد أن يعلن استقلاله عن الوطن الأم في لحظة من اللحظات - وبين بقية أبناء الوطن، كما زادت من الترابط الفكري والروحي، بين سكان الجبل وبقية أرجاء سورية، ونما الشعور الوطني والقومي فسال دم شهداء جبل العرب من «أبناء بني معروف» على أبواب دمشق، وروّت دماء أبناء دمشق صخور جبل العرب.

وسيحتفظ الوطن بأسماء هؤلاء الشرفاء، الذين ضحّوا من أجل أمتهم ووطنهم في ميادين الجهاد، وما تحمّلوه من المغتصب الدخيل، من تنكيل وتعذيب وسجن ونفي خارج الأوطان في سجل الخلود.

كانوا بحقّ وطنيين شرفاء امتلكوا إرادة الصمود والمقاومة، وكان انتماؤهم للوطن، يستحوذ عليهم كل كيانهم.

سيحفظ لهم الوطن جميل صنيعهم لأمتهم وبلادهم، وسيخلّد ذكراهم مقرونًا بالشرف والتقدير.



كان لتوقّف الثورة صدمة قاسية لكل الشعب في سورية.

كان صوت الحقد على فرنسا وأعمالها البربرية[٢٠٨]، يدوّي في أعماق الشعب، وضمير كلّ فرد.

علا صوت الانتقام والثأر، للتخلّص من هذا الاستعمار البغيض، الذي سيطر على مقدّرات الوطن، وسلبه حريته واستقلاله.

لم يتوقف هذا الشعب يومًا عن نضاله ولم يتردد في حمل السلاح، ومقاومة المحتل المغتصب.

فرض الفرنسيون على شعب أعزل مسالم في سورية، انتدابهم واحتلالهم بقوة الحديد والنار.

وأظهر هذا الشعب في فترة نضاله وكفاحه ضد المستعمرين، ضروبًا من الشجاعة والفداء، مما أذهل الفرنسيين وأدهشهم.

وأمام هذه المعطيات وفي الثاني عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٤٢م، أصدر المندوب العام الفرنسي المفوّض - «الجنرال شارل جورج كاترو» - قرارًا يحمل الرقم «٢٢» بإعادة دولة «جبل العرب» إلى الوطن الأم، بعد إعلان الاستقلال في السابع والعشرين من أيلول / سبتمبر ١٩٤١م.

ثم أصدر المندوب العام الفرنسي، قرارًا آخر يحمل الرقم «٢٣»، بإعادة

(٢٠٨) الأعمال البربرية والقوّة المفرطة لم تكن في يوم من الأيام، قادرة على كبت إرادة شعب من الشعوب والباطل قد يستمر أعوامًا، لكنه يحمل بذرة فنائه في طيّاته. وما أقيم على الباطل فهو باطل والحوار بين القاتل المجرم، وطريدته الضحية حوار عقيم، لا يُفضي إلى نتائج والقوة مهما تعاظمت، لا يمكنها إبادة شعب له حضارة وتاريخ يمتد آلاف السنين.

لقد انسحبت «السيوف» بكل «مفاخرها» وانتصاراتها، ولكن جذورها بقيت مزروعة في الأرض ولا تزال دروعها الحربية التي تهشمت، وأسنّة الرماح المسنونة التي تكسّرت تخفي تاريخًا يغفو في جوف الأرض وويل للغاصب المحتل إذا استيقظ دم الأطفال ليأخذ بثأر الأحزان فإرادة الشعوب حتمية لا تُقهر لأنها من إرادة الله.

«دولة اللاذقية» إلى الوطن الأم.

كما أصدر قرارًا آخر باعتبار منطقة «دولة جبل العلويين» جزءًا متممًا للدولة السورية.

ولم تكتمل فرحة الشعب بإعلان «كاترو» استقلال سورية، حتى قام الجنرال - العنصري «المتعصّب» - «أوليفا روجيه» بإلغاء قرار الاستقلال وأمر الجيش الفرنسي بإعادة احتلال الدوائر الحكومية ومؤسساتها، وإدارتها من قبل حكام عسكريين وتجريد أبناء الشعب من السلاح.

وقد عبّر هذا الشعب بمختلف الوسائل، عن رفضه الانتداب والاحتلال.

أمام هذا الانقلاب الاستعماري قام الشعب بمظاهرات صاخبة يوميّة، اصطدمت بقوات الدرك، وبقوات السلطة الفرنسية، كما أعلن الإضراب العام، في فترات مختلفة لمدد طويلة.

وأضربت المدن السورية الأخرى، عدّة أيام وعدّة فترات، وآزرتها مدن لبنانية، وتوقفت كلّ الأعمال، وحُكم على الوطنيين الأحرار، بالسجن والنفي والاعتقال.

وأُعلنت الأحكام العرفية، ونزلت قوات الجيش الفرنسي إلى الشوارع، بمصفحاتها ودباباتها، وظلت هذه «المقاومة» مستمرة، لم تتوقف في يوم من الأيام، فالشعب في مقاومته، أقوى سلاحًا من نيران الأعداء.

كان سلاح المواطن الإيمان بحقه في الحرية والوحدة والاستقلال، وكان الشعب بجميع فئاته وطبقاته ومذاهبه، يعمل يدًا بيد ضدّ الدخيل المغتصب.

وتألفت اللجان الشعبية، واشتركت فيها السيدات واستخدمت السلطات الفرنسية كل أساليب القمع، وسفك الدماء والسجن والاعتقال، ولكن المقاومة[٢٠٩] استمرت، والضغط الوطني اشتدّ. كان طبيعيًا أن يطالب الجميع برحيل قوات الاحتلال، والجلاء عن الوطن وصبر الشعب صبرًا طويلاً على مراوغة الدخلاء، وكذبهم ومماطلتهم واستفزازهم، وعدوانيتهم وحقدهم وانتقامهم.

وأسمع الشعب في سورية، صوته لشعوب أوروبا والعالم اجمع مطالبًا بحريته واستقلاله. وكان فارس الخوري صوت الأمة المدوّي، الذي يُعبّر عن ضمير

(٢٠٩) اعترف الجنرال الفرنسي «ويغاند»، عن المقاومة الشرسة التي أبداها الثوار في سورية ضد الجيش الفرنسي الغازي، عند إزاحة الستار عن النُصب التذكاري، الذي أقيم في «ساحة الزيتونة» في لبنان لضحايا جيش الشرق الفرنسي: «إنه نُصب تذكاري لمجهودات جنودنا، الذين سقطوا دفاعًا عن «شرف فرنسا» وقد بلغ تعداد القتلى، تسعة آلاف جندي، ومئتين وخمسين ضابطًا يمكنكم أن تذكروا ذلك لأولادكم»

فأي «شرف» هذا الذي يتحدثون عنه...؟ لا بدّ أنه «شرف الـ.....!!».

هذا الشعب وأحلامه.

وفي السادس عشر من شباط، من عام ١٩٤٦م، اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارًا، بوجوب جلاء جميع الجيوش الأجنبية عن سورية.

وتم جلاء آخر جندي فرنسي وبريطاني عن سورية، في الساعة التاسعة من صباح يوم ١٥نيسان / أبريل ١٩٤٦م، بعد احتلال دام ربع قرن.

وجرى الاحتفال بيوم الجلاء، في صباح السابع عشر من نيسان عام ستة وأربعين وتسعمئة وألف، واعتبر يومًا وطنيًا يحتفل به الوطن.

إنه يوم الجلاء السابع عشر من أبريل / نيسان ١٩٤٦م.

فقروا عينًا يا رموز الوطن، وأنتم في ذمة الله، لا زلتم أحياء في قلوب أمتكم، وفي ذاكرة الوطن.

وأقول...

تتميز منطقة اللجاة التي كانت معقلاً للثوار بتضاريسها الوعرة، وأوديتها السحيقة، وجروفها الحادة، التي تقف في وسطها وكأنها رؤوس الشياطين.

وقد أطلق عليها الرومان «تراكون»، أي المناطق الوعرة لكنّ العرب أسموها «لجاة» لأنها تمثّل ملجأ للاختباء.

وتضم منطقة اللجاة سبعين قرية، غنية بأوابدها التاريخية، وفي كل بقعة من هذه البقاع، تروي قصة وتاريخ الحضارات التي تعاقبت على أرضها، منذ أن سكنها الإنسان.

كما تتميز آثار منطقة «اللجاة» بكثرة الأبراج التي أُقيمت بهدف المراقبة، واستشعار الأخطار عن بعد، ونقل إشارات الإنذار للمدن الرئيسية، كبصرى ودرعا والسويداء وعمّان والبتراء، على شكل دخان، لاتخاذ الاحتياطات لمواجهة الأخطار. وأشهر هذه الأبراج «برجٍ جنين»، القريب من قرية «الزبيرة»[٢١٠]، والذي يرتفع خمسة عشر مترًا، وبرج المطلّة وبلانة، وهي كما يبدو خطوط دفاعية متقدمة. ولا تزال المواقع: «المسمية، وشعارة، وقرى منارة شريف، وسحر، وألطف، ومسيكة[٢١١]». تحوي الكثير من الأوابد التاريخية والأسرار المدفونة التي ترقد بين طيات أرض اللجاة الصخرية الصماء، وحجارتها البازلتية السوداء.

وعاصمة اللجاة تدعى (عريقة)[٢١٢]، وفيها «مغارة» طبيعية، لم تتدخل يد

(٢١٠) الزبيرة: تقع في أرض اللجاة، وتتبع منطقة الصنمين، وتجاور قرية «زباير».

(٢١١) مسيكة: قرية في أرض اللجاة، وتتبع منطقة إزرع وتبعد عنها ٨كم.

(٢١٢) عريقة: بلدة في جبل العرب، تتبع منطقة «شهبا» في محافظة السويداء، وتبعد عنها خمسة وعشرين كيلومترًا، وتضمّ ثمانية قرى، وتقع على طريق يخترق منطقة اللجاة البركانية. ويقع تحت القرية كهف عظيم، يحتاج إلى عناية ليصبح مَعْلَمًا سياحيًا

الإنسان في تخطيط تشكيلاتها، وقد تشكلت بفعل آخر انفجار بركاني لجبل العرب كصخور بازلتية. وتكمن عظمة هذه المغارة، المدهشة والخارقة عن المألوف، بثبات الصورة التي تشكلت عليها لحظة التبرّد الأولى، حين تشكّل الحقبة الجيولوجية. وهي من الآثار الطبيعية التي أبدع الخالق في تكوينها. وتعتبر من الأوابد التاريخية، فبابها كنعاني وعمره ٤٥٠٠ عام، والقناطر التي بداخل المغارة إغريقية. ويبلغ طول المغارة ١٤٦٠م، وتنقسم إلى ثلاثة كهوف يفصلها سردابان، وهي بشكل قوسي عرض قاعدته خمسة عشر مترًا، وبارتفاع تسعة أمتار.

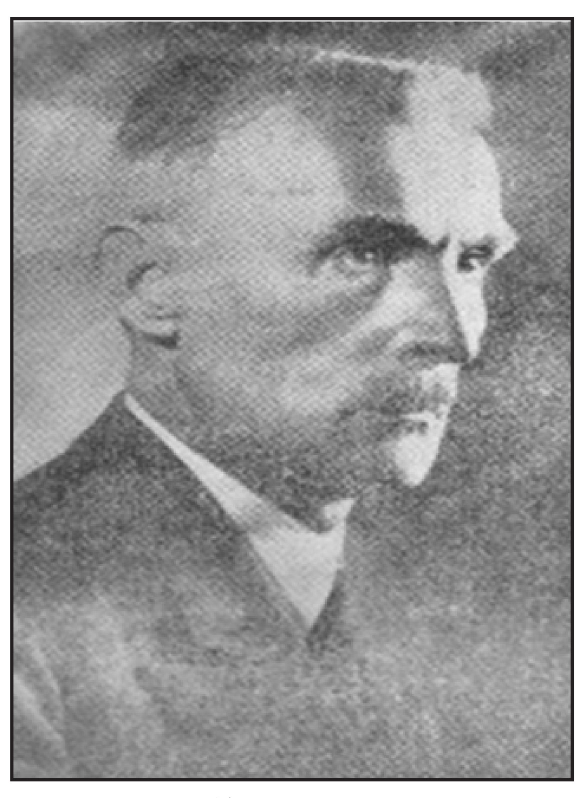
والمغارة تتوسط هضبة اللجاة، وتبعد ثمانون كيلومترًا جنوبي دمشقٍ. وثلاثون كيلومترًا شمال غربي محافظة السويداء، واثنى عشر كيلومترًا غربي مدينة الشهباء.

هذا خلق اللّه فتبارك اللّه العلّي العظيم أحسن الخالقين الذي خلق فأبدع.

[هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] [القمان : ١١].



عطا الأيوبي



إبراهيم هنانو



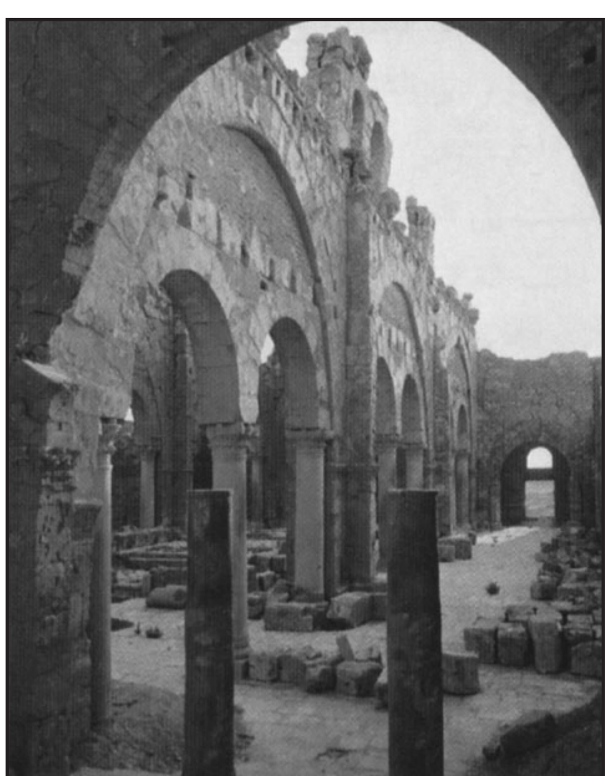
قلعة الحصن - حمص



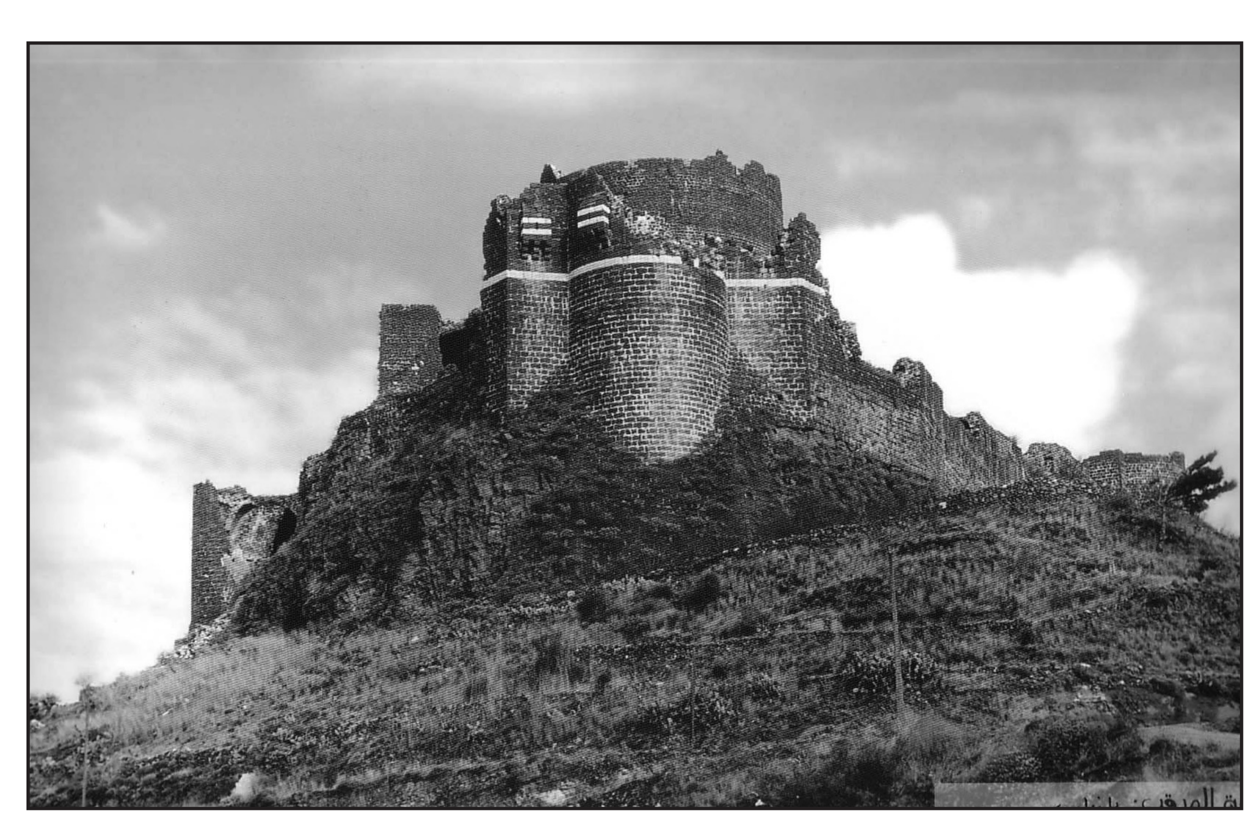
قلعة أفاميا - حماة



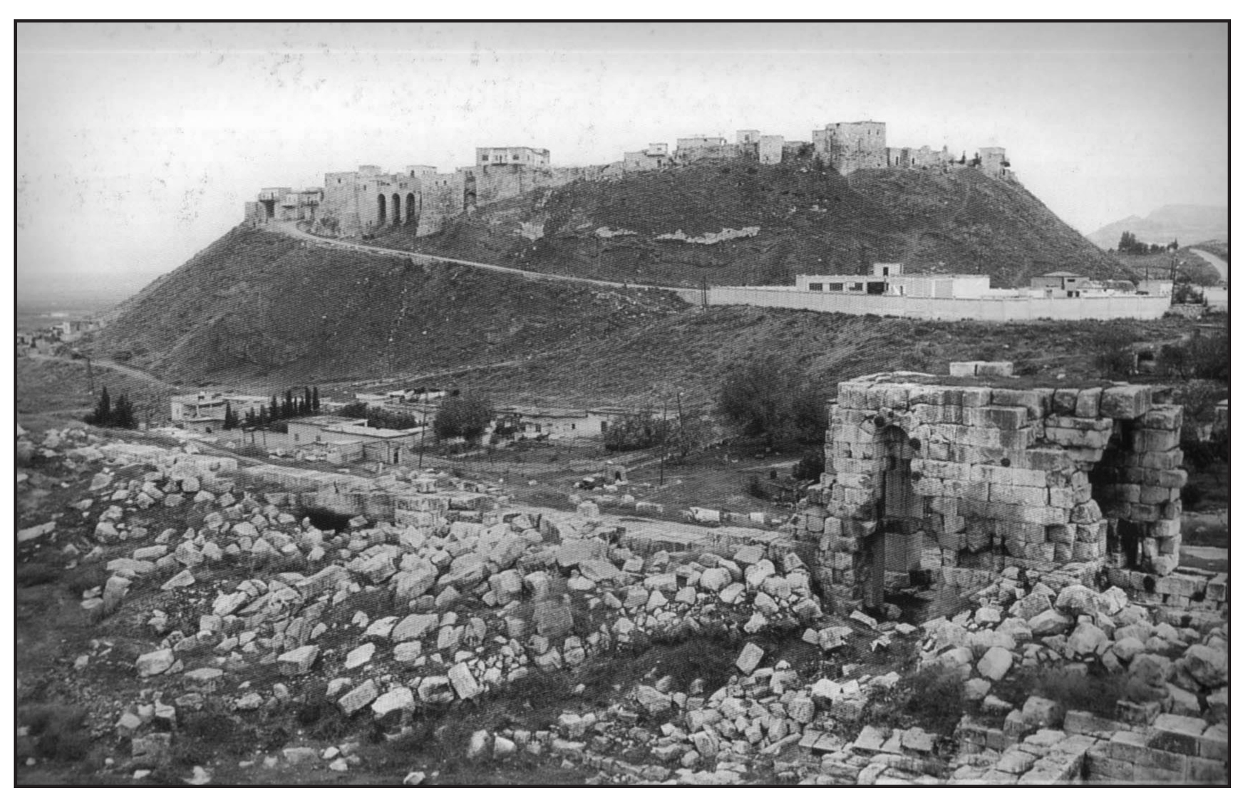
قلعة دمشق



رصافة هشام - الرقة



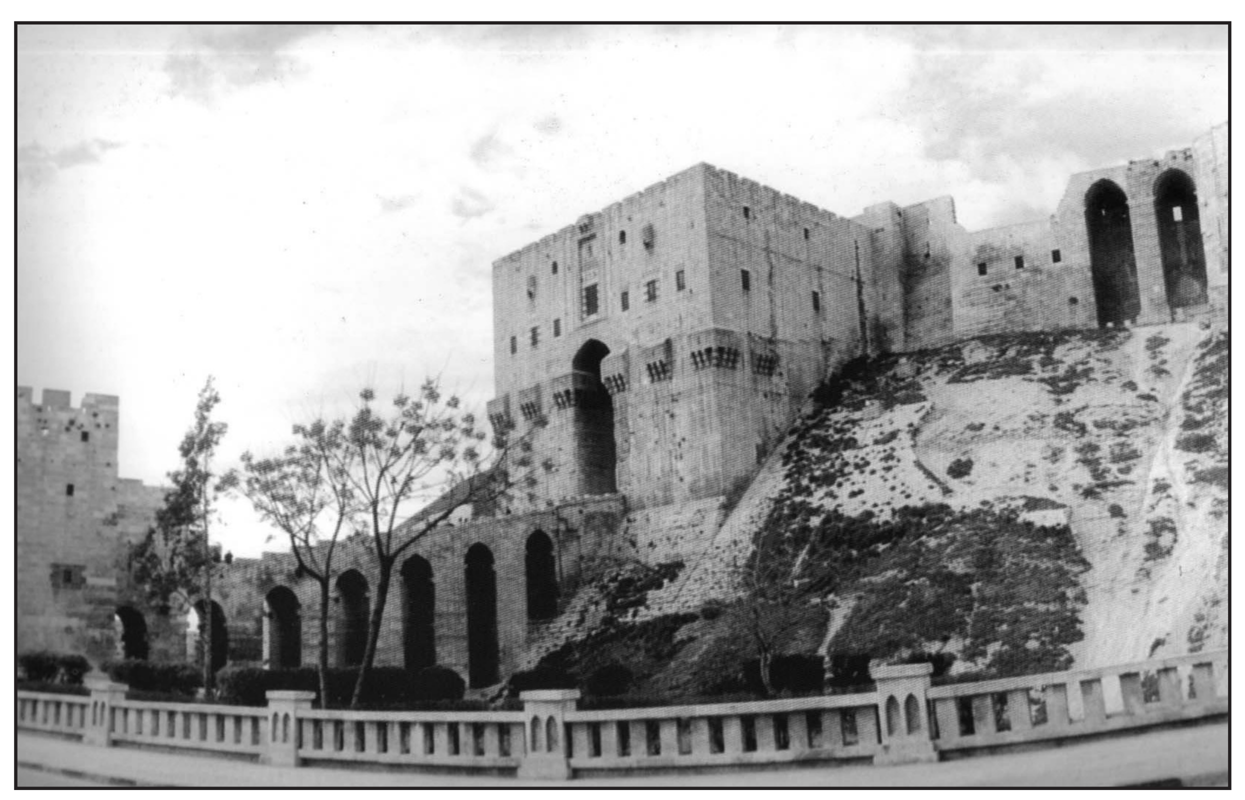
قلعة المرقب - اللاذقية



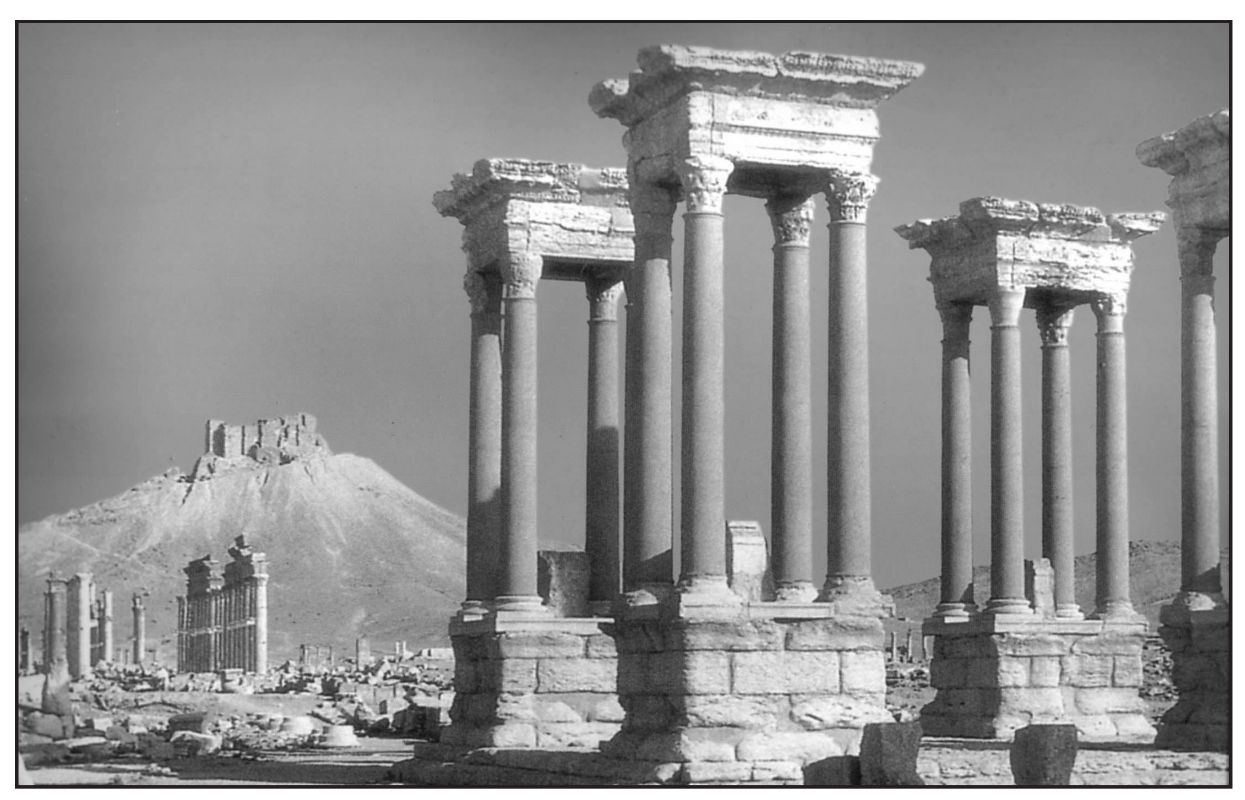
قلعة المضيق - حماة



قلعة بصرى - حوران



قلعة حلب - حلب



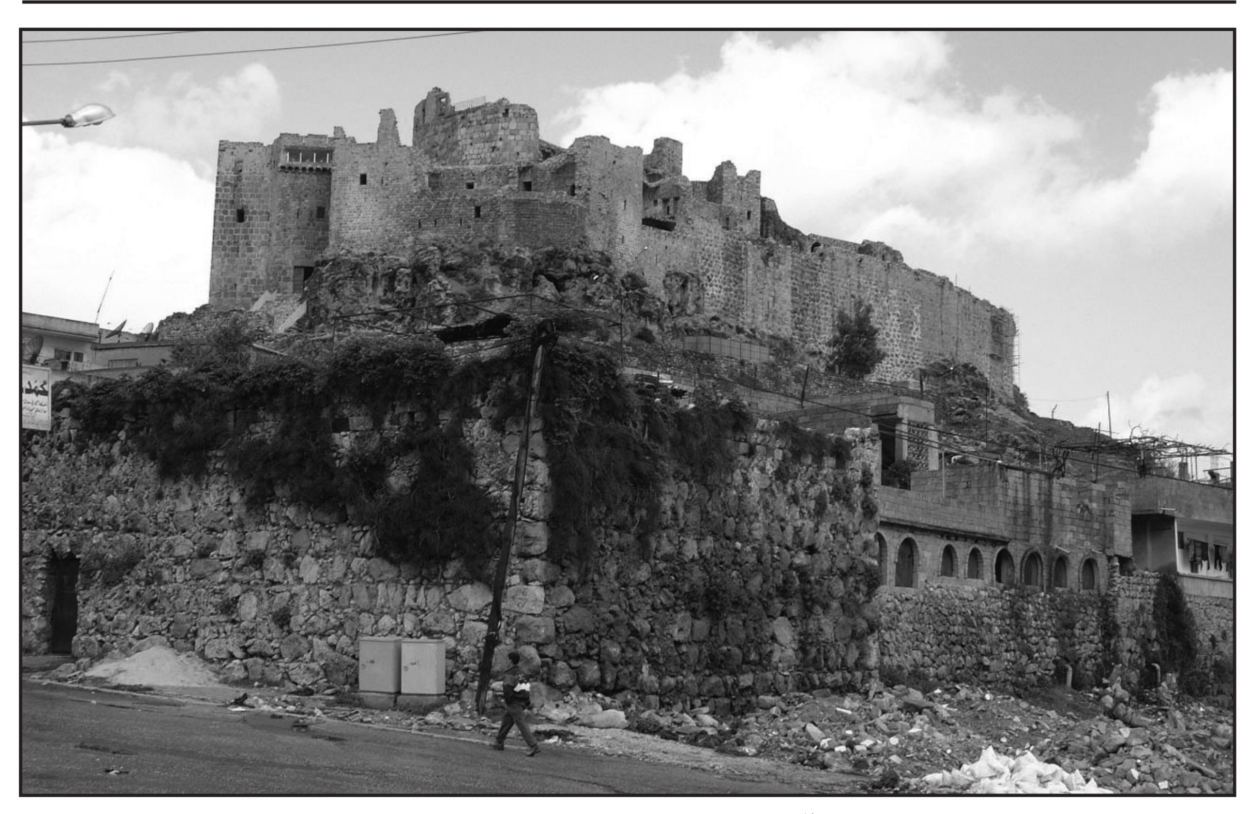
قلعة تدمر - تدمر



قلعة سمعان - حلب



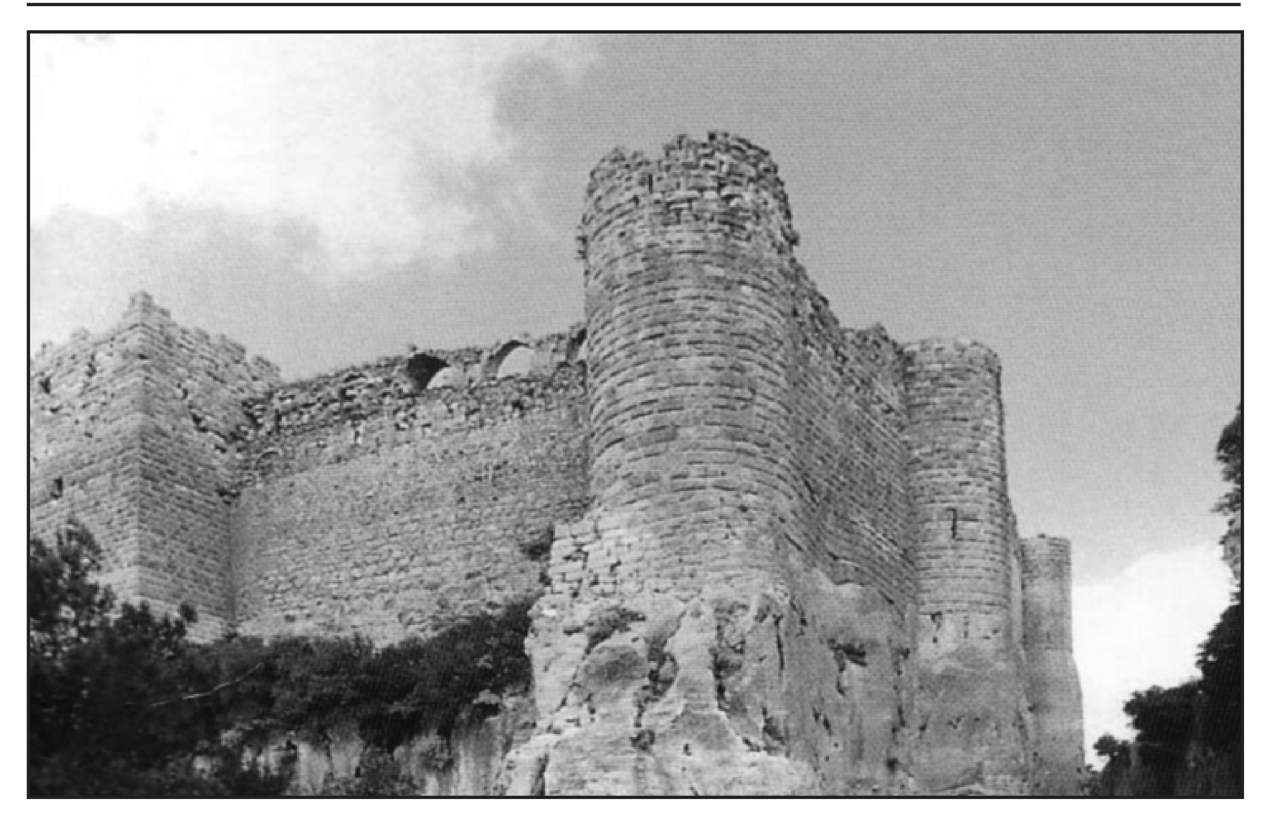
قلعة شيزر - حماة



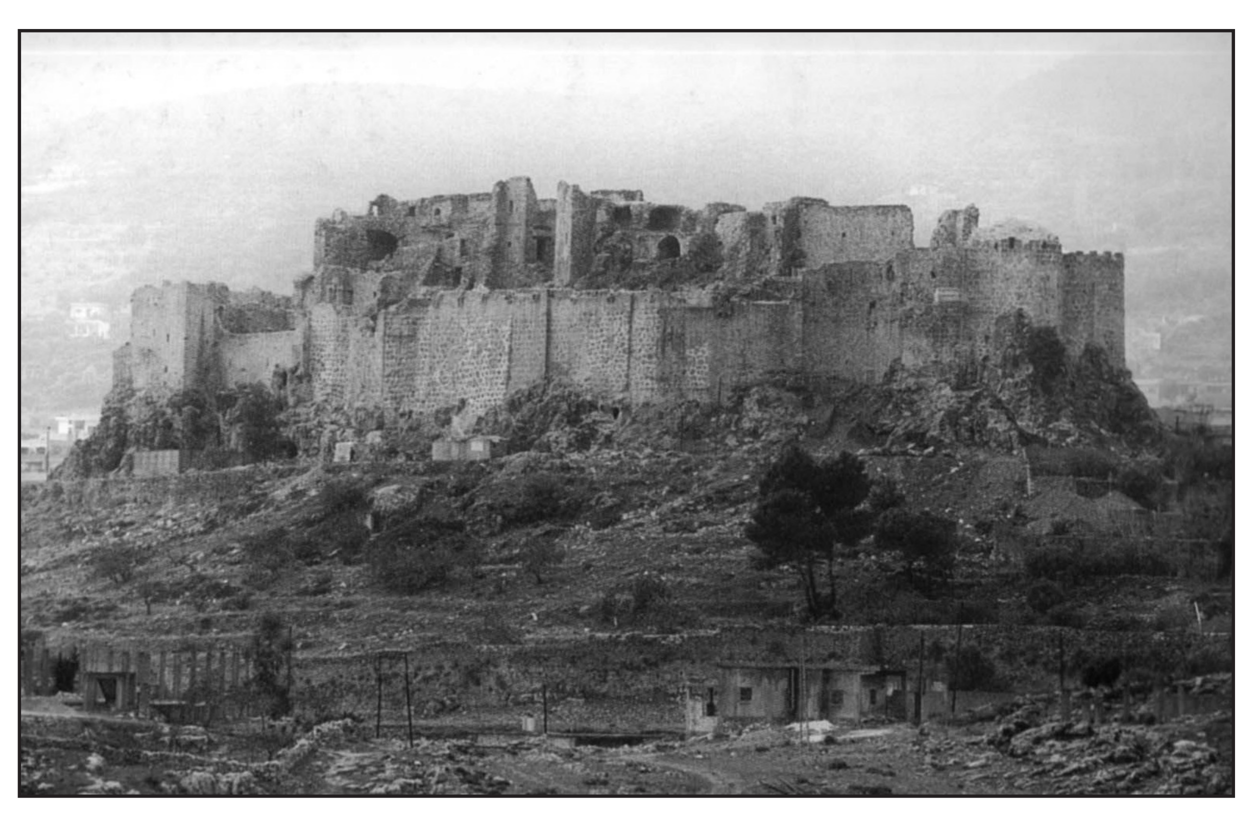
قلعة صافيتا - طرطوس



قلعة صافيتا - طرطوس



قلعة صلاح الدين - اللاذقية



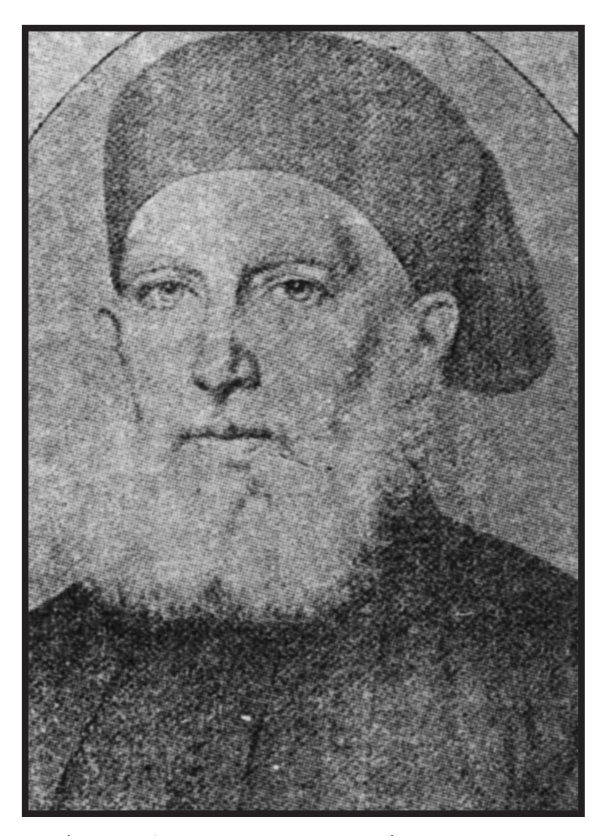
قلعة مصياف - حماة



أحمد الملا الكردي



سعيد عكاش



ابراهيم باشا بن محمد علي باشا



الشهيد حكمت العسلي



الزعيم سعد زغلول



فائق العسلي



محمد آغا سكر أبو قاسم



عبد القادر سكر

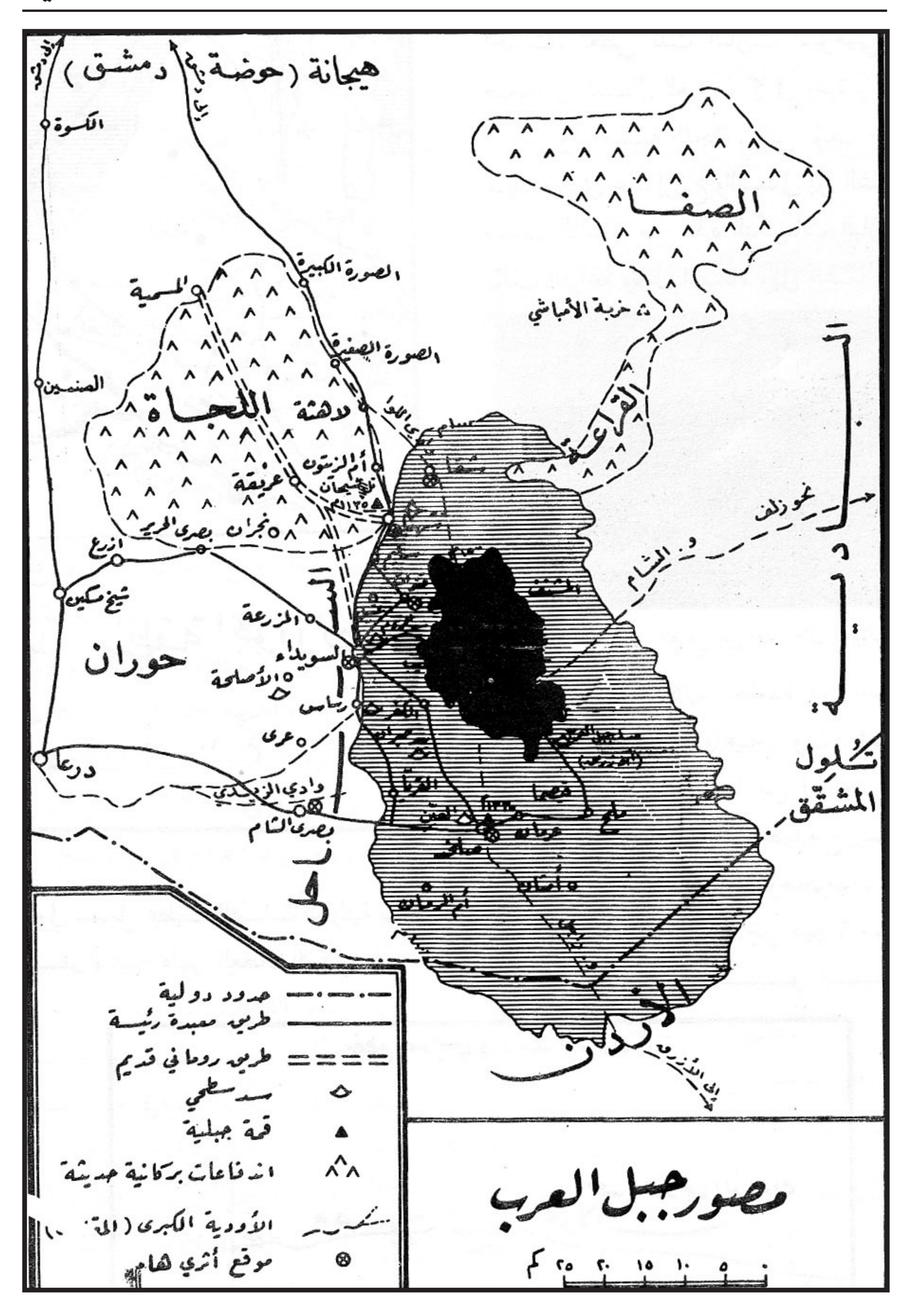


الشيخ محمد حجازي الكيلاني

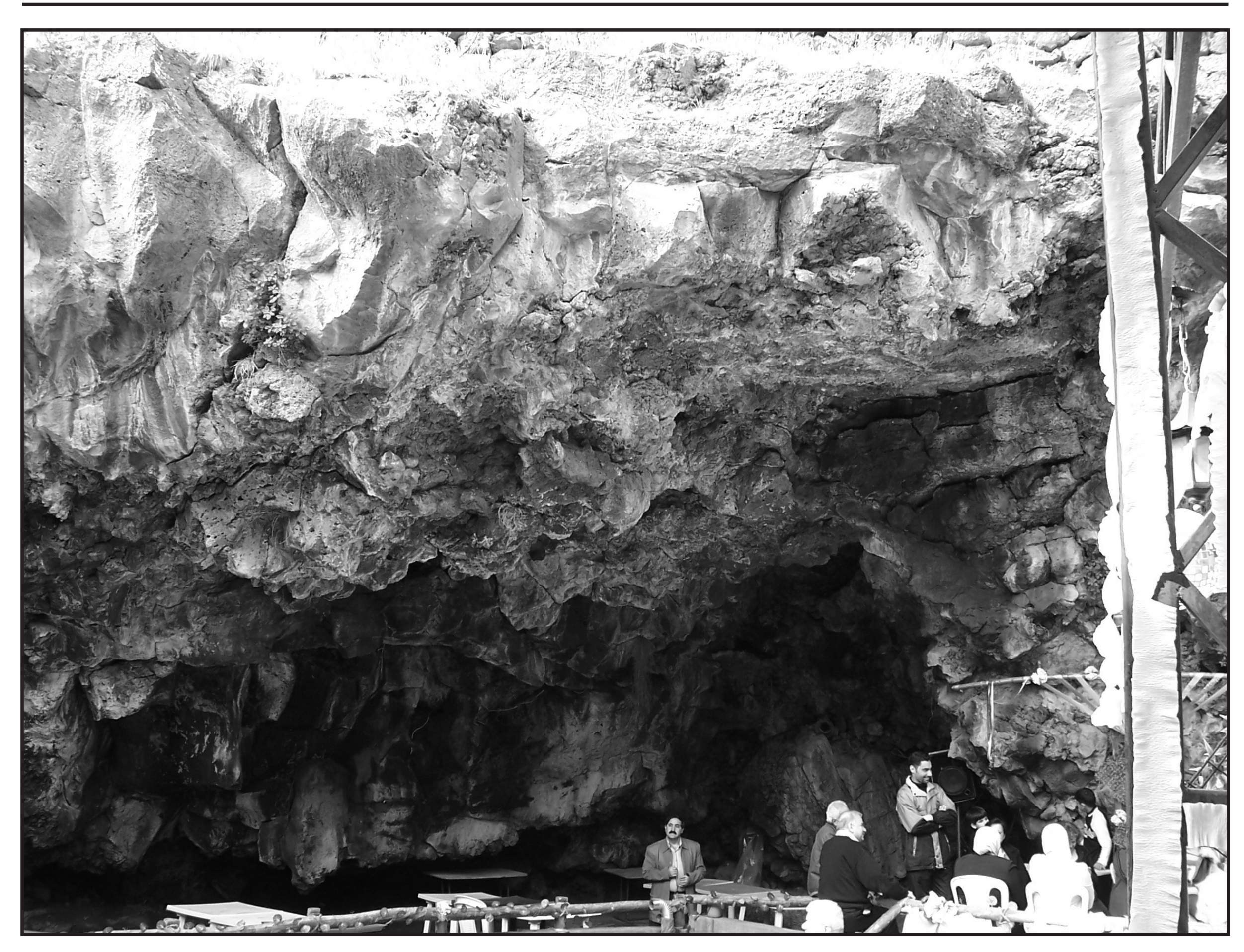
منير الريس

الامبراطور فيليب العربي

نظير النشيواتي



هيجانة (حوضة دمشق)
الكسوة
الصفا
خربة الأمباشي
الصورة الكبيرة
المسمية
الصورة الصغيرة
الصنمين
اللجاة
لاهثة
القراعة
أم الزيتون
عريقة
نجران
بصرى الحرير
ازرع
شيخ مسكين
المزرعة
السويداء
حوران
الأصلحة
رساس
عرى
درعا
وادي الزيدي
بصرى الشام
تلول المشقق
عرمان
صلخد
أم الرمان
الأردن
مصور جبل العرب
حدود دولية
طريق معبدة رئيسة
طريق روماني قديم
سد سطحي
قمة جبلية
اندفاعات بركانية حديثة
الأودية الكبرى
موقع أثري هام
٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم



مغارة عريقة - حوران



نزيه مؤيد العظم



نحن سلطان الأطرش القائد العام للثورة السورية

أشهد بأن المرحوم الشيخ محمد حجاز الكيلاني وأخوته محمود ورسلان وسعيد ومنير وعبد الغني من أوائل المجاهدين وفي طليعتهم الذين اشتركوا معنا طيلة أيام الجهاد في جبل العرب وغوطة دمشق في الثورة التي نشبت عام ١٩٢٥، واستشهد منهم اثنان وفقدوا ممتلكاتهم وقد أبلوا بلاءً حسناً وكانوا مثال البطولة والشجاعة وعليه أوقع ..

سلطان الأطرش

(ثوّار آل حجازي الكيلاني) : من اليمين : محمود - رسلان - الشيخ محمد حجازي الكيلاني - سعيد - عبد الغني

الفصل الثاني

القائمة السوداء

هذه صفحة من الصفحات السوداء، لأفراد أساؤوا إلى أمتهم، وتعاملوا مع أعداء وطنهم، فسجّل التاريخ أسماءهم في صفحاته السوداء، وكان مصيرهم الموت الأسود الزؤام، أعدمتهم الثورة بأيدي ثوارها، ليكونوا عبرة لغيرهم[٢١٣].

وفي كلِّ أمّة فلول هلامية هزيلة ضعيفة، ولقطاء مُرجفين، لا وزن لهم ولا قيمة، تآمروا على سلامة الوطن واستقلاله، وخانوا البلد الذي آواهم وأكرمهم وأطعمهم وارتضوا لأنفسهم التمرّغ في مستنقع الذل والخيانة.

تقدّموا إلى خصوم الوطن ليساعدوهم، ضدّ أبناء أمتهم، فكانوا عونًا للمغتصب الدخيل. وجعلوا من أنفسهم جسرًا لعبور العدو.

زيّنت لهم نفوسهم الشرّيرة، الإساءة لهذا الوطن فحاكوا المؤامرات والدسائس ضده. كانت خيانتهم أشدّ علينا من عداوة المغتصب الدخيل، لأن سهامهم المسمومة، جاءت من أقرب الناس إلينا.

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهنّد

تخلّوا عن الوطن ولم يدافعوا عنه، وساهم بعضهم في هزيمة جيشه، فكانوا لوثة عار، ولطخة شنّار لا تُمحى في جبين هذه الأمة، على مرّ الأيام والأزمان.

ترى أيّ «حثالات» من البشر هؤلاء المتواطئين على أرض الوطن وتاريخه.

أيّ خيانة اقترفوا...؟ وأيّ جريمة ارتكبوا...؟

مَنْ دبّر تلك المكيدة في حتمية التاريخ...؟

لمَ لم تنفجر الألغام في الجسور بأرض ميسلون؟

لِمَ لم تُدمّر؟ ومرّت عليها الدباباتِ الفرنسية بأمان وسلام، دون أن ينالها مكروه وسبّبت اندحار جيش وخذلان أُمّة.

وما مصير تلك الألغام التي وضعها القائد «تحسين العنبري» قائد سرية الاستطلاع؟ لِمَ ظلّت خامدة لم تنفجر؟ مَنْ قطع أسلاكها؟ وبَتَر أنفاس

(٢١٣) هذه الحوادث والوقائع والأسماء ورد بعضها أيضًا في كتاب «تاريخ الثورات السورية» في عهد الانتداب الفرنسي، لمؤلفه «أدهم آل جندي» الذي طبع عام ١٩٦٠م

حياتها؟

أيّ خونة مجرمين آثمين؟ خرجوا على الوطن والمجتمع والقيم والتعاليم.

أيّ أيد ملطخة بالإثم والعار، مُدّت لتتناول الوطن بالمكروه؟

أيّ يد آثمة حالت دون انفجار الألغام؟ وسهّلت مهمّة العدوّ في إيذاء الوطن؟

أكانت «حقول الألغام» العقبة الكأداء التي تحول دون تقدّم جيش العدو؟

أين المدافعين عن الجبل؟ وأين خطوط الدفاع؟

أين كان ثوار الزعيم «ملحم قاسم» الذي وعد بإرسالهم؟

أين بقية الثوار الذين أمضوا لياليهم في فنادق دمشق، بانتظار ترحيلهم إلى جبهات القتال؟

أين الثوار الذين أوصلتهم القطارات إلى سهل الزبداني للاشتراك في المعركة؟

أكانت مؤامرة كبرى على الوطن، ساهم فيها مَنْ ساهم، وخان مَنْ خان؟

لمَ بقيت مجموعة أشقياء «هاشم القباني» اللبنانية - التي قطعت أسلاك الألَغام - دون عقاب؟

أيّ خيانة قامت بها مجموعة «صاحب الحَلَوَة»[٢١٤] في ضرب مؤخرة الجيش العربي.

وأيّ مؤامرة قامت بها حثالة «حسين الشمّاط» - في قرية سرغايا[٢١٥] - لسلب جنود الجيش بنادقهم وأسلحتهم وخيولهم ومدافعهم هذه «الحثالات» كانت تقتل وتنهب أسلحة الفرسان.

مَنْ قتل الشهيد «عبد القادر البغدادي» ومَنْ معه من الفرسان؟

هل نَفَث المتآمرون على هذه الأمة، جراثيم سمومهم لتتهاوى الروح المعنوية في صفوف المقاتلين؟

أيّ حثالات من البشر كان هؤلاء، الذين استدرجهم العدو لصفوفه؟ حاكوا الدسائس والمؤامرات، وطعنوا الوطن في ظهره وأثاروا اليأس والهلع في صفوف الناس فكانوا صوت العدو ويده، وسياطه التي يُلهب بها ظهر الوطن فتمكن جيش العدو من اجتياز الجبهة، وداس بحوافر خيوله جثث الشهداء، وأجهز على مَنْ بقي من الجرحى.

وخرّ قائد الجند صريعًا، في ميدان البطولة والشجاعة، مُخلِّدًا اسمه في

(٢١٤) قرية حَلَوَة: تقع إلى الغرب من وادي القرن، شمال مزرعة دير العشائر، على خط العرض ١٨٥ وتسيطر على تخوم التلال المطلة على الوادي، ويصل بينها وبين وادي القرن مدق ترابي، يبدأ من بحيرة زرزر وعتبة الطين، وينتهي بجديدة يابوس ودير العشائر ودير الجبال.

(٢١٥) سرغايا: قرية في جبال لبنان الشرقية، تتبع الزبداني وتبعد عنها ١٢كم. تقع في وادٍ انكساري بين وادي البقاع ووادي الزبداني، ويمر بقربها وادي معربون.تشتهر بتفاحها السكري

ذاكرة الوطن، وصفحات التاريخ.

هؤلاء الخونة الجبناء أنكروا فضل وطنهم عليهم أنكروا أنهم ولدوا على ترابه، ودرجوا على أفيائه، وتربوا في أحضانه وتفيئوا ظلال أشجاره ولعبوا في ربوعه، واستنشقوا هواءه، وشربوا مياهه، وأكلوا طعامه.

هؤلاء ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا في أكثر المواقع عفونة لم يكتفوا بسلبيتهم، وعدم مشاركتهم في الدفاع عن حرمة أوطانهم، بل عمدوا عن سابق إصرار وترصّد، التعاون مع المحتل المغتصب، ورصد تحركات الثوار.

فلماذا تظل أسماء هؤلاء مجهولة؟ لماذا نتستّر عليهم؟ لماذا لا يكونون عبرة لمن يخون وطنه؟ ألم يبشرهم الوطن بعذاب الضمير، ولعنة التاريخ احتفاء بذلّهم في الزمن المقتول؟ ألم يسقطهم الوطن من جعبته؟ قد يكون التنويه واجبًا وطنيًا، يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه. إنها أحداث سمّيت بأسماء أصحابها إدانة لهم.

والمفسدون في الأرض في التستر عليهم خيانة وطنية.



- محمد البوم من أهالي قرية (أريحا) أعدمه الثوار عام ١٩٢٠م فقد كان دليل الحملة الفرنسية.
- حسن حميدي من أهالي قرية (إسقاط)، وشى بالثوار فاستحق القتل.
- عبد الكريم شيخ القناطر، أغار في شرذمة على قرية (كفر حلب)[٢١٦]، ونهب الأموال واستباح الأعراض، مع أفراد مجموعته الإجرامية ولاذ بالفرار، فلاحقه الثوار.
- عاصم بك التركي[٢١٧] أعدمه الثوار لأنه هاجم قرية (الصقيلبية)، ونهبها وروّع أهلها.

(٢١٦) كفر حلب: قرية في هضبة حلب الغربية، تتبع ناحية الأتارب وتبعد عنها ١٢كم. تقع على لسان صخري لجبل الدوير، يجتازه وادي القويق / جبل سمعان.

(٢١٧) عاصم بك التركي: قائد تركي الأصل من بلدة إنطاكيا، وهو ابن خالة صبحي بركات الخالدي، كان «أركان حرب» في الجيش التركي انضمّ لثورة هنانو، ومعه مئة من رجاله بكامل أسلحتهم. ارتكب مخالفة سببت الحرج للثوار، وأهداف الثورة الوطنية، عندما قام بارتكاب مجزرة في قرية «الصقيلبية» ونهبها، وكان لعمله هذا الأثر في انحلال «ثورة هنانو». وقد قام القائد «نجيب عويد» - قائد ثورة الشمال - بإعدامه رميًا بالرصاص في مايو / أيار ١٩٢١م، وبعد أحد عشر عامًا قام الأتراك بنقل رفاته إلى إنطاكيا، وأقيم له تمثال فيها، باعتباره بطلاً من أبطال التحرير.

• محيي الدين أبو عوض جِليطة من إدلب، آذى أهل بلده ووطنه، ووشى بالثوار فأعدموه جزاء وفاقًا.

• الجاسوس ملدعَوْن من أهالي قرية «بسامَس»[218] في جبل الزاوية، وشى بالثوار فأعدموه.

• بهيج الكلاّس ارتكب مخالفات ضد الثورة، فأعدمه القائد (نجيب عويد) في نيسان ١٩٢٦م.

• نورس عجوبة ارتكب عدة مخالفاتٍ ضد ثوار هنانو، وكان شاذًا في تصرفاته وتعدياته وارتكابه الفظائع. أُعدم في نفس العام.

• نسيب أبي داود ومجموعة أشقيائه، من أهالي قرية الحَلَوَة أنهالوا على مؤخرة الجيش العربي في ميسلون أثناء الغزو الفرنسي. وعندما عَلِم ضباط الجيش العربي، بخيانة هؤلاء المسلحين، تحوّلوا إلى مقاتلتهم، وأعدموا كثيرًا منهم بعد انسحابهم، وقد طاردهم «صبحي العمري» و«محمد علي العجلوني»، من كبار ضباط الجناح الأيسر، وقتلا منهم أكثر من عشرين خائنًا وجاسوسًا.

• مجموعة أشقياء حسين الشمّاط[219] هاجمت أفراد الجيش العربي، وجرّدتهم من أسلحتهم وخيولهم وأموالهم وتركتهم في العراء.

• مجموعة أشقياء «هاشم القباني» - اللبنانية قطعت أسلاك توصيل المتفجرات في جبهة ميسلون، وكذلك أسلاك البرق والهاتف، قاطعة كل سبل الاتصال بين قطعات الجيش في الجبهة والقيادة بدمشق.

• الضابط عبد الله الجركس من قرية (مورك)[220] وأشقيائه. قتله «رزوق النصر» في حماة.

•حمد مرعي وعلي شنديب: حاكا مؤامرة قذرة لقتل القائد محمد سعيد العاص فقُدمًّا للمحاكمة، وحُكم عليهم بالإعدام .

• فوزي الملكي متصرّف مدينة حمص كان عينًا للفرنسيين، فقتله الثائر خيرو النجّار الشهلة.

• حمدو الحموي من شعبة التحرّي كان يتحرّى عن الثوار وأوضاعهم العسكرية، ووشى بهم فقتلوه.

---

(٢١٨) بَسَامَس: قرية أثرية في جبل الزاوية في ناحية إحسم وعلى بُعد ١٠كم منها. تتبع منطقة أريحا محافظة إدلب. فيها أقدم تل بركاني «تل النبي أيوب».

(٢١٩) سطا مجموعة أشقياء حسين الشمّاط، على أسلحة الجناح الأيمن للجيش العربي، مما اضطره للانسحاب ليلاً، فلم يشترك في معركة ميسلون. «من مذكرات اللواء علي خلقي» – ص ١٩٨.

(٢٢٠) قرية مورك: تقع في هضبة حماة وتتبع ناحية صوران، وتبعد عنها عشرة كيلومترات، وعن حماة ٢٨كم، وتقع في أرض صخورها كلسية، ويوجد فيها تلان: تل الحلبي، وتل الشيخ، وفي جنوبها وادي الدورات السيلي.

• راغب النشيواتي قتله المجاهد عمر المجرص لأنه كان جاسوسًا على الثوار، مع أن قريبه نظير النشيواتي(٢٢١) كان من كبار قادة الثوار.
• عبد المجيد القصاب، كان يقتفي آثار الثوّار ويشي بهم، فقتله المناضل خيرو الشهلة.
• الجاسوسة أم نعسان كانت ترتدي لباس الحرب، وتسير أمام الدوريات الشركسية والفرنسيّة. قتلها مصباح طليمات وكان معه سليمان ومراد الساعاتي.
• عبد اللّه الكردي، كان عين الفرنسيين على الثوار، أصدر المجاهد الكبير قائد مجموعة قبر عاتكة ورئيس محكمة الثورة محمد حجازي الكيلاني أمرًا بإعدامه.
• عادل الترجمان، كان مع عبد اللّه الكردي جاسوسًا على الثوار، أعدمه الشيخ محمد حجازي شنقًا علىأشجار الجوز في الغوطة مع سبعة من المتطوعة الذين يعملون مع الفرنسيين.
• إبراهيم اللبناني، كان يتردد على الغوطة، ويوصل رسائل من الفرنسيين للشراكسة المتعاونين معهم. أعدمه المجاهد عارف الطحان، مع خيّال كردي كان يرافقه.
• نجيب إلياس، كان الترجمان المحلّف في سجن القلعة، أعدمه - رميًا بالرصاص - المناضل الثائر أبو اسماعيل الآغا والمجاهد خليل الطحان.
• أمين الأسود، كان يرتكب جرائم القتل والسطو والسلب، ويفرض الأتاوات ويشي بالثوار، أعدمه الشيخ محمود حجازي الكيلاني، مع ثلاثة من المتطوعة الأفغان الذين تعاونوا معه.
• أعدم المناضل الكبير «وهبي فتوش» فلسطينيًا في قرية (عين ترما)(٢٢٢) كان يتجسس على الثوار، وكان قد قبض عليه الثائر أحمد العكاوي (الملقب بأبي عبدو العشي). وقد توفي هذا المجاهد في نهاية الثمانينات من القرن العشرين.

---

(٢٢١) نظير النشيواتي: ثائر من ثوار مدينة ابن الوليد حمص. ولد عام ١٨٩٢م، وكان شرارة الثورة التي انطلقت من هناك، قبض عليه الفرنسيون وأعدموه مع جميع أفراد عصبته في موقع «خربة التين» – «خربة غازي» عام ١٩٢٦م. ولم تُصب الرصاصات الغادرة منه مقتلاً، وأسعفته امرأة وبقي في عداد الأموات. ثم ظهر القادم من الموت فجأة، يقود عصابة كبيرة من الثوار، أدّبت الخونة الذين كانوا عيناً للفرنسيين. ولم يمت «العائد من الموت» في ساحة المعركة، رغم أنه اعتُبر في عداد الأموات، بل مات بالسكتة القلبية عام ١٩٥٤م.

(٢٢٢) عين ترما (ثرماء): قرية في غوطة دمشق، وتتبع ناحية كفر بطنا، في محافظة ريف دمشق، وتقع في أرض سهلية.

● أحمد مبسطة من قرية (عَدْرَا)[٢٢٣]، كان جاسوسًا للفرنسيين، فأعدمه أبو عمر ديبو زعيم الغوطة.

● رضا الحامد من قرية (منين)[٢٢٤]، أعدمته محكمة الثورة في الغوطة، في حزيران من عام ١٩٢٦م.

● رمضان الشركسي، كان ضابطًا من متطوعي الشراكسة في الجيش الفرنسي، أعدمه الثوار مع سبعة من رفاقه، على أشجار الجوز في حمورية.

● أعدم الثوار محمود وأحمد النابلسي ووالدتهما من قرية (داريا)، وكانوا ينقلون أخبار الثوار للفرنسيين. كان ذلك في حزيران ١٩٢٦م.

● أعدم الثوار المدعوّة حسنا القشيشة من قرية (عربين)[٢٢٥]، كانت تنقل أخبار الثوار للسلطات الفرنسية، وكان إعدامها في تموز من نفس العام.

● أعدم الثوار المدعو محمد سعيد الحشاش من قرية (عربين)، وكان جنديًا متطوعًا لدى الفرنسيين، ينقل للعدو أخبار الثوار وتحركاتهم.

● أعدم الثوار المجرم محمد حسين زهراء، لقتله وسلبه أهالي بلدة «سلقين»، وفرّ شريكه عبده حسن زنوب، والتحق بالفرنسيين ليقاتل ثوار بلده فقبض عليه الثوار بعد ثلاث سنوات وأعدموه لتآمره على أهداف الثورة واستعمال السلاح في أغراض دنيئة.

● أعدم الثوار خطيب قرية دير سلمان[٢٢٦] والجعيدية، بأرض قرية (حزّة)[٢٢٧]، في الخامس من تموز ١٩٢٦م. وقد أُلقي القبض عليه، وهو يحمل رسائل من الفرنسيين، إلى أهالي قرية «مرج السلطان»[٢٢٨].

● أعدم الثوار رجلاً من قرية (المعضّمية)، كان يحمل وثائق فرنسية.

● كان سليم المفتي مجاهرًا في عدائه للثورة والثوار، وكان يلاحق الثوار في وضح النهار، ويخبر السلطات الفرنسية عن تحركاتهم. قتله مع ولده «رفعت» المجاهد الثائر محمود عبارة.

---

(٢٢٣) عدرا (عذراء): قرية في شمال مرج غوطة دمشق، وتتبع منطقة دوما، في محافظة ريف دمشق، وتقع في أرض سهلية، أصبحت منطقة صناعية بامتياز كما تضم مستودعات تعبئة الغاز وخزانات النفط وسجن عدرا

(٢٢٤) منين: قرية في القلمون تقع شمال قرية التل، في محافظة ريف دمشق، وتسميتها سريانية (مينا) وتعني مركز التجمّع.

(٢٢٥) عربين: بلدة في غوطة دمشق، وتتبع محافظة ريف دمشق، تسميتها آرامية تعني «الغربال»، وتبعد ستة كيلومترات عن دمشق. شارك أهلها في قتال الفرنسيين. وتُكتب (عربيل).

(٢٢٦) دير سلمان: قرية تقع في أرض منبسطة في مرج غوطة دمشق، وتتبع ناحية النشابية في منطقة دوما. وتبعد عن دمشق ٢١كم.

(٢٢٧) حزّة: قرية في غوطة دمشق وتبعد عنها ٣كم. تتبع كفر بطنا.

(٢٢٨) مرج السلطان: قرية في تخوم غوطة دمشق. تتبع ناحية النشابيّة في منطقة دوما، وتبعد عن مدينة دمشق ١٨كم. ترتبط بطريق دمشق - حرّان العواميد.

• أعدم الثوار راشد القالش من قرية (عربين). وقد حكمت عليه محكمة الثورة بالموت مع صديقه محمود طه، فأعدما رميًا بالرصاص في آب ١٩٢٦م.
• صرع الثوار سليم بن أحمد النجّار لخيانته، وتجسسه على الثوار في المزة. وأفلت صديقه عبد الغني شيخ الشباب من أيدي الثوار.
• أعدم الثوار موظف المندوبيّة الفرنسيّة (جوزيف كريم)، لتجسسه على أخبار الثوار في قرية المزة[٢٢٩].
•اتصل شريف المدني المغربي بالفرنسيين في مركز قطنا، وأخبرهم بوجود ثوار في مزرعته في قرية زاكية[٢٣٠]، فبعثوا حملة عسكريّة، كان حصادها الشهيد شوكت العائدي وصادق المغربي وخمسة ثوار آخرين ١٩٢٦م.
• شفيق القزّاز، وصويص الشنيبلي، ألقى الثوار القبض عليهما عام ١٩٢٥م، وبعد ثبوت جرم الخيانة عليهما، قطعت أيديهما وأرجلهما من خلاف جزاءً وفاقًا.
• خليل الحبشي من طبرية[٢٣١] كان متعاونًا مع المحتلين فاستحق عقوبة الموت هرب متخفيًا إلى «كسب»[٢٣٢] لكن الثوار أمسكوا به وأعدموه.
• حاك ظاهر القنطار مؤامرة لاغتيال الدكتور الشهبندر عام ستة وعشرين وتسعمئة وألف، واعترف بأنه تقاضى خمسمئة ليرة ذهبية من العدو، لقاء تنفيذ المهمة مع شريكيه.

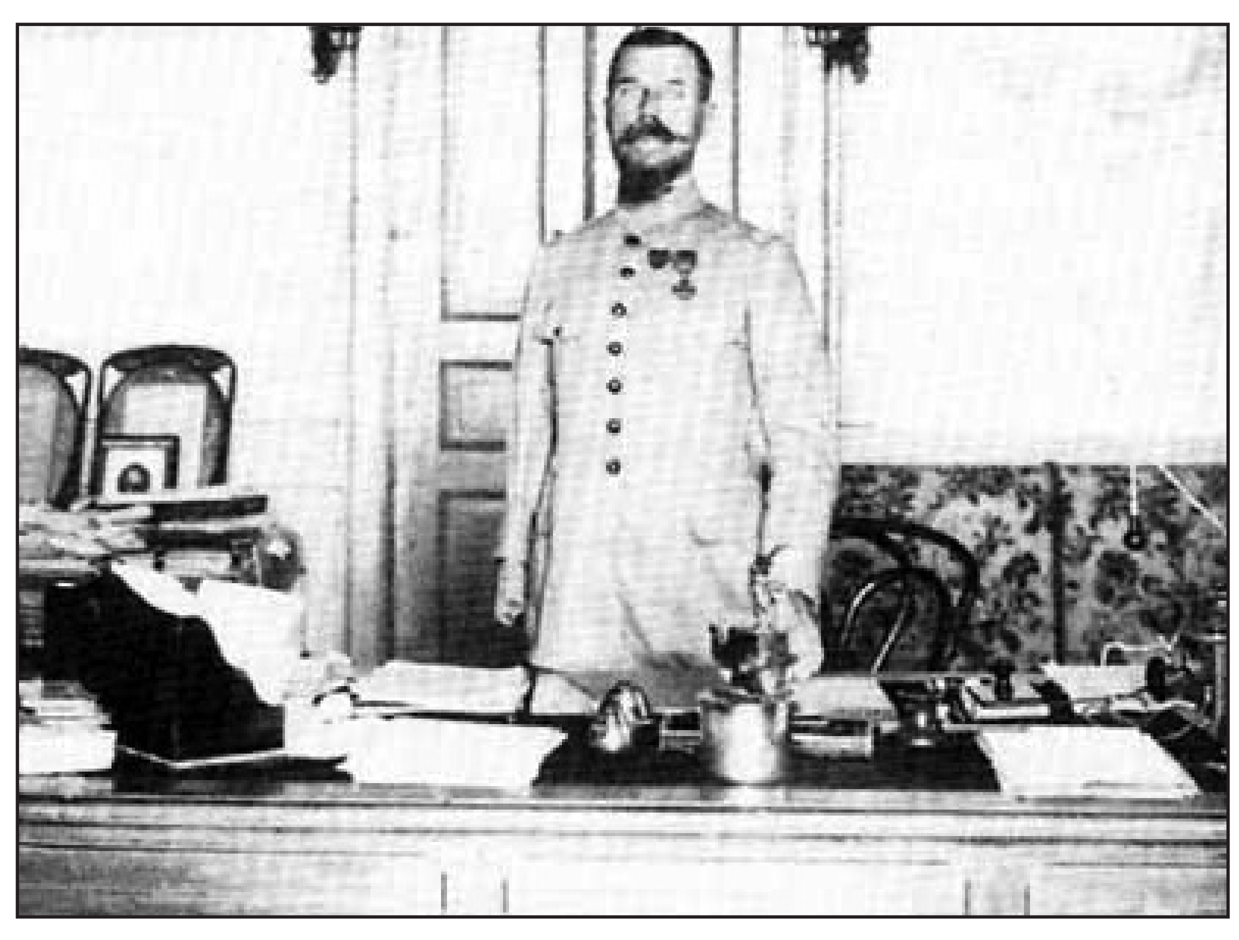
---

(٢٢٩) المزّة: «بكسر الميم»: أُلحقت بدمشق وأصبحت حيًا من أحيائها. سمّيت على اسم حفيد «عيسو» ومعناها «الخوف». وقيل أنها يونانية الاسم بمعنى التل أو الربوة، وهو الأصحّ والأقرب إلى الواقع. وقد بُنيت ضاحية المزّة الحاليّة فوق قناة، أما قرية المزة القديمة فهي تحت قناتها الراكبة على مقسم نهر الداراني المعروف بمقسم «النفلة»، وما برحت آثارها ظاهرة حتى اليوم. والمزّة من أجمل قرى الغوطة موقعًا وهواء وقُربًا من دمشق، تشرف على «خانق الربوة» شمالاً. وقد ذكرها المؤرخون بأنها: قرية كبيرة غنّاء، وسط بساتين خضراء، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، وبها ضريح صاحب رسول الله r وموفده إلى هرقل إمبرطور الروم (الصحابي الجليل) (دحيّة الكلبيّ) الخزرجي. وقد كان تاجرًا غنيًا، قاد الكتائب في معركة اليرموك، وفي فتوح الشام، وتوفي عام ٦٦٥م/٤٥هـ.

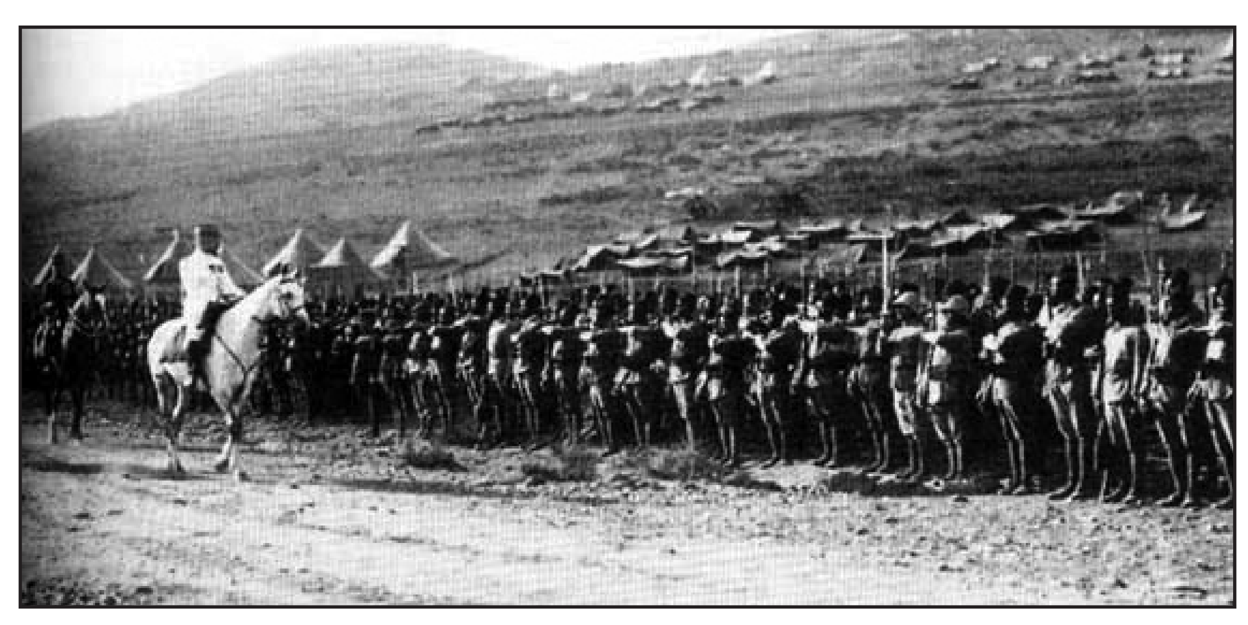
(٢٣٠) زاكية: قرية في وعرة بازلتية بركانية تمتد في سفوح جبل الشيخ تتبع ناحية الكسوة، وتبعد عن الكسوة ١٣كم، تجاورها قرى حينة وحرفا وطرنجة، في محافظة ريف دمشق.

(٢٣١) طبرية: مدينة في شمال شرق فلسطين المحتلة، تقع على الساحل الغربي من بحيرة طبرية. بناها الإمبراطور الروماني تيبريوس» عام ١٩م.

(٢٣٢) كَسَب: بلدة تقع على سفوح جبل الأقرع، على بعد ٣كم من القمة، وتتبع محافظة اللاذقية، يخترقها وادٍ سيلي، ويجاورها شمالاً وشرقًا لواء الاسكندرونة، وغربًا البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب ناحية ربيعة وقسطل معاف. تصلها باللاذقية طريق طولها ٦٠كم، وبساحل رأس البسيط ١٧كم وتضم أربع قرى. وتعتبر كَسَب مصيف يؤمه الزوار وخاصة من الأردن. تحيط بها أشجار الصنوبر وترتفع ١٧٢٥م عن سطح البحر وتبعد ٤٠٧كم عن دمشق، وعن درعا ٥٠٨كم وتشرب من نبع دلبة وسد بلوران.



الجنرال غورو خلف مكتبه - وتظهر يده اليمين الخشبية



الجنرال غورو يستعرض قواته قبل معركة ميسلون

الفصل الثالث

قتلة بلا حدود

هؤلاء القتلة المأجورون حكموا بلادنا ربع قرن من الزمان إبّان الاحتلال الفرنسي لسورية، من أوائل العشرينات حتى أواسط الأربعينات من القرن الماضي.

وقد أنكر هؤلاء القتلة، الحضارة العربية الإسلامية، والكمّ الهائل من هذا النور أنكروا كلَّ ما أخذه الغرب المستعمر من هذا النور، وحوّلوا الاختراعات إلى قنابل مدمّرة، والعلاقات إلى استعمار قذر، جثم فوق صدورنا حتى كتم أنفاسنا.

«مصاصو» دماء الشعوب هؤلاء، جعلهم الشعب في سورية، عبرة للطغاة الظالمين وطردهم من الوطن الذي اغتصبوا استقلاله.

فإرادة الشعوب أقوى من رائحة البارود والموت.

١- جورج بيكو
٢- الجنرال غورو
٣- الجنرال ويغاند
٤- الجنرال ساراي
٥- هنري دي جوفنيل
٦- هنري بونسو
٧- داميان دي مارتيل
٨- غابرييل بيو
٩- مسيو جان شياب
١٠- الجنرال دينتز
١١- الجنرال كاترو
١٢- مسيو جان هيلليو
١٣- الجنرال بينيه

جورج بيكو

أحد بطلي الاتفاق الفرنسي البريطاني «سايكس – بيكو». كان مندوبًا لفرنسا، ومستشارًا للقيادة العامة الفرنسية.

عُيّن في التاسع من شهر نيسان من عام ١٩١٨م، مفوّضًا ساميًا لفرنسا في الشرق، وباشر عمله في السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٨م في بيروت، بعد هدنة «مودروس»، وبقي في عمله حتى الثامن من تشرين الأول عام ١٩١٩م، «ستة أشهر فقط».

في عهده جلت القوات البريطانية عن سورية، وأتمّت جلاءها في الأول من نوفمبر ١٩١٩م، تنفيذًا لاتفاقية «لويد جورج – كليمنصو».

عقد مع نظيره الإنجليزي «مارك سايكس»، اتفاقية عُرفت فيما باسم «سايكس – بيكو» في ٢٦ أيار عام ١٩١٦م.

الجنرال غورو

١٨٦٧ - ١٩٤٦ م

اسمه «هنري جوزيف يوجين غورو»، ولد عام ١٨٦٧م، وتوفي عام ١٩٤٦م. ودفن في مقابر المحاربين في العاصمة الفرنسية.

ارتبط اسم الجنرال (هنري غورو) بحقبة من تاريخ سورية، أكثر مما ارتبط بها أي مستعمر دخيل. لأنه صاحب قرار الاحتلال الفرنسي للعاصمة السورية.

اختارته حكومته مفوضًا ساميًا، وقائدًا عامًا لجيش الشرق الفرنسي، في الثامن من شهر تشرين الأول من عام ١٩١٩م، وقد وصل بيروت في الثامن عشر من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٩م.(المفوض السامي المعين على سورية ولبنان، والمندوب السامي المعين على سورية فقط)

في عهده قامت ثورة إبراهيم هنانو، وثورة الشيخ صالح العلي، وثورة الدنادشة في مدينة تلكلخ، وثورة الأمير محمود الفاعور، ثم ثورة حوران، ومقتل رئيس الحكومة السورية علاء الدين الدروبي، ورئيس مجلس الشورى عبد الرحمن اليوسف في قرية (خربة الغزالة) في ٢١ آب ١٩٢٠م.

كما قدّم إنذاره الشهير للملك فيصل الأول في ١٤ تموز ١٩٢٠م، وأرسل قائده غوابيه ليدخل مع الجيش الفرنسي دمشق في ٢٤ تموز ١٩٢٠م، بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الحربية «يوسف العظمة».

كما تمّ في عهده فصل لبنان عن سورية، وإنشاء «دولة لبنان الكبير» في أيلول ١٩٢٠م. استقال من منصبه – بعد المحاولة التي جرت لاغتياله في مايو / أيار ١٩٢١م على يد مجموعة منٍ ثوار المجاهد (أحمد مريود) على طريق القنيطرة، وقُتل مرافقه الخاص بدلاً منه – عاد إلى فرنسا في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٢م واعتزل السياسة، بعد أن حكم سورية:

٣سنوات ١ شهر واحد ١٨ يوم

اشترك الجنرال (غورو) في معارك (الدردنيل)، وقاد الهجوم الفرنسي الشهير في معركة (جناق قلعة). لكن القوات التركية التي كان يقودها بعض كبار ضباط المدفعية العرب، أمثال القائمقام العسكري قائد المدفعية العام عارف بن محمود التوّام، والضابط شاهر بن خالد الأصيل. والضابط جميل بن شاكر الخانجي وغيرهم كثير من ضباط القطعات العسكرية الذين شاركوا في صدّ الهجوم الفرنسي حيث أصيبت القطعة البحرية الفرنسية الرئيسية التي كان الجنرال غورو بداخلها إصابةٍ مباشرة، أدت إلى قطع يده اليمنى، فكان «كمّ» يده اليُمنى يتدلى من كتفه فارغًا ويصافح زواره بيده اليسرى.

وقد ذكر المفاوض السوري (ساطع الحصري) - الذي قابل الجنرال المتغطرس غورو قبل معركة ميسلون في مذكراته - أن (غورو) استقبله واقفًا أمام مكتبه، وصافحه بيده اليسرى، بينما كان (كمّ) يده اليمنى يتدلى من كتفه فارغًا.

وكان (غورو) قد توجه بعد دخوله دمشق، في زيارة استفزازية إلى قبر صلاح الدين الأيوبي الملاصق للجامع الأموي، ودخل بملابسه العسكرية وسيفه إلى جانبه، وقبعته فوق رأسه، وقال وهو يركل الضريح بقدمه: «قم يا صلاح الدين هاقد عدنا قلت لنا إبان حروبك خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه انهض لترانا هنا اليوم». ويختلف موقف المحتل المغتصب والعسكري المتغطرس «غورو» عن موقف قائد أمة عريقة بأصالتها وجذورها التاريخية.

إذ حينما زار إمبراطور ألمانيا ضريح صلاح الدين، وعندما دخل المقام خلعِ قبعته ووضعها تحت إبطه إجلالاً وإكبارًا، وأدّى التحية العسكرية، ووضع إكليلاً من الذهب والبرونز مغطى بالورود على قبره (وهو الأكليل الذي قام بسرقته الجاسوس الإنكليزي لورنس[٢٣٣]، والجنرال «إللّنبي» قائد القوات الإنجليزية الذي دخل مع جيش فيصل إلى دمشق).

(٢٣٣) لورنس: اسمة «توماس إدوارد لورنس». ضابط وكاتب بريطاني ولد عام ١٨٨٨م، قاتل في صفوف الجيش العربي ضد الأتراك، واكتسب لقب «لورنس العرب» ودخل مع جيش فيصل دمشق عام ١٩١٨م. كان مستشارًا للجنرال اللنبي في الشؤون المتعلقة بالثورة العربية وجيشها. وكانت مهمته أن يبقى متصلاً بالملك فيصل ليجعله مطمئنًا للصداقة البريطانية ووفائها للعرب وحُسن نيتها. كتب عام ١٩٢٦م مذكراته عن الثورة العربية، في كتاب أسماه «أعمدة الحكمة السبعة». يعترف في مذكراته التي كتبها بعد أن اعتزل الخدمة، بأنه عَلِم أن الحكومة البِريطانية اتفقت مع فرنسا على امتلاك البلاد العربية واقتسامها فيما بينهما، وأنه مضطر – حسَب المهمة التي أُنيطت به – الكذب على أصدقائه العرب وغشهم، والتدليس عليهم بصداقة الإنجليز، رغم أنه لم يجد من العرب إلا كلّ صدق وعطف ومحبة «ولكنه طبع الجواسيس». وزعم أنه كان يسعى لاستقلال البلاد العربية، وأنه أحب العرب وأخذ «ضميره» يعذّبه. فاعتزل خدمة الحكومة الإنجليزية، وأعاد «الأوسمة» المهداة له من حكومته وصُرع في حادث دراجة آلية عام ١٩٣٥م.

ويصف صديق (غورو) الحميم (الجنرال الفرنسي كاترو) في مذكراته، جنازة غورو بكلمات حزينة يقول فيها: «بدا وكأن ستارة من النسيان قد أسدلت على الذكرى المجيدة لهذا القائد العظيم(.!!) الذي كان تفانيه في خدمة فرنسا أشبه بسيرة ملحمية.

لقد ظلت ساحة (الأنفاليد) شبه مهجورة، وجماهير العاصمة الفرنسية لم تكن تتدافع لتلقى نظرة الوداع، وهي نفسها تلك الجماهير التي كانت تصفق بحماس لـ(غورو) وأسطورة (غورو) عندما كان حاكمًا لباريس، يوم كان في احتفالات أعياد النصر في ١٤ تموز يتقدم قواته، وهو يحمل بيده اليسرى التي تركها له العدو سيفه المنتصر.

لم يأت الباريسيون لإلقاء التحيّة على (غورو) فقد تغير الزمن، فمنذ عام ١٩٤٠م تحوّل الفرنسيون عن الجنرالات، لكي يكرّموا زعماء آخرين».

ألا فليذهب (غورو) مع اسطورته إلى «الجحيم»... وليحيا ثوار سورية الذين عرفوا كيف يقضون على أسطورته الهزيلة.

الجنرال غورو في نظر الفرنسيين

هذا العسكري ذو الصورة الاسطورية، وُجد في منصبه كمفوّض سام، تكريسًا لوظيفة طويلة وراء البحار. بدأها في السودان عام ١٨٩٣م، وفي «أوبانغي شاري» عام ١٩٠٤م - ١٩٠٦م، وفي السنغال عام ١٩٠٧م حتى عام ١٩١٠م، والتي شدّ فيها الأنظار إليه، لما يتمتع به من مواهب كإداري. وعَرَف المجد باستيلائه المدوّي على «ساموري».

ومنذ عام ١٩١١م شارك في المغامرة المغربية إلى جانب (ليوتى). وفي عام ١٩١٤م ترك المغرب ليلتحق بالجبهة الغربيّة، ومن ثمّ إلى جبهة (الدردنيل) حيث فقد ذراعه اليمنى. وعيّن كسفير مقيم بالوكالة طوال فترة وزارة (ليوتى) عام ١٩١٦م.

وعاد غورو للقتال في فرنسا، حيث حرّر مدينة (ستراتسبورغ) عام ١٩١٨م.

ومن سخرية التاريخ: أنه قلّد في هذه المدينة شارات ضابط جوقة الشرف الكبير للأمير فيصل.

«مترجمة عن الفرنسية»

الجنرال ويغاند

١٨٦٧ - ١٩٦٥م

اسمه «مسكيم ويغاند»، ولد عام ١٨٦٧م وتوفي عام ١٩٦٥م.
عُيّن مفوّضًا عامًا للحكومة الفرنسية في سورية في التاسع عشر من نيسان عام ١٩٢٣م، وبقي في منصبه حتى الخامس من كانون الأول ١٩٢٤م، بعد أن حكم:
١ سنة ٧ أشهر ١٧ يوم .
وفي زمنه تمّ إلغاء الاتحاد السوري، ونُصّب صبحي بركات الخالدي رئيسًا لدولة سورية، وأفرج عن المعتقلين في جزيرة «أرواد»، بسبب حوادث المستر كراين.

الجنرال ساراي

١٨٥٦ - ١٩٢٩ م

اسمه «موريس بول ايمانويل ساراي» (Sarrail). ولد عام ١٨٥٦م، شارك في احتلال تونس عام ١٨٨١م، وعُيّن في الثاني من يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٢٥م مفوّضًا ساميًا في سورية، وأقاله رئيس الوزراء الفرنسي (كليمنصو) بسبب إفراطه في استعمال القوّة، فغادر بيروت في الثامن من تشرين الثاني ١٩٢٥م. بعد أن حكم سورية: (عشرة أشهر وثمانية أيام) فقط.
في زمنه تمّ قصف مدينة دمشق وتدميرها في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٥م،
وفي عهده أيضًا نشبت الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥م. وقد هاجم الثوار «قصر العظم» في حي الحمراوي آخر شارع «البزورية» لإعتقادهم أن الجنرال الفرنسي ساراي فيه.وقد كان محباً للفنون الجميلة، وتوفي عام ١٩٢٩م.

دي جوفنيل

١٨٧٦ - ١٩٣٥ م

اسمه «هنري دي جوفنيل» سياسي فرنسي، ولد في باريس عام ١٨٧٦م، وتوفي عام ١٩٣٥م. تولى رئاسة تحرير جريدة «الماتان» وانتخب عضوًا في مجلس الشيوخ عام ١٩٢١م، كما تولّى وزارة المعارف الفرنسية عام ١٩٢٤م.
خلف «دي جوفنيل» الجنرال «ساراي» (Sarrail) في سورية، فعيّن مفوضًا

سامياً في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٢٥م، وحتى السابع والعشرين من أيار ١٩٢٦م، وفي عهده أعلن لبنان جمهورية مستقلة عام ١٩٢٦م. بعد أن حكم سورية: ستة أشهر وعشرين يومًا فقط.

لم يستطع هنري دي جوفنيل إخماد الثورة في سورية، فاستبدله رؤساؤه بغيره، وكان أول مفوّض سام فرنسي مدني، وصرّح عندما تسلّم منصبه - وكانت الثورة السورية تعمّ كل أنحاء سورية - بأنه سيعالج الحالة سياسيًا، لكنه أخطأ معالجة الأمور عندما «اشترط» على الثوار قبل البدء بالمفاوضات «إلقاء السلاح والاستسلام» قبل البحث في أيّ حلّ – كما يفعل المحتلون اليوم في فلسطين – وقال مقولته المشهورة: «الحرب لمنٍ يريد الحرب، والسلم لمن يريد السلام» فازدادت نيران الثورة السورية اشتعالاً ولما فشل في مهمته استبدلته الإدارة الفرنسية بالمفوض السامي الفرنسي (هنري بونسو).

ويسجل لـ«دي جوفنيل» أنه استقال من منصبه، بعد أن فشل في إقناع «المتطرفين» في وزارة الخارجية الفرنسية، بتصديق (معاهدة الاتفاقية) التي عقدها مع الحكومة السورية.

هنري بونسو
١٨٧٧-١٩٦٣م

اسمه «هنري بونسو» ولد عام ١٨٧٧م، وتوفي عام ١٩٦٣م. كان مفوّضًا ساميًا في سورية، في عهد الانتداب الفرنسي، كما كان موظفًا في الدائرة الشرقية الفرنسية، ثم نُقل إلى سورية. وعُيّن في ١٣ أيلول ١٩٢٦م، وبقي في منصبه حتى ١٥ تموز ١٩٣٣م (ست سنوات وعشرة أشهر وثلاثة أيام).

وصل هنري بونسو سورية ، وهي ترزح تحت الحكم العرفي، والثورة في جبل العرب قد توقفت باحتلال الفرنسيين مدينة السويداء عاصمة الجبل. وقد اعتبر السوريون «بونسو» «أبا الدستور». كان ثعلباً مراوغاً في سياسته.

كما اتّسمت المرحلة (الأولى) من أيام هنري بونسو بـ«الدرس والتنقيب»، واستغرقت وقتًا طويلاً، ثم أعقبها بـ«صمت عميق» حتى سُمّي بالصامت ثم ختم هذه المرحلة بإصدار بيان (٢٦ تموز ١٩٢٧م)، شرح فيه سياسة فرنسا الاستعمارية.

ولما تأكد له أنَّ الشعب السوري ساخط عليه وعلى سياسته الاستعمارية،

أسقط وزارة «أحمد نامي الداماد»[(٢٣٤)] – التي أقامها سلفه دي جوفنيل – وألّف وزارة جديدة برئاسة «الشيخ تاج الدين الحسني» في ١٦ شباط ١٩٢٨م.

ثم بدأ «هنري بونسو» بتنفيذ المرحلة (الثالثة) من خطته: «الجهود الساكنة».

وبروح المستعمر الحاقد، راح يعمل جاهدًا لقتل الروح الوطنية، وإضعاف المقاومة، وتعزيز السلطة الفرنسية في البلاد، وقيل أنه أخذ عهدًا من وزارة الخارجية الفرنسية، أن يبقوه حاكمًا على سورية مدة عشر سنوات، ليتمكن من تنفيذ سياسة الانتداب.

وظنّ «هنري بونسو» أنه بالتعاون مع حكومة «الشيخ تاج الدين الحسني»[(٢٣٥)] سيوطّد الأمور لتنفيذ المخططات الفرنسيّة الاستعمارية.

والتفت إلى إرضاء شهواته ورغباته وملذاته فاستورد الحسناوات من فرنسا، وجيشًا من العاهرات لجيشه وقد عُرف عنه بأنه «نَهِم» في الأكل «جشع» في جمع المال حتي قيل أنه كان يختار «اللحوم» من دكاكيِن القصّابين بنفسه، كما كان يقوم أمهر الطهاة بإعداد الطعام تحت إشرافه.

وفوجئ الشعب في سورية بإعلان «هنري بونسو» في الخامس والعشرين من أيار من عام ١٩٣٠م، خمسة «دساتير» وضعها «للحكومات» الخمس في سورية مضيفًا إليها (مادة تحمل الرقم ١١٦) تضع بيد المفوّض السامي الفرنسي «السلطة الكاملة» وسافر إلى العاصمة الفرنسية لأخذ موافقة «المتطرفين» في وزارة الخارجية الفرنسية لتنفيذ سياسته الاستعمارية.

بعد عودته من فرنسا، عزل «الحكومة التاجيّة» وأسس مجلسًا استشاريًا، ثم ألغى المجلس، وتابع سياسته القديمة. وأجرى انتخابات صوريّة لمجلس نيابيّ، في جوّ من الضغط والإرهاب، وأخرج «نوّابًا» أكثرهم من الموالين لفرنسا، أو من

(٢٣٤) الداماد: كلمة فارسية معناها «الصهر»، وكانت تُطلق على صهر السلطان. ولم نعرف عن «الداماد» من تاريخه الشخصي سوى أنه ابن فخري بك، وهو من مهاجري الشركس، كان مقيمًا في بيروت، وله سوق تجاري اسمه (خان فخري بك).أما ابنه «الداماد أحمد نامي» (١٨٧٩-١٩٦٠م): فقد كان صهر السلطان عبد الحميد الثاني، إذ تزوج من إحدى بناته، وقد عيّنه المفوض السامي الفرنسي «دي جوفنيل» رئيسًا للدولة السورية، إلى أن يجتمع مجلس الشعب المنتخب، ليختار رئيسًا للدولة، وقد ألّف حكومة في ٤ أيار/مايو عام ١٩٢٦م وألّف وزارته من رؤوف الأيوبي، وحمدي ناصر، وشاكر الحنبلي، ويوسف الحكيم، ونصوح البكري.

(٢٣٥) الشيخ تاج الدين الحسني: هو ابن المحدّث الأكبر العلامة الشيخ بدر الدين الحَسني المراكشيّ الأصل، كان أستاذًا للعلوم الدينية في المدرسة السلطانية بدمشق، كما كان عضوًا في المؤتمر السوري، وقاضيًا شرعيًا. انتسب «للكتلة الوطنية»، ثم اختلف معهم، عُيّن رئيسًا للوزراء عام ١٩٢٨م وكذلك في عام ١٩٣٤م، كما عُيّن رئيسًا للجمهورية عام ١٩٤١م، وتوفي مسمومًا في ١٧ كانون الثاني عام ١٩٤٣م. ويذكر أن كلمة (تاج) لفظ فارسيّ معرّب، وهو بالفارسية القديمة (تك)، وصيغ منها في العربية جمع التكسير (تيجان). ولم يعرف الإسلام (التاج الملكي) ولا (التتويج) رمزًا لسلطان الملك. واستخدمت في عهد المماليك والأتراك (ألقاب تعظيم وتشريف): كتاج الدولة، وتاج الخلافة، وتاج الدين.

المعتدلين وانتخب المجلس الجديد رئيسًا له هو «صبحي بركات»[٢٣٦].

كما انتخب المجلس النيابي عام ١٩٣٢م أول رئيس للجمهورية (محمد علي العابد)، وألّف «حقي العظم» الوزارة.

وقد اشترك في هذه الوزارة من «الكتلة الوطنية»: جميلٍ مردم بك، ومظهر أرسلان، لكن السلطات الفرنسية لم تترك للحكومة مجالاً للعمل، بل راحت تواصل السير على السياسة الفرنسية الاستعمارية التي اختطّتها.

وجرت في عهده حوادث عديدة واصطدامات داخل المجلس وخارجه وفشل «هنري بونسو» في سياسته الجديدة وشعرت الحكومة الفرنسية – ممثلة بالمتطرفين في وزارة الخارجية – بفشل «هنري بونسو» في سياسته بتركيع سورية واستسلامها للمستعمرين المغتصبين فنقلته في الخامس عشر من تموز عام ١٩٣٣م، مفوّضًا لفرنسا في «مراكش»، وعيّنت خلفًا له «الكونت دي مارتيل». وعُيّن «هنري بونسو» بعد ذلك، سفيرًا لفرنسا في تركيا.

وحقدًا منه على سورية وشعبها، الذي رفض سياسته الاستعمارية، عمل كل ما بوسعه لسلخ «لواء الاسكندرونه» عن سورية.

عُرف «هنري بونسو» بسياسة المماطلة والتسويف، والحيرة والتردّد، وقلة التدبير، وكان شغله الشاغل تنفيذ سياسة «المتطرفين» في وزارة الخارجية الفرنسية، بالإبقاء على فرنسا في سورية، وإرضاء «جشعه» في جمع المال، وإشباع «نهمه» وغرائزه وشهواته وملذاته.

ومات «هنري بونسو» في مدينة باريس في الثاني من آذار عام ١٩٦٣م، وقد بلغ من العمر عتيًا وبقي معمّرًا ٨٦ عامًا.

دي مارتيل

اسمه الكونت «داميان دي مارتيل»، عُيّن مفوّضًا ساميًا من قِبَل الفرنسيين، لتنفيذ سياسة الانتداب على سورية، في الثاني عشر من تشرين الأول من عام ١٩٣٣م، وبقي على رأس عمله حتى الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول

(٢٣٦) صبحي بركات: هو صبحي بن رفعت آغا بركات الخالدي، ولد في مدينة «إنطاكية» عام ١٨٨٩م، قاوم والده الأتراك، وقاتل ولده صبحي الفرنسيين مدة طويلة، ثم استسلم لهم. تولى رئاسة الدولة (اتحاد الدول السورية) في ٢١ حزيران ١٩٢٣م، وأقيل منها في الأول من كانون الثاني ١٩٢٥م، وتولى رئاسة المجلس النيابي السوري الذي رفض المعاهدة التي تقدم بها الفرنسيون، وتعاون مع قادة الحركة الوطنية السورية في هذا الصدد. ولما استولى الأتراك على لواء الاسكندرونة، انتقل إلى تركيا، وانتخب نائبًا في البرلمان التركي، وتوفي في تموز عام ١٩٤٠م، ودفن في انطاكية.

١٩٣٨م. (خمس سنوات وثلاثة أشهر).كان ديبلوماسياً لبقاً في معاملته.

وفي عهده نكلت فرنسا عن إبرام معاهدة ١٩٣٦م بين سورية وفرنسا، كما تمّ سلخ «لواء الاسكندرون» عن الوطن الأم سورية، ومنحه لتركيا حسب اتفاقات خاصة. وجرت انتخابات نيابيّة، وانتخب «هاشم الأتاسي» رئيسًا للجمهورية مكان محمد علي العابد، الذي قدّم استقالته.

غابرييل بيو
١٨٨٣-١٩٦٩م

ولد «غابرييل بيو» عام ١٨٨٣م، وتوفي عام ١٩٦٩م. وقد كان موظفاً في فرنسا وعينته الإدارة الفرنسيّة مفوضًا ساميًا في سورية، في الخامس من كانون الثاني عام ١٩٣٩م، وبقي في منصبه حتى الخامس والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٠م، بعد أن بقي حاكمًا: سنة وعشرة أشهر.

وفي زمنه تمّ إلغاء المعاهدة والدستور، واستقال رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي، وحكومة نصوحي البخاري احتجاجًا، وأقام «بيو» حكومة «مديرين» كما اغتيل «أبو الثورة السورية»: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر خلال مؤامرة دنيئة، وتصفية جسدية إجرامية.

جان شياب
١٨٧٨-١٩٤٠م

عيّنت حكومة «فيشي» الفرنسيّة، مدير الشرطة الفرنسيّة «جان شياب» المولود عام ١٨٧٨م، لكنه لقي مصرعه بعد تحطم طائرته التي كان متوجهًا بها إلى سورية، على يد البريطانيين قرب مالطة عام ١٩٤٠م، دون أن يباشر عمله.

الجنرال دينتز
١٨٨١-١٩٤٥م

اسمه «هنري برنولد دينتز»، ولد عام ١٨٨١م، وتوفي عام ١٩٤٥م. باشر عمله مندوبًا ساميًا من قبَل حكومة «فيشي»، في العاشر من كانون الأول ١٩٤٠م، وبقي في منصبه سبعة أشهر فقط. وطَرَدَته القوات الفرنسيّة الحرّة بعد أن دخلت مع القوات الإنجليزية، عقب حركتها في الثامن من حزيران ١٩٤١م ورحل «دينتز» عن سورية في الخامس عشر من تموز ١٩٤١م إلى غير رجعة.

الجنرال كاترو
١٨٧٧-١٩٦٩م

اسمه «جورج شارل كاترو»، ولد عام ١٨٧٧م، وتوفي عام ١٩٦٩م.
بعد أن دخلت القوات الفرنسية والإنجليزية البلاد، عيّنت الجنرال «جورج كاترو» في الخامس عشر من تموز ١٩٤١م، أوّل مفوض سام لـ«فرنسا الحرّة» في سورية. وبقي في منصبه عامًا واحدًا وأحد عشر شهرًا، وتَرك عمله في السابع من حزيران عام ١٩٤٣م. كان سياسياً محنكاً رافق غورو وتعلم الدروس منه.
ويُسجل للجنرال «كاترو» أنه أعلن استقلال سورية في ٢٧ أيلول ١٩٤١م، فلقّبته الصحافة بـ«ملك دمشق» وسمّيت الجادة الرشادية باسمه تكريمًا له، وفي عهده ضُمّت اللاذقية وجبل الدروز للوطن الأم.

جان إيف هيلليو

باشر هيلليو عمله في السابع من حزيران من عام ١٩٤٣م، وأُقيل من منصبه في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣م من العام نفسه، بعد أن بقي في منصبه خمسة أشهر ونصف الشهر فقط.
كان أخرق الخُلق أحمق الطبْع اعتقل رئيس الجمهوريّة اللبنانية الشيخ بشارة الخوري(٢٣٧)، وثلاثة من وزرائه خلال «نوبة جنون» هستيرية فأقالته الحكومة الفرنسيّة، وأُطلق سراح المعتقلين.

الجنرال بينيه

تسلّم الجنرال «بول بينيه» مهامه بعد أن وصل بيروت جوًّا، في التاسع من آذار ١٩٤٤م، واستمر في منصبه حتى تمّ الجلاء في الخامس عشر من نيسان ١٩٤٦م. (عامان وشهر واحد ونصف الشهر). كان عهده عهد الصدامات .
وقد قامت فرنسا في عهده الكئيب بعدوان آثم على دمشق، ودمّر جيش «فرنسة الحرّة» مبنى البرلمان في ٢٩ و٣٠ أيار ١٩٤٥م، وقُصفت دمشق بالطائرات والمدافع،

(٢٣٧) الشيخ بشارة الخوري (١٨٩٠-١٩٦٤م): رئيس الجمهورية اللبنانية (١٩٤٣-١٩٥٢م). اعتقله الفرنسيون مع رئيس وزرائه رياض الصلح وثلاثة من وزرائه عام ١٩٤٣م، فثارت البلاد احتجاجًا على هذا العمل الأحمق الأخرق، مما أكره الفرنسيين الغزاة على الإفراج عنهم، وطرد المندوب العام الفرنسي (جان إيف هيليو)، والاعتراف باستقلال لبنان في ٢٢ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٤٣م. وقد استقال رئيس الجمهورية بشارة الخوري عام ١٩٥٤م، تحت ضغط شديد لا سابقة له من المعارضة.

آملة أن تعود الجيوش الفرنسية إلى انتدابها بقوة الحديد والنار، فأنذرتها بريطانيا، فكان جلاء القوات الفرنسية في يوم الخميس الخامس عشر من نيسان ١٩٤٥م، وتمّ انتخاب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية. ولأن يوم الجمعة يصادف يوم «الجمعة الحزينة» عند المسيحيين، فقد اعتبر اليوم التالي: السابع عشر من إبريل / نيسان ١٩٤٦م عيدًا قوميًا لجلاء قوات الاستعمار الفرنسية عن الوطن.

الجنرال غوابيه

١٨٦١-١٩٤٣م

اسمه «ماريانو فرانسيس غول»، من مواليد «سراغوس» في إسبانيا عام ١٨٦١م، وتوفي عام ١٩٤٣م.

عُيّن قائدًا للفرقة الثالثة، لجيش الشرق الفرنسي، الذي احتل دمشق في اليوم التالي لمعركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠م، والتي استُشهد فيها البطل «يوسف العظمة» - وزير الحربيّة - الذي سجّل أروع ملحمة نضالية للتضحية، دفاعًا عن مجد وشرف الوطن.

ودخلت القوات الفرنسية الغازية، في الخامس والعشرين من تموز، ما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء، مخترقة شوارع دمشق، يتقدم الصفوف «الجنرال غوابيه»، على حصان أبيض، ووراءه الكولونيل «بتلا». وجرى بعد ذلك استعراض للجيش الفرنسي، في شوارع دمشق الرئيسية.

كانت دمشق يومها حزينة باكيّة بائسة، ووجوه الناس عابسة كدرة واجمة وكان الصمت مطبقًا في الشوارع الرئيسية، بينما كان السوريون يبكون استقلالهم المذبوح.

وما أن دخلت قوات الاحتلال مدينة دمشق، حتى فرضت اسم «الجنرال غوابيه» على «شارع السليمانية» إلا أنّ تسمية الشارع بقيت على ألسنة الناس «شارع المحطة» رفضا لتسمية اسم المحتل المغتصب.

واستمر تواجد هذا الدخيل المستعمر في مدينة دمشق حتى السادس عشر من آب ١٩٢١م.

وتوفي الجنرال غوابيه في فرنسا عام ١٩٤٣م وتحرّر الوطن وخرج المستعمرون إلى غير رجعة أذلاء مشيّعين باللعنات.

عشرون عامًا شربنا الكأس مترعة   من الأسى فتملّى صرفها الآنا

مذكرات الجنرال غوابيه

يذكر الجنرال «غوابيه» – الذي قاد الحملة الفرنسية ودخل على رأس جيشه إلى دمشق بعد معركة ميسلون في مذكراته:

أنا في دمشق...!

مرض الجمرة الخبيثة، استوطنت جراثيمه منطقتنا. هذا المرض معروف منذ آلاف السنين.

لقد مات في هذا المرض الخطير، خلال ساعة واحدة خيول كثيرة، بينها الفرس المخصصة لأحد أركان حربي.

أنا في دمشق...!

كان اسم دمشق يمثل لي شيئًا (خرافيًا) عندما كنت أقرأه في سجلات عائلتي، وأنا في سنّ الطفولة.

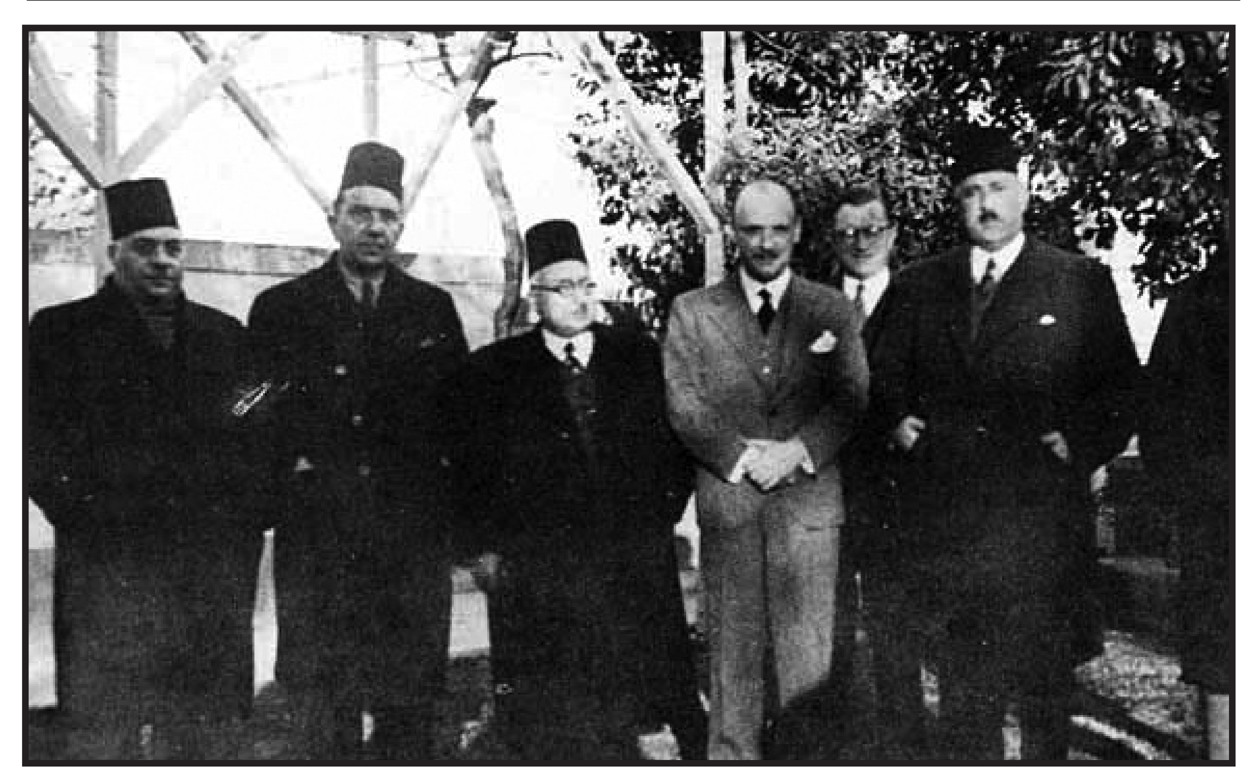
كان جدّي البعيد من جهة أبي (لويس)، قد وقع في أسر القوات العربية خلال الحروب الصليبية الثانية، التي وقعت عام ١١٤٧م، وتم نقل الأسير إلى مدينة دمشق. لم يكن «جدّي» من كبار القادة، بل كان من السواد الأعظم من الشعب، ولذلك لم يعامله العرب المعاملة الحسنة التي كانوا يختصّون بها كبار الفرسان والقادة العظام وأهل دمشق جعلوا منه (عبدًا) يشتغل في أحد المصانع التي يُصنع فيها الورق من القطن، فاشتغل (جان) المسكين خلال سنوات الأسر الثلاث شغلاً شاقًا في مصنع للورق، وبعد ذلك فرّ من دمشق، والتحق بجيش الصليبيين، بعد أن اجتاز آلاف الأميال، وواجه الكثير من المخاطر والمصائب.

وعندما عاد جدّي إلى مسقط رأسه في فرنسا، بعد غياب دام أكثر من عشر سنوات، أسّس أول معمل للورق عرفته أوروبا.

أو ليست (العدالة السماوية) هي التي (سمحت) (لحفيد) أسير الحروب الصليبية، أن يدخل المدينة المقدسة، ظافرًا منتصرًا؟!



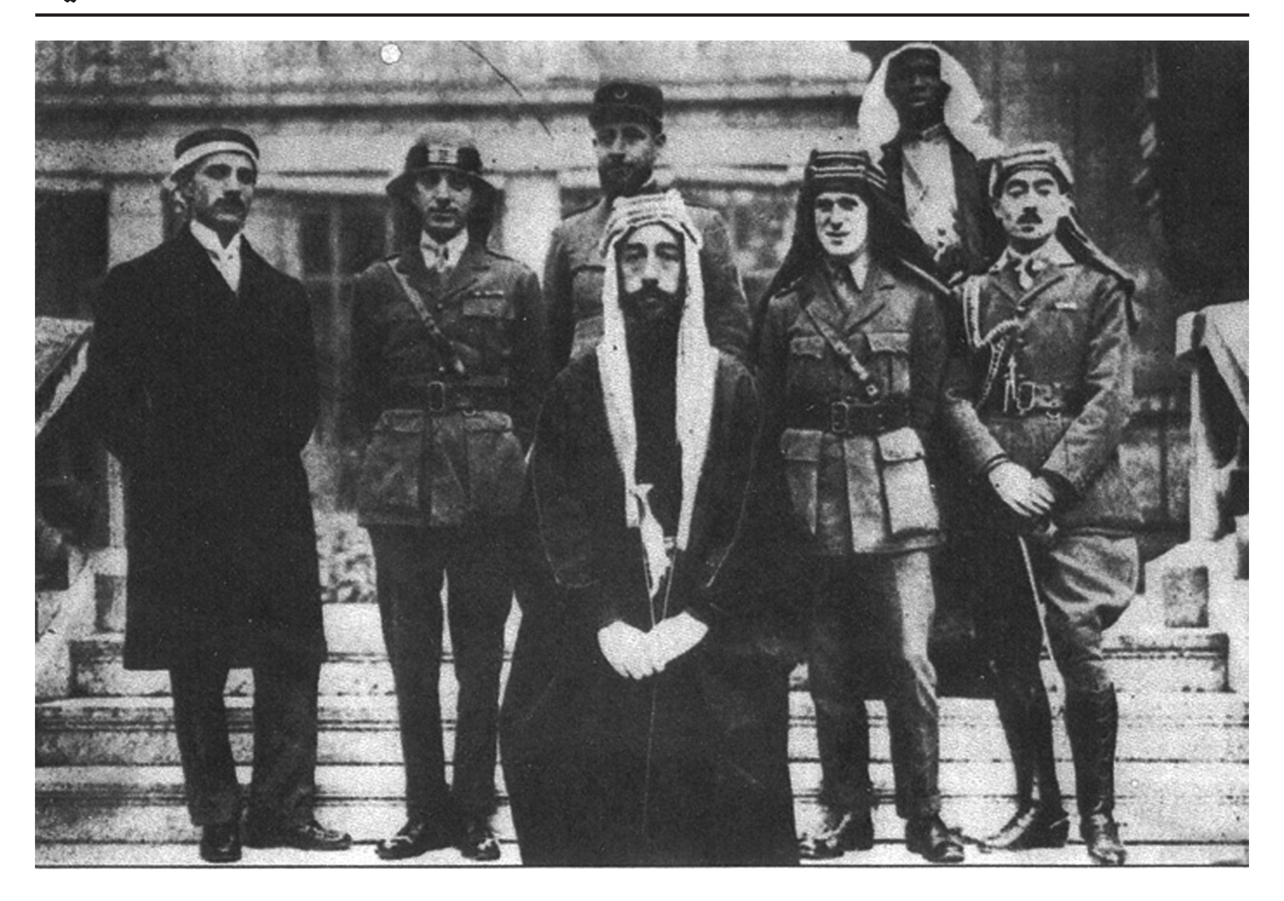
الفصل الرابع



(من اليمين) : نسيب البكري - غابرييل بيو - لطفي الحفار - فائز الخوري - مظهر أرسلان



(من اليمين) : شكري القوتلي - اوليفا روجت - الجنرال بينيه



تحسين قدري - لورانس - الأمير فيصل - نوري باشا السعيد - رستم حيدر

١٨/ كانون الثاني باريس شتاء 1919 الوفد العربي لمؤ تمر السلم



الجنرال بول ساراي

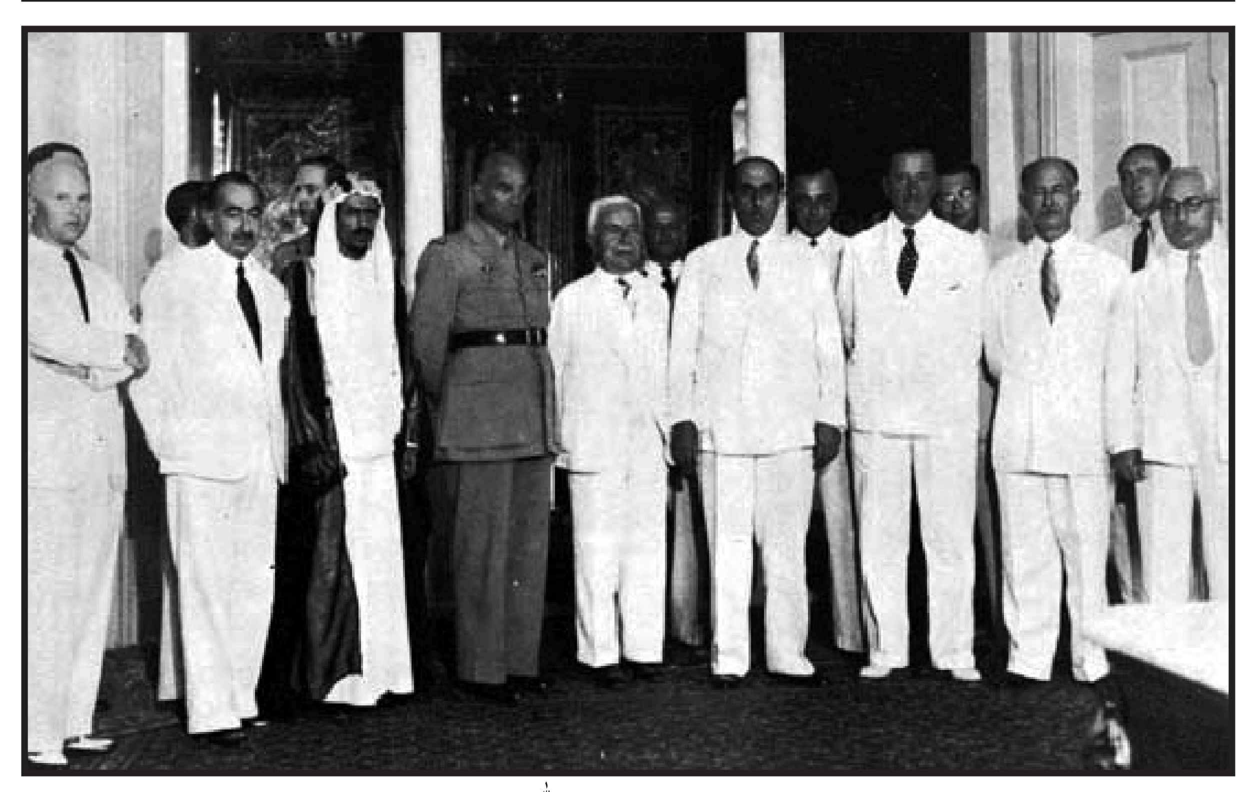


الجنرال غوابيه

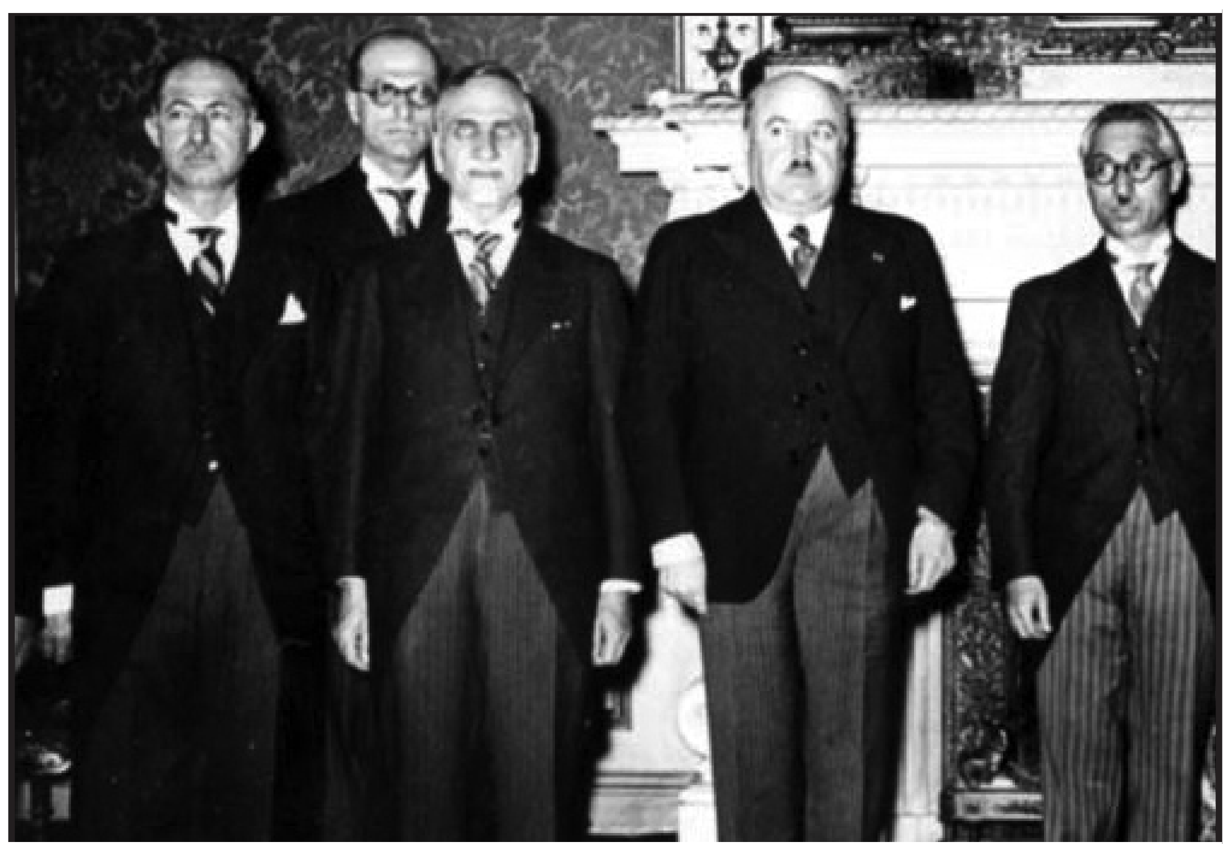




هنري بونسو



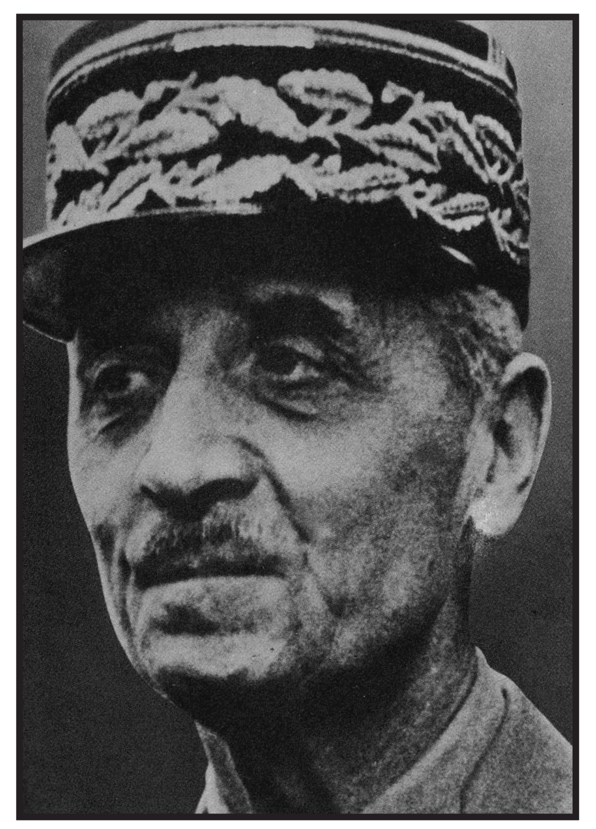
(من اليمين): جميل مردم بيك - سعد الله الجابري - ادوارد سبيرس - شكري القوتلي - الجنرال بينيه



(من اليمين) : جميل مردم بك - هنري دي مارتيل - هاشم الأتاسي - سعد الله الجابري



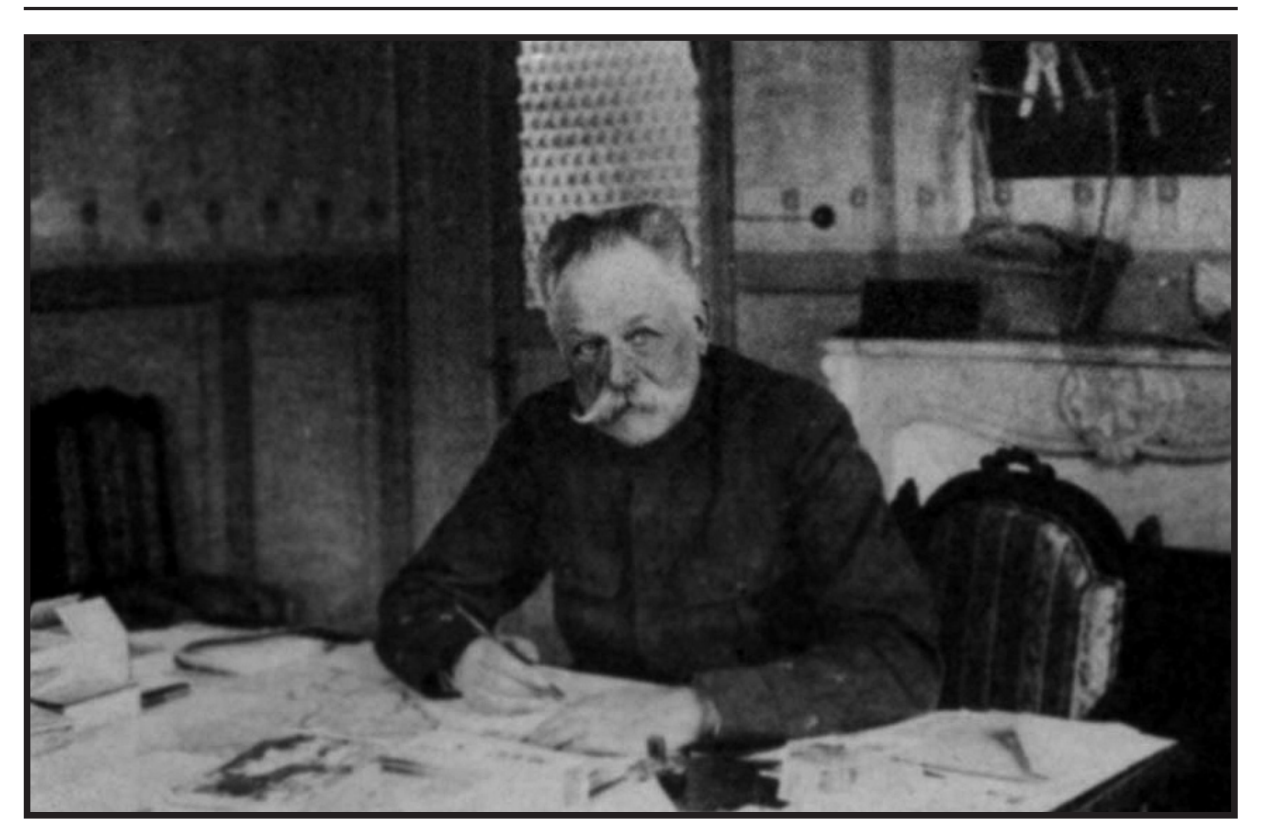
الجنرال هنري غورو



الجنرال كاترو



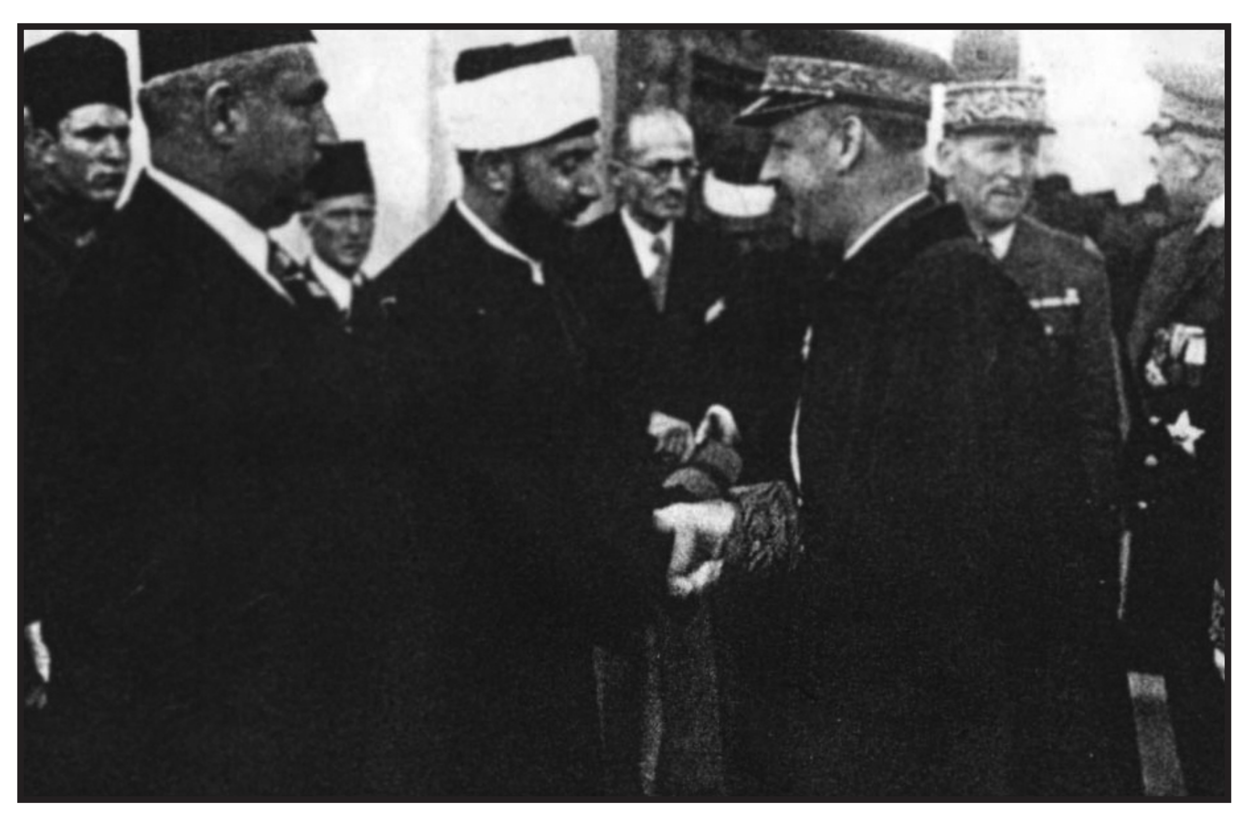
الجيش الفرنسي في قلعة دمشق



الجنرال بول ساراي



الجنرال غابرييل بيو في دمشق وخلفه يظهر جبل قاسيون



الجنرال غابرييل بيو يسلم على أحد الأئمة ومعه بهيج الخطيب



(من اليمين) : الجنرال كيلو - الجنرال غابرييل بيو - بهيج الخطيب



(من اليسار): حقي العظم - الشيخ تاج - الجنرال هانت - حسني البرازي - محمد علي العابد - عطا الأيوبي - والمستشار الإنجليزي غلبرت



وصول الجنرال هنري دي جوفنيل دمشق عام ١٩٢٦م



(من اليسار): رياض الصلح - بشارة الخولي - الجنرال هومبلوت



وصول الجنرال غابرييل بيو إلى بيروت في ٧ / كانون الثاني / ١٩٣٩م

مكتب عنبر

(قصر الثقافة)

ورد اسم «مكتب عنبر» كثيرًا في تراجم الثوار و«المثقفين» من «الرعيل الأول» من رجالات سورية الذين تخرّجوا من «مدرسة التجهيز» الوحيدة في دمشق «المدرسة الملكية الإعدادية» والتي دُعيت فيما بعد بـ«مكتب عنبر» وقد كان هذا الصرح الثقافي «موئل النور والنار» في عهد الانتداب الأسود.

يُعتبر (مكتب عنبر) النموذج المجسّم للبيت الدمشقي العريق، وهو كنز من كنوز دمشق ذات القيمة الفنيّة الفريدة الرائعة؟

يقع مكتب عنبر في نهاية (الشارع المستقيم) والذي أطلق عليه فيما بعد اسم (شارع مدحت باشا) - الوالي التركي الذي حكم سورية (عام ١٨٧٨م) - ويقع على بعد مئتي متر جنوب شرقي الجامع الأموي، في زقاق (المتكنه) الذي ينتهي بزقاق (القاري) من محلة (الخراب) في الشارع المستقيم.

بدأ البناء فيه عام ١٨٦٨م، في ولاية الوالي التركي (محمد راشد باشا) الذي تولى الحكم عام ١٨٦٦م (والذي جرت على أيامه تغطية نهر بردى المرجة عند ساحة العدلية والبرق والبريد)، وكان هذا القصر مُلكًا لتاجر دمشقي ثري يدعى (يوسف عنبر)، بدأ ببنائه عام ١٢٨٤هـ/١٨٧٦م، إلا أن التاجر الدمشقي أعلن إفلاسه أثناء عملية البناء بعد أن أنفق على بنائه وإعماره وتحديثه أكثر من أربعين ألف ليرة ذهبية، ولكن سرعان ما صادرته الدولة العثمانية، بسبب تراكم ديون مالية على صاحب القصر عجز عن تسديدها، فأتمت الدولة بناء القصر وحوّلته الدولة العثمانية عام ١٨٨٦م إلى (مكتب للتعليم) - وهي تسمية كانت تطلق على المدرسة - وبقي مدرسة للبنين عُرف باسم (المدرسة الملكية الإعدادية)، وكان مديرها تركيًا وكذلك كان أكثر مدرّسيها، وتحوّل إلى مكتب سلطاني وذلك في عهد الوالي العثماني (نظيف باشا) وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين، تحوّل إلى (مدرسة للفنون النسوية)، ثم ما لبثت وزارة الثقافة أن بدأت بترميمه في أوائل الثمانينات عام «١٩٨١م»، وأطلقت عليه اسم (قصر الثقافة)، واعتُمد عام ١٩٨٨م ليكون مقرًا دائمًا لـ«لجنة حماية دمشق القديمة» لتُعقد فيه المحاضرات والندوات التراثية والثقافية.

ويقسم القصر إلى ثلاثة أقسام: (السلملك والحرملك والخدملك).

والسلملك: كلمة تركية مأخوذة من (السلام)، كلمة الترحيب عند استقبال

الضيوف للسلام عليهم.

والحرملك: كلمة تركية مأخوذة من (الحريم) التي كانت تطلق على (المرأة) أو (الحرمة) وهي خاصة بأهل البيت من الحريم.

والخدملك: كلمة تركية مأخوذة من كلمة (الخدم)، وهي خاصة بخدم القصر وعماله.

ويتألف القصر من واحد وأربعين غرفة، تضم أربع فسح سماوية كبيرة، تتوسط كل واحدة منها بحرة ماء، وفسحتان صغيرتان بدون بحيرات، وتضم كورنيشات نافرة، والأبلق الملوّن في تناغم رائع للألوان.

وتعتبر قاعات وإيوانات الفسحة الوسطى هي الأجمل والأروع في هذا القصر. أما أعمدة الرواقين: الشمالي والجنوبي فهي مصنوعة من الرخام الأبيض الذي يأخذ بالألباب.

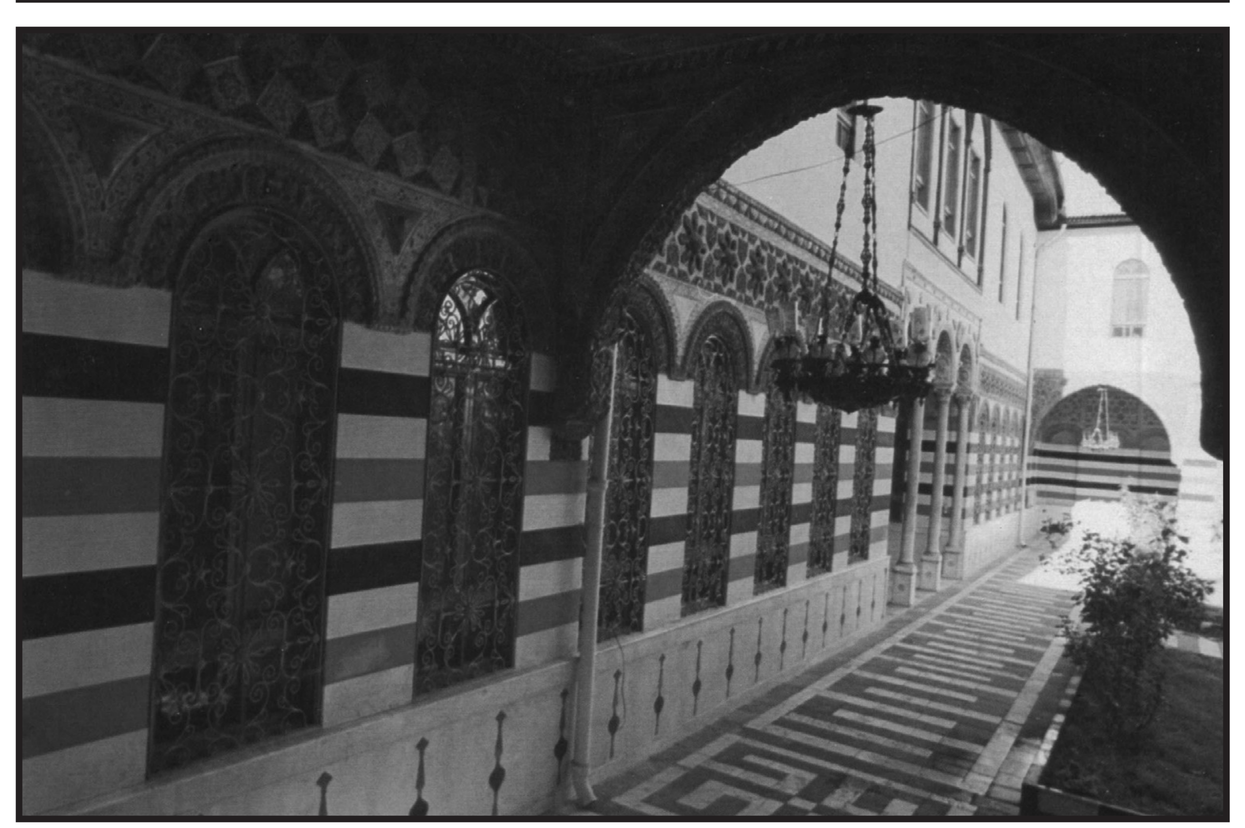
وقد ضمت أسقف قاعاته زخارف نباتية نافرة وملساء، في حين شُغلت أبواب هذه القاعات بأسلوب الخط العربي الهندسي. ويضم القصر أيضًا مسجدًا وحمامًا وسبيل ماء خارجي يقع إلى شمال الباب الشرقي للقصر.

ويحيط بالبحرات أحواض الزهور والرياحين، ونباتات الياسمين وأشجار النارنج والكبّاد والسرو والمشمش الهندي والليمون.

وصنعت أرضيات (الديار) - وهي الفسح السماوية المكشوفة - بالحجر المتناوب والرخام الملوّن المزّي الأحمر، والبازلتي الأسود، والرنكوسي الأصفر. وقد استمدّ مهندسو البناء أفكارهم من التراث الفنّي والزخرفي العربي والإسلامي.

ويتميز البناء من الداخل بالأقواس التي تعلو الأعمدة والنوافذ والمداخل، والعناية الفائقة بالزخارف المستوحاة من فنّ (الباروك) - وهو اتجاه البذخ في الزخرفة - وفنّ (الروكوكو) - وهي النمنمة وإفراط في دقائق التفاصيل بحدّ ذاتها - وقد كانا منتشرين في أوروبا في تلك الحقبة الزمنيّة بكل ما فيهما من بذخ وفخامة ونمنمات ملونة غاية في الجمال وحسن المظهر. وتتنوّع هذه الزخارف بين نباتية وهندسية وكتابية، مستمدة من الورود والأزهار وعناقيد العنب والخط العربي المتعدد الأشكال، والطابع العثماني «المتميز» الذي يؤرخ تلك الفترة.





مكتب عنبر (قصر الثقافة)



الفناء الداخلي لمكتب عنبر والطابع العثماني المتميز

نافورة البحرة في مكتب عنبر



(الحرملك)
في مكتب عنبر

منزل
فخري البارودي

استضاف في بيته - بسقفه القرميدي الأحمر في حي القنوات - الملك فيصل الأول عند وصوله سورية في ١٩٢٠/٣/٧م



الفصل الخ

حكام سورية بعد رحيل الأتراك

١- الأمير فيصل بن الحسين: (سنة ونصف) تقريبًا.
[٢٨ أيلول ١٩١٨م - وحتى ٨ آذار ١٩٢٠م].
٢- الملك فيصل بن الحسين (خمسة أشهر).
[٢٨ آذار ١٩٢٠م - وحتى ٢٥ تموز ١٩٢٠م].
٣- مندوبو الاستعمار الفرنسي: (١٢ سنة):
[٢٥ تموز ١٩٢٠م - وحتى ١٢ حزيران ١٩٣٢م].
٤- محمد علي العابد: (أربع سنوات ونصف السنة).
[١١ حزيران ١٩٣٢م - وحتى ٢١ كانون الأول ١٩٣٦م].
٥- هاشم الأتاسي: (سنتان ونصف السنة).
[٢١ كانون الأول ١٩٣٦م - وحتى ٧ تموز ١٩٣٩م].
٦- الشيخ تاج الدين الحسني (سنة ونصف السنة)
[١٢ أيلول ١٩٤١م - وحتى ١٧ كانون الثاني ١٩٤٣م].
٧- عطا الأيوبي: (خمسة أشهر).
[٢٥ آذار ١٩٤٣م - وحتى ١٩ آب ١٩٤٣م].
٨- شكري القوتلي: (خمس سنوات ونصف السنة).
[١٩ آب ١٩٤٣م - وحتى ٢٩ آذار ١٩٤٩م].
٩- حسني الزعيم: (خمسة أشهر).
[٣٠ آذار ١٩٤٩م - وحتى ١٣ آب ١٩٤٩م].
١٠- هاشم الأتاسي: (سنتان)
[١٤ آب ١٩٤٩م وحتى ٤ أيلول ١٩٥٠م. وحتى ٢ كانون الأول ١٩٥٠م].
١١- أديب الشيشكلي: (سنتان).
[٢ كانون الأول ١٩٥١م وحتى ١٠ تموز ١٩٥٣م، ومدد حتى ٢٥ شباط ١٩٥٤م].
١٢- هاشم الأتاسي: (سنة ونصف) تقريبًا.
[١ آذار ١٩٥٤م - وحتى ٥ أيلول ١٩٥٥م].
١٣- شكري القوتلي: (سنتان ونصف السنة).
[٦ أيلول ١٩٥٥م - وحتى ٢١ شباط ١٩٥٨م].
١٤- جمال عبد الناصر: (ثلاث سنوات ونصف السنة).

[٢٢ شباط ١٩٥٨م وحتى ٢٧ أيلول ١٩٦١م].
١٥- ناظم القدسي: (سنة واحدة).
[١٤ كانون الأول ١٩٦١م وحتى ٢٥ آذار ١٩٦٢م. حتى ٧ آذار ١٩٦٣م].
١٦- المجلس الوطني لقيادة الثورة (ثلاث سنوات).
[٧ آذار ١٩٦٣م، وحتى ٢٣ شباط ١٩٦٦م].
١٧- نور الدين الأتاسي: (خمس سنوات).
[٢٥ شباط ١٩٦٦م وحتى ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٠م].
١٨- حافظ الأسد تسلم مقاليد الحكم في ١٤ آذار ١٩٧١م(٢٣٨)(٢٣٩).

هاشم الأتاسي
١٨٧٣-١٩٦٠م

كان مسقط رأس هاشم الأتاسي في مدينة حمص عام ١٨٧٣م. عَهد إليه الملك فيصل تشكيل الوزارة الوطنية، وخاض مع الكتلة الوطنية» معارك الاستقلال.

وهو ثاني رئيس جمهورية لسورية بعد «محمد علي باشا العابد»، وكانت ولايته الأولى: (سنتان وسبعة أشهر):

من ٢١ كانون الأول ١٩٣٦م - وحتى السابع من تموز ١٩٣٩م.

وكانت ولايته الثانية: (سنتان):

من ١٤ كانون الأول ١٩٤٩م وحتى الرابع من أيلول ١٩٥٠م.

ومن الخامس من أيلول ١٩٥٠م وحتى الثاني من كانون الأول ١٩٥٠م.

ثم كانت ولايته الثالثة: (سنة ونصف السنة):

من الأول من آذار ١٩٥٤م وحتى الخامس من أيلول ١٩٥٥م.

ورحل الأتاسي إلى جوار ربه في السادس من كانون الأول عام ١٩٦٠م، وشيع في احتفال رسمي مهيب، ووري الثرى في مدينة ابن الوليد «حمص».



(٢٣٨) توفي الرئيس حافظ الأسد، في العاشر من يونيو / حزيران عام ٢٠٠٠م.

(٢٣٩) انتخب مجلس الشعب الرئيس بشار الأسد في الرابع عشر من حزيران / يوليو عام ٢٠٠٠م. وقد بويع لولاية دستورية جديدة في ٢٧ أيار ٢٠٠٧م.

شكري القوتلي

١٨٩١-١٩٦٧م

هو الرئيس الخامس للدولة السورية بعد: «محمد علي العابد، وهاشم الأتاسي، والشيخ تاج، وعطا الأيوبي، وشكري القوتلي». ولد عام ١٨٩١م

كانت ولايته الأولى: (خمس سنوات ونصف السنة).

من ١٩ آب ١٩٤٣م وحتى ٢٩ آذار ١٩٤٩م.

وكانت ولايته الثانية: (سنتان ونصف السنة).

من ٦ أيلول ١٩٥٥م وحتى ٢١ شباط ١٩٥٨م.

كان من أعضاء (الكتلة الوطنية)، كما كان أحد أعضاء (جمعية العربية الفتاة) التي تألفت بعد عودة فيصل من أوروبا عام ١٩١٩م كأمين سرّ لها، ثم عضوًا في (حزب الاستقلال).

كان طرازًا نادرًا من البشر، يمتاز بعبقرية فذّة، وعلم غزير، وعقل راجح. كما كان من الوطنيين الذين تحمّلوا الأذى والاضطهاد، في سبيل وطنه وقوميته وعقيدته، والدفاع عن استقلال بلاده.

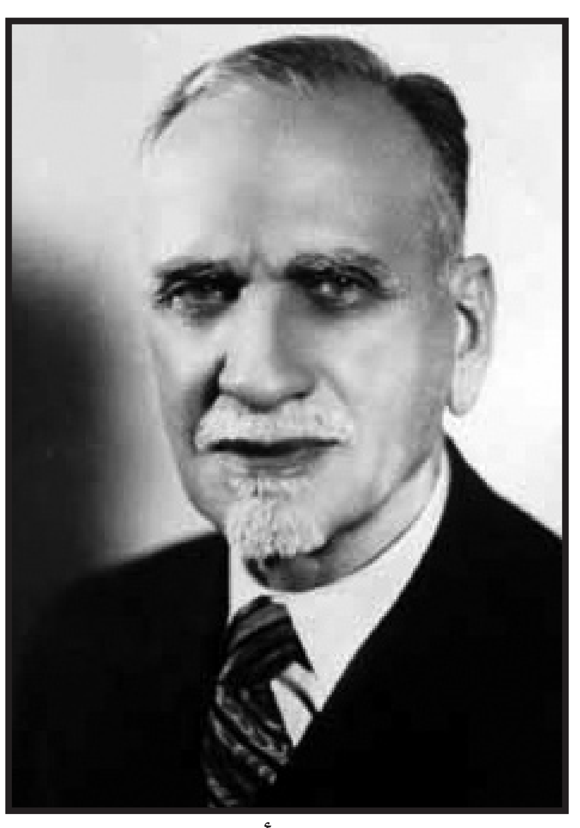
كان يؤمن بضرورة التضحية فيضحي. ويؤمن بضرورة المقاومة فيقاوم. ويؤمن بنظافة اليد فلا يمدّ يده لما ليس من حقه. كان شكري القوتلي من الأفذاذ الذين امتازوا بالنبل والفضل والإخلاص وحميد الصفات التي يندر أن تتوفر في أمثاله من العظماء الذين كانوا فخرًا لأمتهم ووطنهم.

تنحّى عن الحُكم ورئاسة الجمهورية من أجل «الوحدة» فدخل أبواب التاريخ. وهي «سابقة» يَذكرها له التاريخ، لم يفعلها أحد من قبله.

توفي عام ١٩٦٧م في بيروت، ودفن في باب الصغير بدمشق.

رحم الله رجال الأمة الأفذاذ، وجزاهم عن أمتهم وبلادهم خير الجزاء.

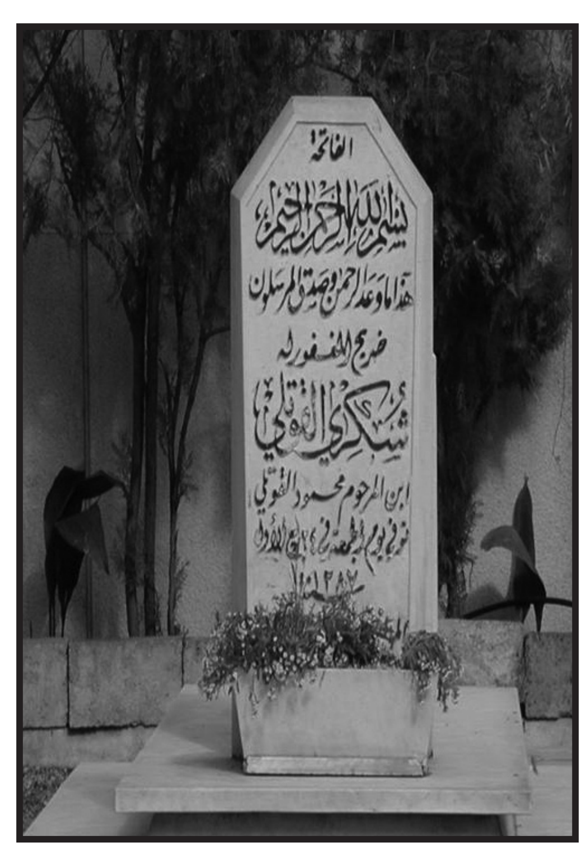




هاشم الأتاسي



شكري القوتلي



ضريح شكري القوتلي



شكري القوتلي بالنياشين



شكري القوتلي وجمال عبد الناصر يوقعان ميثاق الوحدة بين سورية ومصر



استقبال حافل للرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي بدمشق



لورانس



بشارة الخوري



الشيخ تاج الدين



الداماد أحمد نامي



غوابييه

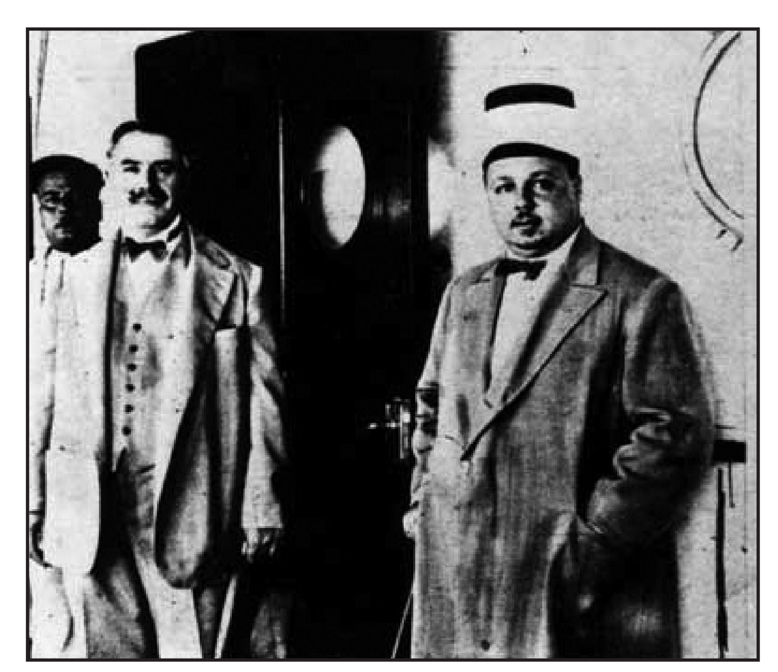




صبحي بركات الخالدي



بهيج الخطيب مع دينتز



بونسو مع الشيخ تاج

الباب الخامس

رجالات الثورة السورية الكبرى

تراجم المجاهدين
الثوار الذين صنعوا الاستقلال

تتوهج شعلة الجلاء في القلوب لتضيئها بذكرى شهداء الاستقلال الذين ضحّوا بأرواحهم في سبيل استقلال بلدهم، مستذكرين الصفحات المشرقة التي حققها الآباء والأجداد على مساحات الوطن الغالي وهم يقارعون المستعمر لنيل الاستقلال واستعادة الحرية والسيادة.

رموز الثورة



سلطان الأطرش



إبراهيم هنانو



صالح العلي



د. عبد الرحمن الشهبندر



أحمد مريود



يوسف العظمه



النصب التذكاري لقائد الثورة السورية الكبرى في مدينة السويداء سلطان باشا الأطرش

سلطان باشا الأطرش

القائد العام للثورة السورية

(١٨٨٦-١٩٨٢م)

كلمة لا بد منها:

هذا الوطن يعيش دومًا في وجداننا وضميرنا قد نكون بعيدين عنه بأجسامنا لكنه يبقى أبدًا ساكنًا في أرواحنا وقلوبنا وعقولنا.

والعربي عاش عبر تاريخه حرًّا أبيًّا لم يستسلم لمعتدٍ، مهما بلغ عتوّه ووحشيته وظلمه واستبداده.

هكذا كان سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة السورية الكبرى.

قبيل إعلان الثورة السورية في جبل العرب كنت في «جدّة»، ورحت مع زملائي نترقب الفرصة التي تسمح لنا بالعودة لبلادنا، وما كادت تندلع نيران الثورة في جبل العرب[٢٤٠]، التي فجّرتها البطولات الكامنة في نفوس الأبطال المجاهدين، حتى قررنا العودة إلى سورية، للاشتراك في هذه الثورة ضد المستعمرين، مع لفيف من إخواني الضباط السوريين، أذكر منهم: قائد حامية جدّة شوكت العائدي، وحسين باشا المدفعي، وعبد الوهاب عمر باشا، وشكيب وهاب وغيرهم من رجالات سورية، وقد ودّعنا القائد الشهيد سعيد العاص، وكان الدمع ينهمر من عينيه وقال لنا: «إن الشام تناديكم للذود عن استقلالها، فكونوا حماة لها، وعلى استعداد للتضحية من أجلها».

تابعت وإخواني المسيرة إلى جبل العرب، قبل أن يذهب أحدنا لزيارة أهل بيته، ولما وصلنا إلى (السويداء) قابلنا سلطان باشا الأطرش الذي رحّب بنا أجمل ترحيب، وكذلك اجتمعنا بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر، والأمير عادل أرسلان، والسيد نبيه العظمة، والدكتور خالد الخطيب، والدكتور محمد علي الشواف.

أقمت في عاصمة الجبل بضعة أشهر، كنت خلالها همزة الوصل بين زعماء الثورة في الجبل والغوطة، وبين الصحافة المصرية عن طريق المجاهد الكبير تيسير ظبيان (صاحب جريدة الجزيرة) وكنت أوقع كتاباتي باسم «فتى الجزيرة» (ج.ش): «جميل شاكر» (دون ذكر الكنية حتى لا تلاحقني السلطات

---

(٢٤٠) جبل العرب: ويكاد ينحصر في المنطقة الجنوبية، وأعلى قمة فيه «تل القنَّيه» وهي أعلى قمة في هذه المنطقة البركانية، وتُميز فيه منطقة (الصفا) ومنطقة السهل، مثلما تميز عدة قمم بارزة، مثل «قمة القُليب» و«تل شيحان»، وكلها مرتفعات تدين بوجودها للبراكين التي ثارت في تلك المنطقة.

الفرنسية)، كما كنت أمد الصحافة الفلسطينية بأنباء المعارك الدامية، التي كانت تقع بين المجاهدين والفرنسيين، لتُنشر في جريدة (الاتحاد العربي) لصاحبها الأستاذ سليم عبد الرحمن - رئيس النادي العربي في العهد الفيصلي - وجريدة (الصراط المستقيم) لصاحبها ورئيس تحريرها المرحوم الشيخ عبد الله القلقيلي، الذي (أصبح فيما بعد المفتي العام في المملكة الأردنية الهاشمية). وقد حدث أن سقطت في إحدى الغارات الجوية الفرنسية على بلدة «السويداء»، قنبلة بالقرب من غرفة الضيافة التي أنزل فيها وكانت تسمى «المنْزول»، فكان عمق الحفرة التي أحدثتها القذيفة، أطول من قامتي بربع متر، وقد هرع الأخوة للاطمئنان عن سلامتي.

ترجع زعامة آل الأطرش في جبل العرب إلى منتصف القرن الثامن عشر، حيث أنجبت هذه العشيرة الأمراء والزعماء والوجهاء الشيوخ. بيد أن الدهر كان يمعن بمآسيه في هذه الأسرة المناضلة المجيدة، فيرهقها بأنواع الآلام والعذاب، ويثقل كواهل زعمائها بالفواجع والمصائب وهكذا شأن حَمَلَة الرايات حيث هم دائمًا، هدفًا متميزًا ثمينًا للأعداء، في كل المعارك قديمها وحديثها، في مختلف العصور والأزمان.

لقد سبق للدولة العثمانية أن ساقت إلى جبل العرب، جيشًا كبيرًا بقيادة سامي باشا الفاروقي، الذي حاصر الجبل من كل جانب. فثار سلطان باشا الأطرش (وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره) وخاض المعارك الدامية ضد الجيش التركي، وذلك بسبب إعدام والده المرحوم "ذوقان الأطرش"، مع يحيى عامر وبعض الزعماء شنقًا بدمشق وذلك سنة ١٩١٠م، وقد شاهدتهم بأم عيني في ساحة المرجة "أمام دار البلدية" معلّقين على أعواد المشانق، وكنت صغير السن، فلما رجعت إلى دارنا، أخبرت أخي الأكبر "عمر" عمّا شاهدته والدموع تترقرق في عينيّ، فقال لي مواسيًا: "هذه هي أرجوحة الأبطال".

مولده ونشأته:

ولد سلطان بن ذوقان بن مصطفى الأطرش، في جبل العرب في قرية: (القريّا)[٢٤١] عام ١٨٨٦م، ونشأ فارسًا في عهد الفروسية، وزعيمًا في جبل

(٢٤١) قرية القريّا: بلدة سلطان باشا الأطرش ومسقط رأسه وفيها ضريحه وتقع في جبل العرب، في أرض بركانية تحيط بها مجموعة من الأودية، تبعد عشرين كيلومترًا عن صلخد، وثمانية عشر كيلومترًا عن السويداء. وقد كانت مركزًا لاجتماع قادة الثوار. مساكنها مبنيّة بالحجارة البازلتية السوداء، وتتبع منطقة صلخد في محافظة السويداء، يجاورها شمالاً منطقة السويداء، وشرقًا ناحية «ملح» وناحية «قرى» مركز منطقة صلخد، وجنوبًا ناحية «ذيبين»، وغربًا محافظة درعا.

العرب مهد الزعامات، وشبَّ على التقاليد العربية الأصيلة، والشهامة والمروءة والإباء، ومكارم الأخلاق.

وقد اشترك سلطان باشا الأطرش في الثورة العربية الكبرى منذ بداياتها، إذ ما كاد الشريف الحسين بن عليّ يطلق الرصاصة الأولى إيذانًا بإعلان الثورة على الأتراك، (بعد أن فتكت الطغمة الحاكمة من الطورانيين[٢٤٢]، بالصفوة المختارة من أحرار سورية)، حتى كان سلطان باشا الأطرش في مقدمة الثائرين لمؤازرتها، فقام مع قواته بقطع طرق المواصلات التركية بين الحجاز ودمشق، ولما دخل الأمير فيصل بن الحسين سورية، كان مع رجاله الأشاوس في طليعة الجيش العربي الزاحف، كما كان أول من رفع بيده العلم العربي فوق (قلعة صلخد).

وواقع الحال أنَّ الذي يثور على ظلم السلطة العثمانية، ويمتشق الحسام وهو في ريعان شبابه في سبيل القومية العربية، فمن باب أولى أن يثور على الغزاة الفرنسيين الذين احتلوا كامل منطقة جبل العرب. ومن أحد أسباب ثورته إلقاء السلطات الفرنسية القبض على ضيفه أدهم خنجر، الذي التجأ إلى منزله وهو غائب عنه، ثم إعدامها لضيفه دون مراعاة للتقاليد العربية، وأبسط قواعد الإنسانية. وأدهم خنجرٍ من أسرة تنتمي إلى عائلة مرموقة تقيم في جبل عامل، وكان شابًا مناضلاً شجاعاً، يحمل فكرة عربية إسلامية خالصة من كل شائبة.

ولما ثار جبل عامل، وهاجم الثوار المطار الفرنسي قرب صيدا، استطاع أدهم خنجر أن يُحرق إحدى طائرت العدو الجاثمة فوق أرض المطار، ثم ذهب إلى قرية (المطلّة)[٢٤٣] والتحق بالزعيم (علي خلقي باشا) في مقرّ قيادته، ثم انضم إلى آل مريود في قرية بانياس[٢٤٤]، والتحق بالشهيد أحمد مريود في شرقيّ الأردن وبقي ملازمًا له.

ولمّا احتاج أدهم خنجر إلى المال، قرر السفر مع شكيب وهاب ورفاقهما

(٢٤٢) الشعوب الطورانية: شعب يعتقد بعض الباحثين أنَّ آريي أوروبا وآسيا تحدّروا منه. وقد ظهرت «الطورانية» في تركيا العثمانية أوائل القرن التاسع عشر، بغية توحيد جميع الشعوب ذات التراث التركي المشترك، في ظل دولة واحدة. وقد بنت هذه الحركة فكرتها، على أساس النظرية القائلة بأن اللغات التركية والمغولية والفنلندية والهنغارية نشأت من أصل واحد.

(٢٤٣) المطلّة: قرية في الأراضي اللبنانية على حدود فلسطين بالقرب من جبل عامل. وهناك قرية أخرى في الأراضي السوريه في جبل الزاوية، تتبع ناحية «محمبل» وتبعد عنها ٣كم، في مطقة أريحا محافظة إدلب. وسميت لإطلالها من موقعها المتربع على سهل الروج.

(٢٤٤) قرية بانياس: في الجولان تتبع ناحية مسعدة في محافظة القنيطرة وتبعد عنها ٢٥كم، عند زاوية سهل الحولة. ينبع من أراضيها نهر بانياس – أحد الأنهار الثلاثة المكوّنة لنهر الأردن – فسميت باسمه. تلتقي عندها الحدود السورية – اللبنانية – الفلسطينية. تعرضت للاحتلال الإسرائيلي في عدوان حزيران ١٩٦٧م.

إلى جبل عامل، للحصول على بعض المال من والدته الثريّة، ولمّا دخل جبل العرب أصيب برمد في عينيه، فاضطر ورفاقه الاتجاه نحو قرية سلطان باشا الأطرش، ليكونوا في ضيافته.

وأما شكيب وهّاب فقد توجّه إلى دار الضيافة في قرية (عري)[٢٤٥]، متوقعًا أن يكون سلطان باشا الأطرش هناك. ولما وصل (أدهم خنجر) إلى مشارف قرية (القريّا) - بلدة سلطان باشا الأطرش - حتى شاهده مدير الناحية، فسأله عن اسمه، ولمّا أجابه بأن اسمه «أدهم خنجر» قبض عليه، وسلّمه للسلطات الفرنسية فورًا.

وجد شكيب وهاب سلطان باشا الأطرش هناك في دار الضيافة بقرية (عري)، حيث أخبره عن وصول ضيفه: (أدهم خنجر)، فركب سلطان باشا من فوره يرافقه شكيب وهاب للترحيب بالضيف، ولما دخل بيته لم يجد ضيفه هناك، ولما بلغه نبأ القبض على ضيفه ثارت ثائرته، فأرسل أولاً إلى الفرنسيين يطلب منهم إخلاء سبيل ضيفه أدهم خنجر، وأنه مستعد لتقديم كل ما يطلبونه من المال افتداء لضيفه، غير أن السلطات الاستعمارية تعامت عن تقاليد العرب وعاداتهم، ولم تقدّر تبعات عملها الأخرق الأحمق، خاصة والأمر يتعلق بكرامة زعيم عربي نبيل، عقمت النساء أن تلد مثله في وفائه، وأصالته، وشهامته، وبطولته.

ولما رفض الفرنسيون طلبه، أزمعوا إرسال أدهم خنجر إلى دمشق محميًا بالمُصفَّحات، غير أن سلطان باشا أرسل رجاله إلى موقع «تل الحديد »، - الكائن على طريق السويداء وقرية أزرع - ليقطع طريق القافلة الفرنسية التي تقلّ أدهم خنجر لتخليصه من أيدي الفرنسيين، ولمّا شعر العدوّ بأن نقله بطريق البر محفوف بالمخاطر، أعادوه إلى السويداء ونقلوه بالطائرة إلى لبنان، حيث أعدموه فورًا، بدعوى أنه كان من جملة الثوار الذين حاولوا اغتيال الجنرال غورو على طريق القنيطرة، بينما كانت حقيقة الواقع غير ذلك، فمجموعة المغاوير الذين حاولوا اغتيال غورو مجموعة استشهادية تتألف من: خليل مريود وهو ابن أخ الشهيد أحمد مريود، والمرحوم شريف شاهين وكلاهما من قرية جباتا الخشب، والمرحوم البرازي الملقب بأبي دياب من حي الأكراد بدمشق، و محمود حسن من قرية جباتا الخشب وهو من رجال آل

(٢٤٥) عري: قرية في جبل العرب، وتتبع محافظة السويداء، وتبعد عنها ١٢كم. أرضها بازلتية خصبة، وكانت مسرحًا لمعارك شرسة، بين الثوار والقوات الفرنسية.

مريود، ومحمد الضاهر من أهالي قرية شبعا[٢٤٦] في جبل الشيخ[٢٤٧].

ثورة سلطان باشا الأطرش في جبل العرب عام ١٩٢٥م:

كان لإخفاق وفد بني معروف في مقابلة المفوض السامي في بيروت، من أجل وقف ارتكاب تلك الأعمال التعسفية التي كان يقوم بها الحاكم العسكري (كربيه)، واضطهاده لوجهاء الجبل وشيوخه أحد عوامل الثورة، وكان من أسمى أمانيهم تحقيق الوحدة الوطنية وتراب الوطن.

وتفجّرت الثورة التي تولّى قيادتها سلطان باشا الأطرش. ووقع كثير من المعارك الدامية مع الفرنسيين، وحصد سكان الجبل الانتصارات تلو الانتصارات، بالرغم من كثرة عدد أفراد الجيوش النظامية المجهزة بأحدث الأسلحة، حيث لم يتمكن الفرنسيون من إخماد الثورة في الجبل إلا في أواخر عام ١٩٢٧م.

وكانت البداية في عام ١٩٢٦م، عندما استسلمت معظم قرى (مقارن الجبل) الشرقي والغربي، مما اضطر سلطان باشا الأطرش ، والمرحوم رشيد باشا طليع، أن يُرحّلا عائلات المجاهدين إلى منطقة (الأزرق) التابع إلى إمارة شرق الأردن، بعد موافقة السلطات الأردنية أن تكون تلك المنطقة مجردة من السلاح.

أما المعارك الدامية التي خاضها بقايا السيوف من بني معروف، ضد قوات الاستعمار الفرنسي فهي: الهجوم على "حملة نورمان" ومعارك "بُصّرُ الحرير" و"المزرعة" و"موقعة المسيفرة"[٢٤٨] والتي اشترك فيها الشيخ محمد حجازي مع إخوته، وأولاد أخته.

(٢٤٦) شبعا: قرية في الأراضي اللبنانية تقع في سفوح جبل الشيخ المطلة على الغرب، وكانت محل نزاع بين لبنانيتها وسوريتها. وكانت سببًا في اندلاع الحرب بين المقاومة والمحتلين الصهاينة في ٢٠٠٦/٧/١٢م وانتصرت المقاومة بعد حرب استمرت ٣٣ يومًا.

(٢٤٧) جبل الشيخ: ويُطلق عليه «الحَرْمُون»، وهو أحد فروع جبال لبنان الشرقية، على بعد ٤٨كم من دمشق، ويشرف على بحيرتي الحولة وطبرية. وكان يسمى «جبل الثلج»، ترجمة لاسمه في اللغة الآرامية «طور ثلجا». وقد شيّد الوثنيون هياكل عديدة في سفح هذا الجبل، وقدّسوه واتخذوه عرشًا لآلهتهم ومركزًا لعبادتهم، إذ كانوا يصعدون الجبل ويقدّمون القرابين عند قمته. يصل ارتفاعه عن سطح البحر (٢٢٩٤) مترًا. وكلمة «حَرْمُون» سريانية، ومعناها «القمة العالية». وأيام زمان كان سكان المنطقة يبيعون الثلج لأهالي دمشق، في أيام الصيف اللاهبة، لعمل «السويق»: (الثلج بالدبس).

(٢٤٨) المسيفرة: قرية في حوران، تتبع ناحية بصرى الشام في محافظة درعا. تقع في أرض سهلية، تتاخم محافظة السويداء من الشرق، وتبعد ٢١كم من بلدة بصرى الشام. حدثت فيها معركة دموية بين الأبطال من ثوار بني معروف وقوات الاحتلال الفرنسي، في السادس عشر من أيلول عام ١٩٢٥م، وسقط في المعركة أكثر من ثلاثمئة شهيد.

ومن أهم المعارك الدامية التي وقعت، بين أبطال بني معروف وحملة «غاملان» الكبيرة لإنقاذ السويداء، كانت معركة «تل الحديد». ولكي نتصور هولَها وضخامتها وضحاياها علينا أن نذكر «حجم» القوة الفرنسية التي هاجمت «السويداء» لإنقاذ حاميتها المحصورة ضمن قلعتها، والتي منيت بخسائر جسيمة من جراء التدمير الذي أحدثته قنابل المدافع التي غنمها الثوار في موقعة «المزرعة»، كما كانت مواد الإغاثة من الطعام والماء توزع بين أفراد القوة المحاصرة حصصاً محددة، وفي الوقت ذاته كانت الإمدادات تنقل إلى الحامية المحصورة بالطائرات في كل يوم، وقد تمكّن بنو معروف من إسقاط طائرتين الأولى في أواخر شهر تموز سنة ١٩٢٥م والأخرى في ١١ آب سنة ١٩٢٥م واحترقت مع طاقم ركابها. وتواصلت النجدات خلال شهر أيلول سنة ١٩٢٥م.

وصل فيلق الرماة السادس عشر - الذي يتكوّن معظمه من جيش مدرّب على عمليات الإنقاذ - إلى «المسيفرة»، وقد اشتملت قوات هذا الجيش بقيادة الجنرال غاملان(٢٤٩) على لواء المشاة: بإمرة الكولونيل «اندريا» - ويتألف هذا اللواء الخامس من الفيلق الأجنبي الرابع.

ومن اللواء الأول من فيلق الرماة الإفريقيين الثامن عشر.

ومن اللواء الثاني من فيلق الرماة الإفريقيين الحادي والعشرين.

واللواء الثاني من فيلق السنغاليين السابع عشر.

كما قاد سلاح الفرسان الكولونيل «ماسيه» قائد فيلق الصباحيين الإفريقي «الحادي والعشرين» والمؤلف من أربع كوكبات، والكوكبة الرابعة من فيلق الصباحيين التونسيين الثاني عشر.

أما المدفعية: فكانت بإمرة رئيس الكوكبة «غارك»، وهي تشتمل على بطاريتين من عيار «٧٥»ملم، علماً بأن البطارية الواحدة مؤلفة من أربعة مدافع، يضاف إلى ذلك بطاريتان من عيار «٢٥»ملم.

أما الشعبة الفنية: فتتكون من فصيلة من اللواء البرقي الثالث والأربعين «للمخابرات»، يساندها كتيبة من فيلق الدبابات المصفحة، وعددٌ من السيارات الرشاشة وهي مؤلفة من ثلاثة كوكبات، وكل كوكبة مؤلفة من مفرزتين. تتبعها قافلة الذخيرة التي تحمل «١٦» طنًا من الخرطوش، و«٢٤» طنًا من الذخائر

(٢٤٩) الجنرال الفرنسي غاملان: وُلد موريس غوستاف غاملان عام ١٨٧٢م تولى قيادة قوات الاحتلال الفرنسية في سورية ولبنان عام ١٩٢٥م، واحتل جبل العرب، وقد قاد الجنرال «غاملان» قوات الجيوش الفرنسية في مطلع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، وأخفق في صدّ الهجوم الألماني في مايو / أيار ١٩٤٠م، والذي أدّى إلى سقوط فرنسا في يونيو / حزيران ١٩٤٠م، وبعد فشل مخططات «غاملان» العسكرية في سورية وفرنسا، خلفه الجنرال «فيفان» عام ١٩٤٠م، وتوفي عام ١٩٥٨م، وكتب مذكراته عن فترة خدمته.

و«٣٠» طنًا من المؤونة، و١٨ طنًا من الماء وخمسة أطنان من المحروقات. ويضاف إلى ذلك «سريّة» من الممرضين، لإسعاف الجرحى ونقلهم. وقد حصلتُ - بحكم وظيفة عملي - على كل هذه المعلومات من الضابط الفرنسي «سينكر» الذي سقط جريحًا مصابًا في رقبته ، فأسره الثوار وأرسلوه إلى القيادة العامة.

وقد تحرك هذا الجيش الضخم، في الثالث والعشرين من أيلول سنة ١٩٢٥م، تحميه كوكبات الفرسان، المبثوثة في منتصف الطريق بين شرقي المسيفرة، وتل الشيخ حسين. وكان هدف مسيرته الهجومية مدينة «السويداء». كما كانت الطائرات الفرنسية تلازم الجيش وتقوم بأعمال التدمير، إلى أن وصلت طلائع هذا الجيش إلى قرب موقع «تل الحديد»، وهو يبعد ستة أميال عن مدينة السويداء. وكان مجاهدو بني معروف يشغلونه من الهضاب التي تحدّق بالموقع، غير أن قذائف المدفعية الفرنسية مهّدت الطريق لهجوم الجيش الفرنسي بكامل تجهيزاته، وتشدّ أزره الدبابات، مما مكّنه الاستيلاء على «تل الحديد». وقد اضطر مجاهدو بني معروف أن يرتدّوا إلى السويداء، فكانت المدفعية الفرنسية تصبّ حممها عليهم، بالرغم من مهاجمة قوات من فرسان المجاهدين جناحي جيش العدو، وتعريضه لخسائر فادحة. وأخيرًا استطاعت قوات الجيش الفرنسي احتلال السويداء، وإنقاذ حامية القلعة الفرنسية بعد أن كابدت حاميتها العسكرية محن الحصار، وخسرت من القتلى ضابطين وعشرين جنديًا، ومن الجرحى ثلاثة ضباط وثلاثة وعشرين جنديًا.

ثم تلت هذه المعركة معارك أخرى دامية: معركة «رساس»[٢٥٠] ومعركة «عرى» الرهيبة، التي استشهد فيها البطل المرحوم نسيب الأطرش، كما صمد إلى جانبه شهيد الإخلاص القائد الباسل سعيد العاص، وقد اشترك في هذه المعركة أيضًا الأمير حسن الأطرش، الذي أظهر شجاعة فائقة.

ولما اشتدت هجمات فرسان بني معروف على أجنحة الجيش الفرنسي، اضطر أن يخلي منطقة السويداء لقلّة مياهها، واكتفائه بإنقاذ جنود حامية القلعة، وارتدّ الفرنسيون إلى «المسيفرة» عن طريق قرى «تِعلا[٢٥١]، وإسكان[٢٥٢]، وأم ولد[٢٥٣]».

(٢٥٠) رسّاس: قرية في جبل العرب، تتبع منطقة السويداء، تقع على طريق «السويداء – القرَيا»، في أرض منبسطة خصبة، وبالقرب منها يقع تل مخروط بركاني، وسدّ لسقاية الماشية. وقعت فيها معركة شرسة بين الثوار والفرنسيين، ومن شهداء معركة «رسّاس»: عقيل الجودة، شريف سلام، توفيق الغوطاني، سعيد ناصيف، سليم جريرة، حمد قاسم الأطرش.

(٢٥١) تعْلاَ: قرية في جبل العرب، تتبع ناحية شقّا، منطقة شهبا، في محافظة السويداء.

(٢٥٢) إسكان خلخلة: قرية في جبل العرب، تتبع ناحية الصورة، منطقة شهبا، محافظة السويداء.

(٢٥٣) أم ولد: قرية في جبل العرب، تتبع ناحية بصرى، ومتاخمة لمحافظة السويداء.

وأخيرًا اضطر الجنرال (غاملان) إلى سحب قواته من الجبل، بسبب الهزائم التي حلّت بجيشه فيما بعد، حيث كان فرسان بني معروف يهاجمونه بصورة مستمرة، مما اضطر الجنرال الفرنسي (غاملان) لسحب قواته من الجبل وسوقها إلى حماة، حيث أعلن القائد فوزي القاوقجي ثورته في ضواحيها، كما ساعده الشهيد سعيد العاص بفرقته التي أسماها جيش (خالد بن الوليد)، بالإضافة إلى ثورة الدنادشة في مدينة تلكلخ والجعافرة، لتخفيف ضغط هجوم الجيش الفرنسي على الجبل.

وتمّ زحف ثوار جبل العرب على إقليم البلان، بقيادة البطل زيد بك الأطرش «شقيق القائد العام»، إذ بينما كانت حملة المجاهدين تستعد للتوجه إلى الغوطة، وصل إلى الجبل وفد من بني معروف (إقليم البلان)[٢٥٤] وبني معروف (تيما)[٢٥٥]، يحمل رسائل من زعماء المنطقة، يستنجدون فيها بإخوانهم - بني معروف الجبل - لإنقاذهم من مظالم المستعمرين وفظائعهم، وأنهم يؤيدون الثورة السورية بدمائهم وأموالهم، وعلى أثر ذلك عقد القائد العام عدّة اجتماعات في قرى (مردك)[٢٥٦] و(القريّا) و(شقّا)، حيث حضرها زعماء الجبل من الوطنيين البارزين، وأخيرًا وافق الجميع على مواصلة الجهاد، والتطوع لنجدة إخوانهم في الغوطة، وإقليم البلان، لتوسيع نطاق الثورة، ولم يمض على هذا القرار سوى بضعة أيام، حتى تم تجهيز الحملة المؤلفة من ١٥٠٠ ثائر، ما بين فارس وراجل، بقيادة البطل المغوار زيد الأطرش، يؤازره في هذه المهمة من آل الأطرش: صياح، وحسن، وأسد، وسلمان، وجاد الله، كما انضم إليهم الضابط فؤاد سليم وشقيقه نصري وحمزة الدرويش.

وسارت الحملة ليلاً من الجبل حتى وصلت في صباح اليوم التالي، إلى قرية (زغبر)[٢٥٧] التابعة لغوطة دمشق، وكان المجاهد الكبير نزيه المؤيد العظم في قرية (الخيارة)[٢٥٨] في الغوطة، فلم يتردد لحظة في الانضمام إليها مع فريق

(٢٥٤) إقليم البلاّن: في سفوح جبل الشيخ، وتشمل منطقة قطنا وبيت جن، من محافظة ريف دمشق. سميت بذلك نسبة إلى نبات «البلان»، الذي ينمو فيها بكثرة، ويستعمل في المواقد، وصناعة المكانس، ويستخرج منه بعض الأدوية.

(٢٥٥) تيما: قرية في محافظة السويداء، منطقة «شهبا»، ناحية «شقا»، تبعد عن «شهبا» ١٣كم، وعن «شقا» ١١كم. وتقع على وادي دوما، تنتشر حولها الينابيع والآثار.

(٢٥٦) مردك: قرية في جبل العرب، وتتبع منطقة شهبا وتبعد عنها ٤كم. فيها بقايا آثار من العصور القديمة، وتتبع محافظة السويداء.

(٢٥٧) قرية زغبر: تتبع قرية دير علي، ناحية الكسوة، محافظة ريف دمشق، وتقع في سهل خصيب. ويشرف عليها تل «أبو قناص»، وتبعد عن دير علي ٣كم.

(٢٥٨) قرية الخيارة: في غوطة دمشق الشرقية، تتبع قرية بلاطة، ناحية المليحة، محافظة ريف دمشق، وتبعد عنها عشرة كيلومترات، وإلى غربها طريق مطار دمشق الدولي.

من إخوانه أبناء دمشق، كان من بينهم: سعيد الأظن، وعبد الوهاب العرجا، وخليل بصلة وغيرهم، حيث انتُدبوا للقيام بمهمة الكشف والاستطلاع على مراكز الفرنسيين، ثم عادوا بعد أن تحقق لهم بأن دوريات العدو تخرج يوميًا من دمشق، لتستطلع قوات الثوار، وتتجول في قرى الغوطة ثم تعود تحت ستار الظلام، ولما علمت السلطات الفرنسية بوجود حملة المجاهدين في قرية (الخيارة)، حلّقت الطائرات الفرنسية فوق القرية وأمطرتها وابلا من قذائفها، ونيران رشاشاتها، فاستُشهد سالم الأطرش، ومحمد البربور من زعماء جبل العرب كما استُشهد بعض الأهالي. وبالرغم عن تلك الغارات الجوية، ومقذوفات المدفعية البريّة، فقد بقي المجاهدون بضعة أيام يتجولون في قرى «الخيارة» و«عقربا»[٢٥٩] و«يلدا» و«بابيلا» و«دير العصافير»[٢٦٠]، حيث لقوا من أهلها كل مناصرة ومؤازرة.

ثم سار المجاهدون في فرقتين، الأولى بقيادة زيد الأطرش شقيق القائد العام، يساعده الضابط فؤاد سليم وحمزة الدرويش، والفرقة الثانية بقيادة صياح الأطرش، وقادة من شيوخ الجبل يرافقهم المجاهد نزيه المؤيد العظم وإخوانه من الدمشقيين، فمرّت بقرية (القدم)[٢٦١] بالقرب من موقع الثكنة العسكرية، ثم واصلت السير إلى قرية (داريا)، ومنها إلى قرية (صحنايا)[٢٦٢]، حيث أزمعوا على قضاء بقية الليل بين غياض صحنايا والأشرفية، وفي الصباح اليوم التالي وجدوا أنفسهم في مواقع خطرة، إذ كانوا بين قلعة المزة التي تطل عليهم، وبين المطار الفرنسي الحربي - في المزة – الواقع على مقربة منهم. فأخفوا خيولهم بين الأشجار، وتحصّنوا خلف استحكامات طبيعية لمجابهة الطوارئ.

موقف أهالي قرية [صحنايا] من الثورة:

ومن المؤسف حقًا أن ينقسم الأهالي في بلدة (صحنايا) إلى فريقين: فريق مؤيد للثورة، وآخر ضد الثورة حيث تجمهر شبّانهم فوق أسطحة منازلهم، وأخذوا يهددون المجاهدين لمنعهم من الدخول إلى قريتهم، وكاد يحدث

---

(٢٥٩) عقربا: قرية في غوطة دمشق تتبع ناحية ببيلا، وتبعد عن دمشق ٤كم. يروّيها نهر العقرباني أحد فروع نهر بردى والمنسوب إليها.

(٢٦٠) دير العصافير: قرية في الغوطة الشرقية، تتبع ناحية المليحة وتبعد عنها ٣كم.

(٢٦١) القدم: حيّ يقع جنوبي مدينة دمشق، تُنسب تسميتها إلى أثر قدم الرسول الموجودة في مسجدها العسالي، وكانت تقام عند (جامع العسالي) وداع قوافل الحجاج عن طريق البرّ، وفيها محطة القدم للسكك الحديدية.

٢٦٢) صحنايا: قرية من قرى غوطة دمشق، تابعة لناحية «داريا»، وتبعد عنها ٣كم، وعن دمشق ١٢كم. تقع في أرض سهلية من غوطة دمشق، وتجاورها منطقة قطنا وداريا.

الصدام بين الفريقين لمنعهم من التصدّي للثوار، وخشي قادة الثوار أن تقع المذابح بين الأهالي، فتلافوا الأمر بالحكمة، ورابط المجاهدون خارج القرية، ومع ذلك فقد تطوّع بعض الخونة بتقديم الأخبار، والتجسس على الثوار للسلطات الفرنسية في مطار المزة، وأرشدوهم عن مواقع المجاهدين، وبعد ذلك حلّقت الطائرات فوق تجمعاتهم، وبدأت تقذف مواقعهم بالقنابل المحرقة والمدمرة طيلة اليوم، ولكن الله حفظهم فلم يصب أحد من الثوار بأذى أو بسوء. وعند المساء سارت الحملة إلى إقليم البلاّن. حيث تسلق المجاهدون سفوح جبل الشيخ في طريقهم إلى قرية «عرنة»[٢٦٣]، فاستقبلهم أهلها بالترحاب، ثم تابعت كوكبة من الثوار مسيرها إلى قرية مجدل شمس، وكان قائدها قد سبقهم إليها، حيث كان ينتظر قدوم كوكبة الثوار الأخرى بقيادة صياح الأطرش.

ثمّ حلّقت الطائرات الفرنسية فوق قرية مجدل شمس وقذفتها بنيرانها، غير أن بعض المجاهدين - الذين كانوا خارج المنازل - أصلوها نيرانًا حامية، مما اضطرها لتفريغ حمولتها من القنابل على غير هدفها، فعادت إلى مراكزها بعد أن هدمت بعض منازل مجدل شمس ولكن دون أن تحقق هدفها، وفي اليوم التالي استطاع المجاهدون أن يسقطوا طائرة فرنسية وما لبثت أن التهمتها النيران.

كما حدثت معارك أخرى مع الفرنسيين في «وادي التيّم»، الذي يضم راشيا وجديدة مرجعيون، والقرى التابعة لها بالإضافة إلى حاصبيا، تلك المنطقة الواسعة التي سلخها الجنرال «غورو» عن سورية، وضمّها إلى جبل «لبنان الصغير»، وذلك عقب احتلاله سورية فاتحًا عام ١٩٢٠م – مكتفيًا بعرض نماذج منها.

كنت مرافقًا لشهيد العروبة والإسلام المرحوم سعيد العاص، ومعه رؤساء عصابات المجاهدين من أحياء دمشق، كالعمارة وحيّ الميدان أذكر منهم: أبو عبده ديب الشيخ والشيخ محمد الأشمر وإبراهيم آغا[٢٦٤]سكر وأبو قاسم الدرخباني وتوفيق هولو حيدر وابن أخيه مصطفى حيدر وحسن الزيبق، وغيرهم. وكان «أبو سعاد» القائد سعيد العاص يود مقابلة سلطان باشا

(٢٦٣) عرنة: قرية تقع في أحضان جبل الشيخ، وتتبع منطقة قطنا، محافظة ريف دمشق. وتبعد عن مدينة قطنا ٣٠كم، وتتفجر من حولها الينابيع العذبة، وتشتهر بالتفاح.

(٢٦٤) الآغا: لقب تركي معناه «الأخ الأكبر» «الرئيس» «الشيخ»، وقد تعني «السيّد». أُطلق على الأمراء من الأتراك العثمانيين، وجمعُه «أغوات»: وهذا اللقب كان يطلق على كبار القوم. كما كان لقب (الآغا) يُطلق على قائد «الانكشارية» في تركيا، وخصيان القصور السلطانية، وصغار الضباط.

الأطرش من أجل تجديد الثورة في مناطق: «الدنادشة» و«الجعافرة»، والبعض الآخر من الزعماء يودّ الحصول على الخرطوش بأي ثمن، وبعض الزعماء يودّ الاجتماع برئيس اللجنة المالية من أجل مدّ الغوطة بالمال اللازم، شأن الحال في الجبل، حيث كان «رشيد باشا طليع» يوزّع على ثوار الجبل ثلاث ليرات ذهبية لكل مقاتل.

وبينما كنا في طريقنا إلى المقرن إذ بَلَغنا أن شيخ العقل المدعو «الشيخ أحمد الهجري» سيعقد لأبناء طائفته اجتماعًا عامًا في قضاء «شقا»[٢٦٥]، من أجل إبلاغهم عن مقدار الغرامة الحربية التي فرضتها السلطات الفرنسية في السويداء، مقابل قبولها لاستسلام الثوار، فطلبت من الشهيد «أبي سعاد» محمد سعيد العاص، أن يذهب إلى قرية «شقّا» لحضور ذلك الاجتماع عسى أن يحول دون وقوع هذه الكارثة، فأجاب أن لا أمل في المجتمعين أن يجدّدوا الثورة، ولما استصوب معظم الإخوان رأييّ، كُلّفت أن أحضر هذا المؤتمر باسم زعماء الغوطة والشمال، وبتفويض موقّع بأسمائهم هذا نصه: «نحن الموقعين في ذيله أدناه، قادة وزعماء الغوطة والشمال، قد فوّضنا المجاهد جميل شاكر الخانجي (سكرتير المجلس الوطني للثورة السورية في الغوطة وضواحي دمشق) وبصفته رئيسًا لقلم الاستخبارات والدعاية للثورة السورية، أن يبلّغ إخواننا المجتمعين في «شقا» تحية إخوانهم، وأن يشرح لهم الأوضاع الحاضرة في المناطق الثائرة، والتي اتسع نطاقها في الشمال والغرب في وادي التيّم وغيره من المناطق».

ولما وصلت إلى مضافة أبي يحيى «محمود كيوان»، سألته عن محمد عز الدين بك الحلبي فأجاب: أنه في منزل فضل الله باشا الهنيدي، فذهبت إليهما وأطلعتهما على نص التفويض الذي يحقّ لي بموجبه أن أتكلم باسمهم، شارحًا لهم أوضاع المجاهدين في الغوطة والشمال، وسائر المناطق الثائرة فوافق محمد عز الدين بك الحلبي على الفكرة، وطلب تأجيل الحديث حتى يفرغ زعيم المقرن الشمالي شيخ العقل أحمد الهجري - بصفته الزعيم الروحي - من مهمته التي انتدبه إليها الجنرال «اندريا» المقيم في السويداء. وكانت خلاصة شروط الاستسلام: هي أن يدفع أهل المقرن الشمالي عشرين ألف

---

(٢٦٥) شقّا: بلدة تقع في القسم الشمالي من جبل العرب، وتتبع منطقة شهبا في محافظة السويداء. وتقع فوق مرتفع صخري، فوق أرض منبسطة خصبة، بالقرب من مدينة شهبا. مساكنها مبنية بالحجارة البازلتية تجاورها ناحية «الصورة» من الشمال، ومحافظة دمشق من الشرق، وناحية قرى مركز شهبا من الغرب وتضم بلدة «شقّا» عشرة قرى، وكانت عاصمة منطقة «سكة» في عهد «الصفئيين» وسكت النقود باسمها، ولا يزال فيها آثار العصور التاريخية، وما بقي منها يعود إلى العهود النبطية، والصفئية، والرومانية، والبيزنطية، والعربية والإسلامية، من مقابر ومعابد وأديرة وأبراج.

ليرة ذهبية مع تسليم تسعة آلاف بندقية.

وبعد أن جرت مناقشة حادة بهذا الصدد، لمحاولة تخفيض هذه الغرامة الحربية إلى أقلٍ من نصفها، تكلم فضل الله باشا الهنيدي مع محمد عز الدين بك الحلبي قائلاً له: يجلس هنا بجانبي مندوب عن زعماء الغوطة والشمال، يريد أن يتكلم باسمهم بحديث هام، فسأله الحلبي: هل لديه تفويض بذلك؟ أجابه نعم وهنا سلّمه كتاب التفويض وقرأه على الجميع، وعندئذ سُمح لي بالكلام: أبلغت المؤتمرين تحية إخوانهم المجاهدين، وحدثتهم عن اتساع نطاق الثورة السورية في حاصبيا وراشيا ومرجعيون، وسائر أقاليم البلاد ووادي التّيم، وأن عشائر السردية[٢٦٦] والموالي والجعافرة والدنادشة سيشتركون ثانية بالثورة، وهم ينتظرون وصول الذخيرة اللازمة لهم لمواصلة القتال، ثم عددّت لهم فظائع المستعمرين حينما ضربوا بعض أحياء دمشق، كالميدان والشاغور والقنوات بقنابل المدافع الثقيلة، فدمروا معظم منازلها وأنّ كلّ ذلك يهون في سبيل الحرية وتحرير الأمة من ربقة الاستعمار وقلت: إن أمهاتكم قد ولدتكم أحرارًا، ولم تألفوا العبودية والمذلة والخنوع للأجنبي. ومهما كان حجم التضحيات في سبيل الذود عن حياض الأوطان، فهي قليلة بجانب الكرامة والحرية والعزّة القومية، حتى نعيش أعزاء سعداء أحرار، وختمت خطابي بالقول المأثور: فالمنيّة ولا الدنية، اطلبوا الموت توهب لكم الحياة، وذكّرتهم بقول خالد بن الوليد حينما حضرته الوفاة: لقد حضرت زهاء سبعين زحفًا، وما في جسمي موضع إلا وفيه طعنة سيف أو رمية رمح، وهاأنا أموت على فراشي رغم أنفي، فلا نامت أعين الجبناء، وردّدت قول أبي الطيب المتنبي المشهور:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

وقلت: عهدي ببقايا السيوف من آل معروف، يلقون بأنفسهم إلى ساحات الشرف والمجد والفخار، ولا يقبلون بالذلّ والعار والاستسلام للأعداء، والسلام على كل مجاهد بطل مغوار.

فما كان من شباب الجبل المجتمعين، إلا أن قاموا بإطلاق نيران بنادقهم، ورموا عقالهم في الهواء، علامة على رفضهم للاستسلام وعزمهم على مواصلة القتال، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا.

ولما عاد القائد العام سلطان باشا الأطرش مع رشيد باشا طليع من منطقة

(٢٦٦) السرديّة: عشيرة تُعرف باسم عشيرة (العون) إحدى عشائر جبل العرب في السويداء، وهم غير عشائر (العون) الذين ينتسبون إلى (بني سعيد).

الأزرق، واطّلعا على نتائج اجتماع «شقا»، وقرارات الثوار المتعلقة بتجديد الثورة، ومصادرة مال كلّ من يتخلّف بالدفاع عن الوطن. عاد السرور إليهما وأبديا ارتياحهما، بل وابتهاجهما من هذه النتيجة غير المنتظرة، «وقدّما كلمة شكر، وتحية خاصة» للذين ساهموا في الاجتماعات واتخاذ القرارات.

وبسبب موقفي هذا الذي قلب الاستسلام إلى استبسال وأدّى إلى مواصلة النضال والقتال، حكم عليّ الفرنسي المحتل بالإعدام مع مصادرة الأموال والممتلكات «حكمًا غيابيًا»، وذلك في شهر آب سنة ١٩٢٦م، لكوني رئيسًا لقلم الاستخبارات والدعاية للثورة. وهذا أعظم وسام تقدير من عدو تحكّم بشؤون البلاد والعباد.

ولكن بعد أن تم للفرنسيين في عام ١٩٢٧م إخماد الثورة في الجبل، اضطر سلطان باشا الأطرش وعائلته وأعوانه، الانتقال إلى الأردن ثم إلى الحجاز، حيث أقام مع جماعته في (وادي السرحان) في «قريات الملح»، وقد أقاموا فيها ما يقرب من عشر سنوات صابرين على البلاء، وشظف العيش ما لا يحتمله إلا من حملوا الدعوة إلى الحرية، ورفعوا راية الكرامة في سبيل الوطن، ولسان حالهم يردّد قول الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وأن ضنّوا علي كرام

وبعد مفاوضات عسيرة مع المحتلين، انتهت بالمعاهدة الفرنسية - السورية، صدر العفو العام، وعاد سلطان باشا إلى عرينه المهدّم، بعد أن أقيم له احتفال كبير في عمّان، تبارى فيه الشعراء والخطباء، في تعداد ما قام به من أعمال مجيدة وتضحيات، كما استقبله أبناء دمشق استقبال المحرّرين الفاتحين، والأبطال المجاهدين الغرّ الميامين.

وقد امتاز سلطان باشا عن غيره من الزعماء، بأنه يحمل القيم العربية التي افتقدناها اليوم، ويتصف بالشمم، والإباء، والعزة، والكرامة، ونظافة اليد واللسان، ونزاهة الضمير والمحافظة على المبادئ والتقاليد العربية الأصيلة وإلى جانب هذه القيم، كان جمّ التواضع، ولا أدل على عزّة نفسه، وثباته على مبادئه ما ذكره المرحوم حقي بك العظم - حاكم دولة دمشق - في مذكراته: أن بهيج الخطيب[٢٦٧] كان في مكتب الجنرال «كاترو» عندما

(٢٦٧) بهيج الخطيب: من قرية شحيم في لبنان، جاء به الشيخ تاج الدين الحسني عندما تسلّم رئاسة الوزراء المؤقتة، وعهد إليه مهمة التفتيش الإداري. كلّفه المفوض السامي بتولي مجلس المديرين، بعد أن أعلن إلغاء المجلس النيابي وتعليق الدستور، وقد أعطيت له جميع مظاهر رئاسة الدولة، فكان يضع العلم السوري على سيارته، ويُستقبل ويُودّع في دار الحكومة بالتحية العسكرية، يؤديها له فصيل من الدرك المخوّل بالدفاع عن

قام بإبلاغ سلطان باشا قرار إطلاق سراحه في أوائل عهد الانتداب، وقال الجنرال لسلطان باشا: أن الحكومة الفرنسية تمنّ عليه بحريته، وأن فرنسا تمنحه وتقدّم إليه ألف ليرة ذهبية، تعويضًا مناسبًا لقاء ما تعرّض له منزله من دمار، وما لحق به من أضرار، بيد أن سلطان باشا أبت عليه عزّة نفسه، وكرامته أن يمد يده لمصافحة العدو الذي احتل وطنه، ورفض أن يأخذ المبلغ المقدّم إليه مع أنه في أمسّ الحاجة إليه، وهكذا خرج بعد مقابلة (كاترو) دون أن يودّعه بكلمة شكر، وهنا قال الجنرال لحقي بك العظم وبهيج الخطيب: إنني لم أر في حياتي مقابلة ضمتني مع إنسان كهذا الذي أبى أن يوجّه إليّ كلمة شكر على إطلاق سراحه، أو أن يمدّ يده لمصافحتي. والفضل ما شهدت به الأعداء

وروى بعضهم أن سلطان باشا الأطرش حينما كان في واحة «الأزرق» يعاني أشدّ أيام البؤس والشقاء مع عائلته وأفراد عشيرته، جاءه أحد القادة الإنكليز، وعرض عليه باسم حكومته المال والقصر المفروش، لقاء تنازله عن تجديد الثورة. فأبى هذا العرض المغري. وهكذا تكون النفس الأبيّة وكذا يكون الزعيم العربي المثالي الذي تمرّد على الظلم، وصبر على تقلبات الدهر، الذي قلب له ظهر المجن، فلم يتسرّب اليأس إلى قلبه، وبقي صامدًا كالجبل الأشم.

هكذا كان القائد العام للثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش[٢٦٨]، بطلاً قوميًا من أبطال الوطن ورمزًا من رموز الأمة أعاد الألق للقيم والمثل العليا المنسية والمهملة في وجداننا القومي، وذاكرتنا الوطنية وعزّز آمال الأمة في النصر والاستقلال.



●●● وأنا أقول...

قامت اليابان بالاعتذار عن فترة الاستعمار الذي فرضته الدولة اليابانية قديمًا، وما قاسته تلك الشعوب من «رعونة» و«قسوة» حكّام تلك الفترة المظلمة التي مرت على العالم.

بقي أن تعتذر الدولة الفرنسية، لشعب سورية، عن تلك الفترة الاستعمارية،

سلامته، كما كان يستقبل كبار موظفي الدولة.

(٢٦٨) انتقل سلطان باشا الأطرش إلى جوار ربه، في السادس والعشرين من آذار ١٩٨٢م، بعد رحلة حافلة بالنضال الوطني، وأُقيم له حفل تأبين كبير ونُصب تذكاري.

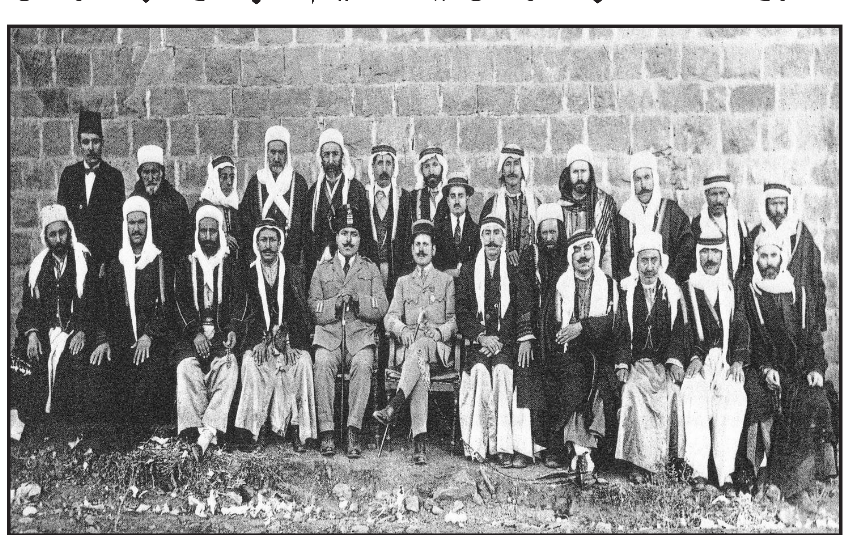
التي فرضها «الانتداب» الفرنسي في فترة العشرينات وحتى منتصف الأربعينات من القرن الماضي، والسياسة الاستعمارية الرعناء التي مارستها قوى سياسية متعصبة متشددة حيث كان المتشددون في وزارة الخارجية الفرنسية، يُعبّرون عن رؤية استعمارية فظّة، وسياسة اقصائية للشعب، وكمَّ أفواه المعارضين، مستقوين بالقوة العسكرية، دون قبول حقّ المعارضين بالمشاركة في الحياة السياسية، والتي فَرَضتّها عقلية استعمارية، توهمت أن لها دورًا «استثنائيًا» في العالم، متكئة على «تفويض» من عصبة الأمم «لاستخلاص» حق الشعوب في حكم نفسها، وفرض «هيمنة» وهيبة «المُنتدبين»، لتصريف منتجاتهم على الشعوب المستعمَرَة، وسلب خيراتها وكانت نتائجها مؤلمة لشعبنا.

فهّلا تعتذر تلك الدول الاستعمارية لشعوبنا، عن تلك الآلام والصعاب التي سببتها لأمتنا ووطننا، في خطوة ناضجة ومسؤولة.

ورغم أن «الاعتذار» لا يُعيد الحياة للذين استُشهدوا ولا يكفي وحده، إلا أن الدولة التي تسببّت في جرائم الإبادة عليها الاعتذار للاعتراف بأخطاء مارسها العنصريون المتشددون من أبنائها وعليها أن تدفع ثمن هذه الأخطاء، التي هي في نظر القانون «جرائم حرب».

ورغم مرور عشرات السنين دون الاعتراف بالخطأ فقد حان الوقت لمطالبة المسؤولين بالاعتذار للشعب في سورية، عن جرائم القتل التي مارسها الجيش الفرنسي المحتل وإرهاب مواطننا خلال ربع قرن.

لقد دمّر الفرنسيون بنية الوطن التحتية، وقتلوا وشردوا عشرات الآلاف من الأُسر. وعليهم «الاعتذار» للشعب في سورية، عمّا سبّبته حربهم المجنونة، من آثار مدمّرة على مستقبل أجياله ولن يشفى الجرح النازف الذي سبّبه الغزو لأنه أصاب الوطن في صميم قلبه وقلب الوطن هو تاريخ الأمة.



ثوار جبل العرب





بهيج الخطيب



الشهبندر يحتضن سلطان باشا



سلطان باشا الأطرش



فريق من زعماء الثورة في(قريات الملح): يتوسطهم سلطان الأطرش وإلى يساره الشيخ محمد الأشمر فعبد القادر آغا سكر وإلى يمينه صالح الصمادي فسعيد العاص ثم حسن رعد

القائد يوسف العظمة

ورفاقه في الجهاد

(١٨٨٤-١٩٢٠م)

رغم دموية الحرب المفروضة علينا إلا أن قَدَرَنا أن ندافع عن وجودنا، هم يقاتلون الشعوب لامتصاص دمائها واستعمارها، ونحن نقاتل من أجل أن ندافع عن وطننا. وشتّان بين مَنْ يدافع عن حريته ووجوده، وبين مَنْ يسلب الشعوب قوتها وحريتها.

ويوسف العظمة عاشق لوطنه مُغرم مدنف لا يقوى على فراقه عَشقَ الوطن عشقًا مَلَكَ عليه قلبه وجنانه ولبّه بقي حب الوطن في ذاكرته ولم يفارقه أبدًا لهذا هوى على الأرض ليقبّل الثرى، وذرّات تراب الوطن.

هنيئًا لك يا روابي ميسلون[٢٦٩] بوجود هذا المجاهد في ترابك، إنه إنسان بحجم أمة ووطن فهذي دمشق بربوتها وغوطتها وأسوارها، وأوابدها التاريخية وإرثها الحضاري دمشق بمساجدها وكنائسها ومدارسها وأحيائها وحاراتها وبيوتاتها ومنازلها وأزقتها أحال المغتصبون كل شيء فيها إلى أطلال نازفة بالخراب، وسكانها إلى مُطارَدين مشيّعين بالقهر والضياع.

والقائد يوسف بن إبراهيم بن عبد الرحمن العظمة، بطل من أبطال الأمة ورمز من رموزها وقائد من قادتها ومدافع عن شرفها وعزّتها دَخَل التاريخ من أوسع أبوابه، وخلّدته بطولاته وتضحياته التي سطّرها بدمائه الزكية، في معركة الشرف والكرامة معركة ميسلون المشهورة، وبذلك ضرب للأمة العربية وخاصة لشبابها الصاعد أروع الأمثال، حيث ضحّى بحياته في سبيل وطنه وقوميته العربية[٢٧٠]- والجود بالنفس أقصى غاية الجود - فهو حيّ في قلوب

---

(٢٦٩) ميسلون: ضاحية تتبع ناحية الديماس، منطقة الزبداني، في محافظة ريف دمشق. تقع في منخفض يمتد بشكل متطاول بين جبلي «سعيدة» في الشمال، و«الحصحاص» في الجنوب، وهما في النهاية الجنوبية لسلسلة جبال لبنان الشرقية. ويُعتقد أن تسميتها آرامية، وقد عُرفت عند الفتوح الإسلامية باسم «رابية الشهداء» ذلك لأن مجموعة من المقاتلين استُشهدوا فيها يوم فتح مدينة دمشق. جرت فيها «معركة ميسلون» بين الجيش العربي بقيادة يوسف العظمة، والجيش الفرنسي بقيادة الجنرال «هنري غورو» في صباح ٢٤ تموز ١٩٢٠م. واستُشهد فيها وزير الحربية يوسف العظمة، ودفن هناك في سفوح رابية من روابي ميسلون، غرب دمشق على الطريق المؤدية إلى لبنان.

(٢٧٠) قامت القيادة العامة للجيش – الإدارة السياسية – في ٢٣ نيسان ٢٠٠١م، بإحداث متحف في بيت الشهيد يوسف العظمة الذي غادره إلى ساحة المعركة في ميسلون. ويقع البيت في حي المهاجرين طلعة الباش كاتب. وتضم لجنة المتابعة: مدير الإدارة السياسية رئيسًا وعضوية اللواء المتقاعد أحمد يوسف، والعقيد عدنان الأبرش مدير المتحف الحربي سابقًا، والمؤرخ الدكتور إحسان هندي والأديبة الدكتورة ناديا خوست.

أحرار البلاد المخلصين، كما هو حيّ عند رب العالمين:
[وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ]
[سورة البقرة: ١٥٤]
[وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ❖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] [سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠]

مولده ونشأته:

ولد البطل يوسف العظمة في حيّ الشاغور(٢٧١) في مدينة دمشق، في التاسع والعشرين من أبريل / نيسان سنة ١٨٨٤م، من أسرة كريمة اشتهرت أرومتها بالوجاهة والأصالة وتوفي والده ولم يكمل السادسة من عمره، فتكفّل بتربيته شقيقه الأكبر «عزيز». وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية، انتقل إلى المدرسة الرشدية - التي تؤهل طلابها للدراسة العسكرية - عام ١٨٩٣م، ثم أكمل تعليمه في المدرسة الإعدادية العسكرية عام ١٨٩٧م، «وكان مقرّها جامع تنكز(٢٧٢)»، ثم انتقل عام ١٩٠٠م للدراسة الحربية التحضيرية (قله لي) في مدينة «اسطنبول»(٢٧٣). ودخل المدرسة الحربية العالية (حربية شهانة) عام ١٩٠١م، حيث تخرّج برتبة (ملازم ثان) عام ١٩٠٣م، ثم رقّي إلى رتبة (ملازم أول) عام ١٩٠٥م، وإلى رتبة (نقيب) عام ١٩٠٧م.

أدّى دورة «أركان حرب» في اسطنبول، وقد تخرّج من الكلية الحربية العليا في الأستانة عام ١٩٠٦م، برتبة رئيس (يوزباشي) أركان حرب، وحاز على «وسام المعارف الذهبي» واختير على أثرها معاونًا للقائد الألماني «ويتغرت باشا».

وتنقل يوسف العظمة في مختلف قطعات الجيش، إلى أن عمل مدربًا مساعدًا في مدرسة أركان حرب في «قصر يلدز»، وكان معاونًا لقادة عسكريين أتراك، مشهورين بالكفاءة العسكرية، أمثال «أنور باشا» و«حلمي باشا».

---

(٢٧١) حي الشاغور: أحد أحياء دمشق القديمة داخل السور القديم، في القسم الجنوبي منها، وما يزال يحمل نفس اسم «محلة الشاغور» حتى اليوم.

(٢٧٢) تَنْكز: هو الأمير الكبير، العالم العادل «سيف الدين تَنْكِز» – ويلفظها العامة دنكز – تولى السلطنة في العهد المملوكي في دمشق (يوم الخميس في العشرين من ربيع الثاني ٧١٢هـ(، وترك في دمشق بصمات عمرانية مازالت ماثلة إلى اليوم. وبقي نائبًا للسلطنة بالشام (٢٨ عامًا)، عُزل بعدها وألقي القبض عليه بمكيدة من نائب عكا، وأعدم في سجن الإسكندرية عام ٧٤١هـ. ثم أرسلت جثته لدمشق التي أحبها، ودفن في التربة اللصيقة بمسجد تنكز الذي بناه. «في شارع النصر مقابل مبنى سكة حديد الحجاز».

(٢٧٣) اسطنبول: وتعرف بـ«الآستانة» كبرى المدن التركية، وتقع على الجانب الأوروبي من «البوسفور» وبحر مرمرة. أنشئت عام ٦٦٠ ق.م، وكانت تعرف بـ«بيزنطة». أعاد الإمبراطور قسطنطين الأول بناءها عام ٣٣٠م، واتخذها عاصمة له وسماها على اسمه «القسطنطينية». ثم أصبحت عام ٣٩٥م عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، إلا أن السلطان العثماني محمد الفاتح استولى عليها عام ١٤٥٣م، وجعلها عاصمة الإمبراطورية العثمانية.

ثم أُوفد يوسف العظمة، من قِبل الدولة العثمانية عام ١٩٠٩م، في بعثة عسكرية دراسية (أركان حرب عليا)، ليكمل تدريبه العملي على الفنون العسكرية في ألمانيا. وكان قد عُيّن ملحقًا عسكريًا في المفوضية العثمانية بالقاهرة قبل إندلاع الحرب.

كما اشترك في المعارك الحربية وقتئذ في جبهات بلغاريا، وغاليسية، ورومانيا بصفته رئيسًا لأركان حرب الفرقةً العشرين، ثم رئيسًا لأركان حرب الجيش العثماني في جبهة البلقان والقوقاز وشبه جزيرة القرم[٢٧٤] عام ١٩١٢م، فرئيسًا لأركان حرب الجيش الأول في الأستانة (اسطنبول).

وفي جبهة القفقاس، عمل يوسف العظمة «رئيس أركان حرب» للفيلق التركي الأول، الذي تمكّن من الدفاع عن «الدردنيل»[٢٧٥]، بكل شجاعة وبسالة حتى نهاية الحرب.

وعند تشكيل الحكومة الفيصلية في دمشق، استقال من الجيش التركي والتحق بالقوات العربية، وعمل ضابط ارتباط للجيش العربي في بيروت.

وفي العهد الفيصلي، كانٍ يوسف العظمة مرافقًا للأمير فيصل بن الحسين - وذلك قبل تتويجه ملكا على سورية - ثم عُيّن معتمدًا عربيًا لسورية في بيروت، كما تولى بعدها رئاسة أركان الحرب العامة برتبة قائمقام في دمشق.

وبعد إعلان الملكيّة في سورية، عُيّن رئيسًا لأركان حرب القوات العربية الفيصلية بعد ترقيته إلى رتبة «عميد».

وعند تشكيل أول حكومة وطنية في سورية، تقلّد منصب وزير الحربية سنة ١٩٢٠م،بعد إعلان ملكية الأمير فيصل و تتويجه ملكًا على سورية، في الثامن من آذار سنة ١٩٢٠م.

وهكذا أصبح يوسف العظمة أول وزير للحربية، في وزارة الدفاع، في أوَّل

---

(٢٧٤) القرم: شبه جزيرة تطل على الساحل الشمالي للبحر الأسود. كان «القرم» منذ عام ١٩٤٦م: من الأقاليم التابعة لجمهورية روسيا السوفياتية، إلا أنها ضُمت عام ١٩٥٤م إلى جمهورية أوكرانيا. وكانت قد قامت بالقرم منذ القرن الخامس عشر، دولة إسلامية عُرفت بدولة «خانات القرم»، دام حكمها أكثر من ثلاثة قرون، وتدين بالولاء للسلطان العثماني. قضى عليها الروس عام ١٧٧٧م، وعملوا على تشريد وإبادة «الجنس التتري» الذي كان يمثل أغلبية السكان وهو ما عُرف بـ«مأساة القرم».

(٢٧٥) الدردنيل: مضيق يصل بحر «مرمرة» ببحر «إيجه». طوله ٦١ كيلومترًا وعرضه بين ١,٢٠٠م إلى ٦,٤٠٠م، وهو مضيق يفصل بين تركيا الأوروبية وتركيا الآسيوية. عَبَر مضيق الدردنيل الإسكندر الكبير عام ٣٣٤ق.م، لمقاتلة ملك الفرس «داريوس الثالث»، كما عبره السلطان محمد الفاتح عام ١٤٦٢م وحصّنه، وكان اسمه القديم «هلّيسبونت». وتزداد أهمية مضيق الدردنيل الاستراتيجية باعتباره المنفذ الوحيد إلى البحر الأبيض المتوسط، للقادمين من البحر الأسود ومرمرة.

حكومة[٢٧٦] وطنية رأسها هاشم الأتاسي، في الثلاثين من مايو / أيار ١٩٢٠م.

معركة ميسلون:

خلال توليه وزارة الحربية، عكف يوسف العظمة على إعداد جيش، يزيد عن عشرة آلاف جندي نظامي، درّبهم أحسن تدريب على الأساليب العسكرية الحديثة، ومن المؤسف حقًّا أن يُسرّح ذلك الجيش الفتيّ بعد إنذار الجنرال غورو للملك فيصل الأول، وذلك في مقدمة الشروط التي اشترطها عليه في إنذاره الشهير.

وغني عن البيان بأن المعركة التي خاضها بضع مئات من جنود تطوعوا مع المتطوعين من الأهالي، الذين ينقصهم النظام والتدريب العسكري، هي في الحقيقة معركة غير متكافئة مع جيش نظامي، مجهّز بجميع أنواع الأسلحة الفرنسية، وبما لا يقاس عليه من حيث التفوق العسكري عددًا وعدة.

ولا بدّ من ذكر بعض التفاصيل الإجرائية التي تمت قبل معركة ميسلون. إذ عقد المجلس الحربي اجتماعًا برئاسة الملك فيصل، ليبحث التقرير الذي أعدّه «ياسين الهاشمي» - من رئاسة الأركان - عن قدرات الجيش العسكرية. وقد حضر الاجتماع الطارئ: ياسين الهاشمي، وأحمد اللحام، ومصطفى وصفي السمّان، وشريف حجّار، ومصطفى نعمت، وحسن الصبّان، وعارف التَّوّام.

وقد جاء «التقرير» مخيّبًا لآمال الجميع ثم عقد مجلس الوزراء اجتماعًا برئاسة الملك فيصل، في السادس عشر من تموز ١٩٢٠م، لبحث مسألة قبول إنذار «الجنرال غورو» أو رفضه.

وانقسمت آراء المجتمعين إلى قسمين ثنائية الرفض والقبول أو انتهاج سياسة التفاهم لكن يوسف العظمة، بقي مصرًّا على رفض الإنذار.

ولم يُعطِ «المؤتمر الوطني»، بعد الاجتماع الاستثنائي الذي عقده في قصر الملك فيصلَ، رأيًا حاسمًا حتى لا يجازف بمصير الوطن.

عندها عقدت الحكومة التي يرأسها هاشم الأتاسي، - «رئيس المؤتمر السوري» - بكامل أعضائها اجتماعًا استثنائيًا آخر، برئاسة الملك فيصل في الثامن عشر من تموز وقررت قبول الإنذار.

وأصدر يوسف العظمة أمرًا بتسريح الجيش، وهو في أشد حالات اليأس، آمرًا بعودة القطعات العسكرية من «مجدل عنجر» إلى دمشق.

(٢٧٦) الحكومة التي شُكلّت برئاسة هاشم الأتاسي «رئيس المؤتمر السوري»، ضمّت رضا الصلح (وزارة الداخلية)، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر (وزارة الخارجية)، يوسف العظمة (وزارة الحربية)، جلال زهدي (وزارة العدلية)، فارس الخوري (وزارة المالية)، ساطع الحصري (وزارة المعارف)، يوسف الحكيم (وزارة النافعة)، جورج رزق الله (وزارة الزراعة والتجارة).

وخرج الجنود من ثكناتهم ومعهم أسلحتهم، بعد أن تلقوا أمر تسريحهم، واختلطوا بالجمهور الغاضب.

في حين كانت الأخبار تصل من جبهات القتال، أن الجيش الفرنسي يتقدم نحو دمشق، كان ذلك في الحادي والعشرين من تموز / يوليو ١٩٢٠م، بحجّة أن البرقية التي أرسلتها الحكومة «بقبول الإنذار»، لم تصل الجنرال غورو.

وفي الثاني والعشرين من تموز، أرسل الملك فيصل الأول وزير المعارف «ساطع الحصري»(٢٧٧) للتفاهم مع الفرنسيين، يرافقه «جميل الألشي»(٢٧٨) - رجل فرنسا -.

لكن الجنرال المتغطرس كان قد قرّر الزحف إلى دمشق.

وتأكد الجميع أن الادعاءات الفرنسية كلها مخاتلة وهي مقدمات للحرب، وأن الفرنسيين لن يتوقفوا حتى يستولوا على دمشق ويفرضوا الانتداب وينهبوا الثروات.

وكان لا بدّ من الحرب ووقف وزير الحربية يوسف العظمة الوقفة البطولية إلى جانب فيصل، وأبدى استعداده التام للدفاع عن الوطن بكل حماسة عندها أعلن الملك فيصل «النفير العام» للدفاع عن الوطن والجهاد في سبيل الله.

في الثالث والعشرين من تموز / يوليو، دخل وزير الحربية يوسف العظمة، قصر الملك فيصل مودّعًا.

أدّى التحية العسكرية، واستأذن الملك في الذهاب إلى الجبهة، وطلب منه أن تكون ابنته الوحيدة «ليلى» في رعايته مع أمها التركية الأصل.

وفي صباح يوم السبت، الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، وقعت المأساة الكبرى! كان يوسف العظمة على موعد مع الشهادة في ميسلون.

---

(٢٧٧) ساطع الحصري: من كبار المفكرين والعلماء العرب، حمل راية العلم والتعليم. من مواليد اليمن السعيد في صنعاء عام ١٨٨٢م، حيث كان والده «هلال الحصري» رئيسًا لمحكمة الاستئناف. تخرّج من المدرسة الملكية في الآستانة عام ١٩٠٠م، واختاره الملك فيصل الأول وزيرًا للمعارف، في أول حكومة وطنية بعد جلاء الأتراك، وكان موفده الشخصي لمفاوضة غورو. انتقل مع فيصل إلى بغداد، بعد خروجه من سورية، وكان أحد أركان حكومته. قضى معظم فترات حياته متنقلاً بين دول أوروبا والمغرب العربي. له كتب كثيرة لا تُحصى حول التعليم، والقومية العربية، ويوم ميسلون. توفي في بغداد عام ١٩٦٨م ودفن فيها. سميت مدرسة ثانوية للبنات باسمه في حيّ المالكي بدمشق.

(٢٧٨) جميل الألشي: من الضباط السوريين الذين كانوا يعملون مع فيصل الأول ثم رافق شكري باشا الأيوبي، ورستم حيدر إلى بيروت، موفدين من فيصل لإعلان قيام الحكومة العربية. وعندما أمر الجنرال اللنبي إنزال العلم العربي انسحب الأيوبي، وبقي جميل الألشي في بيروت ضابطًا للارتباط بعد إعلان فيصل ملكًا على سورية، عيّن الألشي كبيرًا لمرافقيه، ثم أصبح بعد معركة ميسلون، وخروج فيصل من سورية، وزيرًا للدفاع في الوزارة التي ألفها الفرنسيون برئاسة علاء الدين الدروبي. كان الألشي مع الوفد الذي أرسله فيصل برئاسة ساطع الحصري لمقابلة «غورو» وقائد جيشه «غوابيه»، لوقف تقدّم الجيش الفرنسي نحو دمشق. إلا أنه وقع في غرام الفرنسيين.

وبينما كان يوسف العظمة يوجّه المعركة في ميسلون، أصابته قذيفة (دبابة) فرنسية معادية، فخرّ شهيدًا مضرجًا بدمائه الزكية، في ساحة المجد والشرف، وذلك في الرابع والعشرين من يوليو / تموز سنة ١٩٢٠م، وقد أُلحد الثرى في المكان الذي استُشهد فيه، في موقع ميسلون.

وفي كل عام، وفي نفس اليوم الذي استُشهد فيه، يؤم قبره المئات من أبناء سورية في مهرجان شعبي، تخليدًا لرمز البطولة والتضحية والوطنية الحقة الصادقة. وقد بلغ عدد من استُشهد معه في هذه المعركة، زهاء أربعمائة شهيد ما بين جندي ومدني.

وقد التجأ كثير من المتطوعين والجنود إلى بلدة (الزبداني)[٢٧٩] قرب مدينة (بلودان)[٢٨٠]، إثر انقطاع الطريق (بعد انتهاء معركة ميسلون مباشرة)، حيث قام الأهالي بمساعدتهم وإيوائهم وإطعامهم، أثناء ذهابهم لميسلون، وأثناء عودتهم من المعركة، كما اشترك عدد كبير من أبناء الزبداني في الثورة السورية عام ١٩٢٥ و١٩٢٦م، و أبلوا فيها بلاء حسنًا.

والواقع أَنَّ يوسف العظمة قاد "المقاومة" السورية، لمواجهة الجيش الفرنسي، الذي قدم لاحتلال بلاده، وقاتل – وهو وزير الحربية - في الخطوط الأمامية قطعات جيش العدو بضراوة، مع رفاقه المدافعين عن حرية الوطن واستقلاله، على الرغم من أن قوة المستعمرين العسكرية كانت أكبر بكثير، مع تفوّق بالعدد والعدّة.

ورغم كل الظروف التي أحاطت بالوطن، فقد تصدّى قائد الجيش الفتيّ للجيش الغازي، الذي يُعدّ أقوى جيوش العالم في ذلك الوقت.

كان البطل يوسف العظمة، على رأس هذا الجيش، يخوض المعركة من أجل كرامة الوطن، وعزّته واستقلاله.

كان الشهيد يوسف العظمة، بطلاً قوميًا، ومناضلاً ثوريًا، يحمل فكرًا وراية وبندقية.

كان شامخًا بمواقفه الوطنية. قاد معركة المواجهة الأخيرة مع العدو، وهو

(٢٧٩) الزبداني: مدينة في جبال لبنان الشرقية، تتبع ريف دمشق، وتبعد ٤٤ كيلومترًا عن دمشق، وترتفع (١١٤٠م) عن سطح البحر، وهي مركز اصطياف، يجاورها من الشمال والغرب القطر اللبناني، ومن الشرق منطقة التل، ومن الجنوب منطقة مضايا وقطنا، كان المتنزهون يصلون إليها في قطار سكة الحديد من مدينة دمشق، لكن رحلات القطار توقفت.

(٢٨٠) بلودان: مركز اصطياف هام، تتبع منطقة الزبداني، في محافظة ريف دمشق، وتطل على سهل الزبداني من ارتفاع يزيد على (٢٠٠٠م)، وتبعد ستة كيلومترات من بلدة الزبداني، كما تبعد ٥٤كم من دمشق، ويجاورها «نبع بقين» الذي يشتهر بمياهه المعدنية الهاضمة، تكلل الثلوج قمم جبالها العالية.

يعلم عدم جدواها من الناحية العسكرية، ولكن لكي لا يُقال إن الفرنسيين دخلوا دمشق دون مقاومة.

تمسك بقيم الوطن، ضد غزو همجي استهدف كيان الأمة والوطن.

كان يوسف العظمة، يمثّل روحًا حرّة، عكست قِيَم جيل كامل فقد دفعته "مواطنته" و"انتماؤه" الشديد للوطن، أن يلملمَ خيباتٍ أمل أمته، ويقود معركتها الأخيرة مع المستعمرين، ليستقر هذا "المشهد" في ذاكرة الوطن والمواطن، وضمير الأمة والأجيال إلى الأبد.

استطاع يوسف العظمة بشجاعته، أن يعطي الأمل، ويضّخ الحياة في فكر التاريخ، ويضئ الشعلة الأبدية من ضوء القمر، ويوقد النار المتأججة من قرص الشمس، ويمتطي متن الغيوم، ليُسمع أمته - وهو راحل إلى عالم الخلود- صهيل خيول فرسان المستقبل.

أما أنت يا روابي ميسلون، فقد آن لك أن تضميه.

آن لك يا أشجار ميسلون، أن تظلليه بظلك الوارف وتمنعي قرص الشمس، من أن يحرق مرقده.

سار البطل يوسف العظمة شهيدًا إلى جنات الفردوس الأعلى بإذن الله، وهو يحمل "نياشين" الموت بامتياز، ويطوّق ضمائر كل الأحرار بشموخٍ لا يُدانى، فيه اندهاش لم يألفه الأعداء.

وقبل أن يوارى الجدث، في رابية من روابي ميسلون، ترنّح قرص الشمس قبل أن يسقط خلف التلال، ليلفظ أنفاسه الأخيرة ولتتحول الرفّات إلى حديقة ورد أرجواني، بلون نجيع الدم وعبرت تلك الأرواح المسكونة بالفجيعة الدامية جسر الخلود، لتسكن من جديد في فؤاد الوطن، وتنبض لهيبًا في عروقه.

ويخاطب شاعر الوطن "بدر الدين الحامد" قائد معركة ميسلون:

يا راقدًا في روابي ميسلون أفق	جلت فرنسا وما في الدار هدّام
لقد ثأرنا وألقينا السواد وإن	مرّت على الليث أيام وأعوام
هذي الديار قبور الفاتحين فلا	يغررك ما فتكوا فيها وما ضاموا
مهد الكرامة عين الله تكلؤها	كم في ثراها انطوى ناس وأقوام
لو تنطق الأرض قالت إنني جدث	فيَّ الميامين آساد الحمى ناموا
لو فيصل عاد حيّاً بيننا فيرى	أنَّ العلوج هنا في الشام ماداموا

❖❖❖



الشهيد يوسف العظمه



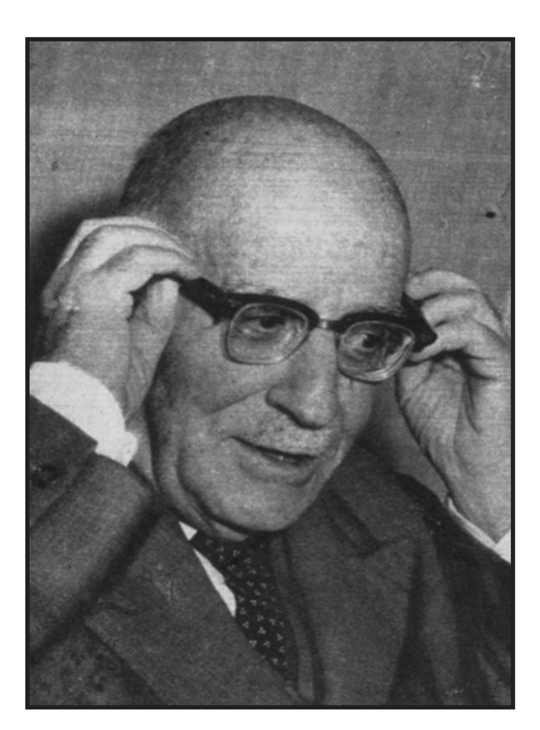
يوسف العظمة في ثياب التخرج



موقع ميسلون



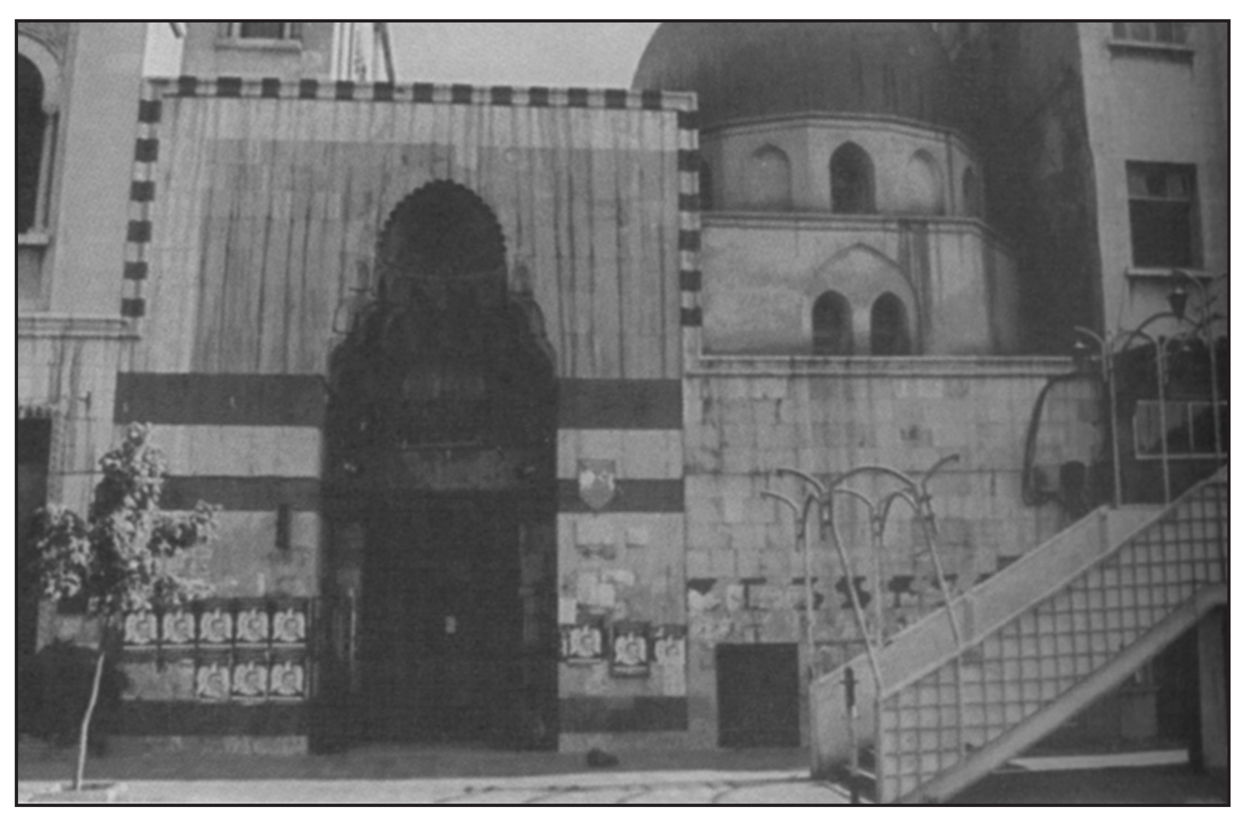
مصيف بلودان (فندق بلودان الكبير)



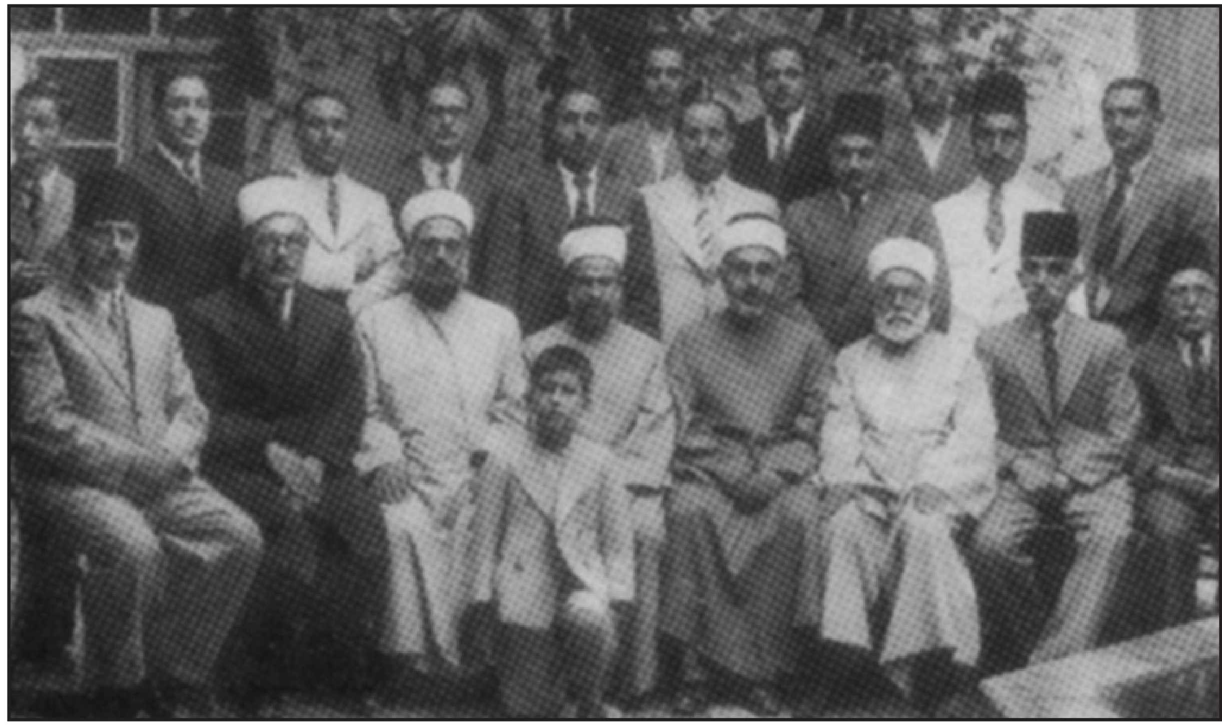
ساطع الحصري



جميل الألشي



جامع تنكز بدمشق



أعضاء جمعية التمدن الاسلامي : الصف الأول من اليمين: رشيد البقدونس - عارف التوام - الشيخ بهجت البيطار - الشيخ جميل الشطي - الشيخ أحمد دهمان - الشيخ عبد الرحيم الخاني وصدقي الكيلاني . الصف الثاني : أحمد مظهر العظمه - د. كامل شاطيط - د. أنور سلطان - عبد الله نيازي - د. ممدوح حقي - محمد عربي الأسود - خير الدين الجعفري

الشيخ عبد القادر كيوان
(١٨٧٥- ١٩٢٠م)

هو من الشهداء الأبرار، ومن كبار العلماء السوريين بل وفي مقدمتهم، وهو أحد أقارب والدي المرحوم «شاكر الخانجي» والشيخ عبد القادر كيوان بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن سعيد بك آل كيوان وهو من أسرة أصيلة عريقة غنية بالمجد والعلم والعلماء.

مولده ونشأته:

ولد شيخنا الكبير سنة ١٨٧٥م بدمشق، وتلقى تحصيله في مدارس بيروت، حيث جمع بين الثقافتين الدينية والأجنبية العصرية، وكان ملمًا باللغات التركية، والفرنسية، والإنجليزية. وقد كان شهيدنا مغرماً بالأدب والشعر، وداعية للإصلاح الاجتماعي، والتآزر والتآخي والوحدة بين الأقطار الإسلامية، كما كان يدعو السوريين لمؤازرة إخوانهم الليبيين ومدّهم بالمال والرجال، وذلك بعد اعتداء الإيطاليين على طرابلس الغرب وبرقة عام ١٩١٢م.

وكان الشيخ عبد القادر كيوان يومئذ خطيب الجامع الأموي الكبير بدمشق، ولما توفي والدي «شاكر بن عمر الخانجي» في صفر عام ١٣٢٩هجرية[٢٨١] الموافق ١٩١٠ ميلادية، نظم الشيخ أشعارًا عدّد فيها مناقب الفقيد، وأرّخ شعرًا تاريخ وفاته، حيث حُفرت على شاهدة قبره، وكذلك فعل حين وفاة والدتي «عربية بنت محمود الميداني» التي توفيت إلى رحمة الله تعالى في ربيع الأول ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.

وقد خاض شيخنا الجليل مع إخوانه العلماء أمثال «الشيخ ياسين بن المحدّث في المسجد الأموي الشيخ نجيب كيوان، والشيخ كمال بن أحمد الخطيب» معركة ميسلون، وبالرغم من انسحاب المتطوعين - بعد استشهاد وزير الحربية يوسف العظمة - فقد ثبت مع رفاقه عصبة المشايخ حتى خرّوا جميعهم شهداء في ساحة الشرف، حيث كُتبت لهم الشهادة والخلود.

---

(٢٨١) التقويم الهجري: تقويم إسلامي يعود الفضل في تأسيسه إلى الخليفة الراشد «الفاروق» عمر بن الخطاب، بعد أن توسعت الفتوحات. وقد تمّ اتخاذ «أول محرم» من عام هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة بدءًا للتاريخ الإسلامي، وصدر القرار في ١٥ تموز عام ٦٢٢م. ومجموع أيام السنة الهجرية ٣٥٤ يومًا وتعتمد على دورة القمر حول الأرض، التي يتمها في ٣٠/٢٩ يومًا كل شهر. والتقويم الهجري ١٢ شهرًا: محرم ٣٠ يومًا، صفر ٢٩ يومًا وهكذا، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذي القعدة، ذي الحجة.

ومما هو جدير بالذكر أنَّ الشهيد الشيخ ياسين ابن العلامة الشيخ نجيب كيوان، كان ضليعًا بالعلوم الشرعية والعربية، كما قام بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب. وكان في الوقت ذاته تاجرًا ميسورًا وحالته المادية جيدة، بالإضافة إلى أنه كان خطيبًا لجامع القلبقجية بدمشق، وكان قد اقترن قبل تطوعه مع عصبة الثوار واشتراكه بمعركة ميسلون بسنة واحدة بسيدة صابرة محتسبة، حيث أنجب ولدًا أسماه (فوزي)، ولما استُشهد في معركة ميسلون كان عمر ولده خمسة عشر يومًا فقط، وكان رحمه الله من أبرز الدعاة للجهاد للذود عن حياض الوطن، وقد تبرع قبل اشتراكه بمعركة ميسلون، بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية على فقراء عصبة المتطوعين، علمًا بأنه لم يصمد في المعركة إلا أولئك المتطوعة من رفاقه «عصبة المشايخ» الذين كانوا معه. وقد دفن الشيخ الشهيد عبد القادر كيوان مع صحبه في مقبرة الشهيد يوسف العظمة في ميسلون، حيث كتب لهم الخلود في هذا السفر التاريخي.

[رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ] [سورة الأحزاب: الآية ٢٣].

الشيخ ياسين كيوان
(١٨٩٣-١٩٢٠م)

ولد في مدينة دمشق عام ١٨٩٣م، في حيّ القيمرية[٢٨٢]، وهو ابن العلامة الدمشقي الشيخ نجيب كيوان.

تلقّى الشيخ ياسين كيوان علومه في مدارس دمشق، ودرس العلوم الشرعية، وحفظ القرآن الكريم، وكان خطيبًا لمسجد «القلبقجية»[٢٨٣].

اشترك في معركة ميسلون مع عصبة المشايخ، ولقي وجه ربه في المعركة، ودفن مع رفاقه الشهداء هناك في روابي ميسلون، وكتبت له الشهادة والخلود بعد أن أدّى ضريبة الجهاد من دمه.

(٢٨٢) حيّ القيمرية: أحد أحياء دمشق القديمة، شرق المسجد الأموي ويلاصقه، وضمن السور «دمشق القديمة». وكان يطلق عليه اسم «الهند الصغيرة»، للفعاليات التجارية. ويضم : مئذنة الشحم، وحي المسيحيين، وحارة اليهود، ويقع بين الشاغور والعمارة. ويُنسب هذا الحي للأمير ناصر الدين الحسين بن علي القيمري الذي توفي عام ٦٦٥هـ. وقد جاء مع فرقة من قبيلته إلى الشام، أيام صلاح الدين الأيوبي، ليقاتل مع جيشه.

(٢٨٣) القلبقجية: كان أفراد الشرطة العسكرية العثمانيون يعتمرون «القلبق» لباسًا للرأس، وهو يشبه «الطربوش» في الشكل، إلا أنه أسود اللون مغشّى بجلد «الخروف الصغير»، وقد اعتمره «الدَرَك»، والحرّاس الليليين «العسس»، كما اعتمره «متطوعة الشركس». ويقع هذا المسجد الذي أخذ تسميته من «سوق القلبقجية» «السوق الذي فَقَدَ تخصصه ببيع «القلبق» بعد بطلان استعماله»، وبقي هذا السوق على امتداد جادة سوق الحرير باسم (جامع الحجازية)، وقد بُني في عهد السلطان نور الدين الشهيد زنكي عام ١١٦٠م.

وجميع المسلمين يؤمنون أَنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، ومَنْ قتل في سبيل الله كان في عداد الشهداء. والجهاد في سبيل الله يشنّ دفاعًا عن ديار الإسلام، وحماية لها إذا هددها العدو أو اعتدى على الثغور. وتكون الحرب مفروضة على المسلمين في كتاب الله ومن أصول العقيدة في حالات عديدة.

يقول تعالى:

[وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ] [سورة البقرة: ١٩٠].

[وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] [سورة الأنفال: ٣٩].

[وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً] [سورة النساء: ٧٤].

فإلى جنان الخلد آل ياسين... كيوان.

الشيخ كمال بن أحمد الخطيب

(١٨٧٤- ١٩٢٠م)

انحدر من أسرة الدوحة الحسنية التي اشتهرت بدمشق، بما أنجبته من علماءٍ أعلام، قضى حياته بين تعلّم وتعليم، حيث تلقى دراسته في دار المعلين فضلاً عن العلوم الشرعية، وقد نال إجازة التعليم في مسجد بني أمية الكبير، كما أُسندت إليه الإمامة والخطابة في جامع (الخريزاتية)[٢٨٤] بدمشق - وكان رحمه الله ضليعًا في (علم الفرائض والتشريع).

ومن الجدير بالذكر، أن المجاهد الشيخ كمال الخطيب، من مواليد مدينة دمشق عام ١٨٧٤م، وهو والد الشيخ محمد كمال الخطيب - عضو جمعية «التمدن الإسلامي» - التي كانت تُصدر مجلة التمدن الإسلامي وكان مديرها المسؤول، رئيس تحريرها الدكتور مظهر العظمة، ثم تسلّم إدارتها نجله أحمد مظهر العظمة[٢٨٥]، كما كان يشارك بتحرير المقالات الإسلامية والأدبية في المجلة، كبار العلماء والأدباء، وقد خصّصت زاوية في المجلة، لتفسير آيات من القرآن الكريم، وزاوية أخرى بعنوان: «من هدي السنة النبوية».

ورغم مشاغل شيخنا كمال الخطيب في مشاريعه التجارية، فقد كان شديد

(٢٨٤) جامع الخريزاتية: مسجد صغير في نهاية سوق مدحت باشا، بناه تجار السوق الذين كانوا يعملون «بشكّ أطواق الخرز الأزرق» للأطفال

(٢٨٥) أحمد مظهر العظمة: كاتب وشاعر وخطيب، عمل في المحاماة وتولى عدة مناصب في الدولة. عُيّن وزيرًا للزراعة والتموين وتفتيش الدولة. وُلد في دمشق عام ١٩٠٩م وهو ابن المرحوم مظهر العظمة الذي أسس مدرسة وجمعية التمدن الإسلامي. تولى رئاسة تحرير مجلة التمدن الإسلامي، وله مؤلفات عديدة.

العناية بنشر التعاليم الدينية في المسجد وفي منْزله. وكان موقفه في يوم ميسلون، صورة صادقة لعقيدته الإسلامية، إذ خطب في الناس، وحثّهم على الجهاد، وكانت خطبته عهدًا اقتطعه على نفسه المؤمنة المخلصة لدينها، ومبادئها الوطنية الحقيقية، حيث حمل السلاح، ولم يتمهّل ليودع زوجته وأولاده الصغار، ولقي العدو في ميسلون صابرًا محتسبًا حتى كتبت له الشهادة مع إخوانه المشايخ من آل كيوان، فكان جندي الوطن المجهول، الذي لم تُعرف بطولته إلا بعد أن ظهرت أفاعيلها في تلك المعركة غير المتكافئة، وكان يردّد مع إخوانه قوله تعالى:

[وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] [سورة الأنفال: ١٦]

وتحت ضربات المقاومة خرج الفرنسيون من سورية، كما أخرج صلاح الدين[٢٨٦] الصليبيين من القدس مذمومين مدحورين، على أشنع صورة من الذلّ والهوان. حيث نالت سورية استقلالها التام في منتصف نيسان عام ١٩٤٦م، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ببضعة أشهر. حيث كان المواطنون المخلصون، يوالون الثورات الوطنية خلال تلك المدة القصيرة من عمر الزمن وحياة الأمم.

رحم الله هذه النُخبة الخيّرة، من الجنود المجهولين من شهداء الوطن.



●●● وأنا أقول...

قد يكون مفيدًا حين نحتفل بـ(عيد الاستقلال) و(يوم ميسلون)، أن نستذكر الماضي، لنستخلص منه الدروس، ونستلهم العبر، ونقفز متوثبين، مستجمعين قوانا نحو المستقبل، ونحن واثقين بثوابتنا الوطنية، دون أن ننسى قضايانا المحورية.

وقضيتنا المحورية هي قضية فلسطين ومقاومة الغزاة المحتلين المغتصبين وطردهم من وطننا.

وقد شهد عالمنا اليوم، مصطلحات ملتبسة التأويل، ودعوات مفتوحة من

(٢٨٦) السلطان صلاح الدين الأيوبي: اختار الله صلاح الدين الأيوبي والمسلمين الذين معه، وخصّهم بتحرير المسجد الأقصى، وإنقاذه من براثن الأعداء، فكان تحريره عام ١١٨٧م – بعد تسعين عامًا من احتلال الصليبيين – فضيلة خصّهم الله بها، فأكسبهم شرفًا رفيعًا، ومنْزلةً عالية لا ينافسهم فيها منافس، ولا يساويهم فيها إنسان، ولا يرقى إليهم أحد. كما اختصّ الله أهل فلسطين «أهل الرباط»، واختارهم من بين عباده جميعًا، وميّزهم بالجهاد في سبيله، وكلّفهم بحماية مقدساته، وإعلاء كلمته، ومعهم كل المسلمين، وهو شرف عظيم لا يُدانيه شرف، لاستئصال شأفة المحتلين المغتصبين.

حاملي رايات «الديمقراطية»، وموجات المدّ العاتية «للعولمة» المتوحّشة من أجل «محاربة الإرهاب» في زمن التناقض الصارخ، والأوضاع المقلوبة، وخلط الأوراق، وتزوير التاريخ، وانتهاك حرمة الحقائق.

ومن المحزن المؤلم، تلك «النماذج» الرهيبة، ممن أُصيبوا بلوثة جنون العَظَمة الذين اخترقوا الفواصل الجغرافية لغرض نشر «الديمقراطيات القمعية» على ظهور الدبابات، والقتل والتدمير بقنابل الطائرات القاذفة، بحممها وقنابلها العنقودية والانشطارية والفراغية، ونشر «الحرية الحمراء» الفاسقة، التي وصلتنا في صناديق القمامة الحضارية، بعفَّتها المزيّفة، التي هُتكت قداستها، وعُرّيت واغتُصبت في الطرقات وتعميم المجازر البشرية، وحمامات الدماء بلون الأرجوان، لتتدفّق في الشوارع كالشلالات.

هذه النُخَب الاستعمارية التي تفترش الساحات والطرقات، تحمل معها في معتقلات الاحتلال «إنسانية المتحضّرين»، الملطّخة بدماء الأبرياء، من قِبل «جلاَّدي الديمقراطية».

وفي معتقلات الاحتلال في «غوانتانامو»[٢٨٧] و«أبو غريب»[٢٨٨]، ينتهك جنود المارينز الأميركيين[٢٨٩] حقوق الإنسان ويُدنِّس كتاب اللّٰه في دورات المياه، وتُرسم عليه شارات استفزازية دون أي اكتراث لمشاعر المسلمين.

ثم ليخرج «المحتجّون» و «المقهورون» إلى الشوارع وليصرخوا ما شاء لهم الصراخ وليقولوا ما بدا لهم القول ثم ليعودوا إلى بيوتهم «منهوكين» متعبين. فتلك هي الحرية القمعية والديمقراطية البربرية في المجتمعات المتحضرة،

---

(٢٨٧) غوانتانامو: مدينة مغمورة عدد سكانها (١٥٠) ألف نسمة، في أقصى الجنوب الشرقي من كوبا. تقع على خليج البحر الكاريبي، وعلى مقربة دانية من مجاز «وِنْدْوَرْد». ويبلغ عرض خليج غوانتانامو ٦كم وطوله ١٩كم. ذاع صيت غوانتانامو بعد أن «افتتحت» أميركا «المعتقل» الذي أقامته في قاعدتها (التي تبلغ مساحتها ٧٨كم مربع) عام ٢٠٠١م، ومارست فيه شتى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي للسجناء، بعيداً عن عدسات الصحافة وجمعيات حقوق الإنسان وقد أطلقت المنظمات الإنسانية ومنظمة العفو الدولية والمنظمات الحقوقية حملة عالمية للمطالبة بضرورة إغلاق «منتجع» غوانتانامو سجن الإنسان والقانون، ورمز ممارسة العنف والظلم.

(٢٨٨) سجن أبو غريب: أكبر معتقل عسكري على بُعد ٢٠كم غرب العاصمة بغداد، أقامته قوات الاحتلال الأميركية – بعد أن امتلأت المعتقلات بالمقاومين للاحتلال – ليكون رمزاً للطغيان والديكتاتورية فأعادت ترميمه وتأهيل زنزاناته وإصلاح أقفاله من أجل «تجارب نشر الديمقراطية». وقد قام القادة الأميركيون والبريطانيون، بعمليات تعذيب وجرائم وفضائح، عصفت بكل القيم والمبادئ والأعراف الدينية والأخلاقية، لنشر حالة من الإرهاب والذعر والرعب والهلع بين صفوف المقاومين للاحتلال، لكن عمليات المقاومة ضد الغزاة ازدادت، وانقلب السحر على الساحر

(٢٨٩) جنود «المارينز»: خليط عجيب غير متجانس من اللقطاء واليتامى الذين لا أهل لهم، أو الفقراء الذين لا يجدون مَنْ يعولهم أو يعلّمهم فتلتقطهم الإدارة الأمريكية العسكرية، وتدرّبهم بصرامة وقسوة، على فنون القتال والسمع والطاعة العمياء، لتجعلهم من «القَتَلة المحترفين» و«الجنود الآليين»، لتنفيذ الحروب القذرة، وهم دوماً مسكونين بالهواجس والكوابيس.

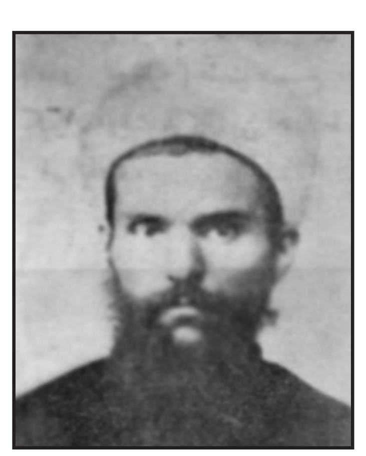
التي امتلكت صولجان «القطب الأُحادي» وأسكرتها رائحة اللحم والدم، واختزنت في أعماقها رائحة النفط الكريهة، وضجيج الأسلحة الفتاكة، وغطرسة تكنولوجيا القتل والتدمير، المغموسة بطغيان القوة الغاشمة السافرة، والعنصرية الحاقدة، والكراهية العمياء.

ولتصفية جيوب المقاومة وقمعها في أرض الرافدين، وبعد فشل العمليات الحربيّة النظامية، شكّلت قوات الاحتلال الأميركية وحدات من المرتزقة والقوات الخاصة انتقي أفرادها من القطاع الأمني الخاص للعمليات القذرة المأجورة وقناصون لعمليات اصطياد البشر ومن القوات البحرية وقوات دلتا وبلاك ووتر وعناصر وكالة المخابرات المركزية، لاستهداف أعداد كبيرة من المدنيين لتحقيق الخضوع للاحتلال.

[يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]

[سورة التوبة: ٣٢]


الشيخ ياسين كيوان


الشيخ كمال بن أحمد الخطيب


الشيخ عبد القادر كيوان


صلاح الدين الأيوبي


الشهيد محمود كيوان

شهيد الواجب أحمد مريود (٢٩٠)

نائب العشائر

(١٨٨٦-١٩٢٦م)

اعتقد جازمًا أنه لو حاول أحد من الفنانين، أن «يجسّم» معاني الوطنية الصادقة المخلصة، والمجاهدة المتفانية المضحّية بالنفس والنفيس، من أجل أن يصنع «تمثالاً» لما تردد - بعد دراسة لتاريخ بطولات المجاهدين - من أن يتخذ من حياة بطلنا الشهيد «أحمد مريود» ذلك الرمز المجسّم.

والحديث عن الذين صنعوا الاستقلال فيه طعم الحرية، ولون الوطن، ورائحة التاريخ.

هذه النخبة المختارة من العظماء، منحهم الخالق موهبة فطرية لا يتمتع بها إلا القلة من البشر، خُلقوا ليكونوا قادة. لأنهم كانوا يتمتعون بقدرة هائلة متميزة على الأداء، وتحمّل المسؤولية. قادوا الثورة بكل قوة وإخلاص. فكانوا على قدر حمل هذه المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقهم. كما كانوا عظماء وقادة فكر. أشرق حب الوطن في أرواحهم فأضاء لهم الطريق. فقارعوا المستعمرين بلا هوادة، وناضلوا بفكرهم وعطائهم، وتركوا بصماتهم على جبين الوطن. قادوا الثورة، وحملوا السلاح، وراية الفكر العربي، والكفاح والتحرير، وقهروا الاستعمار وأذلّوه، ونالوا شرف الاستشهاد في ميادين القتال، وهم يدافعون عن مبادئهم وحرية واستقلال وطنهم، وسطّروا بدمهم كلمات العشق للوطن «نموت نموت ويحيا الوطن». تركوا لنا وللأجيال القادمة بصماتهم، حاملة نفحات عبقة من الماضي الذي صنعوه بنضالهم وجهادهم.

---

(٢٩٠) أصدرت المؤسسة العامة للبريد، في الجمهورية العربية السورية، في منتصف إبريل / نيسان ٢٠٠٦م، بمناسبة الذكرى الستون للاستقلال وجلاء القوات الفرنسية، طوابع بريدية تذكارية لرموز الاستقلال»

- أحمد مريود (قائد ثورة الجولان).
- سلطان باشا الأطرش (قائدة الثورة السورية).
- يوسف العظمة (قائد معركة ميسلون).
- إبراهيم هنانو (قائد ثورة الشمال).
- الشيخ صالح العلي (قائد ثورة الساحل).

كانت حياة أحمد مريود، حافلة بجلائل الأعمال البطولية الفذة، النابعة من نفس أبيّة مملوءة حماسة ووطنية عربية ملتهبة. كان فردًا في أُمة، يمثّل آمال أمته بكل طموحاتها.

وتاريخ «آل مريود» هو تاريخ مقتطع من تاريخ الثورة السورية، إذ لا يمكن أن نتكلم عن الثورة السورية، دون أن نذكر المجاهد البطل أحمد مريود.

كما تبقى شخصية أحمد مريود، لها خصوصية في تاريخ الثورة السورية، ذلك لأنها تجمع بين راية الفكر وسلاح البندقية فقد كان يحمل فكرًا ثوريًا وكان شجاعًا مقدامًا إلى حدّ الفداء. تصدّى بكل عنفوان لكل ما يضرّ بمصالح شعبه ووطنه ولسان حاله يردّد: لم ترتشف شفاهي دموع الهوان ولم ينادِ الدهر هذا جبان فاعصف فإني صخرة يا زمان.

أسرة آل مريود:

من أبرز شهدائنا الأبرار فقيد العروبة والإسلام، الشهيد أحمد مريود بن موسى بن حيدر بن سليمان بن علي بن مريود من عشيرة المهداوي، وقد قدّم آل مريود من الشهداء على مذبح الوطنية، ما لم تقدمه أي أسرة في عصور الثورات العربية.

ففي معركة (جبّاثا الخشب) التي استُشهد فيها المرحوم أحمد مريود، مع الكثير من أفراد هذه الأسرة منهم: شقيقه محمود، ومحمد أسعد مريود - الذي تحدث الناس عن شجاعته الفائقة، حيث أوقع بالحملة الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح - وكذلك محمد عمر، وعيسى الخليل مريود، كما استشهد جدّه الأكبر علي بن مريود، عندما حاصر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا مدينة عكا[٢٩١] سنة ١٨٣٢م، وذلك في عهد الجزّار، كما حارب الأخوة الثلاثة: (إبراهيم، وأسعد، وسعد الدين مريود) مع الجيش المصري، وقد استُشهد إبراهيم مريود في المعركة التي وقعت بين الجيشين التركي والمصري على أبواب دمشق، وظل الأخوان أسعد وسعد الدين مريود يخوضان المعارك مع الجيش المصري، كما استُشهد أيضًا «حيدر» والد موسى مريود، حينما اشتبك آل مريود مع الحملة التأديبية التي أرسلها الجزّار، للقضاء على هذه الأسرة الثائرة، التي آزرت إبراهيم باشا في حروبه ضد الأتراك، وكانت آخر معركة بينهما في «مزرعة بيت جن» الكائنة في سفوح جبل الشيخ (الحرمون)،

(٢٩١) عكا: مدينة ساحلية في فلسطين، تقع على خليج سمّي باسمها مقابل حيفا. فتحها المسلمون عام ٦٣٨م، واحتلها الصليبيون عام ١١٠٤م - ١١٨٧م، واستولى عليها فرسان الاستبارية عام ١١٩٠ - ١٢٩١م، واستعادها المسلمون. كان سقوط عكا إيذانًا بسقوط المملكة اللاتينية في بيت المقدس. وقد استولى عليها الأتراك، كما احتلها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، ثم اغتصبها اليهود.

وكان لأجداده قدم صدق في التحرر من الأتراك، حين استولى السلطان سليم على مصر وسوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية التي حكمها الأتراك، وبقي سلطان الأتراك على بلادنا أكثر من أربعمئة سنة، حتى كادت الأمة العربية تفقد حضارتها ومقوماتها.

ولادته ونشأته:

ولد الشهيد أحمد مريود في بلدة (جبّاثا الخشب) التابعة لقضاء القنيطرة عام ١٨٨٦م، وقد عني والده موسى بتثقيفه، فتلقى دراسته أولاً في مدرستي القنيطرة الابتدائية والرشدية[٢٩٢]، ومن ثمَّ انتقل إلى المدرسة الإعدادية (مكتب عنبر) بدمشق. وكان محبًا عاشقًا لوطنه.

وورث أحمد مريود كراهية الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه، فقد كان والده «الشيخ موسى حيدر مريود» صاحب جريدة «الجولان» الأسبوعية التي تصدر في مدينة «القنيطرة»، وكان شهيدنا يكتب فيها، فكان صوته صوت الحق العربي، ولسان الحركة الوطنية، وقد ولع بقراءة التاريخ العربي وما فيه من أحداث وعبر.

أعلن ثورته النضالية وكفاحه ضد الفرنسيين عام ١٩١٩م، فكان الزعيم والقائد.

اتسم أحمد مريود بالجرأة الخارقة، مقرونة بالتضحية والفداء، وكرّس حياته من أجل وطنه، واختزن مشاعره الإنسانية وحنانه لبني وطنه. وكان يردد دائمًا: سنجعل من أجسامنا جسرًا للعبور نحو الحرية والاستقلال، ومن أرواحنا قنديلاً يضيء للأجيال، ومن سواعدنا نارًا تقتل المعتدين، وتصرعهم وتحرقهم.

وقد تولّى شهيدنا أحمد مريود، قيادة التنظيمات الثورية في مدينة «القنيطرة» و«جباتا الخشب». وأعاد لها روحها النضالية الثورية. فقد تحدّر من أسرة حاربت الأتراك إلى جانب «إبراهيم باشا»، كما حاربت «أحمد باشا الجزّار»[٢٩٣] دفاعًا عن حرية الإنسان العربي وكرامته، كما قاومت الفرنسيين الغزاة.

---

(٢٩٢) الرشدية العسكرية: أنشأها الوالي مدحت باشا في منطقة البحصة، وكانت تلاصق جامع يلبغا قرب ساحة الشهداء في المرجة. وتُدرِّس الرشدية العسكرية العلوم العسكرية، ومَنْ يُنهي دراسته في الرشدية العسكرية الاعدادية، يلتحق بالكلية الحربية في اسطنبول ليصبح ضابطًا.

(٢٩٣) أحمد باشا الجزّار: لقب بالجزّار لما اقترفه من مذابح لا تُحصى عام ١٧٧٥م في سورية، فقد تعرّضت سورية إلى ممارسات القهر والإرهاب على يديه، وذلك بعد إخماد ثورة الشيخ ضاهر العمر، وقد اقترن اسم «الجزار» بأحلك أيام تاريخ سورية. وقد ثار أهل دمشق عام ١٧٩٨م، ورفضوا دفع الجزية إلى الجزّار، حتى تمكنوا من خلعه بقرار من الباب العالي، وتعيين والٍ جديد في دمشق.

و الشهيد أحمد مريود واحد من أسرة كبيرة، مكوّنة من خمسة رجال وسبع بنات(٢٩٤)، والدته السيدة الفاضلة ابنة «علي الخطيب»(٢٩٥) زعيم قرية «شبعا»، وخاليه: أحمد ومحمد الخطيب اللذين رافقاه عبر مسيرة كفاحه النضالية.

وعندما أعلنت «جمعية الاتحاد والترقي»(٢٩٦) انقلابها عام ١٩٠٨م في تركيا، وحوَّل ضباطها – الذين قاموا بانقلاب «المشروطية» – الإمبراطورية العثمانية إلى دستورية، عاشت بعده البلاد العربية جوًا كئيبًا من الكبت والظلم والاستبداد التركي، مما جعل الثورة ضدّ الأتراك مسؤولية وطنية قومية.

وفي الحادي عشر من آذار عام ١٩١١م، أثيرت القضيّة العربية في «مجلس المبعوثان» التركي، وطالب العرب بكل صراحة وجرأة، بحقوقهم في المساواة في جميع الميادين، كما أُثيرت قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، من قبل مبعوث القدس «روحي الخالدي».

وكان ردّ «الطورانيين» الأتراك المتآمرين الحقد والكراهية ضد العنصر العربي.

فأقصوا الضباط العرب من العاصمة، إلى الولايات التركية البعيدة، وأسندوا قيادة القطعات العسكرية إلى الضباط الأتراك، وأبعدوا الضباط العرب منها، واتبعوا سياسة «التتريك» العنصرية، وعملوا على تطويق الحركات الإصلاحية المعارضة ومراقبتهم، وإلغاء الأحزاب واعتقال قياداتها.

وفي التاسع والعشرين من تشرين الأول من عام ١٩١٤م، دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، وقاتل العرب إلى جانب الأتراك.

وفي الحادي والعشرين من آب عام ١٩١٥م، أعدم « جمال باشا السفاح»(٢٩٧)

(٢٩٤) إخوته: محمد، وعلي، وياسين، ومحمود، وأحمد. وشقيقاته: نبيهه، ومنيرة، وفاطمة، وزينب، وبديعة، وآسية، ومريم.

(٢٩٥) والدته السيدة الفاضلة: «مريم بنت علي الخطيب»، وزوجته السيدة الفاضلة: «رمزية العاص»، وأولاده منها: حسن، وحسين، والدكتور حسان، وبوران. وقد أنجب حسن: فيصل، ولؤي، ولانا. وأنجب حسين: أحمد، وزياد.

(٢٩٦) جمعية الاتحاد والترقي: من أعضائها أنور باشا، وطلعت باشا، وأحمد جمال باشا (جمعية جون ترك). خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني الذي اعتلى عرش تركيا في ٣١ آب ١٨٧٦م ونفوه إلى «سالونيك»، بعد أن رفض الموافقة على إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين، كما رفض الرشوة التي قدموها له ولخزانة الدولة. «مذكرات السلطان» صفحة ٣١٧.

(٢٩٧) جمال باشا السفاح: ولد عام ١٨٧٣م، وهو قائد عسكري تركي، انتسب إلى «جمعية الاتحاد والترقي» مع أنور باشا ، وطلعت باشا وأصبح من زعمائها. عُيّن وزيرًا للأشغال العامة عام ١٩١٣م، ثم قائدًا للبحرية العثمانية عام ١٩١٤م، ثم قائدًا للجيش الرابع في سورية من عام ١٩١٥م وحتى عام ١٩١٧م. سمّي بـ«السفّاح» لشدة سفكه للدماء العربية. اغتاله أرمني وهو في طريقه إلى تركيا في مدينة «تفليس» عام ١٩٢٢م.

قافلة من الشهداء العرب في بيروت، كما أعدم عام ١٩١٦م قافلة أخرى من الشهداء في دمشق، كان المجاهد شفيق المؤيد العظم أحدهم.

وكانت السلطات التركية، قد ألقت القبض على الشهيد أحمد مريود، لمعارضته سياسة « جمال باشا السفّاح» الدموية، وأودعته في حزيران عام ١٩١٥م سجن عالية، وتحت ضغط شعبي هائل أفرجت عنه في كانون الثاني من عام ١٩١٦م.

وهكذا يُعدُّ الشهيد «أحمد مريود» من أعلام الحركة القومية العربية، التي تأسست في أواخر عهد الحكومة العثمانية، بقصد مقاومة أهداف «جمعية الاتحاد والترقي» الطورانية، والتي حاولت أن تصهر سائر العناصر غير التركية وفي مقدمتها الأمة العربية الأصيلة، في بوتقة العنصر الطوراني، الذي جرّد اللغة التركية من حروفها العربية التي هي لغة القرآن الكريم وأبدلها بالحروف اللاتينية، مع العلم بأن الكثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي هم من أركان المحافل الماسونية[٢٩٨] العالمية، والتي استغلتها المافيا[٢٩٩] الصهيونية العالمية لإنشاء الوطن القومي لبني إسرائيل في الأراضي الفلسطينية أبشع استغلال، وذلك منذ أواخر القرن الماضي حتى عام ١٩١٧م حيث مُنح اليهود «وعد بلفور». وقد سبق للصهيونية أن حاولت إغراء السلطان عبد الحميد الثاني بواسطة الزعيم الصهيوني (هرتزل)، وذلك بأن تقدّم لخزانة الدولة مئة وخمسون مليون ليرة ذهبية ولمدة مئة سنة بلا فائدة، مقابل منحها أراضي بيسان ومرج عامر، فأبَى السلطان عبد الحميد وطرد «هرتزل» من حضرته قائلاً له: أفضّل أن تتقطّع أوصالي قطعة قطعة، على أن اقتطع من الأراضي المقدسة شبرًا واحدًا. غير أن الصهيونية العالمية بدسائسها وأموالها استطاعت بواسطة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، أن

---

(٢٩٨) الماسونية: منظمة سرّية نشأت في القرن السابع عشر، وهي حركة يهودية من ألفها إلى يائها أنشؤوها للوقوف في وجه الكنيسة التي نبذتهم. استقطبت أعلى الكفاءات لنصرة قضاياهم وأولها إعادة بناء الهيكل الثالث. ومن هنا جاء اسمهم (البناؤون الأحرار). انتشرت بسرعة في أوائل القرن الثامن عشر في إنجلتر، واسكتلندة. وتتميز بطقوسها الخاصة وأدوات الرمزية: (المثلث والفرجار وميزان التسوية). والقناع الذي استهوت به الناس فوقعوا في شباكها هي أنها كانت تنادي بالإخاء بين البشر، وبالتعاون المتبادل بين مختلف الأعضاء المنتسبين لها. وقد حاربتها معظم الدول لجذورها الصهيونية.

(٢٩٩) المافيا: منظّمة سرّية إيطالية، نشأت في صقيليا في القرن الثالث عشر، وتحدّت بإجرامها المنظّم، السلطات الإيطالية. وقد شنت مختلف الحكومات الإيطالية، حملات واسعة للقضاء على المافيا، ولكن لم تستطع القضاء عليها واستئصال شأفتها. وقد هاجر بعض أعضاء المافيا إلى أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر، ليمارسوا إجرامهم المنظّم من هناك. حتى أصبحت أمريكا. المصدّر الأوّل للإجرام والإرهاب. وأصل معنى «المافيا» باللغة الصقلية الإيطالية «الجرأة والشجاعة».

تُبعد السلطان عبد الحميد عن الحكم، وتنصيب محمد رشاد الخامس[٣٠٠] مكانه. وكان في الحكومة الاتحادية أجاويد - دافيد اليهودي - وزيرًا للمالية، و«طلعت باشا»[٣٠١] الماسوني صدرًا أعظم، وعادل بك وزيرًا للداخلية، وأنور باشا[٣٠٢] قائدًا عامًا للجيش، وجمال باشا السفاح قائدًا للجيش الرابع في سورية، وقد شنق هذا العنصري المتعصّب، من رجالات سورية الأحرار (٤٨) زعيمًا اذكر منهم الشهداء: الشيخ عبد الحميد الزهراوي، شفيق المؤيد العظم، شكري العسلي، عبد الغني العريسي، سليم البخاري، أولاد المحمصاني، الزعيم العسكري الأميرلاي محمد أمين لطفي الحافظ، والشاعر اللبناني عمر بن مصطفى حمد الذي نظم قصيدته المشهورة في زمن حكومة الائتلاف العثمانية وكانت سببًا في إعدامه قائلاً:

قد دعوهم «اتحادًا» ليتهم — قد دعوهم «انشقاقًا» وانقساما
لغة القرآن ودّوا محوها — ويل قوم أغضبوا البيت الحراما
هذه آمالهم فينا فلا — تغترر يا شعب واحذر أن تناما

ومنها قوله:

(طلعتٌ) قد خانه طالعه — ثم (جاويد) قد ودَّ انهزاما
(عادلٌ) ما كان يومًا عادلا — كم رأيناه عن الحقِّ تعاما

ومنها:

(٣٠٠) محمد رشاد الخامس: سلطان عثماني من عام (١٩٠٩-١٩١٨م). خلف أخاه السلطان عبد الحميد الثاني بعد خلعه. في عهده استبد زعماء «تركيا الفتاة» الطورانية بالحكم، وجرّوا بلادهم إلى الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وحلفائها. خلفه آخر سلاطين بني عثمان «محمد وحيد الدين السادس»، الذي خلعه عسكر أتاتورك عام ١٩٢٢م.

(٣٠١) طلعت باشا: أحد مؤسسي (جمعية الاتحاد والترقي)، وأحد القادة الذين قاموا بانقلاب «المشروطية» عام ١٩٠٨م. كان أكثر زعماء الحرب نفوذًا، كما كان آخر رئيس وزراء في عهد الاتحاديين انتسب طلعت باشا للمحفل الماسوني وبدأ حياته موظفًا في دوائر البريد، ثم ما لبث أن أصبح نائبًا في «مجلس المبعوثان»، وشغل عدّة وزارات، وكان يتمتع بذكاء شديد. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى هرب مع أنور باشا وجمال باشا على متن باخرة ألمانية، لكنه اغتيل في «برلين» على يد رجل أرمني.

(٣٠٢) أنور باشا: قائد تركي من رفاق « جمال باشا السفّاح». ولد في بلدة «أبانا» على البحر الأسود عام ١٨٨١م، من أب تركي وأم ألبانية. تخرّج أنور باشا من المدارس الحربية في تركيا، وكان من مؤسسي (جمعية الاتحاد والترقي) و(تركيا الفتاة). ساهم في انقلاب «المشروطية، وخلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م مع (جمال وطلعت ونيازي). شارك في حروب البلقان والقفقاس والدردنيل، وبعد انتهاء الحرب الأولى هرب أنور باشا إلى الولايات الإسلامية الروسية على متن غواصة ألمانية، وكان يرافقه شاب أرمني - تظاهر بإسلامه - فاغتاله في الرابع من آب عام ١٩٢٢م.

خبّر الظُّلاَّم أنَّا أمة تعشق المجدَ وتأبى أن تضاما
فسلوا الأجيال عنا والورى وسلوا تاريخنا عامًا فعاما
ما ألفنا الضيم والذل ولا نرتضي قط علم الظلم مقاما

ولما زاد جَوْر أحمد جمال باشا السفاح، وأولغ في دماء أحرار سوريا إعدامًا وشنقًا، اتجهت الأنظار إلى شريف مكة (الحسين بن علي) - وكان أميرًا على الحجاز – وقد هاله ما فعله السفاح، وحاول بكل قواه حقن الدماء، وتحقيق ما يطلبه أهل الشام الأبرار من إصلاح، ونصح حكومة الآستانة بعدم دخولها الحرب العالمية الأولى مع الألمان، وأن تبقى على الحياد، فاصمّت تلك الحكومة آذانها، وطالبته بإرسال متطوعين من شباب الحجاز، ولمّا لم يلب طلبها قطعت عنه المعونات، وأرسلت قوة كبيرة إلى المدينة المنورة بقيادة فخري باشا لاعتقاله.

ومن جملة شعراء الثورة المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب[٣٠٣]، الذي ساهم بنشر الوعي العربي، واستنجد بشريف مكة ضد جرائم السفاح أحمد جمال باشا قائلاً:

ماذا تحاول من قوم وإن نطقوا بالضاد عادوا وقالوا إننا «عجم»
شبه الجزيرة أولى أن تشدّ به قوم هناك العز والشيم

إلى أن يقول:

جاروا على لغة القرآن فانصدعت لها القلوب وضجّ البيت والحرم
فالشام شاكية، والقدس باكية وفي الحجاز يكاد الركن ينهدم

(٣٠٣) الشيخ فؤاد الخطيب: لُقّب بشاعر الثورة العربية. مولود في بلدة (شحيم) اللبنانية عام ١٨٨٢م، لأُسرة أنجبت نخبة من رجال العلم والأدب والسياسة. تلقى علومه الابتدائية في منطقة (سوق الغرب) وأتم تعليمه العالي في الجامعة الأميركية في بيروت متخصصًا في الأدب العربي. مارس مهنة التدريس في مدينة حيفا، ثم أستاذًا للفلسفة والأدب العربي في الخرطوم. انخرط في الحركة الوطنية لمقارعة الأتراك الطورانيين فحكمت عليه السلطات العثمانية بالإعدام. التحق بالثورة العربية الكبرى بالحجاز وتسلّم رئاسة تحرير جريدة (القِبلة) إلى جانب الصحافي الشاعر عمر شاكر الخانجي المحرر المسؤول. ثم أصبح وكيلاً للخارجية عام ١٩١٦م فوزيرًا للخارجية عام ١٩١٧م.كما تسلم حقيبة وزارة الخارجية في العهد الفيصلي في سورية، وسافر مع فيصل للمشاركة في مؤتمر الصلح ثم رافقه إلى فرساي. بعد رحيل فيصل عاد إلى الحجاز، ثم أصبح مستشارًا خاصًا للملك عبد الله عام ١٩٤٠م. عاد إلى لبنان وأقام في (برج البراجنة) متفرغًا لأعماله الأدبية انتقل إلى جوار ربه عام ١٩٥٧م.

وتبارى الشعراء بالاستنجاد بشريف مكة ومبايعته بإمارة المؤمنين، ومن تلك القصائد أذكر بعض هذه الأبيات:

على «أُم القرى» منا سلام على من في ضواحيها أقاموا
على من ضمّ جمعهم الخيام على من شبّ بينهم وشابا

❖ ❖ ❖

على حامي الحمى في القبلتين أمير العرب قرّة كل عين
خليفتنا ومولانا الحسين سلام عرفه كالمسك طاباً

ووقف العرب إلى جانب تلك الثورة الكبرى التي قام بها الأمير العربي (الحسين بن علي)، الذي أطلق رصاصته الأولى في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ، لإنقاذ البلاد العربية وتحريرها، وإعادة حضارتها وأمجادها وسيادتها، وقدّروا ما قام به وأنجاله من تضحيات في سبيل الأمة العربية فسمّوه «المنقذ الأعظم». ويكفي أنه ضحى بعرشه وملكه، من أجل المحافظة على أقدس مقدساتنا في فلسطين، ورَفَض الموافقة على إقامة الوطن القومي الصهيوني فيها، ولو وافق على اقتطاع فلسطين من الجسم العربي، لبقي ملكاً على البلاد العربية دون منازع.

وهكذا عندما أعلن شريف مكة - «الحسين بن علي» - الثورة العربية ضد الأتراك عام ١٩١٦م، في كلّ من مكة والطائف وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز، أعلن مريود تأييده المطلق، وعندما دخل فيصل الأول دمشق في يوم الخميس الثالث من تشرين الأول من عام ١٩١٨ ميلادية، استقبله الشيخ محمد الأشمر ومعه أحمد مريود على رأس وجهاء «حيّ الميدان»، وهم يرفعون أعلام الثورة العربية، كما رَفَع «العلم العربي» لأول مرة على بناء البلدية بعد رحيل الأتراك[٣٠٤].

---

(٣٠٤) بعد دخول فيصل سورية، شكل الوطنيون أول حكومة عربية من حيث التمثيل الجغرافي، في الخامس من تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٨م.

• رضا باشا الركابي	دمشق	(رئيسًا للحكومة).
• عادل أرسلان	جبل لبنان	(معاونًا للحاكم العسكري).
• سعيد شقير	بيروت لبنان	(مديرًا للمالية).
• اسكندر عمون	جبل لبنان	(مديرًا للعدلية).
• رشيد باشا طليع	جبل لبنان	(مدير للداخلية).
• سليم موصلي	دمشق	(مديرًا للصحة)

ثم انتُخب أحمد مريود عضوًا في المؤتمر السوري، كما كان عضوًا مؤسسًا في قيادة «حزب الاستقلال». وأعلن أمام المجتمعين في النادي العربي السوري، بأنه سينتقل إلى الجولان لتنظيم الثورة ضد الفرنسيين، الذين لا يفهمون إلا لغة القوة والحرب، بعد إعلان الجنرال «غورو» إنذاره للملك فيصل.

التقيت أنا كاتب هذه السطور (جميل شاكر الخانجي) مع أحمد مريود عام ١٩٢٠م في النادي العربي بدمشق - حيث كنت عضوًا فيه - وجَمَعَنا العمل الوطني. فقد كان شعلة ملتهبة لا يكاد يستقر في مكان. وهبّت على البلاد وقتذاك عاصفة من الحماسة الوطنية، وأقبل الناس على التطوّع، وغصّت بهم الثكنات العسكرية في كل مكان، وامتلأت شوارع دمشق وساحاتها بزعماء المناطق ورؤساء القبائل، وأصبحت دمشق قبلة يتوجّه إليها الثوار، لحمل السلاح والتطوّع لقتال الأعداء والجهاد في سبيل اللّه.

وانضم إلينا أحمد مريود، حيث كنت مع شقيقيّ عمر وعبد اللطيف الخانجي، نجمع المتطوعين لتدريبهم على قتال الغزاة المحتلين، وكانت أحياء دمشق «الميدان، الشاغور، باب السريجة، القنوات، سوق ساروجا، العقيبة، الصالحية، المهاجرين، الشيخ محيي الدين، العفيف، الأكراد» تعمل كخلية نحل.

وتدفّق الثوار إلى دمشق[٣٠٥] (العاصمة الأموية)، ونحن نعمل معًا على تنظيم صفوفهم. كان الموقف في البلاد خطيرًا للغاية. وكان الشعور الوطني بالانتماء للوطن والدفاع عنه، يُلهب المشاعر ويؤججها.

وكان الملك فيصل - والحق يُقال - يجسّد قمة الوطنية، إلا أنه كان في موقف لا يُحسد عليه. فإنذار «غورو» كان بمثابة طلب استسلام كامل.

• ساطع الحصري	حلب	(مديرًا للمعارف)
• ياسين الهاشمي	العراق	(رئيسًا للجيش)

(٣٠٥) دمشق: العاصمة السورية نُسبت إلى «دماشق» أحد أحفاد سام بن نوح، ويعود للقرن العاشر قبل الميلاد. دخلت في حوزة المسلمين في عهد عمر بن الخطاب عام ١٤هـ/٦٣٥م بجيش من أبرز قادته أبو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد. ثم أصبحت عاصمة للدولة العربية الإسلامية في العهد الأموي ٤١هـ/٦٦١م. وانتهى عصر ازدهارها بقيام الدولة العباسية فتجاذبها الطامعون وحكمها الطولونيون ثم الأخشيديون ثم الفاطميون، وتعرضت لغزو القرامطة عام ٤٦٨هـ/١٠٨٥م والصليبيين. استعادت مكانتها عندما أصبحت عاصمة للدولة الأيوبيّة ٥٧٠هـ/١١٧٥م. وانطلقت منها جيوش صلاح الدين لتحرير القدس من الصليبيين ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وتعرضت للدمار على يد هولاكو ١٢٦٠م وتكررت المأساة على يد المغول تيمورلنك ١٤٠١م. عادت لنفوذ المماليك ودخلت في حكم العثمانيين عام ١٥١٦م. حكمها إبراهيم باشا ابن محمد علي ما بين عامي ١٨٣١-١٨٤٠م. دخلتها جيوش الثورة العربية وأعلن فيها حكم بقيادة الملك فيصل بن الحسين في ١٩١٨/٣/٨م. وخضعت للانتداب الفرنسي بعد معركة ميسلون في ١٩٢٠/٧/٢٤م وتحقق جلاء الجيوش الأجنبية في ١٧ نيسان ١٩٤٦م. من أبرز معالمها الأثرية الجامع الأموي وسورها وقلعتها.

ومنذ اتفاق استبدال القوات الإنجليزية بالقوات الفرنسية، في الثالث عشر من أيلول من عام ١٩١٩م، وانسحاب القوات البريطانية في أوائل تشرين الثاني من العام نفسه. ثم نزول الجيش الفرنسي على الشواطئ السورية واللبنانية. والشعب في هياج وثورة. وكانت سورية كلها تغلي على فوهة بركان.

في نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩١٩م، تألفت «اللجنة الوطنية العليا» من مختلف الهيئات والأحزاب، برئاسة «الشيخ كامل القصّاب»[٣٠٦]، وقررت اللجنة جمع الأموال بنسبة اثنين بالمئة من ثروة كل شخص، لمؤازرة الثوار، وتجهيز ألف متطوع لقتال الفرنسيين.

كما دعت اللجنة إلى رفض المعاهدات مع أية دولة أجنبية، والدفاع عن الوطن مهما كانت النتائج. وقد غَلَبَ على أعضاء وقيادة هذه الحركة[٣٠٧] الحماسة الوطنية، مما أسفر عنه غليان شعبي هائل. انفرط عقد هذه الحركة الشعبية بعد معركة ميسلون، ودخول الغزاة المحتلين دمشق.

وأثناء اندلاع ثورة الغضب الشعبي، جمع «أحمد مريود » المتطوعين، وتصدّى للقوات الفرنسية، التي حاولت دخول دمشق من جهة الجولان وجنوب لبنان، وقد استطاع بقواته القليلة العدد منع دخول الفرنسيين إلى دمشق.

ثم تسارعت الأحداث كثيرًا.

ففي الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٩٢٠ ميلادية، ألقى فيصل الأول خطابه التاريخي في النادي العربي بدمشق، أعلن فيه وسط حشد جماهيري غصّت بهم الساحات والطرقات، استقلال البلاد، ورفض الانتداب.

وصفّق الناس لفيصل طويلاً. وذُرفت دموع الفرح. بعد أن ألهب القائد الحناجر. بالهتاف. فالقادة العباقرة هم الذين يصنعون حركة التاريخ.

وإمعانًا في تآمر الحلفاء. وردًّا على وطنية فيصل. وتحجيمًا لدوره. أقرّ المتآمرون في مؤتمر «سان ريمو» في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠م الانتداب الفرنسي على سورية.

وفي السادس عشر من تموز ١٩٢٠م، اجتمع فيصل بـ«المجلس الحربي»[٣٠٨]

---

(٣٠٦) الشيخ كامل القصّاب: حمصي الأصل، استوطنت أسرته دمشق، ولد في «حيّ العقيبة» بدمشق، وتخرّج من جامعة الأزهر. كان أحد مؤسسي «جمعية الفتاة» مع رشدي الشمعة وعبد الغني العريسي وعارف الشهابي، كما أسس «المدرسة الكاملية» وكان مديرها. كما كان الشيخ كامل القصّاب عالماً وداعية، وخطيبًا وزعيمًا شعبيًا، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابيًا. أسس اللجنة الوطنية وجمعية العلماء، ومؤتمر العلماء، وتوفي عام ١٩٥٤م.

(٣٠٧) اللجنة الوطنية العليا: كان يرأسها الشيخ كامل القصاب، وعضوية: شكري القوتلي، أحمد مريود، عبد الله الطحان، مسلم العطار، فريد رحمون، شوكت العائدي، محمد علي البشير، تيسير ظبيان، طارق الجندلي.

(٣٠٨) انعقد المجلس الحربي، برئاسة الملك فيصل في ١٩٢٠/٧/١٦م، وحضر الاجتماع «نائب الملك» شقيقه الأمير

أولاً، وبأعضاء الوزارة ثانيًا، ثم قرّر عرض هذا الأمر الخطير على أعضاء المؤتمر الوطني - إذ لم يكن المؤتمر الوطني يسمح لأي كان أن يتخذ قرارًا مفصليًا، يمسّ الأمن الوطني إلا بموافقته - كما لم يتخذ فيصل قرارًا ما دون الرجوع وأخذ موافقة مُسبقة من المؤتمر الوطني. وهو «اتفاق شرف» غير مكتوب. كاتفاق «الفرسان». ولم يتوصل المؤتمر الوطني إلى قرار. هل يرفضون الإنذار ويستعدون للحرب، أم يقبلون الإنذار، ويضعون البلاد تحت حكم الانتداب الفرنسي.

في الثامن عشر من تموز، قررت الحكومة والملك قبول الإنذار. لتجنيب البلاد ويلات الحرب، وصدر أمر لقيادة الأركان بتسريح الجيش، لكن أحمد مريود «تحفّظ» على قرار «قبول الإنذار».؟

فاضطر فيصل لإرسال وزير المعارف «ساطع الحصري» ومعه ممثّل فرنسا في سورية، لإبلاغ «غورو» أن الحكومة قبلت الإنذار.

لكن «غورو» كان قد حزم أمره بالتوجّه بجيشه نحو دمشق، والتمركز في موقع «ميسلون» بحجة حاجة جيشه للماء.

لم يعد مناص للحرب.

أعلن الملك «الجهاد». و«النفير العام» ضدّ قوات الجيش الفرنسي الغازية. للدفاع عن الدين والشرف ومجد الوطن. وإنهاك القوات الفرنسية المعتدية. بالمقاومة الشعبية(٣٠٩) وحرب الأنصار.

وفُتحت مخازن الجيش للمقاومين والثوار، وحَمَلَ السلاح كلّ من يستطيع أن يقاوم الغزاة. وتدفّق المتطوعون والثوار باتجاه ميسلون. منهم مَنْ يحمل بندقية بدون «خرطوش»، ومنهم من كان يحمل فؤوسًا وسكاكين. أو عصاة. في

زيد بن الحسين، والوزراء وكبار ضباط القيادة العامة: وزير الحربية يوسف العظمة، ياسين الهاشمي رئيس مجلس الشورى العسكري في وزارة الدفاع، وأحمد اللحام من رئاسة الأركان، الأميرلاي مصطفى نعمت مستشار وزارة الحربية، القائمقام مصطفى وصفي السمّان قائد الشعبة الأولى، القائمقام عارف التوّام مدير التسليح، القائمقام محمد شريف الحجّار قائد شعبة الاستخبارات، وحسن يحيى الصبّان مدير القوى العمومية.

(٣٠٩) المقاومة: لعب الأدباء دورًا قياديًا طليعيًا، في بثّ الوعي ونشر المعرفة، والتحريض على مقاومة المحتل المغتصب، عبر «الكلمة» المرادفة للبندقية. وعبّرت «الكلمة» عن الدعم الروحي والمادي، وعن الحب والإخلاص للأمة والوطن. فكانت الكلمة تعدل الرصاصة. حتى أنّ أكثر شهداء السادس من أيار ١٩١٦م الذين أعدمهم السفاح كانوا من الأدباء والشعراء وأصحاب الصحف. وقد دعا الأدباء جماهير الشعب، إلى المساهمة في مقاومة الاحتلال كل حسب موقعه، وتأمين الملجأ للثوار وإيوائهم، ومراقبة ورصد الأعداء، ومساندة المقاومة معنويًا، وماليًا بجمع التبرعات. واستنهض الأدباء الإرادة العربية، عبر قدسية الحرف، «والأدب المقاوم»، ومجّدوا قيم المقاومة، وربط «المقاومة» ببعد عربي واحد، هو محاربة المحتل المغتصب أينما وُجد في كلّ أرض العرب. كما عمد الأدباء على وأد أسباب الفتنة التي كان يثيرها الغزاة، وتعزيز الانتماء للعروبة، والعزف على أوتار التناغم والمحبة والوئام، التي عاشتها شعوبنا لمئات السنين، مما جعل المنطقة قطعة من الفسيفساء فالأدباء هم الوحيدون القادرون على التعبير عن مكنونات الشعب ولكنهم بحاجة إلى آذان صاغية.

أعلاها «مسامير» غليظة تسمى «النبّوت». ومنهم مَنْ كان راجلاً، ومنهم مَنْ كان على فرسه. ومنهم مَنْ وصل إلى ساحة المعركة، جمعهم «الحب» في الدفاع عن الوطن.

كان صباح الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، يومًا حزينًا في تاريخ سورية. ذلك اليوم الذي وقعت فيه المأساة والفاجعة. سقط وزير الدفاع «يوسف العظمة» شهيدًا. وتراجع الجيش.

في اليوم التالي الخامس والعشرين من تموز. دخلت القوات الفرنسية الغازية دمشق.! وجرى استعراض للجيش الفرنسي في شوارع دمشق الحزينة الباكية الواجمة. كان الصمت مطبقًا. ولم يصدّق الناس ما حدث. كان السوريون يبكون استقلالهم المذبوح.

وتوجه فيصل إلى مدينة «درعا»، وخطب يحثّ الشعب على مقاومة الغزاة.

وأنذرت فرنسا الملك بالرحيل وإلا قصفت المدينة بقنابلها.

وحقنًا لدماء المواطنين، غادر فيصل مدينة «درعا» إلى «حيفا» بالقطار، في الأول من آب ١٩٢٠م. وانتهى حكم فيصل في سورية وتفرّق الثوار. احتضنهم الأردن - العمق الجغرافي - الاستراتيجي للثوار، واستقرّ شهيدنا أحمد مريود في قرية «كفرسوم» وعتب عليه زعيم عشيرته، لأنه لم ينزل في قريتهم «كفر أسد» فأوضح له أحمد مريود أن كفرسوم قرية قريبة من الحدود السورية، وأهلها الأشاوس رجال الملمات العصيبة، والأصالة والكرم.

وبعد ثلاثة أسابيع وعلى وجه التحديد في الحادي والعشرين من شهر آب / أغسطس ١٩٢٠م، قامت الثورة في حوران وكان كاتب هذه السطور (جميل شاكر الخانجي) هناك.

والقصة معروفة أرسل الفرنسيون (علاء الدين الدروبي) لتحصيل الغرامات التي فرضها الفرنسيون على شعب سورية، وكانت حوران أول منطقة تُجنى منها الغرامات لنهب أموال الشعب، بعد أن احتلوا أرضه، وصادروا حريته، وأهانوا كرامته.

بعد الهجوم البربري، ودخول الجيش الفرنسي إلى دمشق، بقيادة الجنرال "غورو"، انتقل أحمد مريود مع رفاقه إلى عمان عام ١٩٢٠م، في تلك الفترة أيضًا ربطتني به صداقة حميمة. واستمر مريود بمهاجمة القوات الفرنسية في دمشق والجنوب، من خلال غارات على القوات الفرنسية في معسكراتها،

ومواقع إمدادها.

وردًّا على إهانة الجنرال «هنري غورو» للبطل صلاح الدين أثناء زيارته ضريحه[٣١٠]، وإضعافًا لأركان الحكم الاستعماري الفرنسي لسورية، قرر شهيدنا الثائر أحمد مريود في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢١م، تأديب فرنسا في شخصية جنرالها المتغطرس «هنري غورو» ورفع وتيرة النضال الوطني ضد المستعمرين، وبثّ روح المقاومة في الشعب، وتحويل «انكسار» الأمة إلى انتصار.

فقد أرهقته مأساة الهزيمة في ميسلون تلك المعركة «الهشّة» التي أهانت الرجولة والمشاعر والقُدرات، وشلّت تفكير الأمة. وأصابت أحلام أمتنا بانكسارات في صميم رؤيتها.

ورغم أنين الألم الذي كان يحزّ في القلب. فقد حاول القائد المُلهم أحمد مريود أن يقلب نتائج المعادلة.

رصد تحركات «غورو». وأرسل مجموعة «استشهادية» لتكمن على الطريق المؤدية إلى مدينة «القنيطرة»، وعلى بُعد اثني عشر كيلومترًا عنها، وذلك لمهاجمة موكب «غورو»، الذي كان يقوم بجولة «سياحية» ومعه شقيقته وإحدى بنات عمه.! وكان يتولى حراسة الطريق بين دمشق والقنيطرة، رجال من «الدرك» السوريين على أحصنتهم.

لبس أفراد «المجموعة الاستشهادية»[٣١١]، لباس الدرك السوري، وامتطوا صهوات جيادهم، وتسلل الثوار بين صفوف الدرك.

كان «الجنرال غورو» يستقل سيارة مكشوفة، ومعه فيها إلى جانب سائقه مترجمه الخاص الكولونيل «بارنيت»، كما كان يجلس خلف السائق «الجنرال كاترو»، وفي المقعد الخلفي جلس حاكم دمشق. «حقّي العظم»[٣١٢]، وإلى يمينه

(٣١٠) قام الجنرال الفرنسي «هنري جوزيف يوجين غورو» – الذي دخل دمشق بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠م – بزيارة استفزازية إلى ضريح البطل صلاح الدين الأيوبي – الملاصق للمسجد الأموي – ودخل بملابسه العسكرية، وسيفه إلى جانبه، وقبعته فوق رأسه، وقال كلمته المشهورة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية. قم يا صلاح الدين فقد عدنا». ثم قام «بركل» الضريح بقدمه وخرج.

(٣١١) المجموعة التي اعترضت موكب الجنرال «غورو» وحاولت قتله أُطلق عليها «مجموعة مريود الاستشهادية».

(٣١٢) حقي العظم (١٨٦٤-١٩٥٥م): كان يقيم في مصر، عند خاله «خليل باشا حمادة». ولمّا أصبح خاله وزيرًا للأوقاف، في الدولة العثمانية، انتقل مع خاله إلى تركيا وعيّنه مفتشًا للأوقاف، ولكن بعد وفاة خاله عاد لمصر. وما أن أصبح الأمير فيصل ملكًا على سورية، حتى «انتهز الفرصة». واتصل به وعرض نفسه عليه، ليكون «كاتم أسراره»، لكن فيصل رفضه، لتورّطه مع الفرنسيين، وإفراطه في خدمتهم، ومدحهم على صفحات المجلات والصحف. «وانتهز حقي العظم الفرصة» ثانية، واتصل برئيس حزب المارونيين (عبد الله باشا صفير) في لبنان، وكان حزبه (منذ ذلك الحين) يدعو لفصل جبل لبنان عن سورية. ولاقى من «حقي العظم» دعمًا أدبيًا ومعنويًا، وتجاوبًا عاطفيًا بالقلم واللسان. ولما احتلّ الفرنسيون سورية، كافؤوه بأن نصّبوه رئيسًا لمجلس الشورى، ثم حاكمًا «لدولة دمشق». تحت حراب المستعمرين وظلال الانتداب والاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٠م.

جلس الجنرال «هنري غورو».

وكانت تتبع عربة «غورو» المكشوفة، عربة حراسة فيها قائد القوات الفرنسية بدمشق ومساعده، تتبعها عربة تركب فيها شقيقة «غورو» وقريبة لها.

وما أن اقترب موكب «الجنرال»، من منعطف في طريق الجبل المطلّ على «جبل الشيخ»، حتى اشتعلت الأرض تحت أقدام الغزاة. فتح فرسان «المجموعة الاستشهادية» النار على موكب «غورو»، فأُصيب «غُورو» برصاصات في يده الخشبية اليمنى - التي فقدها في حرب الدردنيل - وأُصيب العميد الكولونيل «بارنيت» وقتل على الفور، كما أصيب «حقي العظم» بإصابات طفيفة. عاد بعدها «الاستشهاديون» ومعهم «خوذة الجنرال» إلى قواعدهم سالمين.

ودمَّر الفرنسيون منازل «آل مريود» في قرية «جبّاتا الخشب» وأحرقوها انتقامًا، وفرضوا الغرامات الحربيّة، وأصدروا حكمًا بالإعدام على «أحمد مريود» وأفراد أسرته.

القصة الكاملة
لمحاولة اغتيال الجنرال «غورو»

تلقّى الشعب في سورية، خبر محاولة اغتيال الجنرال المتغطرس «غورو» بالزهوّ والارتياح، للتنسيق البارع بين نداء الحرية ونار البندقية.

ولا بدّ لي أن أسجّل هنا للحقيقة والتاريخ، القصة الكاملة لمحاولة الاغتيال الجرئية، التي قامت بها «المجموعة الاستشهادية» التي أرسلها «أحمد مريود» لقتل «غورو».

فأمَّة أنجبت بطلاً كالشهيد «أحمد مريود». لن تموت أبدًا. هؤلاء الذين نعتز بهم ونفتخر، هم كالأقمار المنيرة في الليلة الظلماء. قضوا أعمارهم وهم يحاولون بناء وتحرير وطنهم، ووحدة ورخاء شعبهم. ثم ألقوا برؤوسهم المتعبة على تراب وطنهم، وناموا في إغفاءة أبدية. والبسمة ترتسم على شفاههم. رغم الصراخ والبكاء. والقهر والحزن والدماء.

فقد كان فقيدنا الشهيد أحمد مريود (زعيم النخبة الطيبة المخلصة من المجاهدين الأحرار)، يوالي جهوده في بث العيون والأرصاد، في مختلف البلاد السورية لاستطلاع أخبار الفرنسيين، وتتبع حركاتهم، واقتفاء آثارهم، تمهيدًا للعمل المجيد الذي ندب نفسه له، ووقف حياته عليه. ولم يخلد إلى

الراحة بالرغم عن كونه، أحد كبار المسؤولين في حكومة رشيد باشا طليع.

في صبيحة يوم من أيام شهر حزيران من عام ١٩٢١م، تسرب إلى زعيمنا الشهيد أحمد مريود نبأ أثار اهتمامه، واستفز حميّته، إذ نمي إليه بأن الجنرال (غورو) أزمع القيام برحلة – استعراضية في قضاء القنيطرة يرافقه بعض رجاله، وأفراد حاشيته، وفي الوقت ذاته يلبّي دعوة الأمير محمود الفاعور شيخ عشائر الفضل - (بعد أن شمله العفو العام) وكذلك الشيخ «نوّاف الشعلان»، لتناول طعام الغداء في مضاربهما، حيث كان الأمير محمود الفاعور يخيّم في منطقة القنيطرة.

اهتز أحمد مريود لهذا النبأ السار، ووجد الفرصة سانحة للعمل الجدّي الحاسم الذي سيهزّ - إذا تم - البلاد هزًّا عنيفاً، ويدفعها إلى الثورة العامة دفعًا، ويهيب بها إلى غسل العار الذي ألحقه بها أولئك المحتلون الغاصبون، بوضع حد لتصرفاتهم الباغية الطاغية، وتعسفهم المرير. لهذا قرر: اغتيال الجنرال (غورو) قائد جيش الاحتلال، والحاكم الغاشم الذي فرض سلطته على البلاد بالحديد والنار، وأهان صلاح الدين في زيارته الاستفزازية لضريحه.

وقد تحركت ثلة من هؤلاء المجاهدين البواسل - تحت ستار الليل البهيم - تحوطهم العناية الإلهية وتحرسهم بعض الأسلحة الخفيفة، متجهين نحو الوطن الغالي، بعد أن زوَّدها الشهيد أحمد مريود بالتعليمات والخطط التي ينبغي، أن تسير عليها، وهي أول عصبة مسلحة استشهادية تنطلق من الأردن لتثأر لشهداء ميسلون. وقد ارتدى أفرادها لباس رجال الدرك السوري، تمويهًا وتضليلاً لإذناب الاستعمار، وصنائع المحتلين.

وباتوا ليلتهم في (مزرعة) إحدى القرى الواقعة في منطقة (الزوية)[٣١٣]، والتي تبعد ثلاثة كيلومترات عن الطريق العام. وفي صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢١م، كان الفرسان الخمسة المغاوير وهم: خليل بن علي مريود - وهو ابن أخ الشهيد أحمد مريود - والمرحوم شريف شاهين من (جبّاثا الخشب)، والمرحوم محمود البرازي الكردي الملقب بأبي دياب[٣١٤] - وقد كان دركيًا في عهد الأتراك ثمَّ التحق بآل مريود - والمرحوم محمود حسن (من قرية جبّاثا الخشب) ومن رجال بيت مريود، ومحمد

(٣١٣) الزوية: قرية تقع في موقع جغرافي متوسط، قريبة من قرى «كفرسوم» و«الشجرة» وعقبة «فيق» وهضاب الجولان وسهول حوران.

(٣١٤) أبو دياب محمود البرازي: ثائر من ثوار حي الأكراد بدمشق. كان أحد الاستشهاديين الخمسة الذين حاولوا اغتيال الجنرال «غورو» على طريق القنيطرة. توفي محمود البرازي «أبو دياب» إلى رحمة الله ورضوانه عام ١٩٥٧م، ودفن بدمشق.

ضاهر «من أهالي قرية شبعا - العرقوب» في جبل الشيخ، وظل هؤلاء الأبطال يسيرون في الطرقات الجبلية، حتى وصلوا إلى جسر يقع بالقرب من قرية (كوم الويسية)، - بالقرب من بلدة خان أرينبة في الجولان - وهنالك لاحت عن بُعد طلائع السيارات التي تقل «الجنرال غورو» ومَنْ معه، فتأهب ثوار مريود للهجوم، وأخذوا يسددون بنادقهم للرمي، ولما اقتربت السيارة منهم، ظنَّ الجنرال غورو أنهم من دوريات الدرك المبثوثة على الطريق، للمحافظة على الأمن العام. وبلمحة خاطفة انهالوا على سيارته بوابل من الرصاص، وكان أول من أطلق رصاص بندقيته على سائق السيارة هو المجاهد أبو دياب محمود البرازي. وهنالك أسرع الجنرال غورو بالاختباء بجوار مقعد السيارة، وقتل مرافقه الضابط الفرنسي «بارنيت» الجالس في المقعد الأمامي، ففتح سائق غورو باب السيارة ورماه إلى الأرض لئلا يعيق حركته، وانطلق بالسيارة مسرعًا، وجُرح حقي بك العظم (حاكم دمشق) في كتفه وفخذه وشفته. وقد وقع التباس في تلك اللحظة الدقيقة الحرجة والظرف العصيب، إذ توهّم المجاهدون أن القتيل هو الجنرال غورو نفسه، فحملوا قبعته وقد اخترقها الرصاص، ثم أطلقوا لجيادهم الأعنة. وتمكنوا من عبور النهر من موقع (المقارن)، حيث وصلوا إلى شرق الأردن سالمين.

وقد أذاعت السلطات الفرنسية بلاغًا اعترفت فيه: بأن اعتداءًا مسلحًا أوقعه المقاومون، على السيارة التي كانت تقلُّ الجنرال غورو، وأنه لم يصب بسوء، وأن مرافقه قد قتل، وأن حقي العظم أصيب بجراح طفيفة، وأن المعتدين كانوا خمسة أشخاص يلبسون لباس الدرك، وأن الجهود مبذولة لمعرفتهم، واقتفاء آثارهم، والقبض عليهم، وإنزال أشد العقوبات بهم.

طلب الجنرال غورو من الشيخ نوري الشعلان[٣١٥] وولده «نوّاف»، ومن الأمير محمود الفاعور، تطبيق قانون العشائر البدوية في هذه الحادثة، فأخذوا يتنصلون منها واتّهموا بها آل مريود، ولما سمع «علي مريود» شقيق الشهيد أحمد مريود بخبر الحادث - وكان في القنيطرة - توارى عن الأنظار، حيث فرّ من القنيطرة واختفى. وهذا ما جعل التهمة تلتصق بآل مريود. ولما عجزت السلطات الفرنسية عن اعتقال المعتدين، عمدت كعادتها إلى التشفي من القرى الآمنة، وإرواء غليلها بالانتقام من السكان المسالمين، بحجة إيوائهم لأفراد تلك العصابة، فزحفت حملة كبيرة من مرجعيون، وأخرى من دمشق بقيادة الكولونيل (دوكور)، حيث دمرت بالديناميت بيوت أحمد مريود

(٣١٥) نوري الشعلان: شيخ مشايخ «الروِلة» من قبائل «عْنزَة» التي كانت تسيطر على الصحراء السورية بين دمشق ونجد. وكان قد قام بتجميع قوات العشيرة في منطقةَ «الأزرق»، وشنّ المعارك ضد قوات الجيش التركي.

وإخوته مع القرى المجاورة للحادث، وفي الوقت ذاته استولى جنود العدو جميع محتويات بيوت آل مريود مع مواشيهم، وفرضت السلطات الفرنسية الغرامات عليهم، ثم قبضت على الشيخ علي موسى مريود، والسيد علي أسعد مريود وسجنتهما بدمشق، حيث لقيا من التعذيب والتنكيل ما لا يصفه قلم كاتب. وكانت جميع المنهوبات التي صودرت، والغرامات التي فرضت (وقد بلغت قيمتها (٦٠) ألف ليرة ذهبية) هي ديّة القتيل الضابط الفرنسي «بارنيت»، الذي كان يرافق الجنرال غورو في السيارة.

وفي الثامن والعشرين من يونيو / حزيران سنة ١٩٢١م، قررت المحكمة العسكرية الفرنسية، الحكم بالإعدام على أحمد ومحمد ومحمود وخليل وأسعد، ويونس وغيرهم من آل مريود، وعلى شريف ومحمود حسن، ومحمد الضاهر، وأحمد الخطيب خال أحمد مريود وأخيه محمد الخطيب، وكذلك على محمود البرازي، وشكيب وهّاب وأدهم خنجر[٣١٦] «رغم أن الأخير لم يشترك مع آل مريود في هذه الحادثة».

وقد اتصلت السلطات الفرنسية بالسلطات الإنجليزية في فلسطين والأردن لتسليم هؤلاء المحكومين. وقد مانع زعماء الأردن بأمر التسليم وتجمعت قوى العشائر وأهالي عمان، للدفاع عن أحمد مريود ورجاله، وانتهى الأمر بعدم التسليم.

وقد كان لهذه الحادثة، أثرها الكبير على معنويات «غورو»، إذ عاد لفرنسا واعتكف بعدها الحياة العامة، وانزوى بعيدًا عن الناس.

ولم يعدم أحمد مريود وسائل التخاطب بينه وبين الثوار، لتأجيج المقاومة ضد الدخيل المغتصب، حتى عبر «الكلمة» والرموز المشفّرة. ليتم التواصل مع الثوار لتفجير الثورة.

كان يؤمن أن دور المقاومة هو العمل على تحرير الأرض. والاستمرار في استنهاض قدرات الأمة، والالتزام بالحق والإصرار عليه، لصناعة النصر والتحرير، وكشف حجم الضعف والوهن في مجتمع الأعداء وآلياتهم. وتحقيق النصر والغَلَبَة عليه، واستهداف العدو في نقاط ضعفه، للقضاء على أسطورة

(٣١٦) الرواية تقول أَنَّ أدهم خنجر لم يكن مع الثوار الذين شاركوا بعملية اغتيال «غورو» على طريق القنيطرة. وقد طلبت السلطات الفرنسية من المعتمد البريطاني في عمان، ومن حكومة شرق الأردن التي كان يتولى رئاسة حكومتها (مظهر أرسلان) تسليم المتهمين بإطلاق الرصاص على الجنرال «غورو» وهم: «أحمد مريود، وأحمد الخطيب، والملازم محمد الخطيب، وصادق حمزة، وأدهم خنجر، ومحمود حسن، وشريف شاهين، ومحمد الظاهر، وأبو دياب البرازي، وخليل مريود». كان اسم «أدهم خنجر» من المطلوبين رغم أنه لم يكن مع الثوار الذين شاركوا بعملية اغتيال «غورو». وقد ألقى الفرنسيون القبض عليه بعد عام من الحادث، في بيت قائد الثورة السورية «سلطان باشا الأطرش»، وأُعدم بهذه التهمة في بيروت بعد أن نُقل بالطائرة إليها.

القوة عنده، لتتهاوى وتسقط تحت ضربات المقاومة العنيفة.

ولم ينسَ أحمد مريود من حشد التأييد الخارجي للثورة. فكلّف المفكر «عبد العزيز الثعالبي»(٣١٧) - زعيم الحزب الدستوري، ومنسق الإعلام الخارجي للثورة في القاهرة - بالسفر إلى الهند، للتنسيق مع «حزب المؤتمر» الذي يرأسه «المهاتما غاندي»(٣١٨) الذي فجّر أيضًا حركة العصيان المدني ضد الإنجليز، للتنسيق بين حركات التحرّر، والبحث عن سُبل لدعم الثورة الوطنية خارجيًا.

ومما هو جدير بالذكر أَنَّ الحكومة التركية كانت عازمة على إعدام أحمد مريود الذي شبّ على الإباء العربي، والشهامة العربية كما عُرف بالصراحة في القول والجرأة، وقوة الإرادة، لأنه كان من أعضاء «جمعية العربية الفتاة»(٣١٩) التي تأسست عام ١٩١١م وناضل في الخفاء، من أجل استقلال العرب وحريتهم.

وحين وقعت الحرب العالمية الأولى وتفجَّرت ثورة شريف مكة الحسين بن علي، هرع أحمد مريود للالتحاق بالثورة مع نفر من أصحابه، من بينهم جلال البخاري وعبد الغني العريسي وطاهر الجزائري، فرحلوا إلى «الجوف» مركز عشائر «الرولا» لكي ينتقلوا منها إلى الحجاز. ولكن الشيخ نوري الشعلان وولده نواف - بعد أن اعتدت عشيرته عليهم، وسلبتهم ما يحملون من مال

(٣١٧) عبد العزيز الثعالبي: مناضل تونسي المولد، عربي الهوية، إسلامي الانتماء. كان أُمة جامعة أشعل روح الثورة، ودعا إلى الحرية والمقاومة. وُلد في تونس الخضراء عام ١٨٧٤م، والتحق بجامعة الزيتونة سبع سنوات وتخرّج عام ١٨٩٦م. قاوم الثعالبي الاستعمار الفرنسي، وكتب في الصحف داعيًا إلى الاستقلال والتحرّر. أنشأ «الحزب الوطني الإسلامي» فطارده الفرنسيون. ففرَّ إلى بنغازي وانتقل إلى الآستانة ثم إلى مصر. تزعّم الحركات الوطنية، والتقى بسعد زغلول، والملك فيصل، والمهاتماغاندي، وجمع التبرعات للمجاهدين، ثم استقرّ في فلسطين عام ١٩٢٣م، وكلّفه الحاج أمين الحسيني بالتحضير للمؤتمر الإسلامي الذي انعقد عام ١٩٣٢م. عاد لوطنه تونس عام ١٩٣٧م، وتوفي هناك عام ١٩٤٤م.

(٣١٨) المهاتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨م): زعيم سياسي وروحيّ هندي. اسمه (موهانداس كَرَمشّند). لُقّب بـ«المهاتما» أي النفس الكبيرة. نادى بالمقاومة السلبية واللاعنف. عمل على تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني. كما دعا إلى إزالة الحواجز بين الطبقات الاجتماعية، وإلى الوحدة بين الهندوس والمسلمين والسّيخ. قتله هندوسي متعصب. كتب سيرته الذاتية عام ١٩٢٧م «قصة تجاربي مع الحقيقة».

(٣١٩) جمعية العربية الفتاة: أسسها عام ١٩١١م في باريس الدكتور أحمد قدري، وعوني عبد الهادي، ورستم حيدر وقد انتقل مركز الجمعية إلى بيروت عام ١٩١٣م، ثم إلى دمشق ١٩١٤م، وقد انضم إليهم كثير من قادة الحركة الوطنية، كما انضم إليها الأمير فيصل. وشكري القوتلي والشهبندر وأحمد مريود، ووصفي اليازجي، وبهجت الشهابي، وحسني البرازي، وزكي التميمي، وسليم العطار، ورياض الصلح، وعادل العظمة، ورشدي الحسامي، وسعد الله الجابري، وعزت دروزة، وعفيف الصلح، وتوفيق الحياني، وفايز الشهابي، ورفيق التميمي، وتوفيق اليوسفي، وسعيد طالب، وجميل مردم، ونسيب البكري، ومحمد الشريقي، والشيخ كامل القصّاب، وياسين الهاشمي، ورشيد طليع.

وعتاد - سلّموهم إلى الأتراك. ولم يشك هؤلاء الشبان الثائرون، حين ساقهم أحمد جمال السفاح إلى المجلس العرفي في عاليه، إنهم سيلاقون النهاية التي صار إليها جميع الأحرار المناضلين، الذي علقهم السفاح على أعواد المشانق.

ومن طريف ما رواه لنا أحمد مريود عن تلك المفاجئة غير المنتظرة، والتي كانت تنتظره في النيابة العامة في محكمة عالية. إذ تفرّس النائب العام التركي في وجه أحمد مريود، وابتسم له، ثم انحنى عليه وهمس في أذنه قائلاً (لا تخف يا أحمد سوف أنقذك). (قل إنك كنت ذاهبًا إلى البادية لشراء عدد من الجمال). ولما أفاق من غمرة المفاجئة، عرف أن هذا الحاكم التركي كان قد التقى به في مدينة القنيطرة، وسبق له أن أحسن إليه، وساعده دون أن يعرف شخصيته، وعندئذ اطمأن وقال في المحكمة مثلما لقّنه النائب العام التركي، وبذلك أنقذه الضابط التركي من الموت المحقق.

وأطلق سراح أحمد مريود، قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى بأشهر معدودة، فأخذ يهيئ الجو مع رفاقه من أعضاء الجمعيات السرّية العربية، لدخول الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل الأول إلى سورية. واستقبلوه في «ميدان الحصى» وهم يحملون الأعلام العربية، وكان الشيخ الأشمر من وجهاء حيّ الميدان المجاهد على رأس الوفود التي استقبلت فيصل مع أحمد مريود.

وفي عهد الملك فيصل انتُخب أحمد مريود نائبًا عن القنيطرة، وأصبح عضوًا في المؤتمر السوري، ومن المؤسسين للنادي العربي، وفي ذات الوقت انتسب متطوعًا إلى الجيش النظامي حين شُرع بتشكيل الجيش كجندي عادي، وكان غرضه من ذلك مزدوجًا فهو يتيح له الدفاع عن وطنه والذود عن بلاده في صفوف الجيش - ذلك لأن الناس كانوا ينفرون في عهد الأتراك من الجندية - نظرًا لسوء معاملة الأتراك لهم، وما لاقاه أبناء سوريا من أهوال الحرب العظمى - وقد ذاق كاتب هذه السطور (جميل شاكر الخانجي) الشيء الكثير من ويلاتها في جبهة (جباقجور، وموش) من ولاية (ارضروم)[٣٢٠] أكثر من عام. ومن جهة أخرى كان شهيدنا أحمد مريود من أعنف القادة الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي منذ اللحظة الأولى، حيث جَمَعَ من أهله وأنصاره عصبة منظّمة أشرف على تدريبها الزعيم العسكري على خلقي باشا، وانضم إليها

(٣٢٠) أرضروم: أي «الأرض التي كانت للروم». وهي مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من تركيا. يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الخامس للميلاد. وقد كان الفتح الإسلامي لهذه المنطقة عام ٦٥٣م، ثم استولى عليها الأتراك السلاجقة عام ١٠٧١م، فالعثمانيون عام ١٥١٥م. ويبلغ عدد سكانها (٢٢٥) ألف نسمة. وقد اصطلح ابن طولون ومعاصروه من المؤرخين، على اصطلاح (رومي – أروام) بالمعنى الذي نعرفه في عصرنا الحديث. وفي الوقت نفسه يستعمل (تركي – أتراك) للجند من المماليك بصفة عامة.بينما نحن نُطلق (رومي – أروام) على «اليونانيين» في زمننا الحاضر.

فيما بعد عدد كبير من المناضلين الأحرار حتى اتسع نطاقها، واستطاع أن يقاتل الفرنسيين بهم في البقاع والجولان. وكان قصده من خوض تلك المعارك هو ضرب الفرنسيين، والثأر منهم لاعتدائهم على البلاد. فلما احتلوا دمشق أخذ الأعداء يبحثون عنه في كل مكان لإعدامه، باعتباره رمز المقاومة. غير أنه التجأ إلى الأردن.

وبقي أحمد مريود في الأردن، يشغل حقيبة وزاريّة هي «نائب العشائر» منذ تأسيس الإمارة في شرق الأردن، وعلى مدى أربع سنوات متعاقبة.

وكان أحمد مريود قد تسلّم منصب «نائب العشائر» في أول حكومة أردنية، وهذا المنصب الوزاري الرفيع كان من أهم وأدقّ المناصب في مجتمع «عشائري» تسوده سلطة العشيرة والقبيلة، واستمر في هذا المنصب الوزاري، حتى رحيل الوطنيين عام ١٩٢٤م، وكان له حضوره السياسي والاجتماعي، كما كان أحمد مريود يتمتع بشعبية كبيرة، ويحترمه زعماء العشائر في البلاد ووجهاؤها.

إلا أن سلطات الانتداب قامت بالتضييق على الثوار، فقدّمت إنذارًا للحكومة الأردنية يطالبها فيه بإخراج الثوار من الأردن[٣٢١]، وإلغاء الحقيبة الوزارية «نائب العشائر» التي كان يشغلها أحمد مريود.

وهكذا ترك المناضل الثائر أحمد مريود الأردن، مع زعماء حزب الاستقلال متوجهين إلى مدينة معان، ومنها توجهوا إلى مدينة العقبة، حيث أقاموا فيها بضعة أيام، قبل أن ينتقلوا إلى الديار الحجازية.

وصل أحمد مريود ورفاقه إلى الحجاز في العاشر من محرّم عام ١٣٤٣ هجرية، حيث كنت هناك في الحجاز موفدًا خاصًا من قبَل زعماء «حزب العهد» في سورية، وكان قد زوّدني بهذه الرسائل «عارف التوّام» لكل من الشريف حسين بن علي وابنه علي، ولابن سعود وذلك لإصلاح ذات البَيْن، ووقف المناوشات بين الأشقاء.

ولم يمض على وصول مريود سوى ثلاثة أسابيع، حتى اجتاحت القوات النجدية الطائف في أيلول ١٩٢٤م ثم مكة.

واحتدم الهجوم النجدي على الطائف ومكة، في العاشر من شهر المحرّم ١٣٤٣ هجرية، حيث اجتاز الجيش النجدي حدود منطقته واحتل قلعة (كلاخ)، ثم احتل (الأُخيضر) بقيادة (خالد بن لؤي) - وهو من أشراف الحجاز وابن عم الشريف حسين بن علي - وانضم إليه بعض مشايخ الأشراف، الذين تخلّوا عن الشريف حسين بن علي، من بني الحارث وبني ثقيف. وراحوا يحتلون

(٣٢١) وافقت الحكومة الأردنية على قبول الإنذار البريطاني في ١٩٢٤/٨/٢١م، وهكذا اتفق المستعمرون على طرد الزعماء الاستقلاليين خارج الأردن. فالنُخب الاستعمارية تتوحّد دائمًا ضدّ الشعوب.

المدن والقرى، حتى وصلوا في الأول من أيلول ١٩٢٤م إلى (الحوية) التي تبعد عن الطائف خمسة وعشرين كيلومترا.

وتابع الجيش النجدي زحفه باتجاه مكة المكرمة، بقيادة (سلطان بن بجّاد) بعد معركة (الهدي)، وتراجع الأمير علي بن الحسين بجيشه إلى مكّة. ثم إلى جدة.

وبقي «أحمد مريود» وجميل شاكر الخانجي في ضيافة «الحسين بن علي» في جدة، ثم تطورت الأمور بسرعة مذهلة، فتنازل أمير مكة الشريف حسين بن علي لابنه «عليّ»، ونُصّب ملكًا بدلاً من والده على الحجاز ليسهل التفاوض المتعثر مع ابن سعود.

وفي الثالث من تشرين الأول ١٩٢٤م، أبحرنا معًا إلى مدينة العقبة[٣٢٢]. ورفض الإنجليز بقاء شريف مكة الحسين بن علي في مدينة العقبة. وأنذروه حتى يغادرها إلى جزيرة قبرص.! وكان لنا معه موقف وداع لا أنساه قبل رحيله.

وافترقنا. غادر أحمد مريود إلى العراق واستقرّ في «خانقين»، وغادرتُ إلى الأردن، واستقريت في مدينة إربد القريبة من الحدود السورية.

رحل أحمد مريود إلى العراق، وهو يحمل هموم أمته على كتفيه، مع رفاقه من حزب الاستقلال، ليبدأ مرحلة أخرى من النضال والكفاح.

كان الوضع في شرق الأردن، قبل قدوم الأمير عبد الله إليها مضطربًا، فقد اغتنم الإنجليز فرصة خروج الملك فيصل بن الحسين من دمشق، واضطراب الحالة في سورية بعد معركة ميسلون، فاقتطعوا جزءًا غاليًا من بلاد الشام هو (لواء الاسكندرونة) وبسطوا عليه نفوذهم - كما أقاموا عدة حكومات صغيرة: بموجب معاهدة أم قيس - يشرف على تنفيذها الضابط الإنجليزي الميجر (سمرست) «الذي أصبح اسمه فيما بعد (اللورد رغلان)» - في إربد والكرك ودير أبي سعيد وعجلون، وفي بعض "النواحي" و"الأقضية" مثل جرش وعمّان ومعان، مجالس محلية وبلدية، وهكذا كانت تلك المنطقة تحكم عشائريًا.

ولما قدم الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان، من أجل مساعدة شعب سورية، لتحريرهم من الاستعمار الفرنسي، انضمت إليه الصفوة المختارة من رجالات سورية الأحرار، الذين اتخذوا من (شرق الأردن) ملجأ يفزعون إليه

(٣٢٢) العقبة: مدينة أردنية وميناء على البحر الأحمر، تقع على خليج العقبة، عند الطرف الجنوبي لوادي عربة، كانت من أهم موانئ فلسطين في العصور الوسطى، تنازع عليها المسلمون والصليبيون.

في الملمات، ومركزًا لنشاطهم الجهادي، وحيويتهم المتدفقة، ووطنيتهم العارمة، وحماسهم الوطني الملتهب الذي لا يخبو ولا يخمد. وكان الأمل يحدوهم، والرجاء يحفزهم، والإيمان القومي يستفزهم إلى استئناف نشاطهم المسلح، بغية استرداد وطنهم السليب، وحقوقهم المغتصبة، والانتقام لتلك الأرواح البريئة، والدماء الزكية التي سفكها الاستعمار الفرنسي الغاشم، بقوة الحديد والنار ظلمًا وعدوانًا.

ولَمّا كان الأردن موئل المجاهدين الأحرار، وبعد قدوم الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان ثم إلى عمانٍ عام ١٩٢١م، أخذ أحرار سورية الرعيل تلو الرعيل، يزحف إلى الأردن أولاً فأولاً، وفي طليعة أولئك الزاحفين السادة: رشيد باشا طليع - (الذي شكّل فيما بعد أول حكومة مَدَنية بعمان) - والقائد العسكري الأميرالاي رضا باشا الركابي[٣٢٣] - (الذي شكّل الحكومة الثانية برئاسته) - والأمير عادل أرسلان - (الذي عُيّن رئيسًا للديوان الأميري) - والشهيد أحمد مريود - (الذي كان معاونًا لنائب العشائر «الأمير شاكر بن زيد» في حكومة رشيد باشا طليع) - والشيخ كامل القصاب، ودولة حسن الحكيم، ومحمد باشا الشريقي - الذي أشغل عدة وزارات فيما بعد - ومنهم خير الدين الزركلي، ورشدي باشا الصفدي، وأديب الصفدي - (صاحب مجلة الناقد) - وتيسير ظبيان - (صاحب جريدة الجزيرة) - ورشيد باشا المدفعي، وحامد باشا الوادي، وغالب باشا الشعلان، ونبيه العظمة وأخيه عادل العظمة، وسامي السراج، والأمير محمود الفاعور، وعمر زكي باشا الأفيوني، وعبد الستار السندروسي، وأخي الشهيد عمر شاكر الخانجي، (وكان قد عين رئيسًا لمفتشي دائرة الزراعة)، والقائد فؤاد سليم، والقائد صبحي العمري، ومحمد باشا الأنسي (الذي اشترك مع شقيقي عبد اللطيف شاكر الخانجي)، بتأسيس أول جريدة عربية في معان أسماها (الحق يعلو)، كما سبق له أن اشترك معي في ثورة حوران الشهيرة التي حدثت عام ١٩٢٠م واستمرت (زهاء خمسة أشهر)، ثم اضطر شيخ مشايخها (إسماعيل باشا الحريري) أن يلتجئ إلى الأردن، مع مشايخ قرى (داعل) و(نوى)[٣٢٤]

---

(٣٢٣) رضا باشا الركابي: ولد في مدينة دمشق، وكان من كبار ضباط الجيش التركي، بقي يقاتل مع الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان يتمركز بقواته التركية في منطقة «القنيطرة» في «الجولان». أصيب بجرح بليغ أثناء المعارك، ثم ما لبث أن انضمّ للجيش العربي الفيصلي، ومعه أكثر من ستين ألف ليرة ذهبية أخذها من الأتراك. تسلّم رئاسة الوزارة في دمشق بعد دخول جيش فيصل، وتولى رئاسة الوزارة مرتين في عمان، بعد الاحتلال الفرنسي لسورية، ثم عاد إلى دمشق، وتوفي فيها عام ١٩٤٢م، ودفن في «مدفن آل الركابي» في باب الصغير.

(٣٢٤) نوى: مدينة في هضبة حوران، وتتبع منطقة إزرع في محافظة درعا، وتبعد عنها ٢٠كم، وتضم خمسة قرى،

و(محجة)[٣٢٥] و(دير علي)........ و(الكتيبة)[٣٢٦] و(شقرا) و(طفس) و(جلّين)[٣٢٧] و(الدلّي)، و(غباغب) و(الزوية) حتى قرية (فيق)، حيث ظلت الأخيرة بضع سنوات تقاوم الاستعمار بقيادة الوجيه الشيخ (أبي هاجم خلف التل) ومعه الشيخ عبد الله الطحان، (وكنت همزة الوصل بينهما وبين علي خلقي باشا)، كما اشترك في ثورة حوران، بعض المتطوعين من القرى الأردنية: الشجرة، والطرّة، وعمراوة، والبارحة، وحوارة إربد، وأهالي قرى الأردن في المنطقة الشمالية المتاخمة لأراضي حوران.

وتوالت النكبات والويلات على الأمة العربية، في حروب واقتتال. أضاع قُدُراتِها. سقط الحكم في الحجاز، ونفى المراوغون السياسيون الإنكليز الحسيَن بن علي إلى جزيرة قبرص بعد أن استنفذوا أغراضهم منه. وطَرَد الفرنسيون فيصل من سورية، وفرضوا "انتدابهم" عليها بقوة الحديد والنار. وتمزّق شمل الثوار. وطُردوا من بلدهم سورية. ثم طُردوا من الأردن، وتفرقوا في أصقاع الدنيا، كما قام الإنجليز - وهم أصل بلاء العالم العربي - بتشجيع وتسهيل الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، بصفتهم الدولة المنتدبة.

وبعد أن اندلعت الثورة في جبل العرب عام ١٩٢٥م، إثر إلقاء القبض على المناضل «أدهم خنجر» في بيت سلطان باشا الأطرش، بينما كان غائبًا عن قريته «القريّا»، حتى قرّر المناضل الثائر أحمد مريود في تشرين الأول ١٩٢٥م، رفد الثورة السورية بالرجال من ذوي الخبرة العسكرية في القتال، وبالمقاتلين الأشداء.

ولبّى نداء الوطن كثير من قادة الثورة ورموزها: القائد الكبير سعيد العاص، وشوكت العائدي، وفؤاد سليم، وحسن المدفعي، ومحمود الهندي، وصبحي العمري، وغيرهم كثير لا تسعفني الذاكرة من ذكرهم.

وفي أواخر نيسان ١٩٢٦م، استأذن أحمد مريود ملك العراق فيصل الأول،

وتجاورها ناحية جاسم، وناحية الشيخ مسكين، ومنطقة درعا ومحافظة القنيطرة. تقع في أرض سهلية وسط الجيدور وعلى تخوم الجولان، وتكثر فيها التلال البركانية.

(٣٢٥) مَحَجَّة: قرية في هضبة حوران، تقع على حافة اللجاة، وعلى بعد ١١كم من مدينة إزرع. تتخللها مخاريط بركانية وبعض التلال، وفيها آثار يونانية ورومانية ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد (معابد، وكنائس، وقصور، ومدافن).

(٣٢٦) الكُتَيْبَة: قرية في سهول حوران، تتصل عمرانيًا ببلدة خربة الغزالة، في محافظة درعا.

(٣٢٧) جلين: قرية في سهول حوران، تتبع ناحية مزيريب وتبعد عنها ١١كم. تكثر فيها الينابيع، وفيها آثار رومانية وبيزنطية. وقد عسكرت فيها جيوش المسلمين في معركة اليرموك.

بالعودة إلى سورية لمواصلة الكفاح والنضال والقتال ضد الفرنسيين الدخلاء المغتصبين الذين طردوا فيصل من سورية لأنه لم يقبل بانتدابهم، ورفض أن يكون «بيدقًا» بأيديهم يحرّكونه متى شاؤوا، ولو قبِل لبقي ملكًا على عرش سورية.

قال له الملك فيصل وهو يودّعه: «إنني أرى الشعب العربي السوري النبيل من خلالك».

وعندما وصل أحمد مريود إلى جبل العرب. كنت هناك في جبل العرب أحضر الاجتماع الذي يعقده سلطان باشا الأطرش، مع كبار قادة الثورة السورية، وقد فوجئ الجميع بقدومه.

وبعد أن انتهى الاجتماع، أصرّ رحمه الله أن أرافقه إلى الغوطة، ليؤجج نيران الثورة. ضد الغزاة الفرنسيين. كان هاجسه. وما يُشغل كلَّ تفكيره، أن تبقى الثورة مستمرة ضد الاحتلال. ليأخذ الثوار دورهم ومواقعهم من جديد، وليتحملوا مسؤولياتهم في دعم الثورة، حتى تعمَّ كلَّ أرجاء البلاد وكان الثوار قد أطلقوا شرارتها بالفعل، ما بين مطلع تشرين الأول ١٩٢٥م ومطلع تشرين الثاني ١٩٢٥م. ليؤكدوا للمستعمرين الفرنسيين المحتلين تواجد المناضلين الثوار لنزَالهم.

وهكذا تألّق أحمد مريوَد في نضاله ضد المستعمرين أشعل شمعة في قنديله الساحر، وتتالى توهج القناديل واحدًا بعد واحد فحقّق التكامل والتواصل بين الثورة والثوار.

كانٍ أحمد مريود نشيدًا للفرح، وهتافًا للوطن، يستنهض الهمم من كبوتها، ترتيلاً لملحمة الجهاد أمام عتبات الوطن كما كان في قوة عزيمته يعادل جيشًا كاملاً من المحاربين الأشداء. هكذا يقول عنه «أسعد داغر»[٣٢٨] في مذكراته «على هامش القضية العربية»:

(حَمَل «الشُعلة» وقاد المسيرة ليكون نبراسًا للروح العربية الوثّابة، التي يحاولون اليوم «بحداثتهم» المستوردة طمسها).

كانت السمة التي تميّز أحمد مريود عن غيره انتماؤه الشديد وحبه لوطنه. كما كان يتصل اتصالاً عضويًا بثقافة المكان، وقيَمه التراثية، تشدّه عوالم وطنية تتجاوب مع أحلامه وينوس بينهما، وتتماهى في نفسه الأبيّة، لتلتقي مع حبه الكبير «عشق الوطن».

(٣٢٨) أسعد داغر بن خليل (١٨٨٦-١٩٣٥م): مناضل وأديب عربي لبناني. اشتغل بالتدريس في اللاذقية زمنًا، ثم عمل في تحرير «المقطّم» في مصر مدة عامين. من كتبه: تاريخ الحرب الكبرى، تذكرة الكاتب، شعر، حالة الأمم وبني إسرائيل، راسبوتين الراهب المحتال.

لقد حاول الفرنسيون بشتّى الأساليب إنهاك الثورة والثوار. في الغوطة وفي مركز قيادتها في جبل العرب، لخلق حاله من اليأس في الساحات الثائرة، وتحجيم العمل الجهادي، وتشتيت جموع الثوار، وقتل جرحاهم، وإتباع سياسة الأرض المحروقة، بنسف البيوت وإحراق المنازل والمزارع والمحاصيل، وتغريم القرى. والسجن والتعذيب. شأن كل المحتلين. تمامًا كما يفعل الصهاينة بشعب فلسطين. لكنهم فشلوا في تركيع الثوار وإنهاء المقاومة[٣٢٩]، رغم البطش والجبروت.

وتمكّن المناضل الثائر أحمد مريود من الوصول إلى بلدته «جباثا الخشب»، واستقطب زعماء المناطق، مثيرًا فيهم النخوة الوطنية، والحميّة الدينية، والانتماء للوطن والدفاع عنه، لتصبح الثورة ثورة عامة عارمة تشمل الوطن كله، من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه بجميع شرائحه، وعلى اختلاف طبقاته وثقافته لمقاومة المحتلين. فقد ضمّت هذه الثورة أبناء العائلات العريقة، وأبناء العائلات الفقيرة، وأبناء المدينة والفلاحين والقرويين، ورجال الدين والتجار والعمال والمحامين والأطباء والضباط والموظفين والمتعلمين وغير المتعلمين.

لقد بدأ زحف الثوار لإشعال نيران الثورة من قلب دمشق، واحتشدت جموعهم في قرى الغوطة، ومن هناك بدأ زحفهم نحو المواقع الفرنسية في «المليحة» و«الخيارة» و«داريا». لتشتعل نار الثورة من جديد.

وتوافدت جموع المجاهدين على مراكز الثوار للالتحاق بالثورة، كما التحق بالثورة ابن أحمد مريود البكر «حسين مريود» وشقيقه «محمود مريود» و«ياسين مريود».

كان الفرنسيون يحشدون قواتهم، للزحف إلى معقل أحمد مريود في قريته «جباثا الخشب» وإنهاء الثورة في الجولان، في حين كانوا يشيعون أنهم يرغبون في التفاهم مع الثائر أحمد مريود، وإجراء مفاوضات معه. فقد كانوا يحتالون ويراوغون كالثعالب. وهذا شأن كل المستعمرين فكونوا منهم على حَذر.

---

(٣٢٩) دورنا حماية «المقاومة»، ومساعدتها واحتضانها، لأنها قادرة على صناعة المستحيل. قادرة على صناعة النصر، وإنهاك جيوش الاحتلال وطردها، ذلك بعد أن عاشت الأمة شعور الهزيمة والضعف والوهن، وعدم القدرة على تحقيق النصر. وما يريده العدو ويعمل به، إشاعة ثقافة الاستسلام والخنوع، والقبول بالأمر الواقع. وستظل «المقاومة» مرحلة مشرقة ونقطة إضاءة في تاريخ أمتنا، تستعيد الأمة بها الثقة بالنفس، والقدرة على تحقيق النصر، وإنزال الهزيمة بالعدو وانتصار المقاومة في لبنان خير مثال. ثم متى كان السلاح المقاوم المدافع عن الوطن وسيادته عاملاً إشكاليًا أو إرهابيًا. ألم تدخل كلمة «الانتفاضة» - التي قام بها شعب فلسطين ضد قوات الاحتلال الصهيونية - قاموس اللغات العالمية؟ لكن الصهاينة والمتصهينين والذين وشَمَتْهُمْ الصهيونية على جبينهم بوشمها هم وحدهم الذين يريدون إلغاء ثقافة المقاومة... ودورها.

وعَقَد أحمد مريود في «جبّاثا الخشب» اجتماعًا حضره كبار قيادات الثورة في دمشق والغوطتين، لوضع الخطط العسكرية والسياسية.

جرّد الفرنسيون حملة كبيرة تقدّر بخمسة آلاف جندي وضابط، مجهّزة بالأسلحة الثقيلة والمصفّحات والدبابات والطائرات، لاقتلاع الثورة من جذورها تمهيدًا للقضاء عليها نهائيًا.

وقرّر قائد ثورة الجولان. الدفاع عن قريته «جبّاثا الخشب» حتى الرمق الأخير، بعد أن رفع شعار ثورته: «ثورة شاملة دائمة. حتى النصر والتحرير والاستقلال». واتخذ التدابير التالية:

- **يقف ثوار آل مريود صفًا واحدًا، رجالاً وشيبًا وشبابًا للدفاع عن مدينتهم. وقد بلغ عددهم أربعون شخصًا مع أنسبائهم من آل الخطيب.**
- **يستنفر الثوار قواتهم. يقطع المجاهد أحمد الباراي ومجموعته، يرافقهم أحمد الحسيّبي، وأبو عجاج العبد. الطريق أمام العدو بين دمشق والقنيطرة، لمنع مرور ناقلات الجنود الفرنسية.**
- **يتمركز المجاهد أبو عبدو سكر ومجموعته، يرافقهم أحمد غازي، وخليل مريود في (بيت جن)[٣٣٠].**
- **يتقدم عادل أرسلان ومجموعته من مجدل شمس، وقرية (حَضَر) باتجاه (جبّاثا الخشب) للمشاركة في المعركة.**
- **يتمركز الأمير عز الدين الجزائري، ومعه ثوار آل العسلي، يرافقهم حكمت وفائق وصبري العسلي في موقع المدرسة.**
- **يتمترس شكيب وهاب ومجموعته، على طريق القنيطرة، يرافقهم عبد الحليم الجردي، وسليم عبد الصمد، وحسين قيس، وأحمد الصعيدي.**
- **يساند المجاهدون الدمشقيون الثوار: أبو صالح الكلاس، خليل الديراني، مصطفى الديراني، رمضان بغدادي، علي جمعة، عبد اللطيف المغربي.**

وتجمّعت القوات الفرنسية، وتمركزت في مدينة القنيطرة، وزحفت إلى قرية (جباثا الخشب) من كل الجهات، للثأر من أحمد مريود الذي تجرّأ وأجّج الثورة من جديد ضدهم، كما تجرأ من قبل وحاول اغتيال (غورو).

وهرعت عصابات الثوار من كل مكان، لوقف تقدّم الجيش الفرنسي،

---

(٣٣٠) بيت جن: قرية كبيرة تابعة لمحافظة ريف دمشق وتبعد عن منطقة قطنا ٤٢كم «ناحية: الحرمون». وقد انت مع مزرعتها قرية واحدة، ثم انفصلت المزرعة وأصبحت قرية لوحدها، وقاعدة للمنطقة. وتبعد عن مزرعة بيت جن ٤كم. وهي تقع في وادٍ سحيق في سفح جبل الشيخ، أهلها من الدروز وفيها نبع ماء كان مقدسًا عند الآراميين، وقد بنوا بلدة (بيت جن) وأقاموا فيها معبدًا. وقرب النبع الأصلي «غار» عبارة عن كهف عميق وواسع يشكّل بحيرة من الماء الزلال، يسبح فيها سمك فضّي اللون. ويسمي الأهالي هذه البحيرة «المنبج». أحرق الفرنسيون بلدة «بيت جن» خلال الثورة السورية ولكن أهلها أعادوا بناءها من جديد.

ومساعدة (جباثا الخشب) في معركتها الشرسة مع القوات الفرنسية.

هرع الأمير عزّ الدين الجزائري ومَنْ معه من الثوار، وتقدمت عصابة أبوعبده سكر، وأحمد البارافي[٣٣١]، وسعيد الأظن، وأحمد غازي، وأبو صالح الكلاّس، وبشير العبد، وأبو عجاج العبد وغيرهم من الثوار كثير.

ووقعت أروع ملحمة قتالية بين الثوار والقوات الفرنسية، ودارت رحى الحرب بينهم.! ولمّا بلغ الشهيد أحمد مريود والأبطال المرابطين تقدّم العدو، تحرّك لمقابلة تلك القوات المجهّزة بالدبابات والمدافع الثقيلة، يقابلها الثوار ببنادقهم فقط - كما يفعل ثوار أهل فلسطين اليوم -.

وأمام ضغط الثوار المتواصل وشجاعتهم وبسالتهم، اضطرت قوات العدو إلى الارتداد إلى الخلف زهاء كيلومترين.

وفي الوقت ذاته كانت أسراب الطائرات، تقصف القرية ومواقع الثوار بقذائفها، في طَلَعَات متتالية.!

وقد صمد سيّد الأبطال، مع أخويه محمود مريود[٣٣٢] وياسين وولده حسين، وأخواله من آل الخطيب ورجالهم الأشاوس، في هذه المعركة الحامية الوطيس، وكان بإمكانه أن ينسحب من ميدان المعركة، ويتخلص من التطويق، لكنه آثر أن يكون شهيد البطولة النادرة مع نفر من أهله.

تقدمت قوات العدو باتجاه قرية «جباثا الخشب»، تحت قصف عنيف من نيران مدافع الدبابات وقنابل الطائرات، وحاول «عاصم محمود باغ» وآل باغ، سحب الكوكبة الشركسية من الحملة الفرنسية الكبيرة، التي تهاجم قيادة الثورة في «جباثا الخشب»، إلا أن «عثمان بك» المتعاون مع العدو الفرنسي، كان وراء إحباط مساعي آل باغ الحميدة.

ودارت معركة ضارية شرسة. وقف أحمد مريود يقاتل حتى استُشهد، في الحادي والثلاثين من أيار ١٩٢٦م، مروّيًا أرض الوطن بدمائه الزكية.

وكان حصاد تلك المعركة عدد من الشهداء الأبرار، وفي مقدمتهم أحمد

(٣٣١) أحمد البارافي: ولد في حيّ الأكراد بدمشق عام ١٨٩٣م، هاجم مع مجموعة من الثوار مركز قطنه. وأطلقوا سراح السجناء، وأحرقوا دار الحكومة، وفتحوا مستودعات الأسلحة، واستولوا على موجوداتها من السلاح والذخيرة، كما هاجموا قلعة الجندل، التي كان يُقيم فيها «نسيب أبي داود» - الذي تعاون مع الفرنسيين - ضدّ قوات الجيش العربي في ميسلون وقد شارك «البارافي» في معركة «معربا» و«كفربطنا» و«عين ترما». حكم عليه الفرنسيون بالإعدام عام ١٩٢٧م، لاشتراكه في مقاومتهم - كما يفعل المحتلون الصهاينة مع أبناء فلسطين الذين يقاومون احتلالهم - لكنه توارى عن الأنظار.

(٣٣٢) محمود مريود (١٩٠٧-١٩٢٦م): كان الشقيق الأصغر - لقائد ثورة الجولان أحمد مريود - من أمهر الرماة، ورصاصاته لا تخطئ هدفها. كان يبحث عن الموت من أجل أن يحيا الوطن حرًا مستقلاً. كما كان فارسًا يشهد له رفاقه بالفروسية وحب الفداء. استُشهد في المعركة الكبرى في «جبّاثا الخشب» يوم ٣١ مايو / أيار ١٩٢٦م، ولم يكمل التاسعة عشرة من عمره.

مريود وشقيقه محمود، ومحمد أسعد مريود، وحكمت وفائق العسلي، ومحمد عمر، وعيسى الخليل مريود.

كما كان العدو يقتل كل مَنْ يعثر عليه من أهالي القرية. وكان الشهيد أحمد مريود قد أنقذ المدعو «حسني» من الإعدام في الغوطة، لجرم ارتكبه مع المجاهدين، واصطحبه معه إلى قريته في «جباثا الخشب» وقد ثبت أن المذكور كان يوافي السلطات الفرنسية بتقارير يومية، يتجسس فيها على مَنْ أحسن إليه، وأنقذه من الموت، وهو الذي شجّع القوات الفرنسية لإرسال الحملة الأخيرة، بعد أن تأكد للعدو عدم وجود قوات كبيرة تدافع عن القرية وهكذا صدق حديث سيد المرسلين «اتّق شرّ مَنْ أحسنت إليه».

وبينما كانت قوات العدو تقضي على آخر جيوب المقاومة، في بيوت القرية «جباثا الخشب» - التي دافع عنها أهلها ببسالة نادرة - وينهبون ويحرقون بيوتها ويدمرونها فوق رؤوس أصحابها - كما يفعل المحتلون اليوم في فلسطين - وصلت طلائع «النجدة» التي كان يقودها «الأمير عادل أرسلان»، وما كادوا يبلغون مشارف القرية وضواحيها، حتى شاهدوا تلك المجزرة الرهيبة، فتراجعوا وانسحبوا ولم يشتركوا في المعركة.

وبعد توقّف المعركة، راح الثوار يبحثون عن جثة الشهيد أحمد مريود إلاّ أنهم لم يعثروا عليها.

نقل الفرنسيون جثمان الشهيد معهم، وطرحوا جثته في اليوم التالي أمام دار البريد - في ساحة المرجة - بدمشق، وظلّت جثته معروضة على الناس أيامًا تحت أشعة الشمس المحرقة، تحرسها حراب المستعمرين. يقول أحمد شوقي:

وللمستعمرين – وإن ألانوا– قلوبٌ كالحجارة، لا تَرِقُّ
إذا ما جاءه طلابُ حقٍّ يقول: «عصابةٌ خَرجوا وشقُّوا
بلاد ماتَ فتيَتُها لتَحيا وزالوا دونَ قومهمُ ليبقوا
ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ وفي الأَسْرى فدًى لهمُو وعتقُ
جزاكم ذو الجلال بنيَ دمشقٍ وعِزُّ الشّرقِ أوَّلُهُ دمشَقُ

كان المغتصبون الدخلاء، يحسبون أنَّ عرض الجثة على هذا الشكل المريع، يبعث الخوف في نفوس المواطنين، فيكفوا عن قتال الفرنسيين، ويلقوا من أيديهم السلاح ولكن الأمر كان على نقيض ما يتصورون لم يفهم «المغتصبون» حتى اليوم الثقافة الدينية والوطنية للأمة العربية ولا كينونتها المُضَرية اليعربية عندما تغضب وتثور.

ونثر الدمشقيون الورود والرياحين على جسد الشهيد حتى غطّوه بالورود.

وفي احتفال مهيب، حُمل جثمان الشهيد على أعناق الرجال، ودفن في مقبرة «قبرة عاتكة» في عرس وطني مهيب.

ألست دمشق للإسلام ظئرًا ومرضعة الأُبوة لا تُعَقُّ

ورقد أحمد مريود في ذاكرة التاريخ، بعد أن قاد كتائب الجهاد، وخاض معارك الشرف والبطولات، متقدمًا الصفوف في سبيل أمجاد العرب وحريتهم، حتى سقط شهيدًا، ليترك هذه الذكرى العطرة التي تحفّز الجميع إلى الاقتداء بسيرته، مجاهدًا في سبيل الله والوطن.

واحتضنت دمشق عاصمة الأمويين جسده بحث عن الموت من أجل استقلال وطنه، لدحر المغتصب الدخيل، وأراد تأديب فرنسا باغتيال جنرالها المتغطرس.

وبعد استشهاد أحمد مريود، تشعّبت الخلافات بين القيادات التقليدية. وكَثُر الرؤساء، وتباينت الآراء، وتعددت الانشقاقات حتى وصل حدّ التآمر على حياة قادة الثورة والثوار.

وجرت ملاحقة الثوار من قِبل الفرنسيين والإنجليز على حدّ سواء في الشمال والجنوب، ومُنع الثوار من استخدام منطقة «الأزرق»، وهاجر في الثالث من نيسان ١٩٢٧م كل الثوار تاركين الوطن مقهورين وتوقفت الثورة بعدك يا أغلى الرجال.

رحمك الله يا «أبا حسين» عدد حسناتك وتضحياتك.

نم قرير العين. حيث واصل إخوانك جهادهم، حتى نالت البلاد استقلالها بعد عشرين عامًا من استشهادك ورحيلك، والله لا يضيع أجر المحسنين.

[وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتلُوا في سَبيل الله أمْوَاتاً بَلْ أحْيَاءٌ عنْدَ رَبِّهمْ يُرْزَقُونَ ❖ فَرحينَ بمَا آتَاهُمُ اللَّهُ منْ فَضْله وَيَسْتَبْشرُونَ بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بهمْ منْ خَلْفهمْ ألَّا خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ يَسْتَبْشرُونَ بنعْمَة منَ اللَّه وَفَضْلٍ وَأنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أجْرَ الْمُؤْمنينَ]. صدق الله العظيم [آل عمران: ١٦٨]

إنها دعوة من الشهيد أحمد مريود، لجميع أبناء الوطن لحماية استقلاله، ورفع راياته. دعوة لأجيال المستقبل، حتى تبني وتعمّر هذا الوطن.

دعوة من - الشهيد الحيّ في قلوبنا - لبناء الإنسان. وبناء الإنسان يعني بناء الوطن.!

دعوة من أحمد مريود[٣٣٣] الثائر أبدًا، لاستنهاض الهمم الواقعة في مستنقع المصلحة الفردية والأنانية البغيضة، حتى تتماهى ألوان الطيف في الوطن، وتقدّم بكل صدق وعَفَوية. «عشقًا» متميزًا للوطن، مضمخًا بعبق الياسمين. متفرِّد الأشواق والنكهة. فالجميع يرحلون ويبقى الوطن.

❖❖❖

● ● ● وأنا أقول...

يقع إقليم الجولان الاستراتيجي عند مفترق أربعة أقطار عربية مجاورة (سورية ولبنان وفلسطين والأردن)، وهو يحتل الجزء الجنوبي من القطر العربي السوري، ويُشرف على منطقة «الحولة»[٣٣٤]. استولى الكيان الصهيوني على مرتفعات الجولان الحصينة في حرب ١٩٦٧م. وقد كان الجولان يمثّل نقطة تفاعل حضاري وثقافي منذ أقدم العصور التاريخية، ونقطة تقاطع للطرق الرئيسية والقوافل التجارية القادمة من الحجاز واليمن والحيرة ومصر.

كان الجولان جزءًا من الدولة «الآشورية» عام ٢٣٥٠ق.م، ثم جاء إليه «الآرميون» في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ودخله «الآشوريون» عام ٧٣٢ ق.م، كما أقام فيه «الكلدانيون» في القرن الثامن حتى القرن السادس قبل الميلاد. ثم استقر فيه «الفرس» من القرن السادس حتى القرن الرابع قبل الميلاد.

وشهد الإقليم تداخل الحضارة اليونانية، وحكم الأنباط والغساسنة والرومان حتى عام ١٠٦ق.م.

وهزم عرب الجولان الغزاة «العبرانيين» الذين حاولوا السيطرة على إقليم الجولان هزيمة منكرة، وطردوهم من بلادهم شرّ طردة. كما أسس «العموريون» مملكتين في جنوب بلاد الشام، وكانت «عشتروت» – من قرى الجولان – إحدى عواصمهم.

وبعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام، كانت منطقة الجولان تحت الحكم الغسَّاني التابع للأمبرطورية الرومانية. حتى أن عمر بن الخطاب عقد

(٣٣٣) بمناسبة الذكرى الثمانين لمعركة جباتا الخشب، أقام المركز الثقافي في مدينة القنيطرة، ظهر يوم الأربعاء ٣١ مايو / أيار ٢٠٠٦م، احتفالاً تحدث فيه الكاتب الأردني «محمود عبيدات»، مؤلف كتاب «احمد مريود – قائد ثورة الجولان»، حيًّا بطل الجولان الذي روّى ترابها بدمائه. واستقبل آل مريود هذه الجموع في جباتا الخشب بلدة الشهيد أحمد مريود.

(٣٣٤) الحولة: بحيرة ماؤها عذب محصورة بين جبل الشيخ وجبل عامل وجبال الجولان وخان الدريجات. وتشغل وادٍ طوله ٧كم وعرضه ٥كم، وتعلو عن سطح البحر مترين، وتبعد عن قرية بانياس ٢٠كم. يمر من هذه البحيرة نهر الأردن، ويخرج منها ويسير بهدوء مسافة ٤كم بين آجام القصب. وعند جسر «بنات يعقوب» يندفع في مسيل كثير الانحدار إلى سهل البطيحة، ثم يجري إلى البحر الميت بعد أن يسير ١٢٠كم.

اجتماعًا لقادة جيوشه على أرض الجولان، وبعد «مؤتمر الجابية» هذا تمّ تحرير سائر بلاد الشام وتوحيدها.

وقد سكن الجولان قبائل «الفضل»، ومنهم الأمير «محمود الفاعور» وهي قبيلة من فروع «ربيعة» وقبائل «النعيم» وهي الأكبر، ويرأسهم «الشيخ زعل السلّوم»، وقبائل عَنزَة «ولد علي» وعشائر النمر والعساف والسكر التابعة لقبيلة عدوان القيسية العدنانية، وغيرهم من العائلات.

وقد تعرّضت الجولان لهجمات «المغول»، التي كانت نهايتهم على يد الملك القائد المظفّر قطز، في موقعة «عين جالوت» في الثالث من أيلول ١٢٦٠م وقتل قائد جيش المغول «كتبغا».

وعلى أرض الجولان حطّم المسلمون الجيوش الصليبية، وتمّ طرد الصليبيين ودحرهم وتحرير بيت المقدس عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ على يد السلطان المظفّر صلاح الدين الأيوبي.

وفي عام ١٩٦٧م احتلت إسرائيل إقليم الجولان، وسيطرت على الأرض، ومصادر المياه، ثم بنت المستوطنات، وضمَّت الجولان عمليًا إلى الدويلة المسخ «إسرائيل». دون أن تُقيم وزنًا لقرارات الأمم المتحدة. والمجتمع الدولي.

لكن أهلنا في الجولان احتفظوا بعروبتهم، وقاوموا كل المخططات الصهيونية.

وبقيت القنيطرة المدينة الصامدة، عروس الجولان، مدينة الدموع والأشباح. بعد أن صبّ الصهاينة حقدهم وهمجيتهم على حجارتها ومبانيها وجوامعها وكنائسها، وتركوها حطامًا وركامًا وقاعًا صفصفًا. ودمروها بنيران مدفعيتهم وطائراتهم.

تطالعك في مدينة «القنيطرة» صُوَرَ «الديمقراطية» التي «تزرعها» الآلة العسكرية الأمريكية في بلادنا.

أما جباثا الخشب فهي من قرى «هضبة الجولان». نزح إليها آل مريود من قبيلة «المهيدات». فقد نزلوا أولاً في قرية (دربل)[٣٣٥]، ثم في قرية (حَضَرٌ)، ومنها إلى مواقع (سحيتا)[٣٣٦] وغيرها من القرى المجاورة، وأخيرًا استقروا في موقع مرتفع حصين، بالقرب من نبع (عين البيضة)[٣٣٧] وهو مكان مملوء

(٣٣٥) دُرْبُلْ: قرية في سفوح جبل الشيخ، وتتبع ناحية الحرمون – مزرعة بيت جن – منطقة قطنة، وهي قرية قديمة كان يُطلق عليها اسم «دير العجم» تشرب من نبع «كفرونا».

(٣٣٦) سحيتا: قرية في جبل الشيخ، تتبع ناحية «خان أرينبة» وتبعد عنها ١٧كم، تعرّضت مساكنها للتدمير وسكانها للتهجير أثناء العدوان الإسرائيلي في يونيو / حزيران ١٩٦٧م.

(٣٣٧) عين البيضة: نبع ينبثق في الجنوب الشرقي لـ«جباتا الخشب»، تتدفق مياهه عبر أقنية اسمنتية، يستفاد منها في ري الأراضي المحيطة، حيث تتوضع جباتا الخشب.

بالغابات والأشجار الكثيفة، وأقاموا قريتهم التي تُعرف (جباثا الخشب).

والجولان الذي افتداه «أحمد مريود» بروحه، وروّى أرضه وترابه بدمه قد قام بإعمار هذه الأرض، أجداده الغرّ الميامين، في منتصف القرن السادس عشر.

و«الجولان» لغةً تُعني التراب الذي تجول به الرياح، و«الجول» مصدر بمعنى الجماعة من الخيل المختارة. و«الجول» أيضًا بمعنى البئر في جانب الجبل.

وجغرافيًا أُطلق على الهضاب التي تقع شرقي نهر الأردن «الجولان» لنوعية الأتربة التي نسفتها الرياح، ولكثرة ما جرى على أرضها من حروب.

والجولان إقليم في القطر العربي السوري، ويقع في الجنوب الغربي من القطر، على هضبة تتكون من منطقة وعرة، ومن بقاع تنحدر تدريجيًا من سفوح جبل الشيخ «الحرَمون» إلى ضفاف وادي اليرمُوك جنوبًا، ويتجاوز ارتفاع بعض قممها إلى ١٢٠٠ متر، ويبلغ طول الشريط الحدودي مع فلسطين المحتلة، من الشمال إلى الجنوب ٦٧كم، ومن الشرق إلى الغرب ٢٥كم.

وتحتل هضبة «الجولان» الجزء الجنوبي الغربي من الإقليم، ويُعدّ «وادي الرقّاد»[٣٣٨] الذي ينتهي إلى نهر اليرموك، الحدود الطبيعية الفاصلة بين الجولان ومنطقة حوران. أما من الجنوب فيحدها وادي اليرِموك، ومن الغرب الانهدام الإفريقي - السوري، وتتصل من الشمال بكتلة «الحرَمون». وتغطي المنطقة صخور بازلتية سوداء، تشكّل تلالاً معظمها مخاريط بركانية، «كتلّ أحمر» و«تلّ أبو الندى». ويقابل هذه المرتفعات منخفضات، تتجمع فيها مياه الأمطار. ومركز الجولان مدينة القنيطرة، وتتبعها خان أرينبة والخشنية ومسعده، وفيق[٣٣٩]، والبطيمة[٣٤٠]، وخسفين[٣٤١]. وهناك قرى «حَضَر» وجبّاثا الخشب وجبّاثا الزيت[٣٤٢]، ومسحرة[٣٤٣] وبريقة وسويسة وعين التينة ونبع

---

(٣٣٨) وادي الرقّاد: وادٍ في محافظة القنيطرة، يبلغ طول الوادي ٧٠كم، جامعًا مسيلات من جبل الشيخ والجولان. وقد تمّ بناء سدين عليه: سدّ «غدير البستان»، وسدّ «رويحينة».

(٣٣٩) فيق: مدينة في الجولان، وتتبع محافظة القنيطرة، تقع فوق مرتفع بركاني، يطلّ على بحيرة طبرية، وتبعد خمسين كيلومترًا إلى الجنوب من مدينة القنيطرة. وتضم ٣٢ قرية يجاورها منطقة القنيطرة شمالاً، ومحافظة درعا شرقًا، والأردن جنوبًا، وفلسطين غربًا. تشتهر بآثارها ذات التيجان المزخرفة. احتلها العدو الصهيوني أثناء عدوان ١٩٦٧م، فدمّر مبانيها، وهجّر سكانها.

(٣٤٠) البطيمة: قرية في الجولان، تتبع ناحية الخشنية، وتقع في أرض بركانية وتبعد ٢٤كم عن مدينة القنيطرة. تعرضت مبانيها للتدمير وسكانها للتهجير، بعد العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م.

(٣٤١) خسفين: قرية في الجولان، تتبع منطقة «فيق» وتبعد عنها ١٤كم. تعرضت للتدمير الصهيوني.

(٣٤٢) جباثا الزيت: قرية في الجولان، تتبع ناحية مسعدة، وتبعد عن مدينة القنيطرة ٢١كم.

(٣٤٣) مسحرة: قرية في الجولان، تتبع خان أرينبة وتبعد عنها ٩كم. تعرضت للاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٧٣م،

الصخر(٣٤٤) وغيرها.

وقد احتل الصهاينة الجولان، في حرب الخامس من يونيو / حزيران ١٩٦٧م، كما دارت فيها معارك ضارية، بين القوات العربية والعدو الصهيوني في حرب السادس من أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٣م.

وقد تمّ في يونيو / حزيران ١٩٧٤م، تحرير جزء من الجولان بموجب اتفاق خاص بفصل القوات. وتبلغ مساحة أرض الجولان الإجمالية ١٨٦٠كم مربع، احتلت منه «إسرائيل» عام ١٩٦٧م ما مساحته ١٣٥٠كم مربع.

ويحوي الجولان مواقع الأثرية والتاريخية، في خان أرينبة(٣٤٥) الأثري، وتل نبع الصخر، وخان سويسة الأثري، والبحيرات كبحيرة «الهجّة»(٣٤٦)، والسدود المائية كسدّ غدير البستان(٣٤٧)، والوديان كوادي العلاّن(٣٤٨) والرقّاد.

وعروس «الجولان» وكبرى مدنها مدينة «القنيطرة» وتضم ٣٧ قرية. يجاورها محافظة ريف دمشق والأراضي اللبنانية شمالاً، ومحافظة درعا شرقًا، والمملكة الأردنيّة جنوبًا، وفلسطين غربًا. وتُعدّ مدينة القنيطرة مركزًا استراتيجيًا هامًا، ومعبرًا طبيعيًا بين الأقطار العربية المجاورة. حيث تُطلّ على بحيرة الحولة، وسهول الجولان، وجبال فلسطين، وسلسلة جبال لبنان. وتتصل مع لبنان عن طريق بانياس - مرجعيون، ومع الأردن عن طريق «الحمّة»(٣٤٩)، ومع فلسطين عن طريق جسر بنات يعقوب.

وحررتها القوات السورية عام ١٩٧٤م. أرضها منبسطة ذات تربة بركانية.

(٣٤٤) نبع الصخر: قرية في الجولان، تتبع خان أرينبة وتبعد عنها ١٥كم. أخذت تسميتها من كثرة ينابيعها الصخرية، وتكثر فيها الأودية: وادي الناموس وجعفيت.

(٣٤٥) خان أرينبة: بلدة في هضبة الجولان تتبع محافظة القنيطرة، تقع في أرض بركانية على طريق دمشق - القنيطرة، وتبعد عنها ٩كم وتضم ١٩ قرية. تجاورها محافظة درعا وريف دمشق ومسعدة والخشنية. كانت خان أرينبة محطة للقوافل التجاريّة في العصر الأيوبي، يتوسطها قصر يعود بناؤه للعصر الأموي، وفيها آثار من العصر الروماني. شهدت معارك ضارية إبَّان حرب تشرين عام ١٩٧٣م.

(٣٤٦) الهجّة: قرية في الجولان، تتبع ناحية القصيبة (الخشنية) وتبعد عنها ٥كم. وتقع في أرض بركانية منبسطة فوق تل أثري يشرف على وادي العلاّن.

(٣٤٧) غدير البستان: قرية في هضبة الجولان، تقع في أرض بركانية منبسطة، وتتبع ناحية الخشنية، وتبعد عنها ١٥كم. تكثر فيها المسيلات التي ترفد وادي الرقّاد. جُرَت مياه بئرها الارتوازية، لتسقي سكان القرى المجاورة، وأُقيم سدّ سطحي ومحطات للضخ.

(٣٤٨) العلاّن: وادٍ في هضبة حوران، ناحية نوى في منطقة إزرع. يبدأ من نبع الصخر ويجري حتى جسر «سحم الجولان»، ويستمر حتى وادي اليرموك.

(٣٤٩) الحمّة: منطقة الحمامات تقع في أقصى جنوب الجولان، في محافظة القنيطرة، منطقة «فيق»، وتتبع قرية «كفرحارب»، عند ملتقى الحدود الأردنية السورية الفلسطينية، على الضفة اليمنى لنهر اليرموك، وتبعد ١٦كم عن مدينة «فيق»، و١٤٠كم عن دمشق. وتقع الحمة في بقعة بركانية تتفجّر منها الينابيع المعدنية، وتنخفض ١٦٠ مترًا تحت سطح البحر، ويصل إليها الخط الحديدي الحجازي، وتُعتبر الحمة مدينة الينابيع الحارة في وادي اليرموك، في منطقة جبلية رائعة، تتلوى الطريق إليها في منعطفات ضيّقة. وهي مشتى استجمام تعجّ شتاء بالزوار، يرتادها

والقنيطرة تصغير «قنطرة»، والقنطرة تقع فوق وادي «أبي الجاج»[٣٥٠] أحد روافد نهر اليرموك. وهي مدينة تاريخية بامتياز، بيوتها القديمة مبنيّة من الحجارة البازلتية ذات السقوف القرميدية غاباتها في بئر عجم والبريقة وجبّاثا، متعة لمن ينشد الاستمتاع بالهدوء والطمأنينة، ولمن أراد أن يتمتع بسماء صافية، ونجوم متلألئة مضيئة، ونسائم منعشة عليلة، وليل وهدوء وسكون بعيدًا عن صخب المدينة وضوضائها.

وتتميز مدينة القنيطرة بأنها شهدت حضارات هزّت الدنيا، ومازال ذكرها يتردد بين صفحات تاريخنا القديم.

ففيها مخلّفات أثرية تمتد في عمق التاريخ كقلعة «العبية» - النمرود - في قرية بانياس في الشمال، إلى «عقبة فيق» في الجنوب حيث قصر العلّية واللقى الأثرية.

كما تبقى مدينة القنيطرة، شاهدًا على وحشية وحقد العدو الصهيوني العنصري الغادر - الذي دمّرها قبل أن يخرج منها بأيام - ورمز إرادة الصمود والمقاومة، واستعادة الحقوق، وتحرير الأرض، والتّصدي للغزو الصهيوني، وحقده الدفين. ووحشية عدو لم يوفّر حقده وإرهابه الشجر والحجر. فمشاهد الخراب والتدمير، التي أنزلتها القوات الصهيونية بالمدينة، بآلة الحرب الإسرائيلية، شاهد على عنصريته وهمجيته.

ففي عدوان الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧م، تمكنت الدولة الصهيونية - بدعم الجسر الجوي الأمريكي - من احتلال ثُلثي الجولان.

ولكن في حرب تشرين ١٩٧٣م، وحرب الاستنْزاف فقد كان من ثمارها، تحرير مدينة القنيطرة الباسلة الصامدة، في صبيحة يوم الأربعاء، السادس والعشرين من يونيو / حزيران ١٩٧٤م.

وقد اعتُبر هذا اليوم يومًا خالدًا في ذاكرة الوطن والتاريخ. إذ غدت مدينة القنيطرة بعد تحريرها مع قراها - بعد سبع سنوات من الاحتلال - رمزًا مجسّدًا لنضال أمتنا، وتطلعاتها إلى غدٍ أفضل مشرق، متجدد العطاء، فيه أمل التحرير. تحرير الأرض العربية.

الناس للإفادة من مياهها المعدنية الحارة، والتي تحوي نسبة من معدن الراديوم المشع. وتتفاوت درجة حرارة مياهها، فمياه «حمام المقلي» بين (٤٥-٤٨) درجة، ومياه «حمام البلسم» بين (٣٨-٤١) درجة، ومياه «حمام الريح» بين (٣٥-٣٩) درجة.وكان الرومان قد أقاموا فيها الحمامات والاستراحات، وتحدث كتّاب اليونان عن مياه «حَمة جَدَر» منذ القِدم، كما تحدث عنها الكتّاب العرب. احتلها العدو الصهيوني في عدوان ١٩٦٧م، فتعرّضت مبانيها للتدمير وسكانها للتهجير.

(٣٥٠) أبو الجاج: وادٍ في حوران وهو أحد الروافد السيلية لوادي «العرام». ويتشكل من التقاء عدد من المسيلات: «ماعص - القريّة - العجوز - الناعمة»، وقرى: قيطة - كفرناسج - المال.

لقد دمرت «إسرائيل» قبل انسحابها من مدينة القنيطرة جميع قراها. قرية الحميدية(٣٥١)، والرفيد(٣٥٢)، والبريقة(٣٥٣)، والأصبح(٣٥٤)، والقحطانية(٣٥٥)، مرورًا ببئر عجم، وعقبة فيق، وقرى أخرى.

وقد جرى إعادة إعمارها من جديد، لتحكي قصة العمل الدؤوب، والعرق المسكوب للبناء والإعمار، ودعم إرادة الصمود، وتوفير الخدمات، مما خفّف وطأة معاناة أهلنا هناك، واستعادت المنطقة عافيتها.

إنَّ إرادة الانتصار العربية، سوف تنتصر على الحقد الصهيوني وكراهيته وعنصريته كما انتصرت في لبنان. تقول الشاعرة وداد عبد النور:

إنَّ الشعوب إذا ما اشتد ساعدها ... مهما استبد طغاة الأرض تنتصر

إرادة الشعوب سوف تنتصر على وحشية العدو، الذي لم يترك بيتًا ولا مسجدًا إلا دمّره وسوّاه بالأرض وأحرق كل بستان واقتلع كل شجرة حقدًا وكراهية.

إنَّ إيماننا بالنصر والتحرير كبير، لتعزيز صمود الوطن، وتحرير الأرض، واستعادة الحقوق كاملة غير منقوصة. وفي الوقت نفسه سنبقى نحمل هموم أمتنا، وأعباءها القومية، مهما ادلهمّت وعظمت الخطوب.

ولن يتنازل شعبنا عن حقّ مغتصب، ولن يستسلم لمعتد مهما بلغ من عتوٍّ ووحشية، وظلم واستبداد. والشعوب قادرة على إلحاقٍ الهزيمة بالمحتلين، وتدمير مشاريعهم، وإسقاط أحلامهم وأطماعهم.!

لقد تعرّض شعبنا للاحتلال والغزو، والحروب والويلات، فلم يستسلم لطغيان الطامعين، ولم يبخل في كل ما تتطلبه المعركة من شهداء، عطّروا أرض الوطن بدمائهم مقدّمين كل تضحية وفداء وعطاء ونضال، لتبقى رايات العزّ والمجد ترفرف فوق ربوع الوطن، ولتسقط اسطورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يُقهر، والتي نسجتها أجهزة الدعاية الصهيونية.

ولا يزال أهلنا الصامدون في الجولان الحبيب، متمسكون بأرضهم وهويتهم الوطنية والقومية العربية، وتاريخهم العربي العريق، يتطلعون إلى يوم

(٣٥١) الحميدية: قرية في الجولان، تتبع منطقة القنيطرة وتبعد عنها ٦كم. احتلها العدو الصهيوني عام ١٩٦٧م، ثم حرّرت عام ١٩٧٤م. أرضها بركانية وعرة.

(٣٥٢) الرفيد: قرية في الجولان، تتبع القصيبة (الخشنية). تقع في أرض بركانية تنحدر باتجاه وادي الرقاد، جنوب خان أرينبة بـ٣٠كم، عند مفترق طرق: فيق ودرعا والقنيطرة.

(٣٥٣) بريقة: قرية في الجولان، تتبع القصيبة (الخشينة) وتبعد عنها ١٦كم حرّرت عام ١٩٧٣م.

(٣٥٤) أصبح: قرية في الجولان، تتبع الخشنية وتبعد عنها ١١كم. تقع فوق تلة بركانية.

(٣٥٥) القحطانية: قرية في هضبة الجولان، وتتبع القنيطرة، تقع فوق تلة بركانية شمال «تل الريحانية».

التحرير، فالحرية لا يدقّ أبوابها إلا الأيدي المضرّجة بالدماء.

ورغم ما يُعانيه «المقاومون للاحتلال»، في سجون المغتصبين من تعذيب وإذلال، وانتهاكات لحقوق الإنسان، ومع ذلك كله لم ينقطع هؤلاء الشرفاء، عن التواصل مع أبناء وطنهم الحبيب، وهم في سجون الاحتلال امتزجت معاناتهم داخل «سجون الغزاة المحتلين» بالغضب العارم فكان كل جرح يُزهر ثورة.

وفي واقع مُثقل بمرارة الاعتراف وفي قرية «عين التينة»[٣٥٦] - إحدى قرى الجولان - في هذه القرية. تتلاقى دموع الحزن والأسى وتنسكب العبرات على الوجنات بمرارة.

في هذه القرية يتم تبادل رسائل المحبة والتضامن مع أهلنا في الأراضي المحتلة في «مجدل شمس»[٣٥٧].

في تلك القرية تتعانق الأيدي، وتتفجّر الأشواق وتقصر المسافات ويتوقف الزمن في تلك اللحظات الخارجة عن حدود الزمن، تلمس معاناة الأهل المريرة تحت نير الاحتلال في هذا المشهد يتحرّر التاريخ من مقولته الحتمية، وتتراءى لك مشاهد الاغتيال والقتل اليومي وأشكال الدمار.

في هذا الموقف الحزين الكئيب قد نضطر إلى خلع الأبواب المغلقة هناك تُدرك حقيقة العناوين والشعارات وينفجر بك الخطاب المسكوت عنه في اللاوعي التضليل والتآمر والخيانة والعنصرية والحملات الظالمة والإرهاب وازدواجية المعايير واستثناء المعتدين المغتصبين، من تنفيذ قرارات مجلس الأمن والمجتمع الدولي ومحاصرة أمتنا العربية بالتهديدات والعدوان، حتى نرفع الرايات البيضاء.

في تلك القرية تلمس صدق ما يشعر به أهلنا من انتماء حقيقي نحو الوطن، وحميمية في وشائج القربى، ومدى الروابط الاجتماعية المتينة بين أفراد المجتمع في الوطن الذي يجمعهم حبه وعشقه.

حبّي هنا وحبيباتي وُلدن هنا   فمَن يُعيد لي العمر الذي ذهبا

في قرية «عين التينة» يتجمّع الأحبة الذين فرّقهم المحتلون.

في قرية «عين التينة» ترى كل عربي، متعلّق بتراب وطنه يرفض هوية

---

(٣٥٦) عين التينة: قرية تقع في هضبة الجولان وتتبع قرية السويسة، ناحية القصيبة (الخشنية)، في محافظة القنيطرة، في أرض بركانية وعرة يجتازها وادي العلاّن.

(٣٥٧) مجدل شمس: قرية في الجولان، تتبع ناحية مسعدة، في محافظة القنيطرة. وتقع على سفوح جبل الشيخ،شرق قرية جبّاتا الزيت. وقد تعرضت مجدل شمس للاحتلال الصهيوني، أثناء عدوان يونيو / حزيران ١٩٦٧م، وبقي سكانها يقاومون الاحتلال.

الأعداء يعدّ أيام اللقاء بأسرته وأفراد عشيرته وهو يردّد مع شاعر العروبة الذي أنجبته سورية «خير الدين الزركلي»[(٣٥٨)]:

العين بعد فراقها الوطنا ... لا ساكنًا ألفت ولا سكنا
ريّانة بالدمِع أقلقها ... ألا تحسّ كرًى ولا وسنا
ليت الذين أُحبّهم علموا ... وهم هناك ما لقيت هنا
ما كنتِ أحسبني مفارقهم ... حتى تفارق روحي البدنا
يا موطنًا عبث الزمان به ... مَنْ ذا الذي أغرى بك الزمنا
فقد كان لي بك عن سواك غنى ... لا كان لي بسواك عنك غنى
يا طائرًا غنّى على غصن ... والنيل يسقي ذلك الغصنا
زدني وهِجْ ما شئت من شجني ... إن كنت مثلي تعرف الشجنا
أذكّرتنيَ «بُردى» وواديه ... والطير آحادًا به وثنى
كم ذا أغالبه ويغلبني ... دمع إذا كفكفته هتنا
لي «ذكريات» في «ربوعهم» ... هن الحياة تألقاً وسنا
إنّ «الغريب» معذّب أبدًا ... إن حلَّ لم ينعم وإن ظعنا
لو مثّلوا لي موطني «وثنًا» ... لهممت أعبد ذلك الوثنا

في هذه القرية تُصاب بدهشة اللحظة، ومدى عمق المأساة ولا تتمالك نفسك من الدموع، وأنت ترى عناق الأحبة والأبناء على تراب الوطن بعد طول الفراقِ ولا تسمع إلا التأوهات ونشيج الأمهات، وهنَّ يسكبن العبرات دموعًا وأشواقًا وحنينًا تلك التي أبكت وآلمت وأحزنت.

فمتى يلتئم شمل أبناء الوطن الواحد متى يتحقق السلام العادل والشامل على أرض الجولان متى يقوم «المجتمع الدولي» الذي تتحكم فيه أمريكا برفع الظلم والمعاناة، عن الأسر الجولانية التي فرّق شملها الاحتلال، وحين تتلاقى تتصافح العيون عن بُعد، تفصلها الأسلاك الشائكة في موقف تتفطّر له القلوب.

(٣٥٨) خير الدين الزِّرِكْلي: مؤلف وشاعر سوري، من مواليد بيروت ١٨٩٣م، عمل في الصحافة وأصدر مجلة الأصمعي ثم جريدة لسان العرب ثم المفيد. انتقل الى القدس وأصدر مع زميلين له جريدة الحياة ، ولما عطلها الانجليز أصدر جريدة يافا. لقب بشاعر الثورة العربية الكبرى. وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام عام ١٩٢٠م. عُيّن سفيرًا للمملكة العربية السعودية في المغرب من عام ١٩٥٧م وحتى عام ١٩٦٣م. من أهم آثاره «قاموس الأعلام»، تراجم العظماء من الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ويقع في ثمانية مجلدات. وعامان في عمان ، ومجدولين والشاعر ، مارأيت وماسمعت . طواه الموت في ١٩٧٦/١١/٢٥م وأقيم له حفل تأبين في النادي العربي.
ومن شعره:

لمن المضارب في ظلال الوادي ... ريّانة الجنبات بالـــــورّاد
لبيك يا أرض العروبة واسمعي ... ماشئت من شجوي ومن إنشادي

مَنْ يُجبر العدو الصهيوني على الانسحاب، من الأراضي التي يحتلها بالقوة العدوانية، في فلسطين وسورية ولبنان.

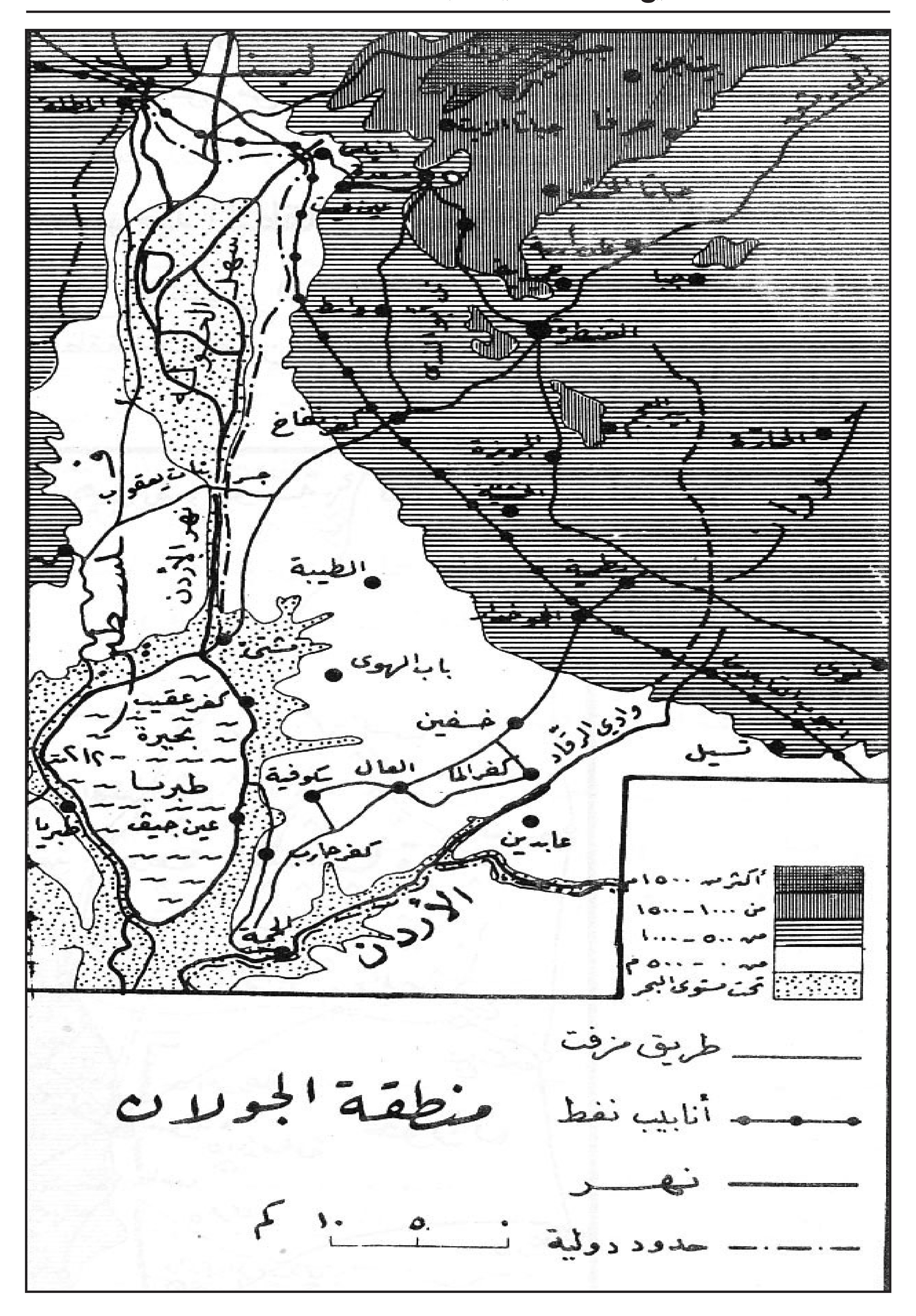
العنصريون الصهاينة والمغالون في صهيونيتهم يقولون: «إن وطن العرب هو الجزيرة العربية التي خرجوا منها، أما بقية البلدان التي يقيمون فيها، فليسوا سوى «محتلين» لها. وهم يقيمون في إمبراطورية محتلّة مغتَصبة. وأن العرب احتلوا أراضي كثير من الشعوب، التي قُهرت وأُجبرت على الذوبان ضمن المجتمع العربي. وأنَّ على «الدولة الإسرائيلية» أن تُقدّم يد العون إلى الأكراد والآشوريين في العراق، والزنوج في السودان، والفرس في إيران، والأمازيغ في الجزائر، والأقباط في مصر، والموارنة في لبنان لتحارب هذه الشعوب من أجل التحرير والاستقلال عن العرب».

هذه الاستراتيجية «الإسرائيلية» وطروحاتها، تتقاطع مع المشروع الاستعماري الذي طرحه «المتصهينون»، لزعزعة الاستقرار في المنطقة، وتفتيت دولنا، وإعادة تركيبها، لإخضاعها للسطوة الإسرائيلية.

وأمتنا قادرة إذا ما امتلكت قرارها، وتوحّدت كلمتها، وتلاحمت صفوفها، وتضامنت على وقف كل هذه المشاريع الاستعمارية من أجل أن يعيش الوطن العربي حرًّا مستقلاً.



مدينة العقبة - ثغر الأردن على البحر الأحمر


الطيبة
باب الهوى
خسفين
وادي الرقاد
كفر الما
العال
سكوفية
كفرحارب
عابدين
تسيل
الأردن
كفرعقب
بحيرة
طبريا
عين جيف
نهر الأردن
أكثر من ١٥٠٠ م
من ١٠٠٠ - ١٥٠٠
من ٥٠٠ - ١٠٠٠
من ٠ - ٥٠٠ م
تحت مستوى البحر
طريق مزفت
منطقة الجولان
أنابيب نفط
نهر
١٠ ٥ ٠ كم
حدود دولية



أسعد خليل داغر

كامل القصاب

حقي العظم

خير الدين الزركلي



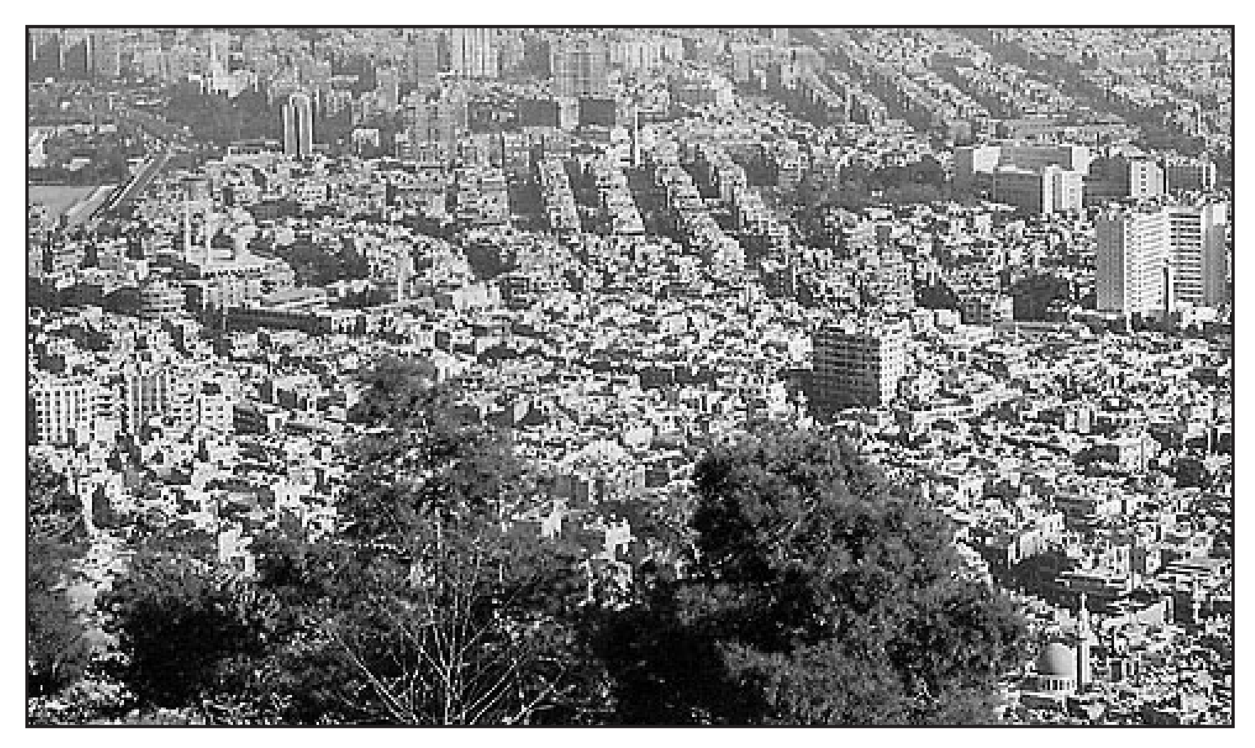
(الجمعية العربية الفتاة) وقوفاً من اليسار : وصفي اليازجي - أحمد مريود - شكري القوتلي - بهجت الشهابي - سليم العطار - زكي التميمي - حسني البرازي



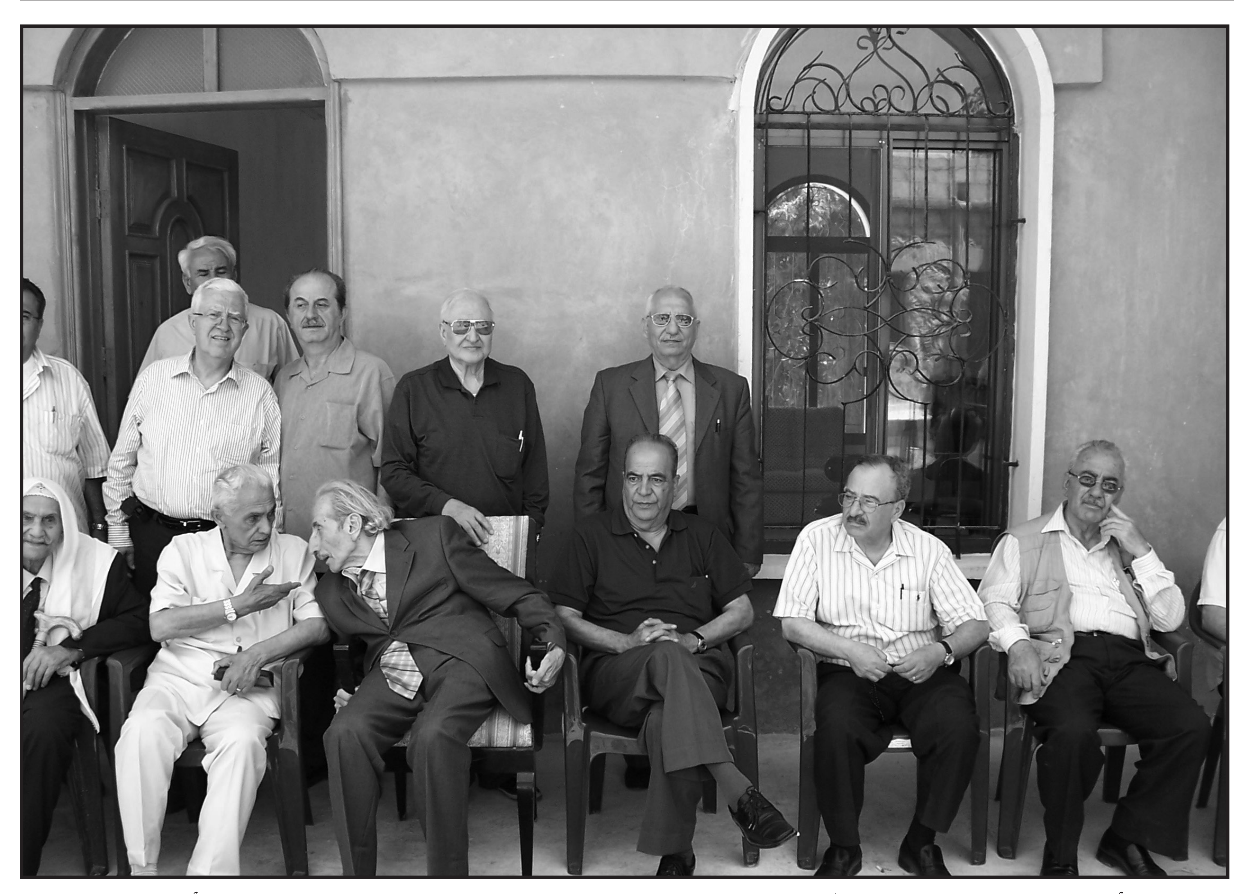
وقوفاً من اليمين : الشهيد عمر شاكر الخانجي - الشهيد أحمد مريود - رشيد باشا طليع - غالب باشا الشعلان بالخنجر (والجالس) الشيخ كامل القصاب عام ١٩٢١م



نصب الشهيد أحمد مريود أمام بيته في جباتا الخشب



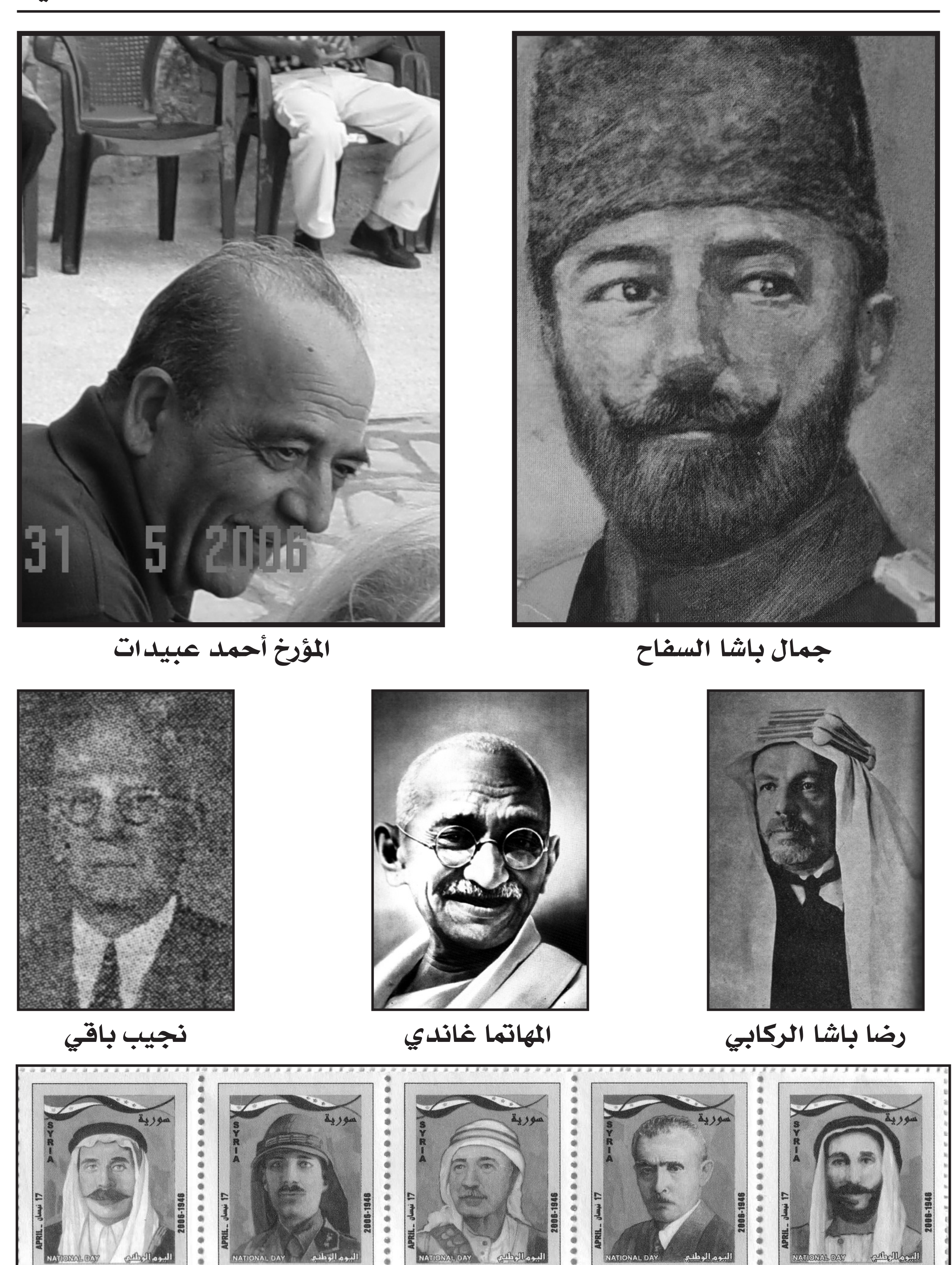
منظر مدينة دمشق من قاسيون



المؤرخ أحمد عبيدات (في الوسط) وبجانبه الدكتور حسان بن أحمد مريود يتحدث إلى عمر الأرناؤوط نائب مدير رابطة المجاهدين ويقف خلف المؤرخ عبيدات الأستاذ نشأت جميل شاكر الخانجي في بيت أحمد مريود ٢٠٠٦/٥/٣١م



الدكتور حسان بن أحمد مريود وبجانبه الحاج فوزي البيطار رئيس رابطة رجال الثورة السورية في بيت أحمد مريود ٢٠٠٦ م



جمال باشا السفاح

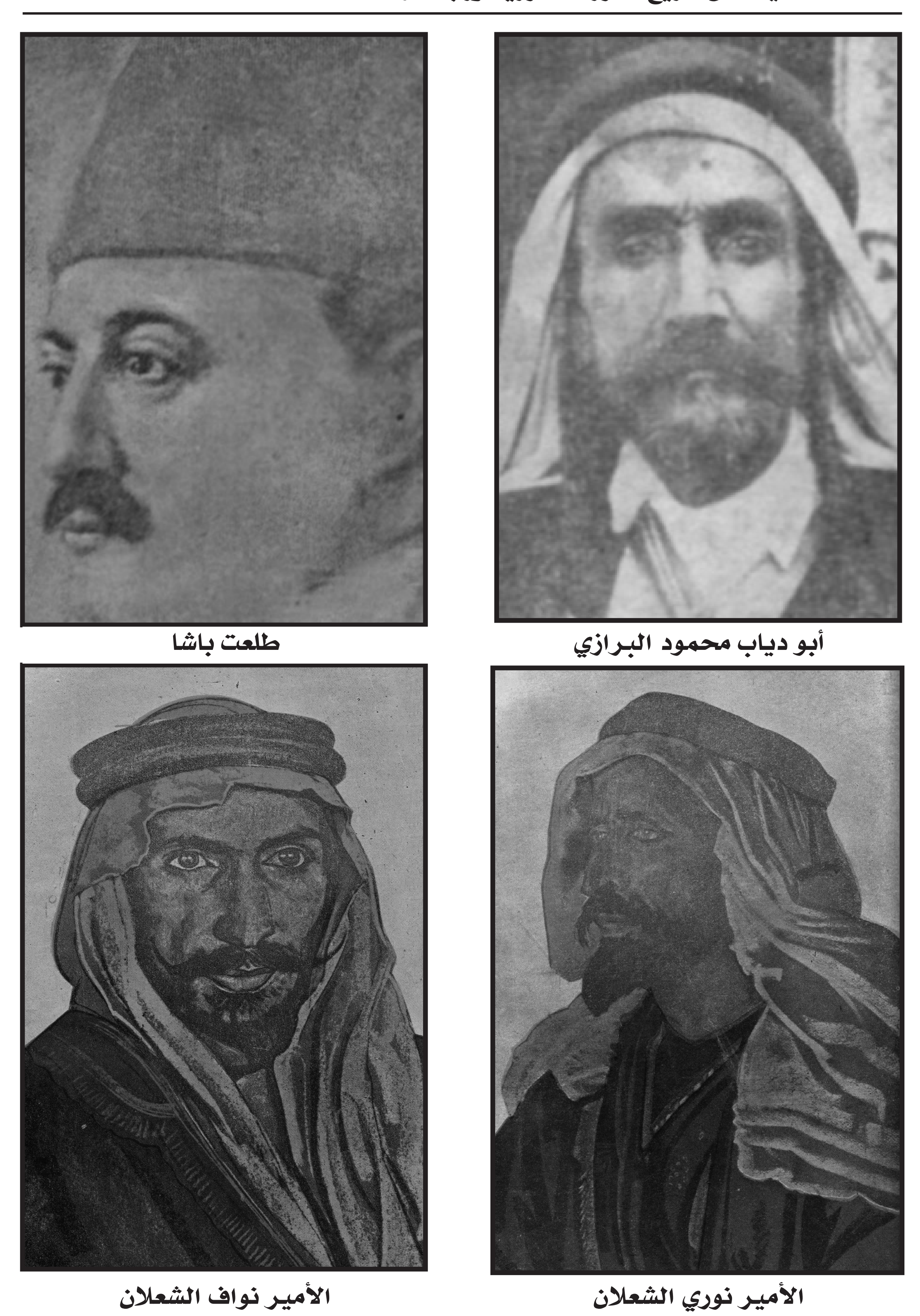
المؤرخ أحمد عبيدات

رضا باشا الركابي

المهاتما غاندي

نجيب باقي

أصدرت المؤسسة العامة للبريد في سورية طوابع بريدية تذكارية لرموز الإستقلال بمناسبة ذكرى الأستقلال الـ ٦٠



أبو دياب محمود البرازي

طلعت باشا

الأمير نوري الشعلان

الأمير نواف الشعلان

قائد ثورة الشمال

الزعيم الكبير إبراهيم هنانو

(١٨٦٩-١٩٣٥م)

عملاق من عمالقة الهامات الوطنية الشامخة، وركن من أركان الأمة الرافضة للاحتلال، وعَلَم من أعلام الوطن الشامخ أبدًا وصوت من أصوات الحق المنددة بالاحتلال.

إنه زعيم ثورة الشمال، وقائد مسيرتها المجاهد الثائر إبراهيم هنانو، قاتل مع رفاقه قوات الاحتلال بكل عزم وإباء، وظل صامدًا كالطود الأشم. اعتقلته قوات الاحتلال الفرنسية، وقدّمته للمحاكمة باعتباره «إرهابيًا» لكنه لم يتراجع قيد أنملة عمّا آمن به رغم ما لاقاه في غياهب سجون المغتصبين.

كان مؤمنًا إيمانًا لا يتزعزع، بعدالة قضية وطنه، في نيل حريته واستقلاله، ودافع عن قضيته من هذا المنطلق الوطني فبرأته المحكمة الفرنسية باعتباره «مقاومًا» يدافع عن وطنه وليس «إرهابيًا».

كان إبراهيم هنانو – زعيم ثورة الشمال – كتلة متأججة من المشاعر الوطنية، في انتمائه الشديد للوطن، وفي وجدانه الحرّ، وأفكاره الثورية، استحوذ عشق الوطن على كيانه، فهبّ يدافع عنه ليصون استقلاله.

هذه هي سيرة بطل من الأبطال المجاهدين الخالدين، والشهداء الغرّ الميامين.

هذه هي تراجم أبطال الحركة الوطنية، الذين فقدهم العالم العربي، وفقدتهم قبل ذلك سورية، حيث انطوت عليهم قوائم الشهداء، وما بذلوا من التضحيات والفداء.

هذ ترجمة حياة الزعيم المجاهد الخالد «إبراهيم هنانو» قائد الثورة في شمال سورية، فقد كان رحمه الله في طليعة هؤلاء المجاهدين الذين أبلوا البلاء الحسن، وجاهدوا في سبيل الله حقّ الجهاد لتحرير أمتهم والذود عن حياض أوطانهم ضد المستعمر الدخيل.

كان إبراهيم هنانو بحقّ بدراً منيرًا في ميادين الجهاد الوطني، وصرحاً شامخاً في النضال السياسي والحربي، حيث بقيت الزعامات الوطنية في سورية تعيش بوحي من ذكراه، ولا أغالي إذا قلت بأن إبراهيم هنانو كان

أستاذًا ومعلمًا للأجيال الصاعدة، أرشدها للسير في سبل الوطنية المثلى الخالدة، والتضحيات الماجدة، إذ كان رحمه الله يرى ببصيرته النافذة، وفراسته الفذّة: أنَّ مآسي الحياة لا تنتهي أبداً بالتأوه والأنين، وتمنّي العاجز الحزين، والاقتصار على الحوقلة والاسترجاع، وانتظار ما يأتي به القدر، بل بجهاد المؤمنين الصادقين.

كان القائد الملهم إبراهيم هنانو يؤمن أن جميع أبناء الشعب شركاء في الوطن، وأن الثورات ضد الغزاة المستعمرين، لن تنجح في استمراريتها وفعالياتها إلا إذا كان قادتها ورموزها في المواقع الأمامية لذا كان دومًا في مقدمة صفوف الثائرين.

كان يؤمن أن الشعب قادر على مواجهة كل المخططات الاستعمارية التي تهدّد وجوده؛ فالشعوب قادرة – بما تملك من قدرات هائلة – الدفاع عن كيانها ومستقبلها الحضاري ومواجهة ثقافة الاستسلام، التي تهدف إلى تجريد الأمة من عناصر قوّتها، وزعزعة إيمانها بنفسها، وطمس هويتها العربية والإسلامية، وتشويه تاريخها.

عندما قاد إبراهيم هنانو ثورته ارتقى إلى روح العمل الجهادي، واعتمد إعادة إحياء هذا النور الإلهي، في الروح والذاكرة والجسد، ليتصل اتصالاً مباشرًا بالملأ الأعلى، في ثنائية من الأصالة والعمق، والحياة والموت واختيار اللحظات الأخيرة لأسرار الروح، التي تحيا في ملكوت السماء في جنات النعيم.

ولادته ونشأته:

ولد إبراهيم هنانو عام ١٨٦٩م، في بلدة «كفرتخاريم»(٣٥٩) ودرس في المدارس التركية، وبعد تخرّجه عيّنته الحكومة العثمانية مديراً للناحية الواقعة في إحدى ضواحي اسطنبول، حيث بقي فيها زهاء ثلاث سنوات، ثم عين قائمقامًا بنواحي «ارضروم»، ولبث فيها أربع سنوات، ثم عينّ مستنطقا في بلدته «كفر تخاريم»، وبقي فيها زهاء ثلاث سنوات.

وفي العهد الفيصلي انتُخب عضواً في مجلس إدارة حلب، ثم عُيّن رئيساً لديوان الولاية، كما انتُخب مندوباً عن قضاء «حارم»(٣٦٠) في المؤتمر الوطني

(٣٥٩) كفرتخاريم: بلدة في سهل الروج، وتتبع منطقة حارم، في محافظة إدلب. وهي مسقط رأس قائد ثورة الشمال هنانو، تقع في منطقة كثيرة الأودية، تجاروها من جهة الشمال بلدة حارم، ومن الشرق تمصرين، ومن الجنوب إدلب، وتبعد عنها ٣٣كم، ومن الغرب دركوش وسلقين تقدمت «كفر تخاريم» عمرانيًا في كافة الاتجاهات.

(٣٦٠) حارم: مركز منطقة تتبع محافظة إدلب، تقع على سفوح جبل باريشا، الذي تتدفق منه الينابيع. وتبعد عن مدينة إدلب ٥٥كم، وعن مدينة حلب ٦٧كم. وتضم ١٨ قرية وتتبعها قرى الدانا، وسلقين وكفرتخاريم. وفيها قلعة

السوري. وعلى أثر احتلال الفرنسيين للسواحل السورية، ترك اجتماعات المؤتمر العام السوري وعاد إلى حلب سنة ١٩١٩م، وقبل أن يعلن هنانو ثورته المشهورة ضد السلطات الفرنسية المحتلة الغازية في الشمال، وجّه قائد ثورة الشمال «بيانًا» إلى قناصل الدول الأجنبية، يعلمهم عن قيام ثورته ضد الفرنسيين يقول في بيانه:

«إننا لا نقصد من قيامنا بهذه الثورة الوطنية، إلا حفظ استقلالنا، ليمكننا تأسيس موازنة عادلة على أسس الحرية والمساواة بين جميع الطوائف.

لهذا أظهرنا رغبتنا أمام «اللجنة الدولية»، التي كلفت باستقصاء الحقائق في سورية وهي - «لجنة المستر كراين» - وقلنا برفض الانتداب الفرنسي، لما نعهده من تطرّف الفرنسيين ومطامعهم في بلادنا.

ولكن مؤتمر «سان ريمو» الذي عقد في ٢٥ نيسان / أبريل ١٩٢٠م أبى إلا أن يغلبنا على أمرنا، ليجعلنا ضحية المطامع الجائرة، خلافًا لما وَعَدنا به الحلفاء، وخلافًا لمبادئ الرئيس ولسن(٣٦١).

إنَّ هذا القرار جَرَح عواطف كل السوريين، وهزأ بآمالنا السياسية، وقد جعل سورية أرضًا وساحة لضحايا الحرب الظالمة، ومهرقًا لدماء الأبرياء، تحقيقًا لمطامع الاستعمار.

وفي هذه الساعة، التي يموت فيها الألوف في كل أنحاء سورية، أُناشدكم بحق الإنسانية أن تتوسطوا لدى دولكم، كي تضع حدًّا لسفك الدماء، الذي سبّبه عناد المستعمر اللئيم، إذ لا يمكن أن تهدأ بلادنا ويسود الأمن، ما لم تُغادر فرنسا، التي تقوم بالتفرقة ليمكنها التسلط والاستعباد. وسندافع عن أوطاننا حتى الموت، ولسنا مسؤولين عما يسفك من دماء، في سبيل غاياتنا المشروعة.

سنموت ونجعل البلاد رمادًا، ولن نخضع لحكم الظالمين».

أيلول ١٩٢٠م

التوقيع : إبراهيم هنانو

قائد ثورة الشمال في سورية

بيزنطية بداخلها سرداب، تحصّن فيها هنانو.

(٣٦١) بنود مبادئ ولسون أو «النقاط الأربع عشرة»: بيان أصدره الرئيس الأميركي «وودرو ولسون» في الثامن من يناير / كانون الثاني ١٩١٨م، قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، ليكون برنامجًا للسلام المرتقب لكل شعوب العالم. وأهم هذه البنود: «حرية الملاحة في البحار، ورفع الحواجز بين الدول وخفض التسلّح، ومنح الروس حق تقرير المصير، والجلاء عن بلجيكا، وإعادة الألزاس واللورين إلى فرنسا، ومنح الحكم الذاتي لشعوب النمسا – المجر، وضمان وحدة أراضي رومانيا وصربيا والجبل الأسود، ومنح الحكم الذاتي لشعوب الإمبراطورية العثمانية، وإقامة دولة بولندية مستقلة، وإنشاء منظمة دولية (أو عصبة أمم) لحفظ السلام العالمي».

وقد سبق إعلان ثورة هنانو ضد الفرنسيين المستعمرين، وخوضه معاركها الدامية ضدها، أن مهّد للثورة وهو ما يزال على رأس عمله

ففي أواخر العهد الفيصلي، وبعد عقد جلسات المؤتمر السوري بدمشق، تشكّلت جمعية الدفاع الوطني في حلب، وكان الأمير «ناصر ابن فيصل» مقيماً في حلب، فاتفق الأمير مع واليها المرحوم «رشيد باشا طليع» وإبراهيم هنانو، على القيام بثورة وطنية ضد الفرنسيين، وعلى أثر ذلك توجّه هنانو مع «الحاج نجيب باقي»(٣٦٢) إلى جبل الزاوية وانطاكية، وقاما بتسليح أهلها بمساعدة أعضاء «جمعية الدفاع الوطني»، والتي قامت بنشاطات واسعة النطاق، كما قامت بجهود جبّارة لدى شيوخ وعشائر وقبائل العرب، وحثّتهم على الجهاد. وأمدّت «جمعية الدفاع الوطني» بدورها الزعيم هنانو بما يحتاجه من سلاح وعتاد. وعندما اطمأن إلى قدرته وقوة رجاله، ترك الوظيفة وتمنّع في جبال بلدته «كفر تخاريم» وفي الوقت ذاته اتصل هنانو بالوطني المرحوم «عمر زكي باشا الأفيوني» الذي كان قائمقام لقضاء«إدلب»، وكانت كفر تخاريم تابعة لإدلب، وقد شاءت الأقدار أن يتعارفا ويلتقيا ويتعاهدا في قرية دير الشرقي(٣٦٣) على هدف وطني واحد، وهو حب الوطن والتضحية في سبيله أمام قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكان الزعيم هنانو يجتمع بالمجاهد «عمر زكي باشا الأفيوني» في قرية دير الشرقي أو مدينة إدلب(٣٦٤) سراً، ويتداولا معًا البحث في شؤون الثورة، واتخاذ الوسائل لمؤازرتها، وأخيراً التحق بثورته التي اتسع نطاقها. إذ كان لانضمام القائمقام «عمر زكي باشا الأفيوني» أبلغ الأثر في إذكاء روح التضحية والجهاد وقد ساء الفرنسيون أن يثور «عمر زكي باشا الأفيوني»، باعتباره قائمقام لأكبر قضاء في ولاية

(٣٦٢) نجيب باقي (١٨٧٨-١٩٦٣م): وُلد في مدينة حلب الشهباء عام ١٨٧٨م، وعُيّن مفتشاً للمعارف في حلب عام ١٩٠٧م، أسس النادي العربي في حلب لاستقبال فيصل، وأنشأ الكلية الإسلامية، ودارًا للأيتام في «إعزاز» ورافق قائد ثورة الشمال إبراهيم هنانو في مقاومته للفرنسيين فحكم عليه الفرنسيون بالسجن فتوارى عن الأنظار حتى صدر العفو العام. اشتُهر بمواقفه الوطنية، ونُصرة فلسطين والدفاع عنها. توفي في بيروت في تشرين الأول ١٩٦٣م، ونُقل جثمانه إلى حلب ودُفن فيها باحتفال مهيب.

(٣٦٣) دير الشرقي: قرية تحتضن ضريح الخليفة الأموي «الراشد» عمر بن عبد العزيز إذ يقع جنوب شرق «المعرّة» على مسافة ستة كيلومترات، وإلى جانبه ترقد زوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. وتقع القرية في أرض هضبية تخترقها أودية سيلية في الأطراف الشرقية لجبل الزاوية، منطقة «معرة النعمان» في محافظة إدلب.

(٣٦٤) إدلب: مدينة تقع شمال سورية، وهي مركز المحافظة، وتقع في سفح جبل الزاوية، وتعلو ١٩٠م عن سطح البحر، وتبعد عن دمشق ٣٣٩كم، وعن حلب ٦٠كم. وتشتهر محافظة إدلب بأوابدها الأثرية، فيها تتالت الحضارات، وتركت على أديمها بصماتها وآثارها، لتحكي قصة الحضارة، وعظمة الإنسان العربي، ففيها: «كاتدرائية كنيسة الرويحة الشمالية» التي بُنيت منذ القرن الرابع للميلاد، و«كنيسة الحصن» في «البارة»، ويحيط بها سور عظيم. وتتوضع «كنيسة قلب لوزة» و«كنيسة باقرحة» على مرتفع من جبل «باريشا». ويقع مسجد «يوشع بن نون» و«الجامع الكبير» في مدينة «معرّة النعمان».

حلب الشهباء فكان اليد اليمنى للزعيم هنانو، ومستشاره السياسي. وقد ظلاّ يُقاتلان معاً القوات الفرنسية حتى نهاية الثورة، وترافقا عند قدومهما إلى عمان، وكان شعار هنانو الذي طرحه، لم يتبدل ولم يتغير: ((لا مفاوضة قبل الجلاء)).

وهكذا أيقظ هنانو الشعور الوطني، وتبعه خلق كثير.

المعارك التي خاضها هنانو:

والمعارك التي خاضها البطل إبراهيم هنانو، ومعه عمر زكي باشا الأفيوني ضد الفرنسيين كثيرة، فبعد أن وزّع هنانو الأسلحة الحربية التي وردت إليه من «جمعية الدفاع الوطني» في حلب، على جموع المجاهدين والمتطوعين في قرية «كفر تخاريم» وما جاورها، خرجت عصابات قويّة في حركاتها وتنقلاتها، حيث قامت هذه المجموعات الصغيرة بنشر الذعر في منطقة الاحتلال الفرنسي، واستهلّت أعمالها بتدمير خطوط المواصلات البرقية والهاتفية للعدو، والعصيان المدني بالامتناع عن جباية الأموال الأميرية، التي كانت تدخل في صندوق سلطات الاحتلال الفرنسية، وتأديب الموالين للفرنسيين.

فكان لهذه الخطة الوطنية الجريئة أثرها النفسي والعسكري البليغ في نفوس المستعمرين الفرنسيين، وكان الملازم المجاهد الوطني «إبراهيم الشغوري»(٣٦٥) مرافقاً لهنانو، وقد عهد إليه أمر تدريب الثوار على استعمال القذائف اليدوية، وكان يضع الخطط الحربية لضرب المواقع العسكرية الفرنسية، فكان هذا الضابط النشيط، مخلصاً في تطبيق كل ما عُهد إليه من أعمال ثورية خطيرة، ولهذا جعله الزعيم هنانو أميناً لسر قيادة الثورة، وقد ظلّ وفياً لواجباته متفانياً لزعيمه، حتى أفل نجم الثورة والجهاد.

ومن المعارك الحربية الدامية التي خاضها هنانو مع ثوراه: معركة «حارم» حيث قام الثوار بالهجوم على الحامية الفرنسية بهجوم مباغت، أسفر عن قتل اثنين وثلاثين جندياً فرنسيًا، وتحصّن الباقون - وعددهم مائتي جندي- في قلعة «حارم» الرومانية المنيعة، فضلاً عن سريتين من فيلق الرماة، والجيش المختلط، وسرية من الرشاشات بقيادة الضابط الفرنسي «نيغريل»، وقد دام حصار القلعة مدة خمس وتسعين يوماً، تخلّلته غارات كثيرة قتل خلالها الضابط الفرنسي «نيغريل»، وكادت أن تستسلم الحامية الفرنسية،

(٣٦٥) الضابط إبراهيم الشغوري: ولد في قرية (كفرتخاريم) عام ١٨٩٥م، وتخرّج من كلية الضباط، وشارك في الحرب العالمية الأولى في أزمير. ألحقته الحكومة الفيصلية بثورة هنانو، فكان مرافقه الخاص، وخاض معه كل المعارك، كان آخرها معركة (مكسر الحصان) بالقرب من (جبل البلعاس). ألقى الفرنسيون القبض عليه، وزجّوه في سجن القلعة بدمشق.

تحت وطأة هجمات المجاهدين الذين بلغ عددهم أكثر من أربعمائة مجاهد مسلح. غير أن النجدات الفرنسية المتواصلة، تمكّنت من فكّ الحصار عن القلعة وتموين الحامية.

هذا نموذج لمعركة واحدة من المعارك الدامية، التي خسر فيها الفرنسيون خسائر فادحة، من القتلى والجرحى.

ثم تلاها معركة «السويدية»(٣٦٦) ومعركة «إدلب»، كما استولى المجاهدون على مخفر «الحمّام»(٣٦٧) الفرنسي، حيث قتلوا قائد الحامية الفرنسية، وأبادوا القوّة بكاملها، ثم تلاها معركة «الرامي»(٣٦٨) في منطقة جبل الزاوية(٣٦٩)، حيث قضى المجاهدون على فرقة كاملة من الجيش الفرنسي المختلط، مؤلفة من خمسمائة جندي مع وحدات فرنسية مجهزة بأكمل السلاح والعتاد، حيث نصب لها المجاهدون كمائن متعددة وهي في طريقها إلى قرية «الرامي»، فلما اقترب الفرنسيون من مواقع الثوار أصلوهم نيرانًا حامية، وقد تمكّن المجاهدون من إبادة أكثر أفراد الحامية.

ولما تم للجنرال «غورو» احتلال المناطق السورية الداخلية، واستسلام مدينة حلب دون قتال، تلقّى الزعيم هنانو في العشرين من تموز سنة ١٩٢٠م، برقية «مشفّرة» من الأمير زيد بن الحسين «شقيق الملك فيصل الأول» جاء فيها:

(داوموا على أعمالكم السابقة، ولا تصغوا لأوامر حلب).

وقد اتخذ هنانو مركزين استراتيجيين هامين لمناوئة الجيوش الفرنسية ولمهاجمتها، فكان المركز الأول في قرية «كالي الكبير»(٣٧٠) التابعة لقضاء «إدلب»، باعتبارها نقطة متوسطة في جبل «باريشا»(٣٧١) و«الجبل

---

(٣٦٦) السويدية: مدينة كنعانية في سهل ساحلي خصيب، إلى الشمال من مصب نهر العاصي. وتبعد عن إنطاكية ١٨كم، ويحيط بها جبل موسى وجبل الأقرع، ويتبعها ٣٥ قرية.

(٣٦٧) الحمّام: تتبع منطقة جسر الشغور في محافظة إدلب، وتبعد عنها ١٢كم. سميت بـ«الحمّام» نسبة إلى النبع الحارّ الكبريتي فيها، وتتبعها عدة مزارع.

(٣٦٨) الرامي: قرية في جبل الزاوية، محافظة إدلب. تتبع ناحية إحسم وتبعد عنها ٧كم.

(٣٦٩) جبل الزاوية: يقع في شمال سورية، وتقع مدينة «إدلب» في سفحه ويتصل جنوبًا بقلعة المضيق وحماة، وغربًا بجبال العلويين، والتي كان يرابط فيها المجاهد الشيخ صالح العلي. وقد التحق أهالي قرى جبل الزاوية بثورة هنانو، وعملوا على مؤازرتها، وعلى رأسهم المجاهد الكبير «مصطفى الحاج حسين» ورجاله في قرية «احسم»، الذين اشتركوا في قتال الجيوش الفرنسية عام ١٩٢٠م.

(٣٧٠) كالي «الكبير»: تمتد على مساحة واسعة بين جبل باريشا والجبل الوسطاني، وتبعد ٨كم عن حارم وتتبع محافظة إدلب. وتُعدّ ممرًا استراتيجيًا هامًا. يخترقها بعض الجروف والتلال.

(٣٧١) باريشا: جبل صخري عظيم في محافظة إدلب (منطقة حارم). فيه بقايا آثار قديمة أهمها (قصر البنات)، وبقايا آثار كنائس قديمة. كما توجد قرية (باريشا) في محافظة إدلب، وتبعد عن «حارم» نحو عشرين كيلومتر كما تبعد قرية (أم الريش) عن منطقة جسر الشغور ١٥كم، وعن ناحية دركوش ١٦كم. تتبعها مزرعتا: (دغالي،

الوسطاني»، ولقرب هذه القرية من الحدود التركية، وكان المركز الثاني: في جبل الزاوية لاتصاله جنوباً بقلعة المضيق وحماه، وغرباً بجبل العلويين الذي كان يرابط فيه المجاهد الكبير: «الشيخ صالح العلي».

واختار الزعيم إبراهيم هنانو عشرة من رفاق السلاح، ليرافقوه في رحلته إلى تركية، وقد جرت المفاوضات بين هنانو والجنرال «صلاح الدين عادل بك» قائد الفيلق الثاني التركي الذي كان يحارب الفرنسيين في «كيليكية»(٣٧٢)، وقد انتهت المفاوضات بالتأكيد على نصرة ثورة هنانو، ومدّها بالسلاح والعتاد بدون مقابل، ولم يكتف الجنرال التركي بما قدّم من معونة للثوار، بل زاد عليها بأن أرسل إليه نجدة عسكرية، لتقوية الروح المعنوية والثورية في نفوس المجاهدين لشلّ قُدرات الحملات الفرنسية، التي كانت في حرب مستمرة مع الجيوش التركية في «كلس وعنتاب ومناطق كيليكية»، وقد اقترح هنانو على قائد النجدة التركية أن تقوم قواته بجولة عامة في مناطق الثورة، لتقوية الروح المعنوية لدى الأهالي في القرى، وخاصة في الجبهة الغربية، حيث يرابط الشيخ «صالح العلي»، وقد سارت هذه النجدة باتجاه «جبل العلويين» يرافقها عدد كبير من المجاهدين السوريين، وفي طريقها إلى منطقة «جسر الشغور» اشتبكت مع الوحدات الفرنسية فهزمتها، ثم توجهت إلى قضاء «الحفّة» في «قلعة صهيون»، فمواقع ثورة «الشيخ صالح العلي»، وقد أقامت هذه النجدة المؤلفة من مائتي جندي نظامي بضعة أيام في تلك الربوع، ثم عادت نحو «قلعة المضيق»(٣٧٣)، فجبل الزاوية حيث التحق بهم زعيم الجبل مصطفى الحاج حسين(٣٧٤) وثوراه وجابت قرى الجبل، ثم انحدرت إلى ضواحيه الغربية، حيث اشتركت مع الفرنسيين في معارك عنيفة.

وجب الصفا).

(٣٧٢) كيليكيا: منطقة في الجزء الجنوبي من آسيا الصغرى. وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، إلى الجنوب من جبال طوروس، وتنقسم إلى قسمين: شرقي سهول خصيبة، وغربي جبليّ التكوين. خضعت لسلطان «الحثيين» ولسلطان «الآشوريين» في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي القرن الرابع قبل الميلاد خضعت لسلطان «المقدونيين»، ثم لسلطان «السلوقيين». حتى إذا كان القرن الأول قبل الميلاد أمست مقاطعة رومانية. وقد دخلت كيليكيا في حوزة المسلمين في القرن السابع الميلادي، لكن البيزنطيين استردوها منهم عام ٩٦٤م. وفي عام ١٣٧٥م حرّرها المماليك، ثم استولى عليها الأتراك العثمانيون عام ١٥١٥م، وتُعرف اليوم بـ«أرمينيا الصغرى».

(٣٧٣) قلعة المضيق: قلعة أثرية عربية إسلامية، تطل على وادي العاصي، وكانت تُعرف باسم حصن أفامية. كما توجد بلدة تحمل نفس الاسم في جنوب جبل الزاوية، وتتبع منطقة الغاب في محافظة حماة. وسُمّيت بذلك لإشرافها من قمة مرتَفَع على وادي الغاب. وتبعد عن الصقيلبية ٦كم، وتضم ٢٧ قرية.

(٣٧٤) مصطفى الحاج حسين (١٨٨١-١٩٥٢م): ولد في جبل الزاوية عام ١٨٨١م، وتزعّم الثورة ضد الفرنسيين الغزاة في جبل الزاوية. حكم عليه المحتلون بالإعدام، وصادروا أملاكه، ونهبوا داره وأحرقوها (كما يفعل المحتلون اليوم في فلسطين). التجأ عام ١٩٢٢م إلى تركية، ثم عاد بعد صدور العفو العام عام ١٩٣٧م إلى مسقط رأسه «إحسم». وتوفي عام ١٩٥٢م.

وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٠م، قرر إبراهيم هنانو مداهمة بلدة «جسر الشغور» وتحريرها من الفرنسيين، لتسهيل الاتصال مع ثوار الشيخ «صالح العلي»، وعند وصول قواته إلى مزرعة «الشغارنة» البعيدة عن «جسر الشغور» زهاء كيلومترين، علم بوجود قوة فرنسية ترابط في مزرعة «السيجري»، فأمر القائد إبراهيم هنانو المجاهد البطل «الشيخ يوسف السعدون»(٣٧٥) بمهاجمة الفرنسيين، وبقي الزعيم وإخوانه والثوار متمترسين في مواقعهم، وبذلك أضحت القوة الفرنسية بين نارين من قوات المجاهدين فاستسلمت، وكان عددها مئة بين جنود فرنسيين ومتطوعة مرتزقة، ومعهم ضابطاً فرنسياً برتبة ملازم أول.

ثم هاجم هنانو بقواته الصغيرة السريعة الحركة منطقة جسر الشغور من جميع أطرافها، وبالرغم من مدافع «الهاون» الفرنسية الثقيلة، فإن الحامية الفرنسية اضطرت أمام هجمات المجاهدين، التخلي عن «جسر الشغور» فاحتلها المجاهدون، وأسروا ضابطين مع خمسة وعشرين جندياً فرنسيًا، ولاذ أكثر من ستمائة جندي من الجنود الفرنسيين بالفرار فرارًا عشوائيًا، وكان أغلبهم من سلاح الفرسان.

وقد غنم المجاهدون كميات كبيرة من السلاح والعتاد، ومقادير وفيرة من صناديق المواد المتفجّرة، وكانت من نصيب مجاهدي عشائر قرى جبل صهيون البواسل، كما احتفظت قوات هنانو برشاشين ثقيلين، أما الأسرى من الجنود الفرنسيين فقد أرسلوهم إلى «كفر تخاريم» بلدة هنانو. وعلى أثر ما حلّ بالفرنسيين في معركتي «السيجري»(٣٧٦) و«جسر الشغور» من النكبات والهزائم، جرّد العدو حملة تتألف من ألفين وخمسمائة جندي للانتقام من المجاهدين، فخرج الثوار من جسر الشغور لنِزال العدو غير أن قائد الحملة الفرنسية، رأى أن يوجّه قواته إلى «كفر تخاريم» لضرب الثورة في عقر دارها.

وما كاد الفرنسيون يغادرون ثكناتهم، حتى صبّ المجاهدون نيرانهم على مؤخرة الحملة، كما قام بعضهم بمهاجمة جناحيها ومقدمتها، ثم نصبوا لها

(٣٧٥) الشيخ يوسف السعدون (١٨٨٨-١٩٥٢م): هو ابن الشيخ محمد السعدون، وُلد في قرية «جسر الحديد» قضاء إنطاكية. حمل السلاح والتحق بثورة هنانو واشترك معه في معاركه، وكان أحد قادة ثورته. بعد توقف الثورة التجأ مع أسرته إلى تركية وأقام في «عينتاب»، وكان يتسلل مع ثلة من الثوار للإغارة على المواقع الفرنسية في حارم وجسر الشغور. عاد لوطنه بعد صدور العفو العام.

(٣٧٦) السيجري: قرية في سهول إدلب، وتقع عند النهاية الشماليّة لجبل الزاوية، عند التقائه بسهل الروج، تبعد ثمانية كيلومترات عن إدلب. وتتصل بطريق إدلب - حارم.

كميناً في قرية «تل تيتا»(٣٧٧) الواقعة بالقرب من «كفر تخاريم»، حيث تمركزوا في مواقع حصينة، ورغم ما وضعه الثوار في طريق الحملة من عقبات وما قاموا به من هجمات عنيفة في طرق يعرفونها، إلا أن الحملة الفرنسية استطاعت أن تحتل «تل تيتا»، كما استطاعت أن تركّز مدافعها، وأن تصلي «كفر تخاريم» ناراً حامية.

ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، كانت خسائر جنود الحملة الفرنسية فيها كثيرة، لوعورة الطرق وجهل الفرنسيين بمسالكها.

وبينما كانت المعارك تدور رحاها بين الثوار والفرنسيين، علم إبراهيم هنانو أن لواء فرنسياً بكامل تجهيزاته في طريقه من «حارم» لاحتلال بلدته «كفرتخاريم»، فأرسل على الفور قوة من المجاهدين إلى موقع «عقبة كفرحوم»(٣٧٨)، الواقع بين «حارم» و«كفر تخاريم» لمنع تقدم الفرنسيين، حيث اشتبكوا معهم في معركة دامية، غنم المجاهدون فيها من العدو الكثير من الذخائر، كما خسر الفرنسيون أربعين قتيلاً.

احتلال كفر تخاريم:

تمكّن الفرنسيون من احتلال «كفر تخاريم» بعد نزوح القادرين من أهلها، فارتكب جنودهم أبشع أنواع الفظائع الوحشية ما تقشعر له الأبدان، لهذا أصر المجاهدون أن يثأروا لكرامتهم، فقام قائد المجاهدين «نجيب عويد»(٣٧٩) وقسّم المجاهدين إلى ثلاث فئات، حيث تمركزت كل فئة منهم في ناحية من نواحي «كفر تخاريم»، وما كاد صوت المؤذن يردّد «اللّه أكبر» حتى ألهب صوت الحق حماسهم، فصبّوا نيرانهم على المعسكر الفرنسي، الذي وقع جنده في فوضى مذهلة، ولما سمع أهالي القرى المجاورة أصوات القنابل وأزيز الرصاص

(٣٧٧) تل تيتا: إحدى قرى كفرتخاريم التي تضم ٢٢ قرية، وتتبع محافظة إدلب. ومن القرى: أم الرياح، جدعين، الدويلة، الرشادية، معصرته، أرمناز وغيرها، ويعمل سكانها بالزراعة.

(٣٧٨) كفرحوم: قرية تقع في أرض سهلية في حوض العاصي الأدنى، تتبع منطقة حارم وتبعد عنها ٧كم، غرب «نهر طاحون الحامضة»، على حدود الإسكندرونة في محافظة إدلب.

(٣٧٩) القائد نجيب عويد: من أشراف قرية (كفرتخاريم) - قرية هنانو - ولد عام ١٨٧٠م. وتولى قيادة (ثورة الشمال) بكل شدة وقوة وعزم. وكان مجرد ذكر اسمه يُرعب ويخيف الأعداء. تزعّم الحركات الوطنية، وكان من كبار قادة ثورة هنانو، صبّ جام غضبه على المغتصبين الدخلاء، وكل مَنْ تعاون معهم من الخونة والمتطوّعة. وقد أعدم نجيب عويد القائد التركي (عاصم بك) لأنه اعتدى على قرية (الصقيلبية) وروّع أهلها وأحرق بيوتها. لم يترك القائد نجيب عويد معركة من معارك هنانو إلا اشترك فيها، حتى بلغ تعدادها مئة وسبع عشرة معركة، متفانيًا في البذل والتضحية والفداء. ولكن بعد انسحاب هنانو وتوقف ثورته، التجأ القائد نجيب عويد إلى الأردن ثم إلى تركيا. ثم عاد لوطنه عام ١٩٣٧م، بعد توقيع المعاهدة «الفرنسية – السورية» عام ١٩٣٦م، وقد نصّت بنودها على صدور قرار العفو العام عن جميع الثوار.

هبّوا لنجدة إخوانهم، وقد تمّ للمجاهدين تطويق القوات الفرنسية من الجهات الثلاث مما اضطر السلطات الفرنسية للانسحاب من كفر تخاريم والتوجه إلى «حارم»، بعد إن خسروا زهاء مائتي قتيل.

ثم حدثت معارك: اسقاط وسلقين وجسر الحديد، ومريامين، وعلى أثر هذه الهزائم المنكرة التي حلّت بالفرنسيين راحوا يروّعون أهالي القرى المذكورة، ولكن المجاهدين أنجدوهم ولقّنوا الفرنسيين دروساً لا تنسى، وانسحب الفرنسيون من تلك المواقع مرغمين، وكان لانتصار المجاهدين أبلغ الأثر في نفوس المواطنين، مما دفع أهالي «سلقين»(٣٨٠) و«كفرتخاريم» والقرى المجاورة، أن يعلنوا ولاءهم للثورة. واستعدادهم لدفع ضريبة العُشر مضاعفة عن طيبةٍ خاطر، وقد تطوّع من كفرتخاريم وحدها أكثر من مئة وعشرين مجاهداً، ومما هو جدير بالذكر أن النجدة التركيةٍ اشتركت مع المجاهدين بمعركة «مريامين»(٣٨١) وكانت من أشد المعارك هولاً وعنفاً. وقد أسفرت عن مقتل المئات من الفرنسيين والسنغاليين، وتشتيت تلك الحملة الكبيرةِ التي كان يقودها القائد «فوان»، حيث غنم المجاهدونِ ١٥٠ جملاً و٣٠ بغلاً وأربعة رشاشات، بينما خسر المجاهدون زهاء ٢٥ شهيداً، كما جرح منهم عدد كبير في تلك المعارك الضارية.

كان الاتصال والتعاون بين ثورتي «هنانو» و«الشيخ صالح العلي» قد تحقّ على أحسن الوجوه، وذلك على أثر إعلان أهالي «جبل الزاوية» بزعامة المجاهد مصطفى الحاج حسين انضمامهم إلى ثورة هنانو، ولمّا وصلت أخبار هذا الانضمام لمسامع الفرنسيين أصيبوا بذهول، فسيّروا فرقة من الدرك تزيد على الثلاثمائة دركي لقتال الثوار، غير أن ثوار الجبل كمنوا لهم في موقعِ «الشيخ الخطاب» في «الروج» وانقضّوا عليهم، فقتلوا منهم زهاء ٤٠ دركياً، ولاذ الباقون بالفرار لينجوا بأرواحهم.

وأخيراً استطاع هنانو بعد معارك كثيرة دامية مع الفرنسيين، أن يسيطر على مراكز حصينة في جسر الشغور وجبل الزاوية وكفرتخاريم ومنطقة الروج وجبل صهيون، وجبل باريشا، والجبل الوسطاني وغيرها من المناطق الهامة التي جعلت الزعيم إبراهيم هنانو على اتصال دائم مع «الشيخ صالح

---

(٣٨٠) سلقين: بلدة في جبال حارم، في محافظة إدلب. ينسب اسمها إلى أحد ملوك السلوقيين، ازدهرت في العصور الرومانية والبيزنطية والإسلامية، وكانت سهولها مسرحًا لعمليات هنانو. وتضم «سلقين» ٢١ قرية وتجاورها بلدة حارم وكفرتخاريم من الشرق، ودركوش من الجنوب، ولواء الاسكندرونة من الغرب والشمال. فيها معاصر كثيرة للزيتون.

(٣٨١) مريامين (مريمين): قرية تتبع ناحية دركوش، في منطقة جسر الشغور، وتتبع محافظة إدلب، وتنحدر أراضيها نحو سهل الروج شرقًا، ونحو نهر العاصي غربًا، وتبعد عشرة كيلومترات عن مدينة دركوش.

العلي» حيث أصبحت الثورة وحدة شاملة متكاملة، للساحل الغربي الشمالي والداخلي الشرقي.

ومن طريف ما رواه لنا المجاهد المعروف القائد «هزاع أيوب»(٣٨٢) أنَّ الزعيم إبراهيم هنانو أرسل معه رسالة كتبها الجندي البلغاري الذي وقع أسيراً بيد الثوار، ليسلّمها إلى الضابط البلغاري «خريستو» الموجود في الفرقة الفرنسية المختلطة، فذهب هزاع أيوب متنكراً يسوق حماراً يحمل «بضائع» كبائع متجوّل، ولما سلّم الرسالة إلى الضابط زميل الجندي البلغاري، أوجس الضابط البلغاري خيفة منه، فقبض على «هزاع أيوب» وهدّده بالقتل للإقرار بالحقيقة، فقد خشي الضابط البلغاري أن يكون من وراء ذلك دسيسة تودي بحياته، ولما تيقّن من صدق نواياه، اتفق وإياه للالتقاء معًا في موقع معيّن للالتحاق به مع بعض جنوده، وفي الموعد المحدد جاء الضابط البلغاري مع رفاقه إلى الموقع المعيّن، ومعهم عدد من البغال المحمّلة بكميات كبيرة من صناديق الذخيرة، ولما أبدوا رغبتهم بالانضمام إلى جيش الثورة، رحّب بهم إبراهيم هنانو أجمل ترحيب، وكان يعتمد على خبرتهم في المعارك الحربية أكبر اعتماد، حيث أبلى البلغاريون أعظم البلاء في الشؤون العسكرية.

وقد استشهد بعضهم وهم يقاتلون إلى جانب الثوار في معركة «سرجة»(٣٨٣) - الكائنة في الشمال الشرقي من جبل «الزاوية» - حيث دارت رحى معركة هائلة ضارية بين الثوار والحملة الفرنسية المؤلفة من أربعة آلاف جندي بتجهيزات كاملة، وقد هلك معظم جنود العدو في شعاب «وادي ترعان»(٣٨٤) الضيّقة. والمقصلة التي أعدّها المحتلون للقضاء على الثوار، هوت على رؤوسهم

وكذلك قضى الثوار على حملة الجنرال «غوبون» عام ١٩٢٦م، وكان عدد المجاهدين وقتئذ قد بلغ ثلاثة آلاف مقاتل، عدا ما انضم إليهم من أهالي القرى وعشائر قرى جبل «صهيون»، إذ ما كادت القوات الفرنسية تصل إلى الممرات الجبلية، حتى أطبق المجاهدون عليها من كل حدب وصوب بنيران حامية، وذلك على الرغم من قذائف المدفعية الفرنسية التي كانت ترمي

(٣٨٢) القائد هزاع أيوب: ولد في قرية (الحراك) عام ١٨٩٦م، قتل الأتراك والده محمدًا لأنه ثار عليهم. اشترك مع عشيرة الموالي بضرب الفرنسيين في معركة (قطمة). وقد التحق هزاع أيوب بثورة هنانو، واشترك معه في معارك الشمال، وجبل الزاوية، وكفرتخاريم. اعتقله الفرنسيون في (حارم)، وسُجن في (خان الجمرك) في حلب، لكنه تمكّن من الهرب إلى عمان مع حارس سجنه الدركي العريف (يوسف الصدير) من أهالي (معرّة النعمان).

(٣٨٣) سرجة: قرية تاريخية وأثرية في جبل الزاوية، محافظة إدلب. تحيط بها قرى غنية بالأوابد الأثرية: ترعان، وبشميعة، وبقللة، وبنية. وتقع فوق مرتفع صغير، وتبعد ١٥كم عن مدينة «الباب».

(٣٨٤) وادي ترعان: يتبع قرية «سرجة» في محافظة إدلب. يقع على سفح صخري شديد الانحدار من جبل الزاوية، مياهه غزيرة، وفيه نبع «عين القسطل».

حممها على المجاهدين، وتحليق ثماني طائرات حربية كانت تقذف الثوار وبعض القرى بالقنابل المدمرة. وقد دامت المعركة أربعة أيام بلياليها. ومن الجدير بالذكر أَنَّ النساء كنّ يقمن بواجبهن في هذه المعركة، حيث كن يحملن الماء ويقدّمن الطعام للمجاهدين، ويشجعوهن بالزغاريد الحماسية. وقد أسفرت هذه المعركة الدموية الرهيبة، عن ارتداد الجنرال «غوبون» نحو الشرق حيث تشتت شمل جيشه.

كانت هذه نماذج لبعض المعارك التي خاضها هذا الزعيم الوطني الكبير، لكنّ ثورة هنانو توقفت بعد معركة «مكسر الحصان»(٣٨٥)، وتفرّق قادتها خارج الوطن، كما سافر هنانو إلى عمان واجتمع بالأمير عبد الله بن الحسين، ثم جرى اعتقاله في القدس من قبل الإنجليز، وتمّ تسليمه للسلطات الفرنسية، وقد جرت محاكمته في المحكمة العسكرية عام ١٩٢٢م منتصف آذار، وكان موقف محاميه الأستاذ «فتح الله الصقال»(٣٨٦) موقفاً تاريخياً، إذ بعث برسالة للجنرال «غورو» عن نتائج مرافعته ودفاعه، والتي قضت ببراءة الزعيم إبراهيم هنانو، وإطلاق سراحه.

هذا المجاهد الثائر وهب حياته وكل ما يملك لوطنه وأمته، ولم يتسرب اليأس ولم يجد إلى قلبه سبيلاً، ولم يستسلم أبدًا للمستعمر، وختم حياته وهو يوصي أهله وإخوانه بمواصلة الكفاح والنضال ضد المستعمرين.

ومرض هنانو وهزل جسمه، وصبر على آلامه، حتى فتك «السلّ» الرهيب بجسمه النحيل الهزيل فأنهكه ذلك لأنه كان يتعرض أثناء قتاله القوات الفرنسية، لبرد الصحراء القارس، والتعب المضني

وفي الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩٣٥م، سكنت روحه الأبيّة الثائرة، وسلّم روحه إلى بارئها في محلة «الحامضة» -

---

(٣٨٥) مكسر الحصان: قرية في جبل البلعاس، فوق ضهرة البياضة، وتتبع بلدة جب الجراح، وعلى بعد كيلومترين منها، في منطقة المخرم، محافظة حمص.

(٣٨٦) فتُح الله الصقال: ولد في مدينة حلب الشهباء عام ١٨٩٣م، وتخرّج من الجامعات الفرنسيّة، وحصل على شهادة المحاماة، تفوّق على أنداده وأوتي سحر البيان، دافع عن قائد ثورة الشمال المناضل الثائر «إبراهيم هنانو»، عندما حاكمه الفرنسيون الغزاة بتهمة «الإرهاب» وقد أثبت لهم أنه قائد ثوري يقود «المقاومة» ضد المحتلين الدخلاء. وأصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية حكم البراءة. وحقّق «فتُح الله الصقال» «العدالة» التي «فقدها» العالم هذه الأيام فقد أصبحت حركات «المقاومة» في رأي المتصهينين حركات «إرهابيّة» وأصبح النضال من أجل حريةِ الأوطان وكرامة الشعوب وطرد الغاصبين إرهابًا وأمسى «المحتل» «المغتصب» صاحب الحق والأرض والمتحكّم برقاب العباد. وأمست التبعية والعمالة والفوضى البناءة، ورهن ثروات الأوطان للأجنبي وإراقة الدماء والقتل حرية وديمقراطية ووطنية تبدلت المفاهيم والمصطلحات في قواميس العولمة الأميركية فما أقبح منطق هؤلاء المتصهينين وسياستهم الأيديولوجية العمياء القائمة على القوة والاخضاع، والتي أدّت إلى تصاعد الكراهية والعداء لكل ما هو أميركي.!

قضاء حارم - ودُفن في مقبرة الشيخ (الثعلبي) في مدينة حلب

وكان هنانو قد تزوج فتاة تركية من مهاجري «أرضروم» في «بورصه»، ورزق منها بابنته «نباهت» ثم بابنه «طارق».

وكان «هنانو» يضع ولديه، في بيت «الشيخ محمد علي القصّاب»(٣٨٧)، أثناء معاركه مع الفرنسيين، وتنقلاته في ميادين القتال وساحاتها.

وسار في الموكب الحزين، الذي تحوّل إلى عرس وطني، أكثر من مئة وخمسين ألفًا من المشيعيين جاءوا من بشراخ(٣٨٨) ومشتى الحلو(٣٨٩) واللاذقية ودير الزور(٣٩٠) والجزيرة(٣٩١) ودمشق، ومختلف أنحاء القطر وخارج البلاد.

وفي الحادي والثلاثين من كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٥م، أُقيم احتفال تأبيني ضخم في ذكرى أربعين هنانو لتمجيد ذكراه العطرة، وتعداد مناقبه في الثبوت على المبادئ، والصمود في الشدائد، والجرأة في المواقف، والارتفاع على الصغائر وعشق وانتماء للوطن».

هؤلاء هم القدوة هؤلاء حقًّا هم الجنود الأوفياء للوطن الذين سطّروا بدمائهم الزكية قصة العبور نحو المستقبل، بما قدّموه من ملاحم البطولة والفداء.

هؤلاء لا زالوا أحياء في وجدان الأمة وذاكرة الوطن والتاريخ ويبقى الوطن برجاله عصيًّا على الغزاة الطامعين.

ويرحل الرجال دومًا ويبقى الوطن للجميع.

---

(٣٨٧) الشيخ محمد علي القصّاب: هو شيخ عشيرة الدروز، وزعيمها في منطقة حلب الشهباء، اقترن أحد أنجاله بابنة «علي بك الأطرش» شقيق سلطان باشا الأطرش. وقد تعرّض «القصّاب» للسجن والتعذيب من قِبل الفرنسيين، لمؤازرته ثورة هنانو، وكان يقدّم الدعم والمساعدة للثوار، وكان بيته مستودعًا لسلاح المجاهدين وعتادهم. استضاف في داره مرة أربعمئة ثائر، وقدّم لهم ولخيولهم المأوى والطعام. كما كان هنانو يضع ولديه «نباهت وطارق» عنده، أثناء تنقلاته في ساحات القتال.

(٣٨٨) بشراخ: قرية في سفوح جبال اللاذقية، وتتبع منطقة جبلة محافظة اللاذقية، وتبعد عنها ١٢كم.

(٣٨٩) مشتى الحلو: استمدت اسمها من كونها مركزًا شتويًا لحفظ بيوض «دودة الحرير» فعُرفت بالمشتى، و«الحلو» نسبة إلى لقبِ «آل الحلو». وهي مصيف في جبال اللاذقية، تتبع منطقة صافيتا وتبعد عنها ٢٦كم. يجاورها ناحية «سبّة» شمالاً، و«بارقيا» جنوبًا ومحافظتا حماة وحمص شرقًا.

(٣٩٠) دير الزور: مدينة في وادي الفرات، اسمها مركب من «دير» مكان إقامة الرهبان للعبادة، و«الزور» وتعني الأرض المنخفضة لمجرى نهر الفرات. تجاورها محافظة الحسكة، والقطر العراقي، وحمص، والرقة، وتضم ١٥ قرية وترتفع ٤٠٠م عن سطح البحر. شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي بثورة «رمضان شلاش».

(٣٩١) الجزيرة: اسم عُرفت به المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات. وتتألف من ثلاثة مناطق: الحسكة، والقامشلي، والمالكية. وتحوي محافظة الجزيرة (٢٥٠٠) بلدة وقرية، وتشتهر بخصب تربتها وكثرة ينابيعها، وأهم أنهارها: الفرات، والخابور، وجغجغ. دخلت في الفتح الإسلامي في خلافة عمر بن الخطاب، بقيادة «عياض بن غَنْم»، الذي استخلفه عامر بن الجراح على الشام. كما وقع على أرض الجزيرة، المعركة الدامية في رأس العين، بين أتباع عليّ ومعاوية عام ٦٥هـ/٦٨٤م.

● ● ● وأنا أقول...

أعوام ثقيلة كئيبة مرّت على أمتنا في أحلك سنوات الانتداب بدت لنا فيها الصورة قاتمة والأخطاء قاتلة. ولكن رغم تلك الأيام الصعبة، فقد كنا نستشرف صورة العبور نحو المستقبل. رغم تلك اللحظات العصيبة التي مرّت بها أمتنا لم نفقد القُدرة على المحاكمة.

صحيح أن «مواطننا» كان يتمتع بحسّ المسؤولية، ولكن المعروف عنه أيضًا أنه كان لا يتقبّل الآخرين بسهولة ولا يُعجبه العجب لذا أضحى «التشكيك» في رموز الأمة والوطن وفي كل شيء «النافذة» التي دخل منها «المغرضون» إلى نسيجنا الداخلي، كي يُصاب بالتّعفن حتى نفقد الأمل و«الثقة» في رموزنا الوطنية. وعندما نفقد الأمل نفقد قدرتنا على صنع المستقبل. وهذا ما يُبيّته لنا الأعداء.

ولكننا تجاوزنا في مرحلة ما تلك المعضلة، وقفزنا رغم أضلاعنا المتهشمة ونزيف الدماء، لنوقف رائحة البارود، ونحن نتميّز غيظًا، ونهدر سخطًا، ونصهل غضبًا أمام المخاتلة، والمخادعة، والتآمر، والمتاهة الملتبسة باعتناق اللحظة لنحطّم مطامع المحتلين، ونكسر أحلامهم.

لم تكن تلك الأيام بكل تأكيد، أقل صعوبة من تلك الأيام التي احتل الصليبيون فيها بيت المقدس، حتى طردهم منها صلاح الدين الأيوبي.! فقد كان في تلك الفترة العصيبة حدود فاصلة داخل الحدود وجدران مشادة بين الأحياء، وفي كل حيّ أمير وفي كل مدينة ملك يتنازعون فيما بينهم، ويستعينون على أخوتهم بالأجنبي.

ومع ذلك ورغم احتلال الطامعين لمقدساتنا أكثر من تسعين عامًا فقد حرّر صلاح الدين أرض فلسطين وطهّرها من الصليبيين.

وقد زُلزلت أرض العروبة والإسلام من قبل، ونزلت بأمتنا المصائب والكوارث، فجابهتها بكل عناد وصبر، وأنزلت بالمعتدين الهزيمة النكراء.

وأمة العرب تنتظر أن يظهر فيها يومًا ما صلاح الدين آخر. أو سيف آخر من سيوف اللّه المسلولة، فقد تعلمنا من تاريخنا المجيد أنَّ المحنة والشدة إذا بلغت مداها ولم يبق صبر أتى نصر اللّه وتفجّرت ينابيع الخير.

[حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا]

صدق اللّه العظيم [يوسف: ١١٠]

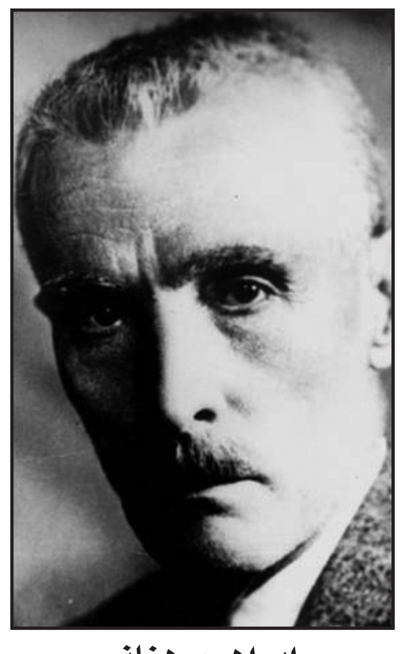




ابراهيم الشغوري



ابراهيم هنانو



ابراهيم هنانو



فتح اللّه الصقال

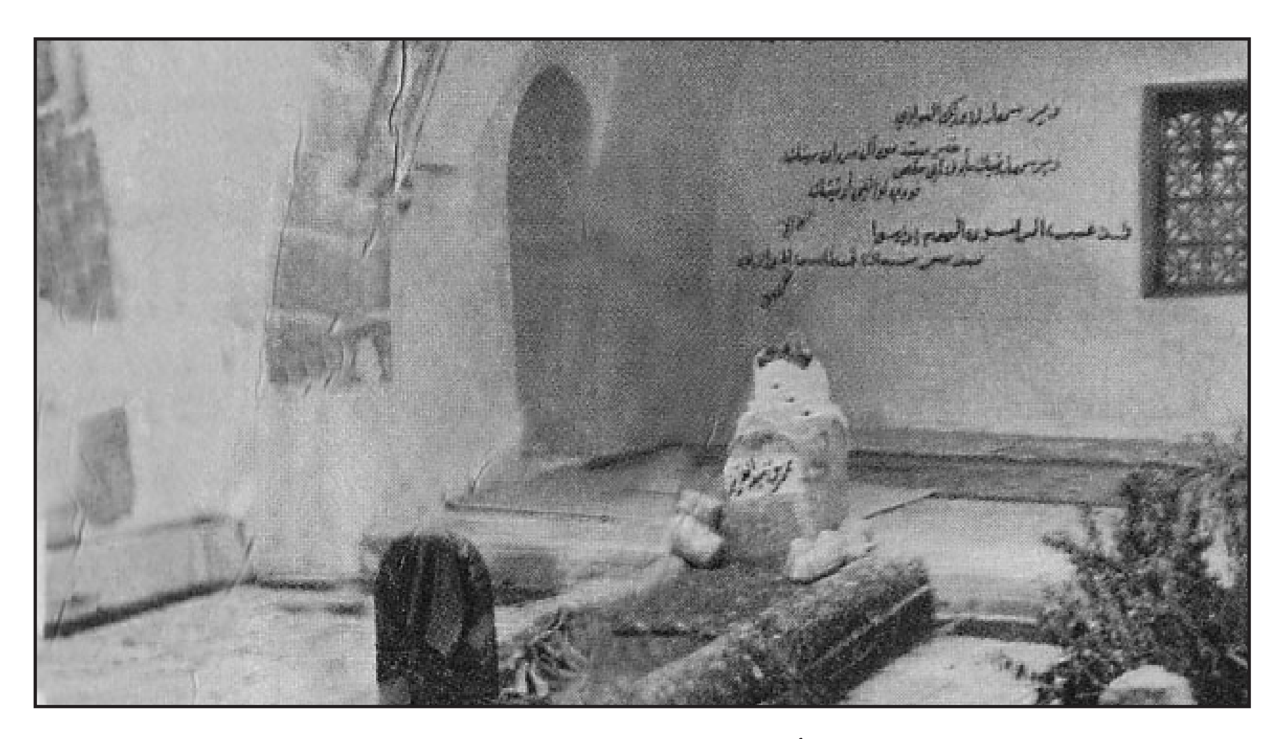


مصطفى الحاج حسين





نجيب عويد



مقام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في دير شرقي



نجيب باقي



هزاع أيوب





يوسف السعدون

قائد ثورة الساحل

المجاهد الشيخ صالح العلي

(١٨٨٣-١٩٥٠م)

كان القدوة في الإيثار في وقت كان المجتمع مُتخمًا بالأمراض والعلل والأسقام العسيرة العلاج.

برز الشيخ صالح العلي في زمن غير عادي كان اللهاث فيه وراء الشُّهرة الشخصية، وجمع المال، واغتنام الفرص.

أوقد شمعة وسط ظلمة حالكة الظلام، كانت تشتد قتامة في كل مكان من حوله. ومشى في مقدمة الركب.

فجّر ثورةً قلبت المفاهيم والموازين رأسًا على عقب.

وأصبح رمزًا من رموز الأمة والوطن. فأُمة العربِ قد تغفو بعض الوقت حتى يخال أعداؤها أنها نامت وعلا شخيرها ولكنها لا تلبث أن تنتفض، وتنهض من كبوتها، وغفوتها وجاهليتها وتشرذمها وتنطلق كالخيل الأصيلة لتصنع المعجزات والتاريخ خير شاهد على ذلك.

والعربي بفطرته عاشق للوطن، يمتد حبه وعشقه من لحظة الجذور، حتى لحظة النهاية.

والوطن بالنسبة للعربي ليس مجرد أرض وتراب وحجارة وصخور وبحور وأشجار أنه ارتباط الإنسان بالأرض، بعواطفه وذكرياته، وأهله وأحبته.

إنه شيء ينمو داخل أعماق البشر، في علاقة حب سحرية سرمدية، تختلط بمشاعره، وتجري في شرايينه فيشعر بارتباط يشدّه نحو وطنه وأرضه وترابه. وقد عزّز الإسلام وشائج الارتباط هذه فجعل حب الوطن من الإيمان.

وقد ورث الشيخ صالح العلي «قائد ثورةِ الساحل السوري»، الذي بايعته العشيرة زعيمًا لها، مخزونًا وطنيًا هائلاً، وحمل هموم أمته للنهوض بها من مستنقع التخلف والانكسار والذل.

ولادته ونشأته: ولد الشيخ صالح العلي عام ١٨٨٣م في قرية «المريقب»(٣٩٢)

(٣٩٢) المريقب: قرية في جبال اللاذقية، وتتبع منطقة الشيخ بدر في محافظة طرطوس، وقد عُرفت بهذه التسمية لأنها كانت مع القلعة المجاورة لها، مركزًا لمراقبة الطريق الساحلية والمراكب البحرية، وهي تبعد ٣كم عن مدينة بانياس. اعتصمت فيها قوات المجاهد الشيخ صالح العلي إبّان ثورته على الفرنسيين، فهاجمتها القوات الفرنسية واحتلتها عام ١٩٢٠م.

التابعة لقضاء طرطوس، واشتهر بمواقفه الوطنية، وقوّة بأسه وإبائه وشممه كان خصمًا للأتراك، ثم أصبح خصمًا لدودًا للفرنسيين الذين حكموا عليه بالإعدام.

حارب الشيخ صالح العلي الأتراك، بنفس القوة التي حارب فيها الفرنسيين الذين اعتدوا على قداسة الأوطان.

فقد أعلنت الجمعيات العربية، والأحزاب الوطنية القومية المختلفة، ومجموعات دعاة التحرّر، والإحياء العربي والعربية الفتاة، وحزب العهد الثورة على الأتراك، بالاتفاق مع الحلفاء الغربيين، وانسجامًا مع الوعود الصارمة المقطوعة للعرب.

وقد تدخّلت الدول الكبرى يومًا ما، واستطاعت فصم عرى الوحدة، بين سورية ومصر، وتمّ إخراج «محمد علي باشا» وابنه «إبراهيم باشا» من سورية، وأعادوا الأتراك لحكم المنطقة من جديد عام ١٨٤١م.

كما تدخلت الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وطلبت من الأتراك وضع حدّ للفوضى، بإصدار «إصلاحات تركية»(٣٩٣) عملية، فصدرت عدة إصلاحات ثانوية لم تغيّر شيئًا ولم تُقنع المواطن التركي.

ورمي «يهود الدونمة» الدولة العثمانية، في أتون حرب كونية لم تكن مستعدة لها، وأشعلوا الحروب بين العرب والأتراك، واغتالوا أحرار العرب، ونصبوا المشانق لهم. ثم أصدروا قانون «تتريك»(٣٩٤) العرب.

في ذلك الوقت العصيب من تاريخ أمتنا شكّلت «الثورة العربية الكبرى» منعطفًا تاريخيًا بالنسبة لجميع العرب وأعطتهم أملاً ووعيًا مبكّرًا، جذب الرأي العام العربي نحوها، ومنهم الشيخ صالح العلي ورفاقه.

(٣٩٣) الاصلاحات التركية التي صدرت:

- «خط شريف كلخانة»: صدر في الثالث من تشرين الثاني / نوفمبر ١٨٣٩م، بعد خروج محمد علي باشا من سورية، وعودة العثمانيين إليها عام ١٨٤١م، لوضع حدّ للفوضى التي كانت تسود الأراضي في الدولة العثمانية، فألغي قانون الالتزامات والخراج، وأصبحت الأراضي الزراعية تدفع العُشر.
- «خط شريف همايون»: صدر في الثامن عشر من شباط / فبراير ١٨٥٦م، في عهد السلطان عبد المجيد، بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفائها «إنجلترا وفرنسا وإيطاليا» على روسيا في حرب «القرم» لإقرار حقوق الطوائف «غير المسلمة»، في مبدأ المساواة لكافة رعايا الدولة، وحقهم في خدمتها، والسماح للأجانب بالتملك في الدولة العثمانية، ومنع موظفي الدولة من الالتزام الضريبي. فصدر عام ١٨٥٨م نظام استيفاء الواردات العشرية والرسوم من الملتزمين.
- «ضريبة (الويركو)»: وهي كلمة تركية تعني «الجزية» أو (الرسم) أو (الخراج). وهي ضريبة تُقدّر أربعة بالألف، كما صدر قانون الأراضي وتسجيلها، وإعطاء صكوك رسمية بها «سندات طابو».

(٣٩٤) التتريك: «نسبة إلى الأتراك»، إجبار العرب النطق باللغة التركية، والتداول بها في الدوائر والمدارس والجامعات. و«أبو الأتراك» هو مصطفى كمال أتاتورك».

واستحوذت «الثورة العربية الكبرى» إعجاب الشباب العربي المثقف الغاضب على سلوك الطغمة التركية الحاكمة، والمشانق التي نصبوها لأحرار العرب في ساحات دمشق وبيروت، الذين طالبوا بحق بلادهم في الإصلاح واللامركزية، وإزالة سطوة الأتراك الحاكمين منهم: عبد الكريم الخليل(٣٩٥)، ونايف تللو(٣٩٦)، وسيف الدين الخطيب(٣٩٧).

وانطلق الشيخ صالح العلي، ومعه دعاة الفكر للتبشير بالثورة العربية الكبرى، وإعادة الخلافة إلى بلاد العرب، لتصحيح مسارها، وبعثها لتنسُّم عبق التاريخ من جديد. وكان على رأسهم المُصلح الديني «محمد رشيد رضا»(٣٩٨).

وفي الوقت الذي كانت فيه إنجلترا، تواصل تلويحها بإمكان تحقيق وعودها لشريف مكة الحسين بن علي كانت هذه الدولة المراوغة (التي كانت سبب بلاء العرب، وسبب نحر أحلامهم) توقّع بكل لؤم وغدر مع فرنسا - التي استيقظت أطماعها الاستعمارية -، معاهدة «سايكس - بيكو» لاقتسام البلاد العربية وتمنح اليهود «وعد بلفور» المشؤوم، وتفرض قرارات مؤتمر «سان ريمو».

واقتسمت الدول الاستعماريّة - ذئاب العالم الجائعة - التركة العثمانية، والبلاد التي انفصلت وأصبحت مستقلة عن امبرطورية «الرجل المريض».

فازت فرنسا بشمال إفريقيا وجزءًا من الشرق الأوسط، وحصلت بريطانيا على مصر والسودان أما إيطاليا فكان احتلالها لليبيا ضروريًا وحاسمًا.

---

(٣٩٥) عبد الكريم الخليل بن قاسم: من الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا السفاح في بيروت في ٢١ آب ١٩١٥م. استوطنت أسرته جبل عامل في زمن إبراهيم باشا، ثم استقرت في قرية «الشيّاح» بالقرب من بيروت، أكمل دراسته في جامعة اسطنبول، وحصل على شهادة الحقوق، وأسس مع رفاقه العرب «المنتدى الأدبي» وانتُخب رئيسًا له وكان أول شهيد علّقه جمال باشا على أعواد المشانق في بيروت وقد مزّق الأتراك الوصية التي تركها، وفيها كتب ما لاقاه ورفاقه من تعذيب.

(٣٩٦) الشهيد نايف تللو: وُلد في مدينة دمشق عام ١٨٨٥م، وتعلّم في مدارسها. كان ينشر مقالاته في جريدة «المقتبس»، فاعتقله السفاح التركي أحمد جمال باشا بتهمة الانتساب إلى «جمعية اللامركزية»، وحوكم أمام الديوان العُرفي في «عالية» وحُكم عليه بالإعدام شنقًا، وتمّ تنفيذ الحكم في ٢١ آب ١٩١٥م، ودُفن مع إخوانه الشهداء في بيروت. وكنيته (تللو) نسبة إلى قرية في منطقة «عفرين» التابعة لمحافظة حلب.

(٣٩٧) سيف الدين بن أبي النصر الخطيب: وُلد في مدينة دمشق عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، درس الحقوق في جامعة الآستانة، وكان من مؤسسي «النادي العربي» في القسطنطينية. عُيّن في محكمة بداية حيفا. اعتقله جمال باشا السفّاح وأحاله إلى المحكمة العسكرية في «عاليه» فحكمت عليه بالإعدام شنقًا بتهم التآمر على الدولة، وإدارته شؤون «المنتدى الأدبي» السرية مع عبد الكريم الخليل، ومحادثاته في مصر مع أعضاء اللجنة المركزية. ونُفّذ الحكم في بيروت صباح السادس من مايو / أيار ١٩١٦م، ودُفن مع رفاقه الشهداء في بيروت.

(٣٩٨) محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥): مُصلح ديني، من مواليد القلمون بشمال لبنان. تأثر بتعاليم ومبادئ جمال الدين الأفغاني. أصدر مجلة «المنار» وقضى شطرًا كبيرًا من حياته في مصر، حيث تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده، وعمل على نشر أفكاره الإصلاحية. من أشهر كتبه «تفسير القرآن الكريم» في اثني عشر مجلدًا (وقد حالت منيته دون إتمامه)، و«تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده».

وصُدم العرب في أمانيهم، وانهارت أحلامهم، وولدت ثقافة «مقاومة الاحتلال» بعد أن أنزل الفرنسيون قواتهم العسكرية على السواحل السورية.

واندفع الوطنيون لمقاومة الغزاة المحتلين الجدد وفي مقدمتهم الشيخ صالح العلي. ولكن مخطط التقسيم كان قد أُبرم، والمسرح كان يُعدُّ بكل مهارة وإتقان - على أيدي اختصاصيين مهرة - لتنفيذ «مسرحية جريمة الاحتلال» تحت علم «عصابة» الأمم المتحدة.

كانت الذريعة الواهية عدم سماح «فيصل» للفرنسيين باستخدام الخط الحديدي «رياق - حلب» لإيصال الإمدادات العسكرية للقوات الفرنسية، التي ما زالت تقاتل الأتراك في «كيليكيا» فكان إنذار «غورو» ومعركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز / يوليو ١٩٢٠م، واستشهاد يوسف العظمة، وهو يدافع عن حمى وشرف سورية.

ودخلت القوات الفرنسية الغازية المغتصبة دمشق، وباقي المدن السورية، لتُسقط الحكم العربي الوطني، وتطلب رحيل فيصل عن سورية، ولمّا يكمل من حكمه عامين.

وفرضت فرنسا انتدابها ووصايتها، بقوة الحديد والنار على سورية ولبنان. لكن الشيخ صالح العلي لم يرضخ لإملاءات العدو، ولم يتقبّل وجود الاحتلال.

كما لم يستطع المحتلون، إخماد حركات التحرّر الوطني، والمشاعر القومية المتأججة، لدى الشعب في سورية ولبنان، بسبب الترابط العضوي بين الشعبين، وعدم فهم المعتدين للعلاقات التاريخية، والروابط الاجتماعية بين الأشقاء العرب، وعدم استيعابهم فهم الثقافة العربية، والأهداف والطموحات المشروعة للعرب. وحقوقهم في إدارة شؤونهم بأنفسهم، واستعادة حقوقهم وأراضيهم، ورفضهم التبعية والانتداب والهيمنة الاستعمارية.

ورأى الشيخ صالح العلي أنَّ الأوان قد آن لأُمتنا أن تجتاز محنتها فقد أثبت التاريخ أَنَّ أمة العرب، أُمة حيّة لا تموت وقد اختارها الله عن باقي أمم الأرض ليودع فيها رسالة الإسلام.

قاد الشيخ صالح العلي الثورة ضد الفرنسيين، في الخامس والعشرين من أيار عام تسعة عشر وتسعمئة وألف، وخاض معارك كثيرة ضدهم أشهرها: معركة «وادي الوَرْدِيَّة» القريب من بلدة الشيخ بدر، ومعركة وادي نهر «الحمام»(٣٩٩)،

(٣٩٩) وادي نهر الحمام: يقع شمال قرية «حمام قنية» في جبال اللاذقية، منطقة الشيخ بدر، محافظة طرطوس، على

ومعركة «المريقب» و«الجسر»، و«وادي جهنم»(٤٠٠) و«الفتيح»(٤٠١)، و«الدويلية»(٤٠٢)و«البرداني»(٤٠٣)، و«قرفيص»(٤٠٤)،و«القصابين»(٤٠٥)، و«القدموس» وغيرها من المعارك الكثيرة.

ولكن الفرنسيين الذين يمتلكون الجيش القوّي، والعتاد الهائل، والأسلحة الفتاكة، هاجموا قرية «الشيخ بدر»(٤٠٦) مركز الشيخ صالح العلي في عقر داره. ولكونها مركز المقاومة تضعضعت القرية تحت ضغط المحتلين، وألقت السلاح.

وفي السابع من تموز من عام واحد وعشرين وتسعمئة وألف، أخضعت سلطات الاحتلال منطقة جبال العلويين واستسلم الشيخ صالح العلي.

وقد منحه رئيس الجمهورية «شكري القوتلي» أثناء الحكم الوطني وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة، تقديرًا لوطنيته الصادقة، وجهاده المشرّف.

وقد وافت المنيّة الشيخ صالح العلي في صباح يوم الخميس الثالث عشر من شهر إبريل / نيسان، عام ١٩٥٠م، وأُلحد الثرى في قرية «المريقب» القرية التي أنجبته. ورقد الشيخ صالح العلي رقدته الأخيرة تحت قبة كبيرة، إلى جانب المسجد الذي بناه «شيخ المجاهدين وقائد ثورة الساحل» في حياته.

كما شُيّد نُصب تذكاري له في مدخل مدينة «الشيخ بدر» ونصب تذكاري آخر في مدخل مدينة «طرطوس» من الجهة الشمالية، وسط ساحتها الجميلة

السفح الأدنى لـ«جوبة مالك». ويبعد الوادي ٨كم عن برمانة المشايخ.

(٤٠٠) وادي جهنم: وادٍ سحيق ينحدر بشدة أخذ تسميته من وادٍ سحيق في جهنم. يقع على سفوح جبال اللاذقية في محافظة طرطوس على الساحل السوري بالقرب من القدموس.

(٤٠١) الفتيح: قرية في سفوح جبال اللاذقية، وتتبع ناحية «عين الشرقية» وتبعد عنها ٤كم.

(٤٠٢) الدويلية: قرية في سفوح جبال اللاذقية، استمدت اسمها من نبات «الدُوَيل» المتسلق. وتتبع محافظة طرطوس. أحرقها الفرنسيون إبان ثورة الشيخ صالح العلي.

(٤٠٣) البرداني: تقع على السفوح الدنيا لجبال اللاذقية، وتتبع قرية «قلع اليازدية»، ناحية «خربة المعزة» في محافظة طرطوس، وتصلها بمدينة طرطوس طريق معبدة طولها ١٥ كم.

(٤٠٤) قرفيص: قرية في جبال اللاذقية، تشرف على نهر السن، وتشكّل الحدّ الفاصل بين محافظتي اللاذقية وطرطوس، وتشرف على البحر من بعد خمسة كيلومترات. تصلها بمدينة «جبلة» طريق معبّدة طولها ١٩كم.

(٤٠٥) القصابين: قرية في جبال اللاذقية، تتبع ناحية عين الشرقية، لمنطقة جبلة، في محافظة اللاذقية.

(٤٠٦) «الشيخ بدر» - مدينة المجاهد الشيخ صالح العلي - تقع شرق مدينة «طرطوس» الساحلية بحوالي ٣٥كم على سفح جبل المريقب تحيط بها بانياس وحماة ودريكيش وطرطوس وتضم ثلاثين قرية، ويصل عدد سكانها إلى خمسة عشر ألف نسمة، وتتوضّع منازلها على عدد من التلال والهضاب، وعلى مدخلها الغربي شيّد نُصب تذكاري للمجاهد الشيخ صالح العلي، الذي قارع الأتراك والفرنسيين على مدى سنوات طويلة. وقد اشتهرت مدينة «الشيخ بدر» بانتسابها للشيخ صالح العلي، كما وجدت كل الاهتمام من الحكومات المتعاقبة، لما تتمتع به من طبيعة خلاّبة، ومواقع سياحية جذّابة. فبجوارها تقع (مغارة جوعيت)، وبالقرب منها تقع منطقة (الديرون) السياحية الجميلة، إضافة إلى المنتزهات المنتشرة في المدينة وجوارها، ويجلس المتنَزهون على ضفاف الأنهار والينابيع العذبة، وفي ظلّ الأشجار الجميلة وهذه السمفونية المتناغمة تشكّل عامل جذب للسياح.

تخليدًا وتمجيدًا لذكراه ورمزًا وطنيًا لكل مَنْ يدافع عن أمته وتراب وطنه.
كما أطلق اسمه على «ثكنة عسكرية» في طرطوس أيضًا، وسمّيت عدة شوارع باسمه في مختلف المدن السورية.



●●● وأنا أقول...

تواجه أمتنا العربية، ظروفًا معقّدة للغاية، وأعاصير عاتية تستهدف وجودها. فهذا الصخب الاستعماري الجديد، وهذه الهجمة الاستعمارية العنصرية، بجيوشها وأسلحتها المحرّمة المدمّرة، يتعرض لها الوطن، الذي يتربص به الأعداء واللصوص، والطامعين والحاقدين، تقودهم رغبات وأطماع مختلفة، حيث يدّعي المستعمرون الجدد الحق في رسم خرائط الشعوب.

وقد تعرضت أمتنا لكثير من هذه الضغوط والتهديدات من «المتصهينين» الذين تتطابق رؤيتهم السياسية والدينية، مع «الأساطير» التي تُطلقها الصهيونية، والتي «تتقاطر» مع مشاريع الهيمنة والتسلّط والاستعمار «وإسرائيل الكبرى» وأخيراً «الشرق الأوسط الكبير والجديد». والذرائع والمصطلحات التي يتسلحون بها جاهزة وهي «محاربة الإرهاب»، ونشر الديمقراطية والحرية. ولكنهم في الحقيقة يعملون على نشر الإرهاب وتعميم الدكتاتورية وإلغاء السيادة الوطنية، واللغة والتاريخ والتراث والخصوصية والحضارة.

إنَّ إشكالية النهوض العربي من «التردّي» إلى «التحدّي» بحاجة إلى آليات عمل، للتخفيف من وطأة المفارقات التي تسود أمتنا. فنحن دومًا في ثنائية جدلية متضادتان متوازيتان لا تلتقيا أبدًا. متطرفتان إلى حدّ الجنون من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، في تضارب تام للآراء دون هوادة.

لا بدّ لنا من معالجة كل زوايا الخلل في مجتمعاتنا، لتقودنا إلى صحوة شاملة.

إنَّ الضعف العربي، والتفكك العربي، نابع من نفوسنا، وواقع معيشتنا، وطريقة تفكيرنا، لم يفرضها علينا مستعمر ولا دخيل، وتحميل مسؤولية كل ما يجري لنا على «شماعة» غيرنا، وأننا دومًا ضحية «المؤامرات» أمر غير مقبول، فيه كثير من المغالطة والتجنّي.

مئات الشعارات رُفعت منذ القرن الماضي، ولم يتحقق منها شيء إذن العيب فينا هذه حقيقة يجب أن نعترف بها على علاّتها وفجاجتها. علينا أن نعترف

بأخطائنا بكل شفافية وصدق وأمانة. علينا أن نعترف بواقعنا المتخشب بعيدًا عن التخييل. واستبعاد السلبيات الكثيرة التي طغت على الإيجابيات.

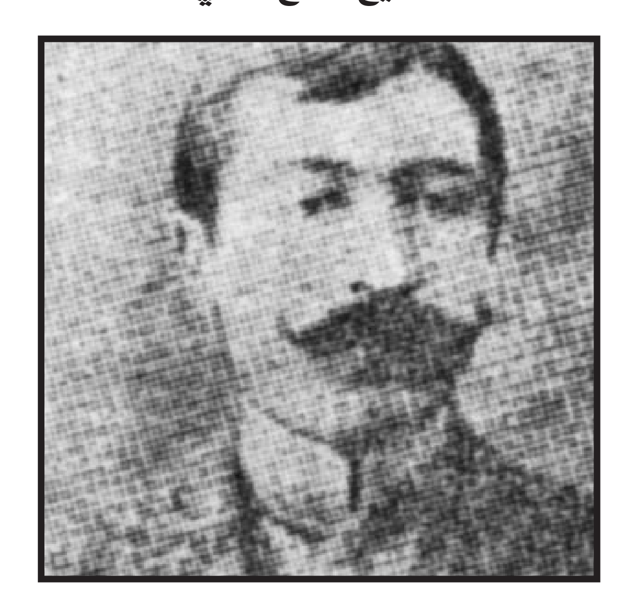
لابد أن نجلوا الصدأ الذي يتراكم في الذاكرة، حتى نتحرر من الخوف الذي لا نزال محكومين فيه. أم أننا في مجتمع عاجز عن التطوّر اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا هذا ما يجب علينا أن نُجيب عليه.



الشيخ صالح العلي



الشيخ صالح العلي



الشهيد نايف تللو



الشهيد عبد الكريم الخليل



الشيخ محمد رشيد رضا

فوزي البكري

الشهيد عبد القادر الخرسا

الشهيد سيف الدين الخطيب

الزعيم الشهيد الدكتور

عبد الرحمن الشهبندر

(١٨٧٩-١٩٤٠م)

هذه النُّخب المميزة المختارة التي برزت كالشُّهب المتألقة في كبد السماء، في الوقت الصعب من الزمن حباها اللّه بقدرات فائقة من التحمّل والصبر، لا يتمتع بها إلا أُولو العزم من الرسل. هؤلاء خلقهم اللّه ليكونوا «قادة» يخترقون جدار الزمن. ويدخلون التاريخ من أوسع أبوابه. يعتبرون الوطن حصنهم الحصين، وملاذهم الأمين ويتصدون بكل قوّة لمؤامرات الأعداء.

كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، أحد هؤلاء القادة الكبار الذين طرقوا أبواب التاريخ كما كان من ألمع الشخصيات الوطنية. طبيبًا مناضلاً، وقائدًا فذًّا، وخطيبًا مفوّهًا يهزّ المنابر. سخّر نبوغه وعبقريته وعلمه وأدبه، لخدمة وطنه وأبناء وطنه. كان حالة نادرة وفريدة في مجتمعه. بثّ روح الوطنية في أبناء الأمة، وهو يحمل راية الثورة، مدفوعًا بإيمانه وحماسته وإخلاصه. لذا كثُر حاسدوه.

أدمن الشهبندر عشق الوطن وقضى نحبه في سبيل هذه المبادئ النبيلة التي حملها، فاستحق من الشعب كلَّ تقدير واحترام فعَظَمَة الرجال تُقاس بأفعالهم، وما نقشوه على جدار الوطن، وذاكرة التاريخ.

عشق الشهبندر البندقية ذودًا عن الوطن وتاريخ الوطن وعانى قهر السجون وقسوتها ونيران الغربة وشراسة حرارتها وكَبُر حتى في عيون أعدائه بتواضعه، وأدبه وكبريائه، وشموخه الوطني.

قاوم الأتراك الذين علّقوا أبناء وطنه على أعواد المشانق (أراجيح الأبطال) كما قاوم الغزاة الفرنسيين، الذين اغتصبوا استقلال بلاده.

كان الزعيم الشهيد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، في طليعة الذين حملوا لواء النهضة الروحية والوطنية، منذ يفاعته حتى يوم مصرعه، حيث اغتيل في عيادته بيد آثمة مأجورة وكان رحمه اللّه الرمز الأسمى للقومية العربية، وقد ارتسمت في وجهه آلام أمته، فكان يشدو ببيانه الساحر، ويهزّ المنابر ويُلهب المشاعر كلما ردّد في الأندية، والمجتمعات العامة أنّات جراح أمته

الدامي. وإني لأذكر كلماته الخالدة المأثورة التي كان يرددها إبان الثورة السورية، وقد أخذت الخلافات يدبّ دبيبها «خير لنا أن نغرق جميعًا ونحن متحدين من أن نعوم ونحن متفرقين».

كما كان الشهبندر في حقيقة الواقع خطيب العرب المصقع، وهو الذي طالما خشعت الجماهير، إجلالاً لبيانه وإخلاصه ووطنيته الصادقة، ولروعة بلاغته الساحرة وقد ظل زهاء نصف قرن وهو في جهاد متواصل، في سبيل إعلاء كلمة الحقّ والعدالة، والنضال من أجل حرية الوطن، وفي ذات الوقت كان من حُماة الفضيلة، ومن أصحاب المبادئ السامية، التي دان بها طيلة حياته المملوءة بجليل الأعمال النافعة المجيدة.

وقد رأيت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في مدينة السويداء عاصمة جبل العرب، إبان أتون المعارك في الثورة السورية، وهو يشرف بنفسه على العيادة الطبيّة التي فتح أبوابها لجميع الجرحى من المجاهدين والمواطنين، فكان يقدّم العلاج اللازم لهم بدون مقابل. وقد تحلّى الشهبندر بالتواضع كما زانه اللّه بالكمال، في سائر الأعمال الخاصة والعامة، بعيدًا عن التيه والخيلاء، مخلصًا لمبادئه التي أوقف حياته عليها لتحرير وطنه، ورفع شأن أمته. وقد ساهم بنصيب كبير في النضال القومي، وكان في مقدمة الرعيل الأولِ، ممن رفعوا لمعالم الجهاد أعلامًا خفّاقة باسقة، وقد تركوا وراءهم تاريخًا حافلاً، بالأمجاد والبطولات الخالدة. وكان يقول دائماً « إن رابطة العروبة أقوى وأجلّ من أن تصاب في قوتها وروحها مادام القرآن يجمعها، ونحن عرب قبل أن نكون سوريين».

ولادته ونشأته : وُلد الشهيد عبد الرحمن الشهبندر في مدينة دمشق سنة ١٨٧٩م، وهو ابن المرحوم صالح الشهبندر.

تلقى علومه في بيروت، إذ دخل كلية الطب في الجامعة الأميركية، وكان فيها الخطيب المفوّه البارز بين زملائه، حتى نال شهادة الطبّ بامتياز في فرع العلوم الطبيّة عام ١٩٠٦م.

تزوج من «سارة»[٤٠٧] ابنة الوجيه الدمشقي المعروف «تقي الدين بك المؤيد العظم» وأسمى ابنه البكر «فيصلاً»

بدأ نضاله السياسي مع إخوانه الشهداء: شكري العسلي، وعبد الوهاب الإنجليزي، وعمر الجزائري، ورشدي الشمعة، وعبد الكريم الخليل وغيرهم ممن شنقهم جمال باشا السفاح أثناء الحرب العالمية الأولى في أيار ١٩١٦م،

(٤٠٧) توفيت سارة المؤيد العظم (أم فيصل) في ٦ شباط / فبراير ١٩٧٦م بدمشق.

بسبب وطنيتهم وكفاحهم في سبيل القضايا القومية العربية.

ولما تولّى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع في سورية، كان الشهبندر طبيبه الخاص، وقد عيّنه للتمويه على مآربه الخبيثة، وخداعًا وتمهيدًا وتضليلاً للفتك به مع باقي أحرار البلاد

شعر الشهبندر بما يُحاك حوله من دسائس، وكان يقظًا حذرًا ولكن الحَذَر لا يمنع من وقوع القَدَرَ، إذ ما لبث أن أصدر السفاح أمره بالقبض عليه وعلى رفيقه الشهيد توفيق الحلبي - الصحافي الوطني الأبي - فأشفق أحد رجال الشرطة على حياة الشهبندر، وأبلغ «قائد شرطة دمشق» السيد «حمدي الجلّاد»، فأهتم كثيرًا وأخذ للأمر عدته، فتوارى الشهبندر مع رفيقه توفيق الحلبي عن الأنظار في دار الجلّاد، ثم أعدَّ لهما عربة وخرج بهما ليلاً إلى قرية (الضمير)[٤٠٨] ليواصلا سفرهما متوارَيْن بعيدًا عن الأنظار.

التحق الثائران المطاردان من قِبل السلطات التركية «الشهبندر والحلبي» بمضارب البدو، وتوغلا في الباديَة العراقية فقبض عليهما البدو وسلّموهما للسلطات الإنجليزية، فأوقفتهما وجرى التحقيق معهما لمعرفة هويتهما، وكان لذكاء الشهبندر، وطلاقة لسانه، وثقافته، وإجادته التحدث باللغة الإنجليزية، أكبر الأثر في الإفراج عنهما، وتابعا السفر على ظهر مدرعة إنجليزية من البصرة إلى مصر. وهكذا نجا الشهبندر ورفيقه من حبل المشنقة، بفضل لباقته وثقافته ودهائه، ونبل أخلاق الشرطي الذي أخبر الرجل الوطني «حمدي الجلاد» عن صدور الأمر التركي بالقبض على الشهبندر ورفيقه، فأتاح لهما فرصة التواري عن الأنظار والفرار، وقد حُكم عليهما فيما بعد بالإعدام غيابيًا.

وبعد رحيل الأتراك ودخول فيصل عُهد إلى الشهبندر بوزارة الخارجية عام عشرين وتسعمئة وألف، في حكومة هاشم الأتاسي، إبّان الفترة الفيصلية. ثم لما جاءت لجنة (كراين) الأميركية، قبل عهد الانتداب الفرنسي وبعده، لاستقصاء الحقائق واستشارة الأهالي في نظام الحكم الذي يختارونه، كان الدكتور الشهبندر مستشار البعثة الأميركية ومرشدها. وقد لازمها في جميع تحركاتها، ولكنّ اللجنة المذكورة لم تدفع عن سورية مقدورًا وخطّة مقرّرة بين (سايكس - وبيكو)، بوضع لبنان وشمال سورية وأوسطها، تحت الانتداب الفرنسي، وجعل المنطقة الجنوبية بيد السلطة الإنجليزية التي نفّذت وعد

(٤٠٨) الضمير: بلدة في بادية الشام ومرج غوطة دمشق، تتبع منطقة دوما، في محافظة ريف دمشق. تحيط بها محافظة السويداء والنشابية والقطيفة والسبع بيار. فيها حصن الإمبراطور السوري الروماني (كراكلاّ). دخلت في حوزة المسلمين عندما فتحها خالد بن الوليد عام ٦٤٥م، وهو في طريقه من العراق لنجدة المسلمين في معركة اليرموك.

بلفور، القاضي بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين اعتبارًا من عام ١٩١٧م.

وبعد أن شارك الشهبندر في بعثة (كراين)[٤٠٩] وحوادثها المشهورة عام ١٩٢٢م والتي ألهب فيها حماس الوطنيين بخطبه الحماسية الوطنية، حكمت السلطات الفرنسية عليه بالاعتقال، ونفته إلى جزيرة (أرواد) مع نخبة من أبناء البلاد، ثم أُطلق سراحه بعد قيام جماهير الشعب بالإضراب العام والمظاهرات، وقد قادت مظاهرات احتجاج السيدات (السيدة سارة العظم) زوجة الدكتور الشهبندر و«شقيقة نزيه المؤيد العظم»، ومعها زوجة الشهيد شكري العسلي، الذي أعدمه جمال باشا السفاح.

ثم سافر الشهبندر إلى أميركا، حيث قام بالحملات السياسية ضد المستعمرين الفرنسيين، وقد احتفت به الجاليات العربية، علمًا بأنه كان لمحاضراته وخطبه ومقالاته المنشورة في الصحف الغربية، أعظم الأثر في التعريف ببلاده، وشرح القضية السورية.

ثم ما كادت ثورة جبل العرب تندلع عام ١٩٢٥م، حتى أخذ الشهبندر يعمل على توحيد مساعي الأحزاب السياسية ضمن «حزب الشعب»[٤١٠] وهو أول حزب سياسي أُسس في سورية، بعد الاحتلال الفرنسي، وإطلاق حرية تشكيل الأحزاب.

وكان مجلس إدارة الحزب يتألف من الدكتور الشهبندر، وفارس الخوري، وجميل مردم بك، ولطفي الحفار، وفوزي الغزي، وتوفيق شامية، وإحسان الشريف، وسعيد حيدر، وحسن الحكيم، وعبد المجيد الطبّاخ، وأديب الصفدي، وأبو الخير الموقع، وقد شتتت سلطات الاحتلال الفرنسيّة أعضاء الحزب، بعد قيام الثورة السورية التي قادها سلطان باشا الأطرش. وقد عُقد أول اجتماع في الأول من آب سنة ١٩٢٥م بدار الحاج «عثمان الشرباتي»، حضره «النخبة المختارة» من الوطنيين المخلصين من زعماء المجاهدين، وفي

---

(٤٠٩) قال المستر «شارل كراين»: إنَّ بريطانيا تخلَّت عن العرب لقاء تنازل الفرنسيين لها عن مدينة الموصل وكان الموصل من الأملاك الفرنسية. وتابع يقول: لمّا خرجنا من باريس صيف ١٩١٩م إلى بلاد الشرق، كنّا كلّنا آمال باستقلال سورية وتحريرها، فلما عُدنا وجدناها بيعت بيع السلع. باعها الإنجليز بزيت الموصل، الذي تنازل عنه الفرنسيون، ثمنًا لإطلاق يدهم في سورية. أوطان تُباع وتُشترى. وكان كراين قد عاد للمرة الثانية إلى سورية، في الثاني من نيسان عام ١٩٢٢م، وفي شهادته بعد عودته لبلاده كتب يقول: «يرفض الشعب السوري واللبناني بجميع فئاته وأعراقه الانتداب الفرنسي. والثورات التي قامت في جميع أنحاء سورية لا يمكن حصرها. ففي هذا العام وحده «عام ١٩٢٢م» قامت في سورية، خمس وثلاثون ثورة، ودفن فيها من الجيش الفرنسي، خمسة آلاف جندي.».

(٤١٠) هناك حزب آخر كان يحمل نفس اسم «حزب الشعب»، كان قد أسسه نواب «الكتلة الدستورية» عام ١٩٤٨م برئاسة «رشدي الكيخيا».

هذا الاجتماع تقرّر تكليف الشهبندر بالسفر إلى جبل الدروز، من أجل أن يتولّى توجيه القضايا السياسية، وقد قاسى من أهوال السياسة - ومشاكسة بعض السياسيين له - الشيء الكثير. وهو الذي ضحّى بماله وراحته، والبعد عن عائلته بضع سنوات من أجل وطنه وحرية أمته.

تنظيم الثورة في الغوطة:

وكان قد حضر الشهبندر إلى الغوطة للإشراف على تنظيم شؤون الثورة فيها، وكنت أرافقه في جولاته، حيث لمس من تفرّق كلمة زعماء المجاهدين ما أدمى قلبه. فعمل كل ما في وسعه للتأليف بين نسيب بك البكري «رئيس المجلس الوطني»، وبين القائد العسكري لمنطقة الغوطة «مصطفى وصفي السمّان» وبقية قادة المناطق، حيث حدّد لكل منطقةٍ قادة ورؤساء من مجاهدي دمشق وهي كما يأتي:

- المنطقة الأولى: أراضي باب السريجة، وقبر عاتكة وما بين المزة وداريا، والحدّ بينها وبين المنطقة الثانية: الخط الحديدي، وجعل على قيادة المجاهدين الشيخ محمد حجازي وسعيد الأظن وخليل بصلة.
- المنطقة الثانية: تمتد من أراضي حي الميدان والشاغور، وقرى بابيلا ويلدا وعقربا حتى قرية: (عبادة)، والحدّ بينها وبين المنطقة الثالثة نهر بردى، ومن زعمائها الدرخباني والمغربي.
- المنطقة الثالثة: تمتد من حدود (بردى) حتى جسر نهر (تورا)، والحدّ بينها وبين المنطقة الرابعة: الطريق الممتد بين دمشق ودوما، وكان زعيمها أبو عبده ديب الشيخ، وسليمان وشفيق ووجيه من آل الخانجي (والأشقاء الثلاثة أبناء عمومتي)، وقد جعلوا «حوش الأفتريس» من قرى الغوطة الخاص بهم مركزًا للمجاهدين من الفرسان.
- أما المنطقة الرابعة: فتمتد من المنطقة الثالثة حتى مركز قضاء دوما، وكان زعيمها (أبو عمر ديبو الكردي) وعمر خيتي، والخنشور من وجهاء ورؤساء دوما.
- والمنطقة الخامسة: تمتد من حي الأكراد حتى عدرا، وكان رئيسها الشهيد أحمد الملا الكردي.
- أما المنطقة السادسة: فتمتد من سهل القابون حتى صيدنايا[٤١١]،

(٤١١) صيدنايا: بلدة شمالي دمشق في هضبة القلمون. تتبع منطقة التل، في محافظة ريف دمشق. وتقع على بعد

وكان من زعمائها أحمد شعبان، وجمعة سوسق. ومن دمر حتى الزبداني سلمت إدارتها لعصابة آل عكاش.

- وأخيرًا المنطقة السابعة: تمتد من عدرا إلى النبك حتى تتصل بعصابات الشمال التي يقودها القائد سعيد العاص.

وقد تألف «المجلس الوطني للثورة» من عشرة أعضاء، كما تم انتخابهم تحت إشراف الدكتور الشهبندر، من قبل زعماء الثورة في المناطق المذكورة أعلاه وهم السادة:

الشهيد زكي الحلبي، والشهيد شوكت العائدي، والشهيد فائق العسلي، ونزيه المؤيد العظم، وإسماعيل القلعجي، ومحمد الشيخ، وعلي ديبو، أحمد الحصني، كما انتخب أعضاء المجلس (كاتب هذه السطور) جميل شاكر الخانجي سكرتيرًا لمجلس قيادة الثورة وأمينًا للسر.

وقد تقرر تقسيم صلاحية أعضاء المجلس إلى لجان ثلاث: المالية، والحربية، والدعاية على أن يتولى لجنة الدعاية الشهيد فائق العسلي وجميل شاكر الخانجي، كما أكَّد المجتمعون على أن يكون زعماء الثورة هم القوة التنفيذية.

كما تقرّر أن ينتخب مجلس الثورة لكل جلسة رئيسًا بالاقتراع السري. وأن تكون من صلاحياته النظر في جميع الشكايات والمظالم فيما إذا حدثت، كما ولجّ إليه محاكمة الجواسيس وإعدامهم بعد إدانتهم، وتم انتخاب نسيب البكري رئيسًا لمجلس قيادة الثورة.

وقد كان لهذه التشكيلات التي جرت بتوجيه من الشهيد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، أبلغ الأثر في نفوس المجاهدين والأهالي معًا.



ولمّا توقفت الثورة في الغوطة والجبل انتقل الدكتور الشهبندر إلى (الأزرق)، في التاسع عشر من كانون أول سنة ١٩٢٧م، ليمثّل إخوانه في الشؤون الوطنية، وليكون همزة وصل بين الثوار الذين التجأوا إلى الأردن، والثوار المرابطين في الأزرق. وقد آثر هؤلاء سكن القفار على سكنى القصور في سبيل كرامة وطنهم. ولقي من الملك عبد الله كل دعم وتأييد، ثم ذهب إلى منفاه الطوعي في مصر.

١٤كم عن مدينة التل. ترتفع ١٤١٥م عن سطح البحر. فيها «دير السيدة» وهو مزار بناه (جوستنيانس) سنة ٥٤٦م، وتحيط بها الجبال الشاهقة من كل جانب.

ويجدر بي أن أشير هنا إلى حادثة هامة في تاريخ الثورة السورية، اعتقد أنها لو تمّت أو تحقق شيء منها، لكان لها أبلغ الأثر في تغيير مجرى الثورة، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً

ذلك أن المندوب السامي الفرنسي (دي جوفنيل) - وهو الذي حلَّ مكان الجنرال (ساراي) – كان قد أعلن قبل مغادرته (باريس) عن خطته المقبلة في كلمته المشهورة: «الحرب لمن أراد الحرب، والسلم لمن أراد السلم». وفي ذات الوقت طلب دي جوفينل من الأخ «نجيب الارمنازي»(٤١٢) - السفير السوري في باريس - الاتصال بالدكتور الشهبندر وإبلاغه عن رغبته بمقابلة الزعيم في القاهرة، قبل أن تطأ قدماه أرض لبنان. وأبرق «دي جوفينل» بدوره ليُحقق له الشهبندر هذه الأمنية، غير أن أحد خصوم الشهبندر السياسيين حال دون ايصال البرقية إليه في الوقت المناسب. ثم عاد السيد «نجيب الأرمنازي» فكتب إلى الشهبندر مؤكدًا له أنَّ المندوب الفرنسي يودّ أن يستفسر من الشهبندر عن مطالب الثوار للنظر فيها، وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها، على أن يُلقي الثوار السلاح من أيديهم، ويعود الهدوء وتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية، من حيث الإخلاد إلى السكينة، عن طريق التفاهم وبموجب اتفاقية خاصة بين الطرفين.

وقد أجابه الشهبندر فيما بعد بكتاب يتضمن عدة بنود ومطالب وشروط لم اطّلع عليها وقتئذ - غير أن الأمير «عادل أرسلان» همس بأذني (ونحن في طريقنا لتناول طعام العشاء بدار أبو عسلي، وهو أحد شيوخ مدينة السويداء ومن كبار أجاويدها) قائلاً: «إن البنود التي طلبها الدكتور الشهبندر من (جوفنيل) لا تحقق كل الأماني التي ننشدها، ولو كنا سنقبل بمثل هذه المطالب الهامشية لما أعلنا الثورة، وخسرت البلاد عشرات المئات من شهدائها، فضلاً عن دمار المنازل في المدن والقرى؟!».

ثم ذكر لي الأمير عادل أرسلان مضمون بعضها بصورة مقتضبة لا تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً وفي اليوم التالي ذهبت مع صديقي المحامي الأستاذ «فايز سبع العيش» إلى مَنْزل الدكتور الشهبندر لاستجلاء الأمر المتعلق بمصير الأمة والوطن، وفي طريقنا إليه حدثته بما ذكره لي الأمير عادل أرسلان، وعن تلك الاتصالات التي كانت تجري خفية عنا ولا علم للثوار

(٤١٢) نجيب الأرمنازي: وُلد عام ١٨٩٧م، وتلقى علومه في المدارس العربية والعثمانية، ونال شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس. مارس مهنة «الصحافة»، وحصل على ترخيص بإصدار جريدة «الأيام» عام ١٩٣١م في دمشق. تولى إدارة مكتب رئاسة الجمهورية. نقل إلى السلك الدبلوماسي، وبقي فيه حتى عام ١٩٥٦م. من مؤلفاته: عشر سنوات في الدبلوماسية، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، السياسة الدولية في مجلدين، الشرع الدولي في الإسلام، الحملة المصرية.

ولي بها بصفتي أمين سر المجلس الوطني، وهمزة وصل بين زعماء الثورة وبين القائد العام سلطان باشا الأطرش.

فاتحت الشهبندر بالموضوع الذي جئنا من أجله، وطلبت منه اطلاعنا على مسودّة المطالب التي تقدّم بها للمندوب الفرنسي، إلا أن الشهبندر أجابنا بأنه ليس لديه أية مسودة عن تلك الشروط والبنود والمطالب، وأنه ينتظر من السفير «نجيب الأرمنازي» جوابًا عن نتيجة اتصالاته بهذا الصدد (سلبًا أو إيجابًا). فخرجنا من عنده مستائين، وقاطعت الشهبندر مدة ثلاثة أسابيع تقريبًا.

وفي مساء أحد الأيام جاء إليّ الأخ المحامي السيد «خليل الحموي» وبرفقته توفيق بك حيدر، وطلب مني مرافقتهما لمقابلة الشهبندر، فترددت كثيرًا بقبول الدعوة أشبه ما يكون بالرفض. غير أنه صارحني بأن جواب المندوب السامي قد وصل الشهبندر، وأنه يود اطلاعي عليه وعلى الردّ الذي أعدّه الشهبندر.

وإذا لم تخني الذاكرة، وقد مر على حديثنا معه أكثر من نصف قرن، بأنها تتضمن عشرة شروط منها:

تشكيل حكومة وطنية، منبثقة عن تأييد نواب الأمة في البرلمان السوري، على أن يجري انتخاب النواب مجددًا وبمنتهى الحرية، وفي إطار من الديمقراطية الصحيحة، وأن يكون للبلاد دستور يعبّر ويحقّق أماني جميع المواطنين من أبناء سورية، وأن تُصدر السلطات الفرنسية عفوًا عامًا عن كل من اشترك بالثورة السورية، مع وجوب التوقف عن جمع الغرامات الحربية من الليرات الذهبية، بالإضافة إلى التعويض على المتضررين، ممن هُدمت منازلهم وصودرت أملاكهم. ثم سحبُ المستشارين الفرنسيين من دوائر الحكومة، والاكتفاء بوجود المعتمد الفرنسي بدمشق فقط، وأن تكون قوى الأمن من الدرك والشرطة مرتبطة بوزير الداخلية، وأن تُعدَّل الضرائب الباهظة التي فرضت على المواطنين، بموجب قانون ينال موافقة الأكثرية من أعضاء البرلمان السوري، وأن يعقد المندوب السامي اتفاقية معاهدة مع الحكومة السورية الوطنية، شبيهة بالمعاهدة المعقودة بين بريطانيا والقطر العراقي الشقيق، الذي كان من سياسته: (خذ وطالب).

ومع ذلك فقد نالت تلك المطاليب المعقولة - والثورة في آخر أيامها - معارضة قوية من (حزب الاستقلال العربي)، باعتبارها لا تلبّي كل أماني الأمة السورية، من وحدة وحرية واستقلال تام وأطلق شعاره: (لا حماية ولا وصاية ولا انتداب). وبذلك تأخر تحقيق تلك الأمنية الغالية زهاء عشرين

عامًا. وقد ضمّ «حزب الاستقلال» الذي أُنشئ عام ١٩١٩م، من جميع الأعضاء المؤيدين والمناصرين لجمعية العربية الفتاة. وقد قاد هذا الحزب فيما بعد الحراك السياسي في البلاد، وأمسى العمود الفقري للحياة الحزبية في سورية، وضمت هيئة الإدارية: سعيد حيدر، أسعد داغر، عزت دروزة، زكي التميمي، فوزي البكري.

عودته إلى دمشق:

ولمّا صدر قرار العفو العام عن جميع الوطنيين - وكان الزعيم وقتها مقيمًا في مصر - عاد الدكتور الشهبندر إلى مسقط رأسه بدمشق، لمزاولة عمله الإنساني في مهنة الطب، وافتتح عيادة طبيّة لمعالجة مرضاه، في شارع «الفرنسيسكان»[٤١٣] في «جادّة الشعلان»، أمام مدرسة الراهبات - «مدرسة دار السلام» – اليوم. كما اتخذ مقرًا له في «عرنوس - الصالحية»، ليكون ملتقى الوطنيين الأحرار. إلا أنَّ الفرنسيين وأعوانهم كانوا يدبّرون المؤامرات لاغتياله.

وقد عَرَفْتُ الشهبندر عن قرب، فهو من عظماء الرجال الخالدين، وابو الأحرار كان زعيمًا تاريخيًا، ورمزًا وطنيًا، وعالماً أديبًا، وقائدًا فذًا، يهزّ المشاعر، ويأسر القلوب، بسحر بيانه، وحلاوة لسانه، آمن بأن أمته على موعد مع المستقبل، فصمّم على القيام بواجبه نحوها.

ترك عيادته عندما دعا داعي الوطن، ونزل إلى ميادين الجهاد والكفاح، وساحاتها الفسيحة، وانتقل إلى جبل العرب الذي انطلقت منه الشرارة الأولى للثورة الوطنية، ولم يخرج منه إلا بعد أن احتل المغتصبون مدينة السويداء، في الرابع من تشرين الأول عام ستة وعشرين، وتغلغل هذا العدو في مقارن الجبل، ومعاقل الغوطة.

كان الشهبندر الزعيم الروحي للثورة كما عرفته وطنيًا صادق الوطنية، أعطى دفقًا قويًا للثورة، وألهب الحناجر حماسة وثورة. وفي الوقت نفسه، كان يقوم بخدماته الإنسانية، في مداواة الجرحى، ومواساة المنكوبين، بحكم مهنته كطبيب.

كما كان حرّ النَّزعة، رغم ما أصابه من سجن واضطهاد واغتراب وتشريد، ورغم كل ما وجّه إليه من انتقادات، وما ثارت في وجهه من زوابع لم تلن كلها من عزيمته في قول كلمة الحق فكان زعيم شعب، ومؤسس نهضة، ورسول

(٤١٣) الفرنسيسكان: رهبانية أسسها القديس «فرنسيس الأسّيزي» عام ١٢٠٩م، وقد تولوا مهمة الإشراف على الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين، منذ القرن الخامس عشر.

وحدة، وممثّل فكرة، ومعقد أمل لذلك كله كثُر الذين تآمروا عليه حقدًا وحسدًا.

وزحفت دمشق لاستقباله ولم تنم عاصمة الأمويين ولا أحياؤها تلك الليلة

وتوجه الشهبندر من فوره إلى منْزل والد قرينته الوجيه الوطني «تقي الدين المؤيد العظم» في مدينة «بلودان» للاستجمام للراحة بعد طول العناء والاغتراب.

لكنه فوجئ بأمر إداري، من حكومة «جميل مردم بك»، يقضي بالحجر على حرية تنقلاته، ومنعه من الاختلاط مع الآخرين، ومنع الناس من دخول البيت الذي ينْزل فيه. وكأنه في «حجْر صحّي» أو كأنه مُصاب بوباء مُعدٍ فثار الشعب. واضطرت الحكومة «المردمية» إلى إلغاء هذا الأمر الإداري.

بعدها توجه الشهبندر، من مدينة بلودان إلى دمشق، واستُقبل فيها استقبالاً شعبيًا، يليق به وبوطنيته، ولا يُضاهيه إلا استقبال سورية للملك فيصل الأول. وجرى له تكريم في ساحة الشهداء المعروفة اليوم بـ«ساحة «المرجة».

واجتمع في منْزل الشهبندر، في الثالث عشر من أيار عام تسعة وثلاثين وتسعمئة وألف، وجهاء مدينة دمشق وزعماؤها، لبيان الأسباب الحقيقية التي دفعت «الحكومة المردمية»، لأن تقف هذا الموقف العدائي، من الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. ومن الذين حضروا هذا الاجتماع الطارئ: زكي الخطيب، درويش العجلاني، سعيد محاسن، نصوح بابيل(٤١٤)، هاني الجلاّد، فؤاد القضماني، وحيد الحكيم، منير العجلاني، منير المحايري، شفيق دياب، كامل هنانو، بشير اللحام، عارف التوّام، محمد شريف الحجّار، مدني الخيمي، شهاب الشماط، حسن قشلان، تيسيرظبيان، أمين سعد وكاتب هذه السطور. واعتذر عن الحضور فوزي البكري(٤١٥)، بسبب سفره إلى

(٤١٤) نصوح بابيل: ولد في مدينة دمشق عام ١٩٠٥م، وتعلّم في مدارسها. عمل في الصحافة، وانتقلت إليه مُلكية جريدة «الأيام» عام ١٩٣٢م. انتُخب نقيبًا للصحفيين عدة مرات، وعمل في الميدان السياسي، وساهم في الحركات الوطنية، ومُنح عددًا من الأوسمة. ورحل عملاق الصحافة السورية، في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٨٦م، وأُقيم له حفل تأبين كبير.

(٤١٥) فوزي البكري:ابن عطا باشا البكري، ولد في مدينة دمشق عام ١٨٨٤م، وتلقى علومه في مكتب عنبر. ساهم في الحركات الوطنية، فكان من واضعي أسس الثورة العربية الكبرى مع الأمير فيصل، الذي كان يحل ضيفًا عزيزًا مكرّمًا في دار آل البكري، أثناء زيارته لدمشق. كما ساهم في الثورة السورية، وعين وزيرًا للداخلية في أول حكومة عربية تشكلت في الحجاز. وانتُخب نائبًا عن دمشق في أول حكومة عربية تشكلت في الحجاز. وانتُخب نائبًا عن دمشق في المؤتمر السوري عام ١٩١٩م، الذي قرّر إعلان استقلال سورية وتتويج فيصل ملكًا عليها.

بغداد.

كان الشهبندر بالنسبة لجميع المثقفين والعامة خيط الأمل الذي تتعلق به الأمة. كان شواظًا من النار على المنابر، ينفخ في جمرة نار الحق، حتى يخرج لسانها، ليصيب ويجرح كبد الباطل. كان والحق يُقال «الفجر الصادق الذي ترنو إليه الأمة» شرفًا ونُبلاً ومبدأً.

وأذكر أنه قال في إحدى خطبه، وكان «جميل مردم بك» لا يزال رئيس الوزارة، التي أبرمت المعاهدة مع فرنسا: «أنا من الكتلة الوطنية ولكنني لست من «حزب الكتلة الوطنية» وأنا عدوّ «حزب الكتلة الوطنية» عدوٌ شديد الوطأة، وستعلمون شدّة وطأتي، إذا كانت «حزبيّة الكتلة» تمنع الأمة أن تجتمع كلمتها على صعيد واحد».

لقد حاول «جميل مردم بك»، وهو في موقع المسؤولية، أن يخنق صوت الشهبندر، ويكتم أنفاسه، ويئد تلك الصفحة اللامعة، من تاريخ جهاده الوطني، ذلك لأن الزعيم الشهبندر، خصم عنيد له، وقد ألب الجماهير في معارضته بنود المعاهدة، التي وقعتَّها «الحكومة المردمية» مع فرنسا.

فهدّد وتوعّد وهو على كرسي الحكم، حتى اضطره الشعب إلى التَّنحي عن هذا الكرسي، بعد المظاهرات الصاخبة، التي قامت بها الجماهير ضدّه.

وقد جرت محاولة سابقة لاغتيال الشهبندر، في نيسان عام تسعة وثلاثين، بعد سقوط الوزارة «المردمية» بشهر ونيّف لكن المحاولة فشلت.

مصرع الشهبندر:

كان الحاقدون ومعهم سلطات الانتداب الفرنسي، يزدادون ويتآمرون على قتل الشهبندر. ولهذا أرسلوا إليه في يوم السبت السادس من تموز سنة ١٩٤٠م، ثلاثة من المجرمين المأجورين، فدخلوا عيادته مدّعين أنهم مرضى بحاجة إلى المعالجة، وما كاد يبدأ بفحص أحدهم، حتى أطلق رفيقه الآخر على الشهبندر الرصاص، فأرداه قتيلاً، وسقط شهيد إخلاصه ووطنيته، ولم يخشوا الله في وطنهم، فذهب ضحية غدر لئيم من يد مجرمة أثيمة.

وجاء في تقرير الشرطة الرسمي، عن هذه الفاجعة الأليمة: «أنه في الساعة الثانية عشر ظهرًا، دخل ثلاثة أشخاص «مجهولي الهوية» عيادة الدكتور الزعيم عبد الرحمن الشهبندر، الكائنة في «جادة الشعلان»، يحمل أحدهم سلّة تفاح كهدية له، وأقفلوا باب العيادة وراءهم، فاستقبلهم الشهبندر وآنسهم، وجلس إلى مكتبه، وجلس على يمنيه الجاني الذي أطلق الرصاص

منحه الملك عبد الله بن الحسين «لقب باشا».

عليه من مسافة متر واحد منه، كما جلس الآخران قبالته، وعندما بدأ الزعيم الدكتور الشهبندر بفحص قلب أحدهم، واضعًا على أُذنيه «سمّاعة الطبيب»، عاجله الشخص الذي كان يجلس إلى جانبه، بطلقة من مسدسه، اخترقت حلمة أُذنه اليمنى، وخرجت من صدغه الأيسر متجهة نحو الحائط، فلامسته ثم ارتدّت عنه إلى الأرض. وعندها نهض الزعيم الشهبندر لهول المفاجأة، ولكنه هوى إلى الأرض، كالطود الأشم فاقدًا الرشد، ممّا سبّب له كدمة شديدة في جبهته.

وعندما أدرك «الجُناة» أنهم نفذّوا مهمتهم التي انتُدبوا من أجلها، غادروا المكان وكان الجاني الرابع ينتظر في السيارة، يرصد الدَّرج المؤدي إلى عيادة الدكتور الشهبندر، الواقعة في منعطف شارع «الفرنسيسكان» في شارع البرلمان العام».

ووسط ذهول الأمة كلّها شيّعت دمشق فقيد الأمة الدكتور الشهبندر إلى مرقده الأخير، والناس بين مصدِّق ومكذِّب وغَمَرَ الحزن المدينة المغلقة الصامتة والناس واجمون، والقلوب مفعمة بالأسى والحزن.

وأُقيم العزاء في كل بيت، وفي كل قرية، وفي كل مدينة من المدن كان يوم حداد عند كل أبناء الوطن.

وكانت جماهير الشعب قد شيّعت جثمانه الطاهر من جامع بني أُميّة الكبير، ثم جرى دفنه في صباح يوم الأحد السابع من تموز سنة ١٩٤٠م، إلى جانب مقام الخليفة العادل «محرّر القدس» و«قاهر الصليبيين» البطل العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبي، وإلى جانبه يرقد الزعيم العراقي «ياسين باشا الهاشمي»».

وترك الدكتور الشهبندر خلفه زوجة وستة أولاد، أربعة منهم كانوا صغارًا قاصرين وكانت أسرته – يوم صرعته اليد الآثمة – في مصر.

إعدام القتلة:

وقامت الحكومة السورية بالتحقيق، في مؤامرة الاغتيال هذه، وتمت محاكمة المتهمين في قاعة مبنى البرلمان، وقد اعترف المجرمون بالتآمر على حياة الشهبندر وقتله.

وفي يوم الثلاثاء السابع من كانون الثاني / يناير عام ١٩٤١م، صدر حكم الإعدام شنقًا في قضية اغتيال الشهبندر والمتهمين فيها: أحمد عصاصة، وشريكَيْه أحمد الطرابيشي، وصالح معتوق.

ونُفّذ الحكم في القتلة في ساحة المرجة، في صباح يوم الاثنين الثالث من

شهر شباط عام ١٩٤١م، وبرّأت المحكمة ساحة المتهمين المحرّضين «لعدم كفاية الأدلة».

وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد الكبير، والخطيب القدير الذي كان يخطب في اليوم عدة مرات ارتجالاً في أي موضوع. ولن ينسى أهالي عمان والسلط خُطَبَه الوطنية التي كان يردّ بها على الخطباء الذين احتفوا به حفاوة بالغة، وقد نال من تكريم الملك عبد اللّه بن الحسين ما لم ينله أحد غيره من زعماء العرب سوى إبراهيم بك هنانو. وكان رحمه اللّه عالمًا متمكنًا من علمه وثقافته الأم. يعرف دقائق تاريخ أمته معرفة ندر أن يعرفها أمثاله من الزملاء.

وقد ترجم الدكتور الشهبندر عن الإنجليزية كتابًا في علم الاجتماع، كما ألّف كتابه المشهور :(القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم)و كتب مذكرات قيّمة عن الثورة السورية، وقد كان من أكبر دعاتها، على أن انشغاله في السياسة والعمل لتحرير وطنه، واستقلال أمته لم يُبق له وقتًا كافيًا لوضع المؤلفات الممتعة، وكانت شهرته كزعيم سياسي أكثر من شهرته بعمله كطبيب نطاسي.

لقد كان الدكتور الشهبندر يمثّل روح الثورة، كما كان خطيب سورية الأول بلا مُنازع، وأحد أمراء البيان محدّثًا حلو الكلام، على جانب عظيم من الكياسة تجد في مجلسه العلم والأدب والمتعة الرفيعة.

إذا خطب بصوتِه المجلجل أنصتت له الجماهير، وتحدّث إليها حديث القلب للقلب حديثًا هادئًا، يُشدّد بنبراته المتئدة على أواخر الكلمات.

كان الشهبندر وطنيًا بل كان معلم الوطنية، ومبشّرًا بالمبادئ القومية، حتى اتهمه بعض «العامة» بالعلمانية.

كما أنَّ تاريخه السياسي يشهد له بأنه قارع الاستعمار حتى أذلّه وكان صلبًا شديدًا في قول كلمة الحق والصلابة في الحقّ لا يعني أبدًا العناد العقيم.

كان شديد الانتماء للأمة والوطن وحب الوطن والتفاني من أجله، لا يعني أبدًا العصبية القبلية «المنتنة». أو النظرة الإقليمية الضيقة. كان انتماؤه المطلق لأمته وقوميته العربية، لا تثنيه العقبات ولا يخامر نفسه يأس أو قنوط، ولا يُضعف من عزيمته فشل أو خيبة أمل. وكان يتمسك بعقيدته الدينية، تمامًا كما كان يتمسّك بعقيدته الوطنية. كان والحق يُقال طرازًا نادرًا من البشر.

وقد أرسل الدكتور الشهبندر قبيل اغتياله، برقية إلى وزير الخارجية البريطانية، بمناسبة ذكرى «وعد بلفور» قال فيها: «عشرون عامًا مفعمة

بالويلات والآلام، مرّت على «وعد بلفور» الجائر، كافية لإقناع بريطانيا أن العرب لن يتنازلوا عن شبر واحد من أراضيهم، ولن يقبلوا وعدًا لا يقرّه ضمير أو وجدان»[٤١٦].

❖ ويحضرني هنا «الكلمة» التي كتبها صديق الشهبندر الحميم، ورفيق دربه، دولة «حسن الحكيم» في (جريدة الأيام) في ذكرى وفاة الزعيم الشهبندر، يقول فيها: «في مثل هذا اليوم من عام أربعين وتسعمئة وألف، اغتالت يد أثيمة الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. فبكت الأمة العربية فيه رجلاً كامل الرجولة في حياته الخصبة القوية، وخسرت بفقده زعيمًا مجاهدًا راسخ العقيدة، صادق القومية.

ومع أن الفقيد الكبير نشأ طبيبًا بارعًا، وأديبًا ألمعيًا، وخطيبًا مفوّهًا، فقد أبى عليه اعتزازه بقوميته - وهو المؤمن بها والمخلص لها - أن يقوم بخدماته الإنسانية والأدبية، دون أن يقوم إلى جانبها، بواجبه نحو وطنه، فراح طيّب اللّه ثراه، يؤدي هذه الرسالة، بكثير من التضحية والإخلاص، ويرفع صوت العروبة عاليًا مدّويًا، دون أن يتراجع طوال حياته، عن أهدافه القومية العليا، أو يقف في منتصف الطريق، بالرغم من كل ما أصابه، من سجن وتشريد واضطهاد وتعذيب. وكان رحمه اللّه يكتب ويخطب فيُلهب المشاعر، ويهزّ قصور الظلم، ويستبسل في ساحات الجهاد، لكي يرى علم العروبة الخفّاق، يُرفرف فوق دار العزّ واسعة النطاق.

ومن بواعث الإكبار لشخصيته الفذّة، حرصه الشديد على أداء رسالته القوميّة والأدبية أكمل أداء، فإنك إذا رأيت أعماله الخالدة في سبيل أمته وبلاده، حسبت أنه تعهّد هذه الرسالة وحده، دون مشاركة أحد له فيها. وإذا ردّد مَنْ كُتب لهم الشفاء على يديه من مرضاه معجزاته، وإخلاصه في عمله، خلت أنه لم ينصرف في هذه الحياة إلا إلى إتقان مهنته كطبيب، دون أي شيء آخر، وإذا طالعت ما دبّج يراعه من مقالات علمية وأدبيّة، وسمعت ما فاه به من خُطَب كلّها بلاغة وفصاحة، ظننت أنه لم ينكب في دنياه غير العلم والأدب، وقلتُ سبحان الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

---

(٤١٦) على بريطانيا أن تعتذر لكل أمة العرب، عن وثيقة «وعد بلفور» وما أحدثته من ضياع وطن، وتشريد شعب، ومأساة أمة. تمامًا كما أعتذر «الصرب» عن حركة التطهير العرقي في حرب البوسنة (١٩٩٢-١٩٩٥م) والتي حصدت ٢٠٠ ألف من شعب البوسنة والمجزرة الجماعية التي أسفرت عن مقتل ثمانية آلاف مسلم، في مذبحة رهيبة اقترفها الصرب. واليابان عمّا سبّبه حكامها للصينيين وللشعوب الأخرى يومذاك من احتلال «أثناء الحرب العالمية الثانية»، وبلجيكا عن الجرائم التي ارتكبها ملكها الأسبق «ليوبولد» بحق أهالي الكونغو. ويُذكر أن مسودة «وثيقة وعد بلفور»، بيعت في المزاد العلني بمبالغ خيالية». بعد أن أفرجت الحكومة البريطانية عن هذه الوثيقة.

فيا أيها الزعيم الخالد الساكن بجوار صلاح الدين الأيوبي إنَّ هذه الأمة التي جاهدت في سبيل حريتها بكبرياء، وضحّت من أجل ذلك بمَالها ورجالها بسخاء، إلى أنْ مَنَّ اللّه عليها - بعد جهاد شاق وطويل - بنعمة الاستقلال، لو أقامَتْ لك اليوم تمثالاً من الذهب، وكتبَتْ مدْحك على أديم الأرض، من أقصى شمال البلاد إلى أقصى جنوبها، لكان ذلك دون قدْرك.

طيّب اللّه مضجعك، وسقى الغيث ثراك، فقد أدّيت الأمانة، وبلّغت الرسالة، وأرضيت اللّه، وأرضيت الوطن».

❖ كما يحضرني هنا ما كتبه صاحب «جريدة الأيام» الأستاذ نصوح بابيل في صحيفته، بعد حادث اغتيال الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر:

«تُرى هل عَرَفَ هؤلاء الذين اغتالوا الزعيم الشهبندر، أي جريمة ارتكبوا؟ وأية صفحة طووا؟ وأيّ رجل حرموا البلاد منه؟

إنهم لو عرفوا ذلك لما أقدموا على جريمتهم الشنعاء، مهما كانت الدوافع إليها، ومهما كانت المغريات المشجعة عليها. ولكن هؤلاء عرفوا الشهبندر اسمًا فقط، ولم يعرفوه زعيمًا وعالمًا، ومُصلحًا وطبيبًا، ومجاهدًا وخطيبًا، ووطنيًا صادقًا، ومؤرخًا أمينًا، ولو عرفوا هذا لترددوا طويلاً في الإقدام على الجريمة، ولوجدوا من الضمير - مهما ضعف - رادعًا يردعهم عن جنايتهم، التي غمرت النفوس بالسخط والنقمة.

ماذا فعلتم يا هؤلاء؟! لقد أسأتم إلى الوطن إساءة لا تُغتفر. لقد أعطيتم أقبح أُمثولة بالتّنكر والعقوق واللؤم. لقد ضربتم مثلاً شنيعًا، على أننا لا نقدّر الإخلاص، ولا نعرف الوفاء أهكذا يُكافأ الشهبندر على وطنيته وإخلاصه وتفانيه في سبيل وطنه؟

لقد قتلتم رجلاً بأمة لو كنتم تعلمون. أربعون عامًا كلها نضال في سبيل سورية والعروبة. أربعون عامًا كلها تعذيب ونفي وتشريد في سبيل استقلال سورية.

أربعون عامًا زاخرة بالمتاعب والآلام من أجل الوطن كل هذا كان الجواب عليه «رصاصة» مجرمة، أطفأت مشعل الوطنية والعلم في هذه البلاد، وحرمتها من رجل لا يجود الدهر بمثله كل مئة سنة مرة، فيا لتعاسة سورية ما أسوأ حظها، ويا لشقاء أبنائها ما أقبح طالعهم.

لقد كان الشهبندر تاريخًا صادقًا لهذا الوطن، بمعلوماته، وتجاربه، واختباراته، ومشاهداته وكان ينبوعًا صافيًا للثقافة والعلم الغزير، ومرجعًا أمينًا لآلام الإنسانية، يخفّف من حدّة شدتها، ونورًا يهدي الأمة إلى الطريق

القيّم. فهل في الدنيا ضمائر أكثر إجرامًا من تلك التي تآمرت على قتله؟ وهل تنفع الوطنية الصادقة، والعلم الصحيح، والتجرّد لخدمة الصالح العام، في وطن يحمل على أرضه قليلاً أو كثيرًا من هذه الضمائر، التي تدفن ثروة الوطن بيديها؟!

لا تقتصر الخسارة بموت الشهبندر، على عنصر واحد من عناصر الأمة بل شملت الوطن بمجموع عناصره.

فالوطنية خسرت زعيمها، والثقافة سيدها، والإنسانية طبيبها، والمنابر أميرها، والمجالس بلبلها فيا ويح أُناس، لا يُقدّرون هذه الثروة كلها، تجتمع في رجل واحد.

إننا إذا بكينا الشهبندر، ونحن نمشي اليوم وراء نعشه نجد أنفسنا أحقّ بالبكاء على هذا الوطن اليتيم، الذي لا نعرف ماذا يُخبئ له القَدَر، بعد هذه الطلائع السوداء، تبدو بين حين وآخر، وهو لا يزال في فجر نهضته الاستقلالية، وحياته الحرّة.

وأنت أيها الوطن إن خسارتك اليوم بفقد الرجل الذي كان مناط أملك، ومَعْقدَ رجائك قد تزعزع في نفوس بنيك، أساس العقيدة بالإخلاص والوفاء، لمن يَعمل في سبيل مجدك وسعادتك، وقد تكون خيبة أمل شديدة، تؤثر في مجرى حياتك السياسية إلى أمد طويل، إذا لم يُثبت أبناؤك، أنهم شديدو المقت والسخط، على مَنْ يغمس يديه، بدماء الأحرار الشرفاء، ويهدم أقوى أركانك بمعول الإجرام.

وإذا كانَت الأمة قد قالت بلسان واحد في هذا اليوم، رحمات الله عليك يا عبد الرحمن الشهبندر، يا رجل المبادئ والوطنية، ويا سيّد المواقف المشرّفة طيلة حياتك، فإنها لتتجه في نفس الوقت إلى السلطات المسؤولة في البلاد، لتقول لها بلسان واحد: إننا ننتظر نتيجة التحقيق، عن أول وأعظم جريمة من نوعها عرفها تاريخ هذه الأمة. والسلطات لن تعجز - فيما نعتقد - عن كشف الستار عنها، لتعيد إلى النفوس المتألمة روعها».

كما أَبَّن «شاعر الثورة» فؤاد باشا الخطيب الشهيد الدكتور الشهبندر في قصيدة يقول فيها:

وسيهتف التاريخ باسمك عاليًا ولسوف تذكرك العصور فتشكر

كما أَبَّنه الشاعر الملهم «عمر أبو ريشة»[٤١٧] في قصيدته «البتراء»:

---

(٤١٧) عمر أبو ريشة: شاعر سوري ولد في مدينة «عكا» بفلسطين عام ١٩١٢م. درس الكيمياء العضوية في إنجلترا وهناك تنسم هواء الحرية، وشعَر أنه ينتمي إلى شعب مستعبد.

هل بمغناك بعد طول السّفار أثر من قوافل الأحرار
بنت قاسيون أيّ جَرح أواسي في هواك وأيَّ جُرح أداري
مَنْ على النعش مائجًا في خضم آدمي الإزباد والإعصار
لن تموتي فكاهل الأرض لا يقوى على حمل نعشك الجبار

حقًّا إنَّ إنجاب الرجال الأفذاذ، شيء تفني به جهود الأمم لكنَّ القضاء عليهم شيء تستطيعه شرذمة من البشر وتلك الأقدار الرجال الأفذاذ.

عقم النساء أن يلدن نظيره فنظيره في العالمين قليل

رحم الله أبا فيصل وأكرم مثواه، وأغدق عليه شآبيب رحمته ورضوانه



● ● ● وأنا أتساءل...

تُرى مَنْ قتل الشهبندر؟!

ومَنْ هو «المتآمر» الحقيقي في هذه الجريمة النكراء؟!

هل اتهم «المجرمون» الشهبندر بـ«العَلمانية» وأحلّوا دمه فقتلوه؟

هل حَكَمَ عليه «المجرمون» بالموت بسبب ذلك؟! أم تآمر عليه أعضاء «الكتلة الوطنية» بسبب موقفه من المعاهدة الفرنسية - السورية، التي انتقدها بقسوة بالغة.؟! أم «شعبيته» الكبيرة بعد استقبال الجماهير له عند عودته من مصر؟! فأوغرت صدور حاسديه؟

أم تآمرت عليه «حكومة المديرين»، مدفوعة من سلطات الانتداب، للتخلص من الشهبندر «الخصم الوطني» العنيد؟! وأيًا ما كانت هوية المتآمرين. فإن مؤامرة الاغتيال «مسرحية» نفذّتها سلطات الاحتلال الفرنسية بامتياز، «مخترقة» بعض الكوادر الوطنية، من أجل «إحداث الشرخ» في الأمة وفي

عاد عمر أبو ريشة من إنجلترا في مايو / أيار ١٩٣٢م، وعمل مديرًا لدار الكتب الوطنية في مدينة حلب حتى عام ١٩٤٩م، وبزغ نجمه كشاعر كبير بعد قصيدته العصماء:

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرفي مطرق خجلاً من أمسك المنصرم

مارس الشاعر عمر أبو ريشة العمل الدبلوماسي، من عام ١٩٥٠م وحتى عام ١٩٧٠م، وتنقل بين البرازيل والأرجنتين والهند والنمسا وأميركا. وقدّم عمر أبو ريشة خلال مسيرته الشعرية خمسة دواوين هي: «شعر ١٩٣٦م من عمر أبو ريشة، شعر ١٩٤٧م، مختارات ١٩٥٩م، غنيّت في مأتمي ١٩٧١م، أمرك يا رب ١٩٧٨م». كانت آخر مشاركة ثقافية له في ٢١ أيلول ١٩٨٩م، وكان يعيش في لبنان مآسي الحرب اللبنانية، فتألم وحَبَس دمعات الحزن والقهر. واختار السعودية لتكون دار إقامة له، لكنه توفي فيها في الرابع عشر من تموز / يوليو ١٩٩٠م، ونُقل جثمانه إلى حلب، حيث ووري عملاق المنابر الثرى، في احتفال مهيب شارك فيه عدد كبير من رجال الفكر والأدب.

رموزها والشرخ في «الكتلة الوطنية» والتخلص من «مفجّر الثورات الوطنية» وهو عمل برع فيه «المحتلون» بامتياز. وقد انقسمت الأمة بعد الاغتيال إلى:«كتلوي» و«شهبندري» (كما انقسمت اليوم بين «فتح» و«حماس») وهذا ما تطمح إليه سلطات الاحتلال؛ تفريق شمل الأمة واقتتالها.

كما أتساءل كم جريمة من جرائم الاغتيال بقيت «ملتبسة» التأويل لم تُكتشف ذلك لأن المستفيد الوحيد من هذه الجرائم البشعة هم «المتربصون» أعداء الأمة والوطن.

ومواطننا العربي اليوم «مُحبطٍ» لا وقت لديه للتفكير أو التمحيص في كل ما يجري حوله. غارقٌ حتى أُذنيه في تأمين لقمة العيش لعياله وفي «تفكيك» مشكلات العيش، التي أثقلت كاهليه، وأبعدته عن محاكمة العقل، ليعيش على هامش الحياة، وليتحول إلى كائنٍ مهمّش معطّل، تتراكم عليه كل أنواع الأمراض والأوبئة، والفقر والجهل والأميّة، والحروب والدماء لتذهب بما تبقّى من روحه وعقله إلى قيعان الجحيم، ليصبح مجرد شبح يهيم في الطرقات، يطارد أشباحًا بلا هدف ويلهث خلف «شعارات» لم تمنحه شيئًا، بل جرّت عليه النكبات.

وفي الحضور الطاغي للأزمات تكاثرت على مواطننا الأزمات حتى أُصيب بالانهيار العصبي. وفي قبضة فولاذية على الأعناق، نهب الانتهازيون الأموال، وسحبوا من أفواه الشعب لقمة الأكل، ورشفة الماء، وهرّبوا أموالهم خارج البلاد، ثم ادّعوا أنهم مناضلون شرفاء وراحوا يهاجمون الفساد والمفسدين وثرواتهم مكدسة في البنوك الأجنبية. فاضطرب عالَم ذاك المواطن التعيس حتى أصبح أشدّ عنفًا وتطرّفًا وربما أكثر جنونًا.

هُزم مواطننا من داخل نفسه، وأُصيب بالتعفّن واللامبالاة. صار يجلس أمام التَلفاز وتمرّ أمام ناظريه مناظر الدماء والدمار، والقهر والعنف، وتكسير العظام، وموت الأطفال، ولا تتحرك شعرة في جسمه وكأنه يشاهد «مشهدًا» في «حلبة مصارعة رومانية». خمدت ثورة دمائه اليعربية الحرّة الأبيّة تلك الدماء الوراثية الوثابة العريقة، لينجرف إلى حالة من التشرّد المضطرب والعبثية، دون تمييز بين الغثّ والسمين، لتتماهى مع الأحداث التي من حوله حتى تصل إلى حدّ الألم والفجيعة في عالم فقد أبجدية الأنسنة مسترخيًا في ظلّ هيمنة القطب الأُحادي. وفي متاهة ارتسمت بكل تفاصيلها، عن السؤال المسكوت عنه في أوج سطوة المحتلين.



د. عبد الرحمن الشهبندر



نجيب الأرمنازي



حمدي الجلاد



محاكمة قتلة الشهبندر



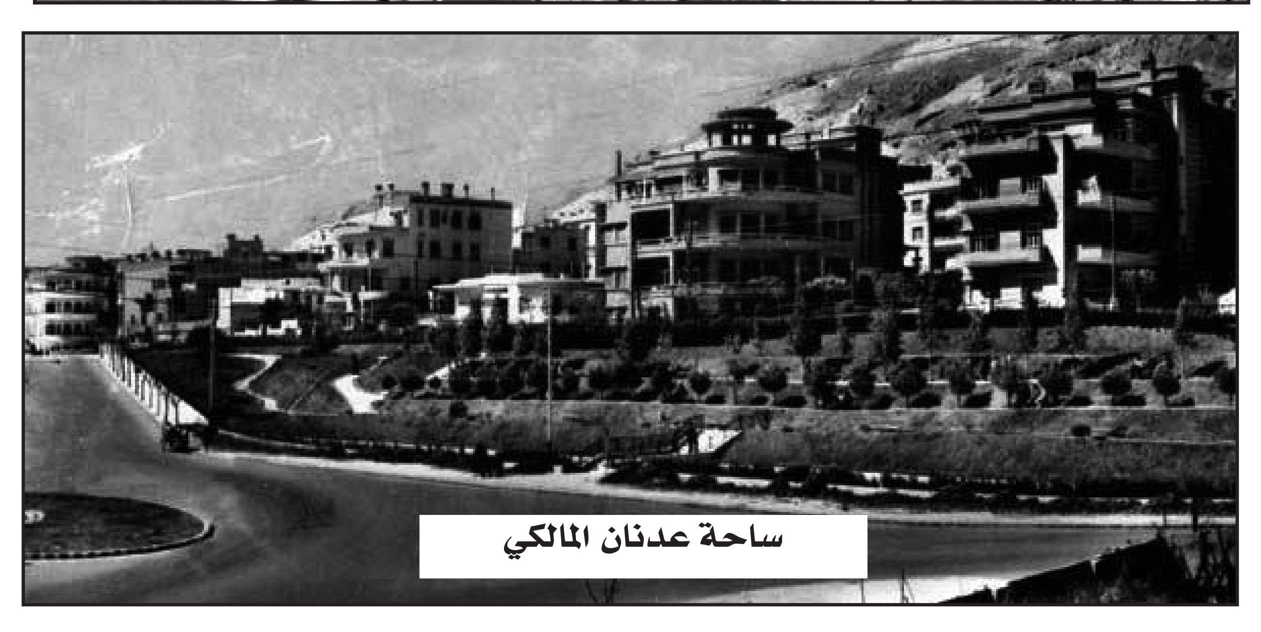
سارة مؤيد العظم زوجة الشهبندر (توفيت ٦ شباط ١٩٧٦م)



ساحة الشهبندر



ساحة المرجة



ساحة عدنان المالكي



عمر أبو ريشة



نصوح بابيل



من اليمين حسني صخر (السويدا) وبجانبه حسن رعد (حمص) وفي الوسط ديبو آغا زعيم الغوطة (حرستا) ثم القائمقام العسكري الشهيد زكي الحلبي واحمد (ابو خليل الخباز) حرستا ، ووقف وراءه الامير احمد الشهابي ثم محمود خيتي (دوما) وتوفيق القلعي (دمشق) !



الشهبندر بالكوفيه والعقال



الشهبندر في الوسط وعن يمينه حسن الحكيم وعن يساره منير شيخ الأرض



ساحة عرنوس

شيخ المجاهدين

الشيخ محمد الأشمر

(١٨٩٤-١٩٦٠م)

كان قائدًا ورائدًا في زمن المحن الحائرة والوطنية الثائرة. وكُتب التاريخ تؤرّخ ثورات الأمة ضد المستعمرين وسيرة شيخ المجاهدين «الأشمر»، جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ النابض بالبطولات، الذي يحكي قصة نضال شعبٍ حقّق الاستقلال، وجلاء القوات الأجنبية عن أراضيه.

إنني أشعر بالمهابة والإجلال، وأنا استرجع في خاطري كل البطولات ومعانيها، وأتوقف حانيًا هامتي خاشعًا في محراب هذه البطولات، التي أشبه ما تكون بالأسطورة.

لقد كان شيخ المجاهدين يُبدي من ضروب الجرأة والبسالة، ما جعل ألسنة الجميع تلهج بالإعجاب والتقدير. كان يقود بنفسه كوكبة من الثوار، ليخطّوا سطورًا من نور الشجاعة والبسالة على جدران الوطن وصفحات التاريخ لتضيء صفحاته صلابة هؤلاء الثوار، وإيمانهم الذي لا يتزعزع، بمجد الوطن وشموخه ورفعته.

كان هؤلاء الرموز، يحملون المُثل العليا، والقيم الأخلاقيّة الخالدة والتربية الوطنية العالية مؤثرين حب الوطن على أنفسهم، إيثارًا ينأى عن النرجسية وحبّ الذات، «والأنا» المتورمة المتوحشة المتفشية.

كان الأشمر بحق بطلاً قوميًا في عهد البطولة والإباء، والرجولة والكرامة والوفاء، وبانيًا في عهد الحرية والاستقلال. وقف شامخًا كالطود الأشم بكل كبرياء، لا يعرف كيفية الانحناء، ليقطف ثمار اللحظة، ويقبض على نسائم الحرية، ويرسم صورة العبور نحو الاستقلال. ولسان حاله يقول:

بلادي بلادي فداك دمي وهبت حياتي فدًى فاسلمي
غرامك أوّل ما في الوجود ونجواك آخر ما في دمي.

ولادته ونشأته:

وشيخنا محمد بن طه الأشمر، من أسرة الأشمر الحجازية المكيّة الأصل،

وقد لُقبت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أجداده، وقد كانت ولادته في حي الميدان الفوقاني عام ١٨٩٤م.

ترعرع محمد الأشمر على أرض حوران، وسهولها الخصبة وصخورها السوداء، وتعلّم في مدرسة «كتّاب» قرية «الغاريّة الشرقية»[٤١٨] في محافظة حوران.

افتتح محلاً للبقالة في قرية «ناحتة»[٤١٩] في قضاء «إزرع»، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره، تعلّم الفروسية وركوب الخيل، حتى أصبح فارسًا لا يُشق له غبار وكان شجاعًا مقدامًا لا يهاب الموت.

وكانت قرية «خربة الغزالة» المحطة الثانية له، باعتبارها محطة للسكة الحديدية، حيث يجتمع هناك الكثير من الناس والرزق يكثر عند تزاحم الأقدام. بعدها لازم محدّث الشام الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني المراكشي الأصل، وتتلمذ على يديه.

كان كريمًا معطاءً على قلّة ما يملك، وكان كريم النفس، يحبّ عمل الخير والمكرمات.

كان بيته في «حي الميدان» مجمعًا لمختلف الطبقات، يجتمعون في «مضافته» في المناسبات الدينية والوطنية والقومية، يواكبون الأحداث ويتفاعلون معها وبقيت «مضافته» في حيّ الميدان مركزًا لإحلال السلام، وفضّ الخصام بين الأهل الخلاّن.

وتكريم الأمة لرجالها هو تكريم للوطن، وللذين أوقفوا حياتهم للدفاع عن حريته واستقلاله، وهو تكريم يستحقونه عن جدارة واستحقاق، ووسام شرف نُعلّقه على صدورهم

ونحن إذ نحني هاماتنا أمام بذلهم وعطائهم الكبير، لنرفع بكل فخر واعتزاز، تحية تقدير وإعجاب واحترام من الوطن لهم لما قدّموه لأمتهم ووطنهم من خدمات والحديث عن هؤلاء العظماء يعدّ واجبًا قوميًا وطنيًا، لتعريف الأمة برجالها، وما قدّموه من أجل وطنهم وأمتهم فالأمم بحاجة إلى مَنْ يوقظ فيها مكامن العزة.

كان هؤلاء قادة عظماء، جاهدوا جهادًا مريرًا ضد المستعمر المحتل المغتصب، وأخلصوا في جهادهم لتحرير وطنهم، ووحدة أمتهم ومجدها، وبذلوا أعظم التضحيات

---

(٤١٨) الغاريّة الشرقية: قرية تقع في أرض سهلية خصبة في هضبة حوران، وتبعد عن «خربة الغزالة» ٨كم، وإلى جوارها خِرَب قديمة فيها آثار ومعابدُ رومانية منها: الكفير - القنية - الكوم. يمرّ فيها وادي الذهب القادم من جبل العرب والمنتهي في وادي اليرموك.

(٤١٩) ناحتة: قرية في سهول حوران، في منطقة إزرع محافظة درعا، وتتبع ناحية الحراك، وتبعد عنها ٦كم، وفيها آثار قديمة هي بقايا معابد ومدافن رومانية وبيزنطية.

هؤلاء نذروا أنفسهم بكل إخلاص لبلادهم فلم تهن لهم عزيمة، ولم تلن لهم قناة، - رغم الأحكام التي صدرت عليهم بالإعدام، ومصادرة الأموال والممتلكات - وهو وسام شرف لهم، فكان العطاء كبيرًا، وكانت العزيمة صادقة، وقد خدموا أمتهم بكل تجرّد وإخلاص.

وتسلّمت الأجيال التي جاءت من بعدهم، كل «المنجزات» التي صنعوها بجهادهم ونضالهم على طبق من ذهب ونسبوها لأنفسهم

هؤلاء كانوا بحق أبطال الاستقلال الذي نتفيأ ظلاله هذه الأيام لقد قدّم جيل الرعيل الأول، روحه ودمه - وهي أغلى ما يملك - من أجل حريته وتحرير وطنه، وطرد الغاصب المحتل، حتى نال الوطن الاستقلال، واستعادت الأمة مجدها وحضارتها

لقد حمل شيخنا الكبير المجاهد محمد الأشمر، هموم الوطن، وعبء النضال، فخطّ التاريخ، وصنع المستقبل لأبناء وطنه، ودقّ ناقوس الحرية، وأنبت في أرضها أوراد الهناء، وزنابق السعادة التي يتنفّس من رحيقها أجيال هذه الأمة فكان من رموز الثورة وثوارها

وكنت قد رافقته في معظم أيام حياته، حتى عندما اضطرتنا الظروف لمغادرة سورية إلى «أمارة شرق الأردن»، حيث استقبلنا أميرها يوم ذاك

كل هذه الصور لا تزال باقية في عمق الذاكرة، تتجدّد أطيافها كلما مررت بحارة من حارات دمشق القديمة وأزقتها ودروبها الضيقة. تعود معي ذكريات طفولتي البعيدة، وتمر بي الأيام راجعة إلى الوراء، أراها تطوي لي السنين أُجدّد صورتها أمام نفسي، استوحيها الذكريات، وأُجدّد العهد بها. فأجد الراحة النفسية، ذلك لأن ضغوط الحياة، ومتطلباتها الصعبة، قد تفرض على الإنسان ظروفًا صعبة، لا تُمكّنه من أن يلتفت إلى الوراء، ولا أن يتبيّن حتى مواقع أقدامه وفي زحمة هذه الحياة القاسية، يتلفّت المرء ليجد الجذور الأصيلة سليمة تمتد في أعماق الأعماق، متأصلة في النفس والوجدان، فيجد العزاء والسلوى، في حياة فقدت بريقها ورونقها

كان هناك أكثر من جندي مجهول مثل محمد الأشمر، عشق الوطن وخاض غمار المعارك، وأدّى ضريبة هذا العشق من دمه، ولم تُسلّط عليه الأضواء!

كان هناك ثوار مثل محمد الأشمر، قضوا نحبهم، وسقطوا بشرف، واستُشهدوا وهم يدافعون عن أرض وطنهم، مروّين ذرّات ترابه بدمائهم

وعندما أتحدث عن شيخنا محمد الأشمر، وسيرة حياته، فكأنني أتحدث عن تاريخ الثورة السورية، لأن جهاده وحياته جزء لا يتجزأ من تاريخ الثورة.

لم يترك الأشمر ثورة من الثورات، من أجل الوطن إلا اشترك بها. كان همه

الوطن وحبه الوطن وعشقه الوطن.

وقد اشترك شيخ المجاهدين محمد الأشمر في معركة ميسلون، ومن ثم عاد إلى حوران بعد الاحتلال الفرنسي لدمشق، ولما قَتَل ثوار حوران رئيس الحكومة علاء الدين الدروبي، وعبد الرحمن باشا اليوسف - رئيسٍ مجلس الشورى - في محطة خربة الغزالة، أرسلت السلطات الفرنسية جيشا كبيرًا لاحتلال قرى حوران، فاشترك الشيخ محمد الأشمر في معاركها، ومن أهمها معركة «دير علي»[٤٢٠] في شهر آب عام ١٩٢٠م، حيث كان في طليعة الذين انتصروا على القوات الفرنسية، واستطاع بقواته القليلة العدد تدمير الخط الحديدي الحجازي[٤٢١].

وقاد الأشمر بعد ذلك معركة «غباغب» إذ بعد تلك الهزيمة المنكرة للفرنسيين جهّزت السلطات الفرنسية العسكرية حملة كبيرة بقصد احتلال قرية غباغب، وفي هذه الفترة لبّى نداء الوطن جميع أبناء حوران المقيمين في المدن والقرى الأردنية: الرمثا، والطرّة، وقرية الشجرة، حتى زاد عدد قوات المجاهدين عن عشرين ألف مقاتل.

وبينما كان أهل حوران في معاركهم الدامية مع المستعمرين، إذا ببعض رجال العشائر يهاجمون قرى حوران من الشرق، حيث أحرقوا قريتي الحراك[٤٢٢]، والكرك[٤٢٣] مما اضطر شيخ مشايخ حوران «إسماعيل الحريري» أن يرسل فرسان حوران على جناح السرعة، لإنقاذ هذه القرى من هجمات العشائر، وبسبب توزيع قوات المجاهدين بين صدّ هذه الهجمات وبين قتال الجيش الفرنسي، استطاع جنود القوات الفرنسية من احتلال قرية

---

(٤٢٠) دير علي: قرية في حوض نهر الأعوج، في محافظة ريف دمشق، وتتبع ناحية الكسوة، وتبعد عنها ٩كم، ويشرف عليها جبل المانع وتل أبو عباش.

(٤٢١) الخط الحديدي الحجازي: شرع بإنشائه في أيلول ١٩٠٠م، ابتداءً من «مزيريب»، وفي أقل من ثلاث سنوات مدّ ٢٢٣كم، ثم توالى إنشاء بقية الخط إلى المدينة المنورة، وطوله بين دمشق والمدينة المنورة (١٣٢٠كم)، ووصل أول قطار إلى المدينة في شعبان ١٣٢٦هـ الموافق ٢٢ آب ١٩٠٨م بعد رحلة استغرقت ٥٥ ساعة. وقد بلغت تكاليف إنشائه حتى عام ١٩٠٨م خمسة ملايين ليرة ذهبية، جُمع ثلثها من تبرعات العالم الإسلامي، وقد تبرع السلطان بـ ٣٢٠ ألف ليرة ذهبية وشاه أيران بـ ٥٠ الف ليرة ذهبية . وقد قام ببناء الخط الحديدي الحجازي المهندس الألماني (مايستبر) ومنح لقب باشا ووضع تحت تصرفه ٤٣ مهندساً من جنسيات مختلفة، واستخدم الجنود الأتراك في إنشائه، وتولى إدارته أحمد عزت باشا العابدنائب السلطان عبد الحميد الثاني، أيام الوالي حسين ناظم باشا الذي قدّم خدمات جليلة لسورية.

(٤٢٢) الحراك: بلدة في سهول حوران، تتبع منطقة إزرع في محافظة درعا وعلى بعد ١٥كم منها.

(٤٢٣) الكرك: قرية في سهول حوران، تتبع بصرى الشام في محافظة درعا، وتبعد عنها ٢٦كم. فيها آثار تعود للعهدين الروماني والبيزنطي.

«غباغب» وعريّد[٤٢٤]، والوصول إلى موقع «الكتيبة» الكائن شمالي قرية (الدلّي)[٤٢٥] إلى مسافة عشر كيلومترات، وقد اشتبك المجاهدون مع العدو في معارك ضارية، أوقعت به خسائر فادحة، وكاد ثوار حوران أن يردوا الجيش الفرنسي في موقع (الدلّي) على أعقابه، لولا هذه الهجمات المتعاقبة على قراهم الشرقية، حيث جرى في هذه القرى النهب والسلب والقتل. مما اضطر الشيخ إسماعيل الحريري، والشيخ إبراهيم السليم الزعبي، وشيخ اللجاة طلال أبو سليمان، وفاضل المحاميد والشيخ محمد الأشمر، على سحب قسم كبير من قواتهم، للوقوف في وجه هذه الغارات، مما ساعد الجيش الفرنسي على التقدم، واحتلال موقع (الدلّي). وكانت النتيجة أن جرت مفاوضات بين شيوخ حوران والعدو للاستسلام. حيث اجتمع الفرنسيون بالشيخ إسماعيل الحريري، ومعه بعض شيوخ قرى حوران واللجاة في قرية شيخ مسكين، وكان من شروط المعاهدة أن لا يفرض الفرنسيون أية غرامات حربية على أهل حوران، وأن لا يتعرضوا للتقاليد العربية والدينية والعشائرية، وغير ذلك من عادات أهل البلاد.

بيد أن المستعمر الفرنسي لم يلبث - بعد أن استقر له الأمر، واستتب الأمن في حوران كلّها - أن نكث بالعهد، فزجّ بشيوخ حوران في السجون، وفرض على أهالي القرى غرامات قدرها مليون ليرة ذهبية، جُمعت منهم على ثلاثة أقساط خلال ثلاث سنوات، بعد ذلك جرّد المستعمر الفرنسي الأهالي من السلاح، وسار على سياسة إفقار البلاد وتجويعها وسلب خيراتها.

أما قبائل حوران وخاصة عشائر الزعبية، التي تنتشر مضارب قبائلهم بين الرمثا وما حولها من القرى كالطرّة والشجرة القريبة من الرمثا، فقد التجأوا إلى الأردن، كما التجأ الشيخ محمد الأشمر إليها، حيث أقام في وادي الشلالة -(الوادي السيلي الذي تكثر مياهه)- مع بعضِ المجاهدين. وأنا أذكر هذه الحوادث كما جرت، بكل صدق وشفافية، لأنني أُسجّل هنا للتاريخ والتاريخ فيه الحلو والعلقم، وفيه الدروس والعِبر.

ثم عاد الأشمر إلى دمشق، بعد أن هَدأت الحالة في حوران، وتوطّد الأمن، واستقرّ فيها، حيث أخذ يدِّرس الفقه على علمائها، كما أخذ نهج الطريقة النقشبندية.

وكان الأشمر قد قام بالوساطة بين الأهل في المنطقة، أثناء ثورة جبل

(٤٢٤) عريِّد: تل بركاني في هضبة حوران، ويبعد عن قرية دير العدس ٥كم، إلى الغرب من طريق دمشق - غباغب، في منطقة الصنمين في محافظة درعا.

(٤٢٥) الدلّي: قرية في سهول حوران، في منطقة إزرع محافظة درعا، وتتبع ناحية الشيخ مسكين، وتبعد عنها ٩كم، فيها تلال أثرية تعود للعهود الرومانية والبيزنطية، وتتصل بطريق دمشق - درعا.

العرب، ووقوع معركة (المزرعة)[٤٢٦] المشهورة، بين ثوار الجبل والجيش الفرنسي في الثاني من آب / أغسطس ١٩٢٥م، إذ بعث شيوخ وزعماء العشائر برسالة إلى الشيخ بدر الدين الحسني[٤٢٧] «المحدّث الأكبر بدمشق» يلتمسون فيها الحيلولة دون اشتراك أهل حوران مع الجيش الفرنسي لمهاجمتهم. فانتدب سماحته المجاهد الشيخ محمد الأشمر ليكون رسول خير بين الفريقين، وقد نجح في مهمته التي انتُدب من أجلها، بعد أن أقنع شيوخ حوران بأن الثورة ثورة وطنية قومية ضدّ الاحتلال الفرنسي، وأن الواجب الديني والوطني يدعوهم لتناسي الأحقاد وحبّ الانتقام، وأن يكونوا معًا يدًا واحدة ضدّ العدو المشترك.

كما قام الشيخ محمدٌ الأشمر، مع بعض زعماء الثورة، بعقد لواء الصلح، ورأب الصدع، ووأد الخصام، بين طرفي النِّزاع من الأكراد، بين أفراد عصابة «آل عكاش»، وعصابة «أحمد الملا الكردي»، الذي اغتالته عصابة آل عكاش، مع ثلاثة عشر فارسًا من فرسانه، في الرابع والعشرين من نيسان عام ستة وعشرين، لاختلاف على مناطق النفوذ.

وكان «عبدو عكاش» - أبو دياب - قد اغتيل من قِبَل أحد الأكراد في قرية «قدسيا» خلال الثورة، كما اغتيل «سعيد عكاش» - بعد خمسة عشر عامًا من الثورة - في سوق العتيق بدمشق.

وهكذا كان الأشمر رسول خير بين الأهل والأخوة والأحباء، وشواظ نار على الأعداء.

وكنت دائمًا مع شيخنا الكبير محمد الأشمر في كل خطوة يخطوها، أقرأ أفكاره قبل أن يتحدث بها وقد جمعتني وإياه صداقة متينة وروابط حميمية، منذ بداية العهد الفيصلي.

وأثناء قتالنا ضد الفرنسيين دعا الأشمر إلى اجتماع استثنائي موسّع

---

(٤٢٦) المزرعة: تقع في أرض منبسطة وعرة تكثر فيها الحجارة والرجوم في جبل العرب، وتتبع قرية المجدل، ناحية السجن. وتبعد عن مدينة السويداء ١٠كم. جرت فيها المعركة الحاسمة مع الجيش الفرنسي بقيادة ميشو يومي ٢ و٣ آب ١٩٢٥م، وأُبيدت الحملة بكاملها.

(٤٢٧) الشيخ بدر الدين الحسني: محدّث الشام الأكبر، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. والده الشيخ يوسف بن بدر الدين الحسني المراكشي، السبتي البيباني الأصل مالكي المذهب، ومن سادة المغرب، كان عالمًا تقيًا وشاعرًا، سُجِّل له استعادته جزء من مدرسة «دار الحديث الأشرفية» بدمشق، وكانت قد حُوِّلت إلى مستودع للخمور. وقد وُلد محدث الشام الأكبر الشيخ بدر الدين في دمشق عام ١٨٥٠م / ١٢٦٧هـ في داره المجاورة لدار الحديث، ونشأ في كنف والده نشأة دينية علمية في بيت تُقى وثراء. توفي والده ولمّا يبلغ الثانية عشرة من عمره، فكفله خاله الشيخ صالح الكزبري، وعنيت والدته بتعليمه. كان متواضعًا حادّ الذكاء، متوقد الذهن قوي الذاكرة، كثير الصمت قليل الكلام دائم التفكير. توفي إلى رحمة الله ورضوانه صباح يوم الجمعة الثامن والعشرين من حزيران ١٩٣٥م، ودفن في مقبرة باب صغير بدمشق. وأُقيم مسجد ومعهد شرعي يحمل اسمه.

للثوار، قرّر خلاله شيخنا الكبير، أن يحطم أنف الفرنسيين ويكسر شوكتهم، ويُقلل من هيبة القوات الفرنسية الغازية، كما أراد أن يلقنّهم درسًا لن ينسوه أبدًا، ويُفهم الأعداء بأنهم في متناول يد «المقاومة» متى أراد الثوار ذلك.

وبعد دراسة مستفيضة للخطة، وإعداد دقيق مع كبار قادة الثوار، قرّر الشيخ الأشمر، أن يكون اليوم الخامس والعشرين من آب ١٩٢٦م، موعدًا للهجوم على القطار الذي يستخدمه الفرنسيون، في نقل جنودهم وضباطهم، ونقل العتاد الحربي، والمؤونة والذخيرة. ليؤكد للعدو الفرنسي، أن هذا القطار المصفّح بالحديد والفولاذ، لن يحمي أبدًا ضباط الجيش الفرنسي وجنوده.

وبات الثوار ليلتهم في مواقعهم، بانتظار صباح اليوم التالي، لوصول القطار المصفّح في طريقه إلى حوران، وهو يحمل جنودًا وأسلحة وذخائر ورشاشات وأعتدة للعدو.

وما أن اقترب القطار، حتى كان الجميع على أتم استعداد، يمتطون ظهور خيولهم، ويحتضنون أسلحتهم. وقد اشترك في هذا الهجوم كثير من القادة الميدانيين فوزي القارقجي وثواره، وثوار زكي الحلبي[٤٢٨]، وسعيد العاص وصناديد جيشه، ورؤساء المنطقة الشمالية للغوطة، ومعهم أبو محيي الدين شعبان، وأحمد البارافي، ورؤساء المنطقة الجنوبية للغوطة، وكاتب هذه السطور.

وقد اتخذ الثوار من الأشجار، وأسوار البساتين متاريس لهم، ووضعوا أغصان الأشجار فوق رؤوسهم زيادة في التمويه، حتى لا يراهم العدو.

وما أن اقترب القطار، حتى كان الجميع على أتم استعداد، يمسكون أعنّة خيولهم وأبطأ القطار عندما وصل إلى المكان الذي يتواجد فيه الثوار، مما مكّن فرسان الثوار من ملاحقة القطار المصفّح، وهو يسير الهوينا، غير عابئين بالرصاص وهو يئزّ ويتطاير فوق رؤوسهم، وهم يصيحون بصوت واحد: الله أكبر الله أكبر و«التكبير» يبعث في نفوس المجاهدين الاعتزاز بقدوتهم رسول الله، عندما كان يخوض المعارك بكلمة «الله أكبر» تلك الكلمة التي حطمت جحافل الفرس والروم الجرارة والأعداء ترتعد قلوبهم هلعًا ورعبًا عندما يسمعون هذه «التكبيرة».

(٤٢٨) القائمقام زكي الحلبي: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٩٧م، من أسرة حلبية الأصل، والتحق بالثورة العربية، كما شارك في معركة ميسلون. عُيّن متصرفًا لحوران، وشارك في معارك الغوطة مع الثوار، وكُتبت له الشهادة، في معركة «أم الشراطيط» عام ١٩٢٦م في زاكية.

فإما حياة تسرّ الصديق — وإلاّ فنِعم الرداء الكفن.

وقد استطاع ثوار الأشمر، الوصول إلى سائق القطار الفرنسي وقتله مع معاونَيْه. فتوقف القطار والتحم أبطال الحرية بجنود الاحتلال. واستمرت المعركة خمس ساعات، قبل أن يتمكن الثوار من الاستيلاء على أربع وعشرين قاطرة من القطار وحرقه.

واستولى الثوار على كل الأسلحة والذخائر، التي كان الثوار بأمسّ الحاجة إليها، وقد قام الشيخ محمد الأشمر بتوزيعها على الثوار. وقد هوجم القطار(٤٢٩) بعد ذلك أكثر من مرة.

كما قاد الشيخ الأشمر تجمّعًا لمشايخ «جمعية الغرّاء» من جامع «تنكز» لإلغاء الحفلة الراقصة التي كانت ستقام لوداع الضباط الفرنسيين، في «نادي الضباط» بدمشق. وكان منهم الشيخ محيي الدين عز الدين عدوان وهو من مواليد ١٩٢٠م ومن القلة القليلة الذين ما يزالون على قيد الحياة من تلاميذ الشيخ علي الدقر وكان قد تقرر إقامة حفل راقص في نادي الضباط بدمشق «على الطريقة الفرنسية»، حيث يتراقص النساء والرجال معًا على أنغام الموسيقى الصاخبة، وتحت تأثير المشروبات المُسكرة. ولم يكن «المجتمع الدمشقي» ليقبل أن يختلط الرجال والنساء، أو أن يراقص فرنسي دمشقية يخاصرها ويعاصرها، وقد أضاعت وأذهبت الخمرة لبَّه. وعلى أثر هذه الحادثة(٤٣٠)، نفت وزارة «سعد الله الجابري» شيخنا الكبير محمدًا الأشمر عام ١٩٤٤م، وقام بترحيله إلى جزيرة «أرواد» وزير خارجيته «لطفي الحفار».

ونزل الشيخ الأشمر - لمكانته المرموقة - في ضيافة نائب طرطوس «رياضٍ عبد الرزاق». إلا أنه أعيد إلى دمشق، تحت الضغط الشعبي الهائل، مفضّلاً الابتعاد عن عيون الدولة إلى «خربة الغزالة». لكن الوفود الشعبية من مختلف المدن السورية، أمّت «المضافة» في خربة الغزالة للسلام عليه مما أربك الحكومة.

وقد «أعتذر» شيخ المجاهدين محمدُ الأشمر عن تلبية «دعوة» زعيم جبل

(٤٢٩) ذَكَرَ «حادثة القطار» الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، في مذكراته «تاريخ الثورة السورية» مطبوعات «دار الجزيرة» – لصاحبها «تيسير ظبيان – عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ في صفحة (١٠٠) (وكانت قيمة الكتاب ليرة سورية واحدة). كما ذُكرت «حادثة القطار» في كتاب «المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر»، إعداد لجنة الدراسات التاريخية ص (١٠٥).

(٤٣٠) ذُكرت هذه «الحادثة» أيضًا في كتاب «المجاهد الصامت» - ص(١٨٧) - «إعداد لجنة الدراسات التاريخية»: «تحرّك الشيخ الأشمر مع مجموعة من العلماء من «جامع تنكز» مقر جمعية الغرَاء لمنع حفل المجون، فتمت الاستجابة. بعد ذلك أوفدت حكومة سعد الله الجابري وزير الداخلية لطفي الحفّار يرافقه مدير الأمن العام أحمد اللحام لاعتقال الأشمر، ونفته إلى جزيرة أرواد. وفي أرواد تمّ إخلاء غرفة المقدّم «خليل الورع» الخارجة عن مبنى السجن، لتكون مكان إقامة الأشمر التي استمرت شهرًا كاملاً.».

العرب «يوسف باشا الأطرش»[٤٣١] كما أعتذر عن دعوة أخرى من «الشيخ غالب زباد» خوفًا من إثارة المتاعب لهما من قِبَل السلطات الفرنسية.

وألحّ عليه شيخ عرب اللجاة - «الشيخ طلالَ أبو سليمان» - أن ينْزل بضيافته ففعل.

هذه اللوحات الرائعة من البطولة، التي سطرّها هؤلاء الثوار في صفحات الوطن، كانت مترعة بالبذل والتضحية والفداء. منحوا البطولة أسمى مراتبها، وأعطوها أقدس معانيها.

وإن أنسى شيئًا فلن أنسَ ذلك اليوم التاريخي يوم دخل فيصل على رأس جيشه لدمشق واستقبله في بوابة الميدان وجهاء حي الميدان، وعلى رأسهم الشيخ محمدٌ الأشمر وهم يحملون الأعلام العربية. ثم رفع العلم العربي[٤٣٢]

(٤٣١) يوسُف باشا الأطرش: وُلد في بلدة «رساس» في محافظة السويداء، ودرس في المدرسة العازرية بدمشق، ثم التحق بالمدرسة السلطانية في اسطنبول، وعُيّن قائدًا لمفارز المتطوعة في بداية العهد الفرنسي. إلا أنه انضم لثورة جبل العرب ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥م، ونزح مع سلطان باشا الأطرش إلى الأزرق بعد توقف الثورة. انتُخب نائبًا عن مدينة السويداء في المجلس النيابي عام ١٩٤٤م. وساهم في جميع الحركات الوطنية ضد الفرنسيين.

(٤٣٢) العَلَم العربي: رُفع العلم العربي لأول مرة، بعد دخول فيصل إلى دمشق، على دار البلدية، في صباح يوم الثلاثاء الثامن من آذار عام ١٩٢٠م، وسمي هذا العَلَم بـ«العلم العربي»، ثم أُطلق عليه فيما بعد «العلم الفيصلي»، نسبة إلى الملك فيصل.

وتعتبر «الراية» كرمز مبجّل لشرف الوطن، وشعارًا يدل على عزّ أرضه، واستقلاله وأمجاده وتاريخه.! و«الراية» تحمل رموزًا وشارات لها معاني خاصة، وإليها تشرئب الأعناق وتخفق الأفئدة: أما فيه من كل عين «سواد» ومن «دم» كل شهيد مداد. وللعلم أسماء عديدة: كالبيرق، والعقاب. ويُقال أن أول من ابتكر العَلَم، كان الصينيون القدماء سكان جزر الهند الشرقية منذ عام (١١٠٠ق.م). ثم اتخذ الفراعنة «الصولجان».

وقد رفع الثوار الأحرار في الحجاز «العَلَم العربي» كراية للدولة العربية الشاملة، عندما ثارت الأمة العربية في وجه الحكام العثمانيين عام ١٩١٦م. والعلم العربي ذي الألوان الأربعة، صمّمته الأحزاب السرية العربية قبل الثورة، واتخذوا شعارهم:

إن الحقيقة قالت لي وقد صَدَقَتْ — لا ينفع العِلْم إلا فوقه عَلَم

وكان العَلَم العربي يتكون من ثلاثة ألوان هي: «الأسود، والأخضر، والأبيض» وأضافوا له مثلثًا أحمر من جهة (السارية)، وبذلك جَمَع هذا العَلَم الألوان العربية، التي رُفعت بها رايات العرب على العالم، في فترات سابقة من عصور الإسلام. والعلم العربي يتألف من:

- مثلث أحمر اللون «يرمز للثورة العربية» تلتصق به ثلاث متوازيات هي:
- اللون الأسود: رمز (راية العقاب) التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها في حروبه، وقد اتخذها الخلفاء الراشدين من بعده، كما اتخذها العباسيون شعارًا لهم.
- اللون الأخضر: ويرمز للدولة الفاطمية.
- اللون الأبيض: ويرمز للدولة الأموية.

فتكون ألوان العَلَم والحالة هذه جامعة لرموز الاستقلال العربي في كل أدواره التاريخية وقد جمعها الشاعر بقوله:

بيضٌ صنائعنا، سودٌ وقائعنا — خضرٌ مرابعنا، حمرٌ مواضينا

لأول مرة فوق دار البلدية في ساحة المرجة، بعد رحيل الأتراك ودخول فيصل.

هؤلاء هم رموز الوطن الذين استحوذ حب الوطن على قلوبهم العامرة بالإيمان، فحملها على استسهال كل صعب، واحتمال كل مكروه، في سبيل عشق الوطن. هؤلاء الثوار هم الذين فجّروا الثورة، وقادوا المسيرة.

بعد ذلك عاد الشيخ محمد الأشمر إلى الأردن، بعد ملاحقة القوات الفرنسية له، وتوارى عن الأنظار وأقام في الرمثا. ولما امتد لهيب نيران الثورة من جبل العرب إلى الغوطة، اتصل الأشمر ببعض زعماء الأردن، وتوسطوا له بحرية الذهاب والإياب دون أن يتعرّض له ولإخوانه الثوار أحد. وقد دبّت الحماسة الوطنية في نفوس الأردنيين من قرى الرمثا والكفارات وجبل عجلون، فأخذوا يهاجمون ليلاً المخافر الفرنسية في درعا، وطفس(٤٣٣) و(فيق) مركز «الزوية» الحورانية، وانضم إليهم الشيخ عبد الله الطحان، ثم كانوا ينسحبون إلى الحدود الأردنية، على امتداد (وادي الشلالة).

كما اشترك الأشمر في معارك الغوطة، إذ ما كادت نيران الثورة تشتعل في الغوطة حتى عاد الشيخ الأشمر مع عصابته لقتال الفرنسيين، وانضمّ إليهم عدد كبير من شباب الميدان وبعض ثوار حوران، حيث جعل إقامته في بساتين «يلدا وببيلا»، وقد اشترك في معظم معاركها مع إخوانه الثوار.

ولمّا تمّ تطويق الغوطة من قبل الجيش الفرنسي، وبعد نفاد الذخيرة من أيدي المجاهدين، اضطر الأشمر مع قادة الثورة والمجاهدين من أبناء دمشق والغوطة وثوّار حوران للالتجاء إلى الأردن. وغادر جميع الثوار وطنهم رغمًا عنهم، خوفًا من ملاحقة السلطات الفرنسية لهم. وقد غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا مكة مرغمًا، وهي أحب بقاع الأرض إليه.

وبعد عملية تحرير وتهريب الشيخ مصطفى الخليلي مختار «قرية المُغير»(٤٣٤)، ومعه المجاهد ضيف الله الصالح شيخ قرية «الشجرة»(٤٣٥) التي كانت تتبع ناحية الرمثا الأردنية، والشيخ فندي بوياغي من شيوخ عُقّل دروز الشوف، والسيد أحمد يقطيني من أهالي «داريا» إحدى قرى الغوطة، وإخراجهم

---

(٤٣٣) طفس: قرية في سهول حوران محافظة درعا، وتتبع ناحية «مزيريب»، وتبعد عنها ٥كم. فيها آثار رومانية بيزنطية. و«مزيريب»: بلدة في هضبة حوران، وتتبع محافظة درعا، وتبعد عنها ١١كم. تربتها بركانية خصبة غنية بالينابيع، وتحيط بها ناحية الشجرة، وداعل، وإزرع، ودرعا. وبالقرب منها «بحيرة مزيريب» التي تشكل منطقة سياحية.

(٤٣٤) المُغير: قرية في جبل العرب، محافظة السويداء، وتتبع منطقة صلخد وتبعد عنها ١٥كم.

(٤٣٥) الشجرة: بلدة تقع عند حافة هضبة حوران، في ارض سهلية متموجة، تنحدر باتجاه وادي اليرموك، في محافظة درعا، وتبعد عنها ٣٥كم. وتضم بلدة الشجرة ١٣ قرية، تأخذ شكل مثلث قاعدته حدود مع الأردن، وضلعه الغربي محافظة القنيطرة، وضلعه الشرقية ناحية «نوى» - منطقة إزرع - وناحية مزيريب.

من سجن القلعة العسكري، بعد أن حكم عليهم الفرنسيون بالإعدام شنقًا في ساحة المرجة بدمشق، انضم إليهم الشيخ محمد الأشمر وأفراد عصبته ورافقهم إلى جبل الدروز، حيث قابلوا دولة رشيد باشا طليع، والقائد العام سلطان الأطرش، ثم واصلوا سيرهم إلى الأردن، إلى حيث كان يقيم في وادي الشلالة الواقع بين الرمثا وإربد جموع المجاهدين الذين نزحوا من الغوطة، وبذلك اشتد أزر هؤلاء بإخوانهم وقرّروا مهاجمة المخافر، والقوات الفرنسية في سهول حوران وهضابها، وكان عددهم يزيد عن الستمئة مجاهد ما بين راجل وفارس.

وفي قرية «داعل»[٤٣٦] من قرى حوران اصطدم الثوار بالقوات الفرنسية، واستطاعوا احتلال القرية، غير أن الفرنسيين ضاعفوا من قواتهم التي كانت مرابطة في درعا و«إزرع» وساقوها إلى قرية «داعل» لمحاصرة المجاهدين فيها، حيث طوّقها العدو بالدبابات، وفي ذات الوقت أخذت الطائرات الفرنسية المقاتلة تقذف حمم قنابلها حوالي القرية، فكانت هذه إشارة من العدو إلى الأهالي لمغادرة القرية «حسب التعليمات التي كانت توجّه للأهالي من قِبل القوات الفرنسية»، حيث أخذ الأهالي بالنُزوح عن القرية من إحدى الجِهات الخالية من تلك القذائف، وقد تركوا بيوتهم وأرزاقهم للثوار، على أن بعض المخلصين من الأهالي نصحوا المجاهدين بلزوم مغادرتهم القرية تفاديًا لقذفها بالقنابل المدمرة، فظن المجاهدون أن في قولهم هذا مبالغة يريدون من ورائها إخراج الثوار من القرية. لهذا تحصّن المجاهدون في القرية واستعدوا للمقاومة، غير أن الطائرات الفرنسية جاءت أفواجًا على ثلاثة أسراب، وكل سرب مؤلف من خمس طائرات حيث حلّقت فوق القرية، وبدأت بإلقاء قنابلها على المجاهدين المحصورين فيها، وبعد وصول نجدات للقوات الفرنسية، مؤلفة من اثني عشر ألف جندي، استطاع سلاح الفرسان الفرنسي، ومعهم المصفحات وتساندهم الدبابات من تطويق القرية.

وقد اشتد القصف والمواجهة بين القوات الفرنسية والثوار المجاهدين، وحمي وطيس المعركة واستمرت من الصباح حتى غروب الشمس، علمًا بأن القوات الفرنسية لم تتمكن من دخول قرية «داعل»، كما وأن المجاهدين لم يستطيعوا فك الحصار والخروج من القرية أيضًا، لكثافة القوات المهاجمة المجهزة بأحدث الآليات.

(٤٣٦) داعل: بلدة في سهول حوران وتتبع محافظة درعا، وتبعد عنها ١٤كم. تحيط بها منطقة إزرع «الشيخ مسكين ونوى»، وخربة غزالة ومزيريب. حدثت فيها معركة داعل المشهورة بين الثوار والفرنسيين عام ١٩٢٦م، وتحيط بها مجموعة من التلال الأثرية تعود إلى عصور قديمة.

وقام الشيخ محمد الأشمر بتقسيم قوات المجاهدين، الذين اشتركوا في معركة داعل وهم قوات: زكي الحلبي، تحسين المدفعي، صادق الداغستاني، صبحي العمري، عبد القادر آغا سكر، مصطفى الخليلي، الشيخ أحمد قاسم من قضاء عجلون، وعودة السرور شيخ عشيرة المساعيد، وفندي الحشيش شيخ مشايخ «تل شهاب»[٤٣٧]، وقام بتوزيعهم على أطراف القرية من خارجها.

ثم قام القائد العسكري صبحي العمري[٤٣٨] مع مجموعة من الثوار، بهدم جدران الجهة الجنوبية من سور القرية، حيث كانت المدرعات الفرنسية ترابط هنالك مما اضطرها للتراجع، وبذلك نجحت الخطة بإبعاد القوات المعادية من دخول القرية، والحيلولة دون القضاء على المجاهدين، الذين قرروا فكّ الحصار من الجهة الشرقية، ليستطيعوا الإفلات من ذلك الطَوْق المحكم، وقد تمكن الشيخ أحمد قاسم وفرسانه الثوار - من أهالي بلدة عنجرة التابعة لقضاء عجلون - من اختراق الحصار، ثم تبعهم بقية المجاهدين الذين استبسلوا، بالرغم من سقوط عدد كبير من الجرحى بين صفوفهم، وقد حملوا جرحاهم على ظهور الخيل تحت أزيز الرصاص وقصف القنابل، فكان هجومهم عنيفًا ساحقًا، وشعارهم التهليل والتكبير، وبعد ذلك تراجعت الحملة الفرنسية أمام هذا الهجوم المستميت. وعلى أثر فكّ الحصار ذهب فريق من المجاهدين إلى قرى لاهثة[٤٣٩] وحران[٤٤٠] واللجاة[٤٤١]، بعد أن استضافهم أحمد الغصين شيخ مشايخ عشيرة اللجاة، ثم ما لبث الثوار أن رحلوا إلى

---

(٤٣٧) تل شهاب: قرية في سهول حوران. تربتها بركانية، وتتبع ناحية «المزيريب» وتبعد عنها ١٢كم. تكثر فيها الينابيع: «الساخنة الكبرى، والساخنة الصغرى، وبندك، وعين الروسي، والخضراء، وعقّور»، وتتشكل الشلالات نتيجة اتحاد نهر عويرض بالفوّار، وسقوط مياههما من علو ٤٠م.

(٤٣٨) صبحي العمري: ولد في حيّ القيمرية بمدينة دمشق عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، وهو ابن الشيخ أحمد العمري صاحب (الطريقة الخلوتية) الصوفية. التحق بالجيش التركي برتبة ضابط، ثم التحق بجيش الثورة العربية في وادي موسى عام ١٩١٧م. شارك في معركة ميسلون، ورافق الملك فيصل بعد رحيله من دمشق، ثم لحق به إلى العراق، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني، فاعتُقل وسُجن ثم طُرد من العراق. انتُخب عضوًا في المجلس التأسيسي عام ١٩٤٩م، ثم نائبًا عن دمشق. نال عدة أوسمة حربية، وكتب مذكراته: (أوراق الثورة العربية: الطريق إلى دمشق، لورنس، ميسلون). وتوفي عام ١٩٧٣م.

(٤٣٩) لاهثة: قرية في جبل العرب، تتبع ناحية «الصورة» منطقة شهبا في محافظة السويداء، وتبعد عنها ٣كم تقع على الحافة الشرقية لمنطقة اللجاة» البازلتية، على طريق دمشق - السويداء، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب من بلدة «الصورة» الصغيرة.

(٤٤٠) حرّان: قرية في جبل العرب، تتبع منطقة «شهبا» محافظة السويداء. تقع في منطقة «اللجاة» فوق صخور بازلتية، وأراض صخرية. فيها آثار العهود الرومانية والبيزنطية والإسلامية.

(٤٤١) اللجاة: تتألف من منطقة صخرية، تشكل حاجزًا بين البادية السورية وحوران، وتعطى بيوتها المشيدة من الصخور البازلتية السوداء صورة عن ماضيها الطويل. وأهم مدنها بلدة المسمية وخبب.

«قرية صميد»[٤٤٢] إحدى قرى جبل الدروز، بينما نزح فريق آخر من الثوار إلى الأردن، وعلى رأسهم الشيخ محمد الأشمر وعبد القادر آغا رسكر، حيث شقّوا طريقهم بين جنود المخافر، حتى وصلوا إلى وادي الشلالة، ومن هناك توجهوا إلى الأغوار، بعيدًا عن مدن اللواء الشمالي، وذلك بالاتفاق مع قائد منطقة لواء عجلون، وكنت أنا في هذا الظرف الدقيق همزة الوصل بينهما، للتوفيق بين المصلحة العامة للثورة وخدمة مصالح الثوار.

كما التحق الأشمر بعد ذلك بثوّار فلسطين، ففي عام ١٩٣٦م اشترك بالثورة التي قام بها الشعب في فلسطين، وقد تلقّى رسائل من بعض ملوك العرب ورؤسائها بشأن التوقف عن القتال - وقد استمر إضراب الشعب الفلسطيني زهاء ستة أشهر - بيد أنه لم يعبأ بتلك الرسائل وقرّر مواصلة الجهاد. وبعد توقف تلك الثورة عاد إلى الأردن، وبقي فيها حتى أعلن استقلال سورية. حيث عاد إلى وطنه واستقبلته دمشق استقبالاً شعبيًا في حيّ الميدان.

كما تلقّى الأشمر عام ١٩٥٧م دعوة لزيارة (الاتحاد السوفياتي)، ومُنح وسام لينين، ولقي في أشهر مدنها كلّ حفاوة وتكريم، وقد حاول بعضهم التجنّي والافتراء عليه بالأقاويل، ونشر الأضاليل لتشويه سمعته - ولكن لا يضير السحاب نباح الكلاب كما تقول الأمثال - لأني على تمام الثقة من ثباته على مبادئه وعقيدته الدينية كما وأنه معروف لدى الجميع بالتقوى والورع، وفي الوقت ذاته اشتهر بمحبته لآل البيت الهاشمي خاصة (الملك فيصل الأول)، حيث ساهم معي بتوقيع مضابط التوكيل من قبَلِ كبار قادة المجاهدين البارزين، كما وقّع العديد منها الشباب المثقف، من أطباء ومهندسين ومحامين وكبار التجّار ورجال الأعمال، وبعض أعضاء «حزب العهد العسكري»[٤٤٣]،

---

(٤٤٢) صميد: قرية في جبل العرب، تقع في صبة اللجاة البازلتية إلى جانب قناة ماء «وادي اللوا» غرب «تل شيحان»، في منطقة شهبا، وتتبع ناحية «عريقة» وتبعد عنها ٧كم. فيها بقايا آثار نبطية ورومانية وبيزنطية وإسلامية.

(٤٤٣) أوّل اتصال تمّ بين «حزب العهد العسكري» وشريف مكة الحسين بن علي، عن طريق المجاهد فوزي البكري، موفدًا من قبل ضباط الجيش. وقد سافر البكري إلى الحجاز لتأدية الخدمة العسكرية في حرس الشريف حسين، في أواخر كانون الثاني عام ١٩١٥م، لكي يطّلع على الاتصالات التي بدأها الشريف حسين بن علي عام ١٩١٤م مع الإنجليز. وحين قدم الأمير فيصل بن الشريف حسين إلى دمشق في آذار ١٩١٥م في طريقه إلى اسطنبول، اجتمع بدمشق بكل من الشيخ بدر الدين الحسني الجزائري، والعميد ياسين الهاشمي - الذي كان رئيسًا لأركان الفيلق الثاني التركي الذي يرابط في سورية - والفريق علي رضا باشا الركابي، وتداول معهم في إمكانية اشتراك سورية في الثورة العربية، وأقسم يومها فيصل الأول يمين الولاء ليكون عضوًا في جمعيتي «حزب العهد» و«العربية الفتاة». وفي طريق عودة فيصل للحجاز عن طريق دمشق، وجد ميثاقًا اتفقت عليه جمعيتا العهد والعربية الفتاة، يتضمن الشروط التي يطالبون بتحقيقها فحملها فيصل معه إلى والده الشريف حسين، لكي تكون أساسًا للعمل المشترك، للمشاركة في الثورة العربية.

وحزب الأمة، وحزب الشعب وقد قمت بتقديمها للأمير فيصل بن الحسين موفدًا من طرف الثوار إلى عمان - حيث كان ينْزل ضيفًا على أخيه الملك عبد الله في مدينة عمان، وذلك بمناسبة حفل التأبين الذي أقيم في العاصمة الأردنية لوالده فقيد العروبة والإسلام «الحسين بن علي»، الذي قضى نحبه نتيجة للمؤامرة الإنجليزية - الصهيونية، حيث رفض الاعتراف بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين حسب وعد بلفور المشؤوم - وكانت الغاية من مضابط التوكيل، تأييد فيصل وتفويضه للدفاع عن حقوق شعب سورية وفلسطين في مؤتمر الصلح.

وكان الملك فيصل قد دعا الشيخ الأشمر لزيارة العراق، بعد أن أصبح ملكًا على العراق، تقديرًا لجهاده وجهوده في القضايا الوطنية والعربية، فلبى الدعوة شاكرًا الملك فيصل، على تكريمه لكل وطني شريف.

وقد اعتلّت صحة الشيخ الأشمر، نظرًا لما عاناه في جهاده المتواصل في ساحات المعارك والميادين - السورية والفلسطينية - فضعف جسمه وهزل، حتى لاقى وجه ربه عن عمر يناهز السادسة والستين عامًا، في الثالث من أيار عام ١٩٦٠م، حيث انتهت حياته الحافلة بالنضال والكفاح لتحرير الأوطان. وهكذا طوى الموت أنصع صفحة في تاريخ الجهاد الوطني، الخالص لوجه الله والوطن. رحم الله شيخ المجاهدين. الأخ وصديق العمر، ورفيق الدرب.

وقد كرّمت سورية الشيخ محمدًا الأشمر، فأقامت له محافظة دمشق في (بوابة الميدان) نُصبًا تذكاريًا على شكل «مسلة». حيث نُقش عليها (ما قام به في حياته من أعمال جليلة وتضحيات).

وقد سجّل في النصب التذكاري: تاريخ ولادة الأشمر، وتاريخ وفاته، ونبذة عن حياته وجهاده، كما سميت مدرسة ومسجد باسمه.

تغمّد الله شيخ المجاهدين محمدًا الأشمر بواسع رحمته، وأدخله فسيح جناته.

أما أنتم يا رموز الوطن، فقرّوا عينًا، وأنتم في ذمة الله، وفي جنان الخلد، لا زلتم أحياء في قلوب أمتكم، وفي ذاكرة الوطن والتاريخ.

❖❖❖

● ● ● وأنا أقول...

منذ الثورة التي قام بها الشعب الفلسطيني، عام ستة وثلاثين وتسعمئة وألف، والتي شارك فيها شيخنا الأشمر وفوزي القاوقجي، وعز الدين

القسام، وعبد القادر الحسيني(٤٤٤)، والشيخ فرحان السعدي وعبد الرحيم الحاج محمد، وحتى اليوم لا تزال معاناة شعب فلسطين مريرة، تحت حراب الاحتلال، وممارساته القمعية

فمن مصادرة للأراضي، إلى بناء المستوطنات وجدار الفصل العنصري، وهدم للبيوت وتجريف للأرض إلى القصف بصواريخ الطائرات ومدافع الدبابًات، وتكسير العظًام، وقتل الأطفال، وتدمير المنشآت، واقتلاع الشجر والإنسان، ودكٍّ للبشر والحجر، وممارسة سياسة التطهير العرقي، بآلة الحرب الأمريكية.

وقد أخفقت كل الإجراءات العسكرية الإسرائيلية، والممارسات العنصرية في إخضاع الفلسطينيين، فانكفأت الدولة الإسرائيلية على نفسها لاستحالة السيطرة على الكثافة السكانية في غزة هاشم وجعلها سجنًا كبيرًا يقتتل فيه الأخوة على السلطة، وصعوبة حماية المستوطنات، وهو ما أدركته الحفنة العسكرية الحاكمة.

وقد حاولت إسرائيل منذ وجودها خنجرًا في قلب أمة العرب، ترحيل أصحاب البلاد وإحلال المهاجرين اليهود محلهم، وإقامة مجتمع يهودي على أساس ديني عرقي عنصري، لجميع اليهود في العالم، على أنقاض الشعب الفلسطيني، باغتصاب حقوقه وأرضه، وإقامة المستعمرات اليهودية عليها.

ومنذ المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة «بال» في سويسرا عام ١٨٩٧م، و«ثيودور هرتزل» يخطط لقيام كيان يهودي.

كانت البداية مع السلطان عبد الحميد الثاني إذ عرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية، وتقديم ملايين الليرات الذهبية لحساب السلطان الشخصي، مقابل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إلا أن السلطان رفض أن يتنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين.

بعد أربعة أعوام جدّد رئيس المؤتمر الصهيوني عرضه للسلطان عبد الحميد عام ١٩٠١م لكنه قوبل بالرفض غير أن الصهاينة غيّروا «تكتيكهم»

(٤٤٤) عبد القادر الحسيني: مناضل فلسطيني وأحد رموز الثورة الفلسطينية. حمل لواء المقاومة وقاتل المحتلين قتالاً عنيدًا. وهو ابن المجاهد موسى كاظم الحسيني «رئيس بلدية القدس». وُلد عبد القادر في القدس عام ١٩٠٨م، وأكمل تعليمه في فلسطين، وتابع تحصيله العلمي في القاهرة وتخرّج عام ١٩٣٢م. استُشهد والده في مظاهرات «مسيرة الجهاد الكبرى» عام ١٩٣٤م، من أجل إبقاء فلسطين عربية. ورفع من بعده الراية العربية الفلسطينية، وقاد قوات «الجهاد المقدّس» التابعة للهيئة العربية العُليا في فلسطين، وقام بإعلان الثورة في السادس من مايو / أيار ١٩٣٦م، والهجوم على ثكنات القوات البريطانية في القدس، وفي منطقة «القسطل»، واتخذ من «بيرزيت» مقرًا لقيادته، وتولّى تنظيم الخلايا السرّية وقياداتها. استُشهد وهو يقاتل الصهاينة في معركة «القسطل» التي دامت أربعة أيام، وذلك في الثامن من إبريل / نيسان ١٩٤٨م، ودُفن في القدس إلى جانب ضريح والده الشهيد في مقبرة باب الحديد.

وبدأوا العمل بجدّ على «صهينة» القادة الذين يحيطون بالسلطان تمامًا كما فعلوا اليوم بـ«صهينة» القادة الأمريكيين.

وحصل الاختراق ... إذ قام «يهود الدونمة» بالانقلاب على السلطان عبد الحميد ونفيه إلى «سالونيك». ولم يقاوم «السلطان»(٤٤٥) حتى لا تُهدر دماء المسلمين. ثم عملوا بعد ذلك على «صهينة» الشخصيات البريطانية وختمهم بخاتم «الصهيونية» إذ قدّموا «منحة مالية» لرئيس الوزراء البريطاني «لويد جورج» واستطاع «عرّاب» حكومة صاحب الجلالة المدعو «حاييم وايزمان» الحصول على «وعد» - غير ملزم - من حكومة بريطانيا، بإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين.

وارتكبت الصهيونية من أجل تنفيذ مخططها، المجازر الجماعية الرهيبة، وقامت بحروب عدوانية، وطردت وهجّرت شعب فلسطين من وطنه، وقامت باجتياح المخيمات وتدميرها في جنين وغزة وبلاطة وخان يونس ورفح ونابلس وطولكرم ومدن وقرى الجليل والمثلث، والطيبة والصبرة والطيرة وأم الفحم ودير ياسين مرورًا بما ارتكبته من مجازر في مخيمي صبرا وشاتيلا وقانا في جنوب لبنان. وإسرائيل تريد من الفلسطيني كل شيء أرضه، وبيته، وماله، وروحه.

فالوحشية الإسرائيلية والقهر والعربدة وضعت الشعب الفلسطيني أمام خيار واحد لا ثاني له هو «المقاومة» والمقاومة اتهمها «المتصهينون» بـ«الإرهاب» فكيف تدافع الشعوب عن أوطانها لطرد المحتلين؟

والوضع اليوم في العالم كله ملتبس، مشتعل بالنِّزعات والحروب. فعندما يعجز العالم، والمجتمع الدولي، عن حل مشاكل الشعوب يكون قد أُصيب بالعمى والصمم وإسرائيل تقوم بحصاد رهيب لأرواح الفلسطينيين، وتنظيف عرقي لإزالة آثار حضارتهم وطمسها. وأمام تجاهل صيحات شعب فلسطين وحقوقه المشروعة، وأمام الصلف الصهيوني، والقتل اليومي ينفجر المواطن الفلسطيني مدافعًا عن وجوده، بعد أن أوصد العنصريون الصهاينة في وجهه جميع الأبواب، وفقد الأمل في حلّ لمعاناته.

والصهاينة يرفضون المواطن الفلسطيني، لأنهم سلبوه أرضه ووطنه وطردوه

---

(٤٤٥) السلطان: اتخذ الملوك المسلمون لقب «سلطان» ابتداءً من القرن الحادي عشر للميلاد، وكان أول حاكم مسلم حمل هذا اللقب «السلطان محمود الغزنوي»، ثم استُخدم في مختلف الديار الإسلاميّة، وخاصة في عهود السلاجقة والفاطميين والمماليك والأتراك. والسلطان «محمود الغزنوي» أعظم سلاطين الغزنويين ولد عام ٩٧١م وتسلم الحكم عام ٩٩٧م وحتى عام ١٠٣٠م. فتح كشمير والبنجاب وجزءًا من إيران، وغزا الهند سبع عشرة مرة من عام ١٠٠١م وحتى عام ١٠٢٦م. وكان أول من حمل راية الإسلام إلى شبه القارة الهندية، وجعل من «غزنة» مركزًا ثقافيًا للأدب والفن، منافسًا لبغداد.

من بيته ويخافون عودته. والرفض يؤدي إلى العنف. والعنف في فلسطين سببه «الدموية الإسرائيلية».

القوة المفرطة التي استخدمها «جنرالات حكام إسرائيل» المتعصبون الإرهابيون العنصريون لإبادة الشعب الفلسطيني في غزة هاشم، أعمتهم عن محاكاة العقل. وفي عصر الذئاب والظلام واللامعقول يمشي العالم بالمقلوب معصوب العينين «الرأس» في الأسفل، و«الأقدام» في الأعلى ونحن نائمون. فيا أمة ضحكت من جهلها الأمم. ....؟

غريب أمر مايجري　　　وأغرب منه أن تدري .؟؟؟

❖❖❖

«ناموا ولا تستيقظوا　　　ما فاز إلا النُّوَم.

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا　　　ولكن لا حياة لمن تنادي.

❖❖❖

ما كانت «الحسناء» ترفع سترها　　　لو أنَّ في هذه الجموع رجالا.

❖❖❖

يا لهول الخطب يا للفادحة　　　أمة تفنى وأنتم تلعبون.

الليالي غاديات رائحة　　　بالدواهي وأراكم تضحكون.

ما اتعظتم بالسنين البارحة　　　لا ولا أنتم غدًا متعظون.

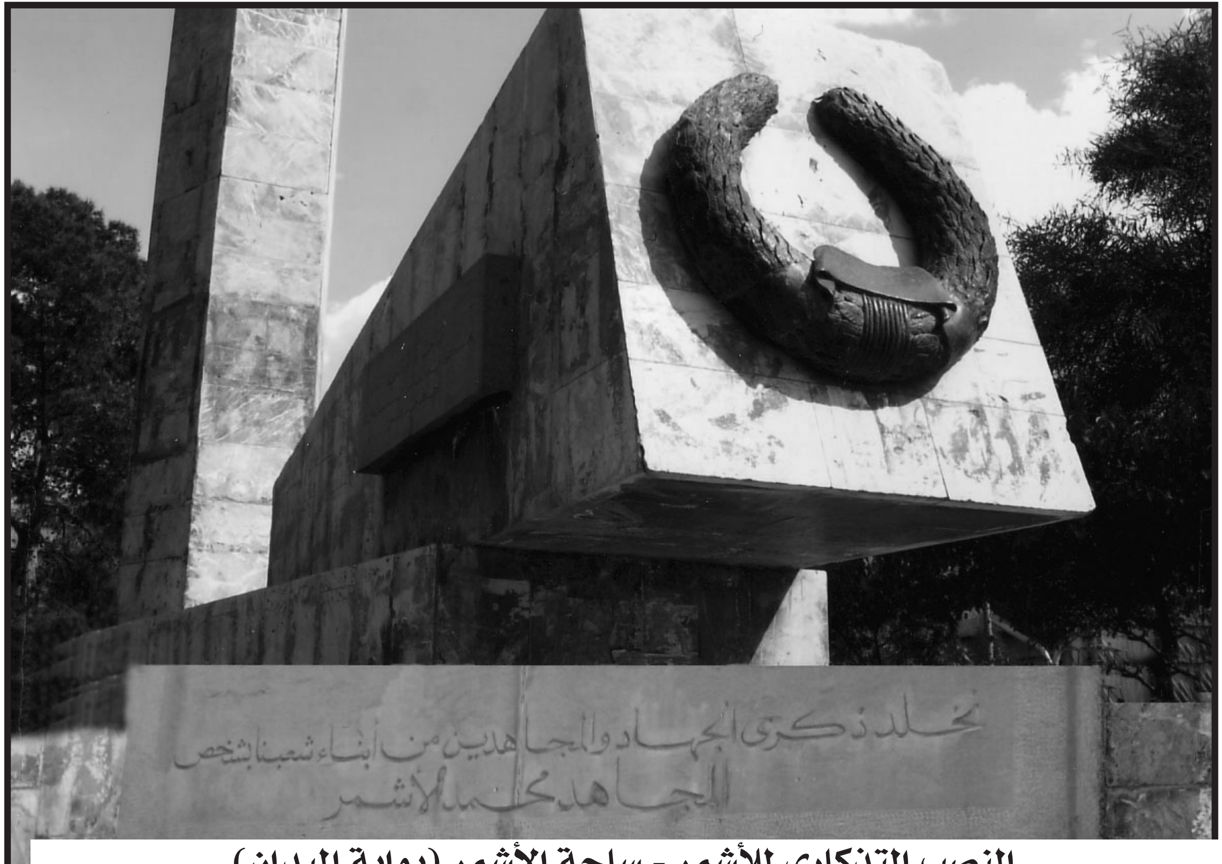
❖❖❖



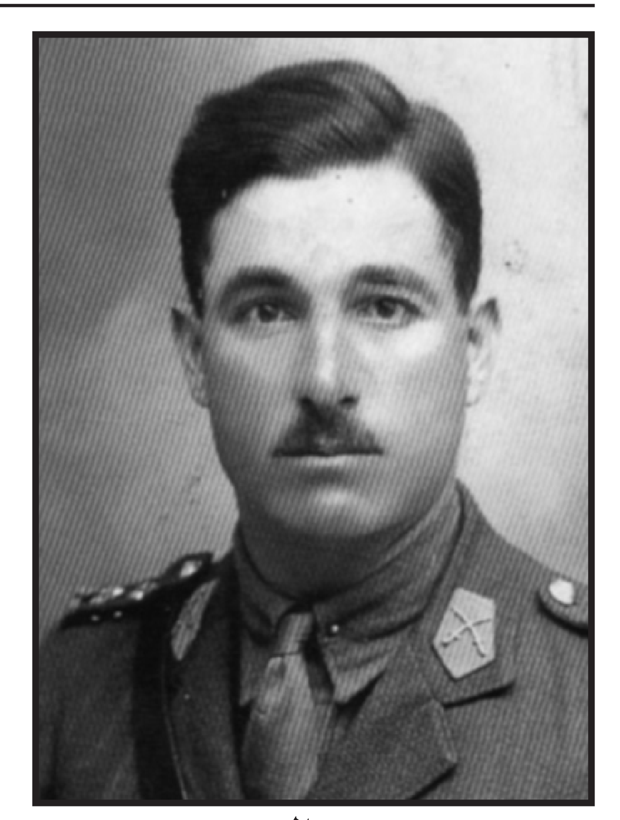
الشيخ محمد الأشمر - زعيم ثوار الميدان



الأشمر وصاحب المذكرات جميل شاكر الخانجي (أمين السر العام للثورة)



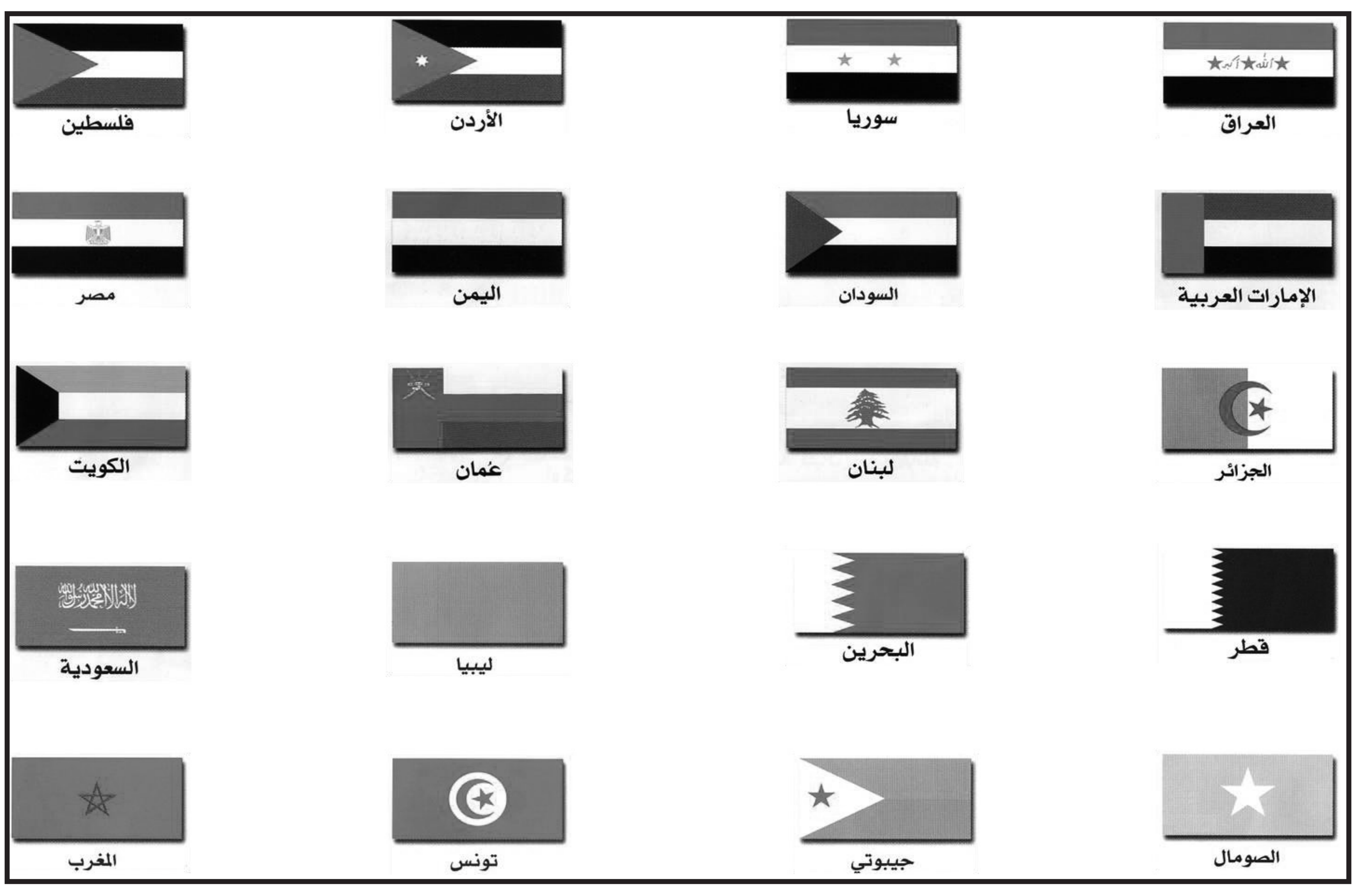
النصب التذكاري للأشمر - ساحة الأشمر (بوابة الميدان)


صبحي العمري


عبد القادر الحسيني


زكي الحلبي


عبد الرحيم الحاج محمد



أعلام الدول العربية

الشهيد حسن الخراط

(١٨٦١-١٩٢٥م)

هؤلاء ثوار جمعهم الهم الوطني وعشق الوطن سطروا بدمائهم الزكية ملاحم البطولة والرجولة.

والإنسان صانع تاريخه ومستقبله، والعرب كل العرب يعودون دومًا إلى أصولهم وجذورهم، وإلى الماضي والتاريخ الذي صنعوه ليستمدوا منه القوة والعَوْن.

وفي سيرة هذا المجاهد الشهيد العَجَب العُجاب، وفيها عبرة وذكرى لأولي الألباب، إذ مَنْ كان يتصور أن يكون هذا الأُمّي، الذي لم يتلقّ العِلم في المدرسة أن يُصبح قائدًا ثوريًا عظيمًا؟!

ما أن شبَّ حسن الخراط حتى عمل ناطورًا في بساتين «الشاغور» مع رفاقه إبراهيم الفحل، ومحمود البدوري، ثم انتسب إلى سلك الحرّاس التابع لمديرية شرطة دمشق، فوصل بجدّه وإخلاصه وأمانته إلى رتبة: (نقيب الحرّاس). ثم أصبح هذا المواطن الكريم ثائرًا مغوارًا ومجاهدًا مشهورًا، يتردد اسمه على كل شفة ولسان، ليس في دمشق فحسب بل في سورية ولبنان وسائر البلاد العربية. ولقد صدق الشاعر حين قال:

إن الرجال صناديق مقفلة ... وما مفاتيحها إلا التجاريب

ولادته ونشأته:

والشهيد حسن الخراط، هو ابن المرحوم محمد الخراط، وقد ولد في حي الشاغور بمدينة دمشق عام ١٨٦١م، وسكن في «زقاق المزار» في نفس حيّ الشاغور، وكان يتولى حراسة بعض المزارع والبساتين، ورغم أنه كان أُميًّا فقيرًا، إلا أنه كان يتّقد ذكاء يعتّم بالعِّمة، ويلبس القنباز، وفوقه «ساكو» - معطف طويل - وله شاربان كثّان وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، التحق بالثورة، وظهرت عليه ميّزاتَ القائد، وعلامات التنظيم والقيادة. وقد كان أفراد عصبته على قلب رجل واحد، يُحبونه ويأتمرون بأمره. وكان يعتمد في تحركاته مبدأ الشورى كما كان شديد الحب لأفراد تنظيمه الذين يقودهم. لم يأكل طعامًا قطّ قبل أن يوزّعه على رجاله، ولو

كان نصيب كل واحد منهم لقمة واحدة، لذا أطاعه رجاله طاعة عمياء.

إلا أنه كان بطّاشًا بالخونة لا يرحمهم، وقد عَلَّقَ بعضَهم على أبواب دمشق وعلى جذوع الأشجار.

لم يترك حسن الخراط معركة من معارك الوطن إلا اشترك فيها لم يقعد خلف متراس، ولا احتمى خلف الأشجار، بل كان يحارب العدو واقفًا وسقط في معركته الأخيرة شهيدًا وهو يدوّن أشواقه الدفينة ويسجل قصة تحرير وطنه.

لم ينجب من زوجته الأولى سوى ولده «فخري»، الذي أعدمه الفرنسيون في ساحة المرجة بعد استشهاد أبيه، كما أنجب من زوجته الثانية ولدًا أسماه «بشيرًا»، بيد أنه توفي وهو في الثامنة من عمره.

وكان من أسباب التحاقه بالثورة، ضد الفرنسيين في الغوطة واشتراكه في معاركها، انتدابه من قبل اللجنة الثورية للقيام بمهمة وطنية، وهي تأمين إيصال المجاهد فوزي البكري إلى جبل الدروز، وبعد تنفيذ مهمته عاد إلى مركز عمله في الحراسة، فوشى به أحد الجواسيس للسلطات الفرنسية، وعلى الأثر حضر أحد ضباط الشرطة، وأبلغه لزوم مقابلة السيد «خليل رفعت» مدير الشرطة العام آنئذ بدمشق فرَفَض طلبه، ولما ألحّ عليه وأراد سَوْقه، أجابه بقسوة وهدّده، ثم توجّه إلى الغوطة والتحق فورًا بثوار الغوطة، فما كان من الفرنسيين إلا أن أحرقوا داره، وفي الوقت ذاته أصدروا قرارًا يتضمن إسقاط حقوقه المدنية.

اشترك الشهيد حسن الخراط بمعركة (الزور الأولى)، كما اشترك بمعركة (الزور الثانية) وجُرح فيها وقد أبلى فيها بلاء حسنًا، وبالرغم من جراحه البليغة، فلم يكد يشفى من جراحه، حتى توجه إلى (منطقة القلمون)، حيث قام بالاشتراك بمعركة النبك الأولى، ثم عاد إلى الغوطة.

ومن أبرز تحركاته القتالية الجريئة، أنه دخل مع فريق من المجاهدين إلى دمشق، واحتل بعض الأحياء، كما رابط مع إخوانه في حيّ (القصاع)(٤٤٦)، يحرسه تفاديًا لوقوع التعديات على سكانه النصارى، وبذلك قضى على مؤامرة الدسائس التي حاول الأعداء استغلالها عن طريق الطائفية(٤٤٧)،

(٤٤٦) القصاع: أحد أحياء دمشق القديمة، ويقع ضمن سور دمشق إلى الشرق، من جهة المسجد الأموي والباب الشرقي: «باب جيرون». وهو يحمل نفس الاسم منذ القديم وحتى اليوم.

(٤٤٧) في مذكرات الدكتور بشير العظمة كتب عن حسن الخراط يقول: هذه الثورة بدأت باضطراب الأمن ليلاً بادئ الأمر، بعد عصيان وتمرّد في جبل الدروز، ومعارك ضارية طُرد على أثرها الجيش الفرنسي من جميع قرى الجبل. وفي هذه الأثناء ظهر اسم «حسن الخراط» بصفته زعيمًا للثورة في الغوطة، هو وعصبته من الثوار.

التي يجب أن لا يكون لها وجود بين مواطنين يعيشون في وطن واحد.

قصته مع رمضان باشا شلاش:

سبق لرمضان باشا شلاش، أن أخذ يتجول مع أعوانه في الغوطة، ويقوم بحركات انفرادية - حيث نصّب نفسه زعيمًا للثورة - ثم التجأ إلى عشيرة الجملان، وما لبثت أن حلّقت طائرة فرنسية فوق مضارب هذه العشيرة، وقذفتها بالقنابل (بسببه)، فما كان منه إلا أن انتهز هذه الفرصة، واستاق بعض الإبل إلى قرية (زبدين)(٤٤٨) في الغوطة، ولما تطاول على رجل من أهلها، قام الشيخ محمد حجازي مفتي الثورة وإخوته، فأوثقوه ثم ترفقوا به وفكّوا رباط يديه، فسار معهم غير أنه تمكّن - على حين غفلة منهم - من امتطاء فرسه، وإطلاق الرصاص عليهم محاولاً الفرار، فلحق به سعيد حجازي شقيق مفتي الثورة، وأمسكه من الخلف وطوّقه بالحبال، ثم توجّه به إلى قرية (سقبا) إحدى قرى الغوطة - وكان فيها الشهيد حسن الخراط - وبعد التحقيق معه، عما قام به من أعمال تنافي أهداف الثورة والثوار، جرّدوه من وسامه الكبير الذي كان يضعه على صدره، فكان من نصيب حسن الخراط الذي حمله بدوره وراح يتباهى فيه أمام رفاقه، كما كان سيفه الثمين من نصيب الشيخ محمد حجازي، فيما أخذ محمود البرازي خنجره وقد باعه بمبلغ (١٦٠) ليرة ذهبية، في حين أخذ سعيد حجازي بندقيته، واحتفظ أخوه محمود بمسدسه، أما «رمضان باشا شلاش»(٤٤٩) فقد استطاع الهرب

ويذكر د.بشير العظمة في مذكراته: أن حسن الخراط كان بطلاً اسطوريًا، وأنّ ظهوره بعد معركة ميسلون، ثمّ بعد استفراد فرنسا بالشعب السوري، كان مفاجأة شبه كاملة للجماهير المطحونة المحبطة المذّلة والمهانة. وبعد عدّة أعمال بطولية قام بها في معركة المليحة، وإلحاقه خسائر فادحة بالجيش الفرنسي، بدأت التدابير الفرنسية الشرسة لمواجهة الشعب السوري، ولأن الثوار لم يتركوا دمشق، فقد قام جيش الاحتلال بقصف أحياء رئيسيّة من دمشق: في «سيدي عمود» – الحريقة اليوم – والميدان بصفة خاصة ولاسيما بعد معركة الزور الثانية، ومعركة النبك الكبرى، التي ألحق فيها «حسن الخراط» ورفاقه، أفدح الخسائر بالفرنسيين. ويشهد الجميع للمجاهد «حسن الخراط» ورفاقه بالانضباط الأخلاقي، إذ لم تحدث أي سرقات أو اعتداءات، على سكان الأحياء الشرقية من دمشق في «حارة اليهود» مثلاً.

(٤٤٨) زبدين: قرية في غوطة دمشق، وتتبع ناحية المليحة، وتبعد عنها ٣كم، في محافظة ريف دمشق.

(٤٤٩) رمضان باشا شلاش: مجاهد ينتمي لعشيرة «البوسرايا» من عشائر «دير الزور»، اشترك في الثورة العربية، ولكن زجّ به في السجن لتدخّله بشؤون تتعلق بالثورة العربية. هاجم مدينة «دير الزور» ودخلها حينما كان بها ضباط ارتباط إنجليزي، واشترك في معركة «تل عفر» المشهورة والتي كان بطلها القائد «جميل المدفعي». وقد اعتبره البعض قائدًا لثورة الفرات. بعد رحيل فيصل التجأ إلى الأردن وحاول إقناع الأمير عبد الله بتجهيز حملة لإثارة مدينة «دير الزور» ضد الفرنسيين، وحاول تجميع بعض الضباط لكنه أخفق في مسعاه. عندما التحق رمضان شلاش بالثورة السورية، كان طموحًا لأن يصبح «قائدًا» في الثورة، لكن «القيادة موهبة» وأمر يحتاج إلى الشجاعة والإقدام، وهذه ميزة كان يفتقدها رمضان باشا شلاش وهو يتمتع بصورة غير حسنة في دير الزور، وكان الأطفال يرددون أهزوجة يسخرون بها منه.

أثناء غارة إحدى الطائرات الحربية، وذلك بعد إلقائها القذائف الصاروخية على مواقع المجاهدين.

ومن أهم المعارك التي خاضها حسن الخراط غمارها، اشتراكه بمعركتي (يلدا وببيلا)، وقد ساهم معه من زعماء الثورة: نزيه المؤيد العظم، وعبد القادر آغا سكر، ومحمد عز الدين الحلبي، والشيخ ديب القديمي وغيرهم من الثوار، وذلك حينما زحفت قوة كبيرة من الجيش الفرنسي لتطويق المجاهدين في الغوطة، فخرج المجاهدون من يلدا، حيث اتخذوا من مجاري المياه والأقنية والأشجار الممتدة من بساتين يلدا القريبة حتى «البويضة»(٤٥٠) (متاريس) لهم، وما كادت الحملة الفرنسية المؤلفة من الفرسان والمشاة تظهر، حتى بادرها نزيه المؤيد العظم، برصاصة وجّهها إلى قائد الحملة فأصابت منه مقتلاً، ثم التحم المجاهدون مع الجنود الفرنسيين حتى ردّوهم على أعقابهم إلى حقول الزيتون والمشمش، غير أن الفرنسيين فتحوا نيرانهم الحامية على الثائرين، كما أن الطائرات الفرنسية التي حلقت فوق رؤوسهم ألقت قنابلها على مواقعهم، وفي ذات الوقت اشتدت وطأة المدفعية التي أخذت قنابلها مع الرشاشات تنصّب على المجاهدين الصامدين، الذين استطاعوا أن يطاردوا الحملة الفرنسية حتى المزة، وقد اشتركت حامية قلعتها في ضرب الثوار، كما تمكّن الفرنسيون المتواجدين على أسطحة مطحنة المهايني في الميدان، من مواصلة إلقاء قنابل المدفعية على المجاهدين، إلا أنها كانت تقع على مسافات بعيدة عنهم - وكان هذا من لطف المولى بهم - ولما سمع المجاهدون في قرى الغوطة أصوات القنابل هبّوا لنجدة إخوانهم الثوار، وفي مقدمتهم القائد محمد عزّ الدين بك الحلبي، والزعيم متعب الأطرش مع مجموعتهما من الثوار، واشتركا مع باقي ثوار الغوطة في صدّ هجوم الفرنسيين، كما هبت لنجدتهم جميع عصابات الغوطة، التي كانت تحت قيادة الشهيد القائد سعيد العاص، ومعه عبد القادر آغا سكر، وخير الدين اللبابيدي. كما هاجمت باقي العصابات الأعداء من عدة جهات، و صدّ المجاهدون تلك الحملة الكبيرة، فاضطر العدو للخروج من متاريسه، وفرّ مذعورًا لا يلوي على شيء، فتتبعه المجاهدون وفي مقدمتهم الشهيد حسن الخراط حتى ساحة الميدان من جهة (بساتين البيروتي وجمال الدين)، والقشلة (العزيزية) الواقعة بالقرب من

(٤٥٠) البويضة: قرية في غوطة دمشق، وتبعد عنها ١٣كم، وتتبعها مزرعة «حوش صهيا»، وفيها ضريح الملك الأمجد. وكانت تشرب من نهر صهيا حتى بداية الستينات من القرن العشرين، بعد أن نضب نبع ماء صهيا. وكان ينبع من تلة تسمى المدار ويحتوي على بئر تستخرج منه المياه.

القدم، ثم التحموا مع الأعداء بالسلاح الأبيض داخل مقبرة البوابة بحي الميدان(٤٥١)، بعد ذلك هاجم الشيخ ديب القديمي وإخوانه مؤخرة حملة العدو، فهرب الأعداء إلى ثكناتهم يسيطر عليهم الخوف والذعر والفوضى.

وقد أبلى في هذه المعركة المرحوم عبد القادر آغا سكر، الذي كان يتقدم الصفوف شاهرًا بندقيته، ومعه حسن الخراط والشيخ محمد الأشمر، حتى وصلوا إلى (بوابة الله) - حي الميدان - (قرب القدم) وقد أصيب بعضهم بجراح، كما استُشهد في هذه المعركة ستة عشر شهيدًا، من مجاهدي دمشق والغوطة ودروز الجبل.

وغنم المجاهدون في هذه المعركة زهاء مئة بندقية، وستة عشر رشاشًا وعشرة صناديق من الذخيرة، وقد خسر الفرنسيون المئات من القتلى والجرحى بين محطة الحجاز(٤٥٢) ويلدا، مما اضطرهم لطلب الهدنة، وقد استطاعوا خلالها من نقل قتلاهم على الطنابر وبأجور باهظة، وقد انهارت مقاومة الأعداء المعنوية - على أثر انتصار المجاهدين الكبير في تلك المعركة المشهورة - حيث تحصّنوا في ثكناتهم، كما حصّنوا مداخل المدينة، ووضعوا فيها حاميات من الدرك والشرطة، وامتنعوا عن الخروج إلى الغوطة في ذلك الوقت فترة طويلة من الزمن.

هذا نموذج من المعارك الكثيرة التي خاضها المجاهد حسن الخراط مع إخوانه من مجاهدي الغوطة ودمشق.

---

(٤٥١) حي الميدان به ثلاث مقابر: البوابة والحقلة والجورة وأكبرها مقبرة البوابة التي تنقسم إلى قسمين الجنوبي والشمالي. والقسم الشمالي يضم ضريح العلامة الشيخ حسين الخطاب الشريف.

(٤٥٢) محطة الحجاز: اهتم الأتراك في أواخر عهدهم بالمواصلات، فشرعوا بإنشاء الخط الحديدي عام ١٩٠٠م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، أيام الوالي حسين ناظم باشا، ليصل دمشق ببيروت وحوران والحجاز، مرورًا بمدينة حيفا، وأنشئت «محطة الحجاز» التي لا تزال تحمل نفس الاسم حتى اليوم. وكان قد تمّ تمديد خط دمشق - بيروت مرورًا بسرغايا ورياق بطول ١٠٤كم عام ١٨٩٥م.وهي فكرة الدكتور الألماني الأمريكي الأصل (زاميل)وكان قد طرح فكرته عام ١٨٦٤م بمد خط حديدي بين دمشق وساحل البحر ردا على حفر قناة السويس.

- وقد انتهت المرحلة الأولى من خط دمشق - وحتى درعا عام ١٩٠٣م (١٢٣كم).
- ومن مدينة درعا - وحتى عمان انتهت أواخر عام ١٩٠٣م (٢١١كم).
- ومن عمان - وحتى مدينة معان انتهت أواخر عام ١٩٠٤م (١١٠كم).
- ومن عمان - وحتى تبوك انتهت عام ١٩٠٦م.
- ومن تبوك - وحتى مدائن صالح انتهت عام ١٩٠٧م.
- ومن مدائن صالح - وحتى المدينة المنورة انتهت في ٢٢ آب ١٩٠٨م.

وقد شارك في العمل ستة آلاف مجند تركي و٤٣مهندساً، تعرّضوا للأجواء الصحراوية القاسية، والفيضانات التي كانت تجرف التربة في فصل الشتاء، ووباء الكوليرا وهجمات قبائل بدو الصحراء.

استشهاد البطل حسن الخراط:

خلال معركة (بستان الذهبي)، أغار حسن الخراط والشيخ محمد حجازي، وفريق من المجاهدين في حي (باب السريجة) على مخافر دمشق، وأسروا مفوّض مخفر الشرطة (عمر الكوش) والشرطي (عارف الحمصي)، وأحضروهما إلى مقر حسن الخراط، والشيخ محمد حجازي، غير أن أهل أسرة المفوّض والشرطي استرحموا المجاهد حسن الخراط وآل حجازي الكيلاني بإطلاق سراحهما، فقرر الثوار إطلاق سراحهما رحمة بأسرتيهما وأطفالهما، وقام المجاهدون وفي مقدمتهم حسن الخراط ومفتي الثورة بإيصال المفوض والشرطي إلى حدود المدينة. وفي أثناء ذلك علموا بأن في (بستان الذهبي) - القريب من مقبرة اليهود - قوة كبيرة من الفرنسيين، فتقدم المجاهدون نحو البستان فوجدوا الجنود يقطعون الأشجار فأطلقوا عليهم نارًا حامية، وعلى أثر ذلك جرى تبادل إطلاق الرصاص، ثم جاءت قوة أخرى من سلاح فرسان العدو المرابطة في موقع المعمل، فطوّقت المجاهدين في البستان حتى لم يبق لهم أي منفذ يخرجون منه إلا من جهة الباب، وقد رابطت فيه قوة من فرسان العدو، وفي أثناء الالتحام بين الفريقين أصيب حسن الخراط - الذي كان يتقدم الصفوف - برصاصة في صدره فوقع مضرجًا بدمائه الطاهرة على الثرى، واستمات المجاهدون في القتال، وكان عددهم ٢٩ مجاهدًا، فهجموا على الفرنسيين واقتحموا باب البستان، قبل أن تصل للعدو النجدات التي تعززها المصفحات، وقد تمكنوا من حمل حسن الخراط على أحد الجياد، وبعد أن خرجت روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية، عاد المجاهدون به إلى قرية ببيلا حيث ألحد الثرى بثيابه، وكان ذلك في اليوم الأول من جمادى الثاني عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٦ كانون الأول سنة ١٩٢٥م.

ثم نَقَل رفاقه المجاهدون رُفاته إلى مقبرة الشاغور، بعد انتهاء الثورة، إذ قام أهل حيَّ (الشاغور) بنقل رفات البطل حسن الخراط إلى مقبرة حيّهم، وقد خصصت الحكومة السورية بعد الاستقلال راتبًا شهريًا لزوجته الثانية - حيث كانت زوجته الأولى قد طُلّقت في حياته.

ومما هو جدير بالذكر، أن مجموعة من ثوار الشهيد حسن الخراط، كانت قد اشتركت في معركة (قصر العظم)، حيث كان «الجنرال ساراي» يقوم بزيارته، فقام فريق من دروز جرمانا، وحي الشاغور بقيادة سليمان كليب وحسن المقبّعة، وهما من ثوار (حسن الخراط)، و حاصروا القصر المحصّن بالأسلاك الشائكة، وقد نصب العدو المدافع الرشاشة على بواباته، وعلى سطحه والأسطح المجاورة له، مع إحاطته بالدبابات والمصفحات. وأشاع الثوار أن الجنرال «ساراي» هرب

بدبابة فرنسية متخفيًا بزي النساء، حتى لا يكتشف الثوار أمره فيقتلوه أو يختطفوه، ثم سافر بعدها إلى بيروت، واعتزل الحياة السياسية.

رحم الله البطل حسن الخراط، فقد كان الدكتور الشهبندر معجبًا ببسالته وجرأته، حتى أنه كتب عنه في مذكراته(٤٥٣)، ذاكرًا سيرته مبديًا إعجابه.



●●● وأنا أقول...

هل حقق هذا الكيان الصهيوني المارق الغاصب، الأمن الذي ينشده لنفسه؟ وهل سيستمر في المراوغة والتهرّب، من أي استحقاق سياسي ويبقى يدور في حلقة مفرغة إلى الأبد؟

إنَّ مبادئ القانون الدولي، والشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة يقضي بأنَّ الحروب العدوانية تعدُّ من أفظع الجرائم ضد السلام وضد الإنسانية، ويحرّم ميثاق الأمم المتحدة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد استقلال وسيادة وحرمة أراضي الدولة المُعتدى عليها، ولا يعترف بشرعية الآثار التي تترتب عليها.

كما تقضي مبادئ القانون الدولي بوجوب انسحاب القوات المعتدية، من جميع الأراضي التي احتلتها، ومعاقبة الدولة التي أشعلت الحرب «على حربها العدوانية»، وإلزامها بدفع التعويضات عن الخسائر البشرية والمادية والنفسية التي سببتها الحرب.

والدولة الصهيونية المغتصبة، صاحبة أكبر رقم قياسي العالمي، في الخروج على الشرعية الدولية، وقرارات مجلس الأمن الدولي، والأمم المتحدة، والمنظمات الدولية.

وأميركا وإداراتها «المتصهينة»، حمت الدولة الإسرائيلية من العقاب، ووفرت لها المناخ المناسب للاستمرار في عدوانيتها، ومنعت إيقاع العقوبات الرادعة عليها، فمهدت للدولة المغتصبة الطريق، لضرب القرارات الدولية عرض

(٤٥٣) في مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر (إصدار دار الجزيرة). يقول الشهبندر في مذكراته في الصفحة ٦٢: رأيت حسن الخرّاط لأول مرّة في هذه الثورة، في قرية (أم ضبيب) من قرى جبل الدروز، في أوائل شهر أيلول سنة ١٩٢٥م. وهو رجل ربعه في نحو الخمسين من العمر، بوجه مستطيل وجبهة بارزة وعينين شهلاوين يشتعلان ذكاء، ورأس أصلع، وقد خط الشيب شاربيه ورأسه، والخفّة ظاهرة كل الظهور في حركاته، ولعلّ ذلك ناشئ من تمرّنه على ضرب العصي (الشوم)، وهو يعتمّ بالعمّة الأغباني، ويلبس القمباز وفوقه العباءة، وكان أميًا لم يفسد التعليم المدرسي غرائزه الطبيعيّة. صرف شطرًا من حياته يعمل حارسًا في الأسواق، وناطورًا في البساتين. ولا شكّ أن الباعث الأكبر لالتحاقه بالثورة هو الوطنية الصحيحة.

الحائط، ورفضها تنفيذها وازدراء قراراتها، واستخدمت حق النقض «الفيتو»، في ازدواجية فظّة للمعايير، لحماية الدولة المعتدية.

ولم تتمرد دولة على القرارات الدولية، متحدية القانون الدولي، ومبادئ حقوق الإنسان، كما الكيان الصهيوني فهو لم يلتزم بأي قرار، سوى قرار واحد متواطئ، أقرّ إنشاء كيان مغتصب، على أرض لشعب آخر، لا تزال آثاره الكارثية تتفاقم يومًا بعد يوم فهذا «الكيان السرطاني» يحتل أراضي الآخرين، وينتزع أصحابها من وطنهم، في حملة تهجير وإبادة منظمة.

• وقد أدانت منظمة الأمم المتحدة في العشرين من تشرين الأول عام ٢٠٠٣م، عمليات بناء جدار الفصل العنصري التي تقوم بها إسرائيل منذ عام ٢٠٠٢م، بنسبة ١٤٤ صوتًا من أصل ١٦٦.

• وفي التاسع من تموز ٢٠٠٤م، أدانت المحكمة الدولية، بأغلبية أربعة عشر صوتًا مقابل صوت واحد، وهو صوت الولايات المتحدة الأميركية، عدم شرعية هذا الجدار، ومخالفته للقانون الدولي، كما قضت بهدم ما تمّ بناؤه من الجدار، وتعويض الفلسطينيين المتضررين، طيلة هذه السنوات.

• وفي العشرين من حزيران ٢٠٠٥م، صوّت مجلس الأمن الدولي، وبأغلبية ساحقة « ١٥٠ صوتًا من أصل ١٦٦ » وأقرّ بأن على إسرائيل تنفيذ حكم محكمة العدل الدولية، القاضي بهدم الجدار، والتعويض على الفلسطينيين. كما دعت منظمات «المجتمع الدولي»، إلى التوقّف عن مساندة «إسرائيل» حتى تلتزم بتنفيذ هذه «القرارات».

• كما قضت قرارات مجلس الأمن الدولي، رقم (٤٦٥ و٤٧٦ و٤٧٨) عام ١٩٨٠م، ببطلان القوانين الإسرائيلية، التي تعتبر مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة الصهيونية. وأَنَّ كل التدابير والإجراءات الإدارية والاستيطانية، الرامية إلى تغيير الوضع القانوني للمدينة المقدسة، تعتبر باطلة ومخالفة للمعاهدات الدولية.

وتنص أحكام «لاهاي» لعام ١٩٠٧م، على أن «الدولة المحتلة» تعتبر «مشرفًا» في البلد المحتل، وأن ممتلكاتها تعامل معاملة الممتلكات الخاصة.

وتحظر معاهدة جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م، ضمّ أراضٍ محتلة، وتدمير أي عقارات أو أملاك شخصية.

وتتهاوى كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، تحت سطوة الإرهاب الإسرائيلي، وطغيان القوة. وفي غياب العدالة الدولية، تقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلية، بتهويد المدينة المقدسة، بتطويقها بسور من الاستيطان، لعزل مدينة القدس عن الضفة الغربية، وتقطيع أوصال ما تبقّى

من الأراضي المقدّسة، ببناء جدار الفصل العنصري.

وهناك قرارات كثيرة صدرت عن الأمم المتحدة، لم تنفّذ منها «إسرائيل» قرارًا واحدًا وتستمر في محاولاتِ الإنكار والتمييع والتغييب.

● فقد طُرد الفلسطينيون، وأُبعدوا عن أرضهم العربية عام ١٩٤٨م، بعد قيام الكيان الإسرائيلي، على جزء من أرض فلسطين. وصدر قرار التقسيم، عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) عام ١٩٤٧م.

● كما صدر قرار رقم «١٩٤» عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، يقرّ بحقّ اللاجئين العرب الفلسطينيين، العودة إلى ديارهم وأملاكهم.

● واعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في قرارها رقم (٢٥٣٥) عام ١٩٦٩م، وقرارها رقم (٢٦٧٢) عام ١٩٧٠م، بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

● وفي القرار رقم (٣٢٣٦) عام ١٩٧٤م، تحدثت الأمم المتحدة، عن حق الشعب الفلسطيني، في مباشرة كل مظاهر الاستقلال والسيادة على أراضيه المحتلة.

● وفي تموز ١٩٨٠م، عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة استثنائية، أكدت فيها حق الشعب الفلسطيني، في إقامة دولته المستقلة ذات السيادة فوق ترابه الوطني.

● وفي الخامس عشر من كانون الأول ١٩٨٨م، عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، جلسة استثنائية خاصة، وأصدرت قرارًا يحمل الرقم (١٧٧/٤٣) اعترفت فيه بـ«دولة فلسطين».

فمتى يطلب «المجتمع الدولي» الذي تتحدث أميركا المتصهينة باسمه بأن تقوم إسرائيل بتنفيذ قرارات «الشرعية الدولية» كما يطالبون غيرها من الدول.

● هذا وينص القرار رقم (١٩٤): «تقرّ الجمعية العامة للأمم المتحدة، وجوب السماح للاجئين الراغبين بالعودة إلى ديارهم، والعيش بسلام مع جيرانهم، وأن يُمكّنوا من القيام بذلك في (أقرب) وقت ممكن».

وحق العودة لأي إنسان إلى وطنه هو حق مشروع، مُعترف به في القانون الدولي، وليس موضوع جدال أو نزاع

ويقضي بالضرورة إعادة أملاكه، واستعادة مواطنته.

وقد مارست المنظمات الصهيونية المسلحة، سياسة طرد الفلسطينيين وتهجيرهم، لإخلاء المناطق التي سيطرت عليها من السكان العرب الأصليين. كما اعتمدت هذه المنظمات الإرهابية، سياسة العنف، والبطش والإرهاب

والترويع، للتخلص من الفلسطينيين.

ومشكلة اللاجئين ناشئة عن إنكار حقوقهم، إذ ترفض إسرائيل – الدولة المغتصبة - أن تعترف بمسؤوليتها عن نشوء قضية اللاجئين، حتى لا تتحمل المسؤولية أمام «المجتمع الدولي». «تمامًا كما اعترفت ألمانيا عن مسؤوليتها في الحرب العالمية الثانية».

وتُنكر إسرائيل حق العودة لأهل فلسطين، باعتبار أن عودة جماعية للاجئين العرب هي قنبلة بشرية، وتشكّل خطرًا أمنيًا على كيان إسرائيل «العنصري» ومن شأنه أن يدمّر دولتها «الهشّة» من الداخل لذا أنكرت مسؤوليتها، عن طرد وتهجير الفلسطينيين.

لكن السؤال الذي لم تسأله لنفسها، وبقي دون إجابة: إذا لم تكن «إسرائيل» هي المسؤولة فمن المسؤول إذن عن تشريد شعب فلسطين؟!

● وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في العاشر من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٧٥م، بأكثرية ٧٢ صوتًا مقابل ٣٥ صوتًا، وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت، قرارًا تاريخيًا أدانت فيه «الصهيونية»، واعتبرتها «شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري».

● وقد أُرغمت الجمعية العام للأمم المتحدة، على التراجع الذليل، عن قرارها رقم (٣٣٧٩) الذي وَصَم الصهيونية «بالعنصرية».

ذلك لأن كل «القرارات» مرتهنة «بالمتصهينين». فلولا هذه التغطية الإعلامية، والدعم اللامحدود من «المتصهينين» في أميركا، ما استطاعت «إسرائيل» مجابهة العالم. وهي الدولة المغتصبة المارقة.

● كما يقضي القرار رقم (٢٤٢)، الذي اتخذه مجلس الأمن الدولي، عقب عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧م: «عدم احتلال أراضي الغير بالقوة، وانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها».

● وهناك قرار من محكمة العدل الدولية، بعدم شرعية جدار الفصل العنصري.

ولكن هل نفّذت «إسرائيل» أيٍّ من هذه القرارات أو غيرها؟

لماذا لا يصرّ «المجتمع الدولي»، والأمم المتحدة، ومجلس الأمن وأميركا التي يحكمها «المتصهينون»، على إلزام إسرائيل بالشرعيّة؟!

هل «الشرعية الدولية» لا تُطبّق إلا على العرب وحدهم؟

ألا فليعلموا أن العنف لا يجرّ إلا العنف، والدماء لا تجرّ إلا الدماء.

● وإمعانًا في الانحياز لإسرائيل قامر «المتصهينون» في أمريكا بتزويد القوات الإسرائيلية، بأحدث القنابل من طراز (جي-بي-يو٢٨) - خارقة التحصينات

في باطن الأرض - التي تصنعها شركة «لوكهيد مارتن كورب» من أجل «نشر الديمقراطية والحرية والإصلاح في أرض العرب.».
ثم يسألون بكل بلاهة «لماذا يكرهوننا»؟!

❖❖❖

ولم يألُ أهل فلسطين جهدًا، في الدفاع عن وطنهم.

● ففي عام ١٩٢٩م قامت «ثورة البراق» واستُشهد ١١٦ وجرح ٢٣٢ وقتل من اليهود ١٣٣ وجرح ٣٦٩.

● وفي عام ١٩٣٠م قامت مجموعة «الكف الأخضر» بثورتها، وألقى القبض في يناير على زعيمها أحمد طافش.

● وفي عام ١٩٣٥م قامت (الثورة القسّامية)، واستُشهد زعيمها القائد البطل عز الدين القسام في ٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني.

● وفي عام ١٩٣٧م قامت ثورة (فرحان السعدي)، وقَتَل المجاهدون حاكم الجليل البريطاني (اندروز) في ١٩٣٧/٩/٢٦م، فأعدم المحتلون زعيم الثورة الشيخ فرحان السعدي في ١٩٣٧/١١/٢٢م.

● وفي عام ١٩٣٩م، قام رفاق السعدي بثورة قادها المناضل الفلسطيني عبد القادر الحسيني. وعبد الرحيم الحاج محمد.

● وفي عام ١٩٤٦م(٤٥٤) قام أهل فلسطين بإضرابهم المشهور في شهر شباط / فبراير، بعد أن أرسل (ترومان) مئة ألف مهاجر يهودي لفلسطين.

● وفي سنة ١٩٤٧م كان قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر / تشرين الثاني.

● ثم كان إعلان دولة إسرائيل في ١٤ مايو / أيار سنة ١٩٤٨م.

● في سنة ١٩٦٧م كانت حرب حزيران / يونيو.

● وفي عام ١٩٧٣م كانت حرب العاشر من رمضان.

● وفي عام ١٩٧٦م (٣٠ مارس / آذار) كانت (الانتفاضة الأولى) بسبب مصادرة ٢١ ألف دونم من أراض عرابة وسخنين ودير حنا وعرب السواعد.

● في عام ١٩٨٧م (الثامن من ديسمبر / كانون الأول) اندلعت (ثورة الحجارة) بسبب دهس أربعة عمال فلسطينيين.

● وفي سنة ١٩٩٣م (١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٣م) كانت مفاوضات

(٤٥٤) استخدَم القرآن الكريم كلمة «العام» في مجال ومكان «الخير»، كما استخدم «السَنَة» في مكان ومجال «الشر». قال تعالى في سورة [يوسف: ٤٦] على لسان سيدنا يوسُف عليه السلام: [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِه إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ] صدق الله العظيم.

«أوسلو»(٤٥٥)! بين منظمة التحرير الفلسطينية والسلطات الإسرائيلية.

● وفي عام ١٩٩٦م (٢٤ سبتمبر / أيلول) كانت (انتفاضة الأقصى) الأولى، بعد فتح نفق تحت المسجد الأقصى، واستُشهد (٦٢) فلسطينيًا وجرح ١٦٠٠مواطناً .

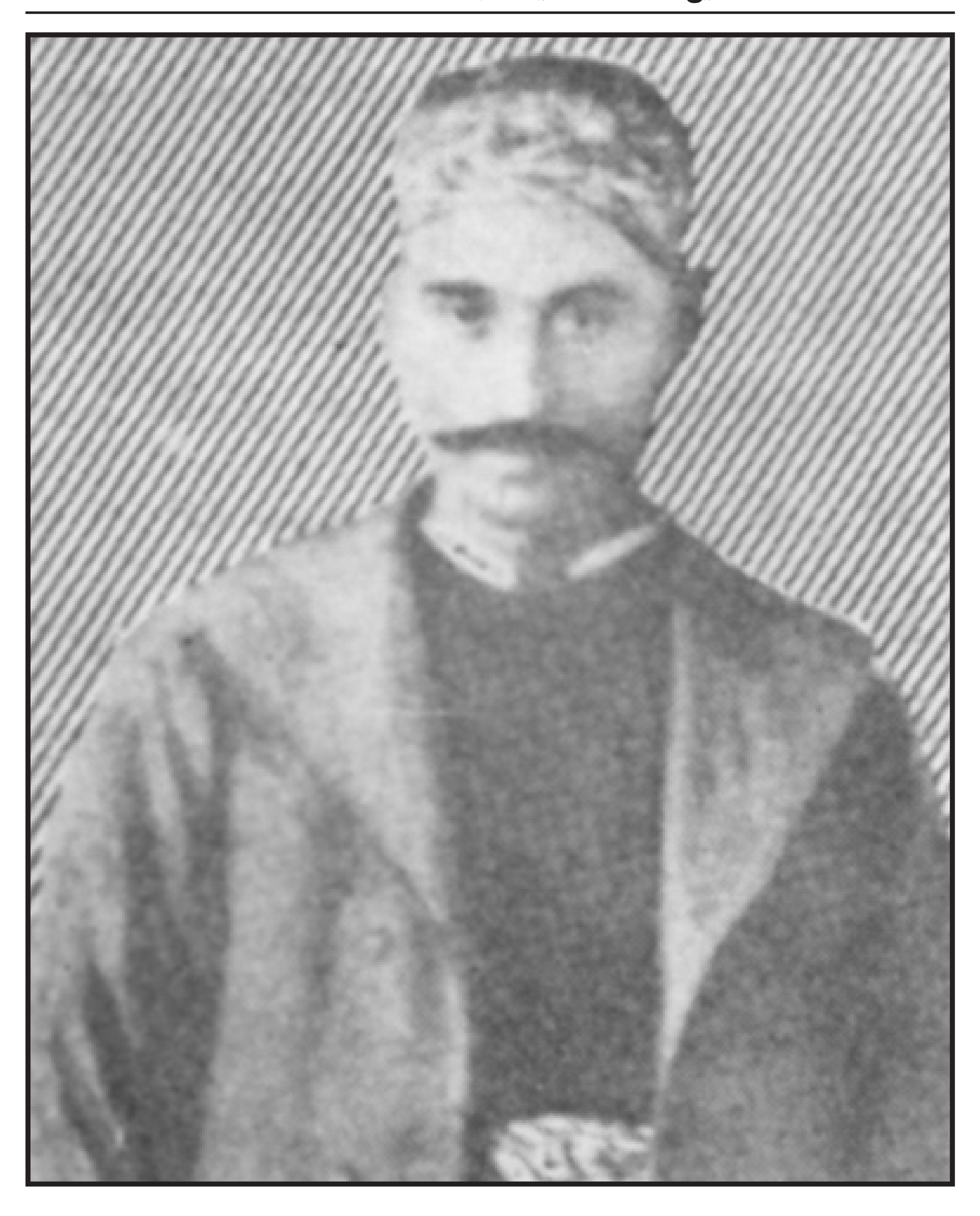
● وفي عام ٢٠٠٠م (٢٨ أيلول / سبتمبر) كانت (انتفاضة الأقصى) الثانية المستمرة، بسبب زيارة شارون الاستفزازية لساحة المسجد الأقصى وتدنيسه أرضه. ولاتزال الإنتفاضة مستمرة حتى هذا اليوم .

● وفي عام ٢٠٠٦م (١٢ تموز/يوليو) كانت حرب الكيان الصهيوني مع المقاومة اللبنانية واستمرت ٣٣ يومًا، وأنتهت بإنتصار معجز للمقاومة.



بشير العظمه

(٤٥٥) أوسلو: عاصمة النرويج، وكبرى موانئها ومدنها الصناعية، تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد أنشأها الملك «هارولد الثالث» عام ١٠٥٠م، واسمها القديم «كريستيانيا»، وعدد سكانها نصف مليون نسمة. استضافت مؤتمرًا ضم العرب واليهود في أراضيها.



الشهيد حسن الخراط - زعيم ثوار الشاغور



الجيش الفرنسي في شوارع دمشق



الجيش الفرنسي في شوارع دمشق



كاترو مع الشيخ تاج عام ١٩٣٠ م

شهيد الواجب والإخلاص

القائد محمد سعيد العاص

(١٨٨٩-١٩٣٦م)

عندما تُشرق الروح بحب الوطن، تجري جداول رقراقة عذبة في الشرايين، لتتفتح الحواس ورودًا ورياحين، حاملة عَبَق التاريخ، وسير الأبطال الغرّ الميامين.

وسورية أنجبت عبر تاريخها الطويل وما زالت، مئات الأُلوف من هؤلاء العظماء الذين سطّروا ملاحم البطولة والفداء، وكتبوا بدمائهم الطاهرة تاريخ العشق للوطن.

إنه سعيد العاص تمثال الوطنية الصادقة، والرمز الأسمى في التضحية، هذا الشهيد سعيد العاص، الذي قارع الاستعمار طيلة حياته، وكأن الدهر والقَدَرَ كَتَبَ عليه أن لا يهنأ في حياته ولو مدة قصيرة. ففي العهدين التركي والفرنسي، كان في طليعة المجاهدين، الذين نذروا دماءهم الطاهرة للذود عن حياض الوطن، والاستبسال في سبيل حريته واستقلاله، حتى أصبح مضرب الأمثال بالوفاء لقوميته العربية، والدفاع عن عقيدته الإسلامية، بكل شمم وإباء، صابرًا على ما أصاب أسرته – خلال جهاده – من البؤس والفاقة والشقاء.

ولد محمد سعيد العاص عام ١٨٨٩م في مدينة أبي الفداء حماة[٤٥٦]، تلك المدينة الخالدة بتقاليدها القومية التي لها صلة بماضيها العربي المجيد، وهو من أسرة (شهاب) المشهورة، وترعرع على ضفاف نهر العاصي بين خمائله الخلاّبة، وأنين نواعيره التي تحمل عبق التاريخ.

تلقّى سعيد العاص دراسته الابتدائية في حماة، ثم انتقل إلى دمشق حيث أكمل دراسته في المدرسة «الرشدية»، التي تؤهل طلابها للدراسة العسكرية،

(٤٥٦) حماة مدينة المؤرخ «أبي الفداء» حكم حماة (١٣١٠-١٣٣١م): محافظة حماة تتوسط القطر السوري، وتمتد ما بين الجبال الساحلية غربًا، وأطراف البادية شرقًا تجاورها محافظة حمص من الشرق والجنوب، وإدلب من الشمال، والرقة من الشرق، واللاذقية وطرطوس من الغرب، وتضم خمس مناطق هي: مصياف، والسلمية، والغاب، ومحردة، وتتبعها ٤٤٢ قرية. تشتهر بنواعيرها على نهر العاصي – الذي يشطرها إلى شطرين – وبمسجد «أبي الفداء» الذي بناه الملك الأيوبي عماد الدين إسماعيل في القرن الثامن الهجري، وتبعد مدينة حماة عن دمشق ٢٠٩كم، وعن حمص ٤٧كم، وعن حلب ١٤٣كم، وترتفع عن سطح البحر ٢٧٠ مترًا. دخلت في الفتح الإسلامي على يد الصحابي الجليل «أبو عبيدة عامر بن الجراح» عام ١٨هـ.

والإعداد العسكري، ثم تخرّج برتبة ملازم من الكلية الحربية في الآستانة سنة ١٩٠٧م، وعيّن بدمشق في مراكز عسكرية شتى.

وفي سنة ١٩٠٨م دخل بعد إجراء اختبار سبر المعلومات، في مدرسة الأركان الحربية، وفي سنة ١٩١٠م أُبعد من المدرسة الحربية لأسباب سياسية، ثم دخل مدرسة تدريب الرماة، وأتمّ فيها دورة تعليمية مكثّفة، ثم سافر مع فرقته العسكرية إلى ألبانيا، واشترك بحروب عصابات الألبان. وفي سنة ١٩١١م خاض مع جيش الأتراك أعنف المعارك الحربية، ضد جيش حكومة (الجبل الأسود)، كما اشترك في معارك البلقان في موقع (سر كوبري: أي رأس الجسر).

وفي تلك الفترة كانت التنظيمات العربية قد بدأت نضالها ضد تسلط الأتراك فانتسب العاص إلى (حزب العهد العسكري)[٤٥٧] وبدأ ينشر مقالاته الوطنية «بتوقيع مستعار».

وعلى أثر زحف الجيش العثماني إلى (أدرنة)[٤٥٨]، عُيّن سعيد العاص قائدًا لمنطقة حدود (طونجة)، وفي عام ١٩١٣م عين مأمورًا في المهمات الحربية بدمشق. ويومذاك اشترك مع ياسين باشا الهاشمي وبعض قادة وضباط «حزب العهد» أمثال صديقي القائد عارف التوّام، والقائد شريف الحجّار وغيرهما من الضباط للقيام بالحركة الإصلاحية، ثم ما لبث أن قُذف بـ«صاحب الترجمة» ورفاقه إلى الميدان العسكري في معركة (جناق قلعة)[٤٥٩] لتشتيت شملهم.

اتهمته السلطات الحاكمة العثمانية، بانتسابه إلى الجمعيات العربية، فجيء به من ميدان القتال إلى الديوان العرفي في مدينة عالية، وذلك في أوائل الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤م، حيث حكم عليه بالإعدام، ثم

---

(٤٥٧) حزب العهد العسكري: ضمّ كبار الضباط العرب في الجيش التركي، كما ضمَّ عددًا من الضباط القوميين «أسرى حروب» في المعتقلات بمصر والهند، ومنهم نوري السعيد ومولود مخلص، وعدد من الضباط العراقيين والسوريين، بينهم عارف التوّام ورشيد بقدونس.

ويُعتبر «عزيز علي المصري»، من كبار ضباط «حزب العهد العسكري»، وكان قد انضم للثورة العربية في أيلول ١٩١٦م، ليتولى إدارة العمليات الحربية العربية، لكنه اختلف مع الشريف حسين بن علي «أمير مكة»، فتخلّى عن القيادة بعد ثلاثة أشهر، وخلفه فيها «جعفر باشا العسكري».

(٤٥٨) أدرنة: مدينة في تركيا الأوروبية، أعاد بناءها الإمبراطور الروماني «هادريان» عام ١٢٥م، ووهي عاصمة ولاية «أدرنة». وفيها أبرمت معاهدة بين تركيا وروسيا في (١٤ سبتمبر / أيلول ١٨٢٩م)وضعت حدًا للحرب الروسية التركية، بموجبها بسطت روسيا سيطرتها على الساحل الشمالي الشرقي من البحر الأسود، وعلى «مولدافيا وولاشيا»، واعترفت تركيا باستقلال اليونان.

(٤٥٩) جناق قلعة: قلعة توجد على مضيق الدردنيل، ومُلك للدولة العثمانية. دُعيت بـ(القلعة السلطانية) أو (ضياق القلعة)، وتتحكّم بالمضيق بحكم موقعها الاستراتيجي.

أُبدل ذلك الحكم بالحبس في قلعة حلب، بعد نقله من سجن عالية حيث قضى فيه ما يقارب النصف عام.

ثم نُفي إلى بلدة (جوّروم) و(ارضروم)، وفي عام ١٩١٨م هرب وعاد إلى وطنه، وذلك بعد دخول الأمير فيصل بن الحسين حلب.

وقد تولّى سعيد العاص في العهد الفيصلي، الشعبة الثالثة بدائرة الشورى الحربية، ثم نقل إلى منطقة الزبداني، ومنها لمفتشية التجنيد العامة، وفي أثنائها حدثت معارك بعلبك المعروفة، فاشترك بها، ثم اشترك في قتال الفرنسيين في منطقة جسر الشغور، وجبل صهيون، وجبل الأكراد، وبعد رحيل الملك فيصل بن الحسين ومغادرته سورية، اشتبك مع قوى الجيش الفرنسي في الشمال فدحرهم حتى قرى (جبل صهيون) في قضاء (اللاذقية)[٤٦٠]، وبعد نفاد عتاده ذهب لمنطقة (الشيخ صالح العلي) - قائد ثورة جبال العلويين - واشترك معه في معاركه الأخيرة أمام أبواب: (العمرانية).

وأقام العاص في حماة متخفيًا متنكرًا، بينما كانت السلطات الفرنسية تبثّ العيون عليه، حتى تمكنت من القبض عليه، وزجّته في السجن مدة شهرين. علمًا بأنه كان في أثناء اختفائه، يحاول الالتحاق بثورة الزعيم إبراهيم هنانو.

وبعد أن تمكّن من الفرار مع بعض إخوانه من السجن توجّه إلى الأردن، وذلك في عهد حكومة «رشيد باشا طليع»، حيث عُيّن في سنة ١٩٢١م قائدًا للسرية الاحتياطية، ثم أمينًا للسر في دائرة الأمن العام، فقائدًا لمفرزة «كاف»، ثم وكيلاً لمدير التعليم العام، فمديرًا عامًا لشرطة عمان.

خدماته في الحجاز:

ولما اندلعت نيران الحرب بين الهاشميين والوهابيين في الحجاز ما بين عامي ١٩٢٣م/١٩٢٤م، تطوّع العاص مع بعض رفاقه من الضباط السوريين (أمثال

(٤٦٠) اللاذقية: عروس الساحل السوري، ونجمة البحر يُزيّنها البحر بشاطئه الذهبي. سميت «راميتا» وهو أقدم اسم عُرفت به. كانت تتبع لمملكة «أوغاريت» في العصر السلوقي، وحملت اسم «لاوذكية» تيمنًا باسم والدة «سلوقس نيكاتور» في العصر البيزنطي. أعاد إعمارها الإمبراطور «جوستنيان» بعد زلزال عام ٥٢٩م، وتبعت لجند حمص إبان الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م. وقد احتلها الصليبيون عام ١١٠٨م، وحرّرها صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٨م. ولما أعاد الصليبيون احتلالها حرّرها الأمير حسام الدين طرنطاي عام ١٢٨٧م. تبعد عن دمشق ٣٤٨كم. وفيها قلعة صلاح الدين، والحمامات والخانات وأبراج الميناء، وكنيسة «مارجوس الحبشي» ٢٧٥م، ومتاحف ومساجد ومراكز ثقافية، وفنادق ومنتجعات (وشاليهات) تتوضع على طول الشاطئ، كما بُنيت فيها ملاعب رياضية (لدورة المتوسط)، وجامعات (كجامعة تشرين عام ١٩٨٧م). تصلها بدمشق سكة حديد، وكذلك بحمص وطرطوس وحلب والجزيرة. وفيها مطار حديث «مطار الباسل» في «حميميم». وتتميز بريفها الساحر، وجبالها الشاهقة الخضراء، فيتمتع الزائر بالبحر والسهل والجبل معًا.

الشهيد شوكت العائدي، والقائمقام العسكري تحسين باشا الفقير، وحسين المدفعي، وعبد الكريم المدفعي) في الجيش الهاشمي في جدة، (وبعد أن تنازل أمير مكة[٤٦١] الملك حسين بن علي لولي عهده وابنه الملك علي) عُيّن قائدًا للواء النصر، وقائدًا لخط دفاع جدة المشهور. وثبت في موقعه تسعة أشهر، بقوة ضئيلة لا يتجاوز عددها الألف مقاتل، أمام جيش لا يقل عن ثلاثين ألفًا من النجديين، حيث تمكن من صدّ هجومهم، ودحرهم أمام خطوط الدفاع.

وفي تلك السنة عاد مستشار الملك فيصل الدكتور ناجي الأصيل من لندن، لاطلاع الحسين بن عليّ عن نتيجة مفاوضاته مع الحكومة البريطانية - التي طلبت من شريف مكة التخلي عن فلسطين، على أن يبقى ملكًا على الحجاز والأقطار العربية، وينوب عنه أولاده في العراق وسورية «عدا لبنان»، فرفض بكل شمم وإباء - هذا وقد عدت إلى سورية مع لفيف من الضباط السوريين وفي مقدمتهم «صاحب الترجمة» الذي طلب منه أن يعين برتبة زعيم في مدينتي العقبة ومعان، لكنه رفض وآثر الالتحاق بالثورة السورية، وانضم إلينا القائد الشهيد شوكت العائدي، وحسين باشا المدفعي، وشكيب وهاب، وعبد الكريم المدفعي وغيرهم من الضباط. وحال وصولنا إلى جبل الدروز اشترك سعيد العاص بمعركة (رسّاس) المشهورة، كما قام بالتعاون مع القائد «فؤاد سليم»[٤٦٢] وزكي بك الدروبي على تنفيذ مشروع توسيع الثورة في شمال سورية، بعد إقناع القائد العام سلطان باشا الأطرش بذلك.

كما اشترك القائد سعيد العاص في معارك الغوطة، ففي الثلاثين من

(٤٦١) أمير مكة: نظرًا لموقع مكة المكرمة السياسي والديني، فقد أضحى «أمير مكة» هو مَنْ تدين له الحجاز. فإذا تعرّض جزء من جزيرة العرب للغزو، هبّ أمير مكة للنجدة، وهو الحَكَم الفصل في جميع النِّزاعات القبلية، وإمام المسلمين. وقد استبسل «الأشراف» في صدّ حملات الفرنجة، والأجانب الأغراب، عن الجزيرة العربية. ففي عام ٩٣٢ هجرية، زحف البرتغاليون على الجزيرة العربية، وأنزلوا أسطولهم وجنودهم في جدّة. فتصدى لهم «النمويون»، بقيادة «محمد بن نمي بن بركات»، وقد أعلن الجهاد والنفير العام، وأنفق كل أمواله لشراء السلاح، واستجاب أهل مكة وما حولها لداعي الجهاد، ودحروا الجيش البرتغالي وأفنوه. وشهد لهم العرب بالبطولة، وبلغت مكة أوج قوتها. ولم يتركوا للفوضى والظلم مجالاً، وضربوا بشدة على يد كل من يعبث بأمن الجزيرة العربية، سواء كان العابثون مدفوعين من الخارج، أو من الداخل. ولم تأخذهم في الحق لومة لائم. وكانوا يُدعون بـ«الأشراف». وقد عجز العباسيون والأخشيديون والمماليك عن مقاومتهم.

(٤٦٢) القائد فؤاد سليم: ولد في بلدة «بعقلين» عام ١٨٩٤م، والده الدكتور يوسُف بن حسن سليم، تخرّج من الجامعة الأميركية، ووعُيّن مدرّسًا فيها، ثم مديرًا لمدرسة «بسكتنا». التحق بجيش الثورة العربيّة الكبرى عام ١٩١٧م، برتبة ملازم ثان، في نفس الفرقة التي كان يقودها الأمير شاكر بن زيد. ولاحق القوات التركية على جسور الخطوط الحديدية. دخل فؤاد سليم دمشق مع جيش الأمير فيصل، وتسلّم قيادة سلاح الفرسان والمشاة، وكان يقود «العصابات» لمهاجمة القوات الفرنسية. خرج مع الملك فيصل، وسبقه إلى حيفا، ثم أرسله موفدًا من طرفه إلى رؤساء العشائر في الأردن من أجل اشتراكهم في الثورة. استُشهد في معركة «مجدل شمس» قرب بلدة «سحيتا». ولا يزال ضريحه على رابية هناك، رمزًا وطنيًا لمن يدافع عن وطنه.

شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٥م، اشترك بمهاجمة قضاء دوما التابع لدمشق بالاشتراك مع محمد عزّ الدين بك الحلبي، كما خاض العاص معارك (المليحة) المشهورة، ثم معارك قرى (يلدا، وببيلا، وجوبر، وحمورية) وغيرها من المعارك. وفي العاشر من كانون الأول سنة ١٩٢٥م، اشتبك العاص مع المصفحات الفرنسية ودمّر بعضها بالقنابل اليدوية.

وعلى أثر الخلاف الذي حدث بين الشهيد سعيد العاص وبعض زعماء الثورة في الغوطة، انسحب من الغوطة في الرابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦م، وتوجّه إلى المنطقة الشمالية حيث قام مع مجاهدي (النبك) وحمص بتخريب جسر (الحارون)، والتحم لمدة أسبوع كامل مع القوات الفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسي (مارتي)، كما خاض المعارك الدامية في: (وادي فيسان)، وقلعة (كنيصة)[٤٦٣] و(كفر رام)[٤٦٤] والغيضية[٤٦٥]، واكروم، وأكوم[٤٦٦]، والشير[٤٦٧]، كما قام مع رجاله بتدمير خطوط السكك الحديدية، التي كانت القوات الفرنسية تنقل عليها الإمدادات العسكرية.

وفي الشمال الغربي من منطقة الثورة في سورية، ألّف القائد سعيد العاص مع مجموعة من الثوار فرقة خالد بن الوليد، كما اشترك مع فوزي القاوقجي بمعارك حيّ الميدان - في دمشق - وفي معارك النبك للمرة الثانية، وعيون العلق[٤٦٨] المشهورة، حيث أبدى في هذه المعارك بطولة مشهودة، وقد تجلّت مواهبه العسكرية بالانسحاب والنجاة من تطويق الحملات الفرنسية في المنطقة الشمالية، كما اشترك بتنظيم خطة «الهجوم على دمشق» على امتداد الجبهة الشرقية، من حدود جبل ركن الدين[٤٦٩] حتى جنوب حي الميدان، وتمّ تطبيقها عسكريًا بنجاح تام أدهش الفرنسيين، ودلّ على عبقرية القائد محمد سعيد العاص العسكرية.

وكنت قد رافقت القائد سعيد العاص حتى قرية (شقا)، بعدها واصل سفره إلى واحة الأزرق مع الزعيم أبي عبده ديب الشيخ وعبد القادر آغا

---

(٤٦٣) الكنيصة: قرية في هضبة وعر حمص البازلتية. تبعد عن بلدة خربة تين نور ١٤كم.

(٤٦٤) كفر رام: قرية في وعر حمص، تبعد عن بلدة تلدو ١٥كم على سفح جبل الحلو.

(٤٦٥) الغيضية: قرية في هضبة حمص، تتبع قرية المكرمية وتبعد عنها ٢كم ناحية تلبيسة منطقة الرستن.

(٤٦٦) أكوم: قرية في محافظة حمص ناحية القصير، تبعد عن حمص ٥٥كم.

(٤٦٧) الشير: قرية في هضبة حماة، تقع على الضفة اليمنى لوادي السارود، وتبعد عن مدينة محردة ٨كم وعن مدينة الحسكة ٣٣كم.

(٤٦٨) عيون العلق: ينابيع في القلمون شمال بلدة قارة وعلى بعد ٤كم ناحية دير عطية في منطقة النبك والتي أُقيم فيها نصب تذكاري لشهداء الثوار.

(٤٦٩) جبل ركن الدين: أحد أحياء دمشق، وكان يسمى جبل الأكراد، وما يزال قائمًا حتى اليوم، ويقع جنوب غرب «ساحة شمدين».

سكر، وتوفيق هولو حيدر[٤٧٠] وحسن الزيبق وغيرهم. وقد اجتمع العاص بسلطان باشا الأطرش، وفاوضه من أجل تزويد عشائر الجعافرة والدنادشة[٤٧١] والموالي[٤٧٢] بالأسلحة والعتاد، ثم عاد إلى الغوطة حيث اشترك في معاركها مع الأمير الشهيد عز الدين الجزائري، وقد جُرح في ساقه في معركة (معربا)[٤٧٣]، كما التحم مع القوات الفرنسية في منطقة (دوما) و(داريا)، واشترك في معركة (مَدْيَرة)[٤٧٤] وجوبر ثم معركة (الزور) الأخيرة. وفي آخر حملات التطويق في الغوطة التي قام بها الجيش الفرنسي بقوات تزيد عن الثلاثين ألفًا، عاد إلى جبل العرب فعمان من أجل المعالجة، والسعي لتجهيز وتأهيل بقايا السيوف من مجاهدي الثورة السورية، الذين التجأوا إلى الأردن حيث نزلوا بوادي الشلالة، وفي الأغوار، وكان الشيخ (مصطفى الخليلي) قد عاد مع صحبه إلى قرية «المغير» في الأردن، بعد أن أنقذهم معاون المدير العام لسجن القلعة (زكريا الداغستاني) من حبل المشنقة - واشترك مجاهدو الغوطة مع سعيد العاص ومنهم الشيخ محمد الأشمر ومحمد الدرخباني وعقلة القطامي وصبحي العمري في معركة (داعل) المشهورة «وهي إحدى قرى حوران الجنوبية».

ولما توقفت الثورة، أكبَّ الشهيد العاص على كتابة مذكراته عن الثورة السورية ومعاركها، وصدر في جزأين من «صفحات من الأيام الحمراء».

وعندما حدث الصدام بين العرب واليهود اشترك القائد سعيد العاص في معارك فلسطين، وكأن الشهيد العاص لم يُخلق إلا للمعارك والوثوب كالأسود، وقضى حياته كلها ولم يهنأ بالراحة يومًا واحدًا. فكان لا ينسحب من ميدان قتال، إلا ليصول ويجول في معارك جديدة في ساحات أخرى، ولهذا ما كادت تندلع نيران الثورة في فلسطين، حتى هبّ يقود المجاهدين ويخوض

(٤٧٠) توفيق هولو حيدر: ولد عام ١٨٩٦م في مدينة بعلبك، ودرس في المدارس التركية، وتخرج ضابطًا، وشارك في حرب البلقان، وفي مطاردة العصابات البلغارية. وقد انضم توفيق هولو حيدر للثورة السورية، وشارك في معارك النبك، والغوطة وجبل العرب، ومعركة اللجاة الكبرى، وقاد مجموعة من إخوته وأبناء عمومته من آل حيدر لمقاومة الفرنسيين. وقد شاركته عصابة «آل عكاش» في الزحف على مدينة بعلبك، واسترجاع قلعتها عنوة.

(٤٧١) الدنادشة: من القبائل العربية المشهورة من عشيرة شمّر الطائية، وقد كانت تحكم نجد قبل قيام دولة آل سعود. ولها تواجد مكثف في سورية والمملكة العربية السعودية والأردن.

(٤٧٢) عشيرة الموالي: رئيس عشائر الموالي «الأمير عبد الإبراهيم بن الأمير إبراهيم باشا». ولد عام ١٩٠٨م، ونشأ في كنف والده، وعمل في إدارة شؤون أملاكه وزراعتها في قضائي المعرّة والسلمية. انتخب عام ١٩٤٧م نائبًا عن عشائر بادية حلب ومات عام ١٩٥٤م.

(٤٧٣) معربا: قرية في هضبة القلمون، على سفح جبل «صوانة معربا» الممتد حتى جبل قاسيون، وعلى مسافة ٤كم من مدينة التل. نشأت من تجمّع قرى صغيرة «القصير، والخربة، والبيادر».

(٤٧٤) مَدْيَرة: قرية في غوطة دمشق، تقع في أرض سهلية، تكثر فيها الآبار والسواقي المتفرعة عن نهر بردى، وتبعد عن حرستا ٣كم وتتبع منطقة دوما.

المعارك جهادًا في سبيل الله، وانقاذًا لعروبة فلسطين، يرافقه عدد من إخوانه المجاهدين الأحرار، فدخل فلسطين في الربع الأول من شهر أيلول سنة ١٩٣٦م، واختار لنفسه منطقة جنوب القدس[٤٧٥].

ولأن الثورة في فلسطين كانت لا تزال في بدايتها، فقد بدأ الشهيد سعيد العاص يدعو للثورة والجهاد المقدس، واتصل مع وجهاء القرى لتقديم المتطوعين، وكان يؤازره في الإعداد للثورة الثائر الشهيد عبد القادر الحسيني نجل المناضل الأبي موسى كاظم باشا الحسيني، واستجاب لدعوتهما مئات من سكان منطقة القدس وبيت لحم، والخليل. وقد تمكّنا من جمع أكثر من (٢٥٠) مسلحًا. وقرّر القائد محمد سعيد العاص القيام بهجوم شامل على القوافل العسكرية الإنجليزية التي تمر في تلك المنطقة، وقد اختار جبال قرية (حلحول) القريبة من (بيت لحم) مركزًا لتهيئة الهجوم، ورأى أن يكون هجومه في رابعة النهار، ليتمكن من قتل أكبر عدد ممكن من الأعداء، وكانت خطته هذه ترمي إلى رفع المعنويات في نفوس المجاهدين وسكان المنطقة.

وعلى هذا الأساس رسم خطة عسكرية مُحكمة، وزّع من خلالها إخوانه الثوار إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو القسم الأكبر من المجاهدين، حيث رابط في جبال (حلحول)، وقد قام هؤلاء بإغلاق الشارع العام بالحجارة والصخور الكبيرة.

أما القسم الثاني من الثوار: فقد رابط إلى الشمال من «حلحول»، بقيادة القائد إبراهيم خليفة وإخوانه من المجاهدين.

والقسم الثالث من الثوار: فقد رابط إلى الجنوب من «حلحول» بقيادة المجاهد سالم الشيخ، لمنع وصول النجدات العسكرية للمحتلين إلى ميدان القتال.

وبدأت المعركة في الساعة الثالثة من بعد ظهر الرابع والعشرين أيلول سنة ١٩٣٦م، عندما وصلت قافلة عسكرية إنجليزية من الخليل، فوجدت الطريق مسدودًا بالحجارة، ولما قام الجنود الإنجليز بإزالة الحجارة والصخور،

---

(٤٧٥) القدس: بناها «الكنعانيون» العرب – منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد – على مرتفع قرب عين ماء، وسُميت منذ ذلك الحين بـ«أرض كنعان»، وكان أول ملوكها «سالم». ثم عُرفت باسم أول ملوكها «مدينة سالم» – أورسالم – (وأور تعني مدينة). ودعيت فيما بعد «أورسليم»، ثم سُميت «يبوس»، نسبة إلى «اليبوسيين» من بطون «كنعان»، وبنوا فيها بيتًا للعبادة. وسماها الرومان بعد احتلالهم للمدينة «إيلياء». ثم جاء الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م، لتصبح أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول الأعظم، عندما عُرج به منها إلى السماوات العُلا، حتى سدرة المنتهى. دخل عمر بن الخطاب القدس صُلحًا، وأعطى أهلها «ميثاق الأمان» وسمي هذا الميثاق بـ«العهدة العمرية»: (أن لا يتعرض أحد من المسلمين لأحد من النصارى بأي سوء). وسمّاها صلاح الدين الأيوبي، بعد تحريرها من الصليبيين «بيت المقدس». وإليها تُشدّ الرحال. ويُذكر أن القدس لم تُذكر أبدًا في أسفار التوراة.

إنهال المجاهدون المرابطون قرب الطريق عليهم بالرصاص الغزير، فصرعوا عددًا كبيرًا منهم، ودافع الجنود الإنجليز عن أنفسهم بالرشاشات والمدافع، وأسرع القائد الإنجليزي يطلب النجدة، فوصل زهاء ألف وخمسمائة جندي بريطاني، غير أن هؤلاء الغزاة لم يتمكنوا من الوصول إلى ساحة المعركة، حيث تصدّى لهم المجاهدون المرابطون في «حلحول» ومنعوا وصول النجدات إليهم، ودامت المعركة أكثر من خمسة وعشرين ساعة. وقبل بزوغ فجر الخامس والعشرين من أيلول سنة ١٩٣٦م، انسحب المجاهدون إلى مواقعهم الحصينة في الجبال، وبلغت خسائر الحملة الإنجليزية أكثر من أربعين جنديًا. كما غنم المجاهدون كمية كبيرة من سلاح العدو وعتاده. واستشهد يومذاك في المعركة، ثلاثة من المجاهدين الأبرار.

معركة الخضر الكبرى:

وعلى أثر ما أصاب الإنجليز من هزيمة منكرة في معركة (حلحول)، أرادوا تغطية فشلهم بالانتقام من المجاهدين، فجهزوا حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي، طوّقت المنطقة التي يتواجد فيها الشهيد العاص، الواقعة بين القدس والخليل، واستمرت عملية التطويق على أشدها حتى السادس من تشرين الأول سنة ١٩٣٦م، وكان القائد سعيد العاص في مكمنه الحصين في الجبال، والحملة الإنجليزية تقوم بِحركة التفاف، لتضيّق المجال على المجاهدين. ولما رأى الشهيد سعيد العاص، أَنَّ الجيش الإنجليزي سيُحكم تطويق الجبل الذي يتحصّن فيه، طلب من إخوانه الثوار الانسحابِ من المعركة إلى قراهم، وبقي العاص صامدًا ومعه خمسة وعشرين مجاهدًا صنديدًا، يواجهون جيشًا مدربًا بكامل أسلحتهم ومدافعهم، وكان من بين الثوار الصامدين القائد البطل الشهيد عبد القادر الحسيني.

وفي صباح السادس من تشرين الأول عام ١٩٣٦م، وقعت معركة ضارية في الجبل المطل على قرية «الخضر»، بين عدد قليل من المجاهدين وتلك الحملة الإنجليزية الكبيرة، و استمر القتال بينهما زهاء ست ساعات، وأخيرًا التحم المجاهدون مع الجنود الإنجليز بالسلاح الأبيض وجهًا لوجه، بعد أن نفدت ذخائرهم، وقاتلوا ببسالة وشجاعة وإيمان شديد، خرَّ على أثرها القائد محمد سعيد العاص ورفاقه جميعهم شهداء في ساحة المجد والشرف، وأُصيب مساعده البطل عبد القادر الحسيني برصاصة غادرة، فأسره الإنجليز وهو جريح، ولكنه استطاع الفرار من مستشفى السجن.

وعد إلى الشهداء ربي قائل   لهم الجنان وكلهم أحياء

تصديقًا لقوله تعالى في [سورة البقرة رقم ١٥٤]:
[وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ].

تشيع جثمان الشهيد العاص في قرية الخضر:

وقام أهالي قرية «الخضر» والقرى المجاورة لها، بتشييع جثمان الشهيد العاص في احتفال مهيب، وأحجمت صحف فلسطين بإيعاز من السلطات البريطانية عن ذكر خبر استشهاد القائد سعيد العاص.

وقد كابد شهيدنا من أهوال المعارك الشرسة، التي خاضها مع العدو في وديان جبل الدروز ومغاوره، وفي ميادين الغوطة، وحمص وحماة، واللاذقية، وعكا والخليل، وما بينها من المدن وضواحيها بين الساحل والداخل الشيء الكثير، وآثر أن يروّي تراب أرض فلسطين بدمائه الزكية الطاهرة.

وقد سبق لفقيدنا الشهيد أن اقترن بامرأة شركسية من عمان، أنجب منها كريمته الوحيدة التي أسماها (سعاد) وهي والدة المهندس «سعيد الترك»[٤٧٦]، وقد توفيت بعد أن تزوجت من وجيه شركسي في عمان.

هذا وقد أُقيم في مدينة أبي الفداء حماة، حفل تأبين كبير بمناسبة مرور أربعين يومًا على استشهاد «صاحب الترجمة»، حيث تبارى الشعراء والخطباء بالإشادة ببطولته، ومن جملة القصائد التي ألقيت يومذاك قصيدة شاعر العروبة الملهم، والمربي القدير الأستاذ (بدر الدين الحامد)، التي ألقاها في تلك الحفلة الحافلة بكبار القوم فأسال العبرات، وفتّت الأكباد بسحر إلقائه، وروعة بيانه، نقتطف من أبياتها:

«شـرف لعمرك أن تموت شهيدًا   متفيئًـا ظـلَّ الخلـود حميـدا»
أولست منذ صباك في ساح الوغى   تُعلي لقومك في الحفاظ بنودا؟!
إن جـزت معركـة جريـت لمثلها   أترى خُلقت من الرجال حديدا؟
ولطالمـا خضـت المعـارك والعدا   جمـع غفـير إذ تكـون وحيـدا

(٤٧٦) قام المهندس سعيد الترك، بإعادة طباعة كتاب جدّه «صفحة من الأيام الحمراء» بجزأيه، لتكون سيرته مشعل هداية للأجيال القادمة.

تغشــى ميادــن المنيّــة قائمًــا فيهــا إذا كان الرجــال قعــودا
أمــا الرصــاص فقد ألفــت أزيزه حتى غدا في مسـمعيك نشـيدا
فـرَقَ العــدو وإن تفاقــم خطبها هانــت عليــك معاقــلاً وجنــودا
تَرمي بنفســك في مقدمة الوغى وتقــود خلفـك للفخـار أسـودا
أين (النشـامى) في ميادين اللقا يتمايلــون معاطفًــا وقــدودا
يــا مرحبًــا بكــم، لقــد فرّجتم كربًــا عــن الوطنِ المعذّب سـودا
أنتم (بنو العاصي) قطعتم للعُلى والمكرُمــات مواثقًــا وعهــودا
تتســابقون إذا دعــا الداعي كما تقفــون في وجــه العدو سـدودا
لــولا ميادــن الحمــى وعراكهم كونًا نكــون مدى الحياة عبيدا
لهفــي على تلك الأســود تخرّ في مرمــى البنــادق ركعًا وســجودا

ولا يزال ضريح الشهيد «القائد محمد سعيد العاص»، في قرية «الخضر» - الواقعة بين بيت لحم والخليل - في فلسطين التي أحبَّها، ودافع عنها، وروّى أرضها الطهور بدمائه الزكية - تمامًا كما دافع عنِ وطنه سورية - شاهدًا على أن أُمة العُرب أمة واحدة من البحر إلى البحر، وأنَّ «الجهاد» فرض عين على المسلمين، مهما تنوّعت أفكارهم وأمصارهم.

فهل يفهم «الغرب» هذه الثقافة الدينية، التي يتحلى بها جميع المسلمين في شتى أنحاء الأرض، في ضمائرهم ووجدانهم ولله درّ «عمر أبو ريشة» قوله:

لــن تــرى حبّــة رمــل فوقهــا لم تُعطّــر بــدم حــرٍّ أبــي.
لا يمــوت الحــق مهمــا لطمــت عارضيــه. قبضَــة المغتصــب.



●●● وأنا أقول...

الظلم الدولي الذي يتعرض له الشعب العربي في فلسطين، لم يحدث في التاريخ أبدًا.

«فراعنة العصر» اليوم قَتَلة بلا حدود حَمَلَهم البحث عن الكراهية، وترانيم الفكر العنصري، لشن «الحروب الوقائية» و«الضربات الاستباقية» و«الفوضى الخلاّقة» و«غزو الدول» في نوبات هستيرية جنونية. و«فرعون» ما يزال حتى اليوم، راقدًا في «تابوته» «عبرة» «للطغاة» الظالمين. ولا تزال خلاياه حيّة لم يتسرب إليها التآكل والرمم، منذ أكثر من خمسة آلاف سنة

آية إلهية لمن يعتبر .. !! يقول تعالى في كتابه الكريم :

[فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً] [يونس: ٩٢]

والاحباطات الكثيرة، التي ما زالت تتوالى على مواطننا العربي، وخيبات الأمل العديدة، والأزمات المتراكمة التي شلّت قُدُراته وحركته ومفاصله عن السير كما بدّدت أحلامه، ودفعته أن يقاتل من أجل وجوده، ويتجه طواعية نحو «العنف».

وسيبقى «العنف» موجودًا ما دام «الاحتلال» موجودًا، والعالم كله يعلم أنها «معادلة» متوازنة الأطراف.

وقد تولّى «المتصهينون» – الناطقون باسم الصهيونية كل المشاريع الصهيونية نيابة عن العدو الصهيوني واستجابة لمطالبها «مقايضة السلام بالسلام» بدل تحقيق مبدأ «الأرض مقابل السلام» وقاموا بالتطبيع والتنسيق والتعاون الاقتصادي وتوثيق العلاقات قبل التوصّل إلى وقف الاستيطان، وبناء جدار الفصل العنصري، والتسوية السياسية.

المتصهينون الذين يدينون بالولاء للكيان الصهيوني، أكثر مما يدينون بالولاء لوطنهم، يكنّون عداءً للسلام والإسلام مع أنهم يتحدثون عن السلام ويصرّون على أن تبقى المنطقة في حالة من «اللاسلم» و«اللاحرب».

الصهيونية تريد من الأمة العربية التطبيع، وأن تُفتح أبواب المنطقة العربية وأسواقها وكنوزها المادية والبشرية، دون أن تلتزم بالشرعية الدولية، والقانون الدولي.

تريد الصهيونية من المقاومة نزع أسلحتها، دون أن توقف هي اعتداءاتها، ودون أن تُلزم نفسها بالتفاهم حول تسوية سياسية، ودون أن تخرج من المنطقة التي اغتصبتها واحتلتها، متجاهلة – مع المتصهينين الذين يقفون معهم– حلّ مشكلة الشعب الفلسطيني، وإحلال السلام، والتسويغ بالإبقاء على الاحتلال، وتبرير الاستيطان، وبناء المستعمرات، وكسر الإرادة العربية.

وفي سادية مفرطة، يمارس المحتلون مختلف أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات، وتُنتهك حقوق الإنسان، وتمتهن كرامته، في فضائح يندى لها جبين الإنسانية، في القرن الحادي والعشرين في غوانتانامو.

وفي حقد وكراهية يُدنس المجرمون كتاب الله حتى يعرفوا ردّة الفعل عند المسلمين ...!! ويستفز المتعصبون في الدانمارك مشاعر المسلمين بالرسوم المسيئة لرسول الله، فيثور المسلمون في أصقاع الأرض ثورة الغضب.

لقد أُصيب العالم العربي والإسلامي، بخيبة الأمل والإحباط، من انحطاط المعايير الأخلاقيّة للسياسة الأميركية، وازدواجية هذه المعايير، كما فَقَدَ

أمله في مصداقية المجتمع الدولي.

وعلى المجتمع الدولي إذا أراد أن يحقق العدالة أن يُحاسب الذين يمارسون جرائم الحرب والإرهاب الدولي، الذي يرتكبه كل يوم الكيان الصهيوني بحق أهلنا في فلسطين، لكن هذا الصمت الدولي عن المجازر الجماعية، والتطهير العرقي التي ترتكبها الدولة الصهيونية، هو ظلم مجحف بحق الشعب الفلسطيني.

وفي السجون الإسرائيلية، يُمارس المحتلون أبشع أنواع التعذيب والقمع اللاإنساني. والذي لا يقل بشاعة عن سجن أبو غريب ومعتقل غوانتانامو(٤٧٧).

ففي سجن تلموند الإسرائيلي الذي تقبع فيه الأسيرات الفلسطينيات، تُمارس «إسرائيل» أبشع الفظائع والممارسات اللاأخلاقية، وتُستخدم أقسى معاملة وحشية كوسيلة للإذلال، والمساس بكرامة الأسيرات وأعراضهن.

ويتبع العدو سياسة التفتيش القمعي لغرف الأسيرات ليلاً ونهارًا بحجة الأمن، وفرض العقوبات في الزنزانات، والغرامات المالية لأتفه الأسباب، ومنع الزيارات، كما تتعرض الأسيرات العربيات إلى سياسة التفتيش العاري المذلّ، الذي يتم أمام سجّانتين أو ثلاث، حيث يُطلب من الأسيرات التعري والركوع مع الانحناء، بطرائق مخلّة بالآداب، واستهتار بكل القيم الإنسانية وليست الصور التي التقطت في سجنٍ أبو غريب لِلتعذيب ببعيدة.

إننا نحني هاماتنا إجلالاً وإكبارًا للأم الفلسطينية المقاتلة الشجاعة المقاومة للاحتلال في ميادين العزّ والفخار.

نساء فلسطين نوع استثنائي من النساء إنّهن أسطورة صمود عشن حياة الاحتلال، ومأساة الجرائم الإسرائيلية، وواجهن العدو المغتصب بكل شجاعة وصبر وإيمان.

هنّ أمهات الاستشهاديين والاستشهاديات، يقدّمن كل يوم أمثولة في الثبات على الحقوق، والدفاع عن الأرض والمقدسات.

قاومن القوات الصهيونية المعتدية الغازية، وتحمّلن عبء مسؤولية البيت وتربية الأولاد، ورفدن الوطن بعطائهن وأجسادهن، ودفعن ضريبة الدفاع عن الأمة والوطن.

---

(٤٧٧) دعت الأمم المتحدة وجمعيات حقوق الإنسان الإدارة الأميركية، إلى إغلاق «معتقل غوانتانامو» في القاعدة العسكرية البحرية في كوبا، بعد تزايد انتحار الجنود الأميركيين والبريطانيين فيه، نظرًا للظروف اللاإنسانية وعمليات التعذيب القاسية التي يخضع لها المعتقلون هناك على يد متعاقدين أميركيين وإسرائيليين مختصين بعمليات التعذيب.الا ان المتصهين بوش يصر على عدم إغلاقه.

فإلى أخوات خولة[٤٧٨] والخنساء[٤٧٩]، وخنساوات القسام أم بلال وأم نبيل وأم نضال وأم أحمد وريم الرياشي والجدة فاطمة النجار تحية تقدير وإكبار وإعجاب.

إننا نعيش اليوم في أزمة نفسية وننوس بين واقع نتعايش معه، وحلم نعجز عن تحقيقه، ويُراد لنا مخاتلةً أن ندفن ذاكرتنا الوطنيّة، فتُنصب لنا «الأفخاخ» للوقوع فيها، حتى يُصار إلى قضمنا وإلغاء وجودنا، ونتحوّل بالتالي إلى شبح هلامي رجراج في محاولة ماكرة خبيثة لوضعنا خارج التاريخ والجغرافية لنضيع في المجهول، أو ندخل في السُّبات.

ألا فليعلم العدو المتربّص بأمتنا، أننا لا نزال نحتفظ بعناصر قوتنا ومناعتنا الذاتية. وسيبقى كل مواطن وفيًا لمبادئه، مدافعًا عن أرضه وحقه المغتصب، مستحضرًا كل طاقاته، ليقابل سطوة المحتل المغتصب، وما فرضه وخلّفه من تخلّف وفقر، وفوضى واقتتال طائفي وعرقي، وتمزيق للوطن وكل مواطن منا يعيش على أريج الماضي وعَبَقِه، يتغلغل في أعماقه وفي دمائه حتى نخاع العظم يستمد منه القوة والعون، والعِظة والعِبرة، لينطلق من «القمقم»، ويكتسح الحدود.

فالخطر الصهيوني والاستعماري الامبريالي يكتسح وطننا ولا يقف في وجه هذه الهجمة الصهيونية والاستعمارية، إلا أمة عربية واحدة متحدة الأهداف والغايات، لها جيش عربي موحّد، في دولة اتحادية واحدة.

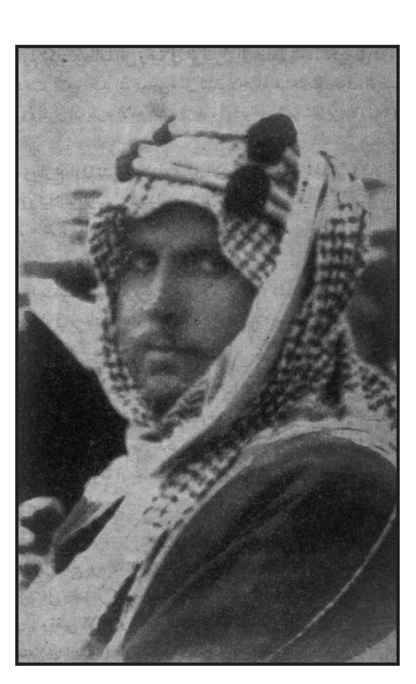
فهذا التمزّق والتقطرن والتشرذم والانقسام والفرقة، تواطؤ يقود إلى تحطيم المصالح العُليا للوطن، واغتيال لآمال وأحلام الأمة العربية.

(٤٧٨) خولة بنت الأزور: هي أُخت ضرار، ومن أشجع نساء عصرها. حضرت فتوح الشام مع المسلمين. ولما وقع أخوها أسيرًا بيد الروم، تخفّت بلباس الفرسان، ووضعت اللثام، وخاضت مع صويحباتها المعركة حتى أنقذ أخوها. وفي طريق العودة اعترض لهنّ الروم وأسروهن، فأسرع خالد بن الوليد بقواته لإنقاذهن. ولما تحصّن الروم وراء أسوار دمشق – عند باب توما – خاضت خولة المعركة ثانية، وأطلقت من قوسها النبال فأصابت عين توما – زوج ابنة هرقل – ففقأتها. وحاول الروم اعتقالها، لكن خالدًا بن الوليد شدَّ بفرسانه لنجدتها وإنقاذها. وتوفيت خولة في أواخر عهد عثمان بن عفان عام ٦٥٥م، ودُفنت خارج باب توما بدمشق. وأُقيم لها ضريح جديد، نقل إليه رفاتها في احتفال مهيب في أواخر حزيران عام ١٩٦١م.

(٤٧٩) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث. شاعرة عربية مخضرمة أسلمت ووفدت على رسول الله r، وقفت شعرها على رثاء أخويها (صخر ومعاوية). فقدت أربعة من أولادها في معركة القادسية عام ٦٣٧م/١٤هـ، فلم تبكهم كما فعلت بأخويها وإنما قالت محتسبة: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم.



الشهيد محمد سعيد العاص



الأمير شاكر بن زيد



فؤاد سليم





عزيز علي المصري

القائد فوزي القاوقجي

(١٨٨٧-١٩٧٧م)

هؤلاء كانوا القدوة في العطاء، والرمز في التضحية والفداء، وسيبقى ذكرهم خالدًا، ما دامت الحياة تنبض في القلوب، وما دامت نسمات الحياة تخفق في الصدور.

«وصاحب الترجمة» - القائد المجاهد فوزي القاوقجي - من أبرز القادة العسكريين الذين أسعدني الحظ بلقائهم والاشتراك معهم في معارك الغوطة - أبان الثورة السورية - مع القائد الشهيد سعيد العاص، فإذا ذُكر «العاص» ذُكر «القاوقجي».

كان القائد «فوزي القاوقجي» قد أشعل نار الثورة مع ثلة من المجاهدين في حماة، وذلك مساء يوم الأحد الرابع من تشرين الأول عام ١٩٢٥م، وقد مهّد للثورة بأن أقنع القائد الفرنسي «كوستيليه» المستشار الإداري لحماة، بأن يسمح له بالخروج لتفقد ومراقبة البدو المخيمين في ضواحي حماة - باعتباره قائداً لكوكبة من الفرسان المسؤولين عن أمن المنطقة - وذلك للحيلولة دون إيقاعهم الضرر في القرى المجاورة لهم، ولما تنقّل بين القبائل والعشائر والبدو، أخذ يبثّ بين شيوخهم روح المقاومة الوطنية وبعث القومية العربية، والكفاح ضد الفرنسيين المحتلين لبلادهم، حيث اتفق معهم بأن يخصّص لكل واحد منهم راتبًا تشجيعيًا، اعتباراً من اليوم التالي لنشوب الثورة في حماة، وقد عيّن لهم الواجبات التي سيقومون بها، على أن تتم استعداداتهم للثورة على الفرنسيين خلال خمسة أيام.

إعلان الثورة:

وفي اليوم المحدّد المتفق عليه، أصدر القاوقجي تعليماته إلى زعماء حماة - الذين اتفقوا معه على الاشتراك بالثورة - على التحرك عند بدء ساعة الصفر. ثم دخل حماة مع قوات المجاهدين، و هاجم جميع المخافر والمراكز الفرنسية، واعتقل عناصر قوى الشرطة والدرك - بعد أن جرّد وحداتهم من أسلحتها وكانت عناصر «الشرطة» تُستخدم للمدن، وعناصر «الدرك» للأرياف.

ثم هاجم بقواته دار الحكومة في مدينة حماة - التي كانت تحتلها فرقة من الجيش الفرنسي - ودارت رحى معركة ضارية استمرت بضع ساعات، استطاع بعدها تحريرها من الفرنسيين، والاستيلاء عليها عنوة، وقد تمَّ إحراق دار الحكومة، بعد أن أباد مَنْ فيها من الفرنسيين.

وفي صباح يوم الاثنين الخامس من تشرين الأول عام ١٩٢٥م، اشتبك القاوقجي مع القوات الفرنسية بالقرب من جسر «السرايا»(٤٨٠) وكبدها خسائر فادحة، ثم تابع هجماته على مواقع الثكنات، فأباد أكثر من نصف قواتها، وقدرت خسائر الفرنسيين بأربعمئة جندي بين قتيل وجريح. كما استسلمت الوحدات التي كانت خارج الثكنات العسكرية مع كامل أسلحتها.

فشل الثورة وانسحاب القاوقجي:

ولما اشتد الحصار على القوات الفرنسية، أخذت أسراب طائراتها بإلقاء قنابلها على مدينة حماة، فأسقط المجاهدون الطائرة الأولى، ثم أسقطوا الطائرة الثانية مما زاد من حماسهم، غير أنَّ النجدات العسكرية الفرنسية التي وصلت بأعداد كبيرة، استطاعت فكَّ الحصار وإنقاذ جنودها من الهلاك.

ولما توالت الهجمات الفرنسية، ولاستحالة الاستيلاء على مواقع العدو العسكرية الحصينة، فضلاً عن استحالة الصمود أمام النجدات المتواصلة من جهة أخرى. لهذا اضطر القاوقجي للانسحاب مع قواته إلى خارج المدينة، وذلك تفادياً لتدميرها بقنابل الطائرات الفرنسية المعادية، وفي الوقت ذاته واصل أعماله الثورية مع قوات العشائر حسب اتفاقه معهم، وخاض ضد الفرنسيين أولى معاركه وهي معركة «معرّة النعمان» وهي أول معركة قام بها بعد انسحابه من حماة، فقد هاجم - مع «عشيرة الموالي» - سلاح الفرسان الفرنسي في مركز قضاء «المعرّة»، وقد استمرت المعركة زهاء أربع ساعات تكبّد العدو خلالها ثلاثة قتلى من الضباط وسبعين جندياً، وغنم المجاهدون خمسة وثلاثين رأساً من الخيل، وأكثر من أربعين بندقية، مع كمية كبيرة من العتاد والتجهيزات الحربية. وأخيراً اضطرته الظروف القاهرة أن ينسحب، مع الفئة القليلة التي بقيت معه من المجاهدين إلى البادية، ومنها إلى العراق. وقد فرضت السلطات الفرنسية الغرامات على أهالي مدينة حماة، إذ بالرغم عن انسحاب القاوقجي مع إخوانه المجاهدين من المدينة إلى

(٤٨٠) السرايا: بلدة تقع على سفوح جبل «ظهر فجيلة» في محافظة حماة، وتُشرف على وادي الدورة، كما تشكّل الجزء الجنوبي من قرية خربة حزّور، وتبعد ٣كم عن بلدة عين حلاقيم.

بادية العراق، فقد تعرضت مدينة حماة لنكبات فادحة كما عجز المواطنون عن جمع الغرامات التي فرضها الفرنسيون عليهم من مال وسلاح. بعد ذلك قذف العدو المدينة بقنابل الطائرات والمدافع بشكل وحشي، و دكّت قنابله الأسواق ومعظم البيوت دكاً على رؤوس أصحابها، فكانت حصيلة تلك الغارة على المدينة، تهدّم ما يزيد عن الثلاثمائة من المحلات التجارية والبيوت واستشهاد المئات..

مولده ونشأته:

ومن الجدير بالذكر أنَّ القائد المناضل فوزي القاوقجي من مواليد مدينة طرابلس الشام بلبنان عام ١٨٨٧م، وبعد أن أتم دراسته العسكرية التحق في حملة الزعيم «علي خلقي باشا»(٤٨١) الذي قام بالثورة ضد الفرنسيين في أواخر العهد الفيصلي، واشترك معه الأمير محمود الفاعور والشهيد المناضل أحمد مريود، وكان القاوقجي وقتئذ ضابطاً «ملازماً» في حملته.

كما اشترك القاوقجي في ثورتي الغوطة والشمال، ثم التجأ إلى العراق بعد توقف الثورة السورية في أواخر شهر أيلول سنة ١٩٢٦م، قام بزيارة إلى جبل الدروز واجتمع بالقائد العام سلطان باشا الأطرش، وبعد إقناعه بضرورة تجديد الثورة في الشمال وافق القائد العام على تزويده بما يقارب ثلاثين فارساً بقيادة «فواز الحلبي»، ولما وصل بهم إلى الغوطة انضم إليه عدد كبير من المجاهدين فرساناً ومشاة، حيث اشترك في بعض معاركها مع الفرنسيين، وخاصة الموقعة الكبرى في الساحة الواقعة بين قريتي «سقبا» و«حمّورية» وكنت قد اشتركت في هذه المعركة مع أبناء عمومتي: سليمان وشفيق ووجيه الخانجي، وكان من أهداف العدو القضاء على المجاهدين المتمركزين تحت أشجار الغوطة الكثيفة بأعدادهم الكبيرة.

في تلك المعركة. وبينما كان القاوقجي يوزّع قواته على الأماكن «الاستراتيجية» حدث أن أطلق الدكتور أمين رويحه، رصاص بندقيته على أول جندي فرنسي رآه. وبذلك اكتشف العدو مواقع الثوار، وكنت على ظهر تل أراقب تحركات العدو، فشاهدت القوات الفرنسية المعادية تقوم بحركة التفاف واسعة النطاق، وبالرغم من زخم الرصاص الذي كان يتساقط من

---

(٤٨١) «الباشا»: لقب من ألقاب التشريف، كان يُطلق في العهد التركي، على بعض الأشخاص من قِبل السلطان، يليه في المرتبة لقب «بك». وقيل أن أصل هذه الكلمة تركي من «باش» – الزعيم أو الأخ الأكبر – وقيل أنها فارسية الأصل (ياه شاه): قدم الملك / عين الملك. وتُستعمل كلمة «باشا» مع اسم العلم المذكر، ثم مُنح «اللقب» لكبار القادة العسكريين. وقيل أن لقب «الباشوية» كان يُباع بمبلغ من المال. وقد وصل ثمن «الباشوية» إلى مائتي ليرة ذهبية.

حولي - ويتتبع خطواتي – فقد أسرعت بإعلام القاوقجي – وهتفت للقائد الشهيد شوكت العائدي - فأمر المجاهدين بالانسحاب السريع إلى قرية «تل منين»(٤٨٢) قبل إحكام العدو تطويقهم. وقد أصيب مرافق القاوقجي الذي كان يقف إلى جانبه إصابة مباشرة، وسقط مضرجًا بدمائه، وكتبت له الشهادة. ثم واصل القائد القاوقجي السير بقواته حتى وصل إلى شرقي قرية «الضمير»، وهنالك انضمّ إلى قوات القاوقجي مجاهدو مدينة حمص، يقودهم القائد سعيد العاص، وهم كل ما تبقى من فرقة «خالد بن الوليد»، التي أبلت البلاء الحسن ضد القوات الفرنسية واستطاعت أن تكبّدها خسائر فادحة.

وكان من جملة ما قامت به قوات القاوقجي قتلها للمدعو «فوزي الملكي» متصرف حمص، وذلك على يد المجاهد الباسل السيد «خيرو النجار»(٤٨٣) الشهير بـ«الشهلة» الذي طعنه بسكين بينما كان ذاهباً إلى داره في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦م، وكان الفرنسيون قد جاءوا بالمدعو فوزي الملكي سنة ١٩٢٠م - أي بعد احتلالهم لسورية بفترة وجيزة - وكان المذكور قد اقترن بأُسرة من آل فركوح الحمصية، باعتباره ينتمي إلى الطائفة الأرثوذكسية فكانت ولايته من أسوأ العهود التي مرت على حمص، حيث لعبت الجاسوسية في عهده دورها الدنيء، وقد حاول عقلاء هذه الطائفة ووجوهها تلافي الأمر لعلمهم بالأيدي الاستعمارية القذرة، التي كانت تلعب من وراء الستار للإيقاع بين أبناء الشعب الواحد، وإثارة النعرات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، على طريقة «فرق تسد»، وقد أعدم العدو ثلاثة عشر مجاهداً بإيعاز من هذا المتصرف ومَنْ معه من المتعاونين، وهو الذي أغرى المستشار الفرنسي في مدينة حمص بقتل الشهيد «فؤاد رسلان» برصاص مسدسه، ولو شاء لأنقذه

(٤٨٢) تل منين: كان يسمى سابقًا بهذا الاسم لكن اليوم انقسم إلى مدينة التل ومدينة منين في منطقة التل، محافظة ريف دمشق، يمتد التل من أطراف جبليّ «العين» و«مارتقلا» شمالاً حتى القابون جنوبًا، وتحيط به تلال كثيرة، والخانق الذي يقع بين معربة وبرزة وحرنة، كما تكثر على جوانبه الجروف الصخرية. وفي منين عين ماء غزيرة يشرب منها حتى الآن أهل منين وأهل التل، وكانت تصل إلى قرية برزة، وكان على ضفافها وادٍ كثيف الأشهر قيل وادي الربوة. كما أن في منين عين ماء يقال لها عين الصاحب: ماؤها صاف رقراق من أبرد الينابيع في سورية، وفيها أيضًا بقرية حلبون ينابيع لا تنقطع صيفًا وأشهرها نبع (الفاخوخ) وكانت تشتهر حقول التل ومنين سابقًا بأشجار التين البعلية التي كانت من أطيب الأنواع. وأهل المدينتين من المعمرين.

(٤٨٣) خيرو الشهلة: ولد في مدينة حمص عام ١٩٠٣م، وهو ابن أحمد النجار الذي غلب عليه اسم «الشهلة». بعد المجزرة الرهيبة، التي وقعت للثوار في قرية «خربة غازي» في العاشر من أيار ١٩٢٦م، واستشهاد جميع رفاق «نظير النشواتي» ومنهم شقيقه «سعيد الشهلة»، حضر «خيرو الشهلة» من مصر خصّيصًا للأخذ بثأر شقيقه «سعيد الشهلة» الذي قتله الفرنسيون. والتحق بالثوار الذين يقودهم «نظير النشواتي»، وكان الساعد الأيمن له. أما خربة غازي: فهي قرية في محافظة حمص (ناحية تارين)، وهي تبعد عن مدينة حمص ٢٦كم، وعن مركز «خربة عين التين» ستة كيلومترات.

من الموت وهو جريح، مخالفاً بذلك قوانين محكمة العدل الدولية، والأعراف الإنسانية التي لا تجيز قتل الجريح، فكان عبئًا على الفرنسيين، وعلى الثوار الوطنيين، وعلى نفسه في آن واحد – «وعلى نفسها جنت براقش» - غير أن الظلم لم يقتصر عليه في حياته بل امتد إلى ما بعد مماته، حيث أجبر الفرنسيون وجهاء مدينة حمص(٤٨٤) على تشييع جثمانه، كما فرضوا على أهالي مدينة حمص غرامة مالية كبيرة لقاء ديّته، فدفعها أهل حمص كارهين مجبرين. وبذلك أُسدل الستار على هذا «المتصرف» الذي لقي مصرعه ونال أقل ما يستحق من عقوبة.

وهكذا وبعد أن خاض القاوقجي المعارك الكثيرة في الغوطة والشمال نزح إلى العراق، وذلك بعد أن توقفت الثورة السورية.

وفي عام ١٩٣٥م عيّن أستاذاً في مدرسة بغداد الحربية، وكان خلال إقامته في «بغداد» يقوم بالإعداد للثورة في سورية، بالاشتراك مع فريق من رجالات العرب وثوارهم.

ولكن بعد أن تمّ الاتفاق مع السلطات الفرنسية، على عقد المعاهدة السورية - الفرنسية عام ١٩٣٦م، توجه فوزي القاوقجي إلى فلسطين، لتجديد الثورة فيها.

جهاده في فلسطين:

وصل القاوقجي مع قوة من متطوعي العراق إلى فلسطين، فخاض بهم المعارك مع العدو، وكان آخرها معركة «بيت مرين».

عودة القاوقجي إلى العراق:

وبعد توقف الثورة في فلسطين عام ١٩٣٦م، اضطر القاوقجي للعودة إلى العراق. وكان يخطط، لإضرام الثورة من جديد في سورية، وقد أعد مجموعات من الثوار، في مختلف المناطق السورية للقيام بحركات ثورية، غير أن الفرنسيين علموا بتلك الترتيبات والتحركات، فأحبطوا مسعاه وحالوا دونه.

(٤٨٤) حمص «مدينة خالد بن الوليد»: في القسم الأوسط من القطر، على طرفي نهر العاصي. يجاورها من الشمال منطقة الرستن، ومن الغرب خربة تين نور وتلدو والقصير، ومن الشرق منطقتي عين النسر وفرقلس، ومن الجنوب ناحية الرقاما في محافظة ريف دمشق. دخلت في حوزة المسلمين عام ١٦هـ/٦٣٧م دون إراقة دماء بقيادة خالد بن الوليد، وإليه تُنسب المدينة وفيها دفن. وهي مركز تجاري وصناعي وتجمع المواصلات. وتضم محافظة حمص ٦ مدن و١٤ بلدة و٤٥٠ قرية.

اشتراك القاوقجي بثورة رشيد عالي الكيلاني[٤٨٥]:

ولما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، انضم القاوقجي إليها، واشترك في معاركها ضد الإنكليز حتى نهايتها. ولما عادت القوات العراقية النظامية إلى المراكز التي عينتها لها الحكومة المؤقتة التي تشكلت برئاسة «ارشد العمري»، لم يبق مع القاوقجي من الثوار سوى قوة صغيرة من المتطوعين: السوريين والفلسطينيين والعراقيين، وقد ظلّ يقاوم بهذه المجموعات الصغيرة، الجيوش الإنكليزية إلى أن وصل المجاهدون إلى «الحصيبة» وكان الفرنسيون قد حشدوا قواتهم على الحدود، للوقوف في وجه المجاهدين، بينما كان الجيش الإنكليزي يهاجم قواتهم الهجوم إثر الهجوم، وفي الوقت ذاته كان يقطع عن الثوار جميع سُبل التموين من الغذاء والعتاد، حتى أمسى المجاهدون بين نارين. مما اضطرهم للانتقال إلى «اليعربية»(٤٨٦) ومن ثمَّ إلى «الجوادية»(٤٨٧) فالقحطانية(٤٨٨). ولا عجب. فالاستعمار يدين بدين واحد. هو محاربة الشعوب.

كان «فوزي القاوقجي» بحق رجل الملّمات، وعندما أتحدث عن فوزي القاوقجي، فكأني أتحدث عن تاريخ كل بلاد العرب. ألم تكن سورية وفلسطين بلدًا واحدًا؟ ألم تكن فلسطين العمق الجغرافي لسورية؟ فأرض العرب أرض واحدة من البحر إلى البحر، ولكن المستعمرين هم الذين قسمّوها في اتفاقية سايكس – بيكو. وقد علّمونا ونحن أطفال في المدارس الوطنية النشيد الوطني الذي يحفظه كل عربي مخلص لعروبته:

بلاد العُرب أوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن	إلى مصر فتطوان
فلا حدٌّ يباعدنا	ولا دين يُفرّقنا
لسان «الضاد» يجمعنا	بغسّانٍ وعدنان

هذا المخزون التراثي الكفاحي النضالي هو تراكم في ذاكرة الأمة، ذلك لأنّ

(٤٨٥) رشيد عالي الكيلاني: سياسي عراقي ولد عام ١٨٩٢م، وتولى رئاسة الوزارة العراقية عدة مرات، كان آخرها في نيسان/إبريل ١٩٤١م، وفي عهد وزارته وقع الصدام المسلح، بين القوات العراقية والقوات البريطانية التي تحتل العراق، والحرب العالمية الثانية محتدمة الأوار. فأطاح الإنجليز بحكومته في مايو/أيار ١٩٤١م وأقاموا حكومة موالية لهم. وتوفي رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٦٥م.

(٤٨٦) اليعربيّة: تقع في أرض سهلية متاخمة للحدود السورية – العراقية، وتبعد ٧٠كم من المالكية.

(٤٨٧) الجوادية: تقع وسط أرض منبسطة تمر بها الأودية (وادي الخنْزير)، وتبعد عن المالكية ٣٠كم.

(٤٨٨) القحطانية: تقع جنوب الحدود التركية، وسط أرض منبسطة على مسافة ٣٠كم من القامشلي.

خندق الثوَّار واحد.

ونحن شعب عربي واحد. يحمل أبجدية عروبته ويعبر العالم.. ويطوف به. يجمع بين عمق الانتماء لوطنه، واعتزازه بالقيم الحضارية والدينية. نؤمن برسالة النور السماوية و(عشق الأوطان) عندنا إرث عربي تتوارثه الأجيال عبر القرون، ليرتبط الماضي بالحاضر والمستقبل.

نحن شعب لا يخاف الموت، دماؤنا تسقي وتروّي تراب الوطن.. وطريق الجنة مفروش أمامنا بالورود والرياحين..

نحن شعب لا يخاف الوعد الوعيد. نؤمن أنَّ الاحتلال إلى زوالٍ. فكم من شهيد سقط من بين صفوفنا. وكم من طفل أرداه الغاصبون قتيلاً.. وكم من امرأة فاضت روحها وهي تستمطر اللعنات على المستعمرين

[رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً] [الأحزاب: ٦٨].

[وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّه] [البقرة: ٦١]

[ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّه وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّه وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] [آل عمران: ١١٢]

[وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا] [المائدة: ٦٤]

كان حُلم الوحدة العربية، يراود عقولنا ويعشش في وجداننا وهو هاجس وأمَلُ كل وطنيّ يعيش على أرض العروبة وبلاد الشام أرض واحدة و«فوزي القاوقجي» واحد من هؤلاء. اعتبر الثورة في سورية والعراق وفلسطين ثورة واحدة وقضية واحدة. من هذا المنطلق الوحدوي، كان يتنقّل بين هذه الأقطار ليدافع عن استقلالها حتى ضاق به الغزاة فطاردوه.

وبعد أن توقفت الثورة في سورية، والتي شارك في كل معاركها التحرّرية، انتقل إلى فلسطين ليشارك في ثورة ١٩٣٦م، على رأس المتطوعين الذين جاء بهم من العراق فقاتل الإنجليز في معركة «بلعا»، وأنزل بهم خسائر فادحة، مما اضطرهم إلى استبدال قائدهم، ثم نازل الإنجليز الذين كانوا – يساعدون اليهود لاحتلال أرض فلسطين – في معركة «جبع» وأنزل بهم ضربة قاصمة.

ولما وافقت «اللجنة العربية العليا» على وقف القتال والحرب - بعد وساطة ملوك العرب ورؤسائهم - عاد إلى بغداد.. لكن حكومة «بكر صدقي» - بإيعاز من الإنجليز - نفته إلى مدينة كركوك.

وكان القائد الفذّ فوزي القاوقجي قد شارك في ثورة «رشيد عالي الكيلاني» الوطنية عام ١٩٤١م. وقاد فريقًا من المتطوعين السوريين والفلسطينيين والعراقيين لقتال الإنجليز المحتلين..

جراح القاوقجي:

وأثناء سفره في الطريق بين تدمر ودير الزور، أُصيب القاوقجي بجراح خطيرة، على إثر غارة جوية مباغتة، وكانت جراحه تبدو مميتة - وصادف أن كان «الشيشكلي» يومذاك ضابطًا في موقع مدينة «البوكمال»(٤٨٩) - فتوسط بمقابلة المسؤولين من القادة الفرنسيين المتواجدين على الحدود مع تركيا، وتمكّن من استصدار «عفو خاص» عن القاوقجي بسبب إصابته بجراح بليغة.

وأُسعف القائد المناضل البطل فوزي القاوقجي في مشفى «دير الزور»، ثم نُقل إلى حلب الشهباء «وكان سبب العفو الفرنسي». قيام الإنكليز بمهاجمة سورية من الجنوب، أثناء الحرب القائمة بين الجنود الفرنسيين من الفيشيين والديغوليين». وإذا عُرف السبب بَطُل العجب.

سفر القاوقجي إلى ألمانيا:

وصدف أن كان المجاهد «عادل العظمة» وقتئذ مسؤولاً في حلب، فعرض الألمان عليه مساعدتهم، بنقل القاوقجي إلى ألمانيًا من أجل معالجته، فوافق على ذلك حيث سافر معه على متن طائرة خاصة، أقلتهما إلى إحدى المشافي الألمانية، وبقي في ألمانيا حتى نهاية الحرب.

وفي أواخر عام سبعة وأربعين وتسعمئة وألف، كان على رأس قيادة «جيش الإنقاذ»، ليخوض المعركة الشرسة مع القوات الصهيونية في «مشمار هاعيميك، وزرعين، والطيرة، وقلقيلية» في ظروف شديدة التعقيد، وفي ظلّ عدم التكافؤ..

وكانت السلطات الإنجليزية «المنتدبة». كلما انسحبت من مدينة فلسطينية، سلمتها إلى القوات الصهيونية، مع العتاد الحربي والذخيرة.

وكان «وايزمان» قد نجح في إقناع الحكومة الإنجليزية بتكوين «فرقة يهودية» تقاتل إلى جانب الحلفاء، وكانت هذه «الفرقة اليهودية» نواة الجيش الإسرائيلي، الذي حارب خلال الساعات الحرجة، التي تلت إعلان قيام دولة إسرائيل. وقامت العصابات اليهودية. «الهاغانا – وشتيرن». بمجازر بشرية رهيبة لإثارة الهلع في صفوف الفلسطينيين. كمجزرة «دير ياسين» في الثالث عشر من نيسان عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف، والتي أصدرت على أثرها

(٤٨٩) البوكمال: مدينة في وادي الفرات، تتبع محافظة دير الزور، وتبعد عنها ١٣٠كم، كما تبعد عن الحدود العراقية ثمانية كيلومترات. ممتدة نحو بادية الجزيرة شمالاً، وبادية الشام جنوبًا، وتضم ١٢ قرية.

الجامعة العربيّة قرارًا بتحريك الجيوش العربية لدخول فلسطين. ومع ذلك ظلّ المجاهد «فوزي القاوقجي» يقاتل مع رجاله الأشاوس ببنادقهم القديمة وذخائرهم القليلة. حتى وقّعت الدول العربية اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٨م.

يا هذه الدنيــا أطلّي واسمعي جيــش الأعادي جــاء يبغي مصرعي

اللّه أكبر... اللّه أكبر... اللّه أكبر

وتدفقت المساعدات الأجنبية على جيش الاحتلال، لتثبيت أقدامه أسلحة ثقيلة وطائرات ودبابات ومواد غذائية من الدول التي زرعت هذا الكيان السرطاني.

وعاد المجاهد البطل «فوزي القاوقجي» مع «جيش الإنقاذ» لبلاده مقهورًا. وتجدّد القتال. وتوالت خيبات الأمل. والأسلحة الفاسدة. ووقّعت الهدنة في جزيرة «رودس»(٤٩٠). في الرابع والعشرين من شهر شباط / فبراير عام تسعة وأربعين وتسعمئة وألف..

وأُسدل الستار على أكبر جريمة في التاريخ.

عودة القاوقجي إلى وطنه:

عاد «فوزي القاوقجي» إلى وطنه، حيث استُقبل في البلاد السورية واللبنانية، بما يليق ببطولته وتضحياته، بكل الحفاوة والتكريم. استقبال الفاتحين.

ثم استقر في مدينة طرابلس بلبنان - مسقط رأسه - ليعيش «عيشة الكفاف»، في ظروف مادية ونفسية صعبة وأليمة. ومع ذلك بقي محافظًا على عزة نفسه ورابطة جأشه(٤٩١).

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

في ظلّ تواطؤ دولي مُهين، يُقتلع شعب من أرضه ودياره، بقوة الإرهاب السلاح والمؤامرات، ويُرمى به في الشتات، والمنافي القسرية والمعتقلات، وما

(٤٩٠) جزيرة رودس: كبرى الجزر في بحر إيجه. تقع تجاه سواحل تركية الجنوبية الغربية. كانت في العصور القديمة مركزًا لعبادة «آلهة الشمس» عند اليونان. فتحها «فرسان القديس يوحنا» عام ١٣٠٩م وحكموها حتى عام ١٥٢٢م. ثم أصبحت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية من عام ١٥٢٢م – وحتى عام ١٩١٢م.احتلتها ايطالية عام ١٩١٢م، وما لبثت أن تخلّت عنها لليونان عام ١٩٤٧م، وعاصمتها «رودس».

(٤٩١) انتقل قائد «جيش الإنقاذ». القائد فوزي القاوقجي إلى رحمة الله ورضوانه سنة ١٩٧٧م، في مدينة طرابلس بلبنان، وشُيع إلى مثواه الأخير في احتفال شعبي مهيب.

تبقّى من هذا الشعب في أرضه، يعيش تحت وطأة احتلال إرهابي، ومعتقلات جماعية.

ووطننا العربي يعيش أسوأ مراحله، ويزداد تشرذمًا وانقسامات كل يوم، ويشهد تطورات خطيرة، وسكاكين الجزارين تعمل به تقطيعًا وتقسيمًا، على أسس عنصرية وطائفية وقومية، في مؤامرة دولية وإقليمية تستهدف تاريخ أمتنا وهويتها وحضارتها.

سكاكين الجزارين بدأت تنهال على هذا الجسد الهش الذي أُفرغ من محتواه، في مشروعات معادية للعرب والعروبة والإسلام، بينما تزداد الدولة الصهيونية قوة وبطشًا وإرهابًا.

وفي قانون الغاب الذي تسيطر على وسائله الإعلامية الصهيونية العالمية، وعلى آلته العسكرية الجبّارة المدمّرة «الإدارة الأميركية المتصهينة» في عالم صنعوه، تفوح منه روائح البارود، ومُثقل بـ«الجبال العائمة»، وهدير «حاملات الطائرات» وهالات السحب السوداء. وطرحوا فيه «أجندة» الاتهامات الجاهزة «تحت الطلب»، ومسبقة الصنع والإخراج.

في هذا العالم الذي أُصيب بالعمى والطرش، يتحوّل «الضحية» إلى «قاتل». و«المقاوم» للمحتل المغتصب، المدافع عن وطنه إلى «إرهابي». ويتحوّل أولمرت وشارون الارهابي القاتل الذي تسبب في حمّامات الدماء، والمجرم الذي ارتكب المذابح في وضح النهار، واستباح دماء الأبرياء إلى «رجل سلام» يدافع عن النفس.

منطق عقيم يستفزّ حتى أحلم العقلاء. في عالم حيث هيمنة سياسة «القطب الأُحادي» التي تُشوّه الحقائق وتَطمس معالمها، وتَقرَع طبول الحرب حتى تَثقب الآذان، حيث لا مكان إلا للقرار الأميركي والمتصهينين والسياسة الصهيونية، وما على شعوب العالم إلا الركوع والسجود ولو بإيماءة بالرأس أو بصمة بالإبهام أو الحافر.

وبربرية المحتلين لم تتغير منذ القرون الوسطى وحتى القرن الحادي والعشرين، ولكنها تتشكّل اليوم بـ«صيغة» أميركية «هلامية» «مستحدثة» وبـ«أقنعة» متعددة متراكمة، كلما سقط قناع أُبدل بقناع من نوع «متطوّر». تُعيد صياغته وأيدلوجيته وتحويل أطيافه اللامتناهية، أجهزة فضائية وتقنيات إعلام مكسوّة بأيدلوجيا شديدة الذكاء والنفاق، لإعادة صياغتها حسب «العقل الاستعماري الجديد».

في هذا الوقت العصيب من تاريخ أمتنا العربية يجري تطبيق «المشروع الصهيوني»، الذي وضعه منذ ربع قرن مهندسو المنظمات الصهيونية، في

الخطة التي أسموها «استراتيجية إسرائيل للثمانينات» ومشروع «الشرق الأوسط الكبير» وهو المشروع الذي تبنته «الإدارة الأميركية المتصهينة» بالأصالة عن رؤى وأفكار وايديولوجية صهيونيّة، بتقسيم المقسّم وتجزئة المجزّأ، وليغرق العالم بعد ذلك في «الفوضى» ما دامت الفوضى «خلاّقة» في نظر «المتصهينين».

والتاريخ يُعيد نفسه... تتُكرر مؤامرة «سايكس – بيكو» بأساليب جديدة «متطوّرة» لتقطيع أوصال الأمة العربية والوطن العربي، ويتكرر «وعد بلفور المشؤوم» عبر مخطط «الشرق الأوسط الجديد»، وخلف شعارات منمّقة مختارة بعناية فائقة، وطروحات في «وصفات طبيّة مجانية سحرية» «مطبوخة» في الدوائر الاستعماريّة لنشر «الديمقراطية والحرية والإصلاح».

لقد أدان المتصهينون «المقاومة» ملتبسة بـ«الإرهاب». واغتالوا الإنسانية، وانتهكوا حقوق الإنسان، واقترفوا التعذيب في السجون والمعتقلات. وصمتوا عن امتلاك العدو الصهيوني «أسلحة الدمار الشامل»، في حين كان الادعاء بوجودها مبرّرًا لغزو العراق، وأصرّوا على وجود الأسلحة الكيماوية، لكنهم اعترفوا بكذب ما ادّعوه، قطعوا مئات الآلاف من الكيلومترات ليقتلوا شعب العراق، ويدمروا مدنه وشعبه وجيشه وقوّته. مهووسون بالقتل والتدمير والحروب كالصهاينة. ألهبوا الأرض وأحرقوها، ودنّسوا نسخ القرآن الكريم في «مصارف القاذورات»... ورسموا الرسول بأنه «إرهابي»... في حقد دفين، وكراهية موروثة. وفي إساءة متعمّدة، وحملات مبرمجة، لأنهم يعرفون أن كتاب الله «يمتلك القوّة» لاستعادة وحدة المسلمين فهو موحّد العرب، وموحّد المسلمين وهو الموروث والملتقى.

ولهذا لم يترك تعالى للبشر حفظ كتابه، بل تكفّل سبحانه وتعالى بحفظه، فقال عزَّ من قائل:

[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] [الحجر-٩].

وقد داست دولة الكيانَ الصهيونيَ كل قرارات الشرعية الدولية والمجتمع الدولي، وقفزت فوق كل القوانين الدولية والإنسانية، بمساندة من الإدارة الأميركية والبريطانية.

فماذا فَعَل «المجتمع الدولي» الذي يقوده «المتصهينون» غير المراوغة وازدواجية الكيل بمكيالين، والالتفاف على الحقائق مع النفاق الدولي، وانعدام الأخلاق، وخلط الأوراق، لتسهيل تمرير مخططهم الاستعماري، وإعادة المنطقة للنفوذ الإمبريالي.

وهناك قرارات كثيرة غطّاها الغبار في أدراج الأمم المتحدة، رفضت

«إسرائيل» الالتزام بها وتنفيذها دون استثناء، حتى أنها رفضت استقبال لجنة التحقيق الدولية، التي شكّلها مجلس الأمن، برئاسة «الرئيس الفلندي». بعد اجتياحها مخيم جنين عام ٢٠٠٣م. كما رفضت الاعتراف بتقارير «جورج تينت» و«جورج ميتشل» عن المجازر الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني. وقبلهما مجازر صبرا وشاتيلا وقانا وتل الزعتر.

مسحت «إسرائيل» كل قرارات الأمم المتحدة، واتفاقات كامب ديفيد(٤٩٢) وأُوسلو ومدريد، والأرض مقابل السلام، والعقبة وشرم الشيخ، وحلّ محلها اقتلاع للأرض والإنسان. وتدمير إجرامي للبيوت والمخيمات، والشجر والبشر والحجر. وبناء الوحدات الاستيطانية والمستوطنات، وجدار الفصل العنصري، حتى يتحقق وعد الله:

[لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ] [الحشر: ١٤].

وتزعم الأساطير الصهيونيّة، الواردة في كتبهم الدينية - والتي كتبها الكتبة بعد سبعمئة عام من عودتهم بعد السبي البابلي - إن معركة «هرمجدو» ستقوم بين قوى الخير والشر، وستجري في سهل «مرج بن عامر»، ينتصر فيها الخير على الشر. والأشرار في نظرهم كل الشعوب التي لا تعتنق اليهودية بما فيهم النصارى.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هم «قوى الخير». أم «قوى الشر»؟

ورغم ضبابية الصورة فالضوء يبدو في نهاية النفق، والأجيال الشابة الصاعدة تعيش معاناة أمتها تقبض على اللحظة، وتعمل على حراك التاريخ والزمن، لتساهم في عملية المخاض.

ويعلم المحتلون الغزاة أنَّ جحافل الغزاة مرَّت يومًا ما فوق هذه الأرض واحتلتها ونهبت ثرواتها، ولكنها لفظتهم وطردتهم. فالغزاة ظلموا ثم بادوا؛ لأنَّ الوطن باقٍ والمحتلين إلى زوال، وتلك هي سنّة التاريخ والحياة.

فمتى يدرك العالم حقيقة «الصهيونية» واللوبي الصهيوني المسيطر على العالم وعلى أميركا خاصة...! وهل يستمر هذا التواطؤ الدولي إلى ما لانهاية؟

(٤٩٢) كامب ديفيد: منتجع في الولايات المتحدة الأميركية، يقع في بقعة جبليّة من ولاية «ميريلاند» على بعد سبعة وستين ميلاً إلى الشمال الغربي من واشنطن العاصمة. عُقد فيه «مؤتمر ثلاثي» بين (٦-١٨ سبتمبر/أيلول ١٩٧٨م) لحل أزمة الشرق الأوسط. حضره عن الجانب الأميركي «جيمي كارتر»، وعن مصر «أنور السادات»، وعن الكيان الصهيوني رئيس وزرائها «مناحيم بيغن». وقد وقّع المؤتمرون «وثيقتين»: الأولى: تقضي بانسحاب الكيان الصهيوني من صحراء سيناء، والأخرى تقضي بمنح فلسطينيي الضفة الغربية وقطاع غزة «حكمًا ذاتيًا» مدته خمس سنوات، تعتبر مرحلة انتقالية، يُقرَّر خلالها وضع الضفة والقطاع نهائيًا. ثم عقد المؤتمر مرة أخرى في (٢١ فبراير/شباط ١٩٧٩م)، حضره رئيس وزراء مصر «مصطفى خليل»، ووزير الخارجية الأميركي «سايروس فانس»، ووزير خارجية الكيان الصهيوني «موشي دايان»، ووقعت المعاهدة المصرية الكيان الصهيوني في «٢٦ مارس/آذار ١٩٧٩م».



فوزي القاوقجي بالنياشين



فوزي القاوقجي في جبهة فلسطين



خيرو الشهلة



سعيد النجار الملقب بالشهلة

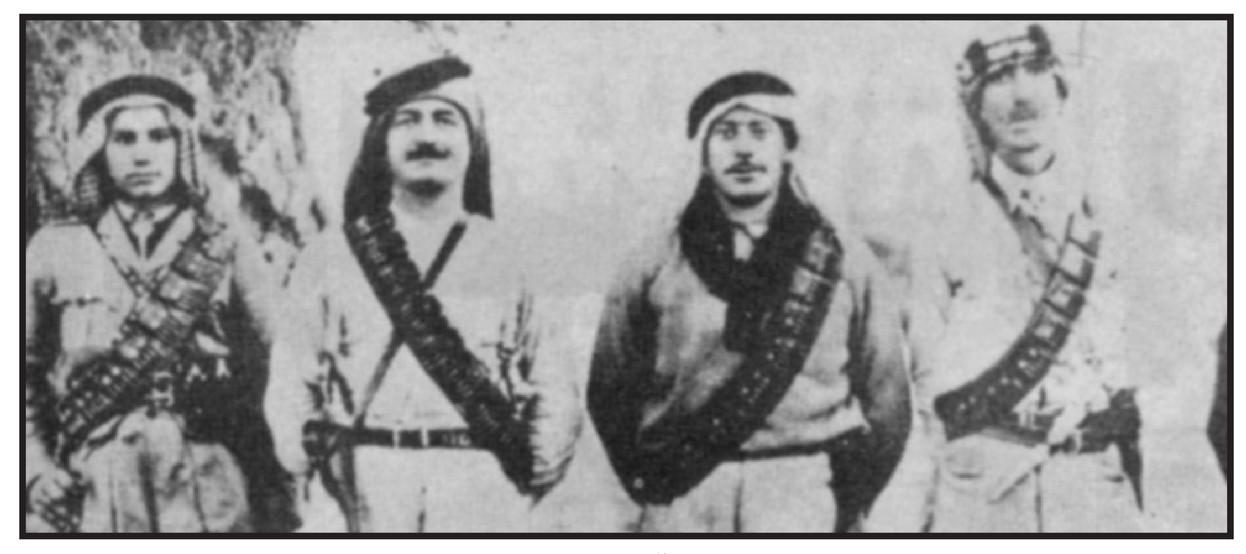




رشيد عالي الكيلاني



فوزي القاوقجي والمقدم محمود الرفاعي والمجاهد عمر أرناؤوط في جبهة فلسطين ١٩٤٨م



فوزي القاوقجي مع الثوار

الأمير عز الدين الجزائري
(١٩٠١-١٩٢٧م)

عربي جزائري الأصل، وُلِدَ في دمشق وكان ابنها البار. من حناياها انبثق، وفي أحضانها تربى وترعرع، وعلى أديمها دَرَجَ.
أعاد البريق لشعلة المقاومة، ووقف بكل الكبرياء والعزّ والشموخ والصمود، في وجه المحتل المغتصب، يدافع عن سورية وشعب سورية.!!!
أرض سورية خضّبت بالبطولات، ورُوّيت بدماء الشهداء، الذين رسموا بدمائهم طريق الجهاد!! لا تزال صفحاتها الناصعة ماثلة للعيان نتلو بخشوع آياتها!!
لقد اشتهر الأمير عز الدين الجزائري بين رفاق السلاح، بإخلاصه وتفانيه في سبيل الدفاع عن القومية العربية، مع إيمانه بالمبادئ والتعاليم الإسلامية، وبالرغم من دراسته العلمية، فقد كان يحمل تلك المبادئ التي توحي بالإباء، والتضحية والفداء، حتى أصبحت حياته المملوءة بالنضال والكفاح، كسفر نفيس من أسفار الجهاد المقدس.

ولادته ونشأته:

ولد الشهيد في قصر دمر سنة ١٩٠١م، وهو ابن الأمير محيي الدين الجزائري، وتلقى دراسته الأولى في مدرسة الشيخ عباس الأزهري في بيروت، ثم أكمل دراسته الثانوية في المدرسة العلمية، ثم درس الحقوق ونال شهادتها وإجازتها.
كان الأمير عز الدين الجزائري منذ فجر شبابه يراقب أحوال المستعمرين ويتذمر من أعمالهم، فشكّوا بأمره وراقبوه ثم أمروا باعتقاله لمدة عشرين يومًا بدون محاكمة، رغم أنه لم يقترف جرمًا يُحاكَم عليه. وفي دوائر الاستخبارات الفرنسية شاهد بعينيه ما يقترفه المحتل المغتصب من أنواع الفظائع، وخاصة تلك التي كان يرتكبها القائد الفرنسي السفاح (بيجان) وأعوانه البرابرة، لنشر حضارة المحتلين وديمقراطيتهم البلهاء.!! فكم من أبرياء لقوا مصرعهم بيده الأثيمة، وكم من ثائر قضى نحبه تحت وطأة الضرب والتعذيب.!! وقد رأى شهيدنا كيف تُقلع الأظافر، وتُصب المياه الباردة القذرة على الأبرياء المعتقلين، وكيف يُجلد الثوار بالسياط من قِبل الفرنسيين الغزاة، والتهمة

محبة الوطن والدفاع عنه، ومقاومة المحتل المغتصب(٤٩٣).

وأخيرًا توسّط الأمير سعيد الجزائري(٤٩٤) لدى قنصل بريطانيا بدمشق (المستر سمارت)، وقام هذا بدوره بالتوسط لدى السلطات الفرنسية، حيث طلب منها إطلاق سراح الأميرين المعتقلين في السجون الفرنسية الأمير عزّ الدين الجزائري.

والأمير طاهر الجزائري(٤٩٥). وأفرجت السلطات الفرنسية عن الأميرين الجزائريين غير أنهما بقيا تحت مراقبة الاستخبارات الفرنسية. وقد كان فقيدنا الشهيد يحمل شهادة الحقوق، كما كان الأمير الشهيد عزّ الدين الجزائري أديبًا وشاعرًا وله قصائد وأناشيد وطنيّة كثيرة، وكان يترنم بها كلما اشتدّ الكرب في السلم والحرب، وانتُخب قبل الثورة السورية بالإجماع رئيسًا للجمعية العربية.

وما كادت الثورة السورية تشتعل نيرانها عام ١٩٢٥م، حتى قام الشهيد ببث الأرصاد والعيون ليجمع للمجاهدين المعلومات عن الحملات الفرنسية، حيث استطاع بوسائله الخاصة، أن يبعث إلى زعماء الثورة برسائل سرية، تشتمل على المعلومات الهامة، الطافحة بالأخبار العسكرية القيّمة، وهي تتضمن تفصيلات وافية عن عدد الجنود الفرنسيين، وأنواع أسلحتهم وكيفية

---

(٤٩٣) ثمة قوانين عسكرية تقول: أَنَّ «المقاومة» لا تُهزم. ولا يقرع أبواب الحرية سوى «الأنساق» المحاربة. ولا يَدُقّ أبوابها سوى الأيدي المضرّجة بالدماء ومقاومة المحتلين «فرض عين» على كل مواطن. وقد ظهرت «المقاومة» متفوقة على أرض لبنان، بفضل اقتدار فصائلها على التحرك بسرعة، ومؤازرة الشعب لها. أحكمت السيطرة على الأرض سياسيًا وعسكريًا وتعبويًا والمقاومة اللبنانية قلبت موازين القوى وجعلت المعتدي أسير عدوانه، وفي قبضة يدها وتغلغلت بين صفوف العدو، وضربت مواقعه في العمق الصهيوني وهي الأكثر إيلامًا له.

(٤٩٤) الأمير سعيد الجزائري: ولد بدمشق عام ١٨٨٢م، ودرس في مدارسها، وأكمل تعليمه في الآستانة. في التاسع والعشرين من أيلول ١٩١٨م. وأتفق على تنصيب الأمير سعيد الجزائري حاكمًا على سورية - بعد انسحاب الأتراك - ولما وصل الأمير فيصل بن الحسين دمشق سلّمه زمام الحكم. لكن الإنجليز اعتقلوه ونقلوه إلى مدينة الرملة بفلسطين. وقد شيّد الأمير سعيد الجزائري قصره في «دمّر» فوق سفح جبل «الجنك» عند نهر «تورا» عام ١٩٣١م على طراز عمارة القصور الفرنسية، وزينه بالنقوش والنباتات والطيور والأشكال الهندسية الملونة، وجعل بحرة في المدخل. هذا وقد اشترك الأمير سعيد في جمع المعارك مع الثوار، وساهم في أكثر الحركات الوطنية في سورية.

(٤٩٥) الأمير طاهر الجزائري: بن الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري. ولد بدمشق عام ١٨٧٢م، ودرس فيها وفي بيروت، وعمل في الحقل الوطني، وساعد الوطنيين على التواري من بطش الأتراك. فاعتُقل واقتيد إلى الديوان العرفي الحربي في عالية، وحُكم عليه بالأشغال الشاقة، وبعد وساطات أُطلق سراحه بعد عام من اعتقاله ثم ما لبث أن اعتُقل ثانية وحكم عليه بالإعدام، وأُبدل الحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة. وبعد أن أمضى في السجن أكثر من عامين أطلق الأتراك سراحه قبيل رحيلهم عن البلاد. وعُيّن الأمير طاهر في العهد الفيصلي عضوًا في مجلس الشورى. وبعد دخول الفرنسيين سورية أقالوه من جميع وظائفه، ثم اعتقلوه بعد اندلاع الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، بتهمة مؤازرة المجاهدين، ثم أُطلق سراحه. واعتزل السياسة لاعتلال صحته، وتوفي عام ١٩٣٦م.

توزيعهم على مناطق الثورة، بالإضافة إلى عدد القوات التي كانت ترد عن طريق البحر خلال الشهر، حيث كان كبار الثوار والمجاهدين يتمنون أن لا يَعْجلٍ الأمير عز الدين في الالتحاق بالثورة، ضنًّا بهذه المعلومات الهامة، وخوفًا عليها من الانقطاع.

ومما هو جدير بالذكر أن الأمير الشهيد، كان ما يزال بين أهله في منطقة «حوش بلاس» - «وهي ضاحية من ضواحي دمشق على طريق القدم - الكسوة»- حين اتفق مع الثائرَيْن المعروفَيْن «أبو سعيد المغرشي، ومحمود الملقب بأبي يحيى» ومعهما بعض الشبان المغاوير على تدمير خطوط مواصلات العدو، فنسفوا قضبان السكك الحديدية في جهة الكسوة، كما هاجموا قطار حوران المصفّح، وحاولوا غير مرة إحراق الطائرات في المزة، وجرت مناوشة بين الطرفين انسحب على أثرها الثوار، وفي الوقت ذاته لاذت حامية المطار الفرنسية بالفرار، ولمّا حامت الشبهات حول الأمير الشهيد - عُقب الهجوم على قطار حوران التي قام بها الشيخ محمد الأشمر - ألقاه الفرنسيون في غياهب السجن، ولكنه تمكّن من الهرب والتحق بالمجاهدين، واشترك في معظم معارك الغوطة.

وقد حاول الفرنسيون استعمال سلاح التفرقة في حوران – كعادة كل مستعمر دخيل – لتحجيم الثورة، وتشويه وجهها الوطني، وتحييد بعض مناصريها، وتأليب وتحريض بعضهم على بعض، وإثارة المتاعب، وإغراء البعض بالمال والجاه!! وقد وعدوا زعماء حوران، باستقلال منطقتهم وإعفائها من الضرائب، والسماح لسكانها بحمل السلاح، شرط أن يحاربوا مع الفرنسيين ضد جبل الدروز.!! لكن شيخ مشايخ حوران «إسماعيل الحريري» رفض استعمال السلاح ضد أبناء الوطن، وخيّب آمال المستعمرين الدخلاء.

وكان الفرنسيون يوزعون السلاح، على بعض فئات معيّنة، تدين لهم بالولاء، لخلق الاضطرابات في صفوف الثورة والثوار وأنصارهم.

وكان الثوار يواجهون تلك الأساليب الرخيصة «بمشروع وطني»، لدحض افتراءاتهم واتهاماتهم وفضح أعوانهم.

وكان العدو في الوقت ذاته، يلجأ أحيانًا إلى ردّة فعل أو ثغرة ينفذ منها «لتحطيم اللحمة الوطنية» لكن رياح الثورة الوطنية كانت أقوى إذ عصفت رياحها بكل المناطق في سورية، وانتشر لهيبها في كل أجزاء الوطن الحبيب!!

ومن المفارقات، أن الأمير عز الدين الجزائري رغم أنه كان قد درس في المدارس الفرنسية، وكان ضليعًا متفوقًا بآداب اللغة الفرنسية، غير أنه لم يزده ذلك الاطلاع الواسع، إلاّ إيمانًا بسوء تصرف المستعمرين الفرنسيين، بسبب

تعسفهم وجَوْرهم، وهذا من المتناقضات الغريبة في الظاهر، ولكنها كثيرة الوقوع، إذ يكون المرء مشبعًا بعداء من تعلّم على أيديهم وتثقّف بثقافتهم، نظرًا لظلمهم والتنكيل بمن يقع بين أيديهم من أحرار البلاد، ومجاهدي الشعب الأبي، سواء أكان ذلك في سورية أم في الجزائر، أم في غيرها من بلاد المغرب العربي في شمال إفريقيا.

وللجزائريين تجارب مريرة مع المستعمرين الفرنسيين، فقد قَتَل الفرنسيون أكثر من مليون شهيد من الجزائريين في حروب الاستقلال.!!!

وحينما التحق الأمير الجزائري بالثورة السورية جمع عددًا من المجاهدين، وكان ينفق عليهم من ماله الخاص، كما اشترك في معظم معارك الغوطة، ووحّد أعماله، ونضاله مع صنوه الشهيد البطل المرحوم شوكت العائدي، حيث أخذا يشنّان الغارات على معسكرات الفرنسيين، ويتابعان تحرك قواتهم أثناء هجومها على مراكز المجاهدين المرابطين في قرى الغوطة، ويقطعان على قوات العدو خط الرجعة حتى تستطيع قوات المجاهدين ملاحقتهم وضربهم، وبذلك يحوّلون انسحابها إلى هزيمة شنيعة، وحتى لا تتمكن من أن تجمع قتلاها إلاّ بشق الأنفس. وكانت السلطات الفرنسية تجمع قتلاها ضمن الشاحنات المستورة بغطاء، ثم تدخل بها متخفية إلى أحياء دمشق، ولا تعود بمن نجا منها إلى المعسكر إلاّ ليلاً، وكان المواطنون من الأهالي يرقبونهم فرحين، ويحصون عدد السيارات التي تمر، ثم يقدّرون أعداد القتلى من الجنود الفرنسيين تقريبًا.

وقصارى القول: فقد كانت للإخوة العرب الجزائريين، ولشهدائنا الأبرار أمثال سعيد العاص، وعادل النكدي، وعبد القادر سكر، ونزيه مؤيد العظم، ومن آل الخانجي: عمر وجميل وعبد اللطيف وشفيق وسليمان ووجيه وياسين اليد الطولى في مجرى الثورة السورية، لشدة تفانيهم، وإقدامهم على القتال بجرأة في ساحات الوغى.

وكانت معركة (جبّاثا الخشب)(٤٩٦) من أعنف المعارك إذ اشترك فيها الأمير عز الدين الجزائري، مع الشهيد «أحمد مريود» وحوصر في مدرسة القرية، وردّ العدوّ عنها غير مرة، واستطاع بشجاعته أن يوقف تقدم العدو، فكان والحق يقال أوّل الأبطال إقدامًا على الفرنسيين، وآخرهم انسحابًا - عند الضرورة القصوى - لينضمّ إلى إخوانه الثوار حيث كان يصول ويجول،

(٤٩٦) جبّاثا الخشب: قرية في الجولان، منطقة مركز محافظة القنيطرة. تقع في السفوح الشرقية لجبل الشيخ فوق أرض بركانية، تحيط بها تلال كلسية، وأشجار حرجية. أقيم في وسطها نُصب تذكاري لقائد معركة الجولان ابن القرية المجاهد الشهيد أحمد مريود وتبعد عن دمشق ٤٠كم، وقد بناها آل مريود في منتصف القرن السادس عشر عام ١٦٦٠م، بين غابات السنديان التي ما تزال بقاياها ظاهرة للعيان.

مع ندّه المرحوم أحمد مريود في ميدان الجهاد بقلب مليء بالإيمان، وعقيدة وطنية مُثلى، فمنهم من قضى نحبه واستُشهد في المعركة، ومنهم مَنْ ينتظر يومه المعلوم وما بدّلوا تبديلا.

كما اشترك الأمير عز الدين الجزائري في (معركة بالا) - وهي من أهم معارك قرى الغوطة - فقد كان للأمير يوم مشهود ومشهور في معركة (بالا)، حين طوّقته القوات الفرنسية بأعداد كبيرة جدًا، فبايعه على الموت صنديدان عظيمان هما: شوكت العائدي وعادل النكدي، وغيرهما كثير من صناديد المجاهدين الذين صالوا وجالوا مستميتين في الدفاع عن أوطانهم، فوهبت لهم يومئذ الحياة، ودحروا الأعداء مع إخوانهم عدة مرات، وقد وقعت هذه المعركة في الرابع عشر من أيار عام ١٩٢٧م، وكنت أشاهد الأمير عز الدين وهو يرمي الأعداء واقفًا على قدميه، وكان من أمهر المجاهدين في إصابة الهدف، حيث كان الأمير يقتل قائد الحملة الفرنسية، ويوقع الاضطراب بين صفوف جنودها الذين يقتربون من متاريس المجاهدين، وكم من مرة استطاع ردّهم على أعقابهم خاسرين.

كان قتاله أشبه بحرب العصابات بين كرّ وفرّ بطبيعة الحال. وقد التفّت حوله نخبة ممتازة من الشباب المثقف، والرجال الشجعان الذين عَرَف كيف يقودهم من نصر إلى نصر، وكان يتمتع بجرأة فائقة ومناورات هجومية عجيبة، تدل على أنه رجل شجاع مقدام من الطراز النادر، وقد حضر أكثر المعارك التي حدثت قبل تطويق الغوطة، وخاصة معركة (عين ترما)، وقد رافقته في تلك المعركة، وكذلك في معارك حمورية وسقبا و(وعرّة زاكية) و(أم الشراطيط)(٤٩٧) و(الحديثة)(٤٩٨)، وفي جنوب جبل العرب بين قريتي (امتان) و(صلخد).

لقد حارب الأمير عز الدين الجزائري فرنسا، بالقسوة التي عاملت بها الشعوب التي استعمرتها، ووجد فرقًا بين ما أعلنوه في ثورتهم الفرنسية، وبين ثقافة المستعمرين الفرنسيين والإنجليز وممارساتهم القمعية.

قصة استشهاد الأمير. ! !

قصد الأمير عز الدين الجزائري وادي نبع «عين الصاحب» بطريق

(٤٩٧) أم الشراطيط (الطبيبية): تقع قرب الضفة اليسرى لنهر الأعوج قبيل بلدة سعسع في قضاء قطنا. تتفجر فيها المياه بسبب توضع البازلت فوق القاعدة الحوارية في «وعرة أبي قاووق». أُنشئت عند النبع مسمكة لتفريخ وتربية الأسماك. تقع على طريق دمشق – القنيطرة.

(٤٩٨) الحديثة: من قرى غوطة دمشق، تتبع ناحية النشابية في منطقة دوما، محافظة ريف دمشق.

«الدريج»(٤٩٩)، فهاجمه الفرنسيون قبل وصوله. ودار قتال عنيف استبسل الأمير من خلاله، وكان يقاتل وهو يسير باتجاه طريق «العين» للتحصّن هناك، وبلغ المكان بعد أن فقد معظم رجاله، وتحصّن في أحد الكهوف، لكن جنود العدو أحدقوا به من كل جانب!! وتابع الأمير عز الدين الجزائري إطلاق الرصاص على الفرنسيين، فقتل منهم ما يقارب السبعين فردًا من «علوجهم»، وسقط من رجاله ما يقارب العشرين ثائرًا، بين شهيد وجريح.

وطوّق الفرنسيون المغارة التي يتحصّن فيها الأمير عز الدين الجزائري ورفاقه الثوار، وراحوا يقذفونهم بالقنابل اليدوية.

وانفجرت إحدى القنابل، وجرحت ساعد الأمير، فهرول إلى باب المغارة يريد الخروج، وكان عتاده قد نفد فهاجمه الأعداء من كل جانب، واستبسل مع اثنين من رجاله في القتال، ولكن جنود الأعداء تكاثروا عليه وجندلوه.

ونُقل جثمان الأمير الجزائري إلى دمشق، وشُيّع في موكب مهيب في يوم الخميس الحادي والعشرين من أيار عام ١٩٢٧م، ودفن في مقبرة الدحداح».

وأبّنه الجنرال الفرنسي (فاليبر) – قائد موقع دمشق – معترفًا ببسالته وبطولته والفضل ما شهدت به الأعداء.



●●● وأنا أقول...

يعتبر المحتلون المغتصبون «المقاومة» «إرهابًا»، ورغم اختلال موازين القوى العسكرية لصالح الاحتلال في ميادين المواجهة، إلا أن خيار «المقاومة» انتصر على أرض فلسطين، والمشروع الصهيوني انكفئ تحت ضربات «المقاومة».

والانكفاء والانسحاب انتصار كامل لخيار «المقاومة»، وسقوط مدوٍّ لكل نظريات الانهزاميين، الذين شككوا بالانتفاضة والمقاومة، وبقدرتها على هزيمة الاحتلال.

هذا الصمود التاريخي الجبّار للمقاومة الوطنية - رغم العدوان المتواصل والحصار - فقد استطاع المقاومون للاحتلال، تطوير أساليب الكفاح والنضال في مواجهة العدو، وتحقيق الانتصار، وإلحاق الهزيمة تلو الهزيمة بالاحتلال الصهيوني، وبناء قاعدة صمود تنطلق منها المقاومة لاستعادة حقوق الشعب الفلسطيني!! هذه «المقاومة» في غزة هاشم، التي يصفها «الصهاينة» و«المتصهينون» بالإرهاب، استطاعت استنْزاف قوة العدو، لتتهاوى أحلامه واستراتيجيته الاستيطانية، وتسقط «أساطير» أرض فلسطين التاريخية،

(٤٩٩) الدريج: قرية في هضبة القلمون في محافظة ريف دمشق، وتتبع منطقة منين، وتبعد عنها سبعة كيلومترات، وتخترق أراضيها عدة أودية أشهرها وادي عين الصاحب

وتتداعى ايديولوجيا «المتعصبين»، ورؤاهم الخرافية الخياليّة، ليحل محلها مرارة الهزيمة والسقوط المدوّي.

وإذا أرادت أميركا فعلاً أن تحاصر الإرهاب، وتجفّف منابعه في العالم - كما تدّعي - فعليها أن توقف انحيازها الكامل ودعمها اللامحدود للدولة الصهيونية، وتوقف عصر العربدة الإسرائيلية، وتعترف بـ«المقاومة» أنها لتحرير أرض الوطن من الاحتلال.

وحرب أميركا على ما تسميه «إرهابًا»، ما هو إلا حرب على القوى التي تناصب «إسرائيل» العداء.

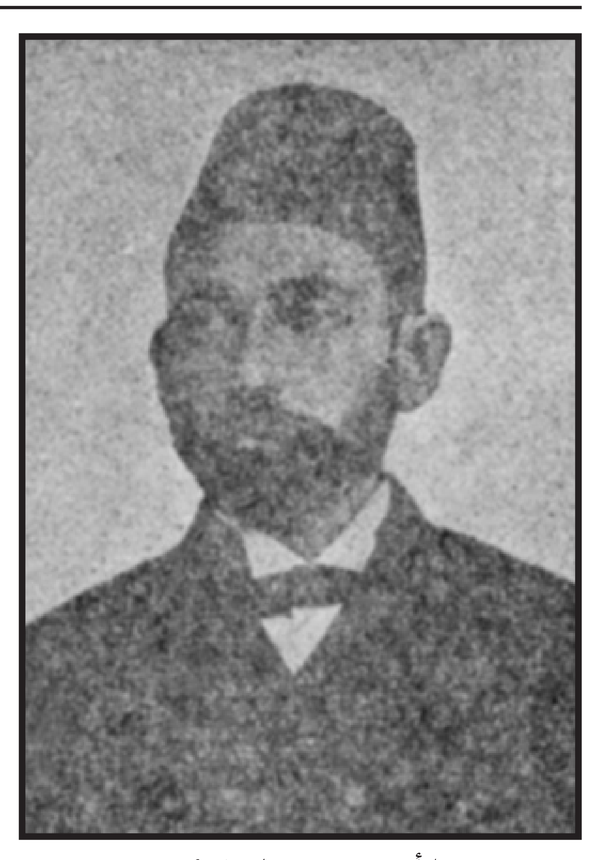
وفي زمن التوحش الأميركي المتصهين، يُحكِم «المتصهينون» قبضتهم على كل القرارات التي تصدر، لتصبَّ في مصلحة الدولة الصهيونية، لإخضاع المنطقة للسطوة الصهيونية، وتحقيق المشروع الصهيوني «الشرق الأوسط الكبير» - الذي تبناه المتصهينون نيابة عن الصهاينة - وبدعم من اللوبي الصهيوني، لتفتيت المنطقة إلى «كيانات» مذهبية وأثنية متنافرة، غير قابلة للحياة، ونزع سلاح «المقاومة» والقضاء عليها، لأنها تهدد الدولة الصهيونية. ومكافحة «الإرهاب» واستئصاله، لا يمكن أن ينجح من خلال حرب تشنها دول عظمى مهما بلغت من العَظَمة، وامتلكت من أسلحة القتل والتدمير، فالإرهاب وليد سياسة ظالمة جائرة، جعلته أكثر عنفًا وشراسة ودموية.

«الإرهاب» يا مَنْ تحاربون الإرهاب لا يولد إلا من الانحياز الكامل والأعمى إلى جانب «المعتدي»، واعتبار كل مَنْ يدافع عن أرضه ووطنه «إرهابيًا»، والكيل بمكيالين، وانعدام العدالة، والسكوت على السياسات الإجرامية التي تمتهنها حكومات تدّعي الديمقراطية، بآلة الحرب الجهنمية، في مشاهد للموت المتنقل بلا حدود في موت محتم، لا يفرّق بين طفل أو امرأة أو كهل مسن وفي مجازر جماعية يندى لها جبين الإنسانية.

لا يستطيع أحد من المواطنين العرب أن يتجاهل، السياسة العنصرية لدولة الكيان الصهيوني، ومجازرها عبر التاريخ، والإبادة الجماعية للفلسطينيين؟!! كما لا يستطيع أن ينسى عمليات القتل التي مارسوها بكل سادية، فالعنف لا يأتي إلا بالعنف والدماء لا تجرّ إلا الدماء.

فهل مَنْ يوقف غطرسة القَتَلة العُتاة المارقين، الذين امتهنوا القتل والتدمير عند حدّهم أم أنها «نهاية التاريخ»(٥٠٠).

(٥٠٠) نهاية التاريخ: كتاب للمفكر الأميركي من أصل ياباني الأكثر شهرة «فرانسيس فوكوياما»، أكّد فيه أن الرأسمالية هي النظام الأمثل لإدارة اقتصاد العالم. مدعّمًا وجهة نظره التي تصبّ في تدعيم الفلسفة الليبرالية. وشهد فوكوياما على أن الإخفاق المدوّي والمخجل لأسوأ رئيس أميركي تولى الحكم منذ الاستقلال. معترفاً أنه قد أُصيب بالعمى الأيديولوجي وأنه أكبر كارثة حطت بأميركا بعد الخسائر الأميركية في حربه العبثية على العراق.



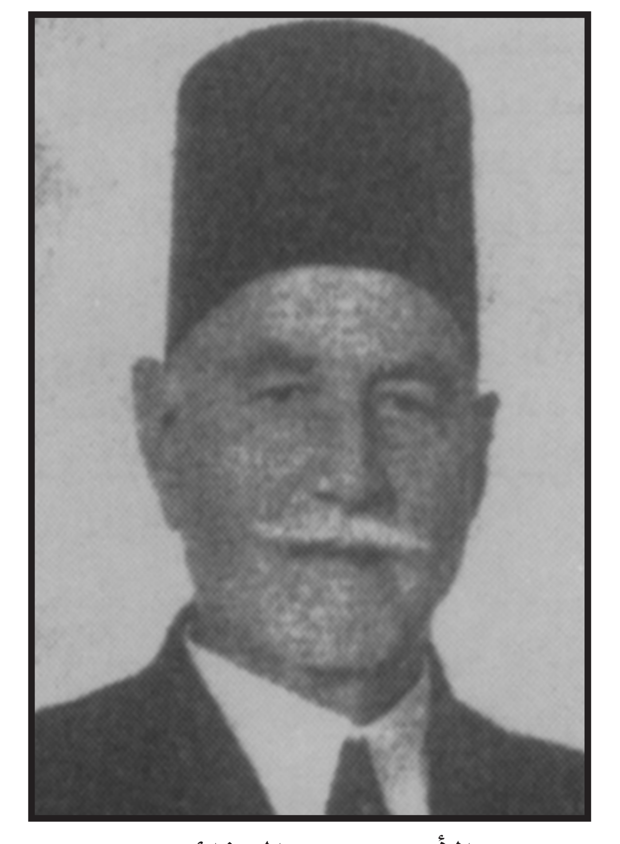
الأمير عمر الجزائري



الشهيد الأمير عز الدين الجزائري



الأمير طاهر الجزائري



الأمير سعيد الجزائري

الأمير محمود الفاعور

شيخ عشائر الفضل

أكاد أجزم أن الأرض التي احتضنت دماء آبائنا وأجدادنا الأبطال أرض طهور مقدّسة، وسوف تستنهض هذه الدماء الطاهرة همم الأمة، وسواعد شبابها الواعد، لتوقد المشاعل وتنير الشموع في الدرب السديد، منتظرة أن ينبلج الصبح المنير، بعد عتمة الليل البهيم.

والموتورون في كل زمان ومكان يتحركون لزعزعة ثقة المواطن برموزه الوطنية، والتشكيك بهم، وتشويه سمعتهم، بنشر الأكاذيب، والدعايات الملفّقة مستغلين المصاعب والمشكلات التي يمرّ بها الوطن لشنّ حملات مغرضة، في نهج مبرمج، ضمن حراك استعماري مشبوه.

يتغّلغلون داخل صفوفناً، بكل تضليل وخداع، لتفكيك النسيج الاجتماعي، وفتح ثغرات في صفوفنا، تستهدف إلحاق الأذى في البُنية الاجتماعية.

وفي تمويه مشبوه يتقدم أعداء الأمة، مواربين مخادعين، دون أن يسمحوا لنا بأن نعرف وجهتهم، ومآربهم الدونية الإجرامية آملين منا أن نندفع نحو الطريق الخاطئ، لنقع في المستنقع الذي أعدّوه بكل براعة، وغالبًا ما نفعل - كلّ ما يخطّطون ويبرمجون - بسذاجتنا وجهلنا بألاعيب العدو ومكره. حتى أصبح هذا الكذب والتضليل والخداع مفضوحًا.

وما أذكره ولا أنساه مدى الحياة، ذلك الاحتفال الكبير الذي أقامه الشهيد (أحمد مريود)، تكريمًا للأمير محمود الفاعور في «النادي العربي»(٥٠١)

(٥٠١) يقوم النادي العربي بدمشق حاليًا، في موقع جسر فكتوريا، ومواجهًا لمركز محطة سكة حديد الحجاز في «حي الحلبوني». تأسس في حزيران عام ١٩١٩م، بعد الاستقلال عن الأتراك، وكان مركز إشعاع ثقافي ووطني، ومركز تجمّع النخبة الوطنية. ومن فوق منبره ألقى الملك فيصل الأول - ملك سورية - خطابًا وطنيًا حماسيًا، معلنًا استقلال سورية رافضًا الانتداب الفرنسي كما عقد «المؤتمر السوري العام» أولى جلساته فيه. لكن بعد دخول قوات المحتل الفرنسي، عاصمة الأمويين دمشق، في أواخر تموز ١٩٢٠م، ختمت سلطات الاحتلال النادي العربي بالشمع الأحمر. ثم أعيد افتتاحه عام ١٩٣٧م، وحدّد النظام الأساسي هوية وغاية تأسيسه: «العمل على إحياء تاريخ العرب ومجدهم، وتحقيق وحدتهم، ونشر الثقافة، والسعي إلى كل ما يفيد العرب، وينهض بهم قوميًا وثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وذلك باستعمال الوسائل المشروعة». فكان النادي العربي أول مؤسسة عربية تنادي وتسعى للوحدة العربية الشاملة ثم ما لبثت سلطات الاحتلال الفرنسية، أن أغلقت النادي عام ١٩٣٩م، متهمة أعضاء النادي، بالعمل لإسقاط «حكومة المديرين». وأُحيل أعضاؤه إلى محكمة عسكرية، وحُكم على بعضهم بالإعدام، وعلى آخرين بالسجن مدة طويلة، واختار آخرون العيش خارج البلاد في المنفى.وأُعيد افتتاح النادي عام ١٩٤٥م،

بدمشق، أواخر عام ١٩١٩م.

وكان الخطباء والشعراء يتبارون بتعداد صفات ومزايا ضيف الشرف، وما اتصف به من الشمم والإباء، وما فطر عليه من النخوة العربية، والنجدة، والمروءة، والغيرة الوطنية. والإشادة بثورته لإنقاذ الأقضية الأربعة، التي سلبها المستعمر وضمها إلى لبنان الذي احتله ومن جملة الخطباء البارزين الذين كان لهم في نفس الأمير أعظم تأثير: الشيخ عبد الرحمن سلام إذ ما كاد ينهي خطابه الذي ختمه بقصيدة من نظمه، حتى قام الأمير حاملاً سيفه، وقال له مخاطبًا: «لئن كنتُ لا أجيد الخطابة فإن هذا السيف سوف يتكلم في ميادين الجهاد المقدسة» فدوى النادي بالتصفيق والهتاف ثم ودّعت الجماهير المحتشدة الأمير محمود الفاعور شيخ عشائر الفضل بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم وإجلال، وهكذا ثار الأمير محمود الفاعور ثورته المشهورة على المستعمرين الفرنسيين.

أما الشهيد أحمد مريود - فقد جمع من أبناء عشيرته وبعض المواطنين المتطوعين، زهاء سبعين فارسًا متطوعًا، كما جمع السيد عبد القادر البارافي (وكان قائدًا للدرك في منطقة قطنا) ما يزيد عن خمسين فارسًا كرديًا - (حيث استصدر المرحوم أحمد مريود أمرًا غير رسمي من الحكومة الفيصلية يتضمن الموافقة على التطوع لمهاجمة الفرنسيين في المناطق المتاخمة لسورية) - وهكذا تجمّع من فرسان المجاهدين، ما يقارب ألف مقاتل من عرب الفضل والجراكسة(٥٠٢) وغيرهم، من أهالي القنيطرة. وتمكّنت تلك القوّة من احتلال (مرجعيون) ليلاً، بالرغم من قصف القوات الفرنسية المرابطة في (قلعة مرجعيون) للثوار بالقنابل، فقد استمر المجاهدون يهاجمون العدو على طول خط جبهة المنطقة، وأخيرًا انسحب عرب الفضل والشراكسة إلى مناطقهم، أما باقي القوات التي يقودها (مريود والبارافي) مع بعض الشباب من متطوعة الشراكسة(٥٠٣) وعلى رأسهم المجاهد الكبير السيد «بدر الدين المفتي» فقد استمرت في نضالها وقتالها، حيث توجهت قوات الثوار إلى بلدة

ليتابع دوره الريادي القومي والثقافي، وليشارك الأمة العربية حتى اليوم نضالها وكفاحها المرير ضد المعتدين.

(٥٠٢) الجراكسة: شعب مسلم من العرق القوقازي، يقطن في بلاد القوقاز على سواحل البحر الأسود. ويتميزون بطول القامة، والجمال الجسماني، والشعر الكستنائي. ويتكلمون اللغة الجركسية، ويبلغ تعدادهم ٣٥٠ ألف في روسيا، وقرابة ٩٥ ألف في تركيا. ويتوضعون في الأجزاء الجنوبية الغربية من روسيا، والساحل الشرقي من البحر الأسود، شماليَّ الطرف الغربي من جبال «القفقاس»، كما يوجد في سورية والأردن الكثير منهم.

(٥٠٣) قام متطوعة الشراكسة، في صباح يوم السبت ١٣ شباط / فبراير ١٩٢٦م، بالهجوم على سكان الميدان التحتاني، ونهبوا المتاجر وقتلوا نيّفًا وعشرين شخصًا بين شيخ وطفل وامرأة، واستأنف ٣٠٠ منهم الغارة صباح يوم الأحد ١٤ شباط فهاجموا حيّ «الغلاينية» ونهبوا حوالي مئة دار، وفتكوا بكل ما صادفوه. (الثورة العربية الكبرى، المجلد الثالث، أمين سعيد، ص ٤٣٦).

(راشيا)، وذلك قبل أن يحتلها العدو، وتمركزت في قرية (الصويرة) التابعة إلى لبنان، ثم قام المجاهدون بشن هجماتهم المتعاقبة على المراكز الفرنسية المرابطة في شتورة والمعلّقة، وجميع أنحاء البقاع. حيث تمكنوا من قتل وأسر أعداد كبيرة من قوات المستعمرين. ثم انسحب المجاهدون من تلك المنطقة بناء على أوامر عُليا تقتضيها الظروف القاهرة.

أما سبب التجاء الأمير الفاعور إلى الأردن، فقد كان الأردن موئل المجاهدين الأحرار من السوريين وغيرهم، يفزعون إليه عند الملمات، ثم اتخذوه مركزًا لنشاطهم ووطنيتهم العارمة، وحماسهم الملتهب الذي لا تنطفئ ناره، حيث أخذ الرعيل تلو الرعيل منذ عام ١٩٢٠م، يزحف إلى البلاد الأردنية، أمثال رشيد باشا طليع، والأمير عادل أرسلان، والشيخ كامل القصاب، والشهيد عمر شاكر الخانجي، وأشقائه عبد اللطيف شاكر الخانجي وجميل شاكر الخانجي، وخير الدين الزركلي، وحسن الحكيم، ورشدي الصفدي، ونبيه العظمة وأخيه عادل العظمة وسامي السراج وغيرهم كثير لا تسعفني الذاكرة بتعدادهم وكان في طليعة أولئك الزاحفين الشهيد (أحمد مريود) الذي كان على رأس مجموعة كبيرة من المجاهدين، حيث أقام في قرية (كفرسوم)(٥٠٤) في ضيافة شيخ مشايخها الشهم الكريم (تركي الكايد)(٥٠٥)، وقد رحّب أهالي القرية بهؤلاء الضيوف الشرفاء وأكرموهم، وقد اختار أحمد مريود هذه القرية دون غيرها، ليكون على مقربة من الحدود السورية، وكان فقيدنا الشهيد يبثّ العيون والأرصاد في أرجاء البلاد السورية، لاستطلاع أخبار العدو، وتتبع حركاته، واقتفاء آثاره، مع ترقّب الفرص للعمل على ضربه.

وفي شهر حزيران من عام ١٩٢١م قرّر الجنرال (غورو) القيام بجولة استعراضية في قضاء القنيطرة، يرافقه رئيس الحكومة السورية «حقي العظم»، وشقيقة «غورو» «ماري تيريز»، وصديقتها «مدام لونغمار»، حيث دعاهم الأمير محمود الفاعور شيخ عشائر الفضل، والشيخ نوري الشعلان وولده «نوّاف» لزيارتهم في مضاربهم، حيث كانوا يخيمون حول القنيطرة.

ولهذا اغتنم فقيدنا الشهيد أحمد مريود هذه الفرصة السانحة، وقرّر

(٥٠٤) كفرسوم: قرية تقع إلى الشمال من مدينة إربد «مسقط رأس محرر الكتاب نشأت جميل شاكر الخانجي»، وتبعد عنها ١٦كم، وترتفع عن سطح البحر ٤٥٥ مترًا، ويبلغ تعداد سكانها ستة آلاف نسمة، اتخذها قائد ثورة الجولان (أحمد مريود) قاعدة ومقرًا له، ولثلاثمئة من رجاله الثوار الذين رافقوه، ما بين عامي ١٩٢٠م وحتى عام ١٩٢٢.

(٥٠٥) تركي الكايد: آخى زعيم عشائر العبيدات «تركي الكايد المفلح عبيدات» بين عشيرته وثوار أحمد مريود، وكان زعيم عشائر العبيدات «كايد المفلح» قد وُلد في قرية «كفرسوم» عام ١٨٦٨م، وعُيّن عضوًا في مجلس القضاء، ثم نُصّب زعيمًا لمنطقة «الكفارات» في شمال الأردن. لكنه استُشهد في معركة «أم الثعالب» في فلسطين عام ١٩٢٠م، مُعلنًا الجهاد ضد حكومة الانتداب البريطاني والهجرة اليهودية.

إرسال ثلة من المجاهدين المغاوير الأبطال لاغتيال الجنرال (غورو) قائد جيوش الاحتلال، والحاكم الغاشم الذي فرض سلطته على البلاد بالحديد والنار، وقد زوّد أحمد مريود هذه المجموعة الاستشهادية بالتعليمات الواجب أتباعها، وهي أول فرقة مقاومة وطنية استشهادية مسلحة، تنطلق من الأردن وتثأر لشهداء معركة ميسلون، وحوران.

وفي صباح الخامس والعشرين من شهر حزيران عام ١٩٢١م، انطلق الثوار من بلدة «كفرسوم» وسلكوا طريق عقربا – نهر اليرموك – الزوية – جباتا الخشب – طرنجة حيث أصبح هؤلاء الفرسان الأبطال على الطريق العام بين القنيطرة ودمشق، ورابطوا بالقرب من الجسر الكائن في موقع (كوم الرويسية). وما كادت طلائع السيارات العسكرية التي تُحيط بالجنرال (غورو) تصل إلى مفرق «ماعص» - موقع الكمين - على مسافة ١٢كم من مدينة القنيطرة. وبسرعة البرق اقتحم ثوار أحمد مريود موكب الجنرال «هنري غورو»، وانهالوا عليه بوابل من الرصاص.

بعد تلك الحادثة ساءت العلاقات بين السلطات الفرنسية، و الأمير محمود الفاعور، الذي سبق له أن اشترك مع آل مريود والأكراد والشراكسة بمهاجمة منطقة «مرجعيون» في أواخر العهد الفيصلي، لهذا أخذت السلطات الفرنسية تضغط عليه، وتلاحقه بمضايقاتها ومضاعفة الضرائب على المواشي والأنعام، مما اضطره أن يلتجئ إلى مدينة إربد، حيث رحّب بمقدمه حاكمها الإداري الزعيم (علي خلقي الشرايرة)، الذي ساهم بتدريب الشباب والمثقفين والمواطنين، على الأعمال الحربية والقتالية، ورسم الخطط العسكرية لمهاجمة العدو أينما وجد، وإشغال قواته، وتكبيده الخسائر الفادحة.

ولا زلت أذكر كيف أن لجنة المعارف في مدينة إربد، أقامت حفل استقبال ضخم، على شرف الأمير محمود الفاعور تكريمًا له وللثوار، ثم جرى أثناء ذلك «مزاد علني»، على لوحة زيتية لـ«بيت المقدس» و«المسجد الأقصى»، وافتتح الأمير محمود الفاعور المزاد العلني متبرعًا بعشر ليرات ذهبية، وقد بلغ ثمن اللوحة ما يزيد عن خمسين ليرة ذهبية.

ولما صدر العفو العام عن جميع الثوار، بعد توقيع المعاهدة السورية - الفرنسية، عاد الأمير(٥٠٦) «محمود الفاعور» إلى عشيرته وأهله، محفوفًا

(٥٠٦) تصف ثقافتنا الشعبية الذي يتحلّى بمكارم الأخلاق، والكرم والجود والنخوة والنجدة والشجاعة والبسالة والإقدام والرأي السديد وصاحب الأخلاق الحميدة بالقول بأنه «أمير». فالأمارة في التراث العربي تعني «القيادة» وهي أفضل تعبير عن القِيم باعتبارها المكوّن الأساس للقيادة. تمامًا كما يسمى (آل البيت) بـ«الأشراف» وهو وصف مستمد من الصفات وليس من النسب فحسب، كما توصف الجواهر الثمينة بالأحجار الكريمة، تعبيرًا عن القيمة العالية للكرم الذي هو جوهر الأخلاق. كما أن لقب «الملك» في جوهرها قيمة أخلاقية يُقصد بها القِيم

بالإجلال والتكريم، مع سائر المجاهدين والثوار السوريين.

❖❖❖

●●● وأنا أقول....

سأستعير هنا الكلمة التي كتبتها الزميلة الأديبة السورية الروائية أنيسة عبود مؤلفة «ركام الزمن» تحت عنوان «وادي الصراخ»:

نادينا وصرخنا، هطلت الدموع ولوحنا بأيدينا فهل التقطوا بعض النداء وبعض الشوق.

لو كنتم معنا في عين التينة. نحن في التلة المطلة وهم في مجدل شمس ووادي الصراخ بيننا، وبيننا الأسلاك الشائكة وأربعون عامًا تقريبًا من البعد والفراق. وحكايات طويلة، وأسرار وسجون، وسجناء وأسرى. بيننا دماء الشهداء وطلقات الرصاص والقنابل والحواجز المفخخة. بيننا تاريخ مشترك وأرض مشتركة ولغة واحدة وأهل وأحبة موزعون بين الأرض الأم والأرض المغتصبة – الجولان الحبيب.

انتهى الملتقى، وما انتهى اللقاء مجدل شمس أمامنا، والشام أمامهم وجبل الشيخ يرنو إلينا فلو استطاع لصرخ بصوته العالي.

لو استطاع تل أبو الندى لَنَزَلَ نحونا مجتازًا وادي الصراخ والأسلاك والأراضي الملغمة.

نحن في الجولان إذاً فماذا نخبر عن الشام والبرد قارس وقاهر؟ ماذا نقول عن حلب وحمص واللاذقية والفرات؟ كيف نخبره بأن الشام صارت كبيرة جدًا بشموخها ووقفتها الصامدة، وتحديها للطامعين وللطابور الخامس الذي يمتد ويتطاول حولنا وربما بيننا. لكنه كالفطر ينتشر بسرعة ويموت بسرعة فلا خوف على قاسيون. لا خوف على البحر والجبال. بالتأكيد هناك أشياء كثيرة أود لو أخبر عنها ولكن البرد القارس جعلنا نختصر لأن خير الكلام ما قل ودل.

ثلاثة أيام في الجولان. ثلاثة أيام نلقي بندائنا في الوادي «الجولان بوابة للسلام». فهل توجد كلمة سلام في قاموس الصهيونية؟ هل لكلمة السلام معنى عند أميركا سوى الاحتلال والقتل والتدمير والهمجية التي تسميها: دروس في الديمقراطية؟

مع ذلك. الجولان بوابة السلام، وبوابة مستقبل جديد ولغة جديدة وأسلوب جديد في التعاطي مع هذا العدو الذي لا يؤمن إلا بسفك الدماء

والنُّبل وليس الزعامة فحسب: (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً) [المائدة: ٢٠] هذا الوصف من كتاب الله يمثل الأخلاق وهو تعبير عن التواضع والالتزام الأخلاقي والاعتزاز بالشعب.

وقتل الأطفال وحرب لبنان خير دليل على ذلك وما يحدث في فلسطين وسيحدث هو ترجمة لما يؤمن به هذا العدو القابع كالأفعى بيننا، ثلاثة أيام والأسلاك على بعد أمتار وراءنا ونحن نتحدث عن الجولان الغالي.

ولو كنتم معنا، لسمعتم نداءهم، ورأيتم دموعنا ودهشة الضيوف العرب والأجانب، كنتم شاهدتم وحشية الأسلاك وشراستها التي تشبه شراسة العدو، وشراسة كذب العدو. كنتم شممتم رائحة تفاح الجولان وكروم الجولان وتراب الجولان.

يا لهذه الأسلاك التي تشرئب وراءنا وأمام أهلنا في الجولان، خطوات بيننا، هي خطوات ونستطيع أن نضمهم، ونشم عطرهم خطوات ونقدر أن نزرع الورد على دماء شهدائنا في الحمة وبانياس وتل أبو الندى وجورة أم العسل وفي أعلى جبل الشيخ حيث ترفرف الأرواح كما هي الأعلام.

أسلاك تمتد، ووادي الصراخ يمتد، ستزول الأسلاك بالتأكيد وسنركض في وادي الصراخ، الوادي الذي يخبئ آلاف الحكايات وتلال الشوق والدموع والنظرات، فماذا لو اقتربنا أكثر وشربنا الشاي مع الأهل هناك. ماذا لو أخبرناهم عن الأسعار والزحمة وسورية الحديثة، وسألناهم عن مزارعهم وأطفالهم وعذاباتهم؟

أطلّي أيتها الوجوه الحبيبة، تعالي يا حصون الجولان، اقتربي أيتها الغابات المقدسة، لنا عندك حكايات الأجداد والأحباب لنا فيك قصائد شعراء وتاريخ طويل يمتد إلى حضرموت وإلى الفرات والنيل.

يا جولاننا الحبيب، نعرف أن الصهاينة ينهبون آثارك ومياهك وخيراتك ويقتلون أبطالك، نعرف أن أهلنا يرفضون التهويد، ويتمسكون بهويتهم العربية السورية. لذلك أول خطوة نحو بوابة السلام هي استرجاع الجولان الحبيب.

فلا تنسانا يا وادي الصراخ، لا تغفل شهقة أم. ولا تلويحة يد عروس. لا تنسى أن كل صرخة هي قنبلة على طريق التحرير والعودة. فإليك أيها الجولان نتطلع ونرسل الأمل ونبدأ الدرب بخطوة، ثم خطوة إلى أن تعود إلينا ونعود إليك. والسلام عليك.

❖❖❖



شعار النادي العربي والعلم الفيصلي



كايد المفلح عبيدات

الأمير عادل أرسلان
(١٨٨٢-١٩٥٤م)

جذب مغناطيس الثورة السورية الكبرى كل فئات الشعب مثقفين وقادة وزعماء وعمالاً وفلاحين، يدفعهم حب تراب الوطن والدفاع عن العِرض والشرف وطرد المستعمر الغاصب.

ولد الأمير عادل أرسلان عام ١٨٨٢م في «الشويفات»، وتلقى علومه في مدرسة (الحكمة) والفرير، والعثمانية في بيروت. ثم سافر إلى فرنسا للتخصص في الأدب العالمي، وبعدها انتسب إلى الكلية الملكية في الآستانة، وكان يتقن اللغتين: التركية والفرنسية.

شغل عادل أرسلان وظيفة أمانة السر من الدرجة الأولى، في وزارة الداخلية العثمانية في الآستانة سنة ١٩١٣م. ثم عيّن مديرًا للمهاجرين في «ولاية سورية» عام ١٩١٤م، وبعدها أسندت إليه قائمقامية الشوف في لبنان.

وفي سنة ١٩١٦م انتُخب نائبًا عن جبل لبنان في مجلس «المبعوثان العثماني»، وظل في الآستانة حتى الهدنة في سنة ١٩١٨م.

وفي خريف عام ١٩١٩م عيّن حاكمًا لجبل لبنان، وبعدها مساعدًا إداريًا لحاكم سورية العسكري العام الفريق (رضا باشا الركابي) في الحكومة الفيصلية. ثم مستشارًا سياسيًا للملك فيصل الأول عام ١٩٢٠م، حيث اتخذه رسولاً في اتصالاته مع الإنكليز والفرنسيين.

ولما أنهار العهد الفيصلي بعد الاحتلال الفرنسي، سافر إلى أوروبا وبعدها استقر في الأردن، ثم سافر إلى الحجاز. ولما سقطت مكة بيد الجيش السعودي نزح إلى مصر. وبعد توقف الثورة سافر مرة أخرى إلى أوروبا، وبقي فيها مشرّدًا مع القادة الوطنيين، وبعدها طاف البلاد العربية بمهام استقلالية، واستمر مكافحًا مناضلاً إلى أن عُقدت المعاهدة الفرنسية - السورية عام ١٩٣٦م، حيث عاد بعد صدور العفو العام عن الثوار إلى سورية عام ١٩٣٧م، وعيّن في العهد الوطني وزيرًا مفوضًا لسورية في أنقرة عام ١٩٣٨م، ولما أنهار الحكم الوطني بانهيار مشروع المعاهدة الفرنسية - السورية، اعتقله الفرنسيون وأبعدوه إلى تدمر، وبعد إطلاق سراحه رجع إلى بيروت واستقر فيها.

عودته إلى الوزارة السورية:

وفي السابع عشر من حزيران سنة ١٩٤٦م، تقلّد الأمير عادل أرسلان منصب وزارة المعارف، في أوائل عهد استقلال سورية، ضمن وزارة المرحوم سعد الله الجابري(٥٠٧)، ثم تقلدها عام ١٩٤٧م في وزارة جميل مردم.

وفي عام ١٩٤٧م انتخب نائبًا عن الجولان في مجلس البرلمان السوري(٥٠٨)، وفي كانون أول سنة ١٩٤٨م كُلِّف بتشكيل الوزارة السورية، فاعتذر عن القيام بهذه المهمة غير مرة.

ثم عُهد إليه أن يكون مندوبًا لسورية، في مؤتمر فلسطين الذي عقد بلندن. وفي ١٩ نيسان سنة ١٩٤٩م أُسندت إليه رئاسة الوفد السوري إلى الأمم المتحدة، ولكنه استقال من هذا المنصب الخطير في ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩٤٩م، احتجاجًا على سياسة الحكومات العربية في معالجة قضية فلسطين.

ثم تقلّد منصب وزارة الخارجية السورية في عام ١٩٤٩م، ثم ما لبث أن عُيّن في أواخر السنة نفسها وزيرًا مفوضًا لسورية في تركية، وبقي حتى الانقلاب الذي قام به أنور الحناوي لإقصاء حسني الزعيم. وعلى إثر ذلك عاد إلى لبنان.

كان عادل أرسلان شاعرًا رقيقًا، وكاتبًا بليغًا رشيقًا وعندما قصف الفرنسيون دمشق بالمدافع، وهدموا بعض أحيائها - وخاصة في حي الميدان - وباب الجابية وباب السريجة، توجّع وتألّم لمصابها ولِمَا حلّ بها من فظائع ونكبات فقال في إحدى روائعه:

سلام على الفيحاء من قلب موجع ... أبت نفسه في الحب أن يتظلما
فتى أخذت أيدي النوى من شبابه ... فما تركت إلاّ فؤادًا متيما

---

(٥٠٧) سعد الله الجابري: ولد في مدينة حلب الشهباء عام ١٨٩٢م، وتخرّج من المدرسة الملكية في تركيا، وتولى رئاسة الوزراء في سورية ثلاث مرات، من عام ١٩٤٣م وحتى عام ١٩٤٦م، كما تولى منصب وزارة الخارجية. كان سعد الله الجابري مناضلاً وطنيًا، عنيدًا في الدفاع عن حقوق وطنه، يكره المتزلفين ويزدري المنافقين، ويحترم الخصوم الشرفاء كل الاحترام. سافر سعد الله الجابري ليلة العدوان الفرنسي على مبنى البرلمان السوري، في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥م إلى بيروت، متخفيًا بثياب «راهب» في سيارة بطريرك روسيا، الذي كان يزور دمشق، على رأس وفد من الكنيسة الروسية، كي يُعلن للعالم أن العدوان الفرنسي الغاشم على وطنه لا يزال مستمرًا وضجّ العالم بعد ذلك طالبًا من المعتدين الانسحاب. وتوفي الجابري في العشرين من حزيران ١٩٤٧م، ووري الثرى إلى جانب مفجّر ثورة الشمال البطل العظيم إبراهيم هنانو في مدينة حلب الشهباء.

(٥٠٨) انتُخب الأمير عادل أرسلان نائبًا عن الجولان، في فترة رئاسة حسني الزعيم في ٣٠ آذار / مارس ١٩٤٩م.

وعزمًا يريه العام يومًا وليلة — وصبرًا يريه القفر أحلى وأحلما
وما ضرّه أن يشمل الشيب رأسه — وهل غاب نسر الجو أن صار قشعما
نعمت صباحًا جنة الأرض كلها — وأسكن من تبكينهم جنة السما
ولا زلت في وجه الجزيرة شامة — وأصبحت من باريس أعلى وأعظما
سلام على الإخوان فيك ومن يطق — على هجرهم صبرًا فقد ذاق علقما

ورغم المركز المرموق الذي تبوأه الأمير عادل أرسلان، فقد تراشق الاتهامات، مع القائد العام للثورة السورية الكبرى «سلطان باشا الأطرش»، كما وجه «فؤاد الأطرش» التُهم إلى عادل أرسلان بشأن توزيع الأموال المرسلة إلى الثوار، وعلى بعض الأمور الإجرائية(٥٠٩).

كما ظهرت ملامح خلافاتهم، بعد انقسام «حزب الشعب» و«حزب الاستقلال»، حول المفاوضات مع الفرنسيين، والتي تبنّى فكرتها المفوض السامي الفرنسي «هنري دي جوفنيل»، لإنهاء القتال مع الفرنسيين وحل القضية السورية، فكان «حزب الاستقلال» يرفض المفاوضات، بينما «حزب الشعب» لم يعترض.

كما تراشق الأمير عادل أرسلان، الاتهامات مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر فقد اتهم الشهبندر بسرقة المساعدات التي كانت تُرسل للثوار، واتهم الشهبندر أرسلان بالهروب من جبل العرب، خلال المعارك التي نشبت مع الفرنسيين، وأن بعض رجال عادل أرسلان، هم عملاء وجواسيس لفرنسا كما اتهم الشهبندر عادل أرسلان بالتقصير في الدفاع عن (وادي التيمّ)(٥١٠) - خط الدفاع الأول عن الجبل - وقد زعم الأمير عادل أرسلان، أنه عاد ثانية للاشتراك في الدفاع عن مدينة السويداء، ضد الهجوم الفرنسي الذي قاده القائد الفرنسي «اندريا».

وأُخذ على الأمير عادل أرسلان، رفضه المشاركة في معركة «جبّاثا الخشب» مع قائد معركة الجولان أحمد مريود، بحجة أن الأوان قد فات..! هذا الموقف الذي قام به أرسلان كان موضع استغراب واستنكار من أهالي قرية (حضر)(٥١١)، ومجدل شمس وكان قد بلغ عدد شهداء مجدل شمس وحدها، أكثر من تسعين شهيدًا.

وخلافًا لمواقف الأمير عادل أرسلان من الثورة، كانت مواقف شقيقه الأمير

(٥٠٩) لمزيد من التفصيل العودة إلى «الكتاب الذهبي للثورات السورية» ص(٣٢٩) «منير الريس».

(٥١٠) وادي التَّيم: يتألف هذا الوادي من عدّة قرى أشهرها: حاصبيا وراشيا، وهي في سفوح الحرمون الغربية. وقد كان تابعًا لسورية، لكن حكومة الانتداب الفرنسية اقتطعته عام ١٩٢٠م، وأُلحق بلبنان الكبير.

(٥١١) قرية حضر: في هضبة الجولان، تتبع ناحية خان أرينبة، وتبعد عنها ١٦كم، وتقع على سفوح جبل الشيخ.

شكيب أرسلان(٥١٢) وعشيرته من بني معروف مواقف كلها تأييد وتضحية وتقدير واحترام.

ولم يُمهل القدر عادل أرسلان كثيرًا، ففي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت الواقع في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٤م، توجّه الأمير عادل أرسلان إلى بيت صديقه السيد «نقولا بسترس» في بيروت لتعزيته بوفاة نسيبته، وبينما كان خارجًا من القصر يهبط الدرجات، وقف متسمّرًا في مكانه وهو يرتعش، ثم صاح: لم أعد استطع أن أرى شيئًا ثم اختلج لحظة وهو يصارع الموت وسقط على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن أُصيب بـ«الذبحة القلبية». ودفن بجانب أخوته في مقبرة الأمراء الأرسلانيين.

تغمد الله فقيد الأوطان، بالرحمة والرضوان فله الخلود والجنان، ولإخوانه وذويه الصبر والسلوان.

●●● وأنا أقول اعرف عدوّك...

«جنرالات الإرهاب رؤساء للدولة الصهيونية»

• ثيودور هرتزل(٥١٣): مؤسس الحركة الصهيونية، كاتب نمساوي يهودي، ولد عام ١٨٦٠م في هنغاريا. أصدر عام ١٨٩٦م كتابًا يحمل عنوان «الدولة اليهودية»، دعا فيه إلى تأسيس دولة يهودية، باعتباره يشكّل الحلّ الوحيد للمسألة اليهودية. كما وضع «برتوكولات حكماء صهيون» لتأكيد زعامة يهودية تعمل للسيطرة على العالم. ومن ثمَّ نظّم المؤتمر الصهيوني العالمي الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م. ووضع حجر الأساس

---

(٥١٢) الأمير شكيب أرسلان: سياسي وكاتب ومؤرخ لبناني، ولد في بلدة «الشويفات» عام ١٨٦٩م، وتعلّم في مدارسها، ثم التحق في مدرسة الحكمة في بيروت، ونبغ وتفوّق على أقرانه. وقد كرّس شكيب أرسلان حياته لمحاربة القوى الاستعمارية، كما كان داعية إلى الوحدة العربية ذاق مرارة النفي والتشريد، وكان خطيبًا عظيمًا متفوقًا حتى أطلقوا عليه أمير البيان وَقَفَ حياته على خدمة الإسلام والقضايا العربية، وهاجم الصهيونية وما حملته لأمتنا من كوارث وفواجع. وتوفي في التاسع من كانون الأول عام ١٩٤٦م. ومن آثاره: «لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم» «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية» «غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وسويسرا».

(٥١٣) بالرجوع إلى «يوميات» مؤسس الحركة الصهيونية «تيودور هرتزل» (ص٣٧٨) يقول: «قمت برفقة عضو المجلس النيابي العثماني «عمانوئيل قره صو» بزيارة للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، مستفيدًا من الوضع الاقتصادي والمادي السيئ الذي تعيش فيه الإمبراطورية التركية وقلت له: «لو أنَّ السلطان يتكرم ويمنحنا أرض فلسطين، فإننا على استعداد لدعم الوضع المادي للإمبراطورية، ونكون صلة وصل بينكم وبين المَدنية القائمة في أوروبة ونكون محافظين عليها، كل ذلك تحت حمايتكم وكنفكم». ويتابع هرتزل مذكراته فيقول: «ألقى السلطان نظرة جافة عليّ، ثم توجه إلى مترجمه وقال غاضبًا: «قل له: اللعنة عليكم وعلى أموالكم، اخرجوا من هنا أيها الكلاب، ولا تدعوني أراكم ثانية».وكان السلطان عبد الحميد الثاني أول ضحية للحركة الصهيونية إذ خُلع عن عرشه، وشنّت عليه الصهيونية معركتها الإعلامية العدوانية: «السلطان المستبد، السلطان الأحمر، السلطان القاتل، السلطان المتخلّف!».

العنصري لدولة إسرائيل، واختيار الصدام العنيف الدائم والمستمر بينها وبين شعوب المنطقة.

• **الهاغانا:** لفظة عبرية معناها «الدفاع»، وهي منظمة عسكرية صهيونية، أُنشئت عام ١٩٢٠م، من أفراد مدرّبين خاضوا غمار الحرب العالمية الأولى لترويع شعب فلسطين، الذي قاوم الاحتلال اليهودي الاستيطاني لفلسطين.

وبعد أن أصدرت الأمم المتحدة قرار التقسيم عام ١٩٤٧م، راحت هذه المنظمة الإرهابية تشنّ الحملات العسكرية، على القرى والمدن الفلسطينية، وتتصدى للمدافعين عن وطنهم من المناضلين الفلسطينيين، والقوات العربية التي هُرعت لمساعدتهم. وفي الحادي والثلاثين من مايو/أيار ١٩٤٨م، شُكّلت من عناصر الهاجانا (جيش الدفاع الإسرائيلي). وكان (للوكالة اليهودية)، وهي منظمة صهيونية أنشأها (حاييم وايزمان) عام ١٩٢٩م، دورها في جباية الأموال، وتوطين المهاجرين اليهود في أرض فلسطين.

• **عصابة شتيرن[٥١٤] الإرهابية:** كان يتزعّم هذه العصابة السفّاح «إسحاق شامير». وقد قامت هذه العصابة مع عصابات الهاغانا وأرغون، باغتيال «الوسيط الدولي» للأمم المتحدة «الكونت فولك برنادوت»، وكبير المراقبين الدوليين الكولونيل الفرنسي «سيرو» في ١٧ سبتمبر/أيلول ١٩٤٨م، لأنه ذكر في تقريره: (حق اللاجئين في العودة إلى بلادهم، واسترجاع ممتلكاتهم والتعويض عليهم)، وقام بتنفيذ عملية الاغتيال قائد المجموعة الإرهابية «ناتان فريدمان». وكافأ رئيس وزراء الكيان الصهيوني العنصري الإسرائيلي «بن غوريون» القاتل بانتخابه عضوًا في أول كنيست صهيوني عام ١٩٤٩م، كما كافأ الشعب الصهيوني السفّاح «إسحاق شامير» بانتخابه فيما بعد رئيسًا لوزراء الدولة الإسرائيلية.

• **حاييم وايزمان:** أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية، كيميائي يهودي، روسي المولد، ولد عام ١٨٧٤م، واكتسب الجنسية البريطانية عام ١٩١٠م، بعد اختراعه طريقة لإنتاج «الأسيتون» - «السبيرْتو»: وهو سائل طيار ملتهب يستخدم في صنع المتفجرات» - وساهم في حمل «آرثر بلفور» - وزير الخارجية البريطانية - على إصدار «وعده المشؤوم» عام ١٩١٧م.

---

(٥١٤) شتيرن: فيزيائي يهودي، ألماني المولد، أميركي الجنسية، مُنح جائزة نوبل للفيزياء عن بحوثه المتعلقة بالخصائص المغنطيسية للذرات ونواها.

وعند قيام الدولة الصهيونية المغتصبة ؛ انتُخب رئيسًا لها. وتوفي عام ١٩٥٢م.

•**ديفيد بن غوريون:** بولندي المولد عام ١٨٨٦م، زعيم عصابة الهاغانا، سياسي صهيوني، أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل من عام ١٩٤٨م حتى عام ١٩٥٣م، ومن عام ١٩٥٥م وحتى عام ١٩٦٣م. وفي عهد وزارته الثانية اتفق مع إنجلترا وفرنسا للقيام بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م. ومات عام ١٩٧٣م.

ويرى «بن غوريون» أن كل «يهودي» يؤمن بضرورة قيام دولة إسرائيل هو «صهيوني»، و«اليهودي» هو الذي يعتنق الديانة اليهودية. أما الصهيوني في رأيه فهو اليهودي الذي يريد العودة إلى جبل صهيون. وهو اليهودي الذي يحس أنه إذا كان يعيش في أي بلد آخر غير دولة الكيان العنصري الصهيوني فهو يعيش في «منفى»، وأنَّ الأوان قد آن لانتهاء عصر النفي والتشرّد و«التيه» والعودة إلى أرض إسرائيل.

والصهيوني الأصيل في رأي «بن غوريون» هو الذي يُبدي استعدادًا نفسيًا وإيديولوجيًا للدفاع عن وجود «إسرائيل» بعد أن أصبح لليهود سلطة تكنولوجية، وقوة عسكرية، وتأثير سياسي في القوى العالمية.

نسي «بن غوريون» أن يذكر أن من أهداف الحركة الصهيونية طرد كل فلسطينيٍ، وتوطين الصهيوني العنصري الذي يؤمن بضرورة القضاء على العرب حلاً للمشكلة الصهيونية.

•**غولدا مائير:** سياسية صهيونية ولدت عام ١٨٩٨م، في روسيا، وهاجرت إلى أميركا عام ١٩٠٦م، ومن ثمَّ إلى فلسطين عام ١٩٢١م.

تولت عددًا من المناصب الديبلوماسية والوزاريةٍ في الكيان الصهيوني، بعد أن اغتصبت إسرائيل فلسطين عام ١٩٤٨م، ثم أُسندت إليها رئاسة الوزارة الصهيونية من عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٧٤م، خلفًا لوزارة «ليفي أشكول»، وماتت المرأة «المسترجلة» عام ١٩٧٨م.

•**مناحيم بيغن:** زعيم صهيوني تزعّم في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين عصابة إرهابية تدعى «الأرغون». ثم تزعّم تكتل «الليكود» اليميني المتطرف. ثم أصبح رئيس وزراء الكيان الصهيوني العنصري من عام ١٩٧٧م وحتى عام ١٩٨٣م. حاول تكريس فكرة «سمو الجنس اليهودي» ومن مقولته:

(إن الفلسطينيين مجرد صراصير ينبغي سحقها)، وأن (آلام السلام أفضل من أوجاع الحرب.)

• **إسحاق شامير:** رئيس العصابة الإرهابية الصهيونية المعروفة باسم «شتيرن» عام ١٩٣٧م. ولأن «الإرهاب» وقتل كل ما هو فلسطيني جواز سفر للوصول إلى سدّة الحكم، فقد تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٨٣م. وأصبح من السياسيين الصهانية الذين يُشار إليهم بالبنان.

• **إسحاق رابين:** رجل عسكري وسياسي صهيوني، ولد عام ١٩٢٢م، وتولى رئاسة وزراء إسرائيل من عام ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٧م، خلفًا لـ«غولدا مائير». اتُهمت زوجته بمخالفة «الأنظمة المالية»، لاحتفاظها بمبلغ من الدولارات، في أحد المصارف الأميركية مما عجّل بسقوطه السياسي «ونحن بماذا نتّهم مَنْ يودعون أموالهم في المصارف الأميركية؟! ثم تضع السلطات الأميركية يدها على حساباتهم وتصادرها؟!» اغتاله متطرف صهيوني يدعى «بيغال عمير» في الثاني من نوفمبر ١٩٩٥م لأنه وقّع اتفاقية «أوسلو».

• **بنيامين نتنياهو:** سياسي صهيوني، تولى رئاسة الدولة الصهيونية، بتأييد من معسكر اليمين المتطرف. إلا أنه سقط أمام وقف الانتفاضة وأمام «باراك». وقد حاول اتخاذ مواقف أكثر تطرفًا للفوز بزعامة «الليكود». لكن اليهود خذلوه.

• **إيهود باراك:** جنرال إسرائيلي قادم من فرق الموت والاغتيالات كان قائدًا لوحدة «سيرت متكال» – الوحدات الخاصة التي تنفّذ عمليات الاغتيال – شارك في عملية «فردان» عام ١٩٧٣م، والتي اغتيل فيها (كمال عدوان وكمال ناصر ومحمد النجّار). حاول وضع حدّ «لانتفاضة الأقصى»، لكنه فشل فشلاً ذريعًا، فكان سقوطه المدوّي في مارس / آذار ٢٠٠١م، أمام الجنرال الإرهابي «أرييل شارون».أصبح وزير حرب في وزارة أولمرت.

• **أرييل شارون:** هو «الإرهابي» منفّذ مجازر صبرا وشاتيلا، ورجل الاغتيالات والتصفيات الجسدية. كان عضوًا في منظمة «الهاغانا -تساحال» عام ١٩٤٨م، قاد عصابة من القتلة في الجيش لتصفية الأسرى المصريين عام ١٩٥٦م، وغزو لبنان، يحمل على أكتافه تاريخًا أسود لازمه مثقلاً بالإرث الدموي

والسلوك الإجرامي الفاشي، وهو أبو المشروع الاستيطاني، وباني جدار الفصل العنصري. كانت زيارته للمسجد الأقصى وتدنيسه في ٢٠٠٠/٩/٢٨م سببًا في اندلاع الانتفاضة، وقد حاول قمع الانتفاضة باستخدام كل وسائل القمع الأكثر قسوة في تاريخ الصراع، بإلقاء قنابل الطائرات الضخمة بشكل غير مسبوق، إلا أنه عجز وأقرّ باستحالة حسم المواجهة مع الشعب الفلسطيني بوسائل القوة، فاضطر لعرض «فك الارتباط» والانسحاب من غزة، من جانب أحادي، دون الارتباط بـ«خارطة الطريق»؟! انسحب من «الليكود» نهاية عام ٢٠٠٥م، وكوّن حزب «كاديما» لكنه سقط في غيبوبة الموت.

• **أيهود أُولمرت:** كان الرجل الثاني في «حزب كاديما» – إلى الأمام – الذي أسّسه «شارون» ثم أصبح زعيم الحزب عام ٢٠٠٦م و«خليفة شارون». وُلد في «كيبوتس نيحلات جابوتنسكي» بالقرب من مستوطنة «بنيا مينا» بمدينة «الخضيرة» في(٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٥٤م).كان والده زعيماً لمنظمة «أتسل» اليمينية. عندما كان في الجامعة انتسب لحزب (حيروت) - «الحرية» - عام ١٩٦٦م، والذي كان يتزعمه «مناحيم بيجن». التحق في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة، وحصل على بكالوريس العلوم النفسية، ودبلوم الفلسفة، كما درس الحقوق، والتحق بأقوى وحدة عسكرية هي (وحدة جولاني) المتخصصة في عمليات مطاردة وقتل الفلسطينيين والتي هُزمت في حربها مع المقاومة اللبنانية وجهًا لوجه. فشل أولمرت في دخول الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٦٩م، فالتحق بحزب الليكود عام ١٩٧٣م، وتولى منصب أمين صندوق الحزب، ورفض التصويت على معاهدة «كامب ديفيد». كان أحد المنادين بعمليات الاجتياح العسكري للمدن الفلسطينية. كما عمل مراسلاً عسكريًا لمجلة «بمحانية» العسكرية التابعة للجيش الإسرائيلي، وكان المتحدث الرسمي باسم الحكومة الإسرائيلية في حرب اجتياح لبنان ١٩٨٢م، ومدافعًا عن الحرب التي نفّذها يومذاك «شارون». اختاره «إسحاق شامير» وزيرًا لشؤون الأقليات العرب في حكومته. وأصبح وزيرًا للصحة ١٩٩٠م، وتولى ١٩٩٣م عمدة بلدية القدس، مُعلنًا بأنه سيحقق بناء «هيكل سليمان»، رشّح نفسه منافسًا لشارون في الليكود عام ٢٠٠١م، لكن شارون ألحق به هزيمة منكرة، فانضم إليه وأصبح أقرب المقربين إليه. ولأنه من عتاة المتطرفين في اليمين اليهودي، أصبح رئيسًا للوزراء بعد فوز «حزب كاديما» في نيسان ٢٠٠٦م. هُزم هزيمة منكرة في حربه مع المقاومة اللبنانية في الجنوب، واستقال رئيس أركان جيشه، واتهم بالفساد .

• **الصهيونية:** حركة استعمار استيطاني اخطبوطي، استهدفت انتزاع أرض

فلسطين من أصحابها الشرعيين، وإقامة دولة يهودية على أرضها.

وقد دُعيت «الصهيونية» بهذا الاسم، نسبة إلى تلة «صهيون» في مدينة القدس القديمة.

وقد نشأت الصهيونية، في أواخر القرن التاسع عشر، بانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، الذي نظّمه الصهيوني «ثيودور هرتزل» في مدينة «بازل» في سويسرا عام ١٨٩٧م. وقد حاولت الحركة الصهيونية بادئ الأمر، إقناع السلطان عبد الحميد الثاني، بأن يمنح اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين ولكنه رفض. فاتجه الصهاينة نحو بريطانيا وأغدقوا أموالاً طائلة لوزير خارجيتها «آرثر جيمس بلفور» واستصدروا من حكومتها «وعد بلفور» في الثاني من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧م، ثم أغرقوا فلسطين بالمهاجرين، وعمدوا إلى إقامة المستوطنات، وتكوين المنظمات الإرهابية، استعدادًا لطرد شعب فلسطين من ديارهم بقوة السلاح الذي كان يتدفق على الإسرائيليين، في حين كان محرّمًا على العرب. وبدعم من أميركا وإنجلترا صدر قرار من الأمم المتحدة، بتقسيم فلسطين.

وبذلك أُقيمت «دولة الكيان الصهيوني» عام ١٩٤٨م. ثم راح الصهاينة الغزاة يعتدون على البلاد العربية، بلدًا بعد آخر، حتى احتلوا عام ١٩٦٧م كامل التراب الفلسطيني وأجزاء من مصر وسورية.

ولا تزال الإبادة الإسرائيلية مستمرة للشعب الفلسطيني، منذ قيام الدولة الصهيونية وحتى اليوم، تحقيقًا للمزاعم والأطماع التوراتية والتلمودية(٥١٥)، إلى حدّ فاق التصوّر البشري، وفاق كل ما كان يحدث في العهود المظلمة من التاريخ الإنساني. وأمسى الجندي الصهيوني أكثر وحشية وبشاعة وعنصرية من الجندي النازي.

وقد كشف فيلم وثائقي عن مذبحة ارتكبها جيش العدو الصهيوني في نهاية حرب ١٩٦٧م في شبه جزيرة سيناء. إذ أصدر (بنيامين بن إليعازر) أمره بقتل (٢٥٠) أسير حرب مصري، وهم مكبّلون بالأغلال وعُزّل من السلاح. كما تمّ دفن (٤٠٠) جندي مصري وهم أحياء في حُفر ردمت بالجير الحي. وقد كوفئ القائد الصهيوني على عنصريته وإجرامه بتعيينه «وزيرًا»...!!

(٥١٥) التلمود: كتاب الديانة اليهودية، وقد دُوّن بعد الكتاب المقدّس. وهو قسمان: «المشنا» أي مجموعة الشريعة اليهودية، و«التقاليد» المتداولة بين الربانيين من علماء الناموس إلى أواخر القرن الثاني الميلادي. و«غمارا» وهو تفسير «المشنا». وللتلمود طبعتان تختلف فيهما الـ«غمارا»، هما: التلمود الفلسطيني طُبع في القرن الخامس، والتلمود البابلي طُبع أوائل القرن الرابع ويُعدّ الأخير أعظم شأنًا من الأول. كما يُطلق اسم «العهد القديم» على القسم الأول من (الكتاب المقدّس) تمييزًا له عن القسم الثاني منه وهو «العهد الجديد»، وموضوعه يحكي عن العهد الذي عاهد الله بني إسرائيل، على يد موسى عليه السلام في جبل سيناء. وهو يضم تسعة وثلاثين سفرًا، كُتب بعضها الآخر بالآرامية وهي تشتمل على تاريخ اليهود وتعاليم أنبيائهم.



الأمير عادل أرسلان



سعد الله الجابري



شكيب أرسلان

إمام المقاومين ورمز المجاهدين

الشيخ عزّ الدين القسّام

(١٨٧١-١٩٣٥م)

كان رمزًا من رموز البطولة، ومثالاً من أمثلة الشجاعة، وعَلَمًا من أعلام التضحية والفداء.

كان قياديًا بارزًا خَرَج من بين صفحات التاريخ، ليستعير من الفجر إشراقته، والقيادة إلهام لا تُورّث.

اختزن آلام وآمال وأحلام أمته في صدره، وأصبح عاشقًا للوطن، الذي تمتد حضاراته عبر القرون وطنه بحجم آماله من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر من البحر إلى البحر.

وعندما يتجاوز المرء عتبة الصبر والتّحمل، يتقدم الصفوف ليدقّ بوابات التاريخ ويدخل التاريخ من أوسع أبوابه.

لم يكفّ يومًا عن صناعة تاريخ أمته سجّل بطولاته على جدار الزمن، ودهشته على صفحات الوطن.

آمن بقضايا أمته ووطنه، لتتماهى أماني الأُمة مع تطلعاتها الوطنية، وقضاياها المصيرية.

والغزاة لا يستسلمون أبدًا حتى تقاتلهم الشعوب، وتردعهم المقاومة.

يستهينون بكرامة الوطن والتاريخ ويعملون على تدمير حضارة الأمة، وتمزيق هويتها، والمستعمرون كلهم متواطئوان على الشعوب التي يحكمونها.

الشيخ عز الدين القسام، هو «إمام المقاومين ورمز المجاهدين» سوري الأصل غنيّ عن التعريف، فكما عرفه أبناء سورية، عرفه أبناء فلسطين في طليعة المجاهدين الأبرار، ومن خيرة الأبطال الأحرار، والشهداء الأخيار، الذين أبلوا البلاء الحسن في ميادين الشرف والكفاح، وجاهدوا بتصميم وإخلاص حقّ الجهاد.

وقد حاول الشيخ عز الدين القسام بكل قواه إنقاذ الأمة وتحرير البلاد، من براثن الاستعمار والاستعباد، والقضاء على الصهاينة الأوغاد، بجانب استئصاله شأفة الفساد، أينما كانت.

ولن تنسى الأمة مواقفه الخالدة المشرفة في منطقة جبل (صهيون) في شمال سورية عام ١٩٢٠م، أو في أرض فلسطين أخيرًا عام ١٩٣٥م، حيث خرّ

شهيدًا مضرّجًا بدمائه الطاهرة، وهو صائم؛ يشكو طغيان وظلم المستعمرين البريطانيين الذين وطّدوا أقدام الصهاينة في فلسطين، وشدّوا أزر المعتدين الغاصبين، وتآمروا على العرب بتقسيم أوطانهم في معاهدة «سايكس-بيكو» و«وعد بلفور».

وعلى جيل الشباب الناهض أن يعرف، سيرة (إمام المجاهدين) الذي كان رمزًا مجسدًا للمقاوم الصابر، وعنوانًا صارخًا للوطني المثالي الثائر، ومنارًا هاديًا لكل مخلص صادق، أو عالم عامل.

فقد كان رحمه الله الخطيب المفوّه، الذي عَرَفَتْه معظم المساجد والمعاهد في محافظة (اللاذقية)، فإذا خطب في أيام الجُمَع هزّ المنابر، وألهب المشاعر؛ وأفاض على المصلين من بيانه الساحر، ما يوقظ الأفئدة والخواطر، ويتدفّق في مواعظه المؤثرة تدفّق السحر الزاخر ويجدر بنا قبل التحدث عن ثورته وجهاده، وعن كيفية استشهاده أن نذكر نبذة موجزة عن سيرة حياته

مولده ونشأته:

وُلد شهيدنا المرحوم الشيخ عز الدين بن عبد القادر بن الشيخ محمد القسام في مدينة (جبلة)، التابعة لمحافظة (اللاذقية) عام ١٨٧١م، من أسرة عريقة تميزت بتمسكها بعقائدها الدينية، ومواقفها الوطنية المشرفة؛ حيث نشأ الفتى عز الدين في مهد أبيه الفاضل الجليل الشيخ عبد القادر القسام (من عيون وجهاء مدينته)، على هدى فضائل الإسلام، مطبّقًا تعاليمه، عاملاً بأحكامه. وبعد أن أتم دراسته الابتدائية في بلدته جبلة، أوفده والده إلى مصر، ودخل جامعة الأزهر، وتلقى العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وغيرها من المباحث المقررة لطلبة العلم، وكان تلميذًا للشيخ محمد عبده(٥١٦) وكبار العلماء، وفطاحل الشيوخ المصلحين؛ فتجلت مواهبه وتفوق على زملائه، إذ كان بينهم كثير من المبرّزين والعباقرة.

وما أن ارتوى من منهله العذب، ونال إجازة جامعة الأزهر، وشهادته العلمية العليا بامتياز، حتى عاد إلى مسقط رأسه في سورية، وهنالك أخذ يدعو المواطنين إلى اتباع طريق الاستقامة، وسلوك سُبل العزّة والكرامة، ليتمكنوا من الذود عن الوطن والدين، وقد اشتهر بينهم بالإخلاص المقرون بالتفاني والتضحية. فكان يسعى بكل قواه لتوعية الأهالي وحثّهم على التطوّع،

(٥١٦) الشيخ محمد عبده: (١٨٤٩-١٩٠٥): مصلح ديني، يُعدّ من كبار الدعاة إلى التجديد في العالم الإسلامي. اختير مفتيًا للديار المصرية عام ١٨٩٩م، وتعاون مع الشيخ جمال الدين الأفغاني، لإصدار مجلة «العروة الوثقى»، لمحاربة الطغيان والاستبداد والاستعمار. من كتبه: «شرح نهج البلاغة» و«رسالة التوحيد».

لتحرير فلسطين من براثن المستعمرين البريطانيين والصهاينة الدخلاء المحتلين.

ونظرًا لثقة الأهالي بنَزاهته، وصلاحه وورعه، وتقواه، وتجرّده عن المصالح الدنيوية، فقد التفّ النّاس حوله، بعد أن آمنوا بدعوته، وأجمعت الجماهير على محبته، لصدق لهجته وأمانته، وثباته على مبادئه الشريفة الخيّرة، وتحمّله المشاق والمعاناة في سبيل القيام بواجباته، وتأدية رسالته الأمر الذي سهّل عليه جمع الكلمة والشمل، وبذلك تمكّن من توحيد الصفوف نحو الهدف الأسمى، بعد أن توحّدت القلوب وارتاحت النفوس بفضل خُطبه وما يقدّمه للجمهور من الوعظ والإرشاد، مع التطبيق العملي لكل ما يقول بل كان لسان الحال أشد تأثيرًا من أي مقال لهذا استطاع أن يقضي على منابع التفرقة والفساد، بما أثاره في نفوسهم من الحميّة الدينية، وما بثّه فيهم من الروح الوطنية والجهاد في سبيل اللّه، لإنقاذ البلاد من أيدي الأعداء الطغاة الأوغاد. إلى جانب سعيه مع إخوانه الأماثل، لنشر روح الإصلاح الديني، وتقويم ما اعوجّ في المنهج الاجتماعي.

وقد لاقت دعوته آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية داعية، ونفوسًا شفافة صافية، لأنها كانت خالصة من كل شائبة (دنيوية) فلا غرو إذا أثمرت وأينعت، وآتت أكلها؛ وكانت حصيلتها: اندلاع نار الثورة، في منطقة جبل (صهيون) التابعة لمحافظة (اللاذقية)، ومن المعروف بأن بلاد الشام كانت منذ قديم الأزمان هي دماغ العرب المفكر، بل قلب الإسلام الخافق ولسانه الناطق.

وقد وقف الشيخ القسام في الجهاد ضد الفرنسيين إلى جانب الشيخ صالح العلي وإبراهيم هنانو وإخوانه من المجاهدين في سورية، وذلك في عام ١٩٢٠م، إثر احتلال الفرنسيين لدمشق، ورحيل مليكها فيصل بن الحسين، بعد أن نكث الحلفاء بعهودهم لأبيه مفجّر الثورة العربية الكبرى. فكان الشهيد القسّام في طليعة المجاهدين المخلصين، الذين جادوا بدمهم، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

هذا وقد خشي الفرنسيون من اتساع نطاق الثورة، التي قام بها القسّام، لما له من نفوذ ديني بين الجماهير، فحكموا عليه بالإعدام حكمًا غيابيًا مع مصادرة أملاكه وأمواله.

ومع ذلك لم يفتّ ذلك بعضده، بل ظل يناضل ويقاتل حتى توقفت ثورة الشمال، في كلّ المفاصل والمناطق السورية، فآثر مغادرة وطنه ومسقط رأسه عام ١٩٢٢م إلى فلسطين، واتخذ بعد صدور حكم الإعدام عليه، من مدينة

(حيفا)(٥١٧) مركزًا له، وليجدّد في مسجدها الدعوة إلى الجهاد الأكبر توطئة للجهاد الأصغر، وذلك كما عهده المقاتلون في سورية، حيث لم يبخل على وطنه وأمته بصحته وماله؛ وبوقته ودمه.

فكانت له تلك الوقفة المشرّفة في وجوه المستعمرين، وأذنابهم من الصهاينة مضرب الأمثال للأجيال الصاعدة، وفصائل المنظمات المجاهدة بما يشحذ العزائم الهامدة ويشعل النفوس المتخشبة الجامدة وظل على هذا المنوال زهاء خمسة عشر عامًا يروّض الناس على الطاعة، كما فعل رسول الله في بدء دعوته - فكان يحثّهم على مكارم الأخلاق والتخلّق بأخلاق القرآن - وبعد أن سعى بتشييد جامع (الاستقلال) في مدينة حيفا، حتى أصبح خطيبه وإمامه والمدرّس فيه، وفي الوقت ذاته كان رئيسًا لجمعية الشبان المسلمين.

كما كان القسّام يجمع المال ممن يتوسّم فيهم الخير والصلاح، ليشتري به السلاح والعتاد؛ لنجدة إخوته المجاهدين في طرابلس الغرب، وذلك في أثناء حملة الإيطاليين على ليبيا، وفي مقدمتهم أحد كبار قادة المقاومة الشهيد المجاهد عمر المختار(٥١٨)، الذي طوّقته القوات الإيطالية المستعمرة بعد أن وقع جريحًا تَنْزف دماؤه بغزارة - وبالرغم عن جراحه وشيخوخته، فقد ألقت السلطات العسكرية الإيطالية الفاشية(٥١٩) – به من الطائرة انتقامًا لجنودها الذين قضوا نحبهم، برصاص المجاهدين الصادقين المخلصين لرب العالمين، والذين أنزلوا بهم خسائر فادحة بالأرواح، ومحاربتهم لعدوهم بما غنموه منه من أجهزة وأسلحة وعتاد فأين أمثال هؤلاء ممن يرفعون شعارات

---

(٥١٧) حيفا: مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، احتلها الصليبيون عام ١١٠٠م، حرّرها صلاح الدين الأيوبي عام ١١٩١م. استولى عليها نابليون بونابرت عام١٧٩٩م، وما لبث أن خرج منها. احتلها اليهود في حرب فلسطين عام ١٩٤٧م. كان يصلها الخط الحديدي الحجازي القادم من مدينة درعا في سورية.

(٥١٨) عمر المختار (١٨٥٨-١٩٣١م): أحد المجاهدين الليبيين، ناضل نضال الأبطال ضد الاحتلال الإيطالي لبلاده، أسره الإيطاليون ونفّذوا فيه حكم الإعدام وهو شيخ كبير، لوأد روح «المقاومة» في الشعب – شأن كل المستعمرين– الذين يعتبرون «المقاومة» مقاومة الاحتلال «إرهابًا». وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة مطلعها:

ركـزوا رفاتـكَ فـي الرمـال لـواء   يسـتنهض الـوادي صبـاح مسـاء

(٥١٩) الفاشيّة: نظام سياسي يُمجّد الدولة والعرق، ويدعو إلى إقامة حكم «أوتوقراطي» مركزي، على رأسه زعيم ديكتاتوري، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي. ويُطلق اسم «الفاشية» على نظام الحكم الذي أقيم في إيطاليا، في عهد «زعيم الفاشية» – «بنيتو موسوليني» – الذي أسس الحزب في «ميلانو» عام ١٩١٩م، وزحفت «الميليشيا الفاشية» على روما عام ١٩٢٢م، وأُسندت إليه رئاسة الوزراء. وأنشأ مع هتلر محور روما – برلين عام ١٩٣٦م، وأعلن الحرب على الحلفاء عام ١٩٤٠م، لكن هزيمة جيشه أدّى إلى سقوطه في يوليو / تموز ١٩٤٣م. غير أن الألمان أعادوه إلى السلطة في ظل هتلر. إلا أن خصومه تآمروا عليه وقتلوه عام ١٩٤٥م، ويُعرف بـ«الدوتشي» – أي «الزعيم».

القومية زورًا وبهتانًا، وهم غارقون في الفساد وجمع الأموال، ويقترفون أبشع أنواع الجرائم باسم الثورة والثوار، ويتركون الأعداء المحتلين لبلادهم وهم يتلهون بالمجادلات البيزنطية(٥٢٠)، والمنازعات الداخلية بمختلف المبررات والادعاءات ويتقاذفون التُّهم والمهاترات والافتراءات التي من شأنها إشعال نار الفتنة، وسفك الدماء، ودمار الديار وخراب البلاد، بينما عدوّنا يدقّ الأبواب ويقف لأمتنا العربية بالمرصاد ومن المؤسف حقًا فقدان الثقة بين التكتلات والتجمّعات والأحزاب، والمنظمات المختلفة الأهداف والغايات، مما يؤجج بينهم جميع أنواع الصراع والأحقاد، فتسوء الأخلاق، وتنهار مقومات الأمة، وتكون نتيجة التنازع على السلطة الفشل، لقوله تعالى: [وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ] [الأنفال:٤٦] وعندئذ يحل الهدم مكان البناء، والتفسخ والضياع مكان التماسك والتلاحم والتعاون والتراحم، فأين نحن من هؤلاء المؤمنين الذين كانوا في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم وتناصرهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر؟ بينما تركنا نحن الأعداء يدنّسون مقدساتنا، ويحرقون(٥٢١) المسجد الأقصى، ويستمرون بالحفريات تحته لهدمه، وبناء ما يسمونه بـ(الهيكل)(٥٢٢) ليقوم مكانه، وقد اكتفينا

(٥٢٠) البيزنطية: استخدم العرب مصطلح «الروم» للدلالة على الأوروبيين عامة، وعلى البيزنطيين خاصة، فالأغريق البيزنطيين كانوا ورثة الإمبراطورية الرومانية، وكانوا يُطلقون على أنفسهم «رومايو» - وهي لفظة يونانية تعني الرومان - ومن هنا أطلق المسلمون على البيزنطيين اسم «الروم»، وعلى أراضي الإمبراطورية البيزنطية اسم «بلاد الروم» وعلى البحر الأبيض المتوسط اسم «بحر الروم».

(٥٢١) حريق المسجد الأقصى: كان في يوم الخميس ٢١ آب / أغسطس ١٩٦٩م، ٨ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ، فقد قام الصهيوني - الاسترالي الجنسية - «دينيس مايكل دوهان»، وبإيعاز من العصابات الصهيونية، بإشعال النار في المسجد الأقصى المبارك. وأتت النيران على المنبر الأثري الذي وضعه صلاح الدين الأيوبي عندما حرّر بيت المقدس عام ١١٨٧م، كما التهمت النيران أروقة المسجد وأعمدته وأقواسه وزخرفته، وسقط سقف المسجد واحترق السجاد، والزخارف والآيات القرآنية، ومسجد عمر بن الخطاب ومحراب زكريا ومقام الأربعين. وقطع الإسرائيليون في بلدية القدس الماء عن الحرم الشريف، كي لا يُستعمل في إطفاء الحريق. وقامت السلطات الصهيونية، بتبرئة المجرم الاسترالي بحجة أنه مجنون وكان المجرم الصهيوني، قد دوّن في إفادته أمام المحكمة بأنه نفّذ جريمته بموجب «نبوءة»، وأنه مبعوث من الرب، وأن ما فعله هو واجب ديني مأمور بتنفيذه. وقد قام الصهاينة منذ الاحتلال عام ١٩٦٧م، بأكثر من مئة محاولة اعتداء على حرم المسجد أحبطها المقدسيون، كما حاولوا الاستيلاء على بيوت ومبانٍ، بدعوى أنها كانت يومًا ما ملكًا لليهود.

(٥٢٢) الهيكل: زعموا أن سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام بناه في بيت المقدس، ما بين عامي ٩٦٧ق.م وعام ٩٦٠ق.م. وقد بلغ طوله ثلاثين مترًا، وعرضه أحد عشر مترًا، وارتفاعه خمسة عشر مترًا. وقد دمّر «نبوخذنصّر» ملك بابل هذا الهيكل عام ٥٨٦ق.م، وسبى اليهود إلى بابل. وأعيد بناؤه بين عامي ٥١٦ق.م وعام ٥٢٠ق.م. وقد دمره الملك الروماني (تيطس) تدميرًا نهائيًا وأحرقه عام ٧٠م. ويقوم الصهاينة منذ بداية عام ٢٠٠٧م بالحفريات تحت المسجد الأقصى بدءًا من باب المغاربة. وقام شعب فلسطين بمظاهرات الاحتجاج. وأعلن قاضي قضاة الأراضي الفلسطينية المحتلة تيسير التميمي، والأسقف عطا الله حنا عن تشكيل جبهة إسلامية - مسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات.

نحن بالشعارات المزيفة والتي كان من نتائجها اقتتال الأخوة، وانحلال عرى الأرحام، وانتهاك لحمة الدم، وشوابك الإخاء...!!

(كلابٌ) للأجانب (هم) ولكن على أبناء جلدتهم (أسود)..!!

استشهاد إمام المجاهدين:

ولما تأكد لفقيدنا الشيخ عز الدين القسام، أنَّ المفاوضات لم تجد فتيلاً اللهم سوى التسويف والمماطلة، وإماتة القضية الفلسطينية بالخداع والمخاتلة، عندئذ أزمع الخروج للجهاد وذلك في عام ١٩٣٥م، ليقود المجاهدين الذين تخرّجوا من مدرسته وقد بايعوه على الموت، والشهادة في سبيل الله، لإنقاذ الوطن من أيدي الغزاة الطامعين.

رابط الشيخ القسام ورفاقه في أحراج بلدة (كفرزان) و(بوركين) ثم التجأ إلى (جبل البارد) و(كفرقوت)، ومنها توجه إلى أحراش (يعبد) قرب (جنين) حيث خاض المعارك بإيمان، وبطولة نادرة، وقد احتدمت المعارك ودار رحاها طيلة ذلك اليوم، متمسكين بقوله تعالى في كتابه العزيز:

[وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] [الأنفال: ١٦]

ولهذا استماتَ القسام مع رجاله، في المقاومة قاوم مع رفاقه المجاهدين، الذين لا يتجاوز عددهم خمسة وعشرين مجاهدًا، قوة الأعداء التي تفوقه مئات المرات. ثم توالى وصول النجدات الإنجليزية المجهزة بأحدث أنواع الأسلحة، حيث أحاط الجنود الإنجليز به وبرفاقه المجاهدين من كل جانب، وظلّوا يقاتلون هذه الحشود الكبيرة بضع ساعات حتى نفد منهم العتاد فخرّ مع إخوانه شهيدًا في ساحة المجد والشرف، وكتب الله له الخلود في جنات النعيم مع الشهداء الأبرار، في العشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٣٥م، وكان قبيل استشهاده يردّد مع رفاقه أهازيج النصر:

سلّم وصلّ على النبي محمد ... واحمل سلاح مجاهد مستشهد
واخدم لعزة دولة عربية ... في الجيش والبس شكّة المتجنّد
يابن الألى وردت سوابق خليهم ... نهر المجرّة في زمان السؤود
فهل اقتفيت إلى العُلا آثارهم ... فالمجد بالقسطاس لا بالمربد
وخذ من صناعات الحديد أجلّها ... ناجز بها الأعداء واصنع للغد

وكان من شهداء هذه المعركة غير المتكافئة الذين سقطوا إلى جانب القسّام: الشيخ محمد حنفي، والشيخ أحمد المصري، والشيخ يوسف الذيباوي، من بلدة الذيب، وغيرهم ممن لا نعلمهم ولكن الله يعلمهم، فجزاهم الله عن أمتهم أحسن الجزاء في دار البقاء.

[وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ] [البقرة: ١٥٤].

وقوله سبحانه: [وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ❖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] [البقرة: ١٦٩-١٧٠].

ولا يفوتنا أن نذكر هنا الأسرى الأربعة من المجاهدين، الذين أسرهم العدو بعد أن أُثخنوا بالجراح، وهم: (الشيخ حسن الباير) من (بوركين)، و(الشيخ محمد عربي) من (قبلان) قضاء نابلس، و(الشيخ أحمد الخطيب) من أهالي (طولكرم)، و(الشيخ محمد يوسف) من مدينة (نابلس).

وقد حكمت عليهم المحكمة الإنجليزية العسكرية بالإعدام، غير أن المندوب السامي البريطاني أنزل هذا الحكم الجائر إلى السجن المؤبد، حيث قضى رموز الثورة في سجون الاحتلال أكثر من عشر سنوات. فكانت ثورة القسّام المباركة، هي النواة الأولى لباقي الثورات المتعاقبة، وفاتحة عهد جديد للمجاهدين الذين جمعوا الأنصار، وقاتلوا بعد ذلك الأعداء، على غرار ما قام به الشيخ عز الدين القسّام، حيث استمر الصادقون، الشرفاء المخلصون، في جهادهم المتواصل وقتالهم المستعمرين الغزاة دون هوادة، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وبناء على ما تقدم فقد تحقق للجميع بأن الشهيد عز الدين القسام، كان من أوائل من حمل السلاح(٥٢٣) ورفع لواء المقاومة في وجوه المستعمرين

---

(٥٢٣) الحركة القسّامية: برزت «الحركة القسّامية» على ساحة المقاومة والجهاد في أرض فلسطين وهي حركة سرّية أسسها الشيخ عزّ الدين القسّام، وأخذت هذه الحركة تقارع الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية. وتميّزت هذه الحركة بأنها كانت على مستوى عالٍ من التنظيم والإدارة. ولكن انعدام التكافؤ، والاختلال في ميزان القوى، أدّى إلى حصار «إمام المقاومين» - الشيخ عزّ الدين القسّام - في مناطق جبلية من أحراش قرية «يَعْبَد» - قضاء جنين - «المدينة المناضلة الباسلة المجاهدة والرمز في مقاومة الغزاة المحتلين» فاستُشهد قائد المقاومة الشيخ عز الدين القسام ورفاقه، في العشرين من شهر نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٣٥م. بعدها واصل «الشيخ فرحان السعدي» قيادة «الحركة القسّامية» بكل كفاءة. إلا أنَّ سلطات الاحتلال البريطانية، نجحت بإلقاء القبض عليه وأعدم جيش الاحتلال الإنجليزي، قائد المقاومة الشيخ فرحان السعدي، في الثاني والعشرين من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٣٧م، مما أدّى «انبعاث» روح «المقاومة» على أشدها. فالمحتلون يقمعون دعاة التحرّر، ويَسِمون كلَّ مَنْ يقاومهم بـ«الإرهابي». ومنذ ذلك اليوم لم تخمد مقاومة المحتل، التي زرع جذورها «إمام المجاهدين» و«رمز المقاومين». في أرض فلسطين ولم يكن القسّام ليعلم، أن «المقاومة» ستخلّد اسمه بـ«صواريخ القسّام»

والصهاينة في فلسطين، كما وأنه لم يترك في فلسطين مدينة ولا قرية إلاّ بثَّ فيها روح الجهاد والمقاومة. وفي الوقت ذاته فقد انتشرت دعوته ولاقت قبولاً في كثير من البلاد العربية، حيث بثَّ رجاله ومريديه في مختلف الأمصار والأقطار من العالم العربي، وذلك لجمع المال والسلاح وتجهيز الرجال للجهاد في سبيل اللّه.

كان خبر استشهاد إمام المجاهدين صاعقًا على كل العرب.

استُشهد الشيخ عزّ الدين القسّام في ميادين القتال، وهو يقاتل الأعداء المحتلين بكل جرأة وبسالة.

غاب «إمام المجاهدين» و«رمز المقاومين» لكنه بقي حاضرًا في ضمير الأمة، وذاكرة الأجيال.

استُشهد «قائد المقاومة»، وهو يزرع جذورها، ويؤسس بُنيانها، في نفوس كل العرب ويُلهم كل المدافعين عن أوطانهم «ثقافة المقاومة»

هذا الرجل الفذّ الذي أنجبته سورية، وخرج مقاتلاً في سبيل اللّه ألهم كل المدافعين عن أوطانهم بأن بلاد العُرب واحدة وأن مقاومة المحتلين الغزاة واجب ديني وطني

لقد فجّر الشيخ عزّ الدين القسّام «ثقافة المقاومة»، في نفوس كل الشعوب، التي تتطلع إلى الحرية والاستقلال

وقد بلغت «المقاومة» في عهد القسّام، درجة من النُضج والقوة، ما جعلها قادرة على زعزعة استقرار المحتلين المغتصبين، واستنْزاف قواهم وإرهاقهم. وقَطَع القسّام الطريق أمام كلّ مخططاتهم التآمرية، التي استهدفت تهويد فلسطين، وجَعلَهم في حالة استنفار دائم، وإخفاق متكرر مما جعل جيوش الاحتلال «دمى هشة»، لا تشعر بالأمن والاستقرار، أمام ضربات المقاومة

واستُشهد القسّام، وخَرَج من بين الصفوف، نسر آخر من نسور «المقاومة» ليحل محله مقاوم آخر هكذا شأن المقاومين وَهَبوا أرواحهم فداءً لوطنهم كلما سقط أحد «الشُهب»أضاء الطريق للآخرين ليحذوا حذوه ويحلّوا مكانه.

ضَرَب الشيخ عزّ الدين القسّام، أروع صفحة في التضحية والفداء، حتى أطلق عليه الشعب العربي لقب (إمام المجاهدين) الفلسطينيين و«رمز المقاومين» قائد المقاومة دون منازع، كما أُطلق اسمه على مدرسة وشارع في مدينة (جبلة) مسقط رأسه في سورية، البلد التي أنجبت المجاهدين والوطنيين والثوّار.

وقد كان لخبر استشهاده، رنة أسى في النفوس الأبية، بالإضافة إلى مكانته

وكذلك بـ«كتائب القسّام». إنَّه قَدَر أهل فلسطين أن اختارهم الله من باقي شعوب الأرض، وأكرمهم وأوكل إليهم مهمة «الرباط» في سبيل الله.وقتال المعتدين الذين لعنهم الله في كتابه.

الدينية البارزة، ومواهبه الفذّة، فجزاه اللّه عن المسلمين المؤمنين خير الجزاء، وألّف الحقّ بين قلوب المسلمين، ليكونوا يدًا واحدةً على الأعداء، إنه قريب سميع الدعاء، وهو القدير على ما يشاء.

وقد أنجب القسّام ذريّة فاضلة صالحة، ومن أنجاله الأستاذ محمد عز الدين القسّام، الذي كان خير خَلَف لخير سَلَف.

ولا زالت فلسطين حتى اليوم بأيدي اليهود الغاصبين، تمدهم بريطانيا وأميركا بألوف الملايين من الدولارات، ومئات الطائرات الحربية والدبابات الثقيلة، والمدافع الضخمة والصواريخ، والأجهزة الإلكترونية، وسائر أنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة والقنابل المحرّمة دوليًا، لتدمر وتقتل أمام بَصَر دول العالم وتحت سمعها، ولم تزل الصهيونية سادرة في غيّها وغطرستها وأمة العرب في غفلة عن أعدائها، مستمرة في انقسامها على نفسها وتنازعها، متناسية أمر الحق سبحانه وتعالى بوجوب الاتحاد وعدم التفرقة بقوله:

[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] [آل عمران: ١٠٣]

[وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] [الأنفال: ٤٦].

لهذا أصبحنا بمسيس الحاجة إَلى أمثال شهيدنا وشيخنا البطل عز الدين القسام، وإخوانه المجاهدين الأبرار الخالدين، بعزيمتهم وسموّ همتهم وقوّة عقيدتهم وإيمانهم. لا جرم وأن المؤمنين لم يغلبوا عن قلة، حينما كانوا متحدين يدًا واحدة وقلبًا واحدًا، ولنا في ما حدث في غزوة بدر الكبرى خير عبرة بينما نحن يزيد عددنا على ثلاثمئة مليون عربي، بالإضافة إلى سبعمئة وخمسين مليونًا من المسلمين(٥٢٤)، ولكنهم في الوقت الحاضر أمسوا كغثاء السيل، بسبب حبهم للدنيا، وكراهتهم للموت وتنازعهم فيما بينهم، فكانت نتائج تلك الانقسامات، الفشل الذريع وضعف الجميع أمام البغاث الذين استنسروا علينا، في حين أن (يد اللّه مع الجماعة)، وفي الاتحاد قوة.

فإلى الاتحاد الاتحاد يا شباب البلاد، لإنقاذ الأوطان من قوى الطغيان، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وفي ميادين الجهاد فليعمل العاملون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] [الشعراء: ٢٢٧]

واللّه ولي التوفيق، فهو حسبي ونعم الوكيل.

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

أنَّ كلمة «الصهيونية» اشتُقت في الأصل من «صهيون»، التي كان «اليبوسيون»

(٥٢٤) التعداد المذكور كتبه والدي رحمه الله في منتصف السبعينات قبيل وفاته. لكن العدد ازداداليوم عن مليار ومائتي مليون مسلم والعرب يتجاوز تعدادهم ثلاثمائة مليون.

وهم من الكنعانيين(٥٢٥) يطلقونها على إحدى روابي القدس، وتعني: صهوة الشيء، أي أعلى مكان فيه، ومنه صهوة الجياد.

فالقدس كانت «يبوس» و«أورشليم» لأن «اليبوسيين» بنوها، ثم سماها الرومان «إيلياء» وسماها السلطان «صلاح الدين الأيوبي» «بيت المقدس».

ولم يكن لكلمة «صهيون» غير مدلولها التاريخي ثم أريد لها أن تكون ذات مدلول سياسي .

فالصهيونية ليست دينًا، ولا حزبًا، ولا كتابًا، ولكنها اعتُمدت سياسيًا من قِبل قادة الحركة اليهودية، أمثال «ثيودور هرتزل» – الذي نظّم عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م – تذكيرًا بنصوص التوراة، التي قدّست «صهيون» وكرّمتها بتكريم وتقديم الربّ لها.

ولأسباب دينية وسياسية صارت «اليهودية» الأيديولوجيّة الدينية للصهيونية، وصارت «الصهيونية» الأيديولوجية السياسية لليهود.

وقد تفرّق اليهود بعد السبيين الآشوريين(٥٢٦)، والسبيين البابليين(٥٢٧)، والاجتياحين الرومانيين في شتى أصقاع العالم، ولم تقم لهم قائمة ولا دولة، وانقطعت صلتهم بفلسطين وأهلها حتى أغرى اليهود «آرثر بلفور» - وزير الخارجية البريطاني - وأغرقوه بالمال فأصدر «وعده» المشؤوم عبر رسالة موجهة إلى المموّل اليهودي «روتشليد»، «يتمنى» قيام وطن «يجمع اليهود».

و«الوعد» كان «مجرد رسالة شخصية» تمسّك فيها اليهود، وبثّوا فيها الروح، وجعلوا لها أقدامًا صناعية تمشي بسبب سيطرتهم على الإعلام في العالم.

وقد حاولت المنظمات الصهيونية، إقناع السلطان عبد الحميد الثاني، شراء «موطئ قدم» لها في أرض فلسطين، وأغروه بالمال، إلا أنه لم يقبل؛ فتآمروا مع بعض الضباط الأتراك لخلعه، واستطاعت عنجهية المال وسطوته، شراء

(٥٢٥) الكنعانيون: شعب ساميّ سكن في فلسطين، وأقام فيها عددًا من المدن المسوّرة. أنشأ الكنعانيون حضارة اقتبستها عنهم العبرانيون فيها بعد. ويذهب بعض العلماء إلى أن الكنعانيين كانوا أسبق الشعوب إلى استعمال «ألفباء». وأن «الألفباء» الفينيقية مأخوذة عن الألفباء الكنعانية. وعن الألفباء الكنعانية نشأت الألفباء العربية.

(٥٢٦) الآشوريون: طائفة من النصارى، سامية اللسان، نسطورية المذهب، يقيم أكثرهم في إيران والعراق وسورية وبلاد القوقاز. ولغتهم في الجزء الشمالي في بلاد ما بين النهرين «الأكادية»، وفي الجنوب اللغة «البابلية». قضى الكلدانيون على «مملكة أشور» – وعاصمتها «نينوى» – عام ٦١٢ق.م وقد انتشرت اللغة الأكادية، في الألف الثالث قبل الميلاد، في عهد مؤسسها «سرجون الأول» الذي بنى عاصمته «أكاد» عام ٢٣٠٠ق.م.

(٥٢٧) البابليون: شعب ساميّ أنشأ إحدى أعظم الإمبراطوريات القديمة. وقد ازدهرت على ضفاف نهري دجلة والفرات منذ عام ألفين قبل الميلاد، وكانت عاصمتهم «بابل» وأعظم ملوكهم «حمورابي»، الذي اشتهر بمجموعة قوانينه. كما يعتبر «نبوخذنصَّر» الثاني أعظم ملوك بابل (٦٠٥-٥٦٢ق.م). وعلى يديه تمَّ سبي اليهود إلى بابل عام ٥٩٧ق.م، بعد أن دمّر بيت المقدس عام ٥٨٦ق.م وهدم الهيكل وانتهى السبي عام ٥٣٨ق.م، عندما سمح «كورش الثاني» لليهود، بالعودة إلى بيت المقدس.

الذمم الوضيعة، والنفوس المريضة.

وهكذا تمّ إعلان «وعد بلفور»، في الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧م وفي الوقت نفسه، وبعد ثورة اكتوبر(٥٢٨) الروسية عام ١٩١٧م، فضح الروس «اتفاقية سايكس – بيكو»، التي عقدها المتآمرون لتقسيم الوطن العربي

وتحت وطأة العنف الفاشي الصهيوني، تعرّض الشعب العربي في فلسطين، إلى «مجازر» صهيونية رهيبة ضمن مخطط صهيوني إرهابي نازي(٥٢٩)، يعتمد على هجوم واجتياح، وجوهر هذا الاجتياح الصهيوني اجتياح للأرض والإرادة، وتحطيم مقومات الصمود النفسي والمعنوي، المرتكز إلى مخزون روحي وثقافي وحضاري، تحمله الأمة في ضميرها ووجدانها، والذي أرسى دعائمه «رمز المقاومة» الشيخ عز الدين القسّام، والشيخ فرحان السعدي(٥٣٠).

ولأن العنصرية الصهيونية تعتمد على كراهية الآخر وإبادته، فقد هُجّر أصحاب البلاد من أوطانهم عنوة، أو فرّوا من هجوم الموت أمام الممارسات الصهيونية الإرهابية المتطرفة، وهم يعيشون على أمل العودة. وما زالوا رغم

(٥٢٨) ثورة اكتوبر الروسية: في الخامس والعشرين من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧م، قام «البلاشفة» بانقلاب عُرف بـ«ثورة نوفمبر الروسية»، أدّى إلى استيلاء الشيوعيين على الحكم في روسيا القيصرية، وأصبح «فلاديمير لينين» – الذي ولد عام ١٨٧٠م – أول رئيس للدولة السوفياتية الجديدة. وقد طوّر «لينين» نظرية «كارل ماركس»، مؤكدًا أن شرارة الثورة سوف تندلع من البلدان الأكثر تخلفًا في العالم إلا أنه توفي فجأة عام ١٩٢٤م، تاركًا «كارهًا» مبنى «الكرملين» وخلفه «جوزيف ستالين»، رجل روسيا القوي، ورئيس الحكومة والقائد الأعلى للجيش، وقد حكم روسيا حكمًا ديكتاتوريًا، وحُطّمت تماثيله وأنصابه التذكارية فيما بعد في عهد «خروتشوف».

(٥٢٩) سمح «النازيون» في ألمانيا للمنظمات الصهيونية، بجمع التبرعات من ألمانيا، لدعم الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين العربية، (تمامًا كما تفعل حاليًا أميركا، إذ تسمح للمنظمات الصهيونية بجمع التبرعات للكيان الصهيوني لإقامة التجمعات السكنية). وقد حاول النازيون حل المسألة اليهودية، للتخلص من الطابور الخامس الذي يشكله الصهاينة في ألمانيا، كما سمحوا لليهود بنقل أموالهم عبر المصارف إلى فلسطين. وتعاون النازيون مع الوكالة اليهودية، لتهجير اليهود إلى فلسطين، كمقدمة لاغتصابها وتأسيس الدولة الصهيونية فيها. وحدّد «حاييم وايزمان» اتفاقية التعاون مع ألمانيا النازية، في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر في «لوزان» في آب ١٩٣٥م بقوله: «ليس لدينا ما يُخجل باتفاقنا مع «النازية» في قمع يهود ألمانية لبناء فلسطين. وما يتم بناؤه في أرض الميعاد، يدعونا إلى تحمّل المخاطر بصبر. وستتحول هذه التضحيات التي نتحملها جميعًا إلى أغانٍ وأساطير لأحفادنا». وهكذا تمكنت الصهيونية عن طريق تعاونها واتفاقها مع النازية على «تهجير» اليهود من ألمانيةً ونقلهم إلى فلسطين.

(٥٣٠) الشيخ فرحان السعدي: أحد رموز المقاومة. ولد في قرية المزار في قضاء جنين عام ١٨٦٠م، ونشأ يحفظ القرآن الكريم والسنّة النبوية لذا عُرف بالشيخ. قاوم الإنجليز – أصل بلاء عالمنا العربي – الذين أقاموا وطنًا قوميًا لليهود في فلسطين، وقاد مجموعة لقتال الإنجليز والصهاينة في «ثورة البُراق» عام ١٩٢٩م، فاعتُقل وسُجن، وأعدم الإنجليز ثلاثة من رفاقه في ١٧ حزيران ١٩٣٠م شنقًا «فؤاد حسن حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم». وقد خلّد الشاعر إبراهيم طوقان الشهداء الثلاثة في قصيدته «الثلاثاء الحمراء». ثم اشترك الشيخ السعدي مع عزّ الدين القسّام عام ١٩٣٥م في معركة «أحراش يعبد»، وتسلّم قيادة الكفاح المسلّح معتصمًا مع رفاقه في الجبال وكهوفها. إلا أنَّ السلطات البريطانية ألقت القبض عليه، وحكمت عليه بالإعدام شنقًا. ونفّذ المجرمون الإنجليز حكم الإعدام به وهو صائم في سجن عكا في ١٩٣٧/١١/٢٧م، مع رفيقيه محمد سليمان أبو طاحون، وعبد الرحيم جابر.

كل ظروف القهر والتهجير والتدجين، يعيشون حُلم العودة لأرض الآباء والأجداد. ويدفعون ضريبة الإنسانية، عبر مقاومة ظلم الاحتلال، بأبسط طرق المقاومة المتاحة.

ونشأت أجيال جديدة شابة مرتبطة برحم الأرض يجري في شرايينها حب الوطن، والتصميم على العودة، متيقنين بأنهم عائدون مهما طال الزمن، وتآمر الأعداء، فإرادة الشعوب من إرادة الله. إرادة الشعوب المؤمنة بعدالة قضاياها قادرة على دحر أعتى الجيوش وأقواها وأكثرها امتلاكًا للتكنولوجية الحربية المتطورة.



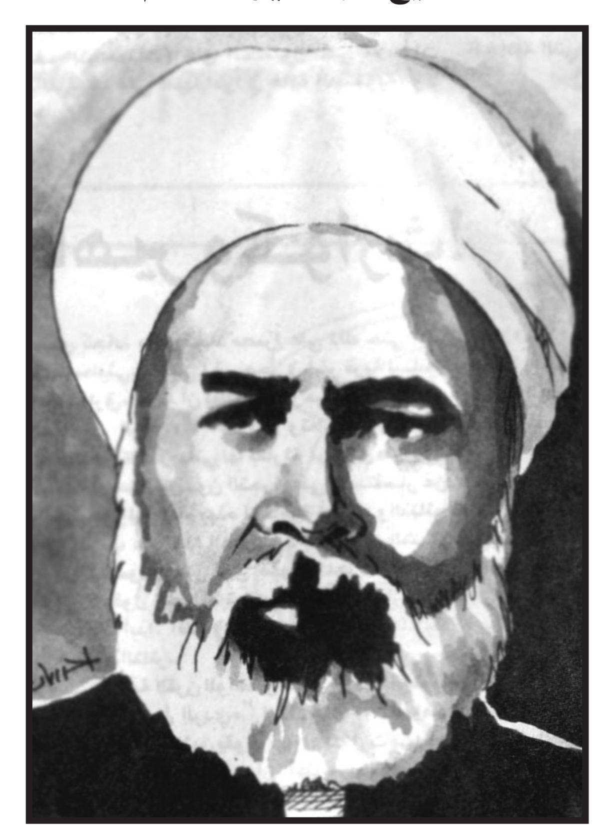
مستوطنون يهود يقتحمون ساحة المسجد الأقصى وقبة الصخرة



الشيخ عز الدين القسام



تيسير التميمي - قاضي قضاة فلسطين



الإمام محمد عبده



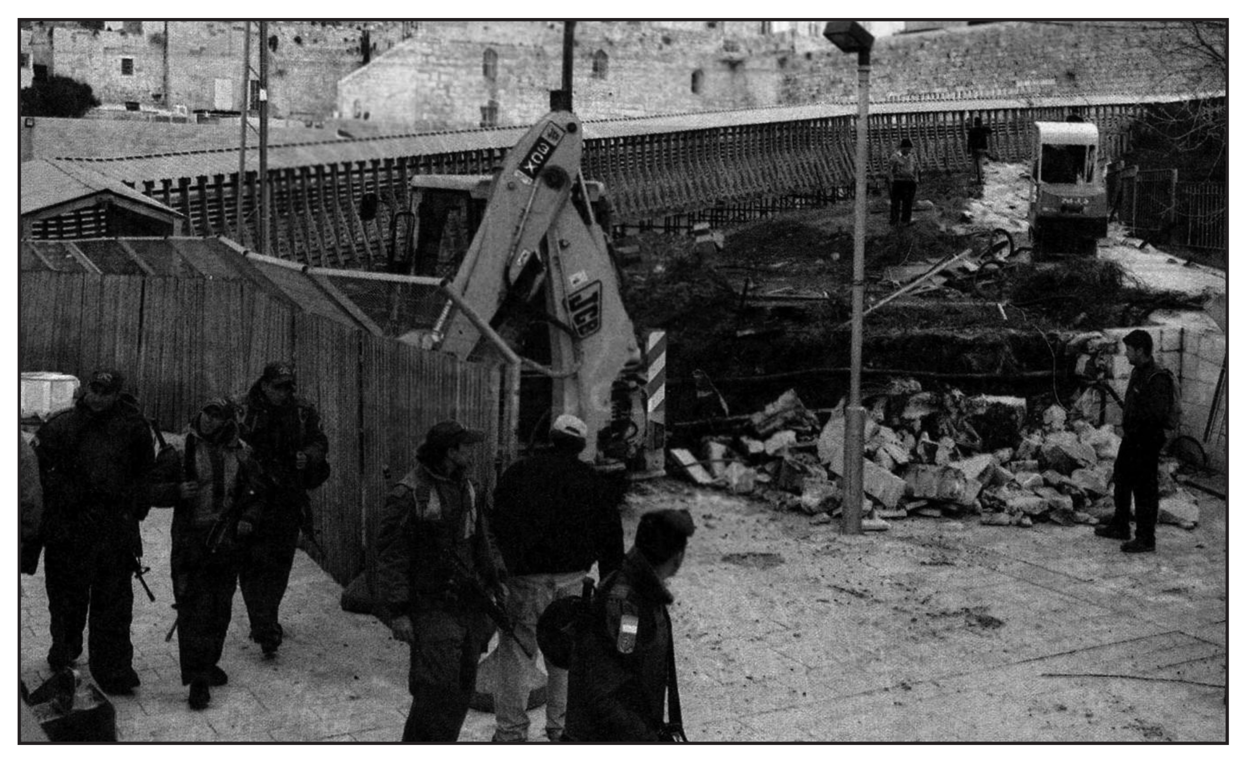
عمر المختار شيخ المقاومين



الأمير عبد القادر الجزائري



الشهيد عبد القادر الجزائري



الجرافات الإسرائيلية تشارك في الحفريات تحت المسجد الأقصى في باب المغاربة

فـارس الخـوري
(١٨٧٧-١٩٦٢م)

في حياة الأمم محطات يسجّلها التاريخ في صفحاته الذهبية، يزداد بريقها تألقًا ولمعانًا وتأثيرًا، كلما تكالبت على الأمة قوى الأعداء، أو أحكمت القوى الاستعمارية قبضتها الحديدية، واشتدت في هجمتها الشرسة، أو بلغ التاريخ تصدّعه.

وفي تاريخ الوطن، تتربع شخصيات وطنية على قمة المجد، وتفرض وجودها على صفحات التاريخ.

كان فارس الخوري واحدًا من هؤلاء القادة الذين يكبرون بوطنهم، ويكبر الوطن بهم، ويدافعون عن قضاياه ضد قوى الاحتلال التي أنشبت أنيابها ومخالبها في جسد أمته، لتمتص دماءها، وتسلب خيراتها.

وفارس الخوري يُعتبر من أبرز الزعماء الوطنيين وألمعهم عرفه العالم في أروقة الأمم المتحدة وهو يصرخ في وجوه المحتلين: اخرجوا من بلادنا.

كما يعتبر فارس الخوري رمزًا من رموز الأمة التي يعتز بها الوطن وفارسًا من فرسانها.

ولادته ونشأته:

ولد فارس بن يعقوب الخوري في قرية «الكفير»، التابعة لقضاء «حاصبيا» عام ١٨٧٧م، وكانت تابعة لسورية أيام الحكم العثماني، حيث تلقى فيها علومه الابتدائية، ثم تابع دراسته بالمدرسة الأميركية في صيدا عام ١٨٩٠م، ثم انتقل إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وكانت تسمى «الكلية الإنجيلية السورية»، وتخرّج منها عام ١٨٩٧م، وعمل «مُعيدًا» في القسم التحضيري في الجامعة الأميركية مدة عامين. عاد فارس الخوري بعد ذلك لدمشق، وتسلّم إدارة المدارس الأرثوذكسية، ثم ترجمانًا في القنصلية البريطانية، ووكيلاً لشركة جراشام للتأمين على الحياة. وبقي فارس الخوري في القنصلية البريطانية حتى إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م.

وفي عام ١٩٠٨م تزوج فارس الخوري من السيدة «أسماء جبرائيل عيد»، وهي سيدة فلسطينية من مدينة «عكا»، أنجبت له ابنه الوحيد «سهيل» عام

١٩١٢م - والد الأديبة السورية المتميزة «كوليت خوري»-.

مسيرة حافلة بالعمل والكفاح:

وخلال انهماك فارس الخوري في حياته العملية، أخذ يطالع الحقوق لنفسه، ويدرس اللغة الفرنسية والتركية في أوقات الفراغ القليلة. ثم انتُخب نائبًا عن دمشق في «مجلس المبعوثان»(٥٣١) عام ١٩١٤م، وتابع دروس الحقوق في معهد اسطنبول. إلا أَنَّ الأتراك اتهموه بالثورة ضدّهم، فاعتُقل صيف عام ١٩١٦م. ولم يحصل فارس الخوري على شهادة رسمية في الحقوق، لكنه اشتُهر فيما بعد كمحام وحقوقي، وأسهم في تأسيس معهد حقوق دمشق، وأصبح أستاذًا فيه، ثم أول نقيب للمحامين في النقابة التي أسّسها في دمشق، ثم عضوًا في لجنة الحقوق الدولية التابعة للأمم المتحدة، كما كان سجينًا في خان أسعد باشا، متهمًا بالتآمر على الدولة، وخرج من السجن كونه استطاع بدفاعه القانوني تبرئة نفسه ونُفي مع سائر الأحرار العرب إلى الآستانة عام ١٩١٧م، لكنه عاد مع دخول الجيش الفيصلي إلى دمشق عام ١٩١٨م، ليُشارك في أول حكومة وطنية بعد رحيل الأتراك.

وكان فارس الخوري قد عُيّن عضوًا في مجلس الشورى عام ١٩١٨م، وعضوًا في المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩م، ووزيرًا للمالية في الوزارات الثلاث «الركابي، والأتاسي، والدروبي»، التي شكّلت إبَّان الحكم الفيصلي عام ١٩٢٠م.

بعد معركة ميسلون التي وقعت في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، ورحيل فيصل، عاد فارس الخوري إلى مزاولة مهنة المحاماة، ولم يقبل رئاسة ولا وزارة في ظلّ الانتداب والاحتلال.

ثم عُيّن مستشارًا قانونيًا في بلدية دمشق عام ١٩٢١م، ووضع مع مجموعة من رجالات دمشق مشروع جرّ مياه «عين الفيجة» لدمشق، وتمليك الماء للمباني فقط وليس للأشخاص.

في مطلع عام ١٩٢٥م، جرى تأليف «حزب الشعب» برئاسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وعضوية فارس خوري نائبا للرئيس، وحسن الحكيم، وفوزي الغزي، وسعيد حيدر.

لكن الفرنسيين ما لبثوا أن قبضوا عليه - لنشاطه السياسي - بعد إعلان الثورة السورية الكبرى، ونفوه إلى «جزيرة أرواد»(٥٣٢) عام ١٩٢٥م.

(٥٣١) مجلس المبعوثان: هو مجلس نواب الشعب في عهد السلطنة العثمانية. يبلغ عدد أعضاء مجلس المبعوثان (٢٧٥) نائبًا: منهم (١٤٢) تركيًا و٦٠ عربيًا و٢٥ ألبانيًا و٢٣ أرمنيًا و٤ بلغار و٣ صرب و٥ يهود و١ فلاشا.

(٥٣٢) أرواد: جزيرة سورية أسطورية في البحر الأبيض المتوسط، قبالة الشواطئ السورية، كان اسمها «أرفارد» أيام الفينقيين وتعني «الملجأ»، وتبعد عن شاطئها ثلاثة كيلومترات، وتتربع على صخرة عظيمة، وطول الجزيرة

ثم أُعيد فارس الخوري من أرواد لتولي وزارة المعارف في نيسان / أبريل عام ١٩٢٦م، في وزارة «الداماد أحمد نامي»، لكن الوزارة لم تعمّر طويلاً إذ استقال فارس الخوري في حزيران مع زميليه «لطفي الحفّار» الذي كان وزيرًا للزراعة، و«حسني البرازي» الذي كان وزيرًا للداخلية، بعد أن قام الفرنسيون بالهجوم على «حيّ الميدان» وإحراقه وترويع أهله.

وهكذا قبضت السلطات الفرنسية عليهم ثانية، ونفتهم مع: فوزي الغزي، والمحامي بدر الدين الصفدي، والصحفي أديب الصفدي إلى «الحسكة» ثم إلى «أميون» في لبنان قضاء «الكورة» مع الإقامة الجبرية، ثم عاد فارس الخوري بعد ذلك إلى دمشق في نهاية شباط / فبراير ١٩٢٨م.

وتنادى الوطنيون لتنظيم صفوفهم، وتوحيد كلمتهم لمقاومة الاحتلال الفرنسي. فتشكلت «الكتلة الوطنية» التي انبثقت عن حزب الشعب، فقد تألفت في حزيران / يونيو ١٩٢٨م، وكان من مؤسسيها هاشم الأتاسي، وفارس الخوري، وإبراهيم هنانو، وجميل مردم بك، ولطفي الحفّار، وسعد الله الجابري، وحسني البرازي، وتوفيق الشيشكلي. وقد قادت«الكتلة الوطنية»حركة المعارضة والمقاومة ضد الفرنسيين، وكانت نقطة ارتكاز في نيل سورية استقلالها.

المعاهدة:

وفي أواخر شباط / فبراير ١٩٣٦م، جرى الاتفاق مع المفوّض السامي «دي مارتيل» على اعتراف فرنسا باستقلال سورية ووحدتها، وعلى أثر هذا الاتفاق انتهى الإضراب العام الذي قام به الشعب في سورية.

وتألف الوفد السوري من السادة: هاشم الأتاسي، وفارس الخوري، وجميل مردم بك، وسعد الله الجابري. ونُشرت نصوص المعاهدة السورية

---

٧٥٠ مترًا وعرضها ٤٥٠ مترًا، وأعلى نقطة فيها لا تتجاوز الخمسة عشر مترًا. طبيعة صخورها طرية، وأرضها قاحلة جرداء، وهي أول مركز لبناء السفن الشراعية. وتتميز بقلعتها الأيوبية الأثرية، وسورها منذ الألف الثاني قبل الميلاد، ليحميها من العواصف البحرية والأعداء. ويتميّز بحجارته الضخمة التي يبلغ وزن بعضها عشرين طنًا. وتشتهر أرواد بحماماتها العثمانية المزينة الملونة، ومتحفها الجميل الرائع، ويمارس الأرواديون مهنة الملاحة، وصيد الأسماك، وبناء المراكب، وعقد شباك الصيد. ومع ذلك لم تسلم من الغزاة فيها حصن سليمان من العصر الروماني. دخلت أرواد عام ٤٥هـ/٦٤٠م الحكم العربي في عهد معاوية بن أبي سفيان. استولى عليها الصليبيون عام ١٣٠٤م، وهزمهم السلطان الناصر قلاوون. وعلى مدخل قلعتها نقوش أثرية منحوتة، تُصوّر «أسد الفرنجة» وقد غلّ عنقه، ورُبط بشجرة «النخيل» العربية فيها قلعتان عربيتان، مرّ منها «بولص» الرسول في طريقه إلى روما. يمكن الوصول إليها بواسطة قوارب بخارية من طرطوس خلال ثلث ساعة. اعتبرها الفرنسيون «منفى» وسجن طبيعي للوطنيين من أحرار سورية.

– الفرنسية(٥٣٣) في ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٦م.

وجرت انتخابات نيابية، وفاز فارس الخوري برئاسة المجلس بالإجماع. لكن في أوائل كانون الثاني، استدعت فرنسا المفوض السامي «دي مارتيل» وعيّنت مكانه «غابرييل بيو» مقررة العودة إلى سياسة الانتداب ودفن المعاهدة. وأقام المحتلون الحواجز العسكرية فاستقالت الحكومة «المردمية» في نهاية شهر شباط، وشكّل لطفي الحفّار وزارة جديدة، ثم ما لبث أن قدّم استقالته في ١٧ آذار / مارس ١٩٣٩م، وكلّف نصوحي البخاري بتشكيل الوزارة، لكن الوزارة لم تُشكّل في ظل الظروف العسكرية القمعية. فأصدر المفوّض السامي «بيو» أمره بحلّ المجلس النيابي وتعليق الدستور. وطعن فارس الخوري بقرار المفوّض السامي واستقال هاشم الأتاسي من رئاسة الجمهورية احتجاجًا في الثامن من تموز / يوليو ١٩٣٩م.

وخضعت سورية للتدابير العسكرية والأمنية، التي استوجبتها الحرب العالمية الثانية، التي بدأت في الأول من أيلول / سبتمبر ١٩٣٩م. وعندما خرجت فرنسا من الحرب مهزومة في يوليو / تموز ١٩٤٠م، اتضح أن «سلطات فيشي» تريد الاحتفاظ بالانتداب. فاستُبدل المفوّض السامي «بيو» بالجنرال «دانتز»، وسورية تحت حكم «مجلس المديرين».

وبدأ الوطنيون في سورية يتحركون للتخلّص من المحتلين وبدأت الاضطرابات فاستقالت حكومة المديرين، وتشكّلت وزارة جديدة برئاسة خالد العظم في الثالث من أبريل / نيسان ١٩٤١م.

وفي عهد هذه الحكومة زحفت الجيوش البريطانية وجيوش فرنسة الحرّة على سورية ولبنان، للتخلّص من أنصار «حكومة فيشي» في ٢١ حزيران / يونيو ١٩٤١م، وأتمت احتلالها سورية في ١٤ تموز / يوليو ١٩٤١م، وعُيّن الجنرال «كاترو» مفوّضًا عامًا في سورية بدلاً من الجنرال «دانتز».

وفي السابع والعشرين من أيلول / سبتمبر ١٩٤١م، أعلن الجنرال كاترو انتهاء الانتداب الفرنسي، واستقلال سورية وسيادتها، وضمان هذا الاستقلال بمعاهدة تقرّر نوع العلاقة بين سورية وفرنسة، وعُيّن الشيخ تاج رئيسًا

---

(٥٣٣) المعاهدة الفرنسية – السورية: وقّعت في التاسع من أيلول ١٩٣٦م، ووقّعها عن الجانب الفرنسي «بيير فينيو، والمفوض دي مارتيل»، وعن الجانب السوري «فارس الخوري، وجميل مردم، وسعد الله الجابري». وكان يومها رئيس الجمهورية محمد علي العابد، ورئيس مجلس الوزراء محمد عطا الأيوبي. وجاء في صدر المعاهدة: «إن الوفد الفرنسي والوفد السوري، بعد أن درسا – (طبقًا للاتفاق الذي عقد في أول آذار ١٩٣٦) – مختلف الوسائل المتعلقة بوضع معاهدةٍ صداقة وتحالف، بين فرنسة وسورية، على أسس الحرية التامة، والسيادة والاستقلال، قررا بعد مفاوضات أُجريت في باريس، وضع الوثائق المرفقة والبروتوكولات التي تشكّل نص معاهدة الصداقة والتحالف وملاحقها».

للجمهورية السورية بقرار من الجنرال كاترو.

وتشكّلت وزارة برئاسة حسن الحكيم، وأعيد انضمام منطقة اللاذقية، وجبل العرب وحلب للوطن الأم، في العشرين من يناير / كانون الثاني عام ١٩٤٢م، وأخذت الدول تعترف باستقلال سورية.

واستقالت حكومة حسن الحكيم، وشكّلت وزارة حسني البرازي(٥٣٤)، ثم تلتها حكومة برئاسة جميل الألشي في كانون الثاني / يناير ١٩٤٣م.

وطالبت «الكتلة الوطنية» بالعودة إلى الحياة الدستورية، وفي هذه الأحوال توفى رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني، وشُكّلت وزارة برئاسة عطا الأيوبي في ٢٥ مارس / آذار ١٩٤٣م، للإشراف على الانتخابات النيابية.

تشكيل الوزارة:

وجرت انتخابات في ٢٦ يوليو / تموز ١٩٤٣م، وانتُخب فارس الخوري رئيسًا للمجلس النيابي، كما انتُخب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية في ١٩ آب / أغسطس ١٩٤٣م، وكُلّف سعد الله الجابري بتشكيل الوزارة(٥٣٥) في ١٩ آب ١٩٤٣م. إلا أنَّ الوزارة ما لبثت أن استقالت.

وفي الثاني عشر من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٤م، كُلّف فارس الخوري بتشكيل الوزارة بعد استقالة الجابري. وتشكلت الوزارة في ١٤ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٤م على الوجه التالي: فارس الخوري (للرئاسة والداخلية والمعارف)، وجميل مردم بك (للخارجية والدفاع والاقتصاد الوطني)، وخالد العظم (للمالية والإعاشة والتموين)، والدكتور عبد الرحمن الكيالي (للعدلية والأشغال العامة).

وقد شكل فارس الخوري الوزارة ثلاث مرات متتابعة – رغم بلوغه الثانية والسبعين – ودامت حكوماته الثلاث سنة تقريبًا (في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٤م، و٦ نيسان / أبريل ١٩٤٤م، و٢٣ آب ١٩٤٤م)، وفاز برئاسة المجلس النيابي سعد الله الجابري.

وفي مطلع عام ١٩٤٥م، اكتسحت قوات الحلفاء الأراضي الألمانية، ونزلت

(٥٣٤) حسني البرازي: ولد في مدينة حماة عام ١٨٩٣م، وتعلّم في مدارس حماة بدمشق، ودرس الحقوق في تركية. ساهم في الحركات الوطنية وتأسيس الأحزاب العربية في اسطنبول. كما ساهم في تأسيس «الكتلة الوطنية»، وشارك في وضع الدستور السوري، وتولى رئاسة الوزارة مع وزارة الداخلية عام ١٩٤٢م، وعُيّن حاكمًا عسكريًا عام ١٩٤٩م، وأصدر جريدة (الناس).

(٥٣٥) أعضاء وزارة سعد الله الجابري: جميل مردم بك (للخارجية)، ولطفي الحفار (للداخلية)، وخالد العظم (للمالية)، ونصوحي البخاري (للدفاع والمعارف)، ومظهر أرسلان (للأشغال العامة والإعاشة)، وعبد الرحمن الكيالي (للعدلية)، وتوفيق شامية (للزراعة والاقتصاد الوطني).

قواتهم في فرنسة وأنهت حكم الجنرال «بيتان»(٥٣٦). في الوقت الذي تلقّت سورية دعوة لحضور مؤتمر الأمم المتحدة.

وفي منتصف نيسان / أبريل ١٩٤٥م، قدّم فارس الخوري استقالة حكومته، وكُلّف بتشكيل الوزارة للمرة الثانية، فشكّلها على الوجه التالي: جميل مردم بك (للخارجية والدفاع)، وسعيد الغزي (للعدلية والإعاشة)، ونعيم انطاكي (للمالية)، وصبري العسلي (للداخلية)، وأحمد الشراباتي (للمعارف والاقتصاد الوطني)، وحكمت الحكيم (للأشغال العامة).

واقترح لطفي الحفّار - نائب رئيس المجلس النيابي - دعوة المجلس لدورة استثنائية لتشكيل «وفد سورية» للأمم المتحدة. وشُكّل الوفد برئاسة فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء «رئيسًا»، ونعيم انطاكي «وزير المالية» عضوًا، وناظم القدسي وزير سورية المفوّض في واشنطن «عضوًا»، وفريد زين الدين، ونور الدين كحالة خبيرًا، وتوفيق الهندي كاتبًا.

وعُهد إلى جميل مردم بك «وزير الخارجية» القيام بأعمال رئاسة مجلس الوزراء. وأعاد الجنرال «أوليفا روجيه» احتلال سورية بعد إعلان استقلالها.

وأثناء غياب فارس الخوري، قام الفرنسيون في ٢٩ مايو / أيار ١٩٤٥م بعدوان وحشي همجي على سورية، لتؤكد أن العقلية الاستعمارية الفرنسية لم تتغير ولم تتبدل وقصفت الطائرات والمدفعية الفرنسية دمشق، وأصابت القذائف مبنى سجن القلعة(٥٣٧)، ومبنى البرلمان، وذلك في ٢٩ مايو / أيار ١٩٤٥م، ثم هجم الفرنسيون على حامية المجلس النيابي ومثّلوا بأفرادها.

وأمام هذا الوضع المأساوي عَرَض فارس الخوري في الأمم المتحدة قضية الجلاء عن وطنه، وأسمع صوت وطنه للعالم - بلغة إنجليزية سليمة - مطالبًا

(٥٣٦) الجنرال بيتان: اسمه هنري فليب بيتان (١٨٥٦-١٩٥١م)، مارشال فرنسي بطل معركة فردان عام ١٩١٦م، إحدى أشهر معارك الحرب العالمية الأولى. تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٤٠م، ووقّع الهدنة مع ألمانيا. عُيّن رئيسًا للدولة (١٩٤٠-١٩٤٤م) وأتُهم بالخيانة عام ١٩٤٥م بعد سقوط ألمانيا النازية وحُكم عليه بالإعدام، ثم خفّف الحكم إلى السجن مدى الحياة.

(٥٣٧) قلعة دمشق: وتسمى «القلعة الأيوبية»، وتقع في الزاوية الشمالية الغربية لسور دمشق القديمة. بُنيت على أنقاض قلعة قديمة كانت في العهد الروماني أو البيزنطي، وهي القلعة الوحيدة التي بُنيت على مستوى أرض المدينة. وقد بناها «السلاجقة» إذ قام الأمير «إتسز بن أوق الخوارزمي» عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ببنائها، ورفع بعض أبراجها، ولم تكتمل في عهده. ولمّا انتزع السلطنة منه «تتش بن ألب أرسلان» بعد عامين من بدء البناء، أكمل البناء واستعان بحجارة من سور دمشق المهدّم، وجعل منها «دار إمارة» وثكنات لجيشه، ودارًا لولده «رضوان» وأحدث بابين أحدهما في الشمال، والآخر باب جسر الخندق الشرقي عام ٥٢٧هـ. وقد عاصرت القلعة السلجوقية فترة امتدت (١٣٠) عامًا، حتى شملت: عهد الأتابكة، وعهد نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وجزءًا من حُكم أخيه العادل ٦٠٤هـ/١٢٠٦م. وقد ألزم كل أمير ببناء برج من أبراجها. هدم أسوارها التتار، في غزوهم دمشق عام ١٢٦٠م، وأعاد بناءها «الظاهر بيبرس». حاصرها تيمورلنك وأحرقها ٨٠٥هـ/١٤٠٣م.

برحيل القوات الفرنسية عن أرض سورية ولبنان.

قنديل فارس خوري أضاء فجر الاستقلال

وعندما بدأت قوات الاحتلال بالتسويف والتلكؤ بالرحيل عن الوطن، وقف دولة فارس الخوري على منصة الأمم المتحدة، مطالباً برحيل قوات الاحتلال الفرنسية والبريطانية من أرض الوطن.

وقال إن خروج قوات الاحتلال لا يحتاج إلى مفاوضات مضنية وترتيبات معقدة، وإنما يحتاج فقط إلى رحيل هذه القوات.

وإن ممطالتها يشبه إلى حد بعيد قصة«القنديل الأحمر» والوضع الذي نحن فيه.

فقد تقرّر وضع «قنديل أحمر»وسط أحد الشوارع فسأل أحدهم: لماذا نُصب قنديل أحمر هنا؟

فأُجيب أنه نُصب لكي لا يعثر أحد من المارة بالحجارة التي نُصب عليها القنديل. ثم سأل: لماذا وُضعت الحجارة؟ فقيل له: أنها وُضعت لكي ينُصب فوقها القنديل الأحمر.

واستطاع فارس الخوري أن ينتزع عطف مندوبي الدول في الأمم المتحدة، ليقرّروا موعد الجلاء التام عن سورية، في الخامس عشر من نيسان / إبريل عام ١٩٤٦م.

فارس الخوري محامي القضية العربية:

وانتُخب فارس الخوري رئيسًا لمجلس الأمن عام ١٩٤٧م - ١٩٤٨م، ثم انتُدب مرة أخرى ليمثّل سورية، في الدفاع عن قضية عروبة فلسطين، وناقش وجادل وأسمع العالم، أن فلسطين أرض عربية منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وعمل كل ما في وسعه بصبر وشجاعة، ولكن العالم كان قد أصمَّ أُذنيه.

وعاد فارس الخوري لوطنه في العاشر من كانون الثاني عام تسعة وأربعين، بعد عامين ونصف العام قضاها مدافعًا عن حقوق وطنه.

استقبال الفارس الأول:

كان يومًا مشهودًا في دمشق، خرجت سورية من أدناها إلى أقصاها، لتستقبل فارسها الكبير أجمل استقبال.

خرجت دمشق كلها لتُحيّي فارسها الكبير (فارس الخوري) العائد لوطنه بأكبر تحية، يتقدمهم رئيس الجمهورية (شكري القوتلي)، والوزراء والنواب

والشخصيات الرسمية والشعبية من مختلف المحافظات السورية تقديرًا للخدمات التي قدّمها لسورية.

وكان قد أذيع في دمشق، في التاسع من كانون الثاني / يناير ١٩٤٩م، أن دولة فارس الخوري سيصل إلى دمشق، في صباح العاشر من كانون الثاني إلى مطار المزة، وأن لجنة تألفت برئاسة لطفي الحفار- لينوب عن رئيس مجلس النواب- لإعداد برنامج الاحتفال الرسمي المقرّر لاستقبال فارس الخوري.

واتخذت اللجنة جميع التدابير لتنظيم الاحتفال الرسمي والشعبي، تنظيمًا يتلاءم مع الخدمات التي قدمها دولة فارس الخوري لسورية، ولجميع قضايا العدل والإنسانية في هيئة الأمم ومجلس الأمن، وللإعراب عن التقدير والاحترام والإجلال، الذي تكنه الأمة للمدافعين عن أوطانهم.

وُرفعت الأعلام السورية على المؤسسات الرسمية، وعلى طول الطريق من القصر الجمهوري حتى مطار المزة، استعدادا لاستقبال فارس الوطن.

وزحفت الجماهير منذ الصباح الباكر إلى مطار المزة وقبيل وصول الطائرة التي تقل فارس الخوري، وصل رئيس الجمهورية «شكري القوتلي» متجاوزاً كلّ قواعد البروتوكول، ومعه دولة «خالد العظم»(٥٣٨) رئيس مجلس الوزراء، والوزراء ونائب رئيس مجلس النواب «لطفي الحفار» والنوّاب وكبار رجال الدولة.

وعندما هبطت الطائرة أرض المطار، في الساعة الثامنة صباحا دوى التصفيق. ولما ترجّل فارس الخوري عانقه رئيس الجمهورية شكري القوتلي عناقًا حاراً، وتبادلا قبلات الأخوّة.

وبعد أن صافح فارس الخوري كبار رجال الدولة الذين قدموا لاستقباله، سأل نجله «سهيل» عن «الطربوش» الذي أوصاه أن يأتي به إلى المطار ليلبسه، فما كان من الشيخ بهجت البيطار(٥٣٩)، إلا أن ناوله عمامته وقال له: أنت أولى مني..!! بها فاعتم فارس الخوري بها بين عاصفة من التصفيق المتواصل.

وذهب فارس الخوري إلى القصر الجمهوري بسيارة شكري القوتلي.

(٥٣٨) خالد العظم: من رجالات سورية الذين شيّدوا مجدها الاقتصادي، ورفعوا راية الحرية والديمقراطية شعارًا. والده محمد فوزي باشا العظم من أغنياء دمشق. ولد في دمشق عام ١٩٠٣م، ونال شهادة الحقوق. أُسندت إليه أول وزارة سورية أوائل عام ١٩٤١م، وتولى عدة مناصب وزارية. شكّل وزارته الأخيرة واستمرت حتى عام ١٩٦٣م. توفي عام ١٩٦٥م ودفن في بيروت، ولا يزال بيته مزارًا ومركزًا لمديرية الوثائق التاريخية..

(٥٣٩) الشيخ محمد بهجت البيطار: من علماء دمشق الأفذاذ، ولد بدمشق عام ١٨٩٤م، ونَذَر نفسه للدعوة والجهاد في سبيل الله. اضطهده الفرنسيون وأصدروا حكمًا بإعدامه. وشارك في عدة مؤتمرات إسلامية، ولبّى نداء ربه أواخر أيار ١٩٧٦م. كان علاّمة زمانه بعلوم اللغة العربية، وله مؤلفات في اللغة والفقه. وقد أطلقت وزارة التربية والتعليم اسمه على مدرسة للبنات تقع في بداية الميدان بدمشق. كما كان ابنه عاصم من علماء اللغة العربية وجهابذتها وتوفي عام ٢٠٠٦م.

كان دولة فارس خوري يجلس إلى يسار رئيس الجمهورية، ورجال «الدرك» على طول الطريق يؤدّون التحية العسكرية، والشوارع التي يمر بها الموكب تغصّ بالجماهير، وكان موكب المستقبلين قد وصل أوّله إلى قرية المزة، بينما لم يتحرك آخره من أرض المطار كما وقفت حافلات الترام والسيارات عن السير نظرا للازدحام الشديد.

لم يكن «فارس الوطن» مندوب سورية وحدها لدى المجالس والمؤتمرات الدولية، بل كان مندوب الدول العربية كلها.

كما كان مندوب كل أمة، تنشد الحق وتكره العدوان، وتسعى إلى التحرر من الظلم والظالمين والمستعمر والمستعمرين.

وقد وجد فيه ممثلو دولِ العالم، مثال الرجل الأمين على تأدية رسالته الوطنية الإنسانية، فأحبه وأَجلّه المظلومون، واحترمه الخصوم الظالمون.

كان الجميع ينظر إليه نظرة الإكبار والإعجاب، لسحر بيانه، وقوة حجته، وسلامة منطقه، وسعة إطلاعه، وبراعة أسلوبه، وصدق لهجته، وقوة وقفته، ووقار شخصيته، واتزانه.

كان فارسًا يخطب بلسان الأمة التي يمثّلها، بكل الصدق والصراحة، يتكلم ويناقش عن سعة وإطلاع، فهو من الحقوقيين المرموقين الذين يُشار إليهم بالبَنان حتى بلغ أرفع مكانة في قلوب الناس، من التقدير والإجلال، والمحبة والاحترامِ، ما يدعو إلى الاعتزاز والفخر.

كان في أروقة الأمم المتحدة يصهل غضبًا، ويهدر سخطًا على المعتدين الذين أدموا وجدانَ الشعب في سورية كما كانت كلماته تخترق جدار الزمان والمكان وتستشرف المستقبل بوعي، معبّرَةً عن نبض الشارع الوطني.

رجل الملمّات. !!

في عام أربعة وخمسين وتسعمئة وألف، كُلّف فارس الخوري بتشكيل الوزارة السورية، إثر أزمة وزارية حادة. واستمرت وزارته حتى عام خمسة وخمسين وتسعمئة وألف.

وظل فارس الخوري يمثل سورية في لجنة القانون الدولي في «جنيف» حتى عام ١٩٦٠م.

الرحيل. !!

ورحل صوت الأمة عام اثنين وستين وتسعمئة وألف، وأحسّ الشعب بفداحة المُصاب، والخطب الجلل. ولُفَّ جثمانه بالعلم السوري، ووضع على عربة مدفع،

وشُيّع في احتفال رسمي وشعبي مهيب.

ومشى وراء نعشه الرئيس الراحل «شكري القوتلي» رفيق درب نضاله و«ناظم القدسي» رئيس الجمهورية يومذاك.

في حين كانت المآذن تصدح بترتيل آيات من الذكر الحكيم، وأجراس الكنائس تُقرع تأبينًا للراحل العظيم.

رحل صوت الأمة المدوّي، وضميرها النابض.

كان فارس الخوري مناضلاً شجاعًا، جسّد ضمير شعبه، وآمال وأحلام أهل وطنه.

كان رمزًا من رموز الأمة، والمدافعين عن حريتها واستقلالها، الذين لم يغادروا ذاكرة التاريخ.

رفع صوته عاليًا مدويًا باستقلال الوطن، وهو يختزن في صدره آلام أمته، والقهر والعدوان الذي أصابها، ليُفجّره في وجوه الغزاة المعتدين، الذين اغتصبوا استقلال بلاده، وتآمروا على نهب ثرواتها.

كما كان من رجال الفكر والأدب كاتبًا وأديبًا وشاعرًا يهزّ المنابر، ويُعبّر عن نبض الأمة بكل الصدق والعفوية.

عشق وطنه عشقًا ملأ عليه كل ذرّة من كيانه، وكان هذا العشق جسر العبور نحو الخلود.

رحم الله أبا سهيل(٥٤٠)، فالوطن يُقدّر ويجلّ رجاله العظماء ويسجّل أسماءهم في ذاكرته وفي صفحاته الذهبية.

---

(٥٤٠) د.سهيل فارس الخوري: وُلد في مدينة دمشق عام ١٩١٢م، وهو الابن الوحيد لفارس الخوري. درس في معهد الحقوق بدمشق عام ١٩٣٠م، واختصّ في الاقتصاد السياسي والعلوم المالية عام ١٩٤٤م في الجامعة اليسوعية في بيروت، ونال شهادة الدكتوراه في الحقوق عام ١٩٤٥م في باريس. تولى منصب قاض عقاري، ومستشار حقوقي في دمشق، ونائبًا لنقيب المحامين، وسكرتيرًا للغرفة الصناعية، ورئاسة وعضوية الشّركات والجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية. انتُخب عام ١٩٥٤م نائبًا عن دمشق، وكذلك في انتخابات المجلس عام ١٩٦١م. عُيّن وزيرًا للشؤون البلدية والقروية عام ١٩٦١م في حكومة معروف الدواليبي. وانصرف بعد الثامن من آذار ١٩٦٣م إلى مهنة المحاماة. تزوج من السيدة «ليلى كحالة» شقيقة الصحافي «حبيب كحالة» صاحب مجلة «المضحك المبكي» وأنجب الأديبة «كوليت» وفارس وسامر. وتوفي عام ١٩٩٢م.

أيام لها تاريخ

أيام لها تاريخ، دخلت ذاكرة الوطن، وسُجلت في صفحات التاريخ:

- **في صيف ١٩١٦م، أصدر جمال باشا السفاح أوامره إلى شرطته العسكرية، باعتقال الشخصيات المعروفة من زعماء العرب وأحرارها تمهيدًا لإعدامهم، ولولا تدخّل الأمير فيصل، لكان السفاح قد اعدم الكثيرين. حيث كتب فيصل إليه محذّرًا إياه، بأنه إذا أعدم أحد المتهمين، أو مات بسبب التعذِيب فإنه سينتقم من الضباط الأتراك الأسرى في مكة والطائف. وأنه سيعدم عشرة من الأتراك مقابل كل عربي يذهب ضحية إرهابه وظلمه.**
- **دخل الجيش العربي دمشق في الأول من تشرين الأول ١٩١٨م.**
- **توقفت الحرب العالمية الأولى ووقعت الهدنة في ١١ تشرين الثاني عام ١٩١٨م.**
- **غادر الأمير فيصل سورية إلى مؤتمر الصلح في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩م.**
- **عاد فيصل إلى سورية في الثلاثين من أبريل / نيسان ١٩١٩م.**
- **عقد المؤتمر السوري أُولى جلساته في ٣ حزيران ١٩١٩م، للاستماع إلى بيان الأمير فيصل بعد عودته من مؤتمر الصلح. الذي عُقد في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩م.**
- **كانت آخر اجتماعات عقدها المؤتمر السوري في ١٩ تموز ١٩٢٠م قبل معركة ميسلون.**
- **وصلت لجنة (كراين) دمشق في ١٠ حزيران ١٩١٩م، للاطلاع على رغبات السوريين في الاستقلال.**
- **عاد فيصل ثانية إلى أوروبة في ١٣ أيلول ١٩١٩م، لمفاوضة الحلفاء.**
- **خطب فيصل في النادي العربي في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠م، بعد عودته الثانية من أوربة.**
- **عُقد مؤتمر (سان ريمو)(٥٤١) في إيطاليا في ٢٥ نيسان / أبريل ١٩٢٠م.**

(٥٤١) مؤتمر سان ريمو: مؤتمر دولي عُقد في منتجع «سان ريمو» في الريفيرا الإيطالية، في الجزء الشمالي الغربي من إيطاليا، ما بين (١٩-٢٦ أبريل/نيسان ١٩٢٠م)، في أعقاب هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى. حضره رؤساء وزارات: بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، ومندوبون عن اليابان واليونان وبلجيكا. وقد وضعت في هذا المؤتمر الصيغة النهائية لمعاهدة الصلح مع تركيا، وهي الصيغة التي وُقّع عليها في «سيفر» في العاشر من أغسطس ١٩٢٠م،

- كانت معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠م.
- أُلغيت الخلافة الإسلامية في تركيا في الثالث من مارس/آذار ١٩٢٤م على يد (مصطفى كمال أتاتورك)(٥٤٢).
- بدأت الثورة السورية بهجوم سلطان باشا الأطرش ورجاله على قرية (الكفر)(٥٤٣)، في ٢٢ تموز ١٩٢٥م، وقضائهم على الحملة الفرنسية بقيادة «نورمان»، ومحاصرتهم قلعة السويداء التي يتحصّن فيها الفرنسيون.
- جرى انتخاب المجلس التأسيسي في ١٠ آذار ١٩٢٨م، وافتُتح المجلس في ٩ حزيران ١٩٢٨م، وانتُخب هاشم الأتاسي رئيسًا له.
- تألفت في حزيران ١٩٢٨م (الكتلة الوطنيّة) وكان من مؤسسيها: هاشم الأتاسي، وفارس الخوري، وإبراهيم هنانو، وجميل مردم بك، وسعد الله الجابري، ولطفي الحفّار(٥٤٤)، وحسني البرازي، وتوفيق الشيشكلي. وقد قادت «الكتلة الوطنية» حركة المعارضة، والمقاومة السلبية ضد الفرنسيين، وكانت نقطة ارتكاز في نيل سورية استقلالها.
- في السابع من شباط ١٩٢٩م عطّل الفرنسيون المجلس التأسيسي ومشروع الدستور.
- جرت انتخابات في نيسان ١٩٣٢م للمجلس النيابي، وقد سُجّل فوزًا

وبموجبها أُخضعت سورية ولبنان للانتداب الفرنسي، والعراق وفلسطين للانتداب البريطاني وقد رفض «كمال أتاتورك» الاعتراف بمعاهدة «سيفر»، فاستُعيض عنها بمعاهدة «لوزان» وبموجبها حُلت الإمبراطورية العثمانية، وقُلِّصت تركيا إلى حدودها الحالية و«سيفر»: بلدة في شمال فرنسا، وتُعتبر ضاحية من ضواحي باريس اشتُهرت بـ«خَزَف سيفر»، الذي لا يزال يُنتَج حتى اليوم فيها منذ عام ١٧٥٦م.

(٥٤٢) مصطفى كمال (أتاتورك): (١٨٨١-١٩٣٨م): قائد وزعيم تركي، يُعتبر مؤسس تركيا الحديثة. أصبح رئيسًا للجمهورية في ٢٩ اكتوبر ١٩٢٣م، بعد أن أقصى آخر سلاطين الخلفاء العثمانيين «عبد المجيد الثاني» ابن السلطان عبد العزيز والذي انتخبته الجمعية الوطنية خليفة في ١٨ نوفمبر ١٩٢٢م وألغى أتاتورك الخلافة في ٣ مارس/آذار ١٩٢٤م، ونقل الدولة إلى العلمانية ليقطع كل صلة تربط تركيا بماضيها الإسلامي،وقام بالغاء وظيفة شيخ الاسلام والعمل بالشريعة الاسلامية، والآذان للصلاة بالعربية. كما قام بإغلاق المدارس الدينية، ومنع الخطباء من ارتداء الزي المميز لهم خارج المساجد، وحظر ارتداء الطربوش، والعمل بالتقويم الهجري، ثم ألغى قانون الأحوال المدنية الذي يقوم على أسس الشريعة الإسلامية. واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية، محاولاً أن يجعل من تركيا بلدًا كأوروبا. وبقي أتاتورك رئيسًا للجمهورية حاكمًا ١٥ عامًا منذ إعلانه قيام الجمهورية ١٩٢٣م وحتى وفاته ١٩٣٨م.

(٥٤٣) الكفر: قرية في جبل العرب، وتتبع منطقة السويداء وتبعد عنها ١٢كم. تقع فوق أرض هضابية متموجة السطح، يُطلّ عليها تل القليب.

(٥٤٤) لطفي الحفّار: ولد في مدينة دمشق عام ١٨٨٥م، وشارك في تأسيس «حزب الشعب»، وكان من المساهمين في جرّ مياه «عين الفيجة» إلى دمشق. انتُخب نائبًا عن دمشق، وتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٩م، وتولى رئاسة «الحزب الوطني» عام ١٩٤٧م، ومثّل سورية في الجامعة العربية. توفي عام ١٩٦٨م. جمعت ابنته الأديبة السورية «سلمى الحفار الكزبري» التي توفيت منتصف عام ٢٠٠٦م مذكراته في كتاب ضمّنته سيرة حياته.

للوطنيين، وانتخب محمد علي العابد(٥٤٥) رئيسًا للجمهورية. ولما عُرضت المعاهدة الفرنسية - السورية على المجلس أسقطها الوطنيون في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٢م. فعطّل الفرنسيون المجلس.

- **في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر التاسع والعشرين من أيار / مايو ١٩٤٥م، قام الجنرال الفرنسي (أوليفا روجيه)(٥٤٦) بتوجيه إنذار إلى رئيس (مجلس البرلمان) السوري، بتقديم التحية للعلم الفرنسي، الذي كان من المقرر إنزاله عن مبنى دار أركان الحرب الفرنسية، المقابلة لمبنى البرلمان. إلا أن رئيس المجلس النيابي سعد الله الجابري رفض الإنذار الفرنسي، لأنه يتعارض مع السيادة الوطنية، وأوعز لقوات الشرطة والدرك التي تقوم بحماية مبنى البرلمان، بعدم تنفيذ الإنذار الفرنسي. وألغى المجلس النيابي في الوقت نفسه، الجلسة التي كانت مقررة، لحماية أرواح النواب ممثلي الشعب.**
- **وفي الساعة السادسة، قامت القوات الفرنسية الغازية، بصبّ جام حقدها وغضبها، بقصف وحشي بالطائرات والدبابات، لتدمير مبنى البرلمان على رؤوس نوّاب الأمة وارتكب الغاصب المستعمر مجزرة(٥٤٧) رهيبة، ذهب ضحيتها ثمانية وعشرون شهيدًا من أفراد «الدرك» (الشرطة) استبسلوا في مقاومة قوات الاحتلال الفرنسية الغازية.**
- **في الحادي والثلاثين من مايو / أيار ١٩٤٥م، شجب العالم كله (الوحشية الفرنسية).**

---

(٥٤٥) محمد علي العابد: أول رئيس جمهورية لسورية، وهو ابن أحمد عزت العابد. من أكبر أغنياء دمشق، جمع العلم والوطنية والكفاءة، انتقل إلى جوار ربه عام ١٩٣٩م،ودُفن في حي الميدان بدمشق.

(٥٤٦) أعاد الجنرال الفرنسي «أوليفا روجيه» احتلال سورية بعد إعلان استقلالها مدعيًا: وقف الخارجين على القانون والنظام العام، وإبادة جميع عناصر الشغب والفوضويين التي تريد إخراج فرنسا من البلاد، وتجريد جميع أفراد الشعب من أسلحتهم، ووضع الدوائر الحكومية ومؤسساتها ومنشآتها الحيوية تحت إشراف المعتمد الفرنسي، وفرض الأحكام العرفية ووضع البلاد تحت الحكم العسكري، ومنع اتصال الحكومة مع باقي دول العالم.

(٥٤٧) استُشهد في مجزرة البرلمان كل من: سعيد قهوجي، محمد طيب شربك، شحادة إلياس الأمير، محمد خليل جاد الله، برهان باش إمام، مشهور المهايني، محمود الجبيلي، محمد حكمت تسابحجي، إبراهيم يوسف فضة، محمد حسن هيكل، يحيى محمد اليافي، زهير منير خزنة كاتبي، ممدوح تيسير الطرابلسي، محمد أحمد أُومري، محمد خليل خير البيطار، سعد الدين الصفدي، ياسين نسيب البقاعي، زيد محمد الضبعان*، عيد فلاح شحادة، أحمد مصطفى سميد، أحمد محمد القصّار*، إبراهيم عبد السلام، جودت أحمر*، محمد عادل مدني، واصف إبراهيم هيتو*، عبد النبي برنية، طارق أحمد مدحت، سليمان أبو أسعد*، وأسرت السلطات الفرنسية قائد حامية الدرك شفيق المملوك، بالإضافة إلى محمد مدور، وإبراهيم الشلاح. كما استُشهد الطبيب الشاب مسلم البارودي، وهو يقوم بواجبه الإنساني في مبنى البرلمان. وانتصرت إرادة «المقاومة» التي اتخذت شعارها «النصر أو الشهادة» وخرجت القوات الفرنسية الغازية وجنرالاتها المتعطشين للدماء من سورية. وتكرّم وزارة الداخلية كل عام شهداء مجزرة البرلمان. تحية من الوطن لأبناءٍ بررةٍ مخلصين، وشهداء كرماء غرّ ميامين.(*صورهم غير متوفرة).

- وبناء على المعلومات التي أرسلها الوزير البريطاني (المستر شون)، طيّر رئيس الوزارة البريطانية (المستر تشرشل) برقيته التاريخية إلى (الجنرال ديغول) جاء فيها:

(نظرًا للحالة الحرجة، والقتال الدامي الذي يجري بين جيوشكم وبين دول الشرق، فقد أمرنا بملء الأسف القائد العام في الشرق الأوسط، بالتدخل لمنع إراقة الدماء، وذلك حرصًا على الأمن في تلك المنطقة، التي تجري فيها المواصلات للحرب مع اليابان وتحاشيًا للاصطدام بين القوات البريطانية والفرنسية، فإننا نطلب منكم أن تأمروا الجيوش الفرنسيّة بوقف إطلاق النار والعودة إلى ثكناتها حالاً).

- بعد هذا «الإنذار» توقفت أعمال العدوان، وأُخذ الفرنسيون بالانسحاب من سورية، يحميهم الجنود البريطانيون من نقمة الشعب.

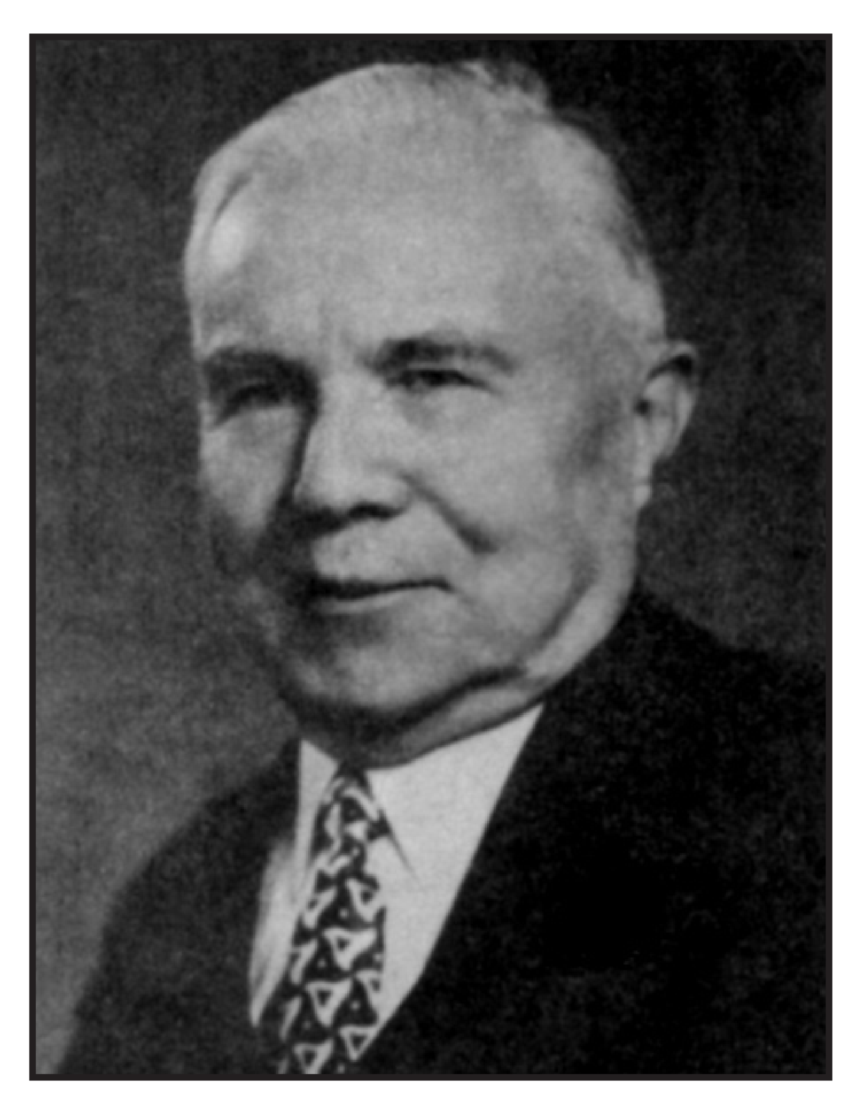
«تُرى مَنْ يُوقف «سفاكي الدماء» في فلسطين والعراق عند حدّهم؟!»

- في الخامس عشر من فبراير / شباط ١٩٤٦م، اجتمع مجلس الأمن الدولي، واتخذ قرارًا بجلاء الجيوش الأجنبية التام من أراضي سورية ولبنان. وكان فارس الخوري رئيس الوفد السوري، وحميد فرنجية رئيس الوفد اللبناني قد طلبا رحيل القوات الأجنبية والجلاء التام عن سورية ولبنان.
- قرّر مجلس الأمن الدولي مبدأ جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضي سورية ولبنان، بعد مناقشات استغرقت يومين، اكتسب خلالها فارس الخوري - بعد أن جادل وناقش أساطين أعضاء مجلس الأمن - عطف مندوبي الدول.
- وتمّ جلاء القوات الفرنسية في الساعة العاشرة من صباح الخامس عشر من أبريل / نيسان ١٩٤٦م. واعتبر اليوم السابع عشر من نيسان / أبريل يومًا وطنيًا وعيدًا قوميًا في سورية.
- انتُخبت سورية لترأس منظمة الأمم المتحدة، ولم يكن أحد ليقوم بأعباء هذه المهمة الخطيرة سوى فارس الخوري الذي انتزع إعجاب العالم. وكان مجلس البرلمان قد انتدبه ليمثل سورية في المنظمة الدولية، وأصبح رئيس مجلس الأمن في نهاية عام ١٩٤٦م وانتهت فترة رئاسته في آب / أغسطس ١٩٤٧م. وكان فارس الخوري قد ساند وأيّد قضية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر، ومطالبها العادلة. وتقديرًا لخدماته ووطنيته أنعمت عليه مصر بالوشاح الأكبر.
- أول انقلاب قاده حسني الزعيم في ٣٠ آذار ١٩٤٩م.

- ثاني انقلاب قام به سامي الحناوي في ١٤ آب ١٩٤٩م.
- قاد أديب الشيشكلي انقلابًا آخر في ١٩ كانون الأول ١٩٤٩م.
- غادر الشيشكلي سورية في ٢٦ شباط ١٩٥٤م.
- أُعيد تنصيب هاشم الأتاسي رئيسًا للجمهورية عام ١٩٥٤م. وتشكلت وزارة برئاسة صبري العسلي.
- ثم تلتها حكومة مؤقتة لتشرف على الانتخابات برئاسة سعيد الغزي. أعقبتها وزارة جديدة برئاسة فارس الخوري عام ١٩٥٥م. واجهت حلف بغداد.
- بعد انتهاء ولاية هاشم الأتاسي في أيلول ١٩٥٥م أُعيد انتخاب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية.
- في حزيران ١٩٥٦م شكل صبري العسلي وزارة الميثاق القومي بعد أن وجّه القوتلي نداء إلى الأحزاب والكتل والهيئات لعقد ميثاق قومي وطني برفض الأحلاف على اختلاف أنواعها.
- في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦م كان العدوان الثلاثي على مصر ووقفت سورية إلى جانب الشقيقة مصر وأوقفت ضخ النفط العراقي الذي يمرّ بأراضيها.
- في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧م، اجتمع المجلس النيابي السوري، ومجلس الأمة المصري، في قاعة البرلمان في سورية، وتقرر بالإجماع إقامة اتحاد بين سورية وجمهورية مصر.
- تمّ استفتاء الشعبين على الوحدة فولدت دولة الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨م، وانتُخب جمال عبد الناصر أول رئيس للدولة.
- في ٢٨ أيلول ١٩٦١م فُصمت عرى الوحدة.
- في ٨ آذار ١٩٦٣م تسلّم السلطة القوى اليسارية والوحدوية بقيادة حزب البعث لإعادة الوحدة مع مصر.
- في نهاية عام ١٩٦٣م أصبح اللواء أمين الحافظ رئيسًا للدولة، وشكّل صلاح الدين البيطار الوزارة.
- في ٢٣ شباط ١٩٦٦م قامت حركة ضد الاتجاه اليميني في الحكم، وأطيح بالحافظ والبيطار.
- في الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وقع العدوان الصهيوني على سورية ومصر والأردن. ومُني العرب بالهزيمة واحتل العدو الإسرائيلي منطقة (الجولان) وشبه جزيرة سيناء وقطاع غزة.

- في ٢٨ أيلول ١٩٧٠م، كانت وفاة الرئيس جمال عبد الناصر المفاجئة.
- في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م قاد الفريق حافظ الأسد حركة تصحيحية وشكّل حكومة برئاسته.
- في ١٢ آذار ١٩٧١م وافق مجلس الشعب (الذي انتخب أحمد الخطيب رئيسًا له) على ترشيح الفريق حافظ الأسد لرئاسة الجمهورية.
- في ٦ تشرين الأوُل ١٩٧٣م، خاضت سورية ومصر حربًا ضد الصهاينة.
- في عام ١٩٧٨م أعيد انتخاب حافظ الأسد لمنصب رئاسة الجمهورية. وجددت البيعة عام ١٩٨٥م. و كانت الوفاة في ٢٠٠٠/٦/١٠م.
- انتخب مجلس الشعب في ٢٠٠٠/٦/١٤م الرئيس الشاب بشار الأسد.

وبويع لولاية دستورية جديدة في ٢٧ أيار ٢٠٠٧م.



فارس الخوري



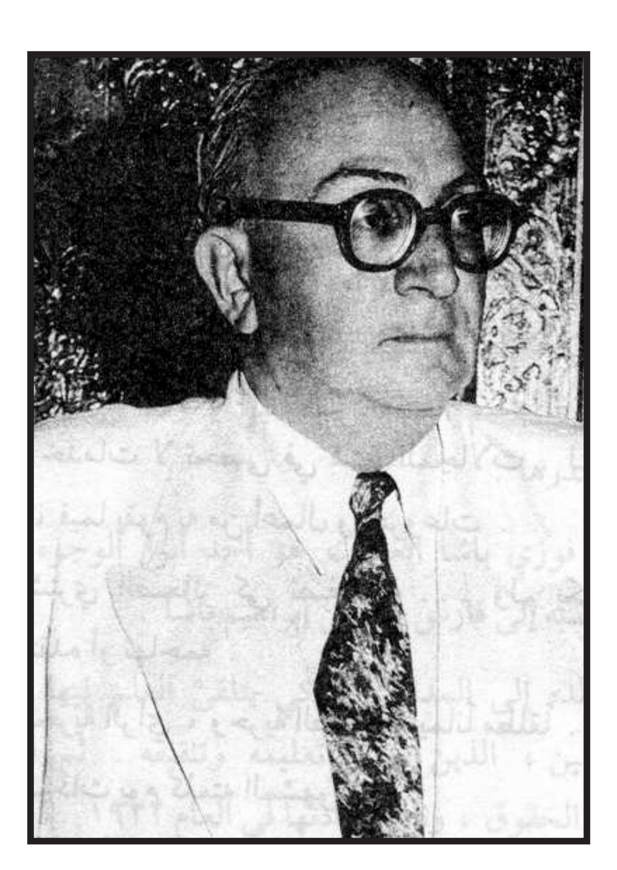
فارس الخوري وحفيدته الأديبة كوليت الخوري



د. سهيل فارس الخوري



حسني البرازي



خالد العظم



(الجلوس من اليمين)؛ الشيخ صالح الشامي - خالد العظم - جميل مردم بك - عطا الأيوبي - فارس الخوري - لطفي الحفار - نعيم أنطاكي - (وقوفاً من اليمين) : سهيل الخوري - عبد اللطيف العسلي - صالح الشامي - يوسف دباس - مسلم السيوفي - خليل ديب

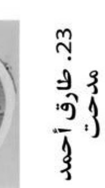


(الجلوس من اليمين)؛ لطفي الحفار - فارس الخوري - حسني البرازي
(الوقوف من اليمين)؛ سعد الله الجابري - أديب الصفدي - فوزي الغزي

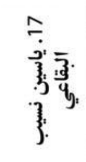
شهداء مجزرة البرلمان



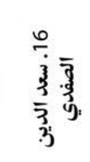


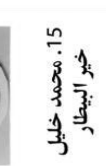


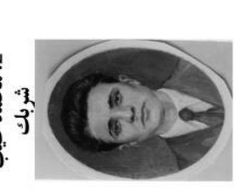






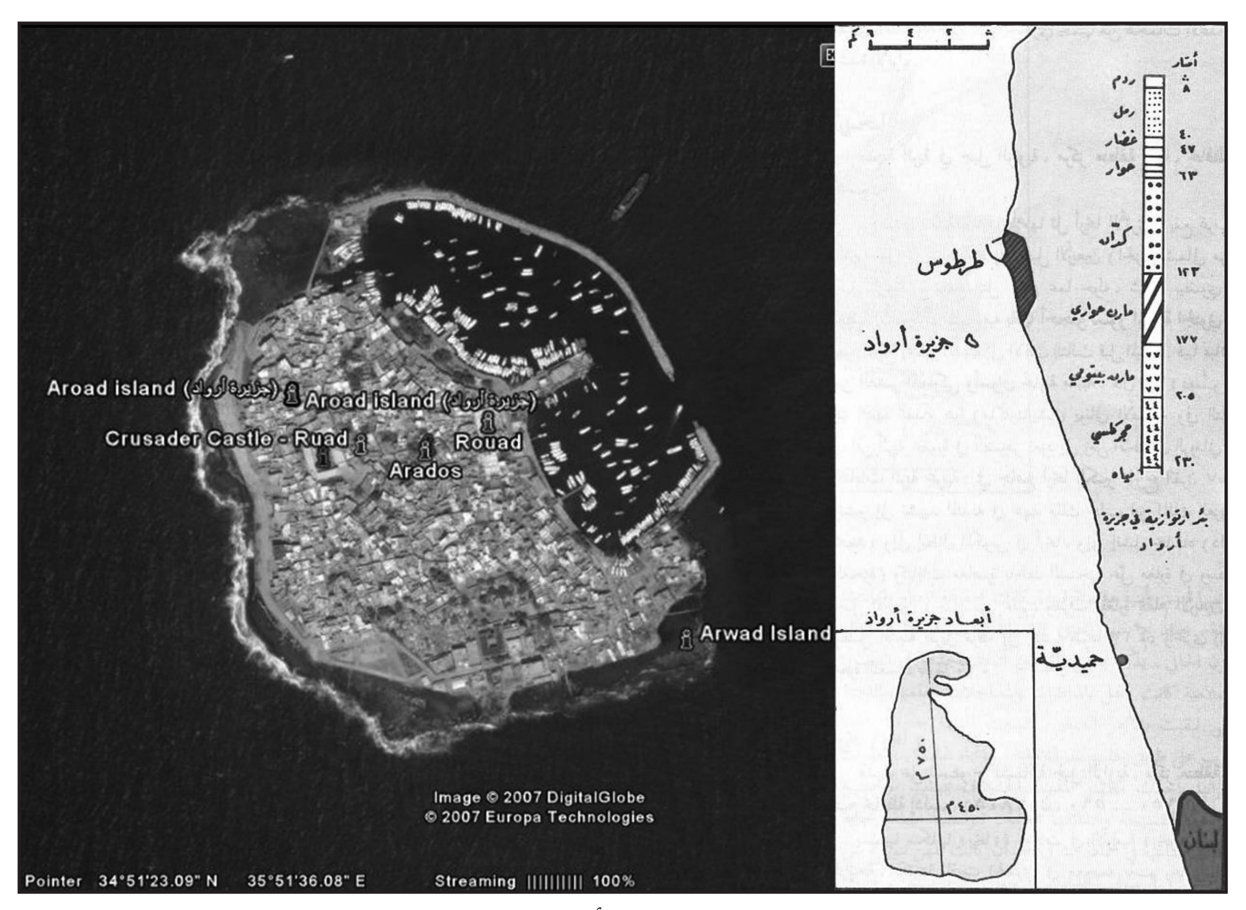




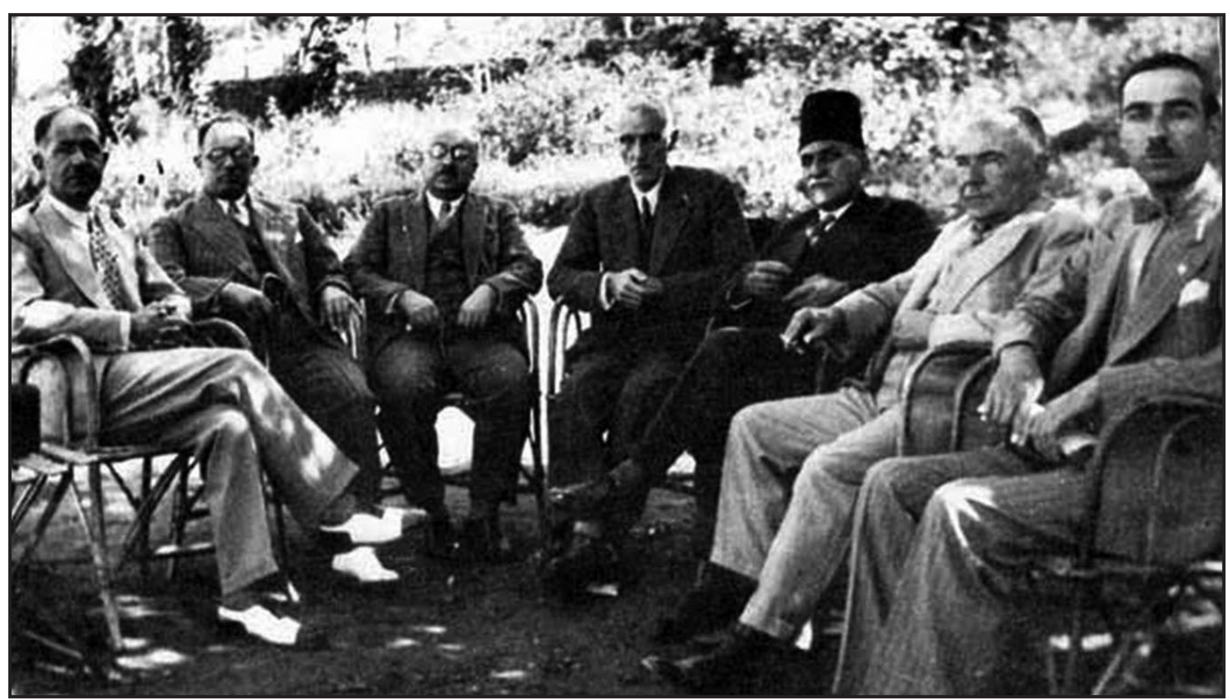



1. سعيد قهوجي
2. محمد طيب شربك
3. شحادة الياس الأمير
4. محمد خليل حاد الله
5. برهان باش إمام
6. مشهور المهايني
7. محمود الجبيلي
8. محمد حكمت تسابحجي
9. ابراهيم يوسف فضة
10. محمد حسن هيكل
11. يحيى محمد اليافي
12. زهير منير خزنة كاتبي
13. ممدوح تيسير طرابلسي
14. محمد أحمد أوبري
15. محمد خليل خير البيطار
16. سعد الدين الصفدي
17. ياسين نسيب البقاعي
18. عبد فلاح شحادة
19. أحمد مصطفى سعيد
20. ابراهيم عبد السلام
21. محمد عادل مدني
22. عبد النبي برنية
23. طارق أحمد مدحت

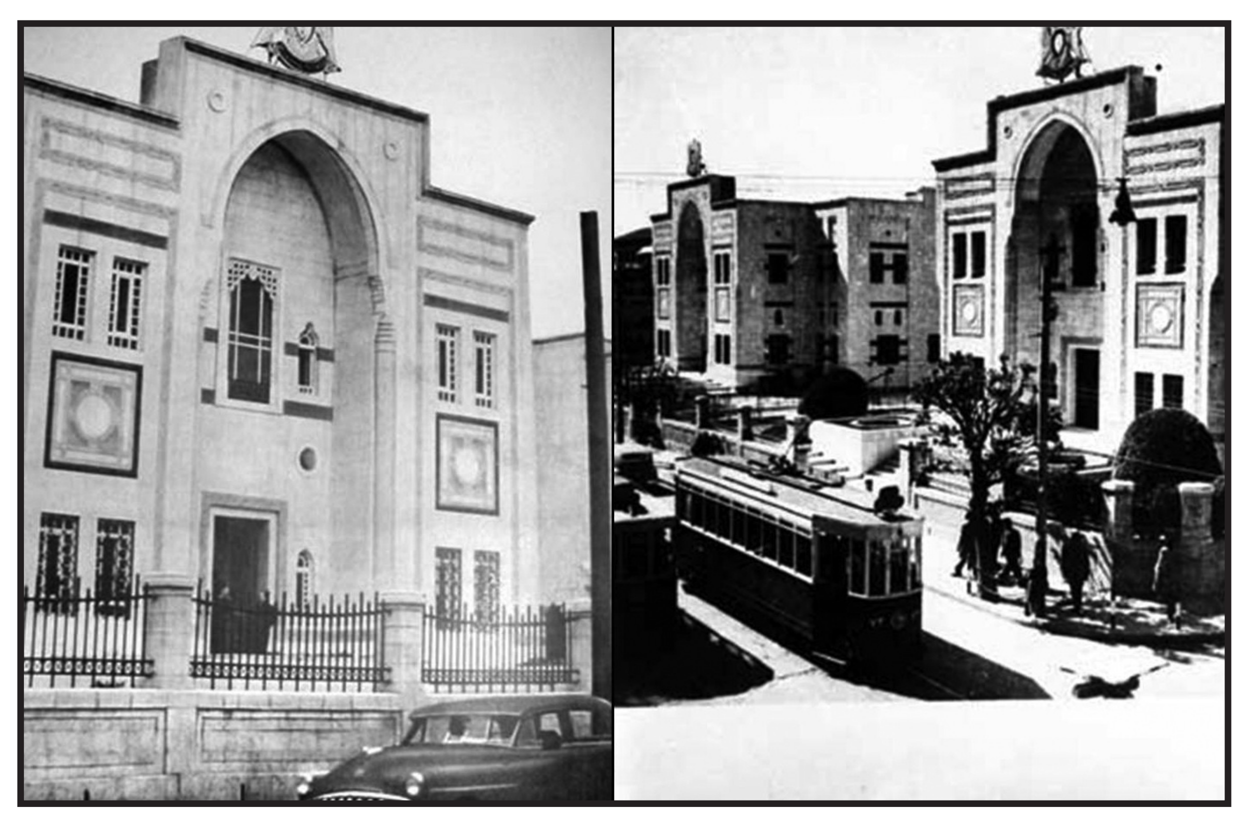
لائحة الشرف



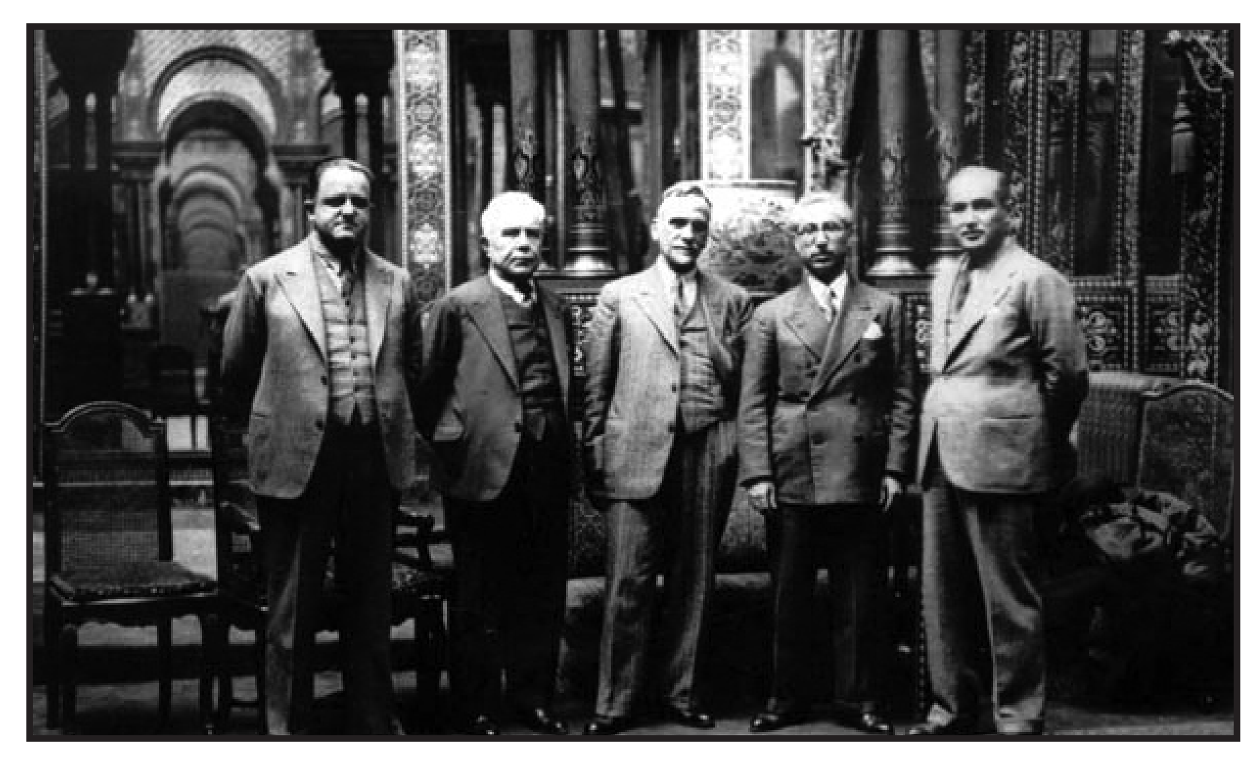
جزيرة أرواد



(من اليمين) : رشدي الكيخيا - فارس الخوري - هاشم الأتاسي - ابراهيم هنانو - لطفي الحفار - زكي الخطيب - سعد الله الجابري



مبنى البرلمان في الصالحية

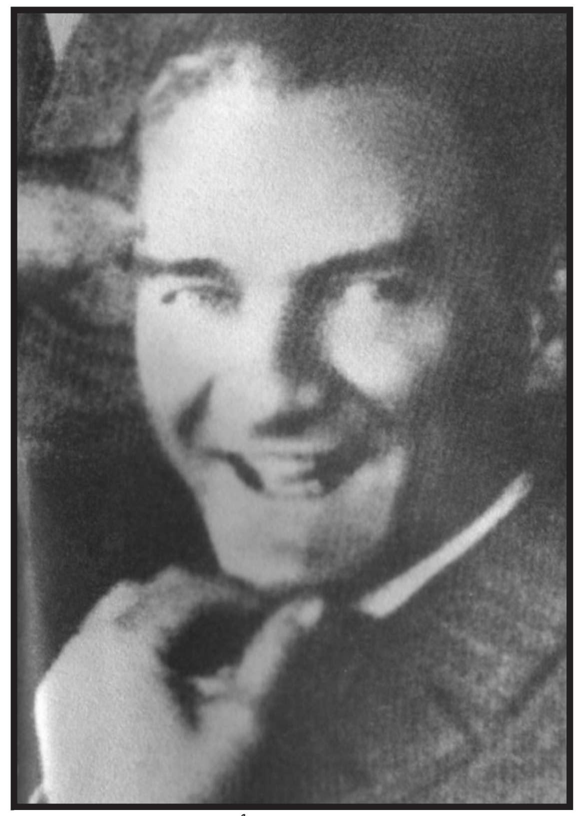


وفد توقيع المعاهدة الفرنسية - السورية عام ١٩٣٦م

(من اليمين) : ادموند حمصي - جميل مردم بك - هاشم الأتاسي - فارس الخوري - مصطفى الشهابي



الجنرال هنري بيتان



مصطفى كمال أتاتورك



محمد علي العابد



لطفي الحفار

دولة السيد حسن الحكيم

(١٨٨٦-١٩٨٢م)

كان دولة السيد حسن الحكيم من مؤسسي (حزب الشعب)(٥٤٨)، الذي ترأسه المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، كما أشغل أمانة سرّ (اللجنة التنفيذية السورية الفلسطينية)، التي تأسست عام ١٩٢٥م في مصر. كما كان عضوًا في (جمعية العهد السورية)(٥٤٩)، وعضوًا في (الحزب الحديدي)(٥٥٠).

كان دولة حسن الحكيم مناضلاً عنيدًا أبى عليه اعتزازه بوطنه، إلا أن يرفع صوته عاليًا مدوّيًا باستقلال الوطن.

كما كان كاتبًا وأديبًا يُعبّر عن نبض الأمة فالأُمة بحاجة إلى مَنْ يقودها، وإلى كلمة صادقة نابعة من حالة الألم التي تعانيها، وحالة الإحباط التي تواجهها، وهول المصيبة التي سقطت فيها.

وأمتنا ابتُليت بالمعتدين الذين اغتصبوا استقلالها وتآمروا على نهب ثرواتها والغيورون على وطنهم يتنادون دائمًا للدفاع عن شرف بلادهم وكرامتها، وتهديدات الطامعين بها والوطنيون يعرفون أَنَّ الخروج على الناموس الوطني خط أحمر، وأَنَّ «الأحرار» يُغادرون أحقادهم عندما يكون الوطن في خطر.

---

(٥٤٨) حزب الشعب: هو أوّل حزب سياسي أُنشئ في سورية إبّان الاحتلال الفرنسي، بعد إطلاق حرية تشكيل الأحزاب. وكان بزعامة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. وكان الغاية من تأسيسه جمع الصفوف الوطنية، في هيئة سياسية تنطق باسمها، وتعمل لوحدة الوطن واستقلاله، وقيام حكومة دستورية. وأعلن تأسيسه في دار الأوبرا العباسية بدمشق، يوم الجمعة الخامس من حزيران ١٩٢٥م. أعضاؤه: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، فارس الخوري، جميل مردم بك، لطفي الحفار، فوزي الغزي، توفيق شامية، إحسان الشريف، سعيد حيدر، حسن الحكيم، عبد المجيد الطباخ، أديب الصفدي، أبو الخير الموقع. وافتتح فروعًا له في حلب وحمص وحماة واللاذقية. بيد أن السلطات الفرنسية شتتت أعضاؤه وأغلقت ناديه، بعد قيام الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م.

(٥٤٩) جمعية العهد السورية: تأسست عام ١٩١٨م، وانحلّت عند زوال الحكم الفيصلي عام ١٩٢٠م. وكان معظم أعضاء هذه الجمعية من الضباط في جيش الأتراك، بينهم عدد من المدنيين منهم: فؤاد الشهابي، حسن الحكيم، حسني البرازي، أما لجنتها الإدارية فتتألف من: حسني البرازي، لطفي الرفاعي، محمد إسماعيل الطباخ، عارف التوّام، رشيد بقدونس، فؤاد الشهابي، وحسن الحكيم.

(٥٥٠) الحزب الحديدي: تألف هذا الحزب بدمشق عام ١٩٢٢م، بعد وصول لجنة (كنج-كراين) الأميركية لاستقصاء الحقائق، وكان يوزع النشرات المعادية للانتداب الفرنسي، الأمر الذي أدّى إلى اعتقال أعضاء التنظيم ونفيهم إلى جزيرة (أرواد) مع الشهبندر، وسعيد حيدر، وحسن الحكيم، ومن أعضاء الحزب الحديدي أيضًا: نادر الساطي ومحمود بيروتي.

وقد تعرّفت على دولة حسن الحكيم في عمان(٥٥١) عاصمة الأردن، حينما تولّى منصب وزارة المالية، فقد كان مثال الرجل النَّزيه.

ولادته ونشأته:

هو ابن المرحوم عبد الرزاق بن صالح الحكيم. ولد في حي الميدان بمدينة دمشق عام ١٨٨٦م، وتلقّى علومه في مدارسها، ثم سافر إلى الآستانة وتخرّج من معاهدها.

في العهد الفيصلي تسلّم مديرية البرق والبريد العامة عام ١٩٢٠م، كما تولى منصب مفتش مديرية المالية العامة، والتي أصبحت تُسمّى فيما بعد وزارة المالية.

حوكم أمام ديوان الحرب العرفي، من أجل البرقية التي أُسند إليه أنه أمر بتأخيرها، احتجاجًا على قبول الحكومة إنذار الجنرال (غورو)، وبعد أن حوكم مرتين برأت المحكمة ساحته من هذه التهمة المنسوبة إليه، لعدم وجود دليل مادّي يوجب إدانته. وبعد دخول الفرنسيين دمشق رحل إلى مصر ثم إلى الأردن، ولكنه ما لبث أن عاد إلى وطنه.

وكانت هيئة عصبة الأمم قد قرّرت إجراء الاستفتاء واستقصاء الحقائق في سورية، عن الحكم الذي يريده الشعب السوري عام ١٩٢٢م، حيث وصل إلى دمشق (المستر كراين) وهو رئيس اللجنة الأميركية للاستفتاء، واتصل مباشرة بالشعب السوري، فطاف أحياء دمشق، وسائر المدن السورية، يرافقه في رحلاته الصحفيون والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وحسن الحكيم وسعيد حيدر، وعبد الوهاب العفيفي وغيرهم من الصحفيين مثل الأستاذ توفيق الحلبي «صاحب جريدة الراوي»، وأمين سعيد صاحب «جريدة الكفاح»، والأستاذ محمد الشريقي، والدكتور خالد الخطيب، والصحافي نجيب الريس(٥٥٢) «صاحب صحيفة القبس» التي كان يصدرها في العهد الفيصلي بدمشق، ويوسف حيدر «صدى المفيد»، ونجيب نصّار صاحب جريدة

(٥٥١) عمّان: عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، كانت قديمًا عاصمة «العمّونيّين» وهم من شعب ساميّ قديم أقام مملكة في الشمال من «مُؤاب» وذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكانت عاصمتهم «ربّة عمون» – كما تدعوها التوراة – وقد نشِب بينهم وبينَ العبرانيين صراع طويل. فتحها «بَطْليموس الثاني فيلاديلفوس» وسمّاها على اسمه «فيلادلفيا».

(٥٥٢) نجيب الريّس: صاحب جريدة «القبس»، وُلد عام ١٨٩٨م في مدينة حماة. انتُخب نائبًا عن دمشق عام ١٩٤٣م، كان جريئًا في قول كلمة الحق، وفارسًا من فرسان الصحافة، وقطبًا من أقطاب الوطنية. كان قلمه ثورة على المستعمرين الفرنسيين، الذين نفوه إلى جزيرة «أرواد»، وأغلقوا صحيفته: «القبس» التي صدرت في الأول من أيلول عام ١٩٢٨م، وفي سجنه نظم النشيد الذي كان يردده الثوار:

«الكرمل»، وتيسير ظبيان صاحب جريدة «الجزيرة»، وسليم عبد الرحمن صاحب جريدة «الاتحاد العربي».

وقد أعرب شعب سورية عن أمانيه برفض الانتداب الفرنسي، وكانت المظاهرات المتواصلة تهتف كلها بطلب الحرية والاستقلال، وتنادي بسقوط الوصاية والحماية والانتداب، وتُندّد بسلطات الاحتلال. وما كادت (لجنة كراين) تغادر سورية حتى قامت السلطات الفرنسية باعتقال قادة الفكر، والحركة الوطنية وقادة المظاهرات، كما اعتقلت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وإخوانه الوطنيين ونفتهم إلى جزيرة «أرواد»، مما أوجب استياء الشعب، فأضربت دمشق، واجتمع المواطنون في الجامع الأموي، وبعد أداء صلاة الجمعة، خطب في المصلين المرحوم محمد الشريقي، والدكتور خالد الخطيب والصحفي الأستاذ توفيق الحلبي، ومن ثم خرج المصلون بمظاهرة كبرى واصلت سيرها إلى السفارات والقنصليات الأجنبية، واحتجّوا لديها، وطلبوا منهم التدخل للإفراج عن المعتقلين، فيما كانت السلطات الفرنسية تعتقل الخطباء المحرضين. وتعلن الأحكام العرفية، وتُجري محاكمة سريعة للمعتقلين.

وبعد اعتقال قادة الحركة الوطنية، وقادة مظاهرات الاحتجاج، أعلنت السلطات الفرنسية الأحكام العرفية، وعزّزت تواجدها بقوات عسكرية كبيرة، واستمر اضراب طلاب المدارس، الذين قاموا بمظاهرات احتجاج سلمية، ففرقتهم القوات الفرنسية بقوة السلاح، وقتلت منهم طالبين، وجرحت الكثيرين منهم.

وفي الثامن عشر من إبريل / نيسان عام ١٩٢٢م، نُقل المعتقلون من سجن القلعة إلى بناية العابد، لمحاكمتهم في الديوان العرفي، الذي أصدر عليهم الأحكام العرفية الآتية:

الدكتور عبد الرحمن الشهبندر حكم بالسجن عشرين سنة.

حسن الحكيم حكم بالسجن عشر سنوات.

يا ظلام السجن خيّم	إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا	فجر مجد يتسامى
يا رنين القيد زدني	نغمة تشجي فؤادي
إنّ في صوتك معنى	للأسى والاضطهاد

وتوفي إثر نوبة قلبية مفاجئة، في التاسع من شباط عام ١٩٥٢م، عن عمر لا يزيد عن أربعة وخمسين عامًا. أقام أنجاله «دارًا للنشر» تحمل اسمه.

الصحافي سعيد حيدر(٥٥٣) حكم بالسجن خمس عشرة سنة.
الصحافي عبد الوهاب العفيفي حكم بالسجن عشرين سنة.
المحامي محمد الشريقي حكم بالسجن عشر سنوات.
الدكتور خالد الخطيب حكم بالسجن عشر سنوات.
الدكتور منير شيخ الأرض حكم بالسجن عشر سنوات.
الصحافي توفيق الحلبي(٥٥٤) حكم بالسجن عشر سنوات.

وفي أواخر شهر نيسان سنة ١٩٢٢م، نُقل المعتقلون إلى «جزيرة أرواد» ومكثوا في السجن لغاية الثاني والعشرين من شهر أكتوبر / تشرين الأول من العام المذكور، وبعدها أطلقت السلطات الفرنسية سراحهم.

ولما نشبت الثورة السورية عام ١٩٢٥م، اتهمت السلطات الفرنسية دولة حسن الحكيم بتحريض الجماهير على الاشتراك فيها، فالتجأ إلى مصر ثم إلى الأردن، وكان يعمل لجمع التبرعات في القطرين المصري، والعراقي، مع إخوانه أعضاء الوفود التي شكّلت في كل من القطرين الشقيقين عددًا من اللجان المالية لهذه الغاية.

وعمل حسن الحكيم في فلسطين مديرًا للبنك العربي في مدينة (يافا)(٥٥٥)، ولكن ما لبث أن عاد إلى وطنه عام ١٩٣٧م بعد العفو العام، وعيّن مديرًا عامًا للأوقاف الإسلامية، ثم وزيرًا للمعارف عام ١٩٣٩م.

وقد كانت حقيبة دولة حسن الحكيم الوزارية «وزارة العدل» - في وزارة

---

(٥٥٣) سعيد حيدر: ولد في مدينة بعلبك عام ١٨٩٠م، ودرس الحقوق في دمشق والآستانة. وانتُخب عضوًا في المؤتمر السوري، الذي أعلن استقلال سورية. حكم عليه الفرنسيون بالإعدام إثر حوادث «كراين» واعتُقل مع الدكتور الشهبندر في جزيرة أرواد، ثم أُفرج عنه، فاشتغل بالمحاماة. أصدر مع أخيه يوسف حيدر جريدة «المفيد»، واشترك في الإعداد للثورة السورية عام ١٩٢٥م، اعتُقل في عمان ونُفي إلى مدينة «معان». عاد إلى سورية بعد صدور العفو العام، وعمل في وظائف قضائية، آخرها رئاسة مجلس الشورى، وانتُخب نائبًا عن دمشق عام ١٩٤٩م. وتوفي سعيد حيدر عام سبعة وخمسين وتسعمئة وألف، ودفن في قرية «السيدة زينب» قرب دمشق.

(٥٥٤) توفيق الحلبي: بن راغب بن إبراهيم الحلبي، من أحفاد العلامة الشيخ عبد الله الحلبي. ولد في حيّ القيمرية بدمشق عام ١٨٨٧م، ودرس في مدارسها، وتولى وظائف إدارية ومالية. ثم عمل في التجارة، وأسس جريدة (الراوي) بدمشق، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى، أصدر جمال باشا السفاح أمرًا باعتقاله وقتله، هو والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، فتواريا عن الأنظار، وهربا إلى مضارب البدو، إلا أنهما اعتُقلا وسُلّما إلى السلطات البريطانية في العراق، ثم أفرجت عنهما فسافرا إلى مصر. التحق توفيق الحلبي بالثورة العربية الكبرى، ودخل دمشق مع جيش الأمير فيصل. وما لبث أن اعتقله الفرنسيون عام ١٩٢٠م، وسجنوه في قلعة (أرواد) سبعة أشهر. ثم التحق بالثورة السورية عام ١٩٢٥م، وخاض جميع معاركها، واستشهد عام ١٩٢٦م.

(٥٥٥) يافا: مدينة في فلسطين المحتلة، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، في الجزء الأوسط من الساحل الفلسطيني. وهي مدينة عريقة في القدم، تشتهر ببرتقالها «اليافاوي». ضمّها الصهاينة عام ١٩٥٠م إلى مدينة تل أبيب. تلقت عددًا كبيرًا من صواريخ المقاومة اللبنانية في منتصف تموز عام ٢٠٠٦م مما اضطر الصهاينة الاختباء في الملاجئ شهرًا كاملاً.

نصوحي البخاري – وقد تسلّم خالد العظم وزارة المعارف، وكان رئيس الجمهورية يومذاك «هاشم الأتاسي» إلا أن حسن الحكيم تبادل مع خالد العظم الحقيبة الوزارية، فكان من نصيب حسن الحكيم وزارة المعارف، وكان «كوليه» هو المستشار الفرنسي في وزراة المعارف السورية.

بعدها تولى حسن الحكيم منصب رئاسة الوزراء، واستمر فيها من شهر أيلول سنة ١٩٤١م حتى نيسان (إبريل) عام ١٩٤٢م، وفي عهد وزارته أعلن الجنرال (كاترو) ممثل فرنسا الحرّة(٥٥٦) بدمشق استقلال سورية.

كما تمّ انتخاب حسن الحكيم نائبًا عن دمشق، لدورة عام ١٩٤٧م. كما قام بتمثيل سورية في الجمعية التأسيسية لعام ١٩٤٩م. وفي عام ١٩٥٠م تقلّد منصب (وزير دولة)، ثم رئيسًا للوزراء. وفي ١٨ حزيران ١٩٥٤م، قام بتأليف وزارة حيادية.

هذه هي حياة «صاحب الترجمة» دولة حسن الحكيم صفحات ناصعة من نُبل المبادئ الشريفة، التي ثبت عليها مع إخوانه، ولم يحد عن عقيدته الوطنية قيد شعرة. فهو مثال المجاهد المناضل، والمواطن الأبي أمضى عمره في خدمة أمته، وتحرير وطنه ورفعِ شأنه في شتى المجالات(٥٥٧).

كان حسن الحكيم بحقّ مناضلاً شريفًا شجاعًا، قاتل الغزاة المحتلين من أجل طردهم من وطنه وجسَّد آمال وأحلام وأفكار وضمير شعبه، الذي وقع تحت سنابك الغزاة، وسياط الطغاة.

نام في زمهرير الشتاء أعوامًا، في سجن قلعة «أرواد»، برفقة رموز الأمة، والمدافعين عن حريتها واستقلالها، الذين لم يغادروا ذاكرة التاريخ وفي حرّ الصيف كانت أعماقه تحترق من ظلم الأعداء.

قست عليه الأيام، ولكنه لم يستسلم، لأنه عرف عشق الوطن.

وفي رحلة العذاب والأمل أخذته الأحزان بعيدًا عن شطآن وطنه فقاسى أنواع الحزن والخيبة والمرارة والإحباط. ثم لوّح يده بالرحيل فقد آن الأوان للفارس أن يترجّل.

(٥٥٦) فرنسة: جاء الاسم من «فرانك» القبيلة الألمانية التي احتلت المنطقة حول باريس، التي كانت مركز السيادة الملكية الفرنسيّة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية. وكان شعار الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠م (الحرية تقود البشر). وبعد الثورة الفرنسية تمّ إسقاط الملكية وإعلان الجمهورية. وفي عهد الإمبراطورية الفرنسية الثانية، عرفت البلاد بداية الثورة الصناعية. ومع حلول الجمهورية أصبحت فرنسا تملك أكبر إمبراطورية استعمارية واسعة تمتد من آسيا إلى إفريقية. عَزَفَ المتشدّدون والمتعصبون العنصريون على أوتارها الشيطانية ألحان الحرية والديمقراطية وأججوا نيران الحروب، وفجّروا شآبيب الدم المهراق فتناثرت الأشلاء واغتُصبت الأوطان ونُهبت الثروات

(٥٥٧) عندما بلغ دولة حسن الحكيم التسعين من عمره أصدر: (مذكراته) بجزأيها، و«صفحة من حياة الشهبندر»، و«نظراتي في الحكم». كما أهدى جميع الوثائق وأوراقه الخاصة لمديرية الوثائق التاريخية عام ١٩٦٨م. وتوفي عام ١٩٨٢م وقد بلغ من العمر ٩٦ عامًا.

●●● وأنا أقول...

تُعتبر فرنسا أسوأ دولة استعمارية(٥٥٨)، والأكثر دموية. فقد قتلت في فترة استعمارها للجزائر، أكثر من مليون جزائري. وفي فترة استعمارها لسورية، قتلت أكثر من مئة ألف سوري وخرجت صاغرة ذليلة مدحورة من البلدين العربيين.

فالشعوب تنتصر دائمًا على الغزاة، وتطردهم من حيث أتوا من شتات المعمورة فإن لم يعودوا بالسفن التي جاؤوا فسوف تعود هذه السفن وثلاجاتها ملأى بجثثهم فقد خرج كل الغزاة وبقيت الأوطان، ومضوا إلى غير رجعة مشيّعين باللعنات واستمرت حياة الأمم.

والعرب أمة واحدة، يقاتلون عدوهم أينما كان من أرض العرب. وأمتنا العربية تملك مخزونًا هائلاً من هذه الثقافة المتأصلة في أعماق النفوس.

وإذا كانت الذاكرة تخون المستعمرين، فليذكروا «سليمان الحلبي» ذلك الثائر العربي، المولود في مدينة حلب الشهباء، والذي كان يتلقّى العلم، في الأزهر الشريف في القاهرة. عزَّ على هذا الثائر العربي، أن يحتلَّ الفرَنسيون أرض الكنانة في مصر وهو العربي «الحلبيّ» من سورية، فأقسم ليَقْتُلَنَّ حاكم مصر يومذاك «الجنرال الفرنسي كليبر» وبرّ بقَسَمه فقتله. وقضت محكمة عسكرية فرنسية بإعدامه صلبًا على «الخازوق»، بعد أن تحرق يده اليمنى التي أطلق فيها النار، وأن يُترك جثمانه طعامًا للعقبان.

وقد نفّذ المحتلون المغتصبون هذا الحكم الرهيب، في «تل العقارب» في السابع عشر من يونيو / حزيران عام ثمانمئة وألف للميلاد، وشُنق معه ثلاثة من علماء الأزهر «عبد الله الغزي، ومحمد الغزي، وأحمد الوالي». ونقل الفرنسيون «الهيكل العظمي» لـ«سليمان الحلبي»(٥٥٩) إلى «متحف» مدرسة

(٥٥٨) يتحدّث الكاتب الأميركي «هاري بلافورت»، عن أسوأ دولة استعمارية في العالم، وعن «المكارثية» الجديدة التي كانت تتخوّف من الشيوعية، والتي ظهرت في أميركا، وفاقت بدمويتها وشراستها وحماقاتها، كل توقّعات المستعمرين في العالم. ويقول: «أنتم لم تتعرّفوا على الإمبريالية الأميركية بعد. إنها الجحيم بعينه. إذا دخلت بلدًا دمّرته اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا آمل أن لا تبتلوا بهذا الجحيم، ولكن إذا ابتُليتم به، فأرجو أن لا يستمر عذابكم إلى ما لا نهاية». وقد ابتُليت العراق بهذا «الجحيم» فالدمار الذي أحدثته الطائرات الأميركية في العراق، وقصص العار المروّعة، والفضائح والفظائع التي ارتكبتها قوات «المارينْز» في «الحديثة وسامراء والبصرة» والقتل والتعذيب في سجون «أبو غريب – وغوانتانامو» والسجون الطائرة فاق كل تصوّر وكل هذه الحروب «من أجل حماية شعوب العالم ونشر الديمقراطية والحرية». فمَنْ يصدقكم يا أشرار العالم...!

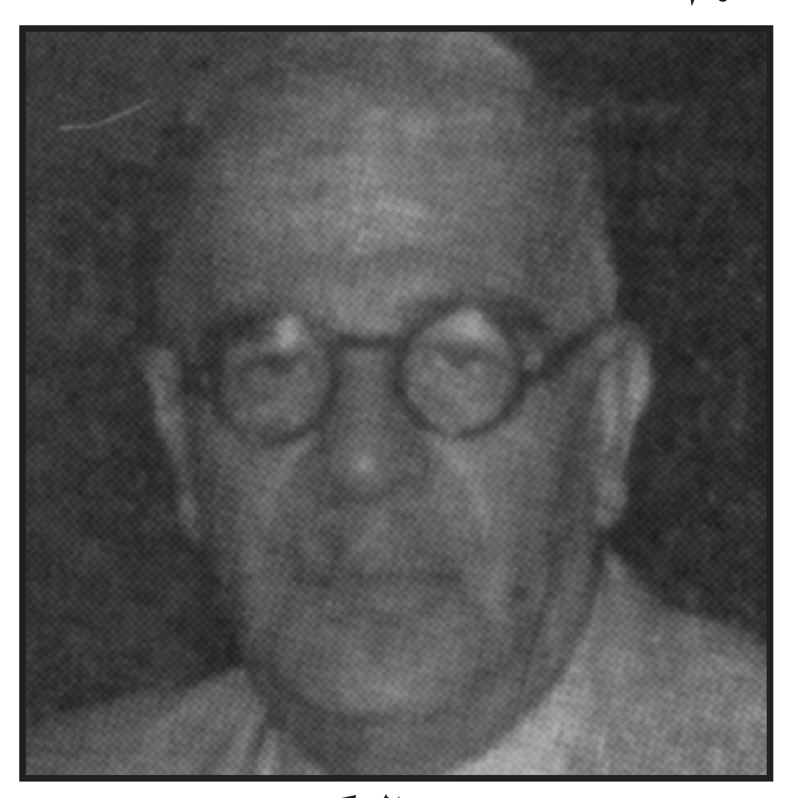
(٥٥٩) سليمان الحلبي بن أمين: وُلد في مدينة «عفرين» التي تبعد ٦٠كم عن مدينة حلب «وتعني الأرض الطيبة» عام ١١٩١هـ/١٧٧٧م. وبعد أن درس في الأزهر ثلاث سنوات عاد إلى حلب، ثم زار القدس وغزة، وحج مرتين. اجتمع مع بعض قادة الجيش التركي، وعاهدهم على قتل قائد الجيش الفرنسي وحاكم مصر الجنرال «كليبر»، وحمل معه

الطب في باريس. كما احتفظوا بالخنجر في متحف مدينة «كاركاسون». ودخل «سليمان الحلبي» التاريخ العربي، كمناضل وطني عنيد.

ولكن حتى فرنسا - الدولة المستعمِرة - لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن أنظار الطامعين.

وقد شاركت فرنسا في الحرب العالمية الأولى، وسقطت بيد الألمان في الحرب العالمية الثانية. ورفض «شارك ديغول» الاعتراف بالهزيمة، فواصل القتال، وأجّج «المقاومة» ضد المحتلين ثم تولى السلطة عام ١٩٥٨م، فقامت الجمهورية الخامسة، وخلفه «جورج بومبيدو»، ثم «فاليري جوسكار ديستان»، ثم «فرانسوا ميتران» ثم «جاك شيراك» وأخيرًا صاحب الجذور الصهيونية- العاشق المتيم - «نيكولا ساركوزي».

تلك هي الحقيقة التاريخية للمستعمرين بعيدًا عن التخييل بعد سقوط الأقنعة التي تُخفي وجههم الحقيقي. فليتذكروا هذه الحقائق، إذا كانت الذاكرة قد خانتهم...!!



حسن الحكيم

«توصية» من علماء الأزهر ليساعدوه في مهمته. وقضى سليمان الحلبي في القاهرة شهرًا وهو يترصّد «الجنرال كليبر»، حتى شاهده في جزيرة الروضة بمصر مع كبير المهندسين «بروتان» فهاجمه وطعنه بخنجر فمات على الفور سنة ١٨٠٠م. وتطالب المنظمات الشعبية في سورية السلطات الفرنسية برفع الظلم التاريخي عن المناضل «سليمان الحلبي»، وبعودة رفاته وهيكله العظمي الذي يعرض في المتاحف الفرنسية لمسقط رأسه، ليُدفن كبطل عربي قومي فالقدّيسة «جان دارك» تُعتبر مجرمة في نظر الإنجليز، لكنها بطلة من أبطال الحرية في نظر الفرنسيين.



سعيد حيدر

نجيب الريس

توفيق الحلبي

سليمان الحلبي

دولة رشيد باشا طليع

(١٨٧٧-١٩٢٦م)

واجه وطننا الحبيب أقسى الحملات الاستعمارية وأعتاها، وأكثرها همجية في التاريخ.

ورغم أن الغزاة الفرنسيين، عانوا من ظُلم حكامهم، حتى ثاروا على هذا الظلم وحطّموا «سجن الباستيل» إلا أنهم كانوا أكثر قسوة، وأشد قبحًا من حكامهم على الشعوب التي ابتُليت بهم.

والمرحوم رشيد باشا بن علي من آل طليع المجاهد المعروف، والمناضل الوطني الكبير قارع هؤلاء العتاة المجرمين، وأمضى حياته في صراع معهم.

وُلد رشيد طليع في (الجديدة) إحدى قرى (الشوف) في لبنان سنة ١٨٧٧م، وتخرّج من الجامعة الملكية في (الآستانة)، وانتسب بعدها إلى السلك الإداري.

انتخب نائبًا عن جبل العرب(٥٦٠) في «مجلس المبعوثان» «البرلمان العثماني»، وتنقّل بين محافظتي حوران وطرابلس الشام، ومن ثم استقرّ في مدينة اللاذقية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عيّن حاكمًا عسكريًا ومتصرفًا في مدينة (حماة)، ثم تولى وزارة الداخلية في العاصمة دمشق، وقد عيّن - في العهد الفيصلي - واليًا لمدينة حلب الشهباء. وهو الذي ساهم في وضع نواة ثورة الشمال، بزعامة المجاهد الكبير المرحوم إبراهيم هنانو (وكان رئيسًا لديوانه)، حيث آزر ثورته بالسلاح والعتاد.

ولما احتل الفرنسيون سورية حكموا على رشيد باشا طليع بالإعدام غيابيًا، بعد ذلك توارى عن الأنظار في منطقة حوران، ثم نزح منها إلى (شرق الأردن) حيث عهد إليه الأمير عبد الله بن الحسين بتأليف أول حكومة أردنية. وفي أواخر عام ١٩٢١م قدّم استقالة حكومته، وقد شكّلها فيما بعد المرحوم الفريق رضا باشا الركابي عام ١٩٢٢م.

وبعد أن قدّم رشيد باشا طليع استقالة حكومته، غادر عمان إلى القطر

(٥٦٠) جبل العرب: كتلة جبلية بركانية، تقع جنوب القطر، وترتفع ما بين ١٢٠٠م-١٥٠٠م عن سطح البحر. وقد نُسب إليهم حين سكنوه في أوائل القرن الثامن عشر. وقد أُطلق على جبل الدروز اسم «جبل العرب» بعد أن انطلقت منه الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، بقيادة سلطان باشا الأطرش. ومدينة «السويداء» عاصمة الجبل، وتبعد عن دمشق ١٠٦كم.

المصري الشقيق، لمتابعة تحركاته النضالية. وبكلمة موجزة، نستطيع أن نقول بأنه كان يتقلّد أعلى المناصب، وكان مثال الإداري الحكيم الحازم، والعفّ النَّزيه. ويُعتبر رشيد باشا طليع من أبرز الشخصيات الوطنية التي أنجبتها سورية في ذلك العصر، من حيث تضحياته، وجرأته وإقدامه، حتى أصبح انموذجًا ومثالاً للوطنية الصادقة، طيلة حياته المملوءة بالأعمال الجليلة.

ولما شبّت نيران الثورة في جبل العرب (بقيادة الزعيم سلطان الأطرش)، انضم رشيد باشا طليع إلى صفوف المجاهدين في جبل العرب، وكان أحد أركان الثورة البارزين، والمستشار الخاص للقائد العام للثورة سلطان باشا الأطرش، وكان ملازمًا له ولشقيقه مصطفى الأطرش(٥٦١) حيثما اتجه.

وبعد احتلال الجيش الفرنسي لمدينة «السويداء»، توجّه رشيد باشا طليع مع سلطان باشا الأطرش إلى جنوب المقرن الجنوبي، من أجل ترحيل عائلات المجاهدين إلى منطقة (الأزرق)، على الطرف الآخر من الحدود الأردنية.

وبعد تسارع الأحداث تمّ اجتماع عاجل لزعماء الجبل في قرية (شقّا) من المقرن الشمالي، وبعض زعماء مجاهدي الغوطة لتنسيق جهود الثوار.

لم تقتصر الثورة على جبل العرب والغوطة فحسب، بل امتدت إلى منطقة (حماة) بقيادة فوزي بك القاوقجي، ومعه أمراء عشيرة الموالي، وشدَّ أزره في الشمال عشيرة الدنادشة والجعافرة، ومجاهدو منطقة حمص بقيادة المجاهد الكبير سعيد العاص، والدكتور محمد صالح قنباز(٥٦٢)، والدكتور توفيق الشيشكلي(٥٦٣)، والدكتور خالد الخطيب، والثائر نظير النشيواتي، كما وأن الثورة امتدت إلى منطقة القلمون، والنبك، وقطنا، وإقليم البلاّن وحاصبيا، وراشيا وبقية المناطق الثائرة واعتبر المجتمعون أنَّ قبول شروط الاستسلام هو الذّلّ والهوان. وانتخى شباب الدروز كعادتهم بإطلاق الرصاص ابتهاجًا، والهتاف للثورة والثوار، وتجديد الولاء والتأييد للثورة بعد أن يتم تنظيم صفوفها. ووضع المجتمعون العقوبات الشديدة على كل من يستسلم

(٥٦١) مصطفى الأطرش: ولد في قرية «القريا» عام ١٩٠٣م، ونشأ في كنف أخيه سلطان باشا الأطرش. كان الساعد الأيمن لأخيه، وقام بالهجوم على المصفحات الفرنسية التي أقلت «أدهم خنجر»، وأظهر شجاعة نادرة، واستُشهد وهو يقاتل الفرنسيين.

(٥٦٢) الدكتور محمد صالح قنباز: ولد في مدينة حماة عام ١٨٨٧م، وأكمل تعليمه في «مكتب عنبر» بدمشق. دخل كلية الطب وتخرّج طبيبًا عام ١٩١٠م، وعاد إلى مسقط رأسه في حماة. وانتُخب عضوًا في المجمع العلمي بدمشق، ثم تخصص بدراسة الأمراض الباطنية في فرنسا، وقام بتأدية فريضة الحج بعد عودته من فرنسا. استُشهد وهو يقوم بأداء واجبه الإنساني، في مداواة الجرحى وإسعافهم، وذلك في أوائل أكتوبر / تشرين الأول عام ١٩٢٦م.

(٥٦٣) الدكتور توفيق الشيشكلي: ولد في مدينة حماة عام ١٨٨٤م، وأكمل دراسته في مدارسها. انتقل إلى «مكتب عنبر» بدمشق، وتخرّج من كلية الطب، متخصصًا في طبّ العيون. انتقل إلى جوار ربه، في أوائل أكتوبر / تشرين الأول، عام ١٩٤٠م، وشيّعته مدينة أبي الفداء إلى مثواه الأخير بشيبها وشبابها.

من القرى المجاورة.

ولما عاد القائد العام سلطان باشا الأطرش وصحبه، ومعهم دولة رشيد باشا طليع إلى قرية (شقّا) واطلعوا على ما اتخذ من قرارات سرّ الجميع لهذه النتيجة الباهرة.

ثم عقد اجتماع ترأسه سلطان باشا الأطرش وضمّ: فضل الله باشا الهنيدي، ومحمد عز الدين الحلبي(٥٦٤)، وصياح بك الأطرش(٥٦٥)، وزيد بك الأطرش(٥٦٦) - شقيق سلطان باشا - ومتعب بك الأطرش، من أجل تنظيم صفوف المجاهدين وتدريبهم. وقد رافقت الأخيرين إلى الغوطة، حيث قادا جموع المتطوعين من ثوار الجبل، لشدّ أزر المجاهدين ونجدتهم، حيث بدأ الجيش الفرنسي بعد استسلام معظم مدن وقرى المقرن الجنوبي والشرقي والغربي في جبل العرب، يستعد لتطويق الغوطة بقوات كبيرة جدًا.

وفاة رشيد باشا طليع:

أصيب فقيدنا رشيد باشا طليع، بالتهاب حادّ مفاجئ في الأمعاء، وهو في قرية «الشبكي»(٥٦٧) بجبل الدروز، ولم يكن فيها طبيب ولا علاج فانتقل إلى رحمته تعالى في شهر أيلول سنة ١٩٢٦م. وقد دفن في قرية «الشبكي» بعيدًا عن مسقط رأسه وأهله. ولم يخلف من الأبناء سوى كريمة واحدة.

رحم الله هؤلاء الثوار الأبطال، وكل مَنْ قضى نحبه في ميادين القتال، واستُشهد في سبيل الله، وغفر الله لبقايا السيوف من أبناء معروف الذين جاهدوا حق الجهاد ،وتركوا للأجيال القادمة قصصًا غنيّة بالبطولات الخالدة، والتضحيات النادرة المثال، فسجلاتهم حافلة بالفداء في ساحات النضال.

---

(٥٦٤) محمد عزّ الدين بك الحلبي: ولد في قرية «لاهتا» – التابعة لقضاء «شهبا – عام ١٨٨٩م، وتخرّج من الكلية الحربية التركية. تقلّب في عدد من الوظائف العسكرية، ثم انتسب إلى السلك الإداري، وشغل «متصرفًا» في مدينة درعا عام ١٩٢٠م، وكان يزوّد الثوار بمعلومات بما ستقوم به السلطات الفرنسية من إجراءات عسكرية ضدهم. عُهد إليه بتشكيل حكومة جبل الدروز، وكان من أركان الثورة في جبل العرب.

(٥٦٥) صيّاح الأطرش: ولد عام ١٨٩٨م في قرية «بكّا» التي تتبع بلدة «القريّا»، منطقة «صلخد» في محافظة السويداء في جبل العرب. كان أحد قادة الثورة السورية الكبرى، وهو ابن عم سلطان الأطرش. وقد لُقّب بـ«أبي المغاوير».

(٥٦٦) زيد الأطرش: هو الشقيق الأصغر لسلطان باشا الأطرش. ولد في قرية «القريّا» في محافظة السويداء عام ١٩٠٤م، وقاد الحملات لنجدة ثوار الغوطة، كما اشترك في كل معارك الجبل. انتُخب نائبًا في المجلس النيابي في الأربعينات، كما كلّفته وزارة الدفاع بعدّة مهام. كرّمته الدولة بمنحه وسام الإخلاص والاستحقاق. كان ينظم زيد الأطرش شعرًا شعبيًا وجدانيًا، ينساب رقّة وعذوبة وحنينًا، إبّان وجود المجاهدين في «واحة الأزرق»، كان يحرّك بشعره العواطف، ويُلهب الحماس، ويُلامس الأرواح بشفافيته، ويبعث في نفوس المجاهدين عبق الجهاد وأمجاد التراث. وتوفي عام ١٩٩٦م بعد أن تجاوز التسعين عامًا.

(٥٦٧) الشبكي: قرية في جبل العرب، تتبع محافظة السويداء، تقع فوق مرتفع صخري بازلتي، تتبع ناحية «المشنف» وتبعد عنها خمسة كيلومترات فيها بقايا آثار وكهوف ومزار للنبي إيليا.

وتبقى سورية بربيعها المتجدد تتماهى في حبها مع كل الحضارات من كل الألوان والأعراق والأجناس والانتماءات.

تنفتح بكل محبة على الآخرين تمدّ الجسور وتعبر بكل ثقة نحو المستقبل وهي تحمل إلى العرب والعالم، رسالة المحبة والسلام، والعدل، والحرية، والكرامة.



●●● وأنا أقول...

بعد انتشار الوعي القومي العربي إبان الحكم التركي، ظهر تيار معتدل يدعو إلى التعاون مع الأتراك، ضمن دولة عثمانية، على أساس المساواة والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ومن هذه الجمعيات:

- **جمعية الإخاء العربي العثماني: التي تأسست في مدينة اسطنبول عام ١٩٠٨م.**
- **المنتدى الأدبي: الذي تأسس في مدينة اسطنبول عام ١٩٠٩م.**
- **حزب اللامركزية: الذي تأسس في القاهرة عام ١٩١٢م.**
- **جمعية العربية الفتاة(٥٦٨) (الفتية): التي تأسست في باريس عام ١٩١١م. وقد أعدم الأتراك مؤسسها توفيق بن أحمد البسَّاط(٥٦٩).**

كما ظهر تيار متطرف، ينادي باستقلال البلاد العربية عن تركية، بسبب تبني الحكام الأتراك من (جمعية الاتحاد والترقي) (القومية الطورانية). ومن هذه الجمعيات:

- **الجمعية القحطانية: تأسست عام ١٩٠٩م في اسطنبول. لمجابهة التيار العنصري التركي، بتيار قومي عربي ينازعه السيطرة على الدولة ومؤسساتها في الولايات العربية. وكان من بين أعضائها: الدكتور عزت الجندي، والأمير عارف الشهابي، وعلي النشاشيبي، وعبد الكريم الخليل، وحسن حمادة، وأمين لطفي الحافظ.**
- **جمعية العهد العسكرية: أسسها كبار الضباط العرب، في تشرين الأول عام ١٩١٣م، ورأسها عزيز المصري، ومن أعضائها: حسني البرازي، ومحمد إسماعيل الطبّاخ، ولطفي الرفاعي، وعارف التوّام، ورشيد بقدونس، وفؤاد**

---

(٥٦٨) الجمعية العربية الفتاة: أسّسها ثلاثة من الشبان العرب الذين أتموا دراستهم في تركية وهم: الدكتور أحمد قدري، وعوني عبد الهادي، ورستم حيدر. ثم انضم إليهم رفيق التميمي، ومحمد المحمصاني، وعبد الغني العريسي، وجميل مردم بك. وكان شعار الجمعية: النهوض بالأمة العربية، مع عدم الانفصال عن الأتراك.

(٥٦٩) توفيق بن أحمد البسَّاط: شهيد من أحرار العرب في عهد الأتراك. وُلد في مدينة صيدا، ودرس في بيروت والآستانة، وكان من أعضاء المنتدى الأدبي، ومن أعضاء «جمعية العربية الفتاة» السرية. عيّنه الأتراك مأمورًا في ولاية دمشق، ولكنهم ما لبثوا أن ألقوا القبض عليه في الحرب العالمية الأولى، وحُكم عليه في ديوان الحرب في عاليه، وشُنق عام ١٩١٦م / ١٣٣٤هـ.

الشهابي، وحسن الحكيم.

وتابع المناضلون تأسيس اللجان الوطنية في العهد العربي الفيصلي، والتي تولّت أعباء النشاط الاستقلالي، وتكوين دولة سورية مستقلة استقلالاً تامًا، تحكمها الديمقراطية ومؤسساتها والقوانين.

ومن هذه اللجان:

❖ اللجنة الوطنية العليا برئاسة الشيخ كامل القصاب، التي تأسست في تشرين الثاني ١٩١٨م، وحزب الاتحاد السوري الذي تأسس في كانون الأول ١٩١٨م، وحزب الاستقلال العربي عام ١٩١٩م، وحزب التقدم، والحزب الديمقراطي، والحزب الوطني السوري عام ١٩٢٠م.

كما تأسست أحزاب في عهد فترة الانتداب، لمقارعة الفرنسيين، ومن هذه الأحزاب:

❖ حزب الشعب بزعامة الدكتور الشهبندر، والحزب الحديدي، ومن أعضائه نادر الساطي ومحمود البيروتي، وحزب الوحدة وضم لفيفًا من رجال الإدارة والموظفين، والكتلة الوطنية لتحل محل حزب الشعب الذي تشتت أعضاؤه، ومن أبرز زعمائها: هاشم الأتاسي، وفارس الخوري، وسعد الله الجابري، وجميل مردم بك، وعبد الرحمن الكيالي، ولطفي الحفار، وشكري القوتلي.

❖ وعصبة العمل القومي، والجبهة الوطنية المتحدة، وكثير من الهيئات الدينية والشعبية.

لقد كانت سورية منذ القرن التاسع عشر، الحصن المنيع للنهضة، التي شكّلت حركة الوعي القومي، وظهور التيار القومي، الذي كان أهم ركائز النهضة.

كما كان للمثقفين والأدباء دورهم الريادي، في توجيه خطى الثورة، وإنارة مشعل الهداية للثوار.

فالأدباء والمثقفون هم القادرون على تشخيص داء الأمة، ووصف الدواء الناجع لها وهم الأقدر على تحليل الأمور. والمسؤولون مسؤولية مباشرة عمّا يجري من أحداث جسام حتى يكشفوا للشعب الذي يرنو إليهم أسرارها وخباياها، ذلك لأنهم الأقدر على بلورة رؤى مستقبلية بعيدة عن الصَخَب والفوضى والضجيج.

النُخب المثقفة من رجال الفكر والأدب، يشكّلون المحور الذي يرفد رجال السياسة، بالرؤى المستقبلية والأفكار المتنوعة.

هذه النُخب المثقفة، شاركت في صناعة الرأي، وصناعة القرار الوطني، وأعطت الدعم لأصحاب القرار السياسي بالتواصل معهم، عبر الخطاب المنفتح، والحوار الهادئ، مما وفرّ لهم غطاء وقوة ودعمًا فعّالاً، كما تحوّل

بعض الأدباء إلى زعماء للثورة.

وقد أملت الظروف – التي مرّت بها بلادنا – على النُخب المثقفة، تجديد خطابها الثقافي لكن الهيمنة الاستعمارية الفرنسية الشرسة، استطاعت أن تسرق من المثقفين عامل الزمن والزمن أدى إلى حسم الصراع في ساحات المعارك، وإلى حسم المواجهات وتوقف المعارك.

وهكذا استطاع العدو الفرنسي اللئيم، بجبروته وغطرسته، أن يقبض على عامل الزمن، وأن يمسك زمام الأمور، ويقيم السدود والحدود واستطاعت اللحظة الاستعمارية، أن تقلب المعادلة وميزان القوى في غياب التكافؤ فوقعنا أسرى جدلية الاستلاب والاحتلال والهزيمة والنكسة جدلية لا تزال تضخّ أنفاسها، بأشكال وألوان مختلفة.

وبلغ من نهم المستعمرين وغطرستهم، أن حاولوا فرض لغتهم وثقافتهم على أجيالنا ومؤسساتنا الحكومية، لكن النُخب المثقفة، وقفت صامدة أمام آليات المخطط الفرنسي، وقامت بخلق حراك في المجتمع، أدى إلى حركة نهضوية بامتياز، تبحث عن التجديد والحقوق، والحرية والاستقلال.

هؤلاء الروّاد الأوائل، كانوا ظاهرة فكرية متميزة، أوقفت عملية الاستلاب والسيطرة والاحتلال.

ورغم بربرية الاحتلال، وقوته العاتية، ونازيّته(٥٧٠) التي لم تتغير، فقد استطاعت الأمة، أن تبقي في موضع حراك مع التاريخ والزمن، وفي دائرة المواجهة وفي قلب التاريخ فأمة العرب أمة حية لا تنام على ضيم، وقدرات أجيالنا كامنة في قوة إرادتها، لتجتاز مرحلة الهزيمة إلى التحرير والانتصار.

لقد عمّق آباؤنا وأجدادنا في ضمير الأمة، الدعوة الحاملة للفكر القومي مما أدّى إلى غرس الأصالة الوطنية في نفوس الأجيال الواعدة الباحثة عن الدولة العربية الكبرى الموحدة، كهوية، وكيان، واستقلال، ووطن، والاستعداد للتضحية من أجلها.

(٥٧٠) النازية: نظرية تقول بصفاء العرق الجرماني، وتفوّقه على جميع الأعراق والأجناس، وبأنه مؤهّل للسيطرة على العالم، وأن الشيوعية والرأسمالية الصهيونية، مسؤولتان عمّا يعانيه العالم من كوارث. ومن منظّري النظرية النازية (روزنبرغ)، الذي بسط أفكاره في كتابه «أسطورة القرن العشرين» عام ١٩٣٤م، لكنه أُعدم بصفته مجرم حرب. وزعيم النازية على الإطلاق هو «أدولف هتلر»، الذي أصبح عام ١٩٣٣م سيّد ألمانيا المطلق وقد وضع هتلر المبادئ التي يؤمن بها في كتابه «كفاحي» الذي اعتُبر في ما بعد «إنجيل النازيين» وقد أدّت سياسة هتلر التوسّعية، إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. كما أحرز «النازيون» في بدايتها انتصارات ساحقة. فقد احتلت القوات الألمانية بسرعة خاطفة، بولندة والنرويج والدانمارك، واجتاحت هولندة وبلجيكا وفرنسا لكن فتح جبهة روسيا، وخسارة معركة «ستالينغراد» عام ١٩٤٣م، أدّى إلى توالي هزائم هتلر فانتحر في الثلاثين من نيسان / أبريل عام ١٩٤٥م، أثناء حصار مدينة برلين، بعد أن تزوّج في اللحظات الأخيرة من «إيفا براون» عشيقته وسقطت بموته ألمانيا.



رشيد باشا طليع



د. محمد صالح قنباز



توفيق البسّاط



د . توفيق الشيشكلي



محمد عزي الدين الحلبي



العميد زيد الأطرش





صياح الأطرش



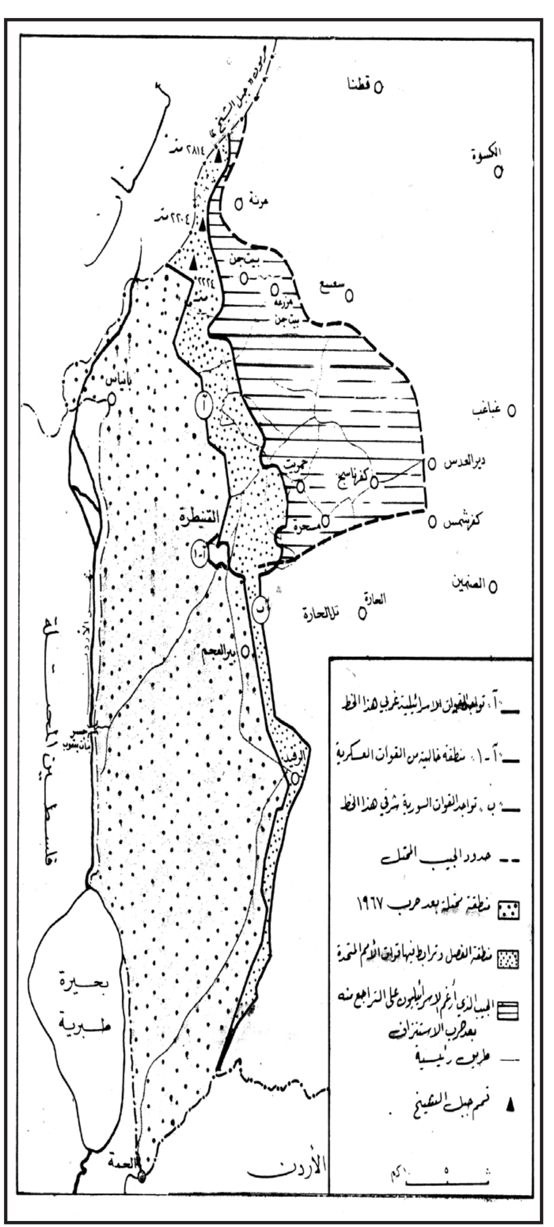
المجاهدون الجالسون من اليمين: الشيخ رشيد الشلاح، كامل الشماط، ابراهيم الشيخ، خالد القلعجي، عمر المنجد، وقد وقف وراءهم: محمود العبسي، سعيد القلعجي، حسن عوض، اسعد اللحام، صادق مطر، سعيد السقا، محمد العسلي

المنطقة الشمالية الغربية في سورية

كيليكية
خليج الإسكندرونة
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
إدلب
اللاذقية
جبلة
بانياس
طرطوس
حماة
حمص
طرابلس
بعلبك
يبرود
مصياف
أريحا
معرة النعمان
قلعة الحصن

أعلى من ٢٠٠٠ م	طريق مزفتة
١٠٠٠ – ٢٠٠٠ م	سكة حديدية
٥٠٠ – ١٠٠٠ م	أنابيب نفط
٢٠٠ – ٥٠٠ م	قلعة
٠ – ٢٠٠ م	
منحنى تسوية	
نهر	
حدود دولية	

٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ كم



خارطة الفصل بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية في الجولان ١٩٧٤/٥/١٣

دولة عمر زكي باشا الأفيوني

(١٨٩٣-١٩٥٣م)

رجل خرج من بين صفحات التاريخ أخلص لوطنه وأمته ومبادئه، ولمع نجمه في ميادين النضال والجهاد والثورة.

كرّس حياته لبني وطنه، دون أن يعرف طعم الراحة، في معظم أيام حياته، حتى يرى المحتل المغتصب يرحل صاغرًا ذليلاً من بلاده.

وعمر زكي باشا الأفيوني، هو صديقي الصدوق الحميم، المشهود له بجهاده ووفائه للزعيم الخالد إبراهيم هنانو. وقد كان كل واحد منهما قمرًا منيرًا في ساحات وميادين الثورة الوطنية، وكلما مضت الأيام تمثّل للأجيال الصاعدة جهادهما، ومجالدتهما(٥٧١) في مواصلة النضال والكفاح، فكانا كأستاذين رائدين لإرشاد تلك الأجيال إلى الوطنية المثلى الدافقة وفرقدين منيرين أنارا درب الأبطال الأباة، الذين رأوا ببصيرتهم أن مآسي الحياة، لا تنتهي بالتأوه والأنين، وبالحوقلة والاسترجاع، ثم الإخلاد إلى السكينة وانتظار ذلّ الاستسلام للأعداء بل بصليل السيوف، وأزيز الرصاص، وقصف القنابل وركوب الأهوال والأخطار، وقذف المهج والأكباد بين الحديد والنار، للأخذ بالثأر من المستعمرين الغادرين الأشرار.

ولادته ونشأته:

ولد عمر زكي باشا الأفيوني في مدينة طرابلس الشام سنة ١٨٩٣م، والده المرحوم أحمد عمر الأفيوني. وأسرته عريقة الأصل، ومشهورة بين أبناء طرابلس بانتمائها الوطني، وانتصارها للقومية العربية.

تلقى دراسته الابتدائية في بلدته مدينة طرابلس، وبعد أن نال شهادة مدرسة الفنون، سافر إلى الآستانة حيث تخرّج من المدرسة (الشاهانية) العالية، المختصة بتخريج رجال الإدارة، وكان من أعضاء (جمعية المنتدى الأدبي)(٥٧٢) في الآستانة.

---

(٥٧١) المجالدة: المقاتلة حتى الموت، وقد عُرفت «المجالدة» في روما عام ٢٦٤ق.م. وفي عهد الإمبراطور «تراجان» في القرن الثاني للميلاد. وأقيمت أول حفلة من حفلات «المجالدة» تبارز فيها خمسة آلاف زوج من «المجالدين». وكان المنتصرون يُكافَئون، أما الخاسرون فكانوا يُساقون إلى الموت إذا قلب «النظّارة» إبهامات أيديهم إلى أسفل، أو يُمنحون العفو والرحمة إذا لوّح «النظّارة» بمناديلهم! وقد أصدر الإمبراطور قسطنطين الأول، أمرًا بإلغاء «المجالدة» عام ٣٢٥م.

(٥٧٢) جمعية المنتدى الأدبي: هذه الجمعية أسسها بعض الطلبة العرب عام ١٩٠٩م في اسطنبول، بعد أن كشّرت

وقد شهد له رفاقه في جميع مراحل التعليم، بالذكاء والتفوق والعبقرية، وكان من العشرة الأوائل بين أكثر من أربعمائة طالب متفوق - بشهادة زميله المرحوم الأستاذ عبد الستار السندروسي (وكان قاضيًا في المحاكم النظامية في عمان، وهو مثال للإخلاص والوطنية الصادقة).

عمل الأفيوني في خدمة الحكومة، فعيّن أستاذًا في وزارة المعارف العراقية، ثم قائمقامًا في مدينة «كوت العمارة» في العراق، وذلك خلال الحرب العالمية الأولى(٥٧٣).

وقد حدثنا بعض رفاقه الذين رافقوا درب مسيرته، بأنه حينما كان قائمقامًا في (كوت العمارة)، وكانت قوافل المهاجرين الأرمن توالي الوصول إلى الدولة العراقية هربًا من التطهير العرقي والديني، تلقى أمرًا سريًا بوجوب إبادة قافلة مؤلفة من ألوف الأرمن، غير أن شهامته ومروءته العربية أبت عليه تنفيذ هذا الأمر الوحشي، فوجههم إلى طريق آخر، وبذلك أنقذ حياتهم من موت محقق وقد كتب عنه مؤرخو الأرمن، وأشادوا بإنسانيته كما أشاروا إلى هذه الحادثة في كتبهم، واعتبروها صادرة عن رجل عربي كريم نبيل.

مع الزعيم هنانو:

تمّ التعارف بين الأفيوني وبين المناضل إبراهيم هنانو، عندما كان هنانو

الحكومة الاتحادية التركية عن أنيابها في «تتريك» العرب. وكانت الجمعية «ثقافية» في ظاهرها، «سياسية» في حقيقتها إذ كانت تقوم بدور سياسي فعّال، وإن كان «يتستر» بالعناية بالطلبة العرب في العاصمة، وكان المنتدى دارًا يجتمعون فيه للبحث والتداول في الأمور التي تهمّ الوطن ورفعة شأنه، والأمة العربية وما يحيكه ضدها الأعداء.

(٥٧٣) الحرب العالمية الأولى: سببها المباشر مصرع ولي عهد النمسا «فرانز فيرديناند» في «سراجيفوا» في ٢٨ يونيو/حزيران ١٩١٤م، ومن أسبابها النّزعة القومية في أوروبا، والصراع السياسي والاقتصادي والاستعماري بين الدول الكبرى، وتصميم الفرنسيين على استرداد «الألزاس واللّورين» من ألمانيا، وقيام معسكرين متناحرين في أوروبا: معسكر التحالف الثلاثي الذي يضم ألمانيا والنمسا-المجر وإيطاليا (وانحلّ بدخول إيطاليا الحرب عام ١٩١٥م إلى جانب الحلفاء)، والحلف الثلاثي الذي ضم فرنسا وبريطانيا وروسيا. لكن بعد مقتل ولي عهد النمسا، أعلنت النمسا الحرب على صربيا، كما أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا ثم على فرنسا كما غزت بليجكا. فسارعت بريطانيا إلى إعلان الحرب على ألمانيا، كما أعلنت النمسا الحرب على روسيا أيضًا. وانضمت تركيا إلى جانب ألمانيا والنمسا، وتبعتها بلغاريا. أما الحلفاء فانضمت إليهم اليابان وإيطاليا بعدها دخلت أميركا الحرب. مع بداية الحرب اجتاح الألمان: بلجيكا ولوكسمبورغ، وتراجعت فرنسا وبريطانيا نحو باريس. ثم قام الحلفاء بهجوم معاكس في سبتمبر/أيلول ١٩١٤م، وأوقفوا الزحف الألماني على باريس. في حين أنزل الألمان بالقوات الروسية هزائم متلاحقة أدت إلى سقوط القيصرية، وقيام «ثورة أكتوبر»، وهزم النمساويون القوات الإيطالية، وبعد عام قام الإيطاليون بهجوم معاكس. وحاول الأتراك الهجوم على السويس لكنهم أخفقوا، وأخرجت القوات العربية والبريطانية الأتراك من فلسطين وسورية. ولكن بعد دخول أميركا الحرب إلى جانب الحلفاء، تغيّر ميزان القوى لصالح الحلفاء. فانكفأت القوات الألمانية إلى الحدود البلجيكية، وبعد سقوط بلغاريا وتركيا والنمسا بأيدي الحلفاء، أنهارت ألمانيا ووقّعت معاهدة فرساي في ٢٨ يونيو/حزيران ١٩١٩م.

قائمقامًا لقضاء إدلب وقرية كفر تخاريم - هي مركز نفوذ هنانو وقد كانت تابعة لإدلب - وشاءت الأقدار أن يلتقيا في هدف نبيل، هو حب الوطن الغالي لكل المخلصين، والتضحية في سبيله. فلما قام هنانو بثورته المشهورة عام ١٩١٩م. كان يجتمع سرًا بـ«صاحب الترجمة» في (إدلب) ويتداولا البحث في شؤون الثورة، واتخاذ الوسائل لمؤازرتها، ومن ثم ترك وظيفته، والتحق بثورة هنانو، وضحّى بمستقبله للذود عن حمى بلاده، فكان لانضمامه إلى جانب هنانو، أبلغ الأثر في إذكاء روح التضحية والجهاد، وقد ساء الفرنسيون أن يثور الأفيوني، باعتباره قائمقامًا لأكبر قضاء في الدولة السورية، وأن يضحّي بمركزه الذي ناله بمؤهلاته، وبراتب وظيفته وهو أحوج ما يكون إليه.

وهناك مَنْ تنهار مقاومتهم أمام سطوة المال وغطرسته، وتجدهم لا يلبثون إلا قليلاً من الزمن حتى تكون لهم القصور الشاهقة، والأموال.

تُرى من أين «ابتنوا» هذي «القصور»؟ ومن أينٍ «اشـتروا» هـذه «المزارع»
أتكفي «الرواتب» كي «تبتاع» «خبزًا»؟ و«فولاً» و«فلافلاً» لإطعام «جائع»

مواطننا العربي تعب بعد مرحلة طويلة من الاستبداد القسري ومن انعدام العدالة والمساواة ومن التورم الوطني والشعور بالحرمان والإثراء غير المشروع وترسيخ رموز الفساد والرشوة والارتزاق والنفاق والسلبية والتبعية.

مواطننا العربي صامت مقهور، انسحب من الساحة بعد أن عانى من الاستبداد والديكتاتورية، ومن إرهاب قمعي للتفكير شلّ الأقلام والعقول معًا. يُصرّ على التبعية السوقية والتهرّب من مجابهى الواقع. يتخبط بين الولاء والتمزق، ويزعم وهو مُحرج أنه يعيش في بحبوحة من الديمقراطية، ويتمتع بمباهج الحياة. ترك هموم وطنه الذي يعيش تفاصيلها وتناقضاتها لغيره دون مبالاة أو اكتراث...!!

مواطننا العربي يعيش واقعه التاريخي ثلاثي الأبعاد في ولائه وانتمائه حتى ولو تصنّع غير ذلك.! ولاء... للعقيدة الدينية حتى ولا ادّعى الإلحاد. ولاء... لعروبته حتى ولو ادّعى التغرّب والحضارة والمدنية. ولاء... أعمى لقبيلته وعشيرته وطائفته مهما غلّف عصبيته بالأقنعة القومية. مهووس بقطريته يكرّس ولاءه لاستقلال بلده حتى ولو كان يستند إلى جدار الكعبة المشرفة...!!

الرحيل:

كان الأفيوني مرافقًا دائمًا لزعيم الثّوار إبراهيم هنانو، ومستشاره السياسي، وقد حمل السلاح(٥٧٤) وخاض جميع المعارك الحربية جنبًا إلى جنب مع الزعيم الثائر - هنانو - وقد أبدى في المعارك شجاعة نادرة المثال.

ولما توقفت الثورة في المنطقة الشمالية، غادرها مع هنانو ورفاقهما عن طريق الصحراء، بعد أن خاض معه معركة (مكسر الحصان الدامية)، كما استطاع الإفلات من قبضة العربان، وكان برفقته المجاهد حقي هنانو، وهاشم جمال وبعض رفاق السلاح وكان الفرنسيون قد أمروا القوات التابعة لهم من المتطوعة بملاحقتهم، حيث طاف ضباط الاستخبارات، وشيوخ بعض العشائر يغرون البدو بمطاردتهم والقبض عليهم، بعد أن وعدوهم بالأموال الطائلة ولكن اللّه سلّم حيث تمكنوا من دخول الأردن، متخفين وملتحفين بسواد الليل.

وبعد توقيع المعاهدة «الفرنسية - السورية» وصدور العفو العام، سافر عمر زكي باشا الأفيوني إلى فرنسا، وأقام فيها زهاء عام، وقد أقترن بسيدة فرنسية من مدينة (مرسيليا)، كانت تعطف عليه أبان مرضه، فأنجب منها: أحمد فاروق، وعدوية، وشقيقة لهما لم أعد أذكر اسمها.

ثم كانت عودته إلى الأردن، لمواصلة نضاله ضد المستعمرين، فقد كانت المفاوضات جارية بين أخذ وردّ، حول عقد المعاهدة بين الأردن وبريطانيا. ونشرت الصحف الأردنية نصّ المعاهدة المعقودة بين الحكومتين الأردنية والبريطانية، وذلك لإطلاع الشعب عليها من جهة، ولإجراء الانتخابات للمجلس التشريعي، من أجل المصادقة عليها بعد تعديلها، (أو رفضها) من جهة أخرى.

موقف المعارضة:

وانقسم المعارضون حول الانتخابات، لتأسيس المجلس التشريعي إلى قسمين:

(٥٧٤) بدأت حركة النضال الثوري بقيادة «إبراهيم هنانو» في الشمال السوري، بظهور طلائع جيش التحرير العربي في أواخر شهر أيلول سنة ١٩١٨م، لتعقّب فلول الجيش التركي المتراجع. ثم قام «هنانو» بتشكيل فئات قليلة العدد من الثوار، لكنها سريعة التنقّل والحركة، لتعمل على خلق الفوضى وبثّ الذعر في المناطق التي كان يتواجد فيها الفرنسيون، وخاصة منطقة «إنطاكية» التي دخلتها القوات الفرنسية القادمة من الاسكندرون، تنفيذًا لاتفاقية سايكس - بيكو. وعملت مجموعته على قطع وتخريب طرق وخطوط المواصلات، وضرب المرتزقة والأعوان والخونة بائعو الكرامة، الذين يتعاونون مع المستعمرين تحت إغراء المال، وهم موجودون في كل أمة لكنهم يذهبون إلى «مزابل» التاريخ وأكوام القمامة المتعفنة. وتكونت أول مجموعة استشهادية في «كفر تخاريم» من سبعة ثوار هم: محمد علي جمعة، مصطفى أبو درويش، مصطفى عويد، علي المغربي، صالح الشغوري، عبد الرحيم الأفندي، والحاج درغام الدرّة.

القسم الأول قرّر مقاطعتها، والمطالبة بالإبقاء على ما تضمنته اتفاقية «أم قيس»(٥٧٥) المشهورة نصًا وروحًا، وفي مقدمة هذا الفريق الزعيم العسكري «علي خلقي باشا» ومعه بعض شيوخ البلاد في الشمال والجنوب.

والقسم الثاني يرى: أن تكون المعارضة داخل مجلس الأمة «البرلمان»، لتطالب بتعديل المعاهدة بما يحقق أماني الشعب الأردني في «المجلس التشريعي» المزمع تشكيله، وذلك لإسماع صوت نواب الأمة في المحافل الدولية من الناحية القانونية، وفي طليعة هذا الفريق المرحوم المحامي شمس الدين سامي وزملاؤه السادة: عادل العظمة، ونجيب الشريدة، ونجيب الإبراهيم، ونجيب أبو الشعر، وكثير غيرهم ممن رأى رأيهم، من حيث انتقادهم لمعظم بنود المعاهدة، طالبين من الحكومة إعادة النظر في أمر تعديلها، وكان لموقفهم المشرّف أبلغ الأثر في نفوس المواطنين على اختلاف طبقاتهم، وقد حصلوا على التأييد والدعم حتى من معارضي القسم الأول.

واختارت الحكومة تعيين الأفيوني متصرفًا لمدينة «أربد»، ليشرف بنفسه على تلك الانتخابات، باعتباره موضع ثقة من جميع المواطنين، وكان اللواء الشمالي هو المركز الرئيسي الموّجه للمعارضين، والمنادين بمقاطعتها.

وقبل أن يتحرّك الأفيوني إلى مكان عمله، قابل «عارف بك العارف»(٥٧٦) لوداعه فقال له: «يا عمر: كن معتدلاً في كل تصرفاتك، فلا تكن يابسًا فتكسر، ولا رطبًا فتعصر».

وطلب الأفيوني من زعماء نواحي لواء عجلون الاجتماع في قرية «سما الروسان» للمداولة معهم بشأن الانتخابات، وقد اصطحبني عمر الأفيوني معه لصداقتي الشخصية مع زعماء عشيرة الروسان، وشيوخ النواحي منذ عام ١٩٢٠م، وكان من أشد المعارضين للانتخابات «الشيخ سليمان باشا السودي»، فحاولت إقناعه بوجهة نظر الفريق الثاني المشهود لهم بالوطنية الصادقة، ثم خطبت بالمجتمعين - بإشارة من المتصرف عمر زكي باشا الأفيوني - وقلت لهم في كلمتي: «إن عطوفة المتصرف لن يُجبر أحدًا على خَوض الانتخابات،

(٥٧٥) قرية أم قيس: قرية صغيرة تقع في الشمال الأردني، وتطلّ على بحيرة طبرية، وكانت في عهد الانتداب البريطاني المقرّ الرئيس لاجتماعات «المعتمد» - المندوب الإنجليزي - (الميجر سمرست) - اللورد «رغلان» فيما بعد - مع أهل الشمال الأردني، لقربها من مدينة طبرية مقرّ إقامة المندوب السامي. وفي هذه القرية عقدت المعاهدة التي سمّيت باسم القرية، واسم «أم قيس» في العهد الروماني كان يعني «جدارًا» لإحدى مدن «الديكابوليس».

(٥٧٦) عارف العارف: أحد كبار المؤرخين الذي أنجبتهم فلسطين. وُلد في مدينة القدس عام ١٨٩٢م، وأكمل دراسته الجامعية في اسطنبول وحصل على شهادة في السياسة والاقتصاد عام ١٩١٣م. خدم في جبهة القفقاس وأسره الروس، وأمضى ثلاث سنوات الأسر في سيبيريا. بعد الثورة البلشفية هرب مع مجموعة من الضباط وعاد إلى القدس. ورفع لواء المقاومة ضد القوات البريطانية المشرفة على الاستيطان الصهيوني. انتُخب ممثلاً عن المقدسيين في «المؤتمر الوطني العام السوري». تولّى مناصب إدارية مختلفة، وتوفي عام ١٩٧٣م.

ولكنه يودّ أن تكون أصوات المعارضة في قاعة المجلس التشريعي، وأنا أقول «وعلى مسؤوليتي» بأنه لن يكون من صلب أبيه، مَنْ يصادق على المعاهدة قبل تعديلها، بما يحقق أماني الأمة والوطن، علمًا بأن النواب من حقهم وحدهم طلب تعديل المعاهدة أو رفضها»، وعلى هذا الأساس قَبِلَ بعضهم - من زعماء النواحي - الاشتراك بالانتخابات، ومنهم من رفض ذَلك تضامنًا مع الفريق الأول، على قاعدة من لم يكن معنا فهو ضدنا - وليس عن طريق الإقناع - وفقًا للمثل القائل: «عنزة ولو طارت».

معاهدة أم قيس:

وكان «علي خلقي باشا»(٥٧٧) قد استدعاني لمَنْزله قائلاً لي: «أصارحك القول يا «جميل» إمّا أن تكون في صفّنا على طولَ الخط بلا قيد ولا شرط، وأما أن تبقى محايدًا، ثم أطلعني على نصّ العرائض التي وقّعها فريق المعارضين، والمتضمنة رفض المعاهدة التي عقدتها الحكومة الأردنية مع بريطانيا، والمطالبة بالإبقاء على اتفاقية «أم قيس» التي قبلتها البلاد منذ عام ١٩٢٠م. فطلبت منه باسم المصلحة الوطنية العامة، المقارنة بينها وبين تلك المعاهدة الجديدة، فلم يجد لديه وقتئذ نسخة عنها، فاضطررت للتوجه إلى بلدة «الحصن» وطلبت من «الشيخ محمود الفنيش» إطلاعي على نص تلك الاتفاقية، ولمعرفته الوثيقة بي أخرج النسخة الأصلية من خزانته، فاستأذنته باستنساخ وأخذ صورة عنها، فلم يمانع، ثم عدت بالوثيقة إلى الزعيم «علي خلقي باشا» - وكان في مزرعته - فناقشته بشأن ما ورد فيها من «شرط» وجود المستشار البريطاني: «الميجر سمرست» كمرجع له كلمة الفصل الأخيرة في كل شيء، وشرط الحكومة البريطانية بحق الإشراف على منطقة شرق الأردن. ومن الإنصاف لهذا الزعيم العسكري والوطني البطل أن أذعن للحقيقة، وطلب مني أن أكتب عن لسانه لجميع رؤساء المعارضة «من الفريق الأول» أن يحذفوا من مضابط الاحتجاج جملة: «نطلب العمل بموجب اتفاقية أم قيس» فوقّع عليها، ثم أرسلتها بيدي في «البريد المسجّل» كي يطمئن قلبي بيد أنه ظل مصرًّا على مقاطعة الانتخابات، بالرغم من محاولتي إقناعه بتغيير رأيه. قلت له مذكّرًا: بأن معظم الأحزاب في سورية قد جرّبت نتائج مقاطعتها للانتخابات في عهد الفرنسيين، وما جرّته على

(٥٧٧) علي خلقي باشا (الشرايري): قائد عسكري ورجل وطني، كان يدرب الثوار على أعمال مقاومة المحتل: الكرّ والفرّ، واستعمال القنابل، والأسلحة النارية، والسلاح الأبيض. وقد كوّن خمس مجموعات من الثوار، وجعل على رأس كل منها ضابطًا، وكان يرسم لها الخطط، ويوزعها على مناطق التماس الأمامية مع العدو، وقد نقل مقر قيادته إلى قرية (عين فيت) في سفوح جبل الشيخ.

الوطن من المحن بسبب موقفها السلبي، وشرحت له كيف استطاعت السلطة الفرنسية أن «تُخرج وتفبرك» نوابًا دمًى كانوا نوابًا باسم الأمة، ولكنهم كانوا يقولون ما تقول لهم فرنسا ويرددون كما تردد الببغاء مما حمل أعضاء تلك الأحزاب على تأليف «الكتلة الوطنية»(٥٧٨) وكان من أبرز زعمائها: هاشم الأتاسي، وسعد الله الجابري، وشكري القوتلي، وفارس الخوري، وجميل مردم، ولطفي الحفار، وغيرهم حيث دخلوا الانتخابات، وأسمعوا صوتهم تحت قبة البرلمان السوري، واستطاعوا أن يضمّوا إلى صفوفهم الكثير من النواب المخضرمين، حتى رجحت كفتهم، بأكثرية ساحقة وقد حدث هذا عمليًا «كما تعلم يا باشا» فقال لي «علي خلقي باشا»: ومَنْ يضمن لي نزاهة الانتخابات، وعدم تدخّل المسوؤلين في الحكومة، أو تزييف الانتخابات، وملء الصناديق بمرشحي الحكومة وأنصارها من المؤيدين لسياستها «خذ وطالب» علمًا بأننا كنا نفتقر إلى أحزابٍ معروفةٍ بانتمائها الوطني كي تبثّ الوعي بين المواطنين كما فعل أعضاء «الكُتلة الوطًنية» في دمشق وحلب وحمص وحماه؟! على أن الشعب هنا - رغم كل شيء - وبفضل نشاط شبابه المثقف الواعي، وإخلاص شيوخ البلاد المشهود لهم بالوطنية، وثقة المواطنين بزعمائهم ثقة كبرى لا حدّ لها، استطاع أن يرشّح بعض المعارِضين، حيث فازوا بالمقاعد النيابية عن مناطقهم، مسجلين فوزًا عظيمًا ساحقًا.

بنود ونصّ معاهدة «أم قيس»:

اجتمع وجهاء العشائر ورؤساء القبائل الأردنية في الثاني عشر من شهر أيلول من عام ١٩٢٠م، في قرية «أم قيس» الأردنية، للتباحث في علاقة منطقتهم بإنجلترا «بريطانية العظمى»(٥٧٩).

فقد شعر بعض شيوخ الأردن، بعد سقوط الحكومة العربية الفيصلية، وضياع الحلم العربي بعد سقوط دمشقٍ، بالخوف من الخلافات والمنازعات بين القبائل الأردنية، ومساعدتهم على حلِّ مشاكلهم، وحكم أنفسهم بأنفسهم.

(٥٧٨) الكتلة الوطنية: تألفت زمن المفوض الفرنسي «بونسو» في أواخر يوليو / تموز ١٩٢٦م، بعد تشتيت أعضاء «حزب الشعب» الذي كان قد أُنشئ أوائل حزيران ١٩٢٥م ولتحل محله.

(٥٧٩) إنجلترا «بريطانيا العظمى» (والعَظَمة لله.): جزيرة كبيرة تجاه ساحل القارة الأوروبية، وتشمل «إنجلترا – واسكتلندا – وويلز». يرقى تاريخ بريطانيا إلى الألف الرابع قبل الميلاد. وقد غزا «السَّلتيون» بريطانيا، ثم غزاها الرومان عام ٤٣م، وأنشأوا فيها قواعد لقواتهم بعد أن غدت مقاطعة رومانية. وتلاشى الحكم المركزي عام ٤١٠م، وسيطر عدد من الطغاة على أنحاء البلاد، حتى غزا السكسونيون بريطانية في القرن السادس الميلادي. وفي عام ١٠٦٦ قاد «وليم الفاتح» الحملة النورمندية فاستسلمت له إنجلترا. ثم نشبت حرب الأعوام المئة (١٣٣٧-١٤٥٣) بين فرنسا وبريطانية، وحروب الوردتين (١٤٥٥-١٤٨٥) وانتقل العرش إلى أسرة ثيودور. وتدين بريطانية بالمذهب البروتستانتي.

ونتيجة للمباحثات التي جرت مع المعتمد البريطاني (الميجر سمرست) لتشكيل حكومة عربية مستقلة، مع طلب الردّ الفوري من قبل حكومة الانتداب في فلسطين، للتأكد من حُسن النوايا البريطانية تجاه القضايا العربية.

وقد عُرفت مطالب الأهالي، وجواب المعتمد البريطاني عليها بـ«معاهدة أم قيس». وهذه هي أهمّ بنودها أخذتها من «النسخة الأصلية» من وثائق وأوراق الشيخ «محمود الفنيش»:

١- تؤلَّف حكومة عربية على أن يكون لهذه الحكومة أمير عربي.

٢- أن لا يكون لهذه الحكومة أية علاقة بحكومة فلسطين. وذلك (حتى لا تكون مناطق هذه الحكومة ضمن وعد بلفور).

٣- أن تُمنع الهجرة الصهيونية إلى داخل أراضي هذه الحكومة. (لأن الحركة الصهيونية كانت تنادي بوحدة أراضي فلسطين والأردن).

٤- أن يكون لهذه الحكومة جيش وطني، وزيادة عدده إذا ارتأت الحكومة أن خطرًا خارجيًا يهدّد كيان الوطن.

٥- إعفاء المناضلين السياسيين في داخل هذه المنطقة من الملاحقة، أو تسليم أي سياسي كان يلتجئ إليها. (وذلك لحماية رجال المقاومة والثوار في سورية، وضمان عدم تسليمهم إلى سلطات الانتداب الفرنسي).

٦- يكون شعار هذه الحكومة (العلم السوري).

٧- تتشكَّل حكومة عربية وطنية مستقلة، من لوائي (الكرك والسلط)، وقضائي (عجلون وجرش).

وقد شكّلت الحكومة المحلية في الخامس من أيلول من عام ١٩٢٠م، من الوجهاء السادة: علي خلقي باشا (رئيسًا للحكومة)، وراشد الخزاعي، وسعد العلي، وناجي العزّام، وسليمان السودي (وكان عضوًا في المؤتمر السوري)، وتركي العبيدات، ونجيب فركوح.

ثورة الرمثا:

أصرّ أخي وصديقي الحميم المتصرف عمر زكي باشا الأفيوني، على تعييني في مركز الرمثا للإشراف على جمع وفرز الأصوات في صناديق الاقتراع، ولما سألني المخاتير بعد صلاة الجمعة عن شكل الانتخابات، قلت لهم مجيبًا على تساؤلاتهم: أنها ستكون حرة مئة بالمئة، وعلى المواطنين أن يختاروا نوابهم بحرّية، ومن النواب الذين يغارون على مصلحة الوطن والأمة، وأعدتُ على مسامعهم ما قلته في «بلدة سما الروسان» من جهة المعاهدة، وأن تعديلها أو قبولها منوط بنواب البلاد - الذين سيتألف منهم المجلس التشريعي -

فما كان من أنصار الفريق الأول إلاّ أن تظاهروا منادين برفض الانتخابات، وحطّموا صناديق الاقتراع وكان من جرّاء ذلك أن تقرّر نقلي ونفيي إلى مدينة الطفيلة - بلدة المعارض الأول المرحوم «محمد المحيسن» - وكان من مؤيدي الفريق الأول القائل بمقاطعة الانتخابات، انتقامًا مني لأني دعوت إليها - لتكون أصوات المعارضة في المجلس - فلم يغفر لي اجتهادي وحسن نيتي ولما رفضت قرار النقل والذهاب إلى مدينة الطفيلة، طلبت من «أديب بك وهبة» (وزير المعارف) أن يبقيني في عمان، فخيّرني بين الذهاب إلى مدرسة الطفيلة براتبي، أو البقاء في عمان مع معاقبتي بتنزيل درجتي، واخترت الثانية، ليعلم الجميع بأني لم أكن من مؤيدي المعاهدة، فعُيّنت في مدرسة تجهيز عمان معلمًا للرياضيات، في مكتب مدرسة الصناعة وذلك لإعطاء دروس الميكانيك والهندسة والرسم فيها - وقد كنت وقتئذ أعزبًا - لهذا طُلب مني أن أكون مناوبًا دائمًا ومقيمًا في المدرسة.

ثم ما لبث صديقي عمر زكي باشا الأفيوني أن نُقل من متصرفية لواء عجلون، إلى أمانة سر المجلس التشريعي، نظرًا لمواقفه الحيادية من أمر الانتخابات، وظلّ الفريق الأول ينظر إلينا بعين الاستياء والشماتة لدرجة العداء أحيانًا وكأننا من «أنصار الحكومة» التي كافأتنا بعقوبة مسلكية، وذلك بتخفيض الدرجة التي نلناها بجهودنا وعرقنا، إذ كان يتم الترفيع للدرجة الأعلى،بعد سبع سنوات من الخدمة الفعلية في الدولة...

رأي الشهبندر:

كان لانتقادي المعاهدة «الأردنية - البريطانية» - وأنا الموظف في الدولة - سببًا لإحالتي إلى المجلس التأديبي لمحاكمتي وتقرير نوع عقوبتي.

وقد حدث أثناء وجودي في عمان في تلك الفترة، أن اتفقت مع صديقي المحامي الوطني المرحوم «صالح بك الصمادي»، على نشر نقد لـ«بنود المعاهدة» في الصحف خارج الوطن، وبعثت «نصًا» انتقد المعاهدة، إلى الأخ الكريم والصديق الحميم الأستاذ «تيسير ظبيان» - وكان وقتئذ في القاهرة - ليطلع عليها الأمير ميشيل لطف الله(٥٨٠)، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وحسن الحكيم، وسعيد حيدر، كما كتبتُ كتابًا خاصًا إلى الشهيد الدكتور الشهبندر، أشرح له موقف الفريقين من المعارضين، وسألته إن كنت على قد

(٥٨٠) الأمير ميشيل لطف الله: كان حلقة الاتصال بين رجال الثورة والشخصيات الأوروبية، ويقابل الرسميين، ويقدّم مذكرات الاحتجاجات والوثائق والمستندات التي تدين المستعمرين المغتصبين، مثبتًا حق هذا الشعب المناضل في الحرية والاستقلال، بلغة يمكن أن يتفهمها الأوروبيون وقد رأس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني، كما رأس مكتب الاستعلامات السوري في مصر.

أخطأت بانضمامي إلى صف الفريق الثاني ضد الفريق الأول، الذي أخذ يطعن بوطنيتي ظلمًا وعدوانًا، ورجوته أن يكتب لي عن رأيه بهذا الصدد، ليرتاح فكري وضميري عن نتيجة اجتهادي، حتى يطمئن بجوابه قلبي، فتكرّم رحمه اللّه بالإجابة «الإيجابية» على موقفي. ذلك لأن الفريق الذي خاض معركة الانتخابات كان من كبار الوطنيين الأفذاذ، من أصحاب الماضي المجيد كالمحامين السادة: شمس الدين سلو، وعادل العظمة، ونجيب الشريدة، ونجيب أبو الشعر، ونجيب البخيت يؤيدهم محمد باشا الشريقي، وعمر زكي باشا الأفيوني، وقد احتفظت بكتاب الشهبندر المؤيد المعتز بموقفي.

كما وردني من «أبي حسّان» - تيسير ظبيان - كتابًا يقول فيه بأنه قرأ ما أرسلته إليه على كرام السوريين في القاهرة، وأنه سرّ بما جاء فيه من نقد لبنود المعاهدة، وطلب مني أن استلم من البريد المُسجّل «١٨» نسخة من صحيفة يصدرها الوطنيون السوريون في مصر، نشر فيها نقدي اللاذع لبنود «معاهدة أم قيس»، لتوزّع على زعماء المعارضة في المجلس التشريعي بلا استثناء.

وعلى أثر خلاف وقع بيني وبين مدير مدرسة الصناعة - وكانت مدرسة داخلية - طلب مدير المدرسة من عامل التنظيفات «آذن المدرسة»، أن يبحث في أمتعتي التي في الخزانة، عن وثائق سياسية تدينني ووجد كتاب الأخ الصحافي تيسير ظبيان مع بعض النسخ من الصحف التي وصلتني منه، وأحالها إلى مدير المعارف، الذي أحالها بدوره إلى رئاسة الحكومة، فأمر رئيس الحكومة دولة «حسن خالد باشا» بتأليف المجلس التأديبي، وقد تألف من دولة المرحوم إبراهيم هاشم، وأديب وهبة، والدكتور حليم أبو رحمة، ورئاسة دولة سمير باشا الرفاعي بصفته سكرتيرًا للرئيس ونائبًا عنه لمحاكمتي وقد ساعدني على كتابة دفاعي الرجل الوطني الشهم معالي محمد باشا الشريقي، والمحامي صالح بك الصمادي. ولما وجدت أن الدكتور «حليم أبو رحمة» مصرًا على إدانتي وإقالتي من وظيفتي، التجأت إلى الملك عبد اللّه، فقابلته وأطلعته على كتاب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الذي أرسله إليّ مؤيدًا ومحبذًا ما قمت به. ونظرًا لتحقّقه من إخلاصي، (ولحصولي على وسام النهضة من والده شريف مكة عام ١٩٢٤م مع الوفد الذي بايعه بالخلافة كأمير للمؤمنين في «مسجد الخيف بمنى»، وحصولي على وسام الاستقلال من أخيه الملك علي حينما كان في جدة عام ١٩٢٥م) فقد هزّته الاريحية العربية، فتكلم مع «دولة حسن خالد باشا» هاتفيًا - وباللغة التركية ظانًا بأني لا أتقنها - قائلاً له: «أعلم يا باشا بأن جميل شاكر الخانجي تحت حمايتي» وبذلك حصلت على العفو

من الملك والبراءة من المحكمة التي تشكلت لإدانتي، كما تخلّصت من العقوبة المحققة بصفتي موظفًا يعمل في الشؤون والأمور السياسية، بالإضافة إلى أنه يعمل ضدّ موقف حكومته ويهاجم معاهدة أبرمتها حكومته.

وعندئذ قدّر لي المعارضون من الفريق الأول هذا الموقف المشرّف، بالرغم مما نالني من الأذى ماديًا ومعنويًا - ولولا تدخل الملك عبد الله وحمايته لي، لفقدت وظيفتي وراتبي الذي ليس لي ثمة من مورد سواه – ولم يشفع لي جهادي ووطنيتي ولا حملي روحي على كفي في ثورتي حوران عام ١٩٢٠م، وقيادة الثورة الوطنية في الغوطة عام ١٩٢٥م هنالك رفعت رأسي عاليًا شامخًا معتزًا بتضحيتي، واسترداد كرامتي التي هدرها بعض المتجنين الحاقدين دون تمحيص، متناسين تضحياتي ووطنيتي وحسن نيتي بهذا الاجتهاد.

هذا وقد تقلّب عمر زكي باشا الأفيوني في العديد من الوظائف الحكومية فقد عُيّن أمينًا للسر في المجلس التشريعي في عمان، فوكيلاً لوزارة المعارف، ثم أمينًا ومحافظًا للعاصمة.

ثم انتُدب ليعمل في السلك الدبلوماسي، وعيّن قنصلاً في بغداد، ثم وزيرًا مفوضًا في تركيا، ومنها انتقل إلى لبنان، ثم إلى فرنسا، وإسبانيا على التوالي، بعدها عاد إلى بغداد كوزير مفوض. وبقي فيها حتى عام ١٩٥٢م، حيث أحيل على التقاعد.

وقد نُقل عمر زكي باشا الأفيوني مباشرة إلى فرنسا بعد أن أُصيب بمرض مفاجئ، وأُدخل إحدى مستشفيات باريس حيث أجريت له عملية «البروستات»، وبالرغم من نجاحها فقد شاءت إرادة الله أن تعصف المنية بروحه الطاهرة بعد ثلاثة أشهر من تماثله للشفاء، وذلك بعد حدوث «نزيف دماغي» مفاجئ لا شأن له بعملية البروستات، فارتحل إلى الرفيق الأعلى وانضم إلى إخوانه المجاهدين الأحرار والشهداء الأبرار، وذلك في صباح يوم الأحد الثلاثين من آب / أغسطس عام ١٩٥٣م.

وهكذا قست الأقدار على هذا المجاهد الوطني، الذي بذل روحه، وماله وصحته، وضحى في سبيل مبادئه الشريفة، فضلاً عن نضاله مع الزعيم الخالد هنانو، في سبيل استقلال بلاده وحرية أمته فمات وحيدًا غريبًا وألحد الثرى في المقبرة الإسلامية في «باريس» بعيدًا عن أهله، ومسقط رأسه.

رحمك الله يا أبا أحمد وتغمدك بالمغفرة والرضوان، وأدخلك فسيح الجنان مع الذين أنعم الله عليهم من الشهداء، ووفّق جنود الحق والإيمان لإتمام ما بدأتم به، ومواصلة الجهاد في كل ميدان، لإنقاذ الأوطان من قوى الطغيان والسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيًا مع الشهداء والصالحين،

والغر الميامين من المجاهدين الخالدين. وعسى الله أن يجمع كلمة المسلمين ويوحدها، كما وحّدها السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي استطاع أن يهزم جيوش الصليبين في معركة (حطين)، وينقذ ويحرّر بيت المقدس مع سائر أراضي فلسطين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو وليّ المخلصين.

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

عندما امتلك الصليبيون بلاد الشام واحتلوا بيت المقدس، ربطوا خيولهم وعلّقوا خنازيرهم في المسجد الأقصى، بعد أن حوّلوه إلى إسطبل للحيوانات. واستمر احتلالهم لبيت المقدس أكثر من تسعين عامًا. وقرر صلاح الدين طردهم من كل أرض فلسطين.

وبترتيب من رب العالمين عندما تولّت «شجرة الدّر» الحكم في مصر، بعد أن انتقل الأمر للمماليك عام ٦٤٨ هجرية، رفض بلاد أهل الشام أن يولّوا عليهم امرأة، وولوا عليهم الملك الناصر «يوسف بن أيوب» بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان، وكان أبوه واليًا على «تكريت». وقد دخل في خدمة نور الدين الشهيد الذي طرد الحاكم السلجوقي من دمشق (مجير الدين آبق بن محمد بن طغتلين عام ٥٤٠هـ)، ثم فتح مع عمه أسد الدين شيركوه مصر عام ٥٥٩ هجرية، وتولى الحكم بعد وفاة الخليفة العاضد عام ٥٦٧هـ. وعندما تولى الحُكم صلاح الدين الأيوبي قاد «معركة حطين» بنفسه، بعد أن حدّد مكان المعركة وزمانها، وأجبر الفرنجة على المسير إليه حتى هضبة حطين وجرت المعركة الفاصلة.

أحاطت جيوش صلاح الدين ببحيرة طبرية، وأقام هناك مُعسْكرًا خمسة أيام. جمع الصليبيون خمسين ألف مقاتل لقتال المسلمين، وعسكروا قرب «صفّورية»، إلا أنَّ صلاح الدين الأيوبي أطبق بفرسانه على مدينة طبرية، وحررها من الصليبيين في الرابع من يوليو / تموز ١١٨٧م، الموافق ٢٥ ربيع الأول ٥٨٣هـ.

وتابع زحفه لتحرير بيت المقدس، وقابل الفرنجة في سهل الحولة، في معركة حامية الوطيس، وقاتل المسلمون حتى النصر. ودخل السلطان صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، في يوم الجمعة العظيمة عام ١١٨٧م / السابع والعشرين من رجب الخير عام ٥٨٣ هجري. ووضع المنبر المصنوع من خشب الأرز الذي أعده نور الدين الشهيد محمود بن زنكي الملقب بالملك العادل (١١١٨-١١٧٤م) وحمله معه من حلب ليوضع في المسجد الأقصى بعد تحريره

من الصليبيين. وعادت البلاد كلها إلى ديار الإسلام، بعد أن ظلّت مغتصبة بأيدي الصليبيين، ما يقارب التسعين عامًا.

وتوافد المسلمون من كل أنحاء العالم، لصلاة الجمعة العظيمة في المسجد الأقصى، حين تسامعوا بفتح الفتوح، وحضر الصلاة فاتح القدس العظيم صلاح الدين الأيوبي.

بعد ست سنوات مات صلاح الدين عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، ودفن بجوار المسجد الأموي جامع بني أمية الكبير.

فما أحوج أمة الإسلام إلى هدف تجتمع عليه، وهدف تسعى لتحقيقه.

ما أحوج الأمة إلى قائد تجتمع عليه كصلاح الدين الأيوبي، فدراسة التاريخ تفيد في رؤية وتحليل الواقع واستشراف آفاق المستقبل. ولنردّد مع «خير الدين محمود الزركلي»:

هاتي صلاح الدين	ثانية فينا
وجدّدي «حطين»	أو شبه حطينا
هل ترجع الأيام	بيضًا لياليها
وتخفق الأعلام	فوق روابيها



عمر زكي باشا الأفيوني



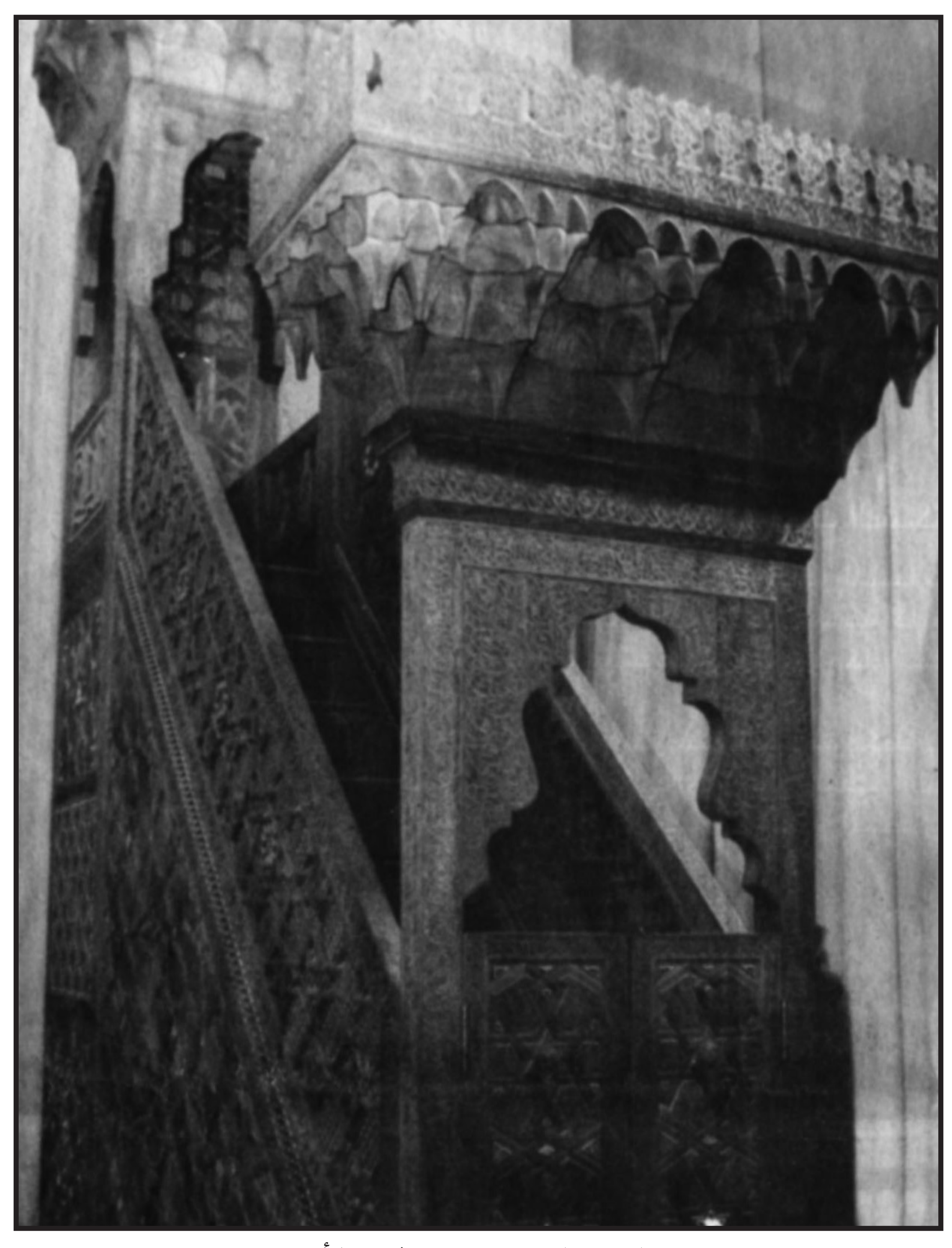
الأمير مشيل لطف الله في الوسط وشكيب أرسلان واحسان الجابري عن يساره

ضريح صلاح الدين الأيوبي



من اليمين الصف الأول : جميل مردم - الشيخ عبد القادر الكيلاني - الشيخ عبد القادر المسوتي - رياض الصلح - هاشم الأتاسي - ابراهيم هنانو - فارس الخوري - سعد الله الجابري - نسيب البكري -

الصف الثاني : سعيد الغزي - عبد الرحمن الكيالي - نجيب الريس - فايز الخوري - نوري الفتيح - زكي الخطيب - د. توفيق الشيشكلي - نصوح بابيل -مظهر أرسلان - نعيم انطاكي - احسان الشريف - شكري القوتلي



المنبر المصنوع من خشب الأرز
أعيد إلى المسجد الأقصى بعد الحريق الذي قام به الصهاينة

المجاهد نسيب البكري

(١٨٨٨-١٩٦٦م)

أفرزت أحداث الثورة السورية الكبرى، ومعارك الاستقلال والتحرّر، كثيرًا من القضايا، وفتحت نوافذ كثيرة على الماضي والحاضر والمستقبل.

ووقف قادة الثورة، موقفًا تاريخيًا وطنيًا حاسمًا، أمام كل مَنْ سوّلت له نفسه الإساءة للثورة والوطن.

وكان المجاهد الكبير نسيب البكري، أحد هؤلاء الذين أقصوا العناصر الطفيلية، وقزّموا أدوارها وكياناتها الطائفية والمذهبيّة، وأسقطوا أدوات العدو الداخليّة، وبتروا أذرعه «المافياوية» وحيّدوا عناصر التفتيت الانتهازية، التي نمت وترعرعت في ظل المحتل المغتصب، وأبعدوا قوى الفساد الصغيرة منها والاخطبوطية، لأن وجودها في صفوف الثورة، وجود مضاد لحركة التاريخ الوطني، والمواطنة بكامل صفاتها.

واستطاعت شريحة مستنيرة من الشعب، يقودها «نخبة» من أبناء هذا الوطن الحبيب، وبعض القوى الشعبية القادرة على حماية الوطن، بحراكها المتنوّع الفعّال، وتعاونها مع علماء الأمة، إنقاذ الوطن من التفتّت والفتن والفئوية، والدخول به في مشروع إنساني عربي حضاري، قاد الأُمة باتجاه التحرّر والاستقلال، رغم كل الظروف العصيبة، والمآزق والحصار وكتل الدماء، وثقافة المستعمر الدموية.

كان من عداد هذه «النخبة» الرجل الوطني والمجاهد بن المجاهد نسيب البكري. الذي كان يتمتع بشخصية قيادية، جعلته محطّ أنظار واحترام الجميع. كما لاقى دعمًا وتأييدًا من مختلف قيادات الثورة.

وأثبتت الثورة في عهد رئاسته لمجلسها، تأثيرها وقوة حضورها مما جعل دفقات الدماء الحارّة تجري في عروقها.

ولئن كان إرضاء الناس غاية لا تُدرك، فقد كانت تبدو للبعض رؤى أكثر التباسًا. وَعَدَّ آخرون أنَّ كل هذه الخطوات والقرارات غير كافية، ولا تخدم الالتزام بالمصالح الوطنية الكاملة، وأَنَّ الأمن القومي لا يزال بعيد المنال. وأنَّ الثورة فقدت «بوصلة» اتجاهها.

وهكذا بدت فجوة وسط تيه لا نهائي، وظلام أزلي في ليل حالك الظلام،

ولهاث متواصل في «سباق ماراثوني»(٥٨١).

ولادته ونشأته:

ولد المجاهد الكبير نسيب البكري في مدينة دمشق عام ١٨٨٨م، والده عطا الله باشا البكري من زعماء مدينة دمشق. تلقى علومه الابتدائية والثانوية في (مكتب عنبر)، وتابع دراسته في (المدرسة السلطانية) في بيروت عام ١٩١٢م.

وقد كان الأمير فيصل بن الحسين يحل ضيفًا في مزرعة آل البكري في «القابون» بضواحي دمشق، وهو في طريقه إلى تركيا، وفي طريق عودته من تركيا.

وبعد دخول القوات العربية بقيادة الأمير فيصل إلى دمشق عام ١٩١٨م بعد رحيل الأتراك عَيّن نسيب البكري «مستشارًا» خاصًا له، وظلّ في منصبه حتى معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م ودخول الفرنسيين مدينة دمشق ورحيل فيصل.

في السنة الثانية لاندلاع «الثورة السورية الكبرى» - وفي سباق مع الزمن- انتخبه الثوار «رئيس المجلس الوطني الأعلى للثورة السورية»، من أجل استمرارية الثورة، وضمان عدم توقّفها.

وكانت قيادة المجاهد الكبير نسيب البكري في الغوطة، ومهمته الإشراف على ثلاث عصابات قوية هي: عصابة حسن الخراط، وعصابة جمعة سوسق(٥٨٢)، وعصابة رمضان شلاش، وهو ابن أحد مشايخ البدو من جهات مدينة دير الزور.

كما كانت مهمته إدارة القيادة العليا لهذه العصابات، في الغوطة والقلمون

(٥٨١) السباق الماراثوني: «مارثون» سهل في الجزء الشرقي من وسط بلاد اليونان، ويقع في مقاطعة «أتيكا» على بعد ٣٩ كيلومترًا إلى الشمال الشرقي من أثينا. فيه هَزَمَ «الأثينيون» القوات الفرنسية الغازية. وانطلق من سهل «ماراثون»، أحد الجنود الأغريق ويُدعى «فايدييبيديز»، حاملاً نبأ انتصار اليونان على الفرس، إلى مواطنيه في أثنيا. ولمّا وصل خرّ على الأرض صريع الإعياء، بعد أن أدّى الرسالة التي ندب نفسه لها وذلك في سبتمبر / أيلول ٤٩٠ق.م. وأنشئ في عام ١٨٩٦ م، إحياء لذكرى هذا الحدث الأسطوري، سباق طويل في العَدْو جُعل جزءاً من مهرجان الألعاب الأولمبية الحديثة. أما مسافة هذا السباق، فقد حُدّدت عام ١٩٢٤م، بـ«٤٢ كيلومترًا و١٩٥م» أي ما يعادل نصف المسافة التي اجتازها الجندي «فايد يبيديز» من «ماراثون» إلى أثنيا عام ٤٩٠ق.م.

(٥٨٢) جمعة سوسق وأحمد سوسق: هما شقيقان من زعماء «رنكوس» - «وهي بلدة في القلمون، وتتبع منطقة التل، في محافظة ريف دمشق، تبعد عن صيدنايا ١٣كم»» - أعطيت لهم (حسب تقسيمات مجلس قيادة الثورة) المنطقة السادسة التي تمتد من سهل القابون حتى صيدنايا، ومن دمّر حتى الزبداني. دمّر الفرنسيون بيوت آل سوسق ونهبوها. وقد خاض جمعة سوسق مع عصابته معركة النبك الكبرى، وشاركهم في هذه المعركة: وهبي فتوش، وخالد النفوري، وعصابة محمد المحسن من رنكوس، وعصابة الشاغور يقودها حسن الخراط، وعصابة آل عكاش يقودها سعيد عكاش. وقد أباد الثوار الحملة الفرنسية، وغنموا أسلحتها وأَسر مَنْ بقي من العدو، وهو على قيد الحياة. واستشهد جمعة ودُفن في الأزرق، ووافى الأجل شقيقه أحمد سنة ١٩٤٤م.

وأبواب دمشق - وقد رافقت نسيب البكري في كثير من هذه المهمات - بعد انتخابي في المجلس الوطني لقيادة الثورة. وقد قام بمهمته التي أُلقيت على كاهله أحسن قيام، سطّر له بالفخر والشكر والمجد. كما كان نسيب البكري من مشاهير قادة الثورة الأحرار، عمل مع سلطان باشا الأطرش، وكان مرافقًا دائمًا للدكتور الشهبندر والقاوقجي ومحمد سعيد العاص والثائر أبو محيي الدين شعبان(٥٨٣)، كما شارك في تأسيس حزب الشعب. ثم انتُخب نسيب البكري نائبًا عن دمشق عام ١٩٣٣م وعام ١٩٣٦م وعيّن وزيرًا للعدل عام ١٩٣٩م، ووزيرًا للاقتصاد والأشغال العامة عام ١٩٤١م، كما عُيّن سفيرًا لسورية في جدة والأردن عام ١٩٥٥م. وانتخبناه عام ١٩٥٦م رئيسًا لرابطة رجال الثورة السورية، وكانت أول بطاقة عضوية لي تحمل توقيعه.

وتقديرًا لخدماته وجهاده ووطنيته، منح الوطن المجاهد الكبير نسيب البكري وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة، كما أُطلق اسمه على أحد شوارع مدينة دمشق.

ورحل المجاهد نسيب البكري إلى جوار ربه عام ١٩٦٦م، بعد حياة حافلة بالجهاد والنضال بعد أن أدّى واجبه نحو أمته وبلاده.

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

يواجه عالمنا العربي، واحدة من أقسى الحملات، وأكثرها عنصرية في التاريخ، في استعمار جديد للاستيلاء على ثرواته النفطية، وضمان التحكّم بتدفّق النفط، للتحكّم بالعالم وابتزازه، والهيمنة على هذه المنطقة، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي، متذرعين بالحرب على الإرهاب، والحفاظ على الأمن في العالم، ومواجهة «الدول المارقة» التي تعادي إسرائيل، والأنظمة الديكتاتورية المتسلطة، وإقامة الديمقراطية، ونشر الحرية. والملفات دومًا جاهزة والعناوين «المثيرة» دومًا حاضرة والحكايات مكرورة ممجوجة: «أسلحة دمار شامل وبؤر للإرهاب».

والعدو الصهيوني المسيطر على القرار الأميركي، من خلال المنظمات الإسرائيلية - الأميركية، يوظّف الإعلام - الذي يسيطر على أدواته -

(٥٨٣) أبو محيي الدين شعبان: زعيم قرية «برزة» وقائد عصابتها. ولد عام ١٨٨٤م، وتخرّج من الكلية الحربية في الآستانة، وشارك في الحرب العالمية الأولى، مع الأتراك في جبهة السويس، ثم أُعيد مع فرقته إلى تركيا. بعد اندلاع الثورة السورية عام ١٩٢٥م، هرب من تركية إلى بلده سورية، وشارك على رأس خمسين ثائرًا من أهالي قرية «برزة» في معركة ميسلون. كما شارك في معارك الغوطة، ومعركة عيون العلق. بعد توقف الثورة انتقل إلى «واحة الأزرق» - على الحدود الأردنية السورية - ثم عاد لوطنه بعد قرار العفو العام

لتشويه صورة الإسلام والمقاومة واتهام الإسلام بـ«الأصولية» والفاشية، والمقاومة بـ«الإرهاب» لتسويغ الاحتلال، وتبرير عمليات القتل اليومي، وتدمير المدن.

جرائم حرب تُقترف، وقمع وبطش وثأر تفجّره نيران الغضب والحقد والعنصرية وجحيم لا يُطاق، ومصرع مئات الآلاف وأشلاء وصراخ والناس يهيمون على وجوههم في الطرقات، يهرعون وهم ملطخين بدمائهم. وقادة مهووسون بنظرياتهم الإجرامية والحرب الاستباقية(٥٨٤)، وجنرالات ومفكرون عنصريون يصرّون على نشر ديمقراطيتهم «بالبراشوتات» وعلى ظهور الدبابات، وهدير قصف الطائرات.

وهناك مفكّرون أميركيون لا يزالون مهووسين بالإمبراطورية الأميركية، أخذتهم عنصريتهم بعيدًا، وجنحت بهم إلى حدود جنون «نيرون» الذي أحرق روما. الكاتب الأميركي (جان زغلر) يقول في كتابه (سادة العالم الجدد): «لنا حق شنّ الحروب من أجل الإمبراطورية الأميركية والسلام العالمي وعلى جميع الدول والحكومات الإقرار بهذا، من أجل الديمقراطية والإصلاح في العالم».

أما المفكّر (جيمس ويربارد) فيقول: «ستكون لنا حكومة عالمية لتنقل العدالة، سواء قبلت الشعوب بذلك أم لم تقبل. سواء بالرضى أو بالإكراه».

ويتحدث الصحافي (جوزيف فيشت) عن الوثيقة التي أصدرها «البنتاغون»، وقد جاء فيها: «من واجباتنا المقدسة التي كلفنا الله بها مباشرة – والتي ينبغي أن يعرفها الجميع – أن تكون أميركا سيدة العالم، وتخليها عن هذه المهمة المقدسة هو عصيان لأوامر الله وستحاسب عليه».

لقد كشفت الديمقراطية الوافدة عن أسنانها الفتاكة، ومخالبها الحادَّة - لتفترس بطائرات الفانتوم «الشبح» و«اف٢» بقنابلها الانشطارية والصواريخ الذكية، ومدافع الدبابات البرمائية وحاملات الطائرات – هذا الشعب العربي المسكين. ويكاد الأميركيون يجزمون أَنَّ «النُخب الأميركية» ستحكم العالم العربي والإسلامي. وأنَّ السيطرة ستبقى لأميركا «بالتفويض الإلهي الممنوح لهم» وأنَّ الشعوب الغبية لا تصلح أن تحكم نفسها، وما الديمقراطية إلا قناع مزيف اختُرع حتى يدغدغ أحلام الشعوب المقهورة، حيث سينتخب كل من أفراد هذه الشعوب ممثليه من طائفته وعشيرته وقبيلته ودينه ومذهبه ومجموعته الإثنية وحزبه الذي ينتمي إليه، مما سيعيد التشظي الداخلي

(٥٨٤) الحرب الاستباقية: معاقبة وتدمير «المتهم» بالنيران المكثفة شديدة الغزارة والرعب، دون السماح له بالدفاع عن نفسه

إلى واقعه الأول ويطوي صفحة من صفحات تجميع الشظايا.

وانجازات الديمقراطية في ظلال الاحتلال غمرت الشعب العربي بخيراتها. إذ تنامى عدد شهداء الديمقراطية في السجون والمعتقلات الأميركية كما نوّع مركز إشعاع الديمقراطية قنابله العنقودية والفسفورية.!

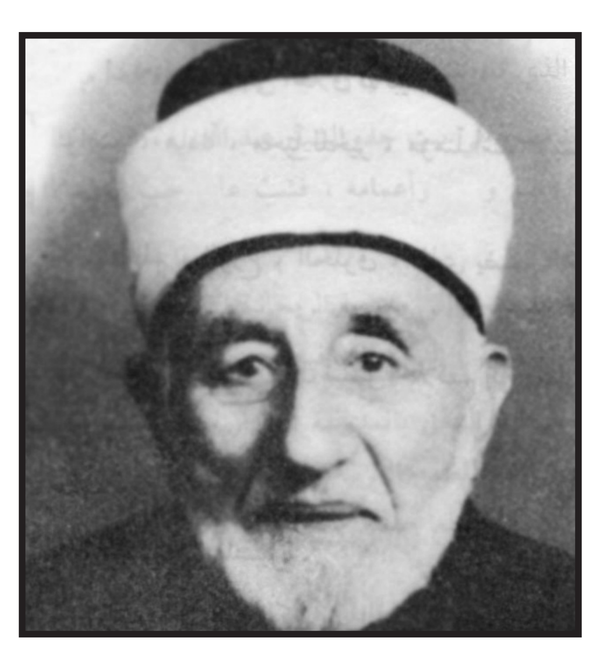
وعالمنا العربي اليوم يعيش ثقافة الصمت والاختزال ويواجه حالة من التمزق والتقطرن والتشرذم والتشتيت والفشل.

والأمة تعاني الكثير من الخلل على شتى الصُعد، والانفلات والبغضاء وقد سلّط أعداؤنا علينا كل أنواع الإرهاب والمصائب، وزرعوا الأحقاد والضغائن والفتن حتى أكاد أقول: إننا في زمن من أصعب الأزمنة على أمتنا، وهي في امتحان يكاد يكون محنة.

واقعنا يُغضب ويُحزن، ونحن بحاجة إلى كلمة توحّد الأُمة. ووحدة الأُمة هدف تهفو له القلوب، ويسعى إلى تحقيقه كل المصلحين على مدار التاريخ.

وعدوّنا عدوّ رهيب وعنيد، يتسلح بتقنيات الآلة الحربية المدمرة وبوحدتنا نتسلح لنواجه الأخطار المحدقة والقوة العسكرية المفرطة.

أيـا عمر الفاروق هـل لك عودة ... فـإنَّ جيوش الـروم تُنهـي وتأمر
رفاقك في الأغوار شدّوا بروقهم ... وجَيشـك في حطين صلّوا فكبِّروا
نسـاء فلسـطين تكحلن بالأسى ... وفي بيـت لحـم قاصـرات وقصَّر
وليمـون يافا يابـس في حقوله ... وهل شجر في قبضة المحتل يُثمر؟



الشيخ محمد بهجت البيطار



مصطفى كمال أتاتورك



نسيب البكري



جمعة سوسق وأحمد سوسق



أبو محي الدين شعبان

الشهيد عادل النكدي

(١٨٩٣-١٩٢٦م)

سكن حبّ الوطن في قلبه، وسرى حبه في عروقه ودمه وأبى إلا أن يلتصق بترابه.

عشق كل ذرة من تراب الوطن وتوحّد معه حتى الموت.

سكن في قلبه التاريخ فحب الوطن في قلوب العاشقين تاريخ لا يموت، ولا تُخمد نيرانه.

أحب الشهيد «عادل النكدي» وطنه فوفى وانتمى إليه فوهب.

كان يحتضن تراب الوطن ويقول لرفاقه: متى كان الوطن المحتل في أيدي المستعمرين حرّاً ..؟ وهل يثمر شجر في قبضة المحتل؟

حبّي أنا هنا. أنا عاشق متيم للوطن.

ومع أن الشهيد «عادل النكدي» كان ليبراليًا(٥٨٥) حتى العظم، إلا أنه التصق بتراب الوطن الذي أحبه، ومات من أجل مبادئه.

وكنت قد اجتمعت بالمرحوم الشهيد عادل النكدي، بعد الانتهاء من إحدى معارك الغوطة(٥٨٦)، فأعجبت به كلّ الإعجاب لدماثة خلقه، وغزارة علمه، وتواضعه وأدبه الرفيع، وزاد في تقديري له عدم انتمائه لأي حزب من

(٥٨٥) الليبرالية: فلسفة سياسيّة ظهرت في أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر، ثم اتخذت منذ ذلك الحين أشكالاً مختلفة في أزمنة وأماكن مختلفة، ولكنها اتسمت دائمًا بِسمة التقدمية، والليبرالية تعارض المؤسسات السياسية والدينية، التي تحدّ من الحرية الفردية، وتنادي بأن الإنسَان كائن خيّر وعقلاني، وتطالب بحقه في حرية التعبير، وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة. وهي فوق ذلك كله تؤمن بالتدرّج في الإصلاح، ولا تقرّ العنف سبيلاً إليه. ويطلق لفظ «الليبرالية» على السياسة الاقتصادية التي نشأت في القرن التاسع عشر أيضًا، والتي تأثرت بآراء المفكر «آدم سميث»، وأكدت على حرية التجارة، وحرية المنافسة، وعارضت تدخل الدولة في الاقتصاد. كما يطلق لفظ «الليبرالية» على الحركات المعاصرة، التي تؤكد على الحرية العقلية، وعلى المضمون الروحي والأخلاقي. ويؤكد الليبيراليون أَنَّ الخلاص لا يمكن أن يتحقق إلا بإصلاح شامل يتخذ من الحرية والديمقراطية سبيلاً وحيدًا للخروج من المأزق، بينما يتمسك العلمانيون بإقصاء دور الدين عن الشؤون العامة للحياة، أما الإسلاميون فقد اتخذوا الإسلام مبدأً لأيديولوجيا الخلاص.

(٥٨٦) الغوطة: تقع ضمن محافظتي دمشق وريف دمشق، وقد دُعيت بغوطة دمشق، لالتصاقها التصاقًا عضويًا بدمشق رياض أنيقة، وجنان سحيقة متصلة بعضها ببعض، ومنبسطة على نهر بردى وفروعه السبعة، فلا يُدرك الطرف طرفيها. هكذا كانت الغوطة قبل أن تمتد إليها أيدي العابثين تتخللها المياه العذبة الفيّاضة، فتجعلها في جميع الفصول دائمة الاخضرار، كثيفة الأشجار. والغوطة على مسافة ستين ميلاً طولاً، وتبتدئ من نبع نهر بردى بالقرب من قرية «الزبداني» في غرب المدينة، وتنتهي عند مصبه في بحيرة العتيبة بشرقها وقد حوّلها المسؤولون عن «تجار البناء» إلى «كتل اسمنتية» صمّاء.

الأحزاب المتنافسة على الزعامة والرياسة والسلطة، لأنها جرّت البلاد للبلاء والتعاسة. وكان عادل النكدي في جميع المعارك الدامية التي خاضها مثال المجاهد الشجاع، والثائر الجبّار الذي لا يهاب الموت.

والشهيد عادل النكدي هو ابن «الشيخ جميل النكدي»، حفيد الزعيم اللبناني الشيخ الجليل ناصيف النكدي.

ولادته ونشأته:

وُلد الشهيد عادل النكدي عام ١٨٩٣م في بلدة (عبية) في لبنان، حيث درس في مدارسها، ثم أتمّ دراسته العلمية في بيروت عام ١٩١٣م، غير أن نشوب الحرب العالمية الأولى، حال دون دراسته الحقوق. وبعد انتهاء الحرب، احتلّ الفرنسيون لبنان فنَزح إلى دمشق، وفي عام ١٩٢١م عاد ثانية إلى بيروت، حيث انتسب إلى كلية الحقوق ودرس المحاماة. وفي الوقت ذاته، كان يُدرّس «القانون» كـ«مُعيد» في الكلية العلمانية التي تخرّج منها، كما أخذ ينشر مقالاته القيّمة في جريدة «المنبر الحُرّ»

ولما حدثت الفتنة الطائفية في لبنان عام ١٩٢٣م، اضطر عادل النكدي لمغادرة وطنه إلى سويسرا، ودخل إحدى جامعاتها لمتابعة دراسة الحقوق. ونال شهادة التخصّص من (جامعة لوزان)، وذلك في منتصف عام ١٩٢٥م.

وما كادت الثورة السورية الكبرى تُشعل نيرانها، وتمتد من جبل العرب إلى الغوطة وشمال سورية، حتى غادر «عادل النكدي» سويسرا على عجل، حاملاً معه شهادة الحقوق، ليشارك في ميدان البطولة والتضحية والفداء. ولولا نشوب الثورة السورية لبقي في سويسرا حتى ينال شهادة الدكتوراه في الحقوق، ولكن نفسه الأبيّة الكريمة الكبيرة، أبت عليه إلا أن ينتظم في سلك الثورة والثوار الأحرار، وأن يضحّي بالنفس مع النفيس، لتحرير الوطن والأمة من نير الاستعمار، وغسل هذا العار بالدماء وجحيم النار، حيث الأرواح تباع بيع السماح، يحملها المجاهدون والثوار على الأكف والراح.

وقد كان للمتعلمين دورهم الريادي في قيادة الأمة كان دور المثقفين والباحثين، والمفكّرين والمؤلفين، والأدباء والشعراء والفنانين أن يستنهضوا الوعي في الأمة، ويُسمعوا أصواتهم وصرخاتهم، مشحونة بالبرق والرعد والصواعق، لتحذّر وتُنذر الأجيال بالزوابع التي تهدّد اقتلاع جذورهم باعتبارهم وجدان وضمير الأمة، الذي يحمل الشعلة نحو المستقبل، وليفجّروا طاقات الأمة المكنونة والمختزنة في سواعد الشباب الفتيّة.

لقد كانت فترة الهيمنة التركية على الوطن العربي فترة التراجع والتقهقر للحضارة العربية يقابلها إنسان عربي مؤمن بدينه وتاريخه وأرضه وشعبه ووجوده ومصيره وعادل النكدي كان أحد هؤلاء المتعلمين المتفوقين.

كان للأدباء دورهم التاريخي، وسط هذه اللجّة من الظلام والجهل محذّرين ومنذرين من الخطر المتربّص بالأمة وكان لكلماتهم رنّة عالية، ولأشعارهم فعل السحر. فحروفها نابضة ناطقة ملتهبة، وكلماتها علقمًا مرًّا في أفواه المحتلين، وصراخًا مدوّيًا يصمّ آذانهم، تئزّ كطلقات البارود، وتدوّي كالرعود، وتُبرق كوميض القنابل لتتساقط شظاياها في معسكراتهم هكذا يستنهض المثقف والعالم والأديب القُدرات النائمة في المنعطفات والزوايا المنسيّة، ويُطلق التاريخ من عقاله، ويُشعل جذوةَ الكلمات الغاضبة، ليُضيء الدرب ويستشفّ الرؤى المستقبلية لأمته، مختزلاً الأحداث في كلمات، معبّرًا عن وجدان الأمة وقضايا الوطن.

ومما هو جدير بالذكر أنَّ الشهيد عادل النكدي - فقيد العلم والعروبة والوطن – أبى إلا أن يرجع لوطنه بمحض حريته وملء إرادته، وأن يقتحم ساحة الموت الشريف، وهو يحمل أعلى الشهادات ليدحض بها حجة الأعداء وليُخرس تلك الألسن التي تقول: إن ثورة سورية من فعل الغوغاء والدهماء لا المثقفين النجباء، زاعمين بأن مثقفي الأمة راضون بـ« فردوس الاستعمار»، الذي أسموه بـ«الانتداب» لهذا جاء شهيدنا لساحة القتال، ليعلن للعالم بأن الذين يجاهدون لتحرير الأوطان هم من أعظم العلماء والأدباء والمثقفين الذين يبذلون أرواحهم ثمنًا غاليًا للاستقلال.

وكان لفقيدنا البطل الصنديد والعالم الشهيد «عادل النكدي» شرف الاستبسال في ميدان النضال إلى جانب شرف الاستشهاد، لنيل الاستقلال والقضاء على عهد الاحتلال والاستعمار، فكان للأجيال القادمة أكرم مثال.

ولم يتخلّف «عادل النكدي» عن القتال، بل وهب روحه ثمنًا لاستقلال البلاد ووهب دماءه لتُنبت الزنبق والفلّ والياسمين وأشجار الصفصاف والليمون والنارنج والكبّاد.

ولا يُنكر أحد أَنَّ القيم الدينية عن الشهادة والشهداء، كان لها الأثر البارز، في استمرار الثورة على أرض سورية، حتى تحقيق الجلاء التام.

وتاريخنا يحوي صفحات من البطولات الخالدة، التي تجسّد الكرامة والعزّة في أسمى معانيها، وحب مواطننا للحرية، ورفضه المطلق للاستعمار، فقد قاوم على مدى تاريخه المحتلين، ولم يتركهم يهنأوا يومًا في وطنه.

ومواطننا لم يكن يملك السلاح لكنه كان يملك الإرادة والإيمان بالوطن،

وحلم شعبه بالحرية والاستقلال.

كانت مقاومة شعب سورية لجيش الاحتلال الفرنسي، المزوّد بأكثر صنوف الأسلحة تطورًا في ذلك الوقت، ووقوفه في وجه قوة غاشمة، تريد النيل من حريته واستقلاله، تعبيرًا عن إرادة الشعب وعزيمته وإصراره على صنع النصر والاستقلال ولسان حال كل ثائر مقاتل قوله تعالى في كتابه العزيز:

[وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ]
[البقرة ١٥٤]

[إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْه حَقّاً فِي التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالْقُرْآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِه وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] [التوبة ١١١]

لقد خاض فقيدنا الغالي «عادل النكدي» معظم معارك الثورة الدامية، حيث أبدى من البسالة والبطولة الموروثة، ما لا يستكثر صدوره عن ابن سليل المجد، فهو من طراز الأمير عزّ الدين الجزائري في جرأته وبطولته الفائقة. ورغم إصابته بجراح بليغة، إلا أن نفسه الأبيّة، أبت عليه أن يتخلّف عن القتال. وقد اشترك «عادل النكدي» في معظم المعارك التي حدثت عند حركة التطويق الأخيرة في الغوطة، وأبلى في معركة «بالا» أحسن البلاء، حيث تجلّت فيها جرأته وشجاعته التي لا تُجارى، وكان له فيها يومًا خالدًا.

وكان الشهيد «عادل النكدي» قد جرح في كتفه جرحًا بليغًا، في معركة «بالا» المشهورة، وكان لم يمض على إصابته البليغة بالجراح سوى بضعة أيام، حتى اشترك بمعركة محلةَ حي «سيدي كنّاس». وكان الشهيد ينتقل من شجرة زيتون إلى أخرى ليتخذها متراسًا، وفي أثناء ذلك أُصيب برصاصة قاتلة، قضت على حياته المملوءة بجلائل الأعمال وذلك في أواخر شهر تموز سنة ١٩٢٦م، وقد حضر القائد مصطفى وصفي السمّان مع مجموعة من ثوار الشاغور يوم دفنه، في مقبرة (ببيّلا) في إحدى قرى الغوطة.

ثم قرّر رفاق «النكدي» فيما بعد نقل رفاته إلى بلدته (عبيّة) في لبنان، وقد عزّ نعيه على عارفي فضله من المدرّسين والأطباء السوريين، كما عزّ نعيه على رفاقه في الدراسة، وعلى إخوة الشهيد وطلابه ومريديه. وحتى لا يُهمل ذكره ويندرس مثواه، قام رفاقه ببناء ضريح لائق يضمّ رفاته الطاهرة. وتألفت لهذه الغاية لجنة من هؤلاء الأصدقاء لنقل رفات الشهيد البطل عادل النكدي وتكريم ذكراه، وكان ذلك في أوائل شهر أيلول سنة ١٩٤٦م.

وفي دمشق استقبل المواطنون - وفي طليعتهم الثوار - نعش الشهيد عادل

النكدي بمظاهرة كبيرة في ساحة الشهداء بالمرجة، وألقى الشاعر (إلياس زخريا) قصيدة مؤثرة هناك، ولما تمّ دفنه في قرية (عبية)، أقام له الأصدقاء حفلة تأبين كبرى، تبارى فيها الخطباء والشعراء في وصف بطولته، ومآثره التي ضحى بحياته ومستقبله من أجلها، وحرم نفسه من نيل شهادة الدكتوراه، وذلك حينما غادر سويسرا تلبية لنداء الثورة، ثم جاد بنفسه وضحّى بحياته في سبيل أمته ووطنه (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) ومن ناحية أخرى مَنْ كان يفكر أن يلتحف سليل الأكارم والجدود السماء ويفترش الغبراء، وهو الذي عاش في النعيم واعتاد النوم على الفراش الوثير.

وقد رثاه الشاعر الملهم أمين ناصر الدين بقصيدة عصماء جاء فيها:

مصابك يا ابن الخال أيّ مصاب — غدا الصبر فيه مؤذنًا بذهاب
فكيف يصان الدمع بعدك سلوة — وقد هصرتك الحرب غضّ شباب
حفيد بشير بن النصيف سل الوغى — تخبرك عن جدّيك كل عجاب

ومنها قوله:

وكنت إذا استشهدت والنقع ثائر — كبدر يغشيه كثيف سحاب
جرى دمك المطلول يروي به الثرى — ويخضب منه نبته بخضاب
وليس بميت من يخلّد ذكره — بل الميت من يحيا حياة عذاب

كان الشهيد «عادل النكدي» في حياته وتضحياته وحتى في مماته المثل الأعلى للأجيال القادمة، كما كان رمزًا للتضحية الصامتة، وعنوانًا للإنسان الكامل المكافح والمناضل الطموح.

وفقيدنا أجدر المجاهدين بالخلود، في سجلّ تاريخ هذا الوجود، فجزاك الله عن أمتك ووطنك خير الجزاء يا فخر الشهداء فقد كنت لهما مثال التضحية والبطولة والتفاني في الجهاد المقترن بالإخلاص والوفاء.

وهكذا نال «عادل النكدي» شرف الاستشهاد في ميادين القتال، وانضمّ إلى قافلة الرجال الذين صنعوا الاستقلال.



●●● وأنا أقول(٥٨٧)...

انتقدت حركات الرفض والاحتجاج موجة اغتيال الحرية التي اجتاحت العالم، والتي مهّدت حسب رأيهم لظهور «الفاشية الإسلامية».

والأميركيون الذين يعيشون داخل شواطئ بلادهم مغرمون بالوجبات السريعة والمعلّبة يتناولون كل ما يصل إلى أيديهم إذ لا وقت لديهم للتفكير أو للتمحيص، فالوقت بالنسبة إليهم هو المال (Time Is Money) والدعاية تُوجّه الرأي العام الأميركي المبرمج على تصديق كل ما تقول له وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الصهيونية. هذه القوة «المُصمتة الغامضة» التي يُحركها اللوبي الصهيوني وآلته الإعلامية الأُحادية ذات الانحياز الثقافي، مهووسة بالأساطير ومُغرمة بالقصص التي تدور حول العرب والمسلمين وسلاطينهم الذين كانوا يحكمون العالم في يوم من الأيام.

وقد استخدمت الصهيونية كل نفوذها بما تملكه من وسائل الإعلام، لتمرير تقرير إخباري في برنامج صباحي يزعم أَنَّ ألفًا من الإرهابيين في المقاومة اللبنانية مدعومين من تنظيم القاعدة، سيقومون بهجوم وشيك على أميركا لزرع الرعب والخوف في قلوب الأميركيين. فإسرائيل التي تعتمد على أميركا اقتصاديًا وعسكريًا واستخدمت أسلحتها وطائراتها وقنابلها وصواريخها وما تحمله من الموت والدمار في لبنان، تريد القضاء على آخر المقاومين لمشاريعها العنصرية الإرهابية، وهم هنا المنحدرون من أصل لبناني في الولايات المتحدة، ووضعهم موضع شبهة باتهامهم بتقديم المال والمساعدة اللوجستية لجمعيات ترتبط بالمقاومة لتصنيفهم بالتالي في خانة الإرهابيين، لإلغاء كل صوت معارض وصولاً إلى إحكام السيطرة على القرار الأميركي ومصادرة كل جيوب المعارضة. وهم يُطلقون على الجهاديين الذين يقاومون الاحتلال بأنهم إرهابيون انتحاريون؛ ويدّعون بأن حربهم هو على هذا الإرهاب، وبأنهم يدمّرون بنيته التحتية، ويقطعون طرق تمويله، ويشتتون خلاياه، ويوقفون

(٥٨٧) نشرت لي جريدة «الغد» التي تصدر في عمان هذه الكلمة تحت عنوان « الليبراليون يعلقون عضويتهم في نادي الديمقراطية» في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦م (العدد ٨١٨).

*الغد: صحيفة يومية عربية مستقلة تصدر في عمّان وتصل إلى كل بيت. استقطبت الأقلام الحرّة: الأدبية والسياسية. يجد فيها كل قارئ مبتغاه من مواضيع أدبية وسياسية ورياضية وتسلية وأبراج. صاحبها الأستاذ محمد عليان ورسامها المبدع إحسان حلمي.

* الرسام إحسان حلمي: وُلد في مدينة عمان عام ١٩٥٦م وأنهى دراسته في الكلية العلمية الإسلامية. كان لوالده الرسام المرحوم «حلمي حميد» الفضل في صقل موهبته الفنية وتشجيعه. تخصص في رسم الأشخاص وكتابة الخط العربي. عمل فترة طويلة في شركة طيران الملكية الأردنية وفي تلفاز سلطنة عُمان. ويعمل حاليًا رسام «بورتريه» في صحيفة الغد الأردنية.

هجماته قبل تنفيذها. ولكنهم لم يبحثوا عن سبب كل هذا الإرهاب ومن أين ينبع.

الإرهاب الذي يتحدثون عنه ساهمت أميركا في تكوينه، وتواجه حربًا طويلة الأمد معه. إذ خرج هؤلاء الذين يسمون «إرهابيين» من رحم ظلم أميركا لشعوبهم، أو من ظلم الأنظمة الديكتاتورية التي نصّبتها على شعوبهم.

وأميركا تواجه اليوم نخبةً من شباب غضٍّ متشدّد غاضب من حياته، وراغب طواعية في الخلاص من واقع مريرٍ، وهم لذلك يخوضون معركة غير متكافئة مع عدو ظالم لشعبه، لا يؤمن إلا بقوة الحديد والنار والقمع، ورؤية الدماء والإشلاء.

وأميركا بحاجة إلى مَنْ يقول لها بصدق العبارة أن جرائم الحرب التي ارتكبها المهووسون بصهيونيتهم، بالتعاون والاتفاق مع الإسرائيليين، ضد أهلنا في فلسطين والعراق ولبنان هي التي أفرزت ما تسميهم بـ«الإرهابيين»، الذين هم بنظر كل العرب «مقاومون» شرفاء ضد قوات الاحتلال والمغتصبين للأوطان.

والإسرائيليون بدورهم فقدوا بوصلتهم بعد انهيار «دولة الجيش» في حربها مع المقاومة، إذ بدت أكثر تطرفًا بعد أن أخفقت بأحاديتها وخياراتها العسكرية ذات الطابع العنيف. وبعد أن قوضت عملية السلام برمتها، وأجهضت خارطة الطريق للقضاء على الدولة الفلسطينية المستقلة القابلة للحياة، وبعد أن فشل ورثة التركة الشارونية والمعسكر المتشدد في إسرائيل، الذين يفتقدون إلى تصوّر للحل ويُركّزون على التصعيد مع الفلسطينيين وطرد الفلسطينيين من بلادهم مما أدّى إلى العنف المضاد الذي لم يسبق له مثيل.

كانت هذه هي المحصّلة النهائية للنظام العالمي الجديد! ومن أوضح تجلياته فرض الحلول الأمنية والعسكرية، والحضور القوي للفكر الليبرالي، وتقديم قضايا مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وتقويم الأنظمة السياسية ومعايرة مدى صلاحيتها وفق المنظار الأميركي «مَنْ لم يكن معنا فهو ضدنا».

ولكن النتائج كانت مأساوية إذ بدأت بالحرب على أفغانستان، لتتبعها الحرب على العراق واحتلال أرضه ومنابع نفطه، إضافة إلى الحرب التدميرية العنصرية المستمرة في فلسطين ولبنان حيث تستمر الدولة المغتصبة بعمليات الاغتيالات والتصفيات الجسدية ضد الفلسطينيين من جميع التنظيمات، وتفرض حصارًا خانقًا على غزة وبقية الأراضي الفلسطينية، وتقوم ببناء

المزيد من المستوطنات وخاصة في جبل أبو غنيم الذي يشرف على مدينة القدس، وتستمر ببناء جدار الفصل العنصري، وفوق ذلك تعتقل عشرات النواب في المجلس التشريعي الفلسطيني، وعشرة آلاف معتقل فلسطيني من التنظيمات المختلفة.

الليبراليون اليوم غير راضين عن الظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني وأوضاعه اليومية المؤلمة. وقد علّق الليبراليون عضويتهم في نادي الديمقراطيين لأنهم غير راضين أبدًا عن الفوضى التي أحدثتها الإدارة الأميركية في العراق، ولا عن الضربات الوقائية التي تتسم بالخطورة ولا عن الدمار الذي لحق بلبنان، ولا بمذكرات التعذيب في سجون وكالة المخابرات الأميركية، لأن كل ذلك برأيهم يغذّي ردود فعل سلطوية، ويؤدي إلى عمل عدائي وتهديد للحريات المدنية. كما أن الدفاع عن المواطنين بتصيّد الإرهابيين يجب أن يتم في حدود القانون، أما عمل عكس ذلك فهو هجوم على روح القِيم التي ندافع كلنا عنها. كما أن تمرير قوانين الطوارئ بسرعة والتنصّت على المكالمات الهاتفية بحجة مكافحة التهديد هما اعتداء على حرية الأفراد. والحرية والنظام مرتبطان ببعضهما، فلا حرية من دون نظام، ولا نظام من دون حرية، ولتحقيق مصالح المواطن يجب استيعاب المعيار الحقيقي للتهديد الإرهابي.

إن المشروع الديمقراطي الكبير، والمعتقدات الخاصة بالأنظمة الليبرالية الديمقراطية التي تعتمد على الرأسمالية الحديثة، بات يحتاج إلى مراجعة متأنية في ظل ما أفضت إليه الحالة الراهنة.

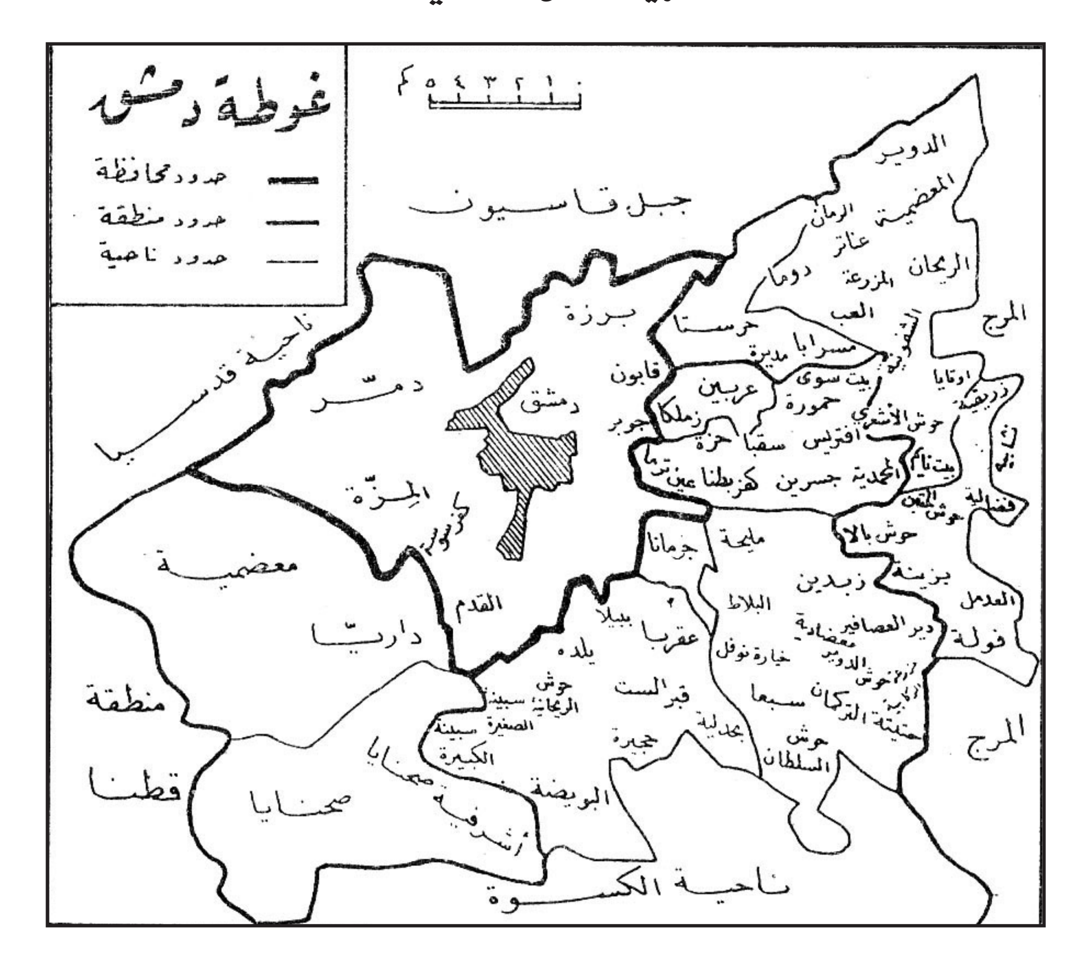
وما لم يقم المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة بتوفير حلّ سريع لإقامة الدولة الفلسطينية، فإن المنطقة مهيأة للانفجار بسبب ممارسات الاحتلال وخيبة الأمل في عدالة المنظمة الدولية التي تتحكم في قراراتها الدولة الأميركية.



قادة الصهاينة (اولمرت - بيريز - وبوش) يعتمرون القبعة اليهودية



الشهيد عادل النكدي




الغد
06 55 44 0 61
www.alghad.jo
بريشة الفنان المبدع
احسان حلمي
الرئيس التركي آردوغان
ادوارد سعيد
أولمرت
الملك فاروق
الشيخ ناصر الدين الالباني
أوباما
يوسف القرضاوي
برنارد لويس



جمال عبد الناصر

جميل شاكر الخانجي

الرئيس التركي عبد الله جول

الروائي جيمس جويس

جيمي كارتر

ريتشارد هاس

رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق شارون

صاموئيل هنتغتينتون

طه حسين


عز الدين التميمي
عبد الرحمن الكواكبي
يوسف العظم
فيكتور هيغو
فرانسيس فوكوياما
غالب هلسا
نشأت الخانجي
نبيه بري
الامام محمد عبده

صبري فريد البديوي
(١٩٠٠-١٩٨٣م)

كان انتماؤه أبدًا لوطنه وأمته، وقيمها ودينها وتراثها.

لم يتنازل أبدًا عن حقه، في مقاومة سياسة القمع التي مارسها الأتراك، ضد الوطنيين الأحرار، في الوقت الذي قاوم فيه الفرنسيين المحتلين أعداء الوطن، الذين اغتالوا آمال الأمة في الحرية والاستقلال.

حشد «صبري فريد البديوي» كلّ الفعاليات الوطنية، من أجل تحصين الوطن ضدّ المعتدين حتى شهد تحرير كل شبر من أرض وطنه.

جار عليه الوطن وأغمطه حقه، لكنه كان يؤمن أن حبه لوطنه، تُحدِّدها له بوصلة الرؤية الوطنية، ذلك لأن كل فرد يحب وطنه بطريقته الخاصة.

ولادته ونشأته:

ولد صبري فريد البديوي عام ١٩٠٠م، وتخرَّج ضابطًا من المدارس الحربية العربية منها والتركية، وخاض المعارك في جبهتين: «القفقاس» وفلسطين في الحرب العالمية الأولى مع جيش الأتراك.

وكان قد سيق للخدمة في الجيش التركي عام ١٩١٥م في منطقة (أرنكوى)، وقاسى مع رفاقه العرب الكثير من تعسّف الأتراك وظلمهم.

بعد الانتهاء من فترة التدريب، أجرى الأتراك عملية (الفرز بالقرعة)، وتمَّ فرز صبري فريد البديوي إلى جبهة القفقاس، وأصبح مجرد رقم (صبري شام ٤٠٠)، والرقم الأخير هو رقم القرعة.

وقبل الالتحاق بجبهة (القفقاس)، خطب وزير الحربية التركي (أنور باشا) بالجنود الذين سيساقون إلى قطعاتهم العسكرية في مختلف جبهات القتال قائلاً لهم: (أهنئكم لأنكم ستذهبون مباشرة إلى خطوط النار، وستستنشقون رائحة البارود في ميادين القتال، وستشنّفون مسامعكم بأصداء الرصاص وأصوات المدافع فهنيئًا لكم حظكم السعيد).

وقبل الرحيل إلى (الجبهة)، باتوا ليلتهم في دار الضيافة على الحصير، حيث كانت مجموعات البقّ والقمل والصراصير، تسرح بحرية على جدران الغرف الطينية.

وقد التقيت بصاحب الترجمة (صبري البديوي) في أحد المشافي العسكرية، حيث كان الكثير من الجنود يعالجون من الحمى وارتبطنا بصداقة متينة.

وأذكر أن الجنرال التركي عصمت باشا قام بزيارة مفاجئة للمشفى للاطلاع على أوضاع الجنود المرضى، ووقف أمام سرير صبري وسأله بالتركية: (وأنت يا ولدي ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وممّ تشكو؟؟).

أجابه صبري بذكاء أشكو من الحمّى وهو مرض جسّميّ، ومن اختصاص هؤلاء الأطباء، ومن مرض روحيّ.

سأله عصمت باشا بلهفة: وما هو مرضك الروحي؟

أجاب صبري بثقة العارف الملتاع: إنَّ كل يوم يمرّ عليّ ولا أكون فيه على رأس عملي في ميدان القتال، أجد نفسي فيه مريضًا بروحي.

قهقه عصمت باشا عندما سمع كلام صبري البديوي، وتهللت أساريره بالفرح، وصاح بالأطباء والممرضين وهو يقول: (أيها البكوات والأفندية اسمعوا قول هذا الفتى الشجاع. خذوا عنه دروس الوطنية والتضحية. وانظروا إلى الفرق بين هذا الشاب، وبين ذلك الضابط التركي المتمارض.

وتلقّى صبري بعد تلك الزيارة، معاملة خاصة متميزة من الأطباء والممرضات، حتى أصبح المشفى بالنسبة إليه، فترة نقاهة وراحة.

وقد جَمَعَت بين صبري البديوي وبين ثلاثة من الضباط المرضى العرب صداقة حميمة:

الأول فريد عنبْتاوي فلسطيني من مدينة نابلس في فلسطين، والثاني: بشير كمال سوري من مدينة حلب في سورية، والثالث: كاتم هذه الأسرار وكاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي. من (حيّ القيمرية) في مدينة دمشق.

وكنا نجتمع معًا كل يوم نخفّف سعير الغربة ونيرانها عن بعضنا. فكل سوريّ (عاشق متيم) للوطن يحنّ ويشتاق إليه وهو في غربته.

كل سوريّ يعشش حب الوطن في ذاكرته وضميره. كل سوريّ يتأبط كتاب وطنه أينما اغترب يحمله معه في قلبه وعقله، ليتعلم منه (أبجدية) الحب والكرامة! والسوريّ يتميز عن غيره من بلاد الله الواسعة، بأنه أشدّ الناس ارتباطًا بالوطن، وأكثرهم اعتزازًا به وكلما اشتدّ العدوّ في خطابه بتهديد وطنه، كلما تعلّق بحبّات تراب الوطن، وتفاعل بكل مشاعره مع أبناء وطنه، يدافع عنه بكل ما أوتي من عزيمة رافضًا بكل إباء وشمم، أن يفرّط بكرامة وحقوق وطنه، أو التحالف مع الأعداء ضد وطنه – إلا أن يكون من غير صُلب أبيه – حتى ولو قسى أبناء الوطن عليه.

هذه المواطنة الصادقة، وذاك الانتماء للوطن، تجده عند كل مواطن سوري وهو في ديار الغربة بعيدًا عن وطنه.

كل سوريّ يجدّد قراءة فصول كتاب وطنه، ويمتلئ قلبه بالحنين والأشواق، وتتمثل إليه ذكريات طفولته وأحلامه ومدارج صباه، والبيت الذي ضمّه ونشأ فيه يحنّ إلى (دالية) العنب، وشجرة النارنج والكبّاد، والليمون والبرتقال، وعبق البنفسج والياسمين الذي يتسلق جدران الشُّرفات. تستهويه حارات وأزقّة الحي، أكثر مما تستهويه ناطحات السحاب. الأبجدية الأولى للحب خُلقت هنا في وطننا سورية وفي تاريخ هذه الأرض، التي تنطق حجارتها، مخلدة أوابد تشهد على العطاء، والتواصل مع كل الأعراق.

كل مواطن سوريّ (عاشق) لوطنه لا يقبل مهما قسى وطنه عليه، أن يتعاون مع عدو وطنه ضد استقلال بلاده، ولا يسمح للحاقدين على وطنه، أن يمسّوا كرامة وسيادة بلاده. هذه المشاعر الوطنية الجيّاشة، كان يتمتع بها رفاقنا الذين جمعتهم الغربة وهموم الوطن.

وقد جمعت الغربة في بوتقتها كل الأجناس والأعراق، في تآخي عجيب قلّ أن تجد مثيله. فتجد جنبًا إلى جنب السوريين والفلسطينيين والشراكسة والأرمن والأكراد والأتراك والتركمان والمغاربة والمصريين والجزائريين والتونسيين والسنغاليين وأعراق أخرى يتعايشون معًا، ويحاربون معًا في جبهة واحدة في السويس(٥٨٨) والبلقان(٥٨٩) والقوقاز وكل جبهات القتال. في البوسفور والدردنيل وأدرنه واسطنبول وأرضروم.

وكان زميلنا «فريد عنبْتاوي» – وكنا نناديه بنصف كنيته «عنَبْ» – «للممازحة والضحكِ». من أجمل الشبان خَلْقًا وخُلُقًا قد وقع «أسيرَ غرام» فتاة «حلبيّة» من الأسر الكريمة في مدينة حلب الشهباء(٥٩٠)، ومن الموسرين الأغنياء المشهورين وقد هامت به وهام بها حبًّا، حتى كاد يفقد رشده وقد

(٥٨٨) السويس: مدينة أُنشأت على قناة السويس، التي وصلت البحر الأبيض والأحمر، واختصرت المسافة تسعة آلاف كيلومتر. أمر بحفر القناة المهندس الفرنسي «فرديناند دولوسيبس»، واستمر حفرها من عام ١٨٥٩م وحتى عام ١٨٦٩م. يبلغ طول القناة ١٦١كم، وعرضها ١٠٠م، ويتراوح عقمها بين ٤٥-١٠٠متر، وحضر افتتاح القناة كبار الشخصيات العالمية، كما حضرت حفل الافتتاح الإمبراطورة «أوجيني» زوجة نابليون.

(٥٨٩) الحرب البلقانية: حرب نشبت عام ١٩١٢م، بين بلغارية وصربية والجبل الأسود واليونان من جهة، لكبح النفوذ النمساوي في البلقان، ثم تحوّل إلى تحالف ضد تركية لإخراجها من البلقان، انتهت بهزيمة تركية. لكن سرعان ما نشب الخلاف بين المتحالفين على غنائم الحرب. فنشبت حرب أخرى في ٢٩ يونيو / حزيران ١٩١٣م بين بلغارية من جهة، واليونان وصربية والجبل الأسود ورومانية من جهة أخرى، فتدخلت تركية معلنة الحرب على بلغارية أيضًا، انتهت بمعاهدة «بخارست» في العاشر من آب / أغسطس ١٩١٣م.

(٥٩٠) حلب الشهباء: مدينة في شمال القطر، وتقع على جانبي «نهر قويق»، مركز عقدة مواصلات المنطقة بأسرها، يجاورها من الشمال تركية، ومن الشرق محافظة الرقة، ومن الجنوب حماة، ومن الغرب إدلب، وتتبعها حوالي ١٤٣٠ قرية. وهي مركز تجاري هام، وتشتهر بصناعاتها التقليدية ومعاملها الحديثة، كانت عاصمة للدولة الحمدانية عام ٩٤٤م، والمداسية عام ١٠٢٤م، والأرتقية عام ١١١٧م، ومركزًا لانطلاق الدولة الزنكية عام ١١٢٨م.

كتب إلى أبيه «فؤاد» – وهو من أعيان مدينة «جبل النار» نابلس(٥٩١) – يستأذنه بالزواج منها لكن والده رفض أن يحقق له أمنيته وكتب إليه: لئن خالفت أمري وتزوجت منها، طردتك من الأسرة، وحرمتك من الإرث.

وقد علمنا بعد ذلك، أن «فريد عنبتاوي» قد مات قهرًا ..! وبكينا عليه كثيرًا وحزنا عليه حزنًا لا يوصف، إذ كانت أعمارنا يوم ذاك، لا تزيد على العشرين عامًا في أوج شبابنا.

منذ ذلك اليوم أضاف «صبري» اسم «فريد» إلى اسمه فصار يكتب اسمه: «صبري فريد البديوي»! حتى أصبح يُعرف فيما بعد بـ«صبري فريد». وأسقط بعض المؤلفين والباحثين اسم عائلته «البديوي» مكتفين بالاسم الأول والثاني وكأن «فريد» هو اسم العائلة.

وبعد أن تماثل «صبري فريد البديوي» للشفاء منحه الأطباء «استراحة مَرَضية» مدة أربعين يومًا، وذلك بناء على توجيهات «عصمت باشا» للأطباء بالاعتناء به.

وقرّر «صبري» أن يمضي فترة النقاهة هذه في مدينته الحبيبة دمشق، فسافر إليها بالقطار، وفي محطة موقف القطار الحديدي الحجازي(٥٩٢) في «رأس العين» – في منتصف الطريق بين مدينة حلب وماردين – توقّف القطار في آخر خط رحلته.

وفي مركز مدينة «دياربكر»، كان رئيسَ أركان حرب الجيش التركي الجنرال «عصمت باشا» يمرّ بالمحطة صدفة! وما أن رأى «صبري البديوي»، حتى بادره بقوله: «أظن أنني أعرفك». فأعاد عليه «صبري» ما قاله في المشفى العسكري: «إنَّ كل يومٍ يمرّ عليَّ ولا أكون فيه على رأس عملي في ميدان القتال أجد نفسي فَيه مريضًا بروحي».

وقدَّم إليه تقرير الأطباء بمنحه «إجازة مَرَضية».! وتابع «صبري» يقول:

---

(٥٩١) نابلس: مدينة «جبل النار» في فلسطين المحتلة، وتُعتبر كبرى مدن الضفة الغربية لنهر الأردن. تقع على بعد ٤٨ كيلومترًا إلى الشمال من مدينة القدس. ويرجع تاريخها إلى عهد الكنعانيين وهي مركز تجاري هام.

(٥٩٢) الخط الحديدي الحجازي: ربطت إدارة الخط الحديدي الحجازي، ما بين دمشق ودرعا وحيفا، والمسافة التي كان يقطعها القطار، حتى يصل «الحمّة» أوَّل حدود فلسطين هي ٦٥كم من درعا. وتبلغ المسافة من دمشق حتى مدينة حيفا في فلسطين ١٦١كم، وتمّ إنجازه عام ١٩٠٥م. وقد غادر الملك فيصل الأول درعا بالقطار إلى مدينة حيفا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، في الأول من آب / أغسطس ١٩٢٠م، بعد أن طلب منه الفرنسيون مغادرة سورية. ويُسجّل للأتراك مدّ هذا الخط الحديدي، عبر الأردن إلى مدينة معان حتى المدينة المنورة، لخدمة الأماكن المقدسة في الحجاز، وبلغ طوله (١٣٢٠) كيلومترًا والضيقة ٣٢٧كم وفي الحرب العالمية الأولى اقتلعت قضبان خط سكة الحديد، ما بين المدينة المنورة ومدينة معان، فتعطلت المواصلات بين الشام والحجاز، وتعطّل الوصول إلى الحج بهذه الوسيلة. وحتى اليوم لم يجد «الخط الحديدي الحجازي» مَنْ يقوم بإعادته لخدمة حجاج بيت الله الحرام.

وأنا عائد الآن إلى قطعتي العسكرية! فما كان من «عصمت باشا»، إلا أن أخرج من جيبه بطاقة باسمه، وسأله قبل أن يكتب «توصية» لقائده: مَنْ هو قائد فرقتك؟ أجابه «صبري» بكل ثقة واطمئنان: «سيدي القائد إنه سليمانٍ فتحي بك قائد الفرقة (٤٨)».

وبدلاً من أن يمضي «صبري» إجازته المَرضية في وطنه وبين أهله، قرّر أن يعود إلى فرقته العسكرية. وما أن وصل مشارف الجبهة، حتى طلب منه رفاقه أن يعود أدراجه ويهرب، لأنَّ «حُكمًا» صَدَرَ بإعدامه لتهربه من الخدمة العسكرية. ابتسم «صبري فريد البديوي» وهزّ رأسه وتابع سيره ودخل إلى الكهف الذي يُقيم فيه قائد الفوج. وما أن رآه حتى قفز من مقعده، مهدّدًا بأنه سيجعله عبرة لمن يعتبر.! وبكل هدوء أعصاب، أخرج «صبري البديوي» بطاقة «التوصية»، من «الأميرالاي أركان حرب عصمت باشا» مرفقة مع التقرير الطبي. عندها تغيّرت لهجة «قائد الفوج» وقال له معاتبًا: لماذا أتيت يا ولدي؟!؟ ليتك لم تأت.

ثم صاح بمرافقه وقال له: هل سجّلت اسم «صبري» في قوائم ترفيع الضباط؟؟؟ أجابه المرافق بدهاء ومكر: بل سجّلنا اسمه في جدول الإعدام!

ولم يتوقف صبري فريدي البديوي عن كفاحه ونضاله، بل قاوم الأتراك الذين خيرة رموز الأمة، كما قاوم الفرنسيين في معارك راشيا ومرجعيون وجسر الخردلة وكوكب والغوطة في حمورة وجوبر والشبعة ويلدا الأولى ويلدا الثانية...وغيرها، وبقي مشردًا بعيدًا عن وطنه، وذاق كل أنواع الحرمان والشقاء.

كما كان صبري البديوي قائد الرهط الأول في «لواء الفتح» الذي دخل دمشق محرّرًا. كما حكم عليه الديوان العُرفي الحربي الفرنسي، بالسجن عشرين عامًا حُكمًا غيابيًا، لاشتراكه بتنظيم المظاهرات الدامية، التي كانت أول صرخة وطنية، مطالبة بالاستقلال وطرد المحتلين.

انتخبه المجلس الوطني لقيادة الثورة، في فبراير / شباط ١٩٢٦م، عضوًا في «اللجنة الحربية العسكرية»، التي تضم الضابطين: شوكت العائدي، وزكي الحلبي.

كما انتخب مجلس قيادة الثورة، نزيه المؤيد العظم، وعلي ديبو آغا، ومحمد الشيخ، ليقوموا بأعمال اللجنة المالية، وعُهد إلى فائق العسلي وكاتب هذه السطور (جميل شاكر الخانجي) للقيام بأعمال أمانة المجلس الوطني، قسم الدعاية والاستخبارات، وتزويد الصحف العربية بأخبار الثورة والثوار،

وقُسّمت أحياء دمشق إلى ١٤ منطقة:

١- المهاجرين(٥٩٣): وتضم أحياء شورى والمصطبة والمرابط والصالحية(٥٩٤).

٢- ركن الدين: وتضم أحياء المزرعة والشركسية وأبو جرش والأيوبية والنقشبندي.

٣- المزة: وتضم أحياء كيوان والربوة والجبل.

٤- برزة والقابون.

٥- جوبر: وتضم المأمونية.

٦- شارع بغداد: وتضم أحياء القصور العدوي، صاروجة، العقيبة، الزينبية، مسجد الأقصاب.

٧- باب توما: وتضم أحياء الجورة، العمارة، القيمرية، الشاغور، مئذنة الشحم.

٨- الميدان: وتضم أحياء الزاهرة، الحقلة، السلطاني، الدقاق، القاعة، باب مصلى.

٩- البرامكة: وتضم أحياء الحجاز، القنوات، باب الجابية، باب سريجة، السويقة، الأنصاري، قبر عاتكة.

١٠- دمّر: وتضم منطقة جبل دمر.

١١- الدويلعة: وتضم سيدي بلال، ابن عساكر، باب شرقي.

١٢- كفرسوسة(٥٩٥).

١٣- القدم: وتضم ميدان الحصى والكسوة.

١٤- السيدة زينب: وتضم اليوم مخيم اليرموك وفلسطين والكرمل والفالوجة وحي التضامن.

---

(٥٩٣) المهاجرين: حيّ في مدينة دمشق، سمّي بهذا الاسم في أواخر القرن التاسع عشر، عندما أنزلت السلطات العثمانية المهاجرين من جزيرة (كريت)، الهاربين من مذابح اليونان، وأسكنهم في سفح جبل قاسيون، في الطرف الغربي من الصالحية، الوالي «حسين ناظم باشا». وما يزال الحي يحمل نفس الاسم. وقد أدت ثورة سكان «جزيرة كريت»، إلى نشوب حرب بين الأتراك واليونان عام ١٨٩٧م وقد هزمت اليونان لكن الدول الكبرى أجبرت تركيا على الجلاء عام ١٨٩٨م، واحتلت اليونان «كريت» عام ١٩٠٩م.

(٥٩٤) الصالحية: حي من أحياء دمشق، وسميت بالصالحية نسبة لأولئك الفلسطينيين الذين عرفوا بعلمهم وتقواهم «بالصالحين». وقد وفد هؤلاء من بيت المقدس عام ٥٥١هـ يرأسهم كبير قرية «جماعيل»: الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، هربًا من الصليبيين. وسكنوا في سفح جبل قاسيون، على مقربة من نهر يزيد. فبنوا (دار الحنابلة) و(المدرسة العمرية)، وتابع الأيوبيون بناء المساجد والمدارس والقصور. وما يزال حي الصالحية يحمل نفس الاسم.

(٥٩٥) كفرسوسة: حي جديد من أحياء مدينة دمشق، في قلب غوطة دمشق، وتتصل بها عمرانيًا وتعود تسميتها إلى اللغة السريانية، فكلمة (كفر) تعني المزرعة، وكلمة (سوسة) تعني الحصان. «مزارع الأحصنة»!

ووقّع على قرارات المجلس الثوري، المجاهد الوطني الكبير (نسيب البكري) رئيس المجلس الوطني. وقد حكم المجلس العدلي الفرنسي، على (صبري فريد البديوي) بالإعدام، لاشتراكه بالثورة السورية كما حُكم على جميع أعضاءِ المجلس الثوري الوطني بالإعدام، ومصادرة الأموال والممتلكات، بما فيهم (كاتب هذه السطور.

وبقي رفيق الدرب (صبري فريد البديوي)، شريدًا من بلده سورية طريدًا في الأردن وفلسطين ومصر. مستثنًى من العفو العام ذاق خلالها من العذاب والحرمان ما ينوء بحمله العُصبة من الرجال.

واشترك (صبري البديوي)، في جميع الحركات القومية، والمظاهرات الوطنية ومقاومة المعاهدة الأردنية – البريطانية، وظلَّ منفيًا طوال اثنتي عشرة عامًا، أمضى أربع سنوات منها، لاجئًا سياسيًا في مصر، ورفض العودة للخدمة في ظلّ الاحتلال الفرنسي.

وقد اشاد بالمجاهد (صبري البديوي)، قائد الثورة السورية سلطان باشا الأطرش، والقائد محمد سعيد العاص، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر.

وكتب رئيس الجمهورية شكري القوتلي، على «مخطوط» حمله إليه «صبري فريد البديوي» يحمل عنوان: «الوحدة العربية بين الأمل والعمل». الكلمات التالية:

«لا يسعني إلا أن أشيد بالمجهود الذي قام به المجاهد الكبير صبري فريد البديوي، فلقد حمل منذ فجر شبابه راية الجهاد، وأبلى أحسن البلاء، في الذود عن حياض وطنه، والدفاع عن حقّ أمته، في الحرية والسيادة والوحدة».

وقام «صبري فريد البديوي»(٥٩٦) بإيداع جميع الوثائق التي تخصّه، في «مديرية الوثائق التاريخية» عام ١٩٧٢م.



●●●وأنا أقول

هذا تعريف بالأعراق والأجناس التي مرَّ ذكرها:

- <u>القوقاز</u>: منطقة تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين، وتطل من ناحية

(٥٩٦) أنجال المجاهد صبري فريد البديوي: المستشار المحامي الأستاذ وليد، ورجل الأعمال السيد نبيل، والمهندس صباح. والآنسة سهام والسيدة غرام. وانتقل إلى جوار ربه في التاسع من أيلول عام ١٩٨٣م.

الغرب على البحر الأسود، وتمتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين. وتُعتبر جزءًا من الحدود الفاصلة بين جنوب أوروبا وآسيا، ويبلغ طولها (١٤٤٠كم) وأعلاها جبل «البروس»، وإلى الجنوب منها تقع «جمهورية جورجيا» وشعبها قوقازي، ويتحدث اللغة القوقازية. وقد دخل المسلمون بلاد القوقاز في القرن الثامن الميلادي، ومن ثمَّ غزاها المغول والأتراك والفرس. وضمتها روسيا إلى أراضيها عام ١٨٠١م، وأُعلنت جمهورية مستقلة عام ١٩١٨م، وانضمت عام ١٩٢٢م إلى جمهورية أرمينيا وأذربيجان، وأمست جمهورية عام ١٩٣٦م، وعاصمتها «تفليس» ويبلغ تعداد سكانها خمسة ملايين نسمة. والقوقازيون اسم جامع يُطلق على مجموعات عرقية مختلفة، تقطن بلاد القوقاز من أهمها الجورجيون والجركس ويزيد مجموع هذه الشعوب على خمسين شعبًا، ومجموع اللغات التي ينطقون بها في بلاد القوقاز سبعًا وثلاثين لغة، وهي لا تمتّ بصلة إلى أسرة اللغات الهندية الأوروبية، أو إلى اللغات السامية، أو إلى اللغات «الآلتائية»، وأهم هذه اللغات: الجورجية والجركسية. والقوقازيون إجمالاً من العرق الأبيض، ويُقسم إلى ثلاثة فروع: «الجنس الشمالي» – النورديك – ويتجمع في المناطق المحيطة ببحر الشمال وبحر البلطيق، ويتميز بالشعر الأشقر والعيون الزرقاء. «والجنس الألبي» ويتجمع في وسط أوروبة وشرقها، ويتميز برأسه العريض. «وجنس البحر الأبيض المتوسط» ويتجمع حول شواطئه، ويتميز بطول الرأس وسواد الشعر. كما يتميز الشعب القوقازي بخصائصه الجسمانية، وبياض لون البشرة ونقائها، والشعر المموّج، والتصاق الأنف، وعدم بروز الفك الأسفل، وهو أحد الأجناس الكبرى التي يُقسم إليها النوع البشري وهي: «الزنوج، والمغول، والقوقازيون». ويسكن هذا الجنس أوروبة، ومنها انتقل إلى القارة الأميركية وأسترالية.

المغول: شعب من العرق المُغولاني، موطنه منغوليا. وقد أنشأ المغول في عهد «جنكيز خان» وخلفاؤه، إمبراطورية امتدت من حدود الصين شرقًا إلى نهر الدانوب غربًا، واجتاحوا في عهد «تيمورلنك» كامل المنطقة الممتدة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسط.

وقد حكمت الأسرة المغولية أجزاء واسعة من الهند، وأنشأت فيها إمبراطورية ضخمة، من مطلع القرن السادس عشر، إلى أواسط القرن الثامن عشر، ودانت بالإسلام. وأعظم أباطرتها مؤسسها الإمبراطور (بابر) ولقبه (ظهير الدين محمد)، والإمبراطور (أكبر). ومن أبرز مآثرهم محاولتهم دمج الهندوس والمسلمين في دولة هندية موحّدة. ومن أشهر ملوكهم:

جنكيز خان: إمبراطور مغولي، ولد عام ١٢٠٦م ويُعتبر أحد أشهر الفاتحين في التاريخ. بسط سلطانه على منغوليا عام ١٢٠٦م، وفتح شمال الصين عام ١٢١١م، ومناطق واسعة في آسيا الوسطى والجنوبية، وآسيا الصغرى. توفي عام ١٢٢٧م إثر سقوطه عن صهوة جواده، فاقتسم خلفاؤه إمبراطوريته، التي كانت تمتد من الصين إلى البحر الأدرياتي.

قبلاي خان (١٢١٦-١٢٩٤م): امبراطور الصين المغولي حفيد جنكيز خان. وُلد عام ١٢١٦م وخَلَف أخاه (مانجو) على عرش الصين عام ١٢٥٩م، فأتم الفتوحات التي بدأها جده حتى خضعت الصين بكاملها لحكمه. ثم واصل سياسة التوسع حتى خضعت آسيا كلها له باستثناء الهند وجزيرة العرب والأناضول، وامتد سلطانه إلى روسيا وبلاد المجر. يقترن تاريخه برحلة (ماركو بولو) الرحالة الإيطالي التي وصف فيها الامبراطور قبلاي خان وحضارة عصره. توفي قبلاي عام ١٢٩٤م.

تيمورلنك: هو مؤسس دولة المغول الثانية، ابن «ترغاي» بن «أبغاي»، فاتح مغولي مسلم، ولد عام ١٣٣٦م في قرية «خواجه إيلغار» – منطقة كش – من مدن ما وراء النهر. ويعتبر «تيمورلنك» من أعظم الفاتحين في التاريخ وأشدهم قسوة، وقد اتخذ من «سمرقند» عاصمة له. اجتاح على رأس جحافله المنطقة الممتدة من منغوليا إلى البحر الأبيض المتوسط. سحق الأتراك، وأنزل بالسلطان العثماني «بايزيد الأول» هزيمة منكرة وسجنه في قفص، وذلك عام ١٤٠٢م/٨٠٥هـ. وقد أصيب أثناء المعارك في ساقه، فلّقب بـ«لنك» – وتعني الأعرج – وقد قضى نحبه في مدينة «اوتراد» وهو يُعدّ لفتح الصين عام ١٤٠٥م.

واقتسم ابناه «ميران شاه» و«شاه رخ» إمبراطوريته، إلا أن الفتنة اشتعلت بين أبنائه وأحفاده. وما لبث «شاه رخ» أن استولى على ممتلكات أخيه، واجتاح بقواته روسيا وأذربيجان وجورجيا وفارس وكرمان، وامتلك العراق وحلب ودمشق وبعلبك، وتركها خرابًا واستباح الدماء لكنه أعاد توحيد إمبراطورية والده إلا أنَّ النِّزاع ما لبث أن دبَّ بين التيموريين، بعد وفاة «شاه رخ»، لتسقط دولتهم وتتداعى إمبراطوريتهم، في مطلع القرن السادس عشر.! ذلك لأنها كانت ترتبط «بزعامة فردية» متفردة بائسة، ولم تحمل أهدافًا سامية أو رسالة حضارية، بل حملت الدمار والموت في كل مكان حلَّت فيه كما تفعل قوات الاحتلال اليوم في فلسطين والعراق.

ومن الشعوب المغولية الأصل «القرغيز» وهم يقطنون في سهوب آسيا الصغرى على الحدود مع الصين في جمهورية القرغيز. وثمة أقلية صغيرة من القرغيز

تقطن في الجزء الغربي من الصين. والقرغيز يدينون بالإسلام، ويتكلمون اللغة القرغيزية، وهي لغة «توركية». وعاصمة القرغيز «فرونزي».

التتار: قبيلة مغولية استقرت بعد القرن الخامس للميلاد، في منغوليا الشرقية ومنشوريا الغربية، وشكّلت جزءًا مهمًا من جحافل «جنكيز خان»، التي اجتاحت أوروبا الشرقية في مطلع القرن الثالث عشر وخلال القرن الرابع عشر. وقد دخل التتار الإسلام، ويبلغ تعدادهم نحوًا من خمسة ملايين نسمة، ويقيم معظمهم في جمهورية التتار السوفياتية، وفي الجزء الشمالي من بلاد القوقاز، وفي شبه جزيرة القرم وأجزاء من سيبيريا، ويتوزع الآخرون في رومانيا وتركيا والصين. وقد أُطلق اسم التتار في كثير من الأحيان على جميع المغول.

وعاصمة التتار «قازان»، وتقع على رافد صغير من روافد نهر الفولغا. وقد أسس التتار عاصمتهم في القرن الثالث عشر للميلاد، ولغتهم من أسرة اللغات «التوركية».

الأرمن: شعب آري قديم، من الشعوب الهندية الأوروبية، تجمعوا في «كيليكية» وأقاموا في أرمينية القديمة، وسموها «أرمينية الصغرى» – مملكة وارتو – وأسسوا أمارة تحت حماية الروم، وقد ازدهرت ما بين القرن التاسع والسابع قبل الميلاد، ثم خضعت لحكم الفرس والرومان والعرب، ثم لحكم الدولة العثمانية عام ١٥١٤م.

وكان الأرمن قد وقفوا بجانب الصليبيين حين غزوا بلاد الشام، فانتقم منهم الملك الظاهر وخرّب بلادهم. كما انتصر الملك الأشرف شعبان على الأرمن وأسر ملكهم (ليون السادس)، وسجنه في مصر، ثم أطلق سراحه فمات في أوروبة. وعاش الأرمن في ظل الدولة العثمانية.

ولكن الأرمن ثاروا على الأتراك عام ١٩١٥م، فعاقبوهم بمذابح متعاقبة ثم قاموا بتهجيرهم، ففرّت جموع غفيرة منهم إلى سورية والعراق.

ويُقدّر عدد الأرمن حوالي أربعة ملايين أرمني، يعيشون في جمهوريات أرمينية وجورجية وأذربيجان.

وبلاد الأرمن القديمة تقع ضمن أراضي روسيا وتركيا وإيران وقد عاد كثير منهم إلى وطنه بعد تأسيس «الجمهورية الأرمينية». وبقي القسم الأعظم منهم في البلاد التي استوطنوها وأصبحوا من رعاياها.

التركمان: شعب ينتسب إلى مجموعة الشعوب الناطقة باللغات التركية. يعيش معظمهم في جمهورية «تركمانستان» السوفياتية، ويعيش بعضهم في الأجزاء الشمالية من إيران وأفغانستان. دخلت في حوزة المسلمين في القرنين السابع والثامن للميلاد. وفي القرن الرابع عشر أصبحت جزءًا من إمبراطورية تيمورلنك. وفي أواخر القرن التاسع عشر ألحقها القياصرة بإمبراطوريتهم.

أصبحت جمهورية عام ١٩٢٥م، وعاصمتها (أشخباد) وعدد سكانها مليونين ونصف المليون نسمة. وكانت حروف اللغة التوركية تكتب بالحروف العربية، ثم استُبدلت باللاتينية، وتُعتبر أُسرة فرعية من أسرة اللغات (الآلتائية) وتشمل: التركية، والتركمانية، والجيغائية (الويغرية)، والأذرية (الأذربيجانية)، والقرغيزية، والتتارية، والأوزبكستانية، والقازاخستانية، والبشكيرية، والتونغوزية.

الأكراد: شعب آري مسلم، يقطن في منطقة كردستان الجبلية، تشمل أجزاء من شرق تركيا، وشمال العراق، وأجزاء من أرمينيا، وشمال غرب إيران، والأطراف الشرقية من سورية. ويتحدثون اللغة الكردية، وهي لغة هندية أوروبية، تنتسب إلى مجموعة اللغات الإيرانية، وينطق بها قرابة ثمانية ملايين كردي. وقد اعتنقوا الإسلام في ظل الدولة الإسلامية، ثم خضعوا لحكم المغول ثم لحكم العثمانيين، وهم يتوزعون اليوم في تركيا وإيران والعراق وسورية.

الكلدانيون: شعب ساميّ مترحّل، استقرّ في الجزء الجنوبي من بلاد بابل (١٢٠٠-٨٠٠ق.م). خرجت منهم أسرة حكمت بابل من عام ٦٢٥ق.م وحتى الغزو الفارسي عام ٥٣٩ق.م. وقد أسسها الملك (نبوبو لايسّر). وأُطلق على الإمبراطورية البابلية في تلك المرحلة اسم «الإمبراطورية الكلدانية». ويعتبر «نبوخذ نصّر الثاني»، أعظم ملوك بابل الكلدانيين. وقد غزاها الملك الآشوري «شلما نصَّر الثالث» عام ٨٥٠ق.م. وتقع مملكة الكلدانيين في الجزء الجنوبي من العراق، في المنطقة المحاذية لرأس الخليج العربي، بين صحراء بلاد العرب ودلتا الفرات.

الآراميون: شعب ساميّ سكن منطقة (آرام) – سورية الشمالية – ما بين القرن الحادي عشر والقرن الثامن قبل الميلاد، وبسط سيطرته على سهل

البقاع – الواقع بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، وعلى دمشق أيضًا – وفي هذه الفترة استولت بعض القبائل الآرامية على مدينة (بابل) في بلاد الرافدين. حتى إذا كان القرن التاسع قبل الميلاد أمست المنطقة الممتدة من بابل إلى البحر المتوسط خاضعة لسلطان الآراميين.

الانكشارية: وتعني «العسكر الجديد». كلمة تركية أصلها «بنِي قشاري» وقد أسس هذا الجند في القرن الرابع عشر الميلادي السلطان «أورخان بن عثمان»، باقتراح الوزير «قره خليل جاندارلي». وكان هذا الجيش يتألف من أولاد البلدان التي افتتحها العثمانيون. إذ كانوا يأخذون هؤلاء الشبان بين سن العاشرة والخامسة عشر، فيربونهم تربية إسلامية، ويدربونهم تدريبًا عسكريًا قاسيًا.

ويرجع الفضل الأكبر في تنظيم الانكشارية إلى السلطان مراد الأول ٧٦١هـ. فكان قائدهم (السردار) وحامل العَلَم (البيرقدار). واستُخدموا في خدمة الولاة، وارتقوا في مناصب الدولة، حتى أصبح منهم وزراء وقادة عظام، كما قامت على أكتافهم كثير من الفتوحات. ثم فسد أمرهم زمن السلطان مراد الثالث، وتدخلوا في سياسة الدولة، وعزل الوزراء والاعتداء على الناس وخلع السلاطين.. حتى أنهم قتلوا السلطان سليم الثالث. وقد ألغى السلطان محمود الثاني نظامهم عام ١٢٤١هـ، واستصدر فتوى بقتلهم، وسميت موقعة القضاء عليهم (الوقعة الخيرية).

المماليك [الأشراف المحرّرين]: المماليك جمع مملوك وهم جماعات ينتمون إلى جنسيات مختلفة، اشتراهم السلاطين الأيوبيون، ودرّبوهم على فنون القتال والفروسية، فبرعوا وصاروا فرسانًا مقاتلين، وتكوّنت منهم القوة الضاربة للجيش المصري، التي كان لها الفضل في قتال الصليبيين والتتار ولذلك حقّ لنا أن نسميهم بـ«الأشراف المحرّرين» بدل المماليك.

وكان أكثر هؤلاء المماليك من الأتراك والشراكسة، وبعضهم من الذين أسلموا من أصل تتري، أو من البلاد الأوروبية.

وقد بدأ عصر المماليك بموت الملك الصالح (نجم الدين أيوب) عام ١٢٤٩م/٦٤٨هـ أثناء المعركة. وتولت زوجته (شجرة الدر) الحكم من بعده – وكانت شجر الدر مملوكة له – إلا أن سكان بلاد الشام خرجوا عن طاعتها بعد ثمانين يومًا، فتزوجت وزيرها (عز الدين أيبك)، وتنازلت له عن السلطة اسميًا.

الفاطميون: سلالة إسلامية شيعية، حكمت شمال إفريقيا ومصر من (١٩٠٩م- وحتى ١١٧١م)، وتُنسب إلى الإمام علي رضي الله عنه وزوجته فاطمة الزهراء. أسّسها (عُبيد الله المهدي) عام ٩٠٩م، ومن خلفائها: القائم بأمر الله، والمعزّ لدين الله، والحاكم بأمر الله.

وكانت (المهدية) في تونس هي عاصمة الفاطميين في أول الأمر، ثم أصبحت «القاهرة» هي العاصمة بعد أن بناها أحد قوّادهم وهو «جوهر الصقلّي». وفي عام ١١٧١م زالت دولة الفاطميين. ولا تزال آثار الفاطميين ماثلة للعيان في مصر، تشهد على عهود متطاولة من الرخاء ومن آثارهم العمرانية «جامع الحاكم» و«الأزهر». والواقع أن أُبهة بلاطهم – التي وضع أساسها خلفاؤهم الأولون – لم يكن لها نظير عند أيّ من منافسيهم.

الطولونيون [٨٦٨-٩٠٤م]: كان جدّ الطولونيين «طولون» مملوكًا تركيا من بخارى، أُهدي إلى الخليفة المأمون، ثم أصبح قائد حرس الخليفة العباسي «المعتصم». وقد نشأت الدولة الطولونية الإسلامية في سورية ومصر، ومؤسسها «أحمد بن طولون». ولي مصر عام ٨٦٨م من قِبل الخليفة العباسي، فأعلن استقلاله عام ٨٧٧م، ثم ورثها أولاده من بعده وألحق بها سورية، وشيّد مدينة القطائع ومسجده الكبير. ولي ابنه «خمارويه» بعد وفاة أبيه عام ٨٨٤م، فوسّع نطاق دولته، وتزوج من ابنة الخليفة «المعتضد». خَلَفَه ابنه أبو العساكر، ثم أبو موسى هارون، فأبي المناقب شيبان بن أحمد آخر سلالة الطولونيين. وقد استسلم لقائد الخليفة المكتفي العباسي «محمد بن سليمان» عام ٩٠٤م.

الدونمة: كلمة تركية تعني (كاذبًا في ما يزعم اعتقاده). أُطلقت على شاب يهودي مغامر ظهر في مدينة أزمير واسمه «شبتاي زيوي» زعم أنه المسيح المنتظر. وقد أطلق عليه مريدوه «شبتاي بن لاوي» وكان أبوه من التلموديين المتزمتين، فعاث فسادًا في الدولة. وألقت السلطات القبض على المشعوذ الدجّال لمحاكمته، فأعلن إسلامه وتبعه مريدوه وراح يُحرّض أتباعه على التوغل في المجتمع التركي الإسلامي، لتفكيك روابطه وتوهين عراه وغزوه باليهودية تحت العباءة والعمامة. وراحوا يصلون ويصومون ويحجون كالمسلمين ويقرؤون التوراة(٥٩٧) والتلمود ويقيمون الطقوس اليهودية. وتغلغل هؤلاء في «حزب

(٥٩٧) التوراة التي بين يدي اليهود هي في الحقيقة كتاب «عزرا الكاتب» الذي لعب دورًا كبيرًا في عودة اليهود من بابل إلى فلسطين على أيام الملك الفارسي «كورش» (٤٦٠ق.م). [وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ] [التوبة: ٣٠].

الاتحاد والترقي». وازداد نفوذ الدونمة وحصلوا في وزارة الانقلاب عام ١٩١٣م على أربع حقائب وزارية.

المورووِيون: اسم يُطلق على القبائل الإسلامية الملاييّة المقيمة في الجزء الجنوبي من الفلبين (في أرخبيل سولو وفي أجزاء من جزيرة منِدَ ناوو) وهم ينطقون باللغة «المورووية». وقد جرت بينهم وبين القوات الأميركية معارك طاحنة، بسبب محاولة الأميركيين إخضاع هذه القبائل بالقوة، وإذابتها في بوتقة القومية الفلبينية. وقد وقعت أشهر هذه المعارك في (جزيرة جولو) في مارس / آذار ١٩٠٦م. وقد قُتل عدد كبير من النساء والأطفال المسلمين، مما أحدث ضجة كبرى في أميركا.

الموحّدون: أسرة إسلامية من أُسر البربر، أقامت إمبراطورية في شمال أفريقيا والأندلس (١١٣٠م-١٢٦٩م) على أساس تعاليم «محمد بن تومرت» - الذي توفي عام ١١٣٠م - والذي هالته المفاهيم السائدة في عصره، فدعا الناس إلى التوحيد من جديد (ومن هنا عُرف أتباعه بالموحّدين)، وراح يُجرّد الحملات العسكرية على «دولة المرابطين».

وجاء بعد (محمد بن تومرت) خليفته (عبد المؤمن)، الذي واصل الحرب فقضى على (دولة المرابطين) عام ١١٤٧م، وأخضع المغرب واستولى على (مراكش) وجعلها عاصمة مُلكه.

والتوراة التي بين يدي اليهود كتبها أحبار اليهود في القرن العاشر للميلاد، أي بعد ظهور موسى بألفي وثلاثمائة عام. وتضم ٣٩ سفرًا (التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، التثنية) ويُختم السفر الأخير بموت موسى (فمات موسى عبد الرب في أرض مرأب بأمر الرب، ودفنه في الوادي بأرض مؤاب تجاه بيت فَغُور ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا..). ويقول «السامريون المقيمين بالقرب من نابلس. كيف تنسبون أسفارًا لموسى مع أنها صُنعت بعد موته..!» ويقول أحد أحبارهم «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرّق شملهم ورُفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفّق منه هذه التوراة التي في أيديهم. ولذلك بالغوا في تعظيم «عزرا» غاية المبالغة. وزعموا أن النور لا يزال إلى اليوم يظهر على قبره عند البطائح بالعراق، لأنه عمل لهم كتابًا يحفظ دينهم.



صبري فريد البديوي



رابطة رجال الثورة السورية

رقم السجل (٢٨٧)

أمين السر

(عضو مجلس إدارة الرابطة)

ومعتمدها

المجاهد الحاج صبري فريد البديوي

محل الاقامة

تاريخ الولادة ألف وتسعمائة فقط ١٩٠٠

سلمت لحاملها بتاريخ

المجاهد أمين السر رئيس الرابطة

١٩٥٩/١٠/١١



الانكشارية



فرديناند دوليسبس



جنكيز خان



تيمور لنك

القائد عارف التوّام

(١٨٧٨-١٩٤٥م)

قائد خرج من بين صفحات التاريخ، تغلغل حب الوطن في ذاته فتفجّر ينابيع عطاء، واستوطن حب أمته في القلب والروح والعيون وسرى في الدماء ليصل إلى نبض القلب ليُمجّد باللهفة عظمة الوطن بسمائه وقمره ونجومه وشمسه، وليفخر بالاعتزاز بأرضه ومياهه وأشجاره، وشوارعه وبيوته والأهل والأحبة. لتتسلّل إلى القلوب بقوة الشوق والحنين، والأحزان والأفراح، وانكسارات القلوب. رحل عارف التوّام عن أرض الوطن، الذي أحبّه وقاتل من أجله ولمّا تكتحل عيناه باستقلال وطنه.

ولد عارف بن محمود التوّام في مدينة دمشق عام ١٨٧٨م / ١٢٧٩هـ. ينتهي نسبه إلى قبائل شمّر الطائيّة(٥٩٨)، وتعلّم في مدارس دمشق، ثم انتقل إلى «الآستانة»، حيث أكمل تحصيله العالي في مدرسة المدفعية العسكرية. ثم نُقل إلى اليمن برتبة رئيس، وامتدت خدمته هناك ثلاث سنوات، أنشأ خلالها ثكنة عسكرية في مدينة «تعز» لسرية المدفعية.

وعلى أثر «إعلان الحرية»(٥٩٩) في الدولة العثمانية، أُعيد إلى دمشق ورُقّع إلى رتبة «وكيل قائد»، وعُيّن قائدًا لمدينة حمص، وأظهر خلال خدمته من حُسن الإدارة، ما استحق ثناء أهلها. بعد ذلك رُفّع إلى رتبة قائد، ونُقل إلى «أرزنجان» في إحدى المقاطعات التركية.

لدى إعلان «حرب البلقان»، عُيّن عارف التوّام قائدًا لكتيبتين مدفعيتين، توجّه بهما إلى مكان الحرب في البلقان، وفي سواحل البحر الأسود، وفي منطقة «غاليبولي»(٦٠٠).

---

(٥٩٨) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: تأليف: عمر رضا كحالة، ص(١٣٤)، وفهرس الأعلام: للدكتور جواد علي، ص(٣٧٤)، وعشائر العراق: للغزاوي، ص(٢١٢).

(٥٩٩) إعلان الحرية: يَنْعت الأتراك «العهد الدستوري» بنعت «المشروطية» وهي كلمة عربيّة أرادوا بها، أَنَّ الحكم يجب أن يكون مشروطًا برقابة الأمة، أو مقيّدًا غير فرديّ أو استبدادي وقد حدث «إعلان الحرية» في الدولة العثمانية، عقب انقلاب ١٩٠٨م / ١٣٢٦هـ، زمن السلطان عبد الحميد الثاني. وقد تمَّ باتحاد الفيلقين الأول والثاني في «الروملي»- الروم ايلي - وتبعهما الفيلق الرابع في «كردستان»، وذلك بالاتحاد مع عصابات البلغار. وهدّد الضابطان «نيازي بك» و«أنور بك» السلطان بإعادة «الدستور»، أو أنهما سيزحفان إلى قصر السلطان. فلم يسع السلطان عبد الحميد الثاني، إلا أن أعاد العمل بالدستور عام ١٩٠٨م، بعد توقّف دام ٣١ عامًا

(٦٠٠) غاليبولي: بلدة في تركية الأوروبية. تقع على شبه جزيرة طويلة، عند الطرف الشمالي الشرقي الأقصى من مضيق الدردنيل، على المدخل الغربي لبحر مرمرة، وعلى بُعد ٣٠٣ كيلومترًا إلى الجنوب الغربي من اسطنبول

كما خاض القائد عارف التَوّام غمار الحرب العالمية الأولى في ميادين عديدة في معركة «جناق قلعة» – «القلعة السلطانية» – حيث كنّا معًا في تلك الجبهة، وفي جبهة «القوقاز»، وفي جبهة فلسطين. ولم يمنعه ذلك من نقد سوء الإدارة العثمانية، بسبب تعصّب رجالها ضد العرب وقضيتهم العادلة، وأن يوجّه إليها الانتقاد واللوم، بما عُرف عنه من جرأة وصدق وصراحة.

كان عارف التِوّام أحد الذين ساهموا في الحركات القومية والنضال الوطني وكان اهتمامه بالقضية العربية بالغًا، كما كان همه استعادة مجد أمته وحضارتها، في إطار الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية. وقد دعاه ذلك إلى الإسهام في أكثر الجمعيات العربية، فكان من مؤسسي أول جمعية عربية سرّية أُسست في القسطنطينية، من أجل إعلاء شأن العرب وإنصافهم، في إطار المحافظة على الخلافة العثمانية في آل عثمان وهي «جمعية العهد» العسكرية، والتي كان معظم أفرادها من الضباط ومنهم القائمقام العسكري «شريف سوار»(٦٠١).

وحين تمّ تحرير سورية من قِبَل جيش الثورة العربية الكبرى، وظهرت نوايا الحلفاء التوسعية، ومؤامراتهم الخبيثة، ونكوصهم عن اتفاقهم مع الشريف حسين بن علي، اجتمع مؤسسو «حزب العهد»، وأعضاؤه القدماء من الضباط العرب، الذين اشتركوا في الثورة من السوريين والعراقيين، وقرّروا أن تنقسم جمعية العهد قسمين: جمعية العهد السورية، وجمعية العهد العراقية، ليكون مجال عمل كل جمعية في القطر التي هي فيه.

فتألفت في سورية «جمعية العهد السورية» من الضباط السوريين وتشكلت لجنة إدارية لهذه الجمعية من سبعة أعضاء هم: خالد الحكيم، ومحمد إسماعيل، وعارف التوّام، وحسني البرازي، والأمير فؤاد الشهابي، ورشيد بقدونس، ولطفي الرفاعي.

والجدير بالذكر أن «جمعية العهد»، هي أول حزب سرّي أسسه في «اسطنبول»

يرجع تاريخها إلى عهد البيزنطيين ويبلغ عدد سكانها (٢٠) ألف نسمة. حاولت القوات البريطانية والفرنسية والاسترالية غزو شبه جزيرة غاليبولي عام ١٩١٥ م للاستيلاء على اسطنبول وغزو الامبراطورية العثمانية لتنسحب من الحرب العالمية الاولى مع فتح طريق بحري لروسيا الدولة الحليفة، إلى أن شجاعة الأتراك أحبطت مخططاتهم وأنتصر الأتراك..!

(٦٠١) شريف سوار بن عبد القادر: من أسرة حجازية الأصل، وُلد في حي قبر عاتكة عام ١٨٨٠م، وتخرج من الكلية الحربية في الآستانة وتخصص في ألمانية. كان من أعضاء حزب العهد العسكري، وأحيل إلى التقاعد برتبة قائمقام عسكري. عندما دخل الثوار دمشق في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٥م، قابله الشيخ محمد حجازي الكيلاني وحسن الخراط، وأبلغاه أن العلم السوري قد رفعه الثوار فوق قلعة المزة، فصعد إلى مئذنة الجامع ليكحّل عينه برؤيته، لكن رصاصة قاتلة صرعته. وقد اعترف القنّاص لآخرين بأنه القاتل، فحكم عليه الشيخ توفيق سوقية – رئيس محكمة الثورة – بالإعدام، فتربص به الثوار وقتلوه ثأرًا للشهيد المغدور.

الضابط العربي الحرّ «عزيز علي المصري» عام ١٩١٣م، ضمَّ إليه الضباط العرب المشهود لهم بالوطنية وحُسن الخُلق واستعداد التضحية.

وتدعو جمعية العهد بكل جرأة وصراحة إلى فكرة العروبة، وبناء دولة عربية، تشارك الدولة العثمانية في مُلكها وحدودها، شبيهة بدولة النمسا والمجر وهذه الفكرة يرفضها «حزب تركيا الفتاة»، وهو الحزب الحاكم في السلطنة العثمانية رفضًا باتًا ولهذا قام العداء السافر منذ البداية، بين الحزب الحاكم وجمعية العهد، وقبض المسؤولون الأتراك على مؤسس حزب العهد - عزيز المصري - وحاولوا قتله بدون محاكمة وتحت الضغط الشعبي الهائل عُفي عنه وأُخلي سبيله، شريطة أن يغادر العاصمة «اسطنبول» فاختار اللجوء إلى مصر.

ولم تختلف «جمعية العهد» في أهدافها عن «جمعية العربية الفتاة» ولكن اختلفت عنها في صفة أعضائها المنتسبين إليها، إذ اقتصرت على قبول الضباط العرب في الجيش العثماني كأعضاء، ولم يدخلها من المدنيين سوى عدد محدود جدًا ثم افتتحت لها فروعًا سرّية في كل من بيروت ودمشق وحلب والموصل والبصرة. ومن الضباط المنتسبين إليها: طه الهاشمي، مولود مخلص، جميل المدفعي، نوري السعيد، علي جودة الأيوبي، عارف التوّام، شريف الحجّار، إسماعيل الصفّار، تحسين علي، عبد الله الدليمي، حمدي الباجچي، مزاحم الباجچي من بغداد. وحميد الشالچي من مدينة «البصرة». كما انضم إليها: محمد إسماعيل الطبّاخ، مصطفى وصفي السمّان، سليم الجزائري، خالد الحكيم، يحيى كاظم، رشيد الخوجه، محي الدين الجبّان، أمين لطفي الحافظ، عبد القادر سرّي، علي رضا الغزالي من دمشق. وصادق الجندي من مدينة «حمص». وعلي النشاشيبي من مدينة «بيت المقدس» وغيرهم.

وعلى أثر دخول الجيش الفرنسي مدينة دمشق - بعد معركة ميسلون واستشهاد يوسف العظمة - عمّت البلاد مشاعر الحزن والأسى، واعتصم الناس في بيوتهم في ذلك الوقت العصيب، اجتمع عارف التوّام مع أصدقائه ورفاقه العسكريين سرًّا بداره في «باب البريد»(٦٠٢)، وقرّروا المقاومة الشعبية، بالاتفاق مع الأحزاب السياسية المتواجدة في الساحة يوم ذاك

(٦٠٢) باب البريد: أحد أبواب الجامع الأموي من جهة الغرب. وقبيل الوصول إلى هذا الباب بقليل يوجد سوق ضيّق يمتد من سوق الحميدية إلى جهة المدرسة الظاهرية يسمى «باب البريد». و«البريد»: كلمة فارسية أصلها (بريده دنب) أي مقطوع الذَنَب، لأن «البغال» التي كانت تستخدم في نقل البريد كانت مقطوعة الذَنَب لتمييزها عن غيرها، فعُرّبت هذه الكلمة وخفّفت، ثم سُمّي الذي يحمل الرسائل «بريدًا»، كما سمّي مكان الموضع «بريدًا» وقيل إنها كلمة مشتقة من كلمة (فيريدوس) اللاتينية ومعناها «جواد البريد».

كحزب الاستقلال وحزب الميثاق، وحزب سورية الفتاة، وحزب العهد، والأحزاب السرّية الأخرى ثم حضر مع رفاقه الاجتماع الذي عُقد في دار نسيب البكري والذي تقرّر فيه الإسراع بالأعمال الثورية المسلّحة دعمًا لثورة الجبل.
كما حضر عارف التوّام، الاجتماع الثاني الذي عُقد في دار «الحاج عثمان الشرباتي»، والذي تقرّر فيه إرسال وفد إلى «جبل العرب»، لتنسيق العمل الثوري، وإعلام سلطان باشا الأطرش بالقرارات التي اتخذها المؤتمرون.

كما كان عارف التوّام أحد أعضاء المجلس الوزاري الذي دعا إليه الملك فيصل، قبيل معركة ميسلون – في يوم الجمعة ١٦ تموز ١٩٢٠م – بحضور وزير الحربيّة «يوسف العظمة» وأركان الجيش.

وبعد معركة ميسلون نشط الداعون إلى المقاومة والجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، منهم «نسيب البكري، تحسين باشا الفقير، عارف التوّام، صدقي الكيلاني، عمر الطيبي، منير المحايري، سعيد المخيش، شفيق العطري، زكي الطرابيشي، محي الدين الحصني، توفيق القيسي».

وتأسست هيئة ثانية أشهر أعضائها: «ياسين باشا الهاشمي، طه باشا الهاشمي، عبد الحميد القلطقجي، عارف التوّام، نسيب الأطرش نسيب الحمزاوي، عبد الغفار الأطرش، زيد الأطرش، ملحم قاسم، صالح العلي، طعّان الدندشي، جمعة سوسق، سلطان الطيّار، كامل الأسعد، إبراهيم هنانو، شكري القوتلي». وكان عمل هذه الهيئة، القيام بثورة مسلّحة عامة في جميع أنحاء البلاد في وقت واحد، لطرد العدو المحتل بالقوة.

وانتخبت هذه الهيئة عام ١٩٢٣م «لجنة مصغّرة»، لاطلاع شريف مكة الحسين بن علي على برنامجها، والاستعانة برأيه ومشورته، وبما يستطيع أن يقدمه من سلاح وذخيرة للمجاهدين الثائرين، الذين قرروا القيام بثورتهم عام ١٩٢٤م، بدءًا من جبال القلمون ثم يتبعهم جبل العرب.

وقد تألف هذا الوفد من عارف التوّام، وشريف الحجّار وجميل شاكر الخانجي (كاتب هذه السطور). ولما وصل الوفد إلى المدينة المنوّرة، وقابل عاملها «الشريف حسين بن علي». وأُعجب الشريف بالضابط القائد عارف التوّام، وأراد أن يكون قريبًا منه، وطلب من ولده الأمير علي إصدار مرسوم بتعينه واليًا على مدينة «معان»(٦٠٣) لكن عارف التوّام اعتذر عن هذا التعيين بلطف قائلاً: «لقد أتينا إلى سموّكم لتساعدونا على استخلاص بلدنا من نير العبودية وظلم المستعمرين، ولا يمكنني قبول أية وظيفة، قبل إنجاز عملي الذي نُدبت من أجله وبعد ذلك فأنا جندي مطيع أخدم حيث تأمرون».

(٦٠٣) معان: مدينة أردنية تقع جنوب عمان في الطريق للحجاز، ويمر منها الخط الحديدي الحجازي.

ولم تقتصر اهتمامات عارف التوّام على مشكلات بلده فقط، بل كان اهتمامه في المشكلات العربية عامة.

إذ بعد أن نشب النِّزاع العسكري بين الهاشميين والسعوديين، واستشهاد أخي «عمر شاكر الخانجي»، وبعد الانتهاء من حفل التأبين الذي أُقيم له في «النادي العربي» في دمشق - بصفته صحفيًا ومؤلفًا وأديبًا وشاعرًا - عُقد اجتماع بدمشق حضره المناضل القائد عارف التوّام، وشريف الحجّار بصفتهما يمثلان «حزب العهد»، وتقرّر إيفادي إلى الديار الحجازية – مندوبًا عن رجال الثورة السورية – وقاما بتزويدي برسائل هامة إلى كلّ من: شريف مكة الحسين بن علي، وإلى نجله الأمير علي بن الحسين في جدة، وإلى العاهل السعودي عبد العزيز، لفتح باب المفاوضات بين الجانبين، بُغية حلّ مسألة النِّزاع بينهما سلميًا، حقنًا لدماء العرب والمسلمين.

كما تجلّت وطنية عارف التوّام، وإباؤه وشممه، وعزوفه عن المكاسب والمناصب، حين دعاه المفوّض السامي الفرنسي الجنرال «ساراي»، للعودة إلى الجيش إسوة بغيره من الضباط إلا أنه رفض تلبية الخدمة في ظلّ حراب الاحتلال، مشترطًا أن تُنفّذ فرنسا صكّ عصبة الأمم، الذي خوّل الدولة المنتدبة، صلاحية تعيين «مستشارين» فقط لا يتدخلون في شؤون البلاد الداخليّة مؤثرًا الاعتصام في بيته رافضًا وظيفة تدرّ عليه راتبًا مغريًا.

ويُذكر أن اسم عارف التوّام، كان ضمن قائمة مَنْ حَكَم عليهم الفرنسيون بالإعدام، في «المنشور» الذي ألقته الطائرات الفرنسية، بعد دخولها مدينة دمشق بعد معركة ميسلون.

وأذكر أنه في أوائل عام ١٩٤٤م عُقد في منْزل عارف التوّام أول مؤتمر شعبي كبير، للمطالبة بتأسيس الجيش الوطني، واستلام الجيش من السلطة الفرنسية، التي كانت تماطل في تسليم قيادة الجيش للوطنيين.

وقد أشار إلى هذا المؤتمر الشعبي، «أكرم الحوراني» في مذكراته(٦٠٤)، التي جاء فيها: «في الوقت الذي أصبحت فيه قضية استلام الجيش مطلبًا شعبيًا، فقد دُعيت بتاريخ ٢٢-١-١٩٤٤م، إلى حضور اجتماع شعبي كبير، عُقد في دار المتقاعد العسكري عارف التوّام، في الجسر الأبيض بدمشق، باسم هيئة المتقاعدين العسكريين والمحاربين القدماء، وحضر الاجتماع عدد كبير من العسكريين المتقاعدين، والنواب وزعماء الأحياء والطلاب. وقد خطب صاحب الدار «عارف التوّام» وخالد الخاني باسم المحاربين القدماء،

(٦٠٤) مذكرات أكرم الحوراني – الجزء الأول ص (٣٢٨) – مكتبة مدبولي بالقاهرة. والمذكرات نشرتها صحيفة «القدس العربي» في العدد (٣٠٦٠) تاريخ ١١-١١-١٩٩٩م – الحلقة (١٩).

فبيّنا أهمية الجيش، واستعرضا الأمثلة والأدلة من التاريخ العربي، ومن تاريخ الشعوب الأخرى، وألحّا على ضرورة فرض الخدمة الإلزامية. كما تكلّم فخري البارودي مدافعًا عن موقف الحكومة من هذه القضية ثم تكلّم مندوب الطلاب. وقد أجمع الخطباء، على أن المال لن يكون عثرة في سبيل استلام الجيش، وأن الشعب مستعد لأن يبذل بسخاء كل ما يملك.

وخرج صاحب الدار عارف التوّام، بالشعار الذي ردّده المجتمعون في شبه مظاهرة، عند خروجهم من الاجتماع: «ما في عَيْش بلا جيش» وقد أصبح هذا «الشعار» فيما بعد، شعار المظاهرات الشعبية في كافة أنحاء البلاد، حتى نال الوطن الاستقلال».

ولقي القائد الكبير عارف التوّام وجه ربه، في أيلول / سبتمبر ١٩٤٥ ميلادية، وشيّعته دمشق في موكب مهيب. وأُقيم له احتفال تأبينيّ في قاعة «المجمع العلمي العربي»(٦٠٥) بدمشق – في باب البريد – مكتبة مجمع اللغة العربية حاليًا. وتكريمًا له أُطلق اسمه على الشارع الممتد من ساحة «باب توما»(٦٠٦)، إلى شارع «رشاد جبري».

رحم الله المناضل الشريف القائمقام العسكري عارف التوّام وجعل مثواه الجنان.



●●● وأنا أقول(٦٠٧)**...**

تواجه أمتنا العربية خطرًا محدقًا، وهو خطر القوة المسيطرة على العالم، ومشاريع استلاب إرادة أمتنا، وقطع جذور الوحدة من منابت أرضها.

والحق العربي مذبوح دائمًا من الوريد إلى الوريد. والمحتلون المغتصبون يقترفون دومًا أبشع الممارسات الإجرامية، ويؤجّجون في حربهم القذرة، وعدوانيتهم الفاشية، وعنصريتهم الحاقدة الكراهيّة ضد القيم والحضارة العربية الإسلامية، ولا يكتمون عداءهم للإسلام والمسلمين ويفاخرون بأنهم بعثوا الحروب الصليبية من جديد «لتمدين المتخلّفين» وقهرهم بالعنف

---

(٦٠٥) تأسس المجمع العلمي العربي عام ١٩٢٠م وظل يُشغل المدرسة العادلية التي أنشأها الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر محمد بن أيوب المقابلة للمكتبة الظاهرية. وكانت المدرسة العادلية في عهد السلطان نور الدين زنكي مقرًا للعلماء والفقهاء. وانتقل المجمع العلمي العربي لمقره الجديد في حي المالكي بدمشق عام ١٩٨٠م. وأصبح أسمه الجديد « مجمع اللغة العربية»

(٦٠٦) باب توما: يقع في الشمال من مدينة دمشق، ويُنسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه «توما». وهو باب روماني، بُنيت على بابه مئذنة. قيل أن القائد العربي «عمرو بن العاص» نزل عليه يوم فتح دمشق عام ١٤هـ.

(٦٠٧) نشرت لي صحيفة «الغد» التي تصدر في الأردن هذه الكلمة تحت عنوان «إعلان الكراهية» في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٦م، العدد رقم (٨٣٨).

والظلم، تحت شعارات كاذبة ومتنوعة من الديمقراطية والحرية والإصلاح، للاستمرار في نهب ثروات الشعوب العربية، وسلب حقوقهم التاريخية، واقتلاعهم من أرضهم، واستيطان بلادهم، وابتلاع الحق العربي واعتبار كل مَن يقاوم الاحتلال «إرهابيًا» وتحريم «المقاومة» على الشعوب ومنع المقاومين للاحتلال من امتلاك السلاح والمال والعبث بأمن المواطنين وحياتهم فتصبح مكافحة الإرهاب «مبررًا» للقتل، والحروب «تسويغًا» لنشر الديمقراطية.

ولأن شعوبنا العربية تملك الإرادة الوطنية لمقاومة الاحتلال فقد أصبحت قضية مقاومة الغزاة المغتصبين قَدَرًا لها وخَيَارًا.

وفي نوبة من نوبات جنون العَظمة يقوم المهووسون بصهيونيتهم بإشعال نيران الحروب والقتل والتدمير وفق الرؤية التلمودية.

هؤلاء استهوتهم لعبة الحرب والموت وإزهاق أرواح الأبرياء، والجرائم والمصائب والكوارث التي ارتكبت بحق البشرية، من أجل الهيمنة على إمدادات النفط والسيطرة على المواقع الاستراتيجية، عبر تفكيك دول المنطقة وإعادة تشكيلها على أُسس طائفيّةٍ وعرقيّة، وفقًا لمعايير «الفوضى البنّاءة» لتنفيذ المشروع الاستعماري متمثلاً في شرقٍ أوسط جديد بثوب صهيوني.

هذا الاستعمار الحديث أشدّ فظاعةً وهَوْلاً باستخدامه القوة المفرطة مع الابتزاز القسري، في ظل الإمبراطورية الأميركية الدكتاتورية المتغطرسة. إلا أن المستنقع الذي غرقت به في العراق، والذي يبدو بلا نهاية، أفقدها توازنها. فالإدارة الأميركية تعلم علم اليقين أن بقاء قواتها في العراق سيولد مقاومة للاحتلال، يسميها جيش الاحتلال الغازي «إرهابًا». وما دام هناك «إرهاب» يظل مبرر بقاء قوات الاحتلال. وكلما تعنت الأميركيون وتشبثوا باحتلال العراق، تشبث العراقيون بحق المقاومة. وكلما تشبث العراقيون بالمقاومة أصرّت الإدارة المتصهينة على تسميتهم بالإرهابيين. وأوجدوا الذرائع لأنفسهم بالاستمرار باحتلال العراق. هذه المعادلة اللانهائية تبقى بدون حل، وتبقى قرارات ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على حق الشعوب في مقاومة الغزاة المحتلين حبرًا على ورق. وتبقى الديمقراطية التي جاء بها المحتلون على ظهور الدبابات والطائرات «مخدّرًا» تتناوله الشعوب المستضعفة المسحوقة للتغلب على الشعور بمأساتها، ولتحمل العذاب الذي يسببه الاحتلال والتأقلم مع هذا الواقع المأساوي.

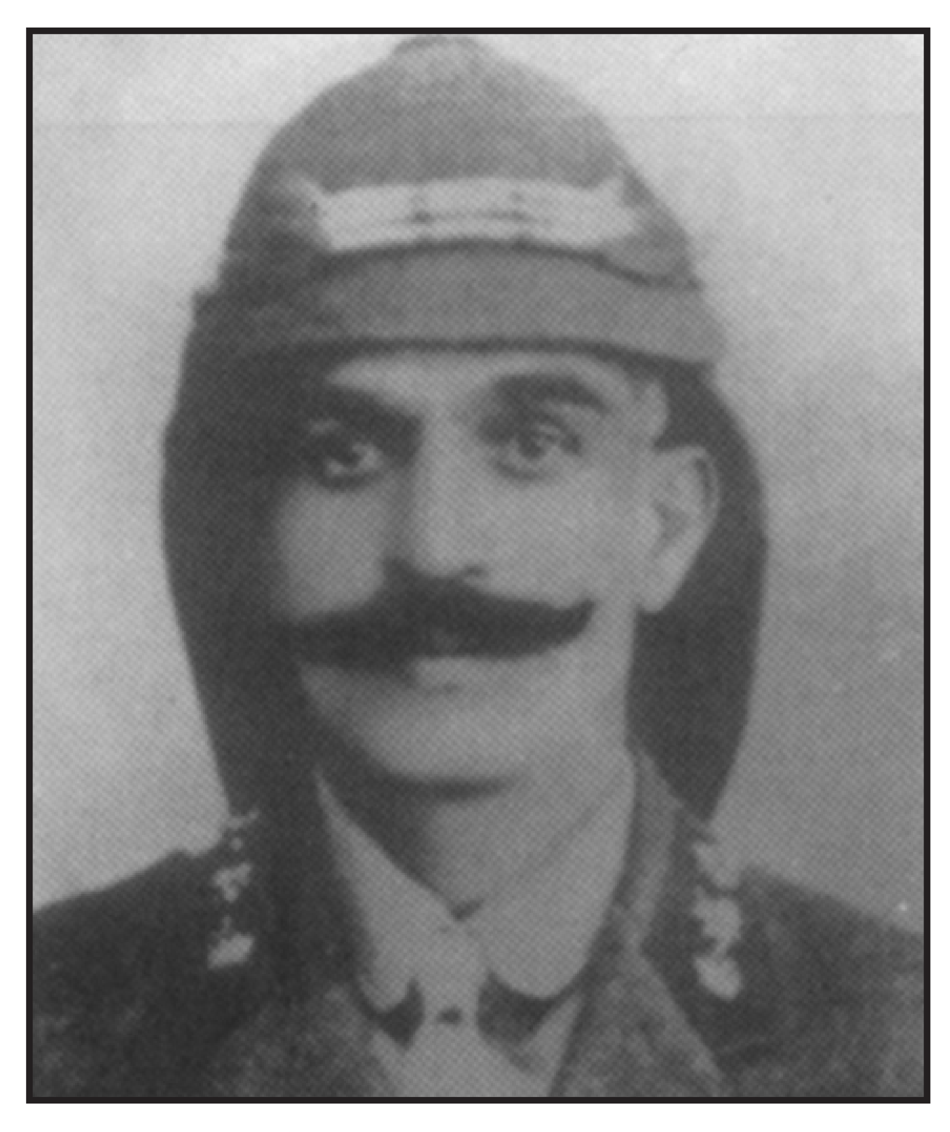
وجلادو الديمقراطية الدموية والحرية المزيفة، مهرجو الحضارة الرقمية والمنتشون من كتل اللحم والدم، يُنفقون مليارات الدولارات سنويًا في مجال البحث عن النفط، وقد وجدوا في العراق مخزونًا هائلاً، كما وجدوا في أقليم

(دارفور) في السودان ما يحقق أطماعهم الاستعمارية من النفط ومعدن اليورانيوم الذي يشكّل الأساس في الصناعات النووية والصناعات الثقيلة والأجهزة الطبية والطائرات، كما يشكل الصمغ العربي أساس صناعات الأدوية والأشربة الغازية والحلويات. ولهذا أرسلت الإدارة الأميركية منظمات «إنسانية» لدراسة جغرافية المكان والظروف المناخية، لتشكل مجموعات استطلاع متقدمة للقوات الأميركية القادمة، لتفتيت السودان وإعادة تركيبه كما فعلوا في العراق، لتحقيق المصالح الأميركية من خلال تزييف مضمون الشعارات، إذ تصبح «الديمقراطية» هي القبول بالوصاية الأميركية، و(الحرية) استقالة من العروبة والعقيدة، والانتماء للوطن والسيادة تنفيذاً للمخططات الأميركية التي تتقاطع مع الأطماع الصهيونية. وهم يجدون دومًا حججًا لإقناع المستضعفين في الأرض بفوائد الخضوع لأنظمة الحداثة المعولمة، لتكريس ثقافة الاستعمار والانهزام والاستسلام والانسحاق والاستلاب والتشظي. وتدجين الغاضبين والرافضين حتى يُعلنوا ولاءهم للزعامات الفردية والبنية السلطوية وقوى الإقطاع العسكري، ويتغنوا بجمال السجون الطائرة، ويتغزلوا بالمعتقلات والزنزانات المنفردة وحرّاسها المتخصصين في التعذيب.

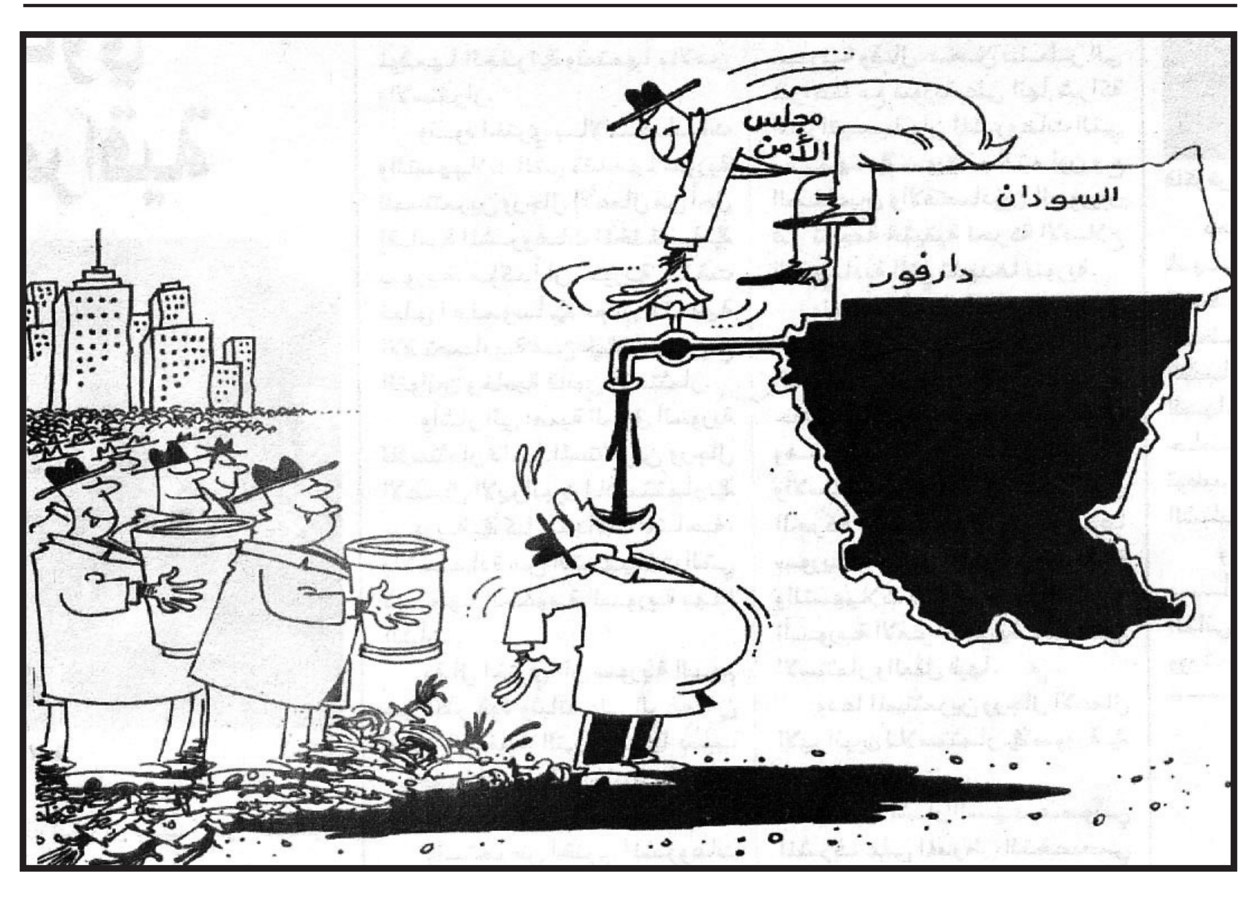
وقد نُظمت مئتا تظاهرة في الولايات المتحدة اتهمت الإدارة الأميركية المتصهينة بالإرهاب. كما تجمع آلاف الأميركيين أمام مقر الأمم المتحدة وهم يلوّحون بلافتات مناهضة للحرب التي يشنها متصهينون عنصريون لا يمثلون الشعب الأميركي، وطالب هؤلاء المتظاهرون بإغلاق السجون والمعتقلات والانسحاب من العراق ووضع حدّ للحروب.

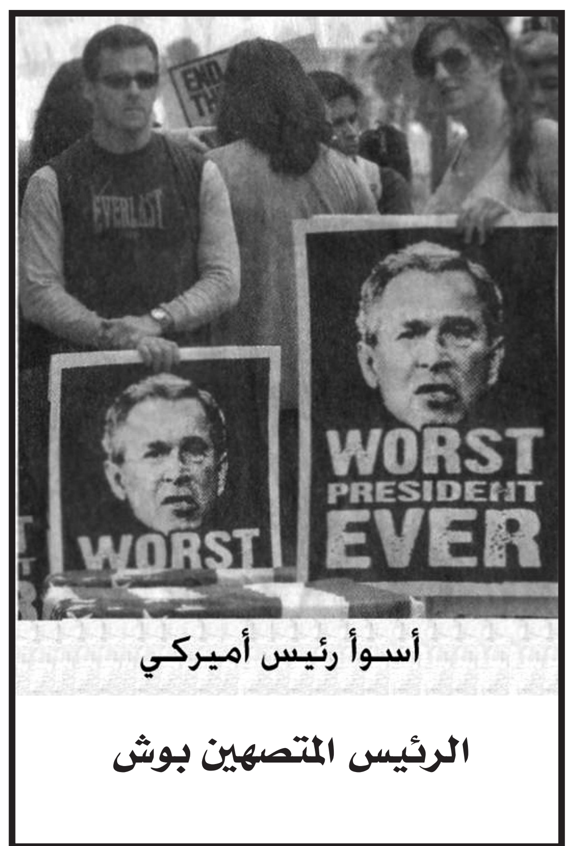
لقد عاشت البشرية في ظل حكم المتصهينين الجدد حالة من النكوص الإنساني، عبر «إعلان الكراهية» الذي فجّروه في حربهم المعلنة والمستمرة على الشعوب الإسلامية والعربية خاصة، لتضعها أمام خيار وحيد لا بديل عنه، وهو ردّ الكراهية بمثلها، هؤلاء الذين ينفثون سموم الحقد والكراهية، صبغوا وجه الأرض بالدماء الحمراء بعد أن قتلوا أكثر من مليون عراقي، ثم يسألون ببلاهة: لماذا يكرهوننا؟

ألا فليعلم الغزاة المحتلون أن أمتنا قد تكون مشتتة متفرقة موزعة على كل صعيد، لكن «نفحة الروح» العُلوية فيها كفيلة بأن تهزّها كعصفور أصابه البلل، لتنتفض وتتجمع أطراف هذا الهيكل العظمي من جديد، وتتجاوز محنتها وواقعها المهترئ الأليم.



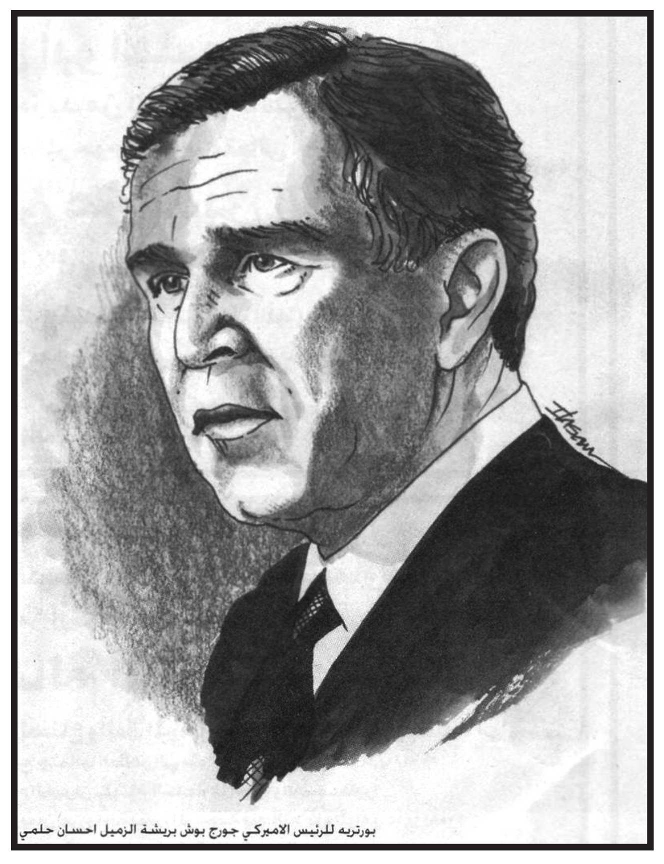
القائمقام العسكري عارف التوّام





أسـوأ رئـيس أمـيركي

الرئيس المتصهين بوش



بورتريه للرئيس الاميركي جورج بوش بريشة الزميل احسان حلمي

الشهيد شوكت العائدي

(١٨٩٧-١٩٢٦م)

كان الشهيد شوكت العائدي، أحد رموز الملحمة النضالية بكل تفاصيلها الدقيقة.

كان فارسًا جريئًا ووطنيًا متحمسًا استحضر اللحظة وأمسك بتلابيبها، وواجه القوى الاستعمارية الغاشمة والطغمة الحاكمة، وتلاشى الزمن أمامه في لحظة العبور خارج حدود العالم ليتساوى الموت مع الحياة وفَقَد الجسد لحظة الروح إلى الأبدية.

ذاك هو الشهيد شوكت العائدي ثائر نذر نفسه منذ نشأته لوطنه، وأوقف حياته للذود عن حياض وطنه، والدفاع عن عزّته وكرامته، ووهب روحه في سبيل رفع شأنه وتحرير أمته.

وقد تعرّفت على الفارس المغوار «شوكت العائدي» في جدة عام ١٩٢٥م، عندما كنت هناك. ولما اشتعلت نيران الثورة السورية الكبرى في جبل العرب، ثم امتدت إلى قرى الغوطة وضواحي دمشق، التحق بها كل من القائد محمد سعيد العاص ومعه شهيدنا البطل شوكت العائدي كما التحق في الثورة أيضًا حسين باشا المدفعي، والضابط عبد الكريم المدفعي، والثائر شكيب وهاب، والدكتور خالد الخطيب، وزميله الطبيب محمد علي الشوّاف وصبري فريد البديوي وكاتب هذه السطور «جميل شاكر الخانجي».

ومكثنا في مدينة (السويداء) حتى قابلنا القائد العام للثورة سلطان باشا الأطرش، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر – شهيد الواجب والوطن – والأمير عادل أرسلان، والسيد نبيه العظمة، والأمير حسن الأطرش، وصياح الأطرش، ومحمد عز الدين الحلبي، وعلي عبيد، وعقلة القطامي، وحمزة الدرويش، ومحمد أبو عسلي، والشيخ محمد حجازي الكيلاني الحسيني -الذي اشترك في معركة المسيفرة الرهيبة، مع إخوته رسلان والشهيد سعيد، وعبد الغني ومحمود – ثم انتقلنا جميعنا إلى ساحات المعارك في الغوطة.

أما الشهيد شوكت العائدي، فقد كانت أضواء البطولة تشع من مقلتيه، إذ كان يُصلي المستعمرين الفرنسيين نارًا حامية، فكان في ميادين الثورة، المؤمن بدينه وعروبته ووطنه إيمانًا لا يتزعزع وفي سبيل هذه العقيدة، كتبت له الشهادة في ساحة الشرف، حيث تربّع على سدة الخلود.

وقد اشترك كاتب هذه السطور (جميل شاكر الخانجي) مع شوكت العائدي، والقائدين: سعيد العاص وزميله المجاهد الكبير فوزي القاوقجي في (معركة حمورة)، فكنت أرى الشهيد شوكت العائدي، يقذف الأعداء بالنيران كما يقذف البركان الهائج حممه المدمّرة.

وحدث أن كنت مع شوكت العائدي في دار مضيفنا - وهو من وجهاء القرية ويمت بصلة القرابة للشيخ محمد حجازي الكيلاني ننتظر طعام الغداء - وكان شوكت العائدي يجلس بجانبي إلى جهة اليسار، وقد وضع بندقيته على ركبتيه، وفوّهتها كانت تتجه صدفة نحو صدري باتجاه قلبي. ووجدت أن ابن المضيف (الطفل الذي لا يتجاوز العامين) قد وضع إصبعه على زناد البندقية، فألهمني المولى أن أُبعد فوّهة البندقية عن خاصرتي، فدفعت فوّهتها عني بطرف إصبعي وفي تلك اللحظة انطلقت من البندقية رصاصة أصابت العمود الفقري لكاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي، حيث تبيّن بعد أن خُلع عني قميصي، أن الرصاصة خرجت من بين فقرتيّ ظهري، وقد أحسست بلهيبها وكأنه شواظ من نار، وكان يجلس إلى يميني المجاهد فريد صبري البديوي - وقد كان معلمًا في إحدى مدارس لواء عجلون في الأردن - فأسعفني بالقطن المعقّم بـ «اليود» - المعروف بدهن الريشة - ليوقف النَّزيف، ريثما وصل الدكتور أمين رويحة، وقد تمثلت قول الشاعر:

«ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال»

ولادته ونشأته:

ولد الشهيد شوكت العائدي في مدينة دمشق عام ١٨٩٧م، وتلقّى دراسته الإعدادية في (مكتب عنبر) بدمشق، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى، ساقته السلطات التركية للخدمة المقصورة في مدينة بعلبك، مع شقيقي المرحوم عبد اللطيف شاكر الخانجي، ثم عيّن بمفرزة الهجّانة في منطقة دمشق، وبعدها أُرسل إلى المدينة المنوّرة، تحت قيادة (فخري باشا) القائد التركي المشهور.

ولمّا أعلن شريف مكة «الحسين بن علي» ثورته العربية الكبرى على الأتراك، عزم شوكت العائدي على الالتحاق بجيش الثورة، بعد أن تمكّن من الفرار من الجيش التركي مع الضابط سمير بن عبد الحميد الرافعي - الشاعر الطرابلسي المعروف - وكانا ضابطين في الجيش التركي في المدينة المنوّرة.

ولما دخل الجيش الفيصلي دمشق، كان الشهيد شوكت العائدي مرافقًا

للأمير فيصل بن الحسين، وقد عُيّن فيما بعد معاونًا لقائد موقع دمشق، ثم نقل إلى القنيطرة، وهي منطقة نفوذ الأمير محمود الفاعور والشهيد أحمد مريود، فكان يشترك معهما بضرب المواقع الفرنسية في مرجعيون.

بعد أن التحق «شوكت العائدي» بجيش الحسين بن علي عام ١٩١٦م، وذلك بعد إعلان الثورة العربية الكبرى، وفراره من الجيش التركي المرابط في المدينة المنورة، أصدر (جمال باشا السفاح) قراره الجائر، بنفي والده المسنّ وإخوته إلى مدينة «قرق كليسا» في الأناضول الشرقي، وكذلك نفي هذا الحاكم الظالم – «الذي علّق ٤٨ وطنيًا على أعواد المشانق في ساحة المرجة، وكانوا الصفوة المختارة من رجالات سورية الأحرار» – ومنهم (عبد الحميد الرافعي) والد الضابط (سمير الرافعي)، الذي رافق فقيدنا حين التحاقه بالثورة العربية الكبرى، حيث أرسله جمال باشا السفّاح إلى منفاه مكبّلاً بالحديد.

وبعد أن احتل الفرنسيون دمشق، غادر - شوكت العائدي - مع الملك فيصل بن الحسين سورية، فصدر الحكم عليه بالإعدام غيابيًا، ثم التجأ إلى شرقي الأردن، حيث اشتغل في (التعهدات) لتأمين لقمة عيشه ورزق عياله في ظروف بالغة التعقيد فالمناضلون معرّضون دومًا للاضطهاد من قِبل المستعمرين وهذا هو قَدَرهم.

كان العائدي يدعو ربه وهو في أحلك الساعات «اللَّهمَّ هربت إليك بنفسي مُضنًى - يا ملجأ الهاربين - بأثقال من الذنوب أحملها على ظهري، لا أجد شافعًا إليك إلا معرفتي بأنك أكرم مَن قصد إليه المضطرّون، وأقبل فيما لديه الرَّاغبون، يا من فَتَق العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده، وجعل ما امتنَّ به ذلك على خلقه كفاء لتأدية حقه، لا تجعل للعدو عليّ سبيلاً، ولا للباطل على عملي دليلاً». وكأنه كان يعرف ما كان يُبيّته له الأعداء.

وفي عهد حكومة رضا باشا الركابي – الذي شكّل حكومته بعد استقالة (رشيد باشا طليع) أوّل رئيس حكومة عربية أردنية - أُخرج من الأردن كلّ مَنْ كان ينتمي لـ«حزب الاستقلال» باعتبار فقيدنا الرأس الأكبر لهذا الحزب – منذ العهد الفيصلي – فنفاه الإنجليز إلى مدينة معان.

وبعد قيام الحرب في الحجاز، التحق شوكت العائدي بجيش علي بن الحسين، حيث عيّنه قائدًا لحامية جدة، وقد سبقه بعض من القادة السوريين أمثال القائمقام تحسين باشا الفقير(٦٠٨)، وعارف باشا الأدلبي، ومحمد سعيد

(٦٠٨) القائمقام تحسين باشا الفقير: كان قائد الفرقة الأولى في الجيش العربي التي شاركت في معركة ميسلون مع القائد يوسف العظمة صباح يوم ٢٤ تموز / يوليو ١٩٢٠م.

العاص، وعبد الوهاب عمر باشا، وشكيب وهاب، وتحسين باشا المدفعي، وعبد الكريم المدفعي، وقد التحق معظمهم بالثورة السورية الكبرى التي نشبت بقيادة سلطان باشا الأطرش، وانطلقت شرارتها من (مدينة السويداء)، ثم امتدت إلى الغوطة الشرقية، فحمص وحماة. وقد اشترك شهيدنا شوكت العائدي في معظم معاركها، إذ كان المصباح الساطع والفرقد النيّر للثورة، ومن أبرز زعمائها والساعد الأيمن للقائد العام فوزي القاوقجي، وقد طلب مني شوكت العائدي في إحدى معارك الغوطة، أن أتسلق إحدى الهضاب لمراقبة الجيش الفرنسي، الذي كان يمطرنا بوابل من رصاص الرشاشات، فوجدت أنَّ العدو يحاول الالتفاف على مناطق المجاهدين، فأعلمته بذلك. وفي الوقت الذي كان العائدي يقترب من القاوقجي للمداولة معه بشأن الانسحاب إلى (تل منين)، إذ برصاصة تنطلق من بندقية الدكتور أمين رويحة، وقد صوّبها على أحد أفراد جنود المتطوعة في الجيش الفرنسي، مما اضطرنا لخوض معركة غير متكافئة مع العدو، وقد أصيب خلالها مرافق القاوقجي - وكان يسير إلى جانبه - ومن ثم تمّ الانسحاب حيث شقّ المجاهدون طريقهم، بين تلك القوات المجهزة بأحدث الأسلحة الخفيفة والثقيلة، من مدفعية ودبابات وطائرات. وكان شوكت العائدي لا يماثله في البطولة وقوة الإرادة، وعلو الهمة، ومضاء العزيمة أحد فهو على مستوى القادة الشهداء سعيد العاص، والأمير عز الدين الجزائري، وعادل النكدي رحمهم الله.

أمّا صفات الشهيد شوكت العائدي فقد امتاز رحمه الله بشهامته وجرأته وإبائه وشممه، فلم تقع معركة من معارك الغوطة، إلا وكان يصول فيها ويجول في طليعة المجاهدين، وبقلب مملوء بالحماس القومي الوطني الشريف، ولم يحد عن مبادئه الأصيلة قيد أُنملة، ومن تلك المعارك الخالدة المشهورة في الغوطة الكبرى، كانت موقعة النبك(٦٠٩) الثانية، ويبرود(٦١٠)، وحمورة، ودير الزور.

ولمّا طوّق الفرنسيون قوات المجاهدين في طاحونة المليحة، هبّ الشهيد شوكت العائدي لإنقاذهم مع بعض إخوانه الثائرين، ولولا نجدته السريعة لهلك كثير من المجاهدين، كما أبلى أعظم البلاء في معركة كفر بطنا الرهيبة،

(٦٠٩) النبك: مدينة في هضبة القلمون، وتتبع محافظة ريف دمشق، وتتوسط المسافة بين مدينتي دمشق وحمص، وتضم دير عطية وأربع قرى «السحل، والقسطل، والمراح، والمشرفة». وتجاورها محافظة حمص من الشمال، والقطيفة ويبرود من الجنوب، وجبال لبنان الشرقية في الغرب، وتبعد عن دمشق ٨١كم.

(٦١٠) يبرود: مدينة في القلمون تتبع محافظة ريف دمشق، وتضم أربع قرى: رأس العين، رأس المعرة، ريما، الصرخة. وتحيط بها منطقة النبك على بعد ثمانية كيلومترات والقطيفة والتل. وتبعد عن دمشق ٨٩كم باتجاه الشمال. وفيها كهوف وملاجئ لإنسان ما قبل التاريخ «نياندرتال».

أثناء قيامه بالمصالحة بين الثوار.

وكان قبل حدوث معركة جباتا الخشب - التي استشهد فيها أحمد مريود - يجتمع به وبأخيه خليل مريود وبالمجاهد «أحمد البارافي»، وذلك في دار الوجيه «علي آغا زلفو» للمداولة في الوسائل الناجعة لتوسيع نطاق الثورة، ولما وقعت الكارثة بمصرع المجاهد المعروف المرحوم «أحمد الملا» ورفاقه الثلاثة عشر من مجاهدي الأكراد برصاص «أبناء عكاش»، رأى أنَّ من مصلحة الثورة إجراء المصالحة بين العشيرتين، وذلك تفاديًا من توسيع شقة الخلاف بين ثوار في خندق واحد، وأخذ الثارات بين الأطراف المتخاصمة.

تشويه المستعمرين بجثة العائدي:

استُشهد شوكت العائدي، في أحد مزارع «قطنا» في ضواحي دمشق عام ١٩٢٦م، وقد حمل المتطوعون في الجيش الفرنسي - من جماعة (محمد العصيمي) - جثة شهيدنا البطل (الذي اغتيل غدرًا) إلى (حوش النفور)، وهناك تقاسموا ملابسه وسلبوه كل ما يحمله من ليرات ذهبية.

ثم قام أحد العربان بحراسة جثته، وقال لرفاقه بأن «العائدي» قَتَلَ في إحدى المعارك اثنين من أبناء عمه من المتطوعين في الجيش الفرنسي، وما لبث أن مثّل بجثته وهو ميت دون مراعاة لحرمة الموت، حيث سلخ جلدة وجهه، وحنّطها بالملح ووضعها في محفظة جيبه، ثم وضع الجثة في مغارة، وسدّ بابها بالحجارة، ولما بلغ أهله خبر استشهاده، تقدّمت والدته إلى الجنرال «غاملان» تطلب نقل جثة ولدها فأذن لها بذلك، وبالكاد استطاع شقيقه (الدكتور أحمد منيف العائدي)(٦١١) التّحقق من جثته بعد التشويه الذي أصابها، وذلك بالتعرف على بعض العلامات في جسمه، ثم ألحد الثرى في مقبرة باب الصغير بدمشق، بالقرب من مدفن «آل الخانجي»، بجوار الصحابي الجليل ومؤذن رسول الله سيدنا بلال بن رباح الحبشي.

وبعث الجنرال الفرنسي إلى والدته بكلمات التعزية أطرى فيها بطولة الشهيد العائدي وشجاعته. «والفضل ما شهدت به الأعداء».

وقد أثبتت التحقيقات بأن «شريف المدني المغربي» المقيم في مدخل زقاق الشالاتي بقصر الحجّاج - «وهو من حي السويقة في الميدان التحتاني» - هو الذي اتصل بالسلطات الفرنسية في مركز قطنا، وأخبرهم بوجود «شوكت

(٦١١) الدكتور أحمد منيف العائدي (١٨٨٦-١٩٦٢م): من مواليد عام ١٨٨٦م، تخرّج طبيبًا من اسطنبول. انتُخب عميدًا لكلية الطب بدمشق في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي، توفي عام ١٩٦٢م. من أبنائه: الدكتور عدنان والمهندس الدكتور عثمان. وشقيقه الأكبر عبد الكريم العائدي.

العائدي» وبعض المجاهدين في «مزرعته» وقد بعث إليه الفرنسيون حملة عسكرية كبيرة، كان حصادها شهداء معركة «زاكية» الشهيرة.

وهكذا طوى الردى الشهيد «شوكت العائدي»، حيث صدر بلاغ عسكري فرنسي أشاد بمصرع العائدي، باعتباره كان معاونًا للقائد العام في الغوطة.

رحم الله القائد الكبير الشهيد «شوكت العائدي»، وتغمده بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته.



●●● وأنا أقول...

قام الإنجليز – منذ بداية الحرب العالمية الأولى – بالاتصال بالعرب المقيمين في القاهرة، بواسطة نائب ملك بريطانيا في مصر «السير هنري مكماهون»(٦١٢). وعبر مراسلات مع أمير مكة – الشريف الحسين بن علي– لمساعدة العرب في نيل استقلالهم، وإرجاع الخلافة إليهم.

- **وفي الثلاثين من كانون الثاني / يناير ١٩١٦م، بعث «مكماهون» رسالة «ضمان وتأكيد» إلى أمير مكة يؤكد فيها: (رغبة حكومة صاحب الجلالة، في استقلال البلاد العربية). ولم يمض شهر على هذا الاتفاق، حتى قام الإنجليز في آذار / مارس ١٩١٦م، بإبرام اتفاقية بينهم وبين فرنسا وروسيا، لاقتسام «تركة» الدولة العثمانية. وقد انحصرت منطقة نفوذ روسيا – حسب هذا الاتفاق – في شرق آسيا الصغرى وجنوبها ولم تشمل شيئًا من البلاد العربية وتركت لفرنسا وبريطانيا قضية اقتسام هذه «الغنيمة» فيما بينهما. ولم يتأخر الأمر طويلاً فقد اجتمع المفاوض الإنجليزي «مارك سايكس»، والمفاوض الفرنسي «جورج بيكو»، وأبرما اتفاقية – عُرفت فيما بعد – واشتُهرت باسم اتفاقية «سايكس – بيكو» في ٢٦ مايو / أيار ١٩١٦م، لاقتسام البلاد العربية.**
- **بعد اسبوعين وفي العاشر من يونيو / حزيران ١٩١٦م، أعلن شريف مكة الحسين بن علي الثورة العربية الكبرى.**
- **في أكتوبر / تشرين الأول ١٩١٧م، قامت الثورة البلشفية في روسيا وفضح الروس كل هذه «الاتفاقيات».**
- **في ٣١ تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٨م، اضطررت تركيا إلى عقد «هدنة»**

(٦١٢) مكماهون: ولد السير آرثر هنري مكماهون «ويلفظها الإنجليز ماكمان» عام ١٨٦٢م. وهو سياسي بريطاني، قام بترسيم الحدود وتخطيطها عام ١٩١٣م بين ولاية «آسام» الهندية والتيبت. عيّن أول مفوّض بريطاني في مصر عام ١٩١٤م. أجرى مراسلات باسم حكومته مع الحسين بن علي، وتوفي عام ١٩٤٩م.

مع الحلفاء بعد أن «خرجت» جميع البلاد العربية من «حوزة» الدولة العثمانية وانتقلت إلى «حوزة» الدول الغربية.

- واستيقظت أُمتنا من حلم الدولة العربية الموحدة الوردي على سكين مكماهون وهو يقطّع أوصال دولة العرب الموعودة، بـ(وعد) القوى الاستعمارية لليهود. وكان مجرد حلم كاذب أُعطي لنا كذبًا وخداعًا. بينما الوعد الحقيقي مُنح للمؤتمر الصهيوني. وقُسمت الأرض العربية بين القوى الاستعمارية المنتصرة التي أعملت فيها سكين الغزاة تقطيعًا وتقسيمًا.



الشهيد شوكت العائدي



د . أحمد منيف العائدي



تحسين باشا الفقير



آرثر هنري مكماهون

الدكتور عبد الكريم العائدي

(١٩٠٣-١٩٧٠م)

هو أحد أعمدة العلم، وحامل لواء النهضة العلمية في سورية، جمع بين حب العلم، وعشق الوطن والجهاد من أجل حرية هذا الوطن ورفعة شأنه، وقد ترك لنا إرثًا وطنيًا بدعوته إلى المحبة والتآخي والتسامح والسلام ومكارم الأخلاق ليُصبح الوطن عصيًّا على أعدائه.

إن ما قام به الدكتور عبد الكريم بن عثمان العائدي، المعروف لدى الأوساط العلمية العربية من الأعمال المجيدة، لا يقل أهمية عن شقيقه المجاهد الشهيد شوكت العائدي الذي حمل السلاح، وقاتل من أجل مبادئه والقضية القومية بكل شرف وإخلاص.

ولادته ونشأته:

ولد عبد الكريم العائدي بدمشق عام ١٩٠٣م، وكان من أبرز شباب سورية حماسًا وطنيًا، ومن جماعة «عصبة العمل القومي»، وكانت السلطات الفرنسية تراقب تحركاته الوطنية، منذ كان يتلقى دراسته الجامعية بدمشق، ولمّا اشتدت وطأة الفرنسيين بملاحقة شباب سورية الأحرار فرّ إلى عمان، وبقي مشردًا بين عمّان والحجاز بضع سنوات ثم عاد إلى دمشق، وأكمل دراسته الطبيّة في جامعتها، وكان الدكتور عبد الكريم في كل جبهة من جبهات القتال مع أخيه شوكت العائدي، حيث كان يمدّه بالمعلومات الهامة، ويرسل عن طريقه أدوات ولوازم الاسعافات الطبيّة للثوار سرًا.

تخرّج عبد الكريم العائدي من كلية الطب بدمشق عام ١٩٢٨م قسم طب الأسنان وجراحتها، ثم تولى إدارة مديرية الكلية العلمية الوطنية – المجاورة لسوق البزورية – والتي أسسها شقيقه الأكبر الدكتور أحمد منيف العائدي – وذلك من سنة ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩م حيث تمكّن خلال هذه الفترة، أن يغرس في قلوب طلابه حبّ الوطن، ومعنى الوطنية والتضحية، فترك في نفوسهم أجمل الذكريات.

ولما اشتدت ملاحقة سلطات الاحتلال الفرنسي له، اضطرّ في أواخر عام ١٩٣٩م أن ينّزح إلى عمّان، حيث بقي فيها ما يقارب الأربعة أشهر، وكانت الأردن الموئل الأمثل لأحرار البلاد العربية على اختلاف أقطارهم ومذاهبهم حيث كانوا يجدون فيها الملجأ والأمان، وكرم الضيافة.

وأخيرًا سافر الدكتور عبد الكريم العائدي إلى بغداد، حيث انضمّ إلى رفاقه من جماعة «عصبة العمل القومي». ولمّا أخذ الإنجليز بملاحقته مع إخوانه وزملائه من اللاجئين السياسيين، اضطر أن يغادر العراق .

وفي العهد الوطني عُيّن عام ١٩٤٣م، قائمقامًا لضاحية «دوما». وبعد سنتين تولى مديرية شرطة دمشق، ثم عيّن بعدها محافظًا لحوران.

ولما تولّى حسني الزعيم قيادة هرم السلطة في سورية، على أثر قيامه بانقلاب عسكري، أمر بسجن الدكتور عبد الكريم العائدي في سجن المزة. وبعد إجراء التحقيقات الدقيقة معه، تبيّن للزعيم وتأكد من نزاهة العائدي في كل أعماله الوطنية، والإخلاص في واجباته، لذلك أمر بإطلاق سراحه (بعد أن مكث شهرًا في السجن). ثم عُهد إليه بمديرية العشائر العامة، وبقي فيها ما يقارب السنتين، ثم نُقل منها إلى محافظة الفرات. ومن ثمّ تمّ تعيينه مديرًا لمكتب مقاطعة إسرائيل، في الجمهورية العربية السورية.

ونظرًا لما أظهره من غيرة ونشاط، منذ أن تولى المديرية الإقليمية لمكتب مقاطعة إسرائيل، فقد رشّحته الحكومة السورية ليكون مفوضًا عامًا لمكتب مقاطعة إسرائيل في مجلس الجامعة العربية. وكانت أعمدة الصحف العربية وصحف العالم، تتفرّد بأخبار مقاطعة الشركات العالمية على اختلاف أنواعها، التي كانت تتعامل مع الدولة المغتصبة إسرائيل(٦١٣) حيث أحكم الرجل الوطني الدكتور عبد الكريم العائدي الطوق الاقتصادي على أعداء العروبة والإسلام.

لقد حمل الدكتور عبد الكريم العائدي – كغيره من أفذاذ الأُمة – همّه الوطني، ودوره الإنساني الرائع، وعِلمه ومِبضعه. وانطلق نحو حركة التاريخ، ليعيش المحنة التي تعيشها أمته ولِيُساهم في دوره القيادي بوضع «لبِنة» في بناء جدار الوطن.

وقصارى القول: فقد كان هذا المجاهد الكبير المثل الأعلى في عقيدته الوطنية، ونشاطاته القومية، وفي نزاهته وإخلاصه في المناصب الحساسة التي تولاّها، كما امتاز بقدرته على حل المشاكل المستعصية، فلا عجب والحالة هذه أن ذكرته في عداد المجاهدين الخالدين. فالوطن يُكرّم رجاله الأفذاذ،

(٦١٣) أميركا في خدمة «إسرائيل» دائمًا فكل ما تفعله الدولة الصهيونية «مُبَرر» وكل ما ترتكبه من «مجازر» هو للدفاع عن النفس فالاستيطان وبناء الوحدات الاستيطانية، وإقامة جدار الفصل العنصري العازل، وشقّ الطرق الالتفافية، ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت، واقتلاع الأشجار، وتصفية القيادات الفلسطينية. يندرج كله من أجل تحقيق السلام في المنطقة، وحماية الأمن والاستقرار في العالم. فما أقبح وأبشع منطق وسياسة «المتصهينين» كيف سيواورن سوءاتهم؟!! ولكن بالرغم من كل شيء بالرغم من رياح الفوضى والتفكك والإرباك فإنّ سماء بلادنا لا تزال تختزن الرعود والبروق والكثير الكثير من المفاجاءات.

ويعتز بعلمائه ومفكّريه المبدعين ويزهو بهم ويُقدّر مسيرتهم الإبداعية، وهو تقدير للقيم الرفيعة، والقامات السامقة، والإبداع والخير والتسامح، ذلك لأنهم يجسّدون الوعي الثقافي لمخزون الأمة، وأحلام المجتمع، ورفض الجهالة والأميّة والضبابية وجمود الفكر.

هؤلاء الأعلام يمثّلون قضايا أمتهم، عبر أفكارهم المجسّدة للقيم الإنسانية، فكان سيدنا إبراهيم عليه السلام، «أمة» بما يحمله من قيم ومبادئ وأفكار وهم يمثلون «أمة» في القدوة الإبداعية، وتوجيه الأجيال، والتعبير عن رؤاها وآمالها وآلامها.

إنَّ تقدّم الأمم ورقيّها وحضارتها، مرهون بفكر هؤلاء وعطائهم للمجتمع فقضايا الوطن ومسيرته الحضارية نابع من عصارة أفكارهم الإبداعية لبناء فسيفساء الوطن.

أولئك هم عظماء الأمة حملوا شرف الكلمة ومشاعل التنوير، والعلم والفكر والثقافة، وقدّموا ثمرات عقولهم، وعصارة أفكارهم لبني وطنهم.

هؤلاء يعبّرون عن ضمير الأمة بجدارة وشرف، ويرصدون رؤاها المستقبلية، ويمثّلون وجدانها بامتياز.

وتكريم هؤلاء هو تكريم للأمة والوطن، ذلك لأنهم كانوا أوفياء للوطن والقيم نذروا علمهم لمحاربة القهر والاستبداد، والجهل والظلام داخل سجون المحتل أو خارجها وحملوا هموم الوطن والمواطن بكل الصدق والعفوية فكانوا المعبّرين بصدق عن آلام الأمة وآمالها، وفاءً وشرفًا وإباءً.

آمنوا أَنَّ العلم مسؤولية جسيمة ملقاة على عاتقهم، فكان بالنسبة إليهم صلاة وعبادة وقفوا أنفسهم لهذا العلم، وتبتلوا في محرابه.

والوطن يتماهى بعلمائه وأدبائه ومفكريه المتميزين الوطن بحاجة لأمثال هؤلاء في مسيرته الحضارية.

الوطن وطن الجميع وصموده نابع من وجدان هذه النُخب المتميزة تحية حب ووفاء وولاء. للوطن الذي جمعنا.

تحية حب ممزوجة بعرفان الجميل لتراب الوطن الذي يحتضن أجسادهم.

تحية للوطن الذي انطلقت منه أُولى إبداعات البشرية... تحية إكبار وإعزاز لمن «يعشقون» وطنهم، وينتمون إليه بكل الصدق والإخلاص.

فبشائر الربيع في أرض بلادي لا تتوقف.

تحية للهرم الكبير الدكتور عبد الكريم العائدي الذي رحل إلى جوار ربه عام ١٩٧٠م، بعد إصابته بجلطة دماغية وهو الطبيب النطاسي البارع، ولكنه

أمر الله، والعمر الذي انتهت لحظاته، ونحن بالله مؤمنون، وبمن سبقنا إلى رحمة الله لاحقون.



●●● وأنا أقول(٦١٤)...

ثمة مَنْ يقول إن الأميركيين مولعون كثيرًا بطرح الشِّعارات. وقد يحدث أن يطرح أحدهم شعارًا هزيلاً تافهًا فيلاقي رواجًا شديدًا، ويسيطر هذا الشِّعار على الرأي العامَ في أميركا إلى حدّ الهَوَس، ويبدو أنه كلما كان الشِّعار أكثر هزالاً كلما كانت فرصته في النجاح أكبر! فتتناقله جميع وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الصهيونية وتُروّج له على الطريقة الأميركية.

والشِّعار الذي طرحته وسائل الإعلام الأميركية في فترة التسعينات من القرن الماضي هو: «نهاية التاريخ» الذي قدّمه «فرانسيس فوكوياما» أستاذ الدراسات الدولية المتقدمة في جامعة «جون هوبكنز» وهو كاتب أميركي من أصل ياباني ومن اليمين المسيحي الصهيوني. وقد اكتسب شُهرة واسعة بعد أن أصدر في التسعينات كتابين مشهورين: «نهاية التاريخ» و«أميركا في مفترق الطُرق».

وكان جدّ «فرانسيس فوكوياما»(٦١٥) لأبيه قد هاجر من اليابان إلى

(٦١٤) نشرت لي صحيفة «الغد» هذه الكلمة تحت عنوان «على الطريقة الأميركية» في ٩ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٧م. العدد (٨٥٣).

(٦١٥) فرانسيس فوكوياما: منظِّر الليبرالية الأميركية والعلاقات الخارجية. أراد أن تحتل نظريته نهاية التاريخ الفراغ الايديولوجي في العالم بعد سقوط المعسكر الاشتراكي وتوقف الحرب الباردة وبعد أن شاخت كل النُظم ولم تعد قادرة على استيعاب التطورات المتلاحقة. وقد رأى فوكوياما أن التقدم الهائل للتكنولوجيا سيحقق انتصار الديمقراطية والعدالة والاستقرار وأن التنمية الصاعدة مرشحة لتجاوز التاريخ بعد أن انتهت الاستقطابات والتوترات. لكن الواقع غير التنظير، فالفوضى التي عمّت العالم بالاستقطاب الأوحد أوقعت العالم في فجوة هائلة بين غطرسة قوة المحتلين العسكرية الأحادية التي أعادت العالم إلى ظلامية وجحيم القرون الوسطى مع حضارة «رقمية» تكنولوجية متنامية من جهة وبين شعوب فقيرة مُعْدَمَة مسحوقة بعيدة عن التقدم والحضارة والثقافة والتاريخ أو أنها تعيش على أمجاده من جهة أخرى. تمتلك مخزونًا هائلاً من النفط في أراضيها لم تستطع استغلاله لأنها لا تمتلك تكنولوجيا استخراجه، فهيمنت وسيطرت على انتاجه القوة العسكرية الأحادية التي تتحكم بالعالم اليوم والتي حرّك النفط شريان حضارتها وأدار مصانعها وأثار جشعها، فساد قانون الغاب في العالم، وكشّر المستعمرون عن أنيابهم وعن تعطّشهم للدماء تحركهم الصهيونية العنصرية بأفكارها المدمرة، لتنشر الفوضى والاضطراب والتجزئة والتشرذم. وتعمل على تدمير البُنى التحتية للدول والمجتمعات والقيم والتراث والقوميات لتسود الصهيونية وحدها على كل شعوب الأرض. وقد بدّل فرانسيس فوكوياما مواقفه القديمة بعد التوجّه الأميركي المعادي لحقوق الإنسان. واعترف ثانية بأن الحرب التي شنتها أميركا على العراق كانت خطأ جسيمًا وتنفيذها كان سيئًا. وأنّ «قوات التحرير (الاحتلال) الأميركية» جعلت من أرض الرافدين جحيمًا لا يُطاق. وديمقراطيتنا المتوحشة أماطت اللثام عن مافيات القتل وأساليب التعذيب المتطورة في السجون والمعتقلات وعمليات الاغتصاب. وقال أن الإسلام واقع حضاري لا يمكن مقارنته بالشيوعية، وأميركا تحاول

أميركا هربًا من الحرب اليابانية الروسية عام ١٩٠٥م حتى لا يُحارب فيها. أما والده فقد وُلد في «لوس انجلوس» وأسّس مطاعم مشهورة فيها، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، وعمل مبشّرًا، ثم مدرّسًا للغة الإنجليزية. وقد هاجرت أم فرانسيس فوكوياما إلى أميركا عام ١٩٤٩م، حيث وُلد هناك عام ١٩٥٢م، وتعلّم في مدينة نيويورك في مدرسة معظم طلابها من اليهود.

انتسب فوكوياما للمحافظين الجدد وتربى في أحضانهم، ولقي منهم دعمًا كبيرًا، فما كان منه إلا أن انتصر لهم وأصبح الناطق باسمهم. وادعى أن الليبرالية الرأسمالية الأميركية وصلت منتهى التطوّر الحضاري، وأنَّ الأنظمة السياسية في العصر الأميركي بلغت أرقى مراحل الصراع السياسي الحضاري كما ادّعى أنَّ كل الأنظمة سقطت أوراقها، ولم تبقَ إلا ورقة «الديمقراطية الليبرالية» في أميركا وحدها.

لكن فوكوياما تراجع عن مساندته التدخّل الأميركي في العراق بعد أن أصابته صحوة الضمير، وتساءل في ألم وحسرة عن الحكمة التي دعت حكومته إلى شنّ تلك الحروب التي تفوح منها رائحة النفط، مع أن الكثيرين كانوا يؤمنون بقناعة أن التقديرات التي أذيعت قبل الحرب عن ترسانة العراق من أسلحة الدمار الشامل ما هي إلا عملية تزوير متعمدة لواقع افتراضي وهمي، كما اعترف بأن التصرّف الأحادي، وتغيير الأنظمة قسرًا اللذين اتبعتهما الإدارة الأميركية قد ألقى بظلاله وانعكس سلبًا على الشعب الأميركي، بعد تعاظم الكراهية الشديدة لأميركا في العالم العربي والإسلامي.

لقد تراجع فوكوياما عن تأييد حرب حكومته على العراق، بعدما رأى الأشلاء تتناثر، وشلالات الدماء تتدفق، والمقاومة ضد الجيش الأميركي تزداد حدّة باعتباره قوة «احتلال» وليس جيش «تحرير» ، ذلك لأن أعداد التوابيت المغلقة لجنود «المارينز» العائدة إلى أميركا تزداد.

أما الديمقراطية التي بشّرت بها الإدارة الأميركية فقد تراجعت، وأموال الأميركيين تبددت، والرفاهية التي وعدت بها الشعب الأميركي تبخرت، وميزان العجز والديون قد أثقلت كاهل المواطن هناك، والبطالة قد ازدادت، هذا الوضع المأساوي في العالم، كان بفعل السياسة الرعناء للإدارة الأميركية.

بعد كل هذا وبعد أن سطعت شمس الحقيقة هل تدبّ الصحوة في ضمائر عقلاء أميركا، فيوقفون المهووسين بصهيونيتهم عند حدّهم، وينقذون بلدهم

تصنيع خصم موهوم وتوريم الخطر الأُصولي وتحميلة كل الكوارث والمآسي لإيهام الآخرين بأَن الديمقراطية هي الفردوس البدِّيل. وقد آن الأوان للتخلي عن نشر الديمقراطية العدوانية في الشرق الأوسط بالقوة.

من حالة الضياع والتشتت، فتعود الولايات المتحدة لتقف إلى جانب الشعوب المقهورة التي تطالب بالحق والعدل، وتتحقق بنود ولسون حتى تواصل البشرية مسيرتها الحضارية بكل ثقة واطمئنان؟!

إنَّ الكراهية وحدها كانت هي المنتج الوحيد الذي أفرزته الحرب الأميركية – الإسرائيلية فأميركا هي الشريك الفعلي للصهيونية في حروبها، وهي على قدم المساواة في الكراهية مع الدولة المغتصبة، ولا تزال صُوَر الموت الزؤام والدمار والخراب وجثث الأطفال المشوّهةَ في «قانا» وأخلاق العسكريين العنصريين في «دولة الجيش» الأكثر عنصرية في العالم ماثلة في ضمير كل عربي ومسلم.

وإنَّ كل قواميس العالم تعجز عن وصف الجرائم والمجازر الدموية والوحشية والهَمجية التي يرتكبها الكيان الصهيوني، في مشاهد تقشعر لها الأبدان، وتدمي القلب والروح، وتوجع الضمير والوجدان. ولا يستطيع أحد أن يتحمّل صُوَر الوحشية والهمجية لقوات الغزو الصهيونية المُثقلة بالحقد المخزون، وقد عُرفت إسرائيل بوحشيتها وحقدها وعنصريتها عبر تاريخها الطويل في هذا الزمن الرديء. وشعبنا الفلسطيني يدفع الضريبة الباهظة من دماء أبنائه، فهو بين خيارين اثنين لا ثالث لهما: التهجير أو الموت. فيما الضمير الدولي متبلد القلب فاقد الإحساس. والموت يحصد كل شيء في الطرقات وتحت الأنقاض في قطاع غزة وبلاد الرافدين ...!!

ومع كل ما يحدث يعيش عالمنا العربي حالة انعدام الوزنٍ ونحن نتقافز أمام الآخرين كالأرانب، أو نقبع في جحورنا نائمين، لا نعلم شيئًا عن أعدائنا، الذين يعلمونٍ عنا في المقابل كل شيء. ماذا نأكل؟ وماذا نشرب؟ وبماذا نفكّر؟! بل ونستورد نُظمَهم بكل ما تحمله من شراسة وظلم وغطرسة، ونتسوّل قِيَمهم ونشرب مشروباتهم، ونتباهى بامتلاك هويتهم ثم نقتبس ثقافتهم ونرتدي أسمالهم. ونتماهى مع أنديتهم وحضارتهم المادية وهم يحاولونٍ جهدهم فرض املاءاتهم الفكرية والتربوية والسياسية للوصول إلى المواطن المُدجّن المتخاذل مع تدمير الوعي الوطني والثقافة القومية، وزرع مبادئ اليأس والقنوط والذّل، وتحويل قوتنا البشرية إلى قوة معطلة مؤدلجة مشوّهة وصولاً إلى عالم معولم، فيه الليبرالية تُشير إلى النخبوية والغطرسة، حتى أن زعيم الليبرالية «هوفاستاتر» الذي قاد الحركة الليبرالية وتوفي بسبب اللوكيميا وهو في الرابعة والخمسين من عمره، كان يمقت القيم التي يشترك فيها الأميركيون العاديون، مع أنَّ الليبرالية كانت قادرةً في يوم من أيام تألقها، على تحقيق العدالة الاجتماعية والدفاع عن الضعفاء وحقُوق الأقليات.

ومصاصو دماء العالم لا يعرفون إلا لغة واحدةً أُحادية اللون والتبعية والهيمنة. لغة العنف والإرهاب والشر والقتل والتدمير. يصمون كل مَنْ يعترض على همجيتهم وعنصريتهم ووحشيتهم بـ«معاداة السامية» ويواصلون عمليات الاغتيالات والتصفيات الجسدية للفلسطينيين، ما يفضح عنصرية هذا الكيان الغاصب الذي يقوم على الإرهاب المنظّم .

لقد علّموا أولادهم وأجيالهم روح الغدر والانتقام والجريمة، وزرعوا في نفوسهم الحقد والكراهية. وطلبوا من أطفالهم أن يكتبوا على القنابل: «هدية إلى أطفال لبنان».

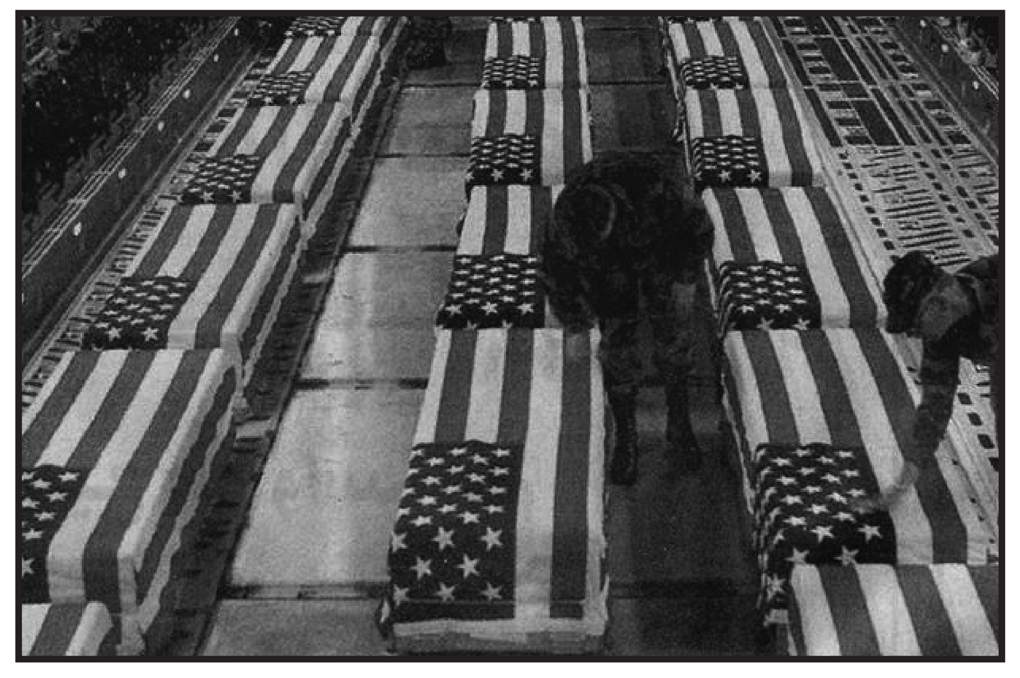
لكن «دولة الجيش» الصهيوني سقطت بالضربة القاضية في الجولة السادسة في «حَلَبَة» المقاومة اللبنانية في حرب يوليو/تموز ٢٠٠٦م.



الدكتور عبد الكريم العائدي



المفكر الامريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما ونظرية (نهاية التاريخ)



جثامين جنود أميركا العائدة من العراق

الدكتور أمين رويحة
(١٩٠١-١٩٥٧م)

علّمنا آباؤنا وأجدادنا الغرّ الميامين أنَّ حبَّ الوطن والدفاع عنه، ليس حكرًا على الثوّار وحدهم. بل بإمكان كل مواطنة ومواطن الدفاع عن وطنه، من «الموقع» الذي يعمل فيه فلا يخون ولا يخاتل ولا يغش ولا يرتشي. ولا يستهيننّ أحد أبدًا بما يقدّمه لوطنه من خدمات فحمل الرسالة مسؤولية جسيمة. فالطبيب في عيادته، والعالِم في مختبره، والعامل في مصنعه، والمعلم في مدرسته، والواعظ من فوق منبره، والتلميذ وراء مقعده، والجندي خلف بندقيته، والقائد في كتيبته، والمهندس في موقعه، والشاعر في بلاغته، والأديب في قلمه، والصحفي في صدق كلمته، والقاضي في انتزاع الحق وعدله، والتاجر في معاملته وأمانته، والموظف في خدمة أفراد مجتمعه.

والدكتور أمين رويحة طبيب استخدم علمه ووظّفه من أجل وطنه وثوار وطنه.

لقد علّمنا آباؤنا وأجدادنا أن حب الوطن وإصلاح المجتمع يأتي من زرع شجرة على قارعة الطريق والمحافظة على نظافة بيت أو حديقة أو شارع أو مدرسة أو بيت خالٍ من الأوساخ أو شارع خالٍ من القاذورات.

وإشراقة الوطن تَجدها في ابتسامة فقيرٍ تنقذه، أو طفل جائع تطعمه، أو يتيم فَقَد مُعيله.

وما أكثر مآسي المجتمع في عالم فَقَد إنسانيته...!

نوطئة: حينما التحقتُ بالثورة السورية الكبرى التي نشبت عام ١٩٢٥م، التقيت بطبيب المجاهدين الثائر الدكتور أمين رويحة في قَرية (الإفتَرِيْس) إحدى قرى الغوطة المشهورة بجهادها، وكان قد نزل ضيفًا على أبناء عمومتي «سليمان وشفيق ووجيه الخانجي». ثم أصبحت القرية فيما بعد مركزًا لعصابة «أبي عبده ديب الشيخ»(٦١٦) وأخيه الشيخ إبراهيم الشيخ،

(٦١٦) أبو عبده ديب الشيخ: زعيم عصابة حيّ العمارة. ولد في حيّ «العمارة» بدمشق عام ١٨٧٥م.وقد حدث أن اقتحم المتطوعة في الجيش الفرنسي من «السنغال» حمامًا للنساء في حي العمارة، فهجم عليهم مع رفاقه محطّمًا رؤوسهم بعصاه. والتحق به مئة وخمسون ثائرًا خرج بهم إلى الغوطة، كما التحق به ثوار آل الخانجي وغيرهم من الثوار، حتى أصبح عدد أفراد عصابته أربعمئة ثائر. كما اشترك في معارك الغوطة، ووقف في وجه نوري الشعلان ورجاله. كما اشترك في معارك يبرودُ، وقصير حمص، وهدم جسر الحارون، وتعاون مع عصابة آل رعد في القصير، ولقي منهم كل تعاون وإخلاص. أُصيب في معركة «عين ترما»، وكان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر

وعصابتهم المؤلفة من شباب حي العمارة والقيمرية والشاغور، تلك العصابة التي أبلت في الثورة السورية البلاء الحسن.

وكان الدكتور أمين رويحة وقتئذ يعالج أقربائي الأشقاء الثلاثة، حيث أصيب المجاهد السيد سليمان الخانجي (المعروف بأبي شاكر) بجرح بليغ في يده، كما جرح أخوه «شفيق» في معركة الأشعري في عنقه، وأما شقيقه «وجيه الخانجي» فكان قد أصيب في عينه اليسرى وصدره ويديه، ثم فقد عينه ووضع له الدكتور أمين رويحة مكانها عينًا زجاجية. وكان من جملة من عالج أبناء عمومتي أيضًا الدكتور حمدي سكر الذي دأب على معالجة الثوار، والدكتور توفيق القصيباتي الذي رافق جرحى المجاهدين إلى حي الأكراد. وكانت إصابة ابن عمي السيد «وجيه» في تلك المعركة التي اشترك فيها في «ساحة الخضر» عند مقبرة المسيحيين بدمشق. كما اشترك بمعالجتهم الدكتور مصطفى فخري وذلك حينما نُقل الجرحى إلى حي الأكراد لإتمام المعالجة التي بدأها الدكتور أمين رويحة لمجاهدي آل الخانجي.

علمًا بأن الدكتور أمين رويحة، كان قد اشترك في جميع معارك الغوطة، منذ أن بدأت وحتى توقفت. وهذه نبذة موجزة عن تاريخ حياة الدكتور رويحة، الحافلة بالتضحية والفداء والأمجاد.

ولادته ونشأته:

ولد الدكتور أمين بن الحاج محمود رويحة في مدينة اللاذقية عام ١٩٠١م، وهو من أسرة حموية الأصل ، وقد نزح جده الأكبر «يحيى رويحة» من مدينة حماة إلى مدينة اللاذقية، حيث استقر واستوطن فيها.

وقد درس مرحلة القسم الابتدائي والاعدادي باللغة التركية، ثم تلقى علومه في المرحلة الثانوية باللغة الفرنسية في مدرسة الفرير ثم السلطاني بدمشق. ومنها سافر إلى ألمانيا عام ١٩١٥م، حيث أكمل دراسته الجامعية في كلية الطب بألمانيا، وتخرج من جامعة برلين بتفوق. وبقي هناك يتدرب أربع سنوات في المستشفيات الألمانية على أيدي أمهر الجراحين، حيث تخصّص في طب الجراحة.

ولمّا أراد العودة لبلاده عام ١٩٢٤م، لم يسمح له الفرنسيون بدخول سورية فاضطر أن يسافر إلى مصر وافتتح عيادة له في الإسكندرية، وبعد بضعة أشهر من إقامته في مصر نشِبت الثورة في جبل العرب عام ١٩٢٥م، فأغلق عيادته

يُشرف على علاجه. نهب الفرنسيون داره وأحرقوها، فلم يفت ذلك في عضده، فكان النموذج الأمثل للثوار. طواه الموت في كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٩م. وهكذا كان من الرجال الذين صنعوا الاستقلال.

بعد أن نقل منها ما يحتاجه من الأدوات الجراحية لمعالجة جرحى المجاهدين في سورية، حيث قام بواجبه الإنساني في جبهات القتال، إلى جانب اشتراكه في ميادين الجهاد.

وبعد اشتراكه بمعارك الغوطة جميعها، عاد إلى مصر في أواخر عام ١٩٢٧م بعد أن توقفت الثورة السورية. بيد أنه لم يتمكن من استئناف عمله الإنساني كطبيب لعدم توفر المال اللازم لفتح عيادة خاصة، مما اضطره إلى قبول وظيفة (رئيس أطباء مستشفى الرشيد) في مصر. وظل هنالك حتى صادف أن كان الملك فيصل بن الحسين في زيارة لمصر وهو في طريقه إلى أوروبا، فطلب من الدكتور أمين رويحة أن يسافر معه إلى العراق لحاجته إلى خدماته، فلبّى نداء الواجب الوطني، وترك خدمته في المستشفى بمصر وسافر إلى بغداد، حيث تسلّم هناك مديرية الصحة العسكرية، وفي الوقت ذاته ساهم في الثورات التي نشِبت في فلسطين، إذ كان يؤازرها بجمع الأموال والسلاح والأدوات الطبية، حتى أصبح بيته مستودعًا للسلاح والذخيرة.
كما ساهم الدكتور أمين رويحة في كثير من القضايا العربية، مما حمل حكومة (نوري السعيد)(٦١٧) أن تضعه تحت الإقامة الجبرية مدة طويلة، مما اضطره في أوائل عام ١٩٤٠م إلى مغادرة العراق، حيث استقلّ طائرة خاصة مع عائلته، بدعوى معالجة عين ولده «فيصل» في مصر. ولكن نوري السعيد أخبر أسياده الإنكليز بسفره ودلهم على الطائرة التي أقلّته يومئذ، مما دفع الإنكليز إلى إجبارها على الهبوط في مطار يافا في فلسطين حيث تمَّ اعتقاله وسجنه في سجن مدينة (عكا)، ثم أرسلوه إلى المنفى في (روديسيا)، حيث أقام هنالك حتى إعلان الاستقلال في سورية عام ١٩٤٦م.
ولما أفرج عنه عاد إلى وطنه سورية، ولكنه لم يلبث فيها سوى بضعة أشهر حتى التحق بجيش الإنقاذ، الذي خاض معارك التحرير في فلسطين سنة ١٩٤٨م، فقام هنالك بواجبه الإنساني النبيل.

ومن أبرز أعمال الدكتور أمين رويحة التي قام بها في إبان معركة (ترشيحا) في فلسطين، أن اليهود لمّا طوقوا المجاهدين من كل الجهات في المعركة، كان المستشفى الذي أسسه بالقرب من (ترشيحا) مليئًا بالجرحى العرب، ولولا

(٦١٧) نوري السعيد (١٨٨٨-١٩٥٨م): سياسي عراقي شارك في مطلع حياته في الثورة العربية على الأتراك، ودخل مع جيش فيصل إلى دمشق، وتولى رئاسة الوزارة في العراق أربع عشرة مرة. عُرف بموالاته للإنجليز وبعدائه الشديد للمعسكر الشيوعي. قتل في ١٤ يوليو / تموز ١٩٥٨م في الثورة التي أطاحت بالنظام الملكي.

عنايته بالمجاهدين الجرحى وتغطيته عليهم، لوقعوا أسرى بيد العدو، أو ربما كان العدو قد أبادهم عن بكرة أبيهم..! لقد استطاع الدكتور أمين رويحة والمعارك دائرة على أشدّها، أن ينقل أولئك الجرحى إلى مستشفى (صور) وبذلك أنقذ حياتهم من موت محقق.

وبعد عودته إلى سورية ببضعة أشهر، حدث في دمشق الانقلاب الذي قام به (حسني الزعيم)، وكان الجيش السوري قد تزوّد بالأسلحة، وطالب لبنان أن يعيد للبلاد السورية الأقضية الأربعة التي اقتطعها المغتصبون من سورية، أبان الحكم الفرنسي وهي: (حاصبيا وراشيا ومرجعيون وبعلبك)، لكن بعد إعدام حسني الزعيم حاول خلفه (سامي الحناوي) ضمّ سورية إلى العراق، إلا أنَّ الدكتور أمين رويحة قاوم هذه الفكرة ،لأن المملكة العراقية كانت مرتبطة بمعاهدات استعمارية مع الإنكليز، وخاضعة لحكم نوري السعيد الذي تآمر على اغتيال الملك غازي بن فيصل الأول، بواسطة مرافقه الخاص في السيارة الملكية التي كان رحمه الله يقودها بنفسه حيث أطلق عليه المرافق المأجور، رصاصة من مسدسه أصابت رأس الملك غازيٍ من الخلف، فاصطدمت السيارة بعمود كهربائي حيث قضى الملك نحبه مأسوفًا على شبابه.

وكان الدكتور رويحة قد اتفق مع أديب الشيشكلي - الذي قام بالانقلاب على الحناوي وأغتاله - على إرجاع الرئيس شكري القوتلي. ولكن الشيشكلي تنكّر لهذا الاتفاق بعد أن استتب له الأمر، واتهم الدكتور أمين رويحة بالتآمر على إزاحته من السلطة، فاعتُقل وحوكم من قِبل أزلام الشيشكلي، وكاد يدفع حياته ثمنًا لأهدافه النبيلة، وتحت الضغطِ الشعبي من أبناءِ المحافظات السورية، والحكومات العربية، اضطر الشيشكلي إلى إطلاق سراحه، وعندئذ غادر سورية، حيث توجّه إلى المملكة العربية السعودية، وتولّى فيها إدارة صحة الجيش. ومن أهمِ الأعمال التي قام بها هنالك تأسيسه أضخم وأحدث مستشفى، حيثُ لم يكلّف الحكومة السعودية سوى ربع تكاليف المستشفى الذي كان قد أُقيم في جدّة.

لقد تميز الدكتور أمين رويحة بصراحته المعهودة، خاصة أثناء قيامه بالواجب، فكان يمنع المرضين والمستخدمين من أخذ شيء من اللوازم الطبّية من المستشفى، كالقطن وأربطة الشاش والأدوية وغيرها، ولما أخذ يلاحق كل مَنْ كان يتلاعب أو يتغيب أثناء الدوام الرسمي، أو يتأخر عن القيام بواجباته، كان يصطدم في كل مرة بالذين نصّبوا أنفسهم حماة لهؤلاء

المخالفين ويبالغون بالعطف عليهم، مما اضطره لتقديم استقالته، ومغادرة أراضي المملكة والعودة إلى لبنان، حيث اشترى مزرعة في قرية (حمانا)، أعدّها على الطراز الحديث، كما بنى فيها دارًا متواضعة لسكناه مع عائلته وولديه فيصل ووليد وأخرج كتابه الطبي « التداوي بالأعشاب».

ومن الحق أن يلقّب هذا المجاهد الفذّ (بذي السلاحين)، حيث كان يحمل المبضع الجراحي في يده اليمنى، وسلاح البندقية في يده اليسرى، ويخوض المعارك ببسالة نادرة.

واذكر مرة أنه كان في طليعة المجاهدين في الغوطة، ولما رأى مقدمة الجند الفرنسي متجهة نحو مراكز المجاهدين، راح يطلق نيران بندقيته عليهم، وذلك لعدم خبرته بالشؤون العسكرية، وقد لامه القائد فوزي القاوقجي على تسرّعه حيث كشف للعدو مواقع المجاهدين، فأخذ الفرنسيون يحاولون الالتفاف على الثوار وتطويقهم، مما اضطر القائد فوزي القاوقجي أن يسرع بالانسحاب إلى مرتفعات النبك ويبرود، وإيقاع العدو بالكمائن للافلات من التطويق. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعته، والمجازفة بحياته، غير مبال بما يتعرّض له من المخاطر. ثم نرى كيف فادى الدكتور أمين رويحة بروحه في سبيل إنقاذ الجرحى، وقيامه بمعالجتهم بنقلهم من مستشفى (ترشيحا) الذي أسّسه وقام بنفسه على شؤون الجرحى بنقلهم إلى مستشفى (صور)، حيث كانت عاطفته الإنسانية، ونبل مشاعره الوجدانية بلسمًا لجراح هؤلاء المجاهدين الذين عالجهم ونالوا الشفاء على يديه، ومن ثم غادروا بعدها إلى ميادين الجهاد.

وقد توثقت عرى صداقتي مع الدكتور أمين رويحة، منذ التقينا في قرية الإفْتْرِيْس(٦١٨) عندما كان يعالج أبناء عمومتي. ولما تحدثت للدكتور الشهبَندر في السويداء عنه قال لي بالحرف الواحد: «إنه يتوسم فيه الخير والنجاح. وبعد بضع سنوات سيكون أشهر جرّاح في الشرق العربي».

فلا عجب أن خلّدت أعماله مع المجاهدين الخالدين، وستكون سيرته المملوءة بالتضحيات نبراسًا للأجيال الناهضة، حيث يقتدي بها في ميادين البطولة، والمبادئ الوطنية المثلى إذ كان أول من لبى نداء الجهاد، وآخر من

(٦١٨) الإفَتْرِيْس: قرية صغيرة تقع في الجهة الشرقية من مدينة دمشق، وتبعد عنها سبعة كيلومترات. وتتبع ناحية «كفر بطِنا» في الغوطة الشرقية، وتحيط بها حمورية وسقبا. يمر منها نهر الداعياني أحد فروع نهر بردى. وقيل أن الكلمة «إفتريس» محرّفة من «فاراتريس» - أي ضارب الأعداء ومبيدهم، وهو اسم من أسماء المشتري.

انسحب من معارك الغوطة والشمال، ذودًا عن حياض الوطن، لجدير أن نسجّل أعماله في سجلات الخلود.



●●● وأنا أقول(٦١٩)...

في مواجهة قوى الظلم والعدوان، وفي زمن الحداثة والحقب الاستعمارية المتطورة، وعبر مناورات متعددة في حجمها ونوعيتها، وفي حملات إعلامية مبرمجة – يجري ضخّها عبر وسائل الإعلام – وأساليب إرهابية موسومة بخاتم الصهيونية، والآلة الحربية المدمرة، وتحت ضغوط سياسية واقتصادية ونفسية متنوعة، تسعى الإدارة المتصهينة، إلى إعادة تركيب المنطقة، بإشاعة الفوضى الهدامة العارمة.

وتشتد الهجمة الاستعمارية الشرسة، وتتعاظم الأخطار المحدقة بالوطن العربي، وإعادة توزيعه دولاً متناثرة متنافسة محتربة، وتفتيته وتحويله إلى كيانات طائفية ومذهبية وقبليّة هزيلة، والتسليم لـ«إسرائيل» كقوة إمبريالية، لتُحكم قبضتها على أمة العرب، لتجري الإبادة الجماعية للعربٍ، في محارق «الهولوكست»(٦٢٠) الإسرائيلية في غزة بعد أن ارتدى العالم البزة الصهيونية، خوفًا من السيف المُسلط على رقابهم واتهامهم بمعاداة السامية.

وتنشغل أمة العرب، في مقاومة الغزاة المحتلين تجّار الدماء ووحوش الغابة - وثقافتهم في نشر الحروب وتمزيق الصف العربي، وتحطيم معنويات أمة

---

(٦١٩) نشرت لي صحيفة «الغد» هذه الكلمة تحت عنوان «الإرهاب المتفجر» في ٢ شباط /فبراير ٢٠٠٧م العدد رقم (٩٠٥).

(٦٢٠) الهولوكست: محرقة تخييلية واسطورة من أساطير إرهاب الفكر الصهيوني، المسلط على رقاب شعوب العالم والتي أدت إلى إقامة إسرائيل ووضعها فوق القانون الدولي والأمم المتحدة، وتزعم الحركة الصهيونية إن «محرقة» جرت لليهود على الأراضي البولونية، في منطقة «أشوفيتز» قامت بها النازية، وحصدت آلاف الأرواح من اليهود. وقد أطلقت الصهيونية اسم «المحرقة» أي الهولوكست انطلاقًا من أحد الطقوس الدينية التي كان اليهود يقدمون بموجبها الضحايا بحرقهم وهم أحياء. وراح الصهاينة يبتزون الأمم المتحدة، للحصول على مكاسب سياسية ومادية، حتى فرضت - بإجماع أعضائها - اليوم السابع والعشرين من كانون الثاني من كل عام، يومًا عالميًا لذكرى «الهولوكست» - مقتصرًا على الضحايا اليهود فقط دون سائر الأمم - لتتحوّل مسألة معاداة السامية وأساطير المحرقة النازِية إلى جزء من الذاكرة الجماعية لشعوب العالم، وأداة ضغط تراقب الأمم المتحدة «التي يسيطر عليها القطب الأحادي» التزام أعضائها به، ومحاسبة كل من يتهاون بهذا الالتزام. ولم تتعلم الصهيونية من إحياء ذكرى الهولوكست ولم تتعظ وتأخذ الدروس والعِبر لمنع تكرارها لتسويغ ارتكابها ما هو أسوأ منها تجاه الشعب الفلسطيني.

وما يثير السخرية، ما يجري في المحافل الدولية، والخلل الذي تتعرض له العدالة الدولية، من تكريم للعنصرية الصهيونية، عن جرائم أصبحت في عمق التاريخ، فيما يُصاب «المجتمع الدولي» بالعمى والصمم، أمام الجرائم الإسرائيلية إبّان اجتياحهم المدن الفلسطينية.

العرب، وكسر روح التحدّي والصمود والانتماء.

وأتساءل هل يمكن للعرب الاستمرار كأُمة، وسط هذه العاصفة الهوجاء العاتية، التي تستهدف وجودهم وتاريخهم وهويتهم، ووسط هذا التخلّف والجهل والظلامية، ليكون مسوّغًا «للحجر عليهم» ووضع اليد على ثرواتهم، وتمزيقهم بعد أن تمّ تمزيق أفكارهم...!!

والعدوانية صفة مزروعة في الكيان الصهيوني أصلاً، مبنية على الإيديولوجيّة التلمودية التي تدعو إلى العنف والقتل ومُلازمة لكل الحكومات الصهيونية، حتى الشارع الصهيوني بأكثريته يتبنى الخطاب العدواني، والمجتمع الصهيوني يبدو اليوم أكثر تطرفًا ويمينية، وهو لم ينضج بعد لتقبل السلام، ولا يزال يُظهر أن لغة القوة والحروب وسفك الدماء التي لا يتقن غيرها هي وحدها التي توفر له الأمن والأمان.

لكن هذا المجتمع الذي ترعرع على الإرهاب لم يستوعب على ما يبدو الدرس الأخير للمقاومة الوطنية وصورايخها التي طالت العمق في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ولا يزال الحكّام الصهاينة الذين يعيشون على أمجاد انتصارات تعشش في أدمغتهم يرفضون الحوار مع الفلسطينيين الذين اغتصبواً أرضهم وطردوهم من مدنهم وقراهم وديارهم ويُلغي هؤلاء الحكام كل معاهدات السلام.

ماذا فعل الإسرائيليون منذ اتفاقات أُوسلو؟ هل سمحوا للفلسطينيين بإقامة دولتهم؟ كل ما برع به الإسرائيليون هو أعمال إجرامية وتدمير وقتل وعربدة، يريدون تدمير كل ما اختزنته الذاكرة الفلسطينية من انتماء أو مشاعر وطنية، وإعادة صياغتها وتنميطها بأساليب صهيونية شيطانية، وترسيخ ثقافة الاستسلام لتكون سيفًا مسلطا على الرقاب. لقد عجزت آلة الحرب الإسرائيلية منذ انتفاضة الأقصى الأولى وحتى اليوم، عن تحقيق أهدافها العسكرية بسبب الصمود الأسطوري للمقاومة، ومقاومة المحتل تجيزها الشرائع الدولية والسماوية كافة، إذ تمنح الشعوب حق مقاومة الغزاة!

لقد كانت نتائج حرب إسرائيل مع المقاومة كارثية بالنسبة إلى الجيش الإسرائيلي. فبعد حرب مع الكيان الصهيوني استمرت ثلاثة وثلاثين يومًا، حطمت المقاومة اللبنانيّة وأسقطت كل النظريات والمفاهيم الحربية القتالية التي اعتمدها ونفذها الجيش الصهيوني على مختلف الجبهات العربية، كما سقطت النظرية الأمنية الإسرائيلية ومفاهيمها، والاستراتيجية العسكرية والسياسية التي اعتمدها الجيش الإسرائيلي على مدى عقود، وفوق ذلك

فشلت ثقافة الحرب الإسرائيلية حينما كان يتم حصار الجيوش العربية والقضاء عليها وإبادتها مع دباباتها ومدرعاتها ومدفعياتها وراداراتها بواسطة سلاح الجو الذي كان أداة الإخضاع للجيوش العربية.

كل هذا يطرح التساؤلات حول وجود واستمرار إسرائيل، كما يطرح حقيقة أخرى تتمثل في أن المقاومة هي السلاح الوحيد لإخراج المحتل المغتصب فكلما ازداد العدوان ازدادت المقاومة والعمليات الاستشهادية ضد قوات الاحتلال الصهيوني.

والإسلام ليس دينًا فاشيًا عدائيًا عنيفًا يريد إبادة الناس كما يصوّره المهووسون بصهيونيتهم بل فرض الجهاد دفاعًا عن الوطن والعقيدة [وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] [البقرة: ١٩٠].

والشعوب العَربية والإسلامية تقفُ مع «المقاومة» وهي ترى يوميًا على شاشات التلفاز ممارسات القهر والظلم والاستلاب والقتل اليومي في فلسطين والعراق وتدمير لبنان واحتلال أفغانستان وقتل شعوبها ومحاولات القفز إلى السودان لاحتلال منابع النفط في إقليم «دارفور».

وثقافة المقاومة تتمثّل في العزة والكرامة وحب الشهادة والشهداء الذين سالت دماؤهم الزكية الطاهرة لتروي أرض الوطن، والصمود الأسطوري للمقاومة بشكل عام أحدث نقلة نوعية أمام أقوى وأقذر الحروب العدوانية التي استهدفت بآلة الحرب الإسرائيلية المتطورة المدنيين والبنى التحتية، واستخدمت مختلف أنواع الأسلحة والذخائر المحرمة دوليًا والقنابل العنقودية بهدف القضاء على المقاومة وتركيعها وتفكيكها. لقد كان لنصر المقاومة اللبنانية المذهل الأثر المدوّي في إغلاق كثير من القنوات العدوانية والمخططات الاستعمارية.

كما أَحْيَت تضحيات المقاومة وانتصاراتها آمال الجماهير العربية والإسلامية في جميع أصقاع المعمورة بإمكانية تحقيق النصر على إسرائيل وآلتها الحربية الأميركية وهزمها ودحرها عسكريًا بعد تعميم ثقافة المقاومة. كما أدّى نجاح المقاومة إلى إرباك وإخفاق عسكري مما أصاب سمعة الجيش الذي لا يُقهر في الصميم. كما اَستطاعتً المقاومة أن تنقل الحرب إلى داخل العمق الإسرائيلي فشعر الصهاينة بكوارث الحرب، حيث كان الصراع في السابق يدور خارج الأرض المحتلة مما أفقد الأمن الإسرائيلي أحد ركائزه، وأفقد الجدار العنصري العازل نظرية الأمن الإسرائيلي محتواها مما أفرز حقيقة هشاشة مجتمعاتهم وجيشهم.

لقد استنفذ العسكريون الإسرائيليون كل الوسائل والأساليب الميدانية في

مواجهة الشعب الفلسطيني، ولم يعد في جعبة الساسة ما يفعلونه بعد تخبط الجيش الإسرائيلي وإخفاقاته المتكررة في منع وصول المقاومين وصواريخهم إلى داخل الكيان الصهيوني.

وفي الزمن الأميركي الرديء وُلد عصر المقاومة وتكرّس خيارًا قوميًا للأمة، لقد وُلد مشروع ثقافة المقاومة من رحم الدمار والخراب الذي خلّفه الإرهاب الإسرائيلي في فلسطين ولبنان والعراق.

ولن تتوقف المقاومة فثقافة المقاومة متأصلة في وجدان كل عربي وكل مواطن يتوق إلى قتال الغزاة المحتلين. سنقاتل الغزاة المحتلين فإن استُشهدت سيستلم الراية من بعدي ولدي فإن استُشهد فسيحمل الراية من بعده حفيدي.

تلك هي مهمة الأجيال العربية القادمة، وعندها سيضطر الصهاينة تحت ضغط المقاومين الأشداء التسليم للفلسطينيين بقيام دولة لهم قابلة للحياة والاستمرار، وإلا فإن ألسنة النيران سوف تحرق المنطقة بأكملها، حيث يصعب بعد ذلك إطفاء الحريق.



الدكتور أمين رويحة



نوري السعيد



د. أمين رويحة وفوزي القاوقجي



ابو عبدو ديب الشيخ في وسط الثوار وعن يساره زعيم ثوار حمص نظير النشيواتي

المجاهد الشاعر الأديب

الدكتور خالد الخطيب

(١٨٩٨-١٩٣٣م)

قرأت مجدك في صدري وفي الكتب　　　شـآم ما المجد أنتِ المجـد لم يغب

الدكتور خالد الخطيب من أبرز شباب الرعيل الأول الناهض المجالد، ومن الرجال المجاهدين الخالدين الذين تعرّفت عليهم في أوائل العهد الفيصلي، إذ كان عضوًا بارزًا فعّالاً بين أعضاء النادي العربي في دمشق الفيحاء، يلتهب حماسًا وطنيًا.

وكان النادي العربي مركزًا لتجمّع القوى الوطنية، وإعدادها لتحقيق الوحدة الوطنية، ومن ثمَّ العمل على قيام الدولة العربية الواحدة، وتحقيق الاستقلال، وكشف خطر الصهيونية وشعارهم الذي يرددونه:

إنَّـا علـى رغـم الزمـن　　　نحيـا لإسـعاد الوطـن
وَسـلاحنا يـوم المحـن　　　عـزم وإيمـان ودم

وكان الدكتور خالد الخطيب رحمه الله طويل القامة، جميل الطلعة، جريئًا بمواقفه السياسية، أديبًا وخطيبًا وشاعرًا - وله ديوان شعر مطبوع – ضمّنه شعره الثوري الذي يكره الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه، كما كان يقود المظاهرات الصاخبة التي تندد بالإنذار الذي وجّهه الجنرال غورو للحكومة الفيصلية، بشأن وجوب تسريح الجيش السوري، وتسليم قادة الثورة من رؤساء المجاهدين، الذين كانوا يهاجمون الجيش الفرنسي في حاصبيا وراشيا ومرجعيون ومنطقة البقاع لمحاكمتهم - تلك الأقضية التي اقتطعها الفرنسيون من سورية - وقبول المستشارين الفرنسيين في دوائر الحكومة، وربط العملة السورية بالفرنك الفرنسي، وتسليم خط «رياق - حلب»، بقصد نقل الجيش الفرنسي عبر الأراضي السورية، لمحاربة الأتراك في كلس وعنتاب وغيرها، إلى آخر ما هنالك من الشروط التعجيزية والقاسية، التي قبلتها الحكومة العربية وقتئذ، ورفضها الشعب السوري بأجمعه وقاومها بكل إمكانياته، حتى انتهت الأمور إلى سقوط سورية بيد الفرنسيين بعد معركة ميسلون كما هو معروف.

كان الدكتور خالد الخطيب خطيبًا مصقعًا إذا خطب بصوته الجهوري ومنطقه الحماسي الوطني هزّ المنابر، وألهب المشاعر، في بيانه الساحر. كيف لا؟ وهو الأديب الشاعر، الذي يتدفق أدبًا ورقة تدفق البحر الزاخر، كما كان الوطني المثالي، الذي جاهد بماله وروحه ولسانه وقلمه، للذود عن حياض وطنه، ورفع شأن أمته الماجدة، الصابرة الصامدة.

ولادته ونشأته:

والدكتور خالد الخطيب هو ابن محمد الحاج سليم الخطيب، من أسرة سورية عريقة وقد «تكنّت» عائلته بالخطيب بهذا الاسم لأن أحد أجداده كان خطيبًا مفوّهًا مشهورًا، يسوق الحديث بطلاقة شديدة، فغلب هذا اللقب عليها.

ولد الدكتور خالد الخطيب بحي المرابط في مدينة حماة عام ١٨٩٨م، وتلقّى دراسته الإعدادية فيها، وبعد أن نال الشهادة رحل إلى دمشق، ودخل كلية الطب، حيث تخرج منها طبيبًا في الجراحة، وتخصّص في التوليد وقد اشتهر بين زملائه بالنجابة والذكاء والجرأة، وكانت لا تأخذه في سبيل الحق لومة لائم.

بعد معركة ميسلون، اعتقل الجنرال الفرنسي (غوابيه) صاحب هذه الترجمة، مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ودولة الرئيس فارس الخوري، والمرحوم السيد نجيب الريّس «صاحب جريدة القبس»، حيث حُكم عليهم بالإعدام، ثم خُفّضت العقوبة إلى عشرين عامًا، وقد سجنوا في جزيرة (أرواد) وظلّوا في ذلك المنفى تسعة عشر شهرًا، بيد أنه بمناسبة عيد الثورة الفرنسي، أصدر المفوض السامي قراره بالعفو عنهم، فعاد مع رفاقه إلى دمشق. وفي الوقت ذاته منع الفرنسيون تظاهرات الإحتفاء بعودتهم حيث دخلوا دمشق فرادى، وكانوا مراقبين من قِبل الفرنسيين باستمرار، شأنهم في ذلك شأن أمثالهم من أبناء البلاد الأحرار.

وقد جرى اعتقال الدكتور خالد الخطيب للمرة الثانية، بعد وصول لجنة (كراين) الأميركية لاستفتاء الشعب السوري في تقرير مصيره، فكان مع رفاقه: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ومحمد باشا الشريقي، وسعيد حيدر، وحسن الحكيم، يدعون الجماهير للمطالبة بالاستقلال ورفض الانتداب الفرنسي، وقد ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه وعلى إخوانه رفاق نضاله، حيث سجنوا في جزيرة (أرواد) مرة أخرى مدة عامين، ثم أُطلق سراحهم بمناسبة عفو خاص، وقد خرج الدكتور خالد الخطيب من سجنه

وهو أشد إيمانًا بعقيدته الوطنية، وسخطًا على الاستعمار والمستعمرين.

ولما نشبت الثورة في ضواحي حماة بقيادة القائد فوزي القاوقجي، التحق الدكتور خالد الخطيب بالثورة مباشرة، ثم اضطر أن يتوارى عن الأنظار حينما توقفت.

وقد أخذ الفرنسيون بالتفتيش عنه في كل مكان، مما اضطره حينما دخل العدو داره، أن يختبئ في القبو الأرضي وأن يضع فوقه قطعًا من أعواد الحطب، وقد أعماهم الله عنه، ولما بلغ أهله أن الفرنسيين سيعيدون الكرّة للقبض عليه في بيته، خبأه أهله في دار «البيروتي»، وقد حدث أن فتّش الفرنسيون الدار التي التجأ إليها، فلم يعثروا عليه في مخبئه، وبعدها طلب الوجيه الوطني السيد «فريد مرهج» من أهله أن يسمحوا له بنقله إلى مدينة حمص، فأركبه في سيارته الخاصة، ووضع النقاب على وجهه، حيث أودعه في بيت أحد أقاربه. ثم أوصله مع دليل خاص إلى جبل الدروز ثم إلى واحة الأزرق، حيث واصل سفره إلى عمان.

وما كادت الحرب تقع بين الهاشميين والسعوديين وتشتعل نيرانها، حتى أسرع للالتحاق بقوات الأمير علي بن الحسين المحصورة برًا (والتي لم يكن يتجاوز تعدادها الألف جندي) يقابلها زهاء ثلاثين ألفًا من السعوديين، فكان يعالج المرضى والجرحى في مستشفى جدة، الذي حُرم مرضاه من الخضار، فأصيبت أسنان أكثرهم بمرض «داء الحفر» المعروف «بالاسكوربيد».

ولن أنسى وفاء الدكتور خالد الخطيب لصديقه الحميم أخي عمر، حينما بعث إلى الصحف العربية والسورية خاصة ببرقيات النعي المتضمنة خبر استشهاد شقيقي المرحوم عمر شاكر الخانجي المجاهد الشاعر، وذلك بعد أن أُسقطت الطائرة التي كان يركبها مع المرحوم عبد الفتاح جودة.

وقد التحق بالثورة السورية الكبرى، جميع القادة والضباط السوريين، عدا القائد العسكري تحسين باشا الفقير. كما تمَّ اجتماعنا يومها بقائد الثورة السورية العام سلطان باشا الأطرش، وبالدكتور عبد الرحمن الشهبندر، والأمير عادل أرسلان، ونبيه العظمة في عاصمة جبل الدروز «السويداء»، وفي الوقت نفسه قدم من العراق المرحوم أحمد مريود وحضر معنا الاجتماع، واتُخذت فيه قراراتَ ثورية.

وقد توجهنا جميعًا إلى الغوطة - عدا الدكتور الشهبندر ونبيه العظمة- وذلك بعد أن حصل القائد مصطفى بك وصفي السّمان، على المعدّات العسكرية والتجهيزات اللازمة من الأسلحة والعتاد الحربي المحدود - إذ قدّمت الحكومات العربية - كل ما تحتاجه الثورة من التجهيزات العسكرية، فكان بعضها من

فلسطين ومصر والأردن، وكان بعض العتاد إنجليزي المصدر وبعضه الآخر عثماني، وأكثره كان فرنسيًا مما يغنمه المجاهدون من الفرنسيين بعد معارك ضارية معهم، كالتي خاضها أبناء معروف ومعهم قادة الثوار، في معارك بُصر الحرير، ونورمان، والمزرعة، والمسيفرة.

ومعركة المسيفرة هذه اشترك فيها جميع القادة العسكريين للثوار بينهم الزعيم المجاهد نزيه المؤيد العظم، والشيخ محمد حجازي الكيلاني وإخوته، وأولاد أخته منير وسعيد عربي كاتبي، وسرحان الجاويش، والدكتور أمين رويحة وقد أبلى جميع الثوار في معركة المسيفرة أحسن البلاء.

ومن طريف ما حدث: أن الجنود الفرنسيين حين بدأ هجومهم الأول، تغلّبوا على فرسان أبناء معروف وانتزعوا من حاملي الألوية: لوائين. فما كان من الشيخ محمد حجازي الكيلاني - إلا أن قرأ فاتحة الموت - ثم تقدم الصفوف مكبِّرًا ولحق به الدروز، حيث استطاع استرداد اللوائين من أيدي الجنود الفرنسيين.

بعدها خرج قائد الثورة السورية سلطان باشا الأطرش، وزعماء دمشق، ومعهم حمزة الدرويش - صاحب أحد الألوية التي سقطت بيد العدو - لملاقاة واستقبال الشيخ محمد حجازي الكيلاني بالتهليل والتكبير، وبات الجميع يعتقدون بكراماته وإخلاصه، وأسرار صلاحه، فكانت بطولته مضرب الأمثال. ثم تلا تلك المعارك: معركة تل الحديد(٦٢١). والاشتباك مع الحملة الفرنسية على «رساس»، وقرية عرى، وقلعة جندل حيث أبلى جميع الثوار في المعارك بلاءً حسنًا.

ثم ذهب «صاحب الترجمة» مع مجاهدي حمص وحماة إلى الغوطة، وبقي فيها حتى آخر معاركها. ثم عاد بعد ذلك إلى جبل العرب، ثم إلى واحة الأزرق، حيث كان يهتم بمعالجة جميع الجرحى والمرضى بهمة ونشاط، وعناية وإخلاص، وكان يلقى أعظم المشقات في تأمين اللوازم الطبية.

هذا ولما عدت بعد اجتماع «شقا»، توجهت إلى مدينة السويداء ومنها إلى واحة الأزرق، حيث اجتمعت بالدكتور خالد الخطيب، وكان قد بلغه ما قمت به من مساع حميدة في قرية «شقا»، فرَّحب بي أجمل ترحيب، ثم واصلنا السير إلى عمَّان فالقدس مع نسيب بك البكري، وسعيد بك العاص، وتوفيق سوقية - رئيس محكمة الثورة - ورافقنا الدكتور خالد الخطيب،

(٦٢١) تل الحديد: قرية في الجزيرة العليا، وتتبع منطقة المالكية في محافظة الحسكة. وتقع وسط أرض منبسطة يمرّ بها وادي «بيت حنون» وتبعد عن مدينة المالكيّة ٤٠كم.

لمقابلة سماحة مفتي القدس «الحاج أمين الحسيني»(٦٢٢)، بصفته رئيس اللجنة المالية التي ترد إليها التبرعات، من الجاليات العربية في الأميركيتين (الشمالية والجنوبية) ومن مصر وبعض الأقطار العربية الشقيقة.

وكانت الحزبية المتعصبة المقيتة تلعب دورها بين (حزب الاستقلال) الذي ينتمي إليه شكري القوتلي ونبيه العظمة وأخيه عادل العظمة، وبين (حزب الشعب) الذي يرأسه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، سواء كان ذلك من حيث توزيع حصص المال على الأتباع والأنصار، عن طريق عادل العظمة في عمان ورشيد باشا طليع في جبل الدروز، أو من حيث المفاوضات السياسية مع المفوض الفرنسي (دي جوفنيل)، الذي أراد التفاوض مع الدكتور الشهبندر في مصر، وكان قد طلب ذلك بواسطة «نجيب الأرمنازي» المقيم في باريس، للإطلاع منه على مطالب الثوار، وكيف حالت النظرة الحزبية الضيقة دون وصول الرسالة للشهبندر في الوقت المناسب، وأنا اذكر ذلك للحقيقة والتاريخ وكان لكل من الحزبين اجتهاده ورؤيته الحزبية، من حيث الموقف السلبي والإيجابي.

هذا وقد اشتهر الفقيد الدكتور خالد الخطيب بمواقفه الوطنية، وتضحيته بنعيم الحياة وراحتها. وقد ذكر الدكتور الشهبندر بأن بعض الحسّاد يعيبون على الدكتور خالد الخطيب خروجه من مدينة حماة، إلى ميدان الثورة

(٦٢٢) الحاج محمد أمين الحسيني «مفتي فلسطين»: وُلد في مدينة القدس عام ١٨٩٣م. دخل جامعة الأزهر ودرس القانون الإسلامي. والتحق في الجيش العثماني عام ١٩١٤م، وخدم فيه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. حكمت عليه المحاكم العسكرية البريطانية في القدس بالسجن لمدة عشر سنوات لاتهامه بالتحريض على الثورة العربية عام ١٩٢٠م. لكن المفوّض السامي البريطاني «هربرت صمويل» ألغى حكم المحكمة. ثم انتخب الحاج أمين الحسيني «مفتي فلسطين الأكبر» عام ١٩٢٢م، وترأس المجلس الإسلامي الأعلى، ومارس سلطاته بقوة وحزم، حتى أنه منع المندوب السامي البريطاني ووزير الخارجية البريطاني «بلفور» من زيارة الحرم القدسي. ثم قام بتشكيل مجموعات استشهادية لقتال الإنجليز واليهود، واستمرت في نشاطها من عام ١٩٣١م وحتى عام ١٩٣٥م. بعدها قام أهل فلسطين بتأسيس «اللجنة العليا» وانتُخب الحسيني رئيسًا لها. وقد أعلنت هذه اللجنة الإضراب العام، والامتناع عن رفع الضرائب، لوقف الهجرة اليهودية. وقد حلّت السلطات البريطانية «اللجنة العربية العليا»، وحاولت اعتقال رئيسها الحاج أمين عام ١٩٣٧م، إلا أنه هرب إلى لبنان، ومنها إلى بغداد. وقد لاحقه الإنجليز هناك، فهرب إلى إيران ومنها إلى ألمانيا. وحصل على وعد من ألمانيا باستقلال البلاد العربيّة، وإلغاء الوطن القومي لليهود. ولهذا كان يؤيد معسكر المحور في الحرب العالمية الثانية، على أمل أن يؤدي انتصار هذا المعسكر إلى إنقاذ أرض فلسطين من خطر «الصهيونية». ثم انتقل إلى البوسنة والهرسك، لرفع الظلم عن المسلمين في يوغسلافيا عام ١٩٤٣م، ولمّا اشتدت غارات الحلفاء على ألمانيا، غادر إلى فرنسا أواخر أيار / مايو ١٩٤٥م، لكن الفرنسيين والإنجليز اعتقلوه. وطالب اليهود بمحاكمته كمجرم حرب في محكمة «نورمبرغ». لكنه تمكّن من الهرب إلى مصر، بمساعدة «معروف الدواليبي». ومن هناك تزعّم حركة النضال العربي، ضد الإنجليز والصهاينة في فلسطين. وكان قد قام بتنظيم «جيش الجهاد المقدّس» وأسند قيادته إلى المجاهد «عبد القادر الحسيني». كما قام بجمع الأموال لشراء السلاح للثوار في سورية وفلسطين. ثم ارتحل الحاج أمين الحسيني إلى لبنان واستقر هناك إلى أن اختاره الله إلى جواره في الرابع من يوليو / تموز ١٩٧٤م، ودفن في مقبرة الشهداء بمدينة بيروت.

متخفيًا بمئزر النساء قائلاً: إن ذلك العمل لهو من بواعث الفخر والاعتزاز، لأن الذي يخفّ إلى ساحات الجهاد متنكرًا بأثواب النساء، خير ألف مرة من الذين يعيشون بلباس الرجال عيشة الأنذال، راسغين في قيود الاستعمار والاحتلال، وهي كلمة حق تقال في هذا المجال.

ولمّا ضيّق الإنجليز على الدكتور خالد الخطيب في واحة «الأزرق»، نزح إلى «عمان» ثم إلى مصر، ولمّا كانت إجازة الطب السورية في تلك الأيام لا تخوّله العمل في مصر - فقد صدف أن تعرّف على سيدة إنجليزية أُعجبت به فاقترن بها، وكانت سببًا لعودته إلى عمان، حيث بدأ يمارس مهنة الطب هناك، وبقي في العاصمة الأردنية حتى وفاته، وقد أنجب منها كريمته الوحيدة (عدوية).

وكانت زوجة الدكتور خالد الخطيب الإنجليزية، قد أُصيبت بمرض «ذات الرئة» فعالجها، غير أن عدوى المرض انتقلت إليه، وارتفعت درجة حرارته فلم يكترث، وكان الأمر يستدعي الراحة والمعالجة وهو الطبيب المعروف، إلا أنه كان جبّارًا على نفسه وفي كل شيء، وبعد ثلاثة أيام عصفت المنية بروح هذا المجاهد المقدام، وكان ذلك في يوم الأحد الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٣٣م، فكان فقدُه خسارة وطنية وقومية فادحة لن تعوض، وألحد الثرى بمقبرة (باب الصغير) بعد نقله لدمشق.

هذا غيض من فيض عن حياة فقيد الوطن والأمة العربية الدكتور خالد الخطيب لتكون حياته درسًا بليغًا لشبابنا الناهض وأجيالنا حتى يتخذوا من سيرة أبطال المجاهدين القدوة والرمز، ومن الوفاء لهؤلاء أن نعمل على إحياء ذكراهم لاستنهاض الهمم، ورصّ الصفوف، في لُحمة وطنية تغيظ العدوِ، وتجعل الوطن أكثر بهاءً ونصاعةً وتألقًا، فالشعب في سورية يختزن كمًّا هائلاً من الحسّ الوطني الذي لا يخطئ، والقُدرة على التمييز والمعرفة، ما يكفي لمواجهة كل المؤامرات. التي تهدف إلى النيل من وحدته الوطنية المتراصّة، وكشف نوايا المتآمرين وشعبنا الذي صقلته المحن، التي مرّ بها عبر تاريخه العريق، استعصى على الطامعين والمتآمرين.

يقول شاعرة الثورة «بدر الدين الحامد»(٦٢٣):

(٦٢٣) بدر الدين الحامد: ولد في مدينة حماة عام ١٨٩٩م، أتمّ دراسته الثانوية، والتحق بدار المعلمين، نظم الشعر الوطني حيث كانت البلاد تعيش الثورة على الاستعمار الفرنسي، فأُلقي القبض عليه وزج في السحن. التحق بـ«الكتلة الوطنية» التي كانت تقود معركة الاستقلال. ورحل إلى جوار ربه عام ١٩٦١م.

دمشــق أنت عروس الشــرق خالدة — ما فيك إلا هصور الخصم ضرغام
فيك الشــباب ليــوث المكرمات ومن — خليقــة الليــث أنَّ الليث مقدام
من عهد «مروان» لم يطمس مفاخرهم — كــرّ الليــالي ولم يلحــق بهم ذام
لهفــي عليكم إذا جــدَّ القضاء بكم — ونالكم بضروب الخســف هضّام

إنَّ حَمَلَة الراية الوطنية يذكرون دومًا الكلمة الخالدة: «من يطلب الموت توهب له الحياة»، علمًا بأن (الجنة تحت ظلال السيوف) وهي محفوفة بالمكاره، وتاللّه لن ينالها مَنْ كان للجهاد كاره، وأعلى الدرجات درجة الشهادة وعلى شبابنا أن يرضوا بعملهم عالم الغيب والشهادة، وأن يستعدوا للمعركة الحاسمة مع عدو العرب والإسلام، الذي استولى على مقدساتنا وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه.



●●● وأنا أقول...

مقدساتنا هي أرض فلسطين أُولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ونهاية مسرى ومعرج الرسول الأعظم.

وقد صدر في التاسع والعشرين من نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩٤٧م، القرار رقم (١٨١) عن الجمعية العامة بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية، وتدويل مدينة القدس. وهو ما اقترحته أيضًا لجنة بيل عام ١٩٣٧م.

واعتبر أهل فلسطين، أن القرار جاء على حساب حقوقهم التاريخية في وطنهم وأرضهم. ومنذ ذلك التاريخ وانتفاضة الشعب الفلسطيني مستمرة، بأشكال وصور متعددة.

وكانت بريطانيا قد رفعت في الثاني من إبريل / نيسان عام ١٩٤٧م، الأمر للأمم المتحدة، تطلب بحث مستقبل الوضع في فلسطين.

كما كانت الاشتباكات قد اندلعت بين العرب والعصابات الصهيونية «الهاغانا – وشتيرن» – المدعومتان من حكومة الانتداب البريطاني – لتنفيذ «وعد بلفور» وردًّا على الإرهاب الصهيوني شُكّلت فصائل «المقاومة».

فكان «جيش الجهاد المقدّس» بقيادة المجاهد «عبد القادر الحسيني».

وبرزت «الحركة القسّامية» على الساحة، بقيادة المواطن السوري «عزّ الدين القسّام»، وتسلّم الراية من بعده «فرحان السعدي» الذي ألقى الإنجليز القبض عليه وأعدموه.

وتشكل «جيش الإنقاذ» من المتطوعين العرب، بقيادة المواطن السوري البطل القائد «فوزي القاوقجي».

كان ثمة مشروعان يتشكلان في المنطقة «الحركة القومية العربية» التي كانت تكافح لاستعادة الدولة العربية الموحّدة»، و«الحركة الصهيونية» التي كانت تهدف لبناء دولة قومية لليهود في فلسطين والمشروعان محكومان بأن يتصادما ويتصارعا صراع البقاء، لأنهما على طرفي نقيض ويبدو أن اللحظة العربية كانت ملتبسة وغامضة، إذا ما نظرنا إليها من خارج سياقها التاريخي.

لكن المشروع العربي تمّ اندحاره واستلابه، وضَبَط الشعب الفلسطيني و«المنتدبين» الإنجليز متلبّسين بالوقوف إلى جانب «المغتصبين» فكان الانسحاب السياسي والعسكري لـ«حكومة الانتداب البريطاني» في ١٩٤٨/٥/١٤م بالاتفاق مع الجانب الصهيوني.

وفي ١٩٤٨/٥/١٥م أعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة «إسرائيل».

وحلّت «النكبة» عام ثمانية وأربعين وتعرّض الشعب الفلسطيني للمجازر والقتل والتدمير، من قِبل العصابات الصهيونية، وتعرّض لمذابح دموية لاقتلاعه من أرضه ووطنه ولم يتعرض شعب في العالم لمذابح جماعية كما تعرّض الشعب الفلسطيني: مذبحة دير ياسين، والقسطل، وكفر قاسم، ونحالين، والحرم الإبراهيمي، والحرم القدسي، وقارة، وجنين ونابلس وأم الفحم وغزة وغيرها من مدن فلسطين.

هذا الشعب الباسل كان يقاوم المحتلين الغزاة، بشبابه ونسائه وأطفاله وشيوخه.

هذا الشعب العظيم، الذي تجاوز كل ما عرفته الشعوب من تضحيات.

هذا الشعب الذي أبدع أطفاله في مقاومة الدبابات «بالحجر»!! وهو يعلم علم اليقين أن «الحجر» لا يؤثر في «الفولاذ». ولكن من أجل أن يسمع العالم - الذي خدّرته الصهيونية - صداه.

هذا الشعب البطل الذي عجزت الطائرات والدبابات والرشاشات الإسرائيلية عن إخضاعه وتركيعه، تحاول إسرائيل بما امتلكت من قوة تدمير «البُنى التحتية» في لبنان وغزة بطائراتها الأميركية الصنع والأموال الأميركية، وقامت بقطع ملايين أشجار الزيتون والبرتقال، ونسفت البيوت بالمتفجرات وسحقت سيارات الاسعاف بالدبابات، وسدّدت رصاصات الرشاشات على رؤوس الأطفال والشباب في الطرقات، ونهبت وسلبت وصادرت باسم حق إلهي موهوم في أرض موعودة.

والعنصريون الذين يحكمون إسرائيل، بروحهم العدائية المتوحشة، يحاولون إبادة الشعب الفلسطيني الذين احتلوا بلاده منذ أكثر من نصف قرن بالقتل والتدمير، تحت سمع العالم وبصره، وابتلاع الأراضي الفلسطينية، لإقامة جدار الفصل العنصري، والتسريع في إقامة المستوطنات، للقضاء على الدولة الفلسطينية المستقلة، واجتثاث فكرة حق العودة. والعمل على تدمير «الأقصى المبارك»، وإقامة «الهيكل» المزعوم على أنقاضه.

لكن هذا الشعب الذي اختصه الله عن باقي شعوب الأرض بالرباط في الأرض المباركة، وأوكل إليه مهمة الدفاع عن المقدسات، هو شعب «الجبّارين» الذين وصفهم تعالى في كتابه العزيز، سينتزعون حق الشعب الفلسطيني، في صمودهم ومقاومتهم الاسطورية للمحتلين.

واستلاب فلسطين مؤامرة دولية رسمها المستعمرون بإتقان وتصميم لم يكونا متوفرين للعقول العربية الساذجة، التي أظهرت سذاجة وغباءً في تقديرهم للمستقبل العربي ابتدأت بالهزيمة. وانتهت بالفجيعة. لتتسع رقعة النكبة. والأمة لا تنهض من كبوتها، والشعوب لا تستفيقُ نم غفلتها إلا بالتربية الوطنية الأصيلة الصادقة، التي تعمّق الجذور وتُحدث ثورة وانقلابًا في النفوس.

لقد روّج الصهاينة للعالم أنَّ فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض. تصوّر الصهاينة أن بإمكانهم التخلّص من الشعب الفلسطيني، تماماً كما تخلصت أميركا من الهنود الحمر، عن طريق الإبادة الجماعية. وقد حاولت الدولة الصهيونية اغتصاب الأرض والمياه والمقدسات وإبادة الشعب الفلسطيني وتهجيره وتدمير بيوته واقتلاع أشجاره، بسلسلة من الحروب العدوانية متحالفة مع الإمبريالية الأميركية المعادية للعروبة والإسلام. وهكذا تعاونت الحركة العنصرية الصهيونية مع الحركات الاستعمارية ومساعدتهم في مخططاتهم وأهدافهم لأنهم يرتبطون بنفس المصالح الإمبريالية.

والعالم كله مطالب بالوقوف في وجه العنصرية الصهيونية ووجهها المتوحش، تماماً كما وقف في وجه النازية والفاشية، لأَنَّ العنصرية الصهيونية أبشع ألف مرة وأخطر الحركات العنصرية التي ظهرت في تاريخ البشرية.

ومعاداة العنصرية الصهيونية تكمن في تعاليمها وممارساتها اللاانسانية. والتعاليم التوراتية والتلمودية الصهيونية تحض على ممارسة القتل والتدمير والعنف وممارساتها القمعية بشن الحروب والإرهاب المنظّم والإبادة الجماعية والاحتلال والاستعمار الاستيطاني، وهي عنصرية غير مسبوقة في تاريخ الكيان البشري، وقد تحولت الفكرة الصهيونية من التوراتية إلى

نظرية المجال الحيوي للصهيونية بابتلاع الأراضي العربية كمقدمة لهيمنة الصهيونية العالمية على العالم. واعتمدت الاستراتيجية الإسرائيلية على استخدام القوة وإشعال الحروب والضغط والابتزاز وكسر إرادة الشعوب والسيطرة على المنطقة وتغيير هويتها والهيمنة عليها. وهكذا الصهيونية حالة استعمارية وعنصرية شاذة قامت في قلب الوطن العربي، لتنفيذ المشروع الاستعماري الاستيطاني اليهودي التوسعي الإرهابي العنصري الإجلائي، ومقاومته والصراع معه صراع وطني وقومي وديني وإنساني وحضاري لردعه ووقف انتشاره وتمدده كالخلايا السرطانية، وتخليص شعوب المنطقة والعالم من أطماعه وشروره وأخطاره وحروبه.

وتؤطر أجهزة الإعلام الأوروبية المتصهينة، تؤازرها ماكينة الدعاية الصهيونية، صورة العربي الإرهابي الذي يسعى لتدمير الآخرين، والمسلم الحاقد على الحضارة الغربية والذي لا همّ له سوى تدمير الآخرين وتفجير الأبراج والقطارات.

العالم كله يرقب بسلبيّة أقرب إلى الاستهتار والتواطؤ الممارسات الإسرائيلية والمجازر الجماعية البشعة الرهيبة، التي ترتكبها قوات الاحتلال الصهيوني ضد الشعب العربي في فلسطين، لاقتلاع شعب من وطنه وأرضه وجذوره وابتلاع حقوقه مستهترة بكل القيم الإنسانية والقوانين الدولية بدعم وانحياز مطلق من الإدارة الأميركية المتصهينة لتطابق المصالح العدوانية واستراتيجية الهيمنة!

وأميركا بانحيازها اللامحدود للصهيونية، تجد الأعذار لتدافع بشراسة عن الإرهاب الإسرائيلي، وتسويغ خروج الصهاينة على القانون الدولي والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن، ومئات القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما تمنع الأسرة الدولية من معاقبة القتلة الذين يمارسون إرهاب الدولة ويستخدمون الطائرات المقاتلة والدبابات والصواريخ وتدمير البيوت فوق رؤوس ساكنيها المدنيين الأبرياء. ولا تزال الدولة المغتصبة تحتل الأراضي العربية وتقيم فوقها المستوطنات الاستعمارية العنصرية، وتُنكر حق الشعب الفلسطيني في العودة وإقامة دولته المستقلة. ولا تزال تمارس سياسة البطش والإرهاب والاغتيالات ضد كوادر المقاومة.

وتبرّر أميركا لإسرائيل امتلاكها أسلحة الدمار الشامل والأسلحة النووية بعد اعتراف قادتها، تحت ذريعة أنها عرضة للحروب والإرهاب وتمنع غيرها من امتلاكها.

وأمتنا تواجه تحديات كثيرة وتهديدات متواصلة تستهدف تاريخنا

وحضارتنا وصمودنا ووحدة شعبنا وحقوقنا المشروعة ومعنوياتنا وإرادتنا واستقلالنا الوطني، وهي قادرة على مقاومة الصهاينة والمتصهينين ومخططاتهم وضغوطاتهم. أمتنا تتعرض لأعتى الأعاصير ومحاولات لكسر إرادتها وتركيعها وإجبارها على الاستسلام ورفع الرايات البيضاء، لأننا نشكل مركز الثقل والموقع المحوري الجغرافي وملتقى الفكر التحرري وموئل المدافعين عن الأمة العربية ووجودها التاريخي والحضاري، ولأننا الخندق الأمامي للمواجهة والممانعة بكل ألوانها وأشكالها، ولأننا رفضنا منطق الغزاة، صرنا هدف المستعمرين ومخططات الطامعين والمتآمرين، وقوى استعمارية تتبدل أسماؤها وذرائعها وشعاراتها، وازدادت هجماتها شراسة وعنفًا بسبب النفط؛ ولأن وطننا لم يكن لقمة سائغة بأفواههم، بل بقي قلعة صامدة عصيّة على الاجتياح، الرافض لمنطق الغزاة وشروطهم، المدافع عن هوية الأمة العربية وهويتها الحضارية ووجودها القومي ومستقبلها المهدد بالتفتيت والتحطيم والتجزئة.

وأمتنا لها ماض عريق وتراث حضاري ورسالة خالدة، كانت تقود وتبني وتعطي وترفع مشًاعل الضياء والنور والإيمان والتقوى والشرف والنُّبل.

أمتنا قادرة على انتهاج استراتيجية عربية متكاملة تقوم على وحدة الصف العربي والموقف والهدف. فنحن نعيش عصر العولمة، و عصر التكتلات والتجمعات التي لا مكان فيها للدول الصغيرة والكيانات الهشة الهلامية.

أمتنا قادرة بوحدتها الاقتصادية والسياسية ومساحاتها المترامية الأطراف، على تشكيل «تكتل» عربي كبير له وزنه على الساحة الدولية. وإذا لم نفعل ذلك اليوم ذهبنا إلى زوايا التاريخ! فهذه أوروبة التي كانت بين دولها حروب طاحنة، وتختلف في اللغة والتاريخ والمذاهب تكتَّلت وتجمعت تحت مظلة واحدة!

وأمتنا تملك روح المبادرة لدورها الحضاري الرائد وتاريخها العريق، وستنهض أمتنا من جديد وتعيش عهدًا جديدًا تتنسّم فيه نسمات الحرية لأنها تستحق الحياة. لتعيد دورها الريادي، إذا اعتمدنا ثقافة المقاومة لنردّد مع شاعرنا المجيد:

إنَّا لمنتصرون رغم أُنوفهم ... وغدًا سينقشع الضباب المُطبق
فَالليل مهما طال فهو مبدّد ... وهناك للفجر المقيد مُبرق
هي شرعة الإسلام تجمع صفنا ... ما في سواها نصرة هي تُشرق
اللّه أكبر ما حييت شعارنا ... وهو السبيل ونهجنا والموثق

وأتساءل اليوم... متى تتوقف أُغنية الشيطان ويستيقظ الشعب الأميركي من «المخدّر» الذي يحقنه به الإعلام المتصهين بجرعات كبيرة؟ ويُدرك أن القوى التي تواجه السياسة الخارجية الأميركية هي قوى صهيونية تتحكم تحكمًا تامًا بلا هوادة بالمواطن الأميركي؟

وإلى متى سيبقى «المجتمع الدولي» صامتًا أمام الإرهاب الإسرائيلي المبرمج، كأن الدولة الصهيونية استثناء لا ينطبق عليها ما ينطبق على الآخرين؟

أما أيقظت ضمائركم أيها العالم المتحضر صرخات أطفال ونساء غزة أم أن الرياح الصهيونية أرعبتكم وجعلتكم تبولون في سراويلكم ..!!





الكاريكاتور حول الهولوكست

بمشاركة ١١٩٣ رسماً كاريكاتورياً لفنانين من ٦١ دولة في العالم، أعلن في العاصمة الإيرانية طهران عن نتائج المسابقة التي أقيمت حول المحرقة النازية لليهود (الهولوكست). وقد نال الجائزة الأولى الفنان المغربي عبد الله الدرقاوي ومقدار الجائزة ١٢,٠٠٠ دولار أمريكي.



الدكتور خالد الخطيب



بدر الدين الحامد



الحاج أمين الحسيني في الوسط وعن يمينه هاشم الأتاسي وعن يساره الأمير شكيب أرسلان

الدكتور أحمد حمدي سكر

(١٨٩١-١٩٧٠م)

هــبّــوا قــاتــلــوا ولا تهنوا   إنَّ الرجــال بحــب الأرض تُمتحن

أرى من واجبي الوطني، أن أواصل الكتابة عن ترجمة حياة الأطباء المشهورين، الذين ساهموا في الثورة السورية، بين عام ١٩٢٥م ولغاية ١٩٢٧م. وقد كان كل واحد منهم، يحمل حقيبة الطب بيد، والبندقية باليد الأخرى.

حياته:

كان الدكتور أحمد حمدي سكر، من الأطباء الذين عرفتهم شخصيًا وتعاملت معهم كواحد من كثيرين من الذين اشتركوا في الثورة السورية، أمثال الدكتور توفيق القصيباتي، والدكتور مصطفى فخري، والدكتور عبد الكريم العائدي، والدكتور محمد علي الشوّاف وغيرهم كثير.

والدكتور أحمد حمدي سكر هو من الأطباء الوطنيين البارزين، وهو ابن الحاج موسى سكر، وكانت عائلته تقطن في حي العفيف بالصالحية أحد أحياء مدينة دمشق.

ولادته ونشأته:

ولد الدكتور أحمد حمدي سكر في مدينة دمشق عام ١٨٩١م وقد تخرّج من الجامعة السورية، بعد أن درس في كلية الطب، وكان اختصاصه في (الأمراض الداخلية).

وقد اشتهر بين المواطنين بدماثة أخلاقه وشهامته، فكان يعطف على الفقراء ويعالجهم مجانًا، ويعطيهم الأدوية أحيانًا أخرى كما عُرف بالاستقامة والوطنية الصادقة. فمنذ نشوب الثورة السورية واشتداد المعارك عام ١٩٢٥م، وهو يقوم باسعاف جرحى المجاهدين في دمشق بعيدًا عن أنظار السلطات الفرنسية كما كان يحضر إلى حي الأكراد، إذ كانت منطقة الأكراد منطقة مكشوفة وتقف على الحياد، ولا يوجد فيها أي جندي من جنود قوات الاحتلال الفرنسية أو قوات المتطوعة التابعة للحكومة وكأن المنطقة متعارف

عليها أنها «منطقة منزوعة السلاح».

وكان يبقى في حيّ الأكراد أيامًا يشرف على الجرحى والمرضى من المجاهدين، وأحيانًا كان يتنقل متجولاً في قرى الغوطة - بعد كل معركة حامية الوطيس مع العدو - وذلك من أجل اسعاف جرحى الثوار وأذكر أنه حضر مرة إلى قرية (الافتريس) في إحدى ضواحي دمشق، وشاهدته هناك عند أبناء عمومتي، حيث التقى بزميله الدكتور المجاهد أمين رويحة، الذي كان يقوم بتزويده بلوازم الاسعافات الطبية، ثم يعود بها إلى مَنْزله. ولما اشتدت المعارك إبَّان الثورة السورية، كان المجاهدون في قرية (برزة) وغيرها من القرى يطرقون بابه ليلاً ويصطحبونه معهم إلى مواقع الجرحى، حيث كان يقوم بواجبه الإنساني نحوهم باسعافهم ومواصلة معالجتهم دون أجر. وقد استمر على هذه الحالة مدة ثمانية أشهر. ولما اكتشف الفرنسيون أمره وكثرت مراقبته وإحصاء تحركاته، خرج متخفيًا تحت جنح الظلام إلى مناطق الثوار، وأخذ يتجول بين المجاهدين علنًا.

وبعد أن توقفت الثورة نزح إلى الأردن، وقد عرفه أبناء الأردن كما عرفته سورية رجلاً شهمًا مناضلاً، ووطنيًا أصيلاً حيث أقام في عمان زهاء سنة ونصف السنة وقد ترك في الأردن أثرًا طيبًا في نفوس المواطنين، الذين كانوا يجلّونه ويقدّرون وطنيته وتضحياته وإنسانيته وإخلاصه، وثباته على مبادئه الوطنية، وبعد صدور العفو العام عن المجاهدين عاد لمسقط رأسه في دمشق.

ومن طريف ما رواه الدكتور أحمد حمدي سكر: بأنه سبق لشهيد الثورة المرحوم «حسن المقبعة»(٦٢٤) – الذي كان الساعد الأيمن لصديقه المجاهد الشهيد «حسن الخراط».

وحدث أن أقام الثائر «حسن المقبّعة» في مَنْزل الدكتور أحمد حمدي سكر في حي الصالحية متخفيًا، وقد حمل إليه يومًا مجاهدًا جريحًا أُصيب في ساقه، حيث قام صاحب الترجمة مع زميله الطبيب مصطفى فخري ببترها، وكان الدكتور سكر يتحدث بإعجاب عن شهامة الشهيد «حسن المقبّعة» الذي لم ينقطع عن زيارة الجريح. كما كان الدكتور أحمد حمدي سكر يؤمّن لهذا الجريح ولغيره من جرحى المجاهدين سائر احتياجاتهم الطبيّة وأدويتهم

(٦٢٤) حسن المقبَعة: علم المجاهد الثائر «حسن الخرَاط»، إن المفوّض السامي الفرنسي الجنرال «ساراي»، سيقوم بزيارة إلى قصر العظم، فأرسل مجموعة من ثواره لخطف الجنرال «ساراي» أو قتله. كان يقود هذه المجموعة الاستشهادية «حسن المقبّعة» – من حيّ الشاغور – و «سليمان علي كليب» من جرمانا. وجرت معركة شرسة بين الثوار والمدافعين عن القصر. واستُشهد «المقبّعة وكليب»، وارتدّ الثوار عن القصر وأشاع الثوار أن «الجنرال» هرب بدبابة فرنسية متخفيًا بزي النساء!

طيلة مدة معالجتهم. وانتقل الدكتور سكر إلى جوار ربه في شباط / فبراير ١٩٧٠م دون أن يتزوج.

هؤلاء هم المجاهدون حقًا يحملون أرواحهم على أكفّهم، ويقتحمون ساحات الوغى، من أجل إنقاذ غيرهم.

هؤلاء الذين يسكّنون آلام الناس، ويختزنونها في صدورهم.

ويوقفون نزيف الدماء ويكتمون الجراح المثخنة في قلوبهم.

من أجل هؤلاء السادة العظماء نرفع قبعاتنا احترامًا لهم لأنهم يجسّدون الإنسانية بكل معانيها.

ألا فلمثل هذا فليعمل العاملون:

[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] [التوبة: ١٠٥].



●●● وأنا أقول...

على وقع المجازر الرهيبة التي ترتكبها سلطات الاحتلال الصهيونية ضد الأبرياء المدنيين في فلسطين، وبمباركة من الإدارة الأميركية، دمّرت «إسرائيل» بترسانتها العسكرية الضخمة وآلتها الحربية التي زودتها بها الإدارة المتصهينة، كلّ الكُتل الخرسانية من أبنية وجسور وخزّانات للماء والكهرباء والوقود في لبنان، إلا بُنية واحدة تكسّرت على صخرتها الهجمة العنصرية الحاقدة لم تستطع القضاء عليهاألا هي (المقاومة) «إرادة» وسلاحًا.

تهاوى هذا الكيان الصهيوني الهش بجيشه المتمترس خلف الدبابات والطائرات، أمام ملحمة التحدّي التي كتبها أبطال المقاومة في لبنان، بصمودهم الهائل لمواجهة العدوان الصهيوني النازي.

لقد امتلكت المقاومة الباسلة، بإرادة الحق والصمود والمواجهة زمام المبادرة، وألحقت الهزيمة بهذا الجيش الذين يقولون بأنه لا يُقهر، لكنه قُهر بإذن الله، بإرادة وتصميم المقاوم البطل الذي يتوق للحرية والعدالة وتحرير الأرض، بعد أن عجزت الأمم المتحدة والعالم عن لجم مجازر الصهاينة في فلسطين.

هؤلاء المتآمرون الحاقدون المتصهينون مجرمو الحروب ومصاصو الدماء(٦٢٥) المتواطئون مع الحروب العدوانيّة المبيّتة والمبرمجة والفوضى

(٦٢٥) مصاص الدماء دراكولا: شخصية رمزية لصورة وحشية، تعود إلى حاكم ولاية «فالاكيا» واسمه «فلادتيبيس» وكان ينوع في أساليب الموت لضحاياه بكل بشاعة. وقد قتل أكثر من أربعين ألفًا فأصبح رمزًا للشر والشيطان. وقد أطلق عليه رواة الحكايا الشعبية والقصص التي تتصف بالرعب والوحشية اسم مصاص الدماء «دراكولا» وكلمة «دراك» تعني الشيطان ويروى أنه جمع أكثر من خمسة آلاف ضحية بين مشوّه وأعمى ومشلول وشحاذ في قصره وأعدّ لهم مائدة عامرة بالطعام، ثم أمر بإحراقهم جميعًا مبررًا فعلته حتى لا يبقى فقراء معوقون

الخلاّقة، ينتشون بمتعة القتل ومتعة الانتقام، ويعوقون المحافل الدولية عن لعب دورها الطبيعي، فيسوّغون العدوان على أنه دفاع عن النفس، والقصف الهستيري المجنون بطائرات الأباتشي وال(أف-١٥) بأنه تدمير لتحصينات الإرهاب. حتى المجزرة التي ارتكبتها الصهيونية في (قانا) لم تدنها المنظمة الدولية لأن المتصهينين صادروا قرارها وهيمنوا عليها وساقوا دولها بالعصا الأميركية.

هؤلاء المتخومون الفَجَرة الغارقون بحروبهم الاستباقية، المتمتعون بمآسي الشعوب وترويعها، المتصهينون الفاقدون لصوابهم، تحلم شعوب الأرض كلها أن ينهاروا ويموتوا من التخمة، كتعويض عن قسوة الواقع الذي تعيش فيه تلك الشعوب المقهورة، ونظرة العداء والاحتقار التي تكنّها الشعوب المستضعفة في الأرض لتلك الإدارة المتصهينة التي تتحكم بـ«البيت الأسود» والتي هي أكثر صهيونية من الصهاينة أنفسهم حتى يقال أن الـ«دبليو سي» نفسه ابن غير شرعي لأب صهيوني.

والشعوب العربية والإسلامية تعلم أن الشغل الشاغل للمتصهينين وإسرائيل إخماد جذوة المقاومة واقتلاع شوكتها، وكسر الروح النضالية فيها باتهامها بالإرهاب. وقام فريق من «الطبالين» العرب بتبني المشروع الأمريكي..!!

وأمتنا تخوض صراع بقاء غير متكافئ مع قوى عملاقة، وتواجه تحديات مصيرية أمام قوى ظالمة، بأساليبها الشيطانية وإمكاناتها الجبَّارة، وتفوّقها بالعلوم والترسانة العسكرية وجشعها الذي لا يقف عند حدّ. ونحن نعرف أننا لا نملك إلا امكانات المواطن المتواضعة، وقدَرنا الدفاع عن وجودنا والتشبث بأرض الآباء والأجداد والدفاع عنها والذود عن الحُرمات والكرامة المهدورة، ضد المغتصبين الغزاة. وأعداؤنا يخططون بدهاء وخبث، فقبل ربع قرن أصدرت المنظمات الصهيونية العالمية، وثيقة في ١٤ شباط / فبراير ١٩٨٢م، تحمل عنوان «استراتيجية إسرائيلية للثمانينات» تقول فيها تحت عناوين بارزة: «ضرب العراق وتدميره وتقسيمه» «تقسيم لبنان إلى دويلات طائفية» «إحداث فتن طائفية في مصر والشمال الإفريقي» «فصل جنوب السودان عن شماله» «تهجير الفلسطينيين قسرًا ما بين النهر والبحر إلى الأردن». فلنقارن بين هذه الوثيقة والواقع على الأرض العربية وما هي الإنجازات التي تمت!

ويصفون وجه «دراكولا» بأنه شاحب غير عادي كوجه التابع الذليل «طوني بلير» وأنف مدبّب وأُذنان ناتئتان حادتان ونابان بارزان وشفتان حمراوان، وقد نبت شعر كثيف في راحتي يديه فيبدو مصاص الدماء: «دراكولا القرن الحادي والعشرين» بوشم صهيوني على جبهته كـ«دبليو سي بوش».

وتشتدّ الهجمة الاستعمارية الماكرة على أمتنا بالغزو المباشر وبالحروب العدوانية الدموية، المستندة إلى قوة عالمية شرسة متغطرسة ومجنونة، وأسلحة فتاكة وقنابل ذكية وانشطارية وفسفورية وعنقودية وديبلوماسية مراوغة شريرة بأداتها الإسرائيلية الطيّعة المجرمة، لابتلاع المنطقة والهيمنة عليها عسكريًا وثقافيًا وحضاريًا، وإلغاء الثقافات الوطنية للشعوب وتفكيك كياناتها حتى تتحول المنطقة إلى دويلات وقوميات طائفية وأثنية كان الإسلام قد حذّر منها وصهرها في بوتقته، من أجل أن يستسلم العرب ويركعوا، لتصبح الدولة الصهيونية أكبر دولة «طائفية عرقية» في المنطقة ولتتبوأ مركزها في نسيج «الشرق الأوسط الجديد» الذي يُهيمن عليه الصهاينة والمتصهينون بآلة القتل والتدمير والإجرام التي يملكونها، ويحرمون الشعوب الأخرى من امتلاكها أو مجرد التفكير بامتلاكها! ثم يقصفون الشعب العربي بآلاف الأطنان من القنابل الأميركية التي تفتك بالأطفال والأبرياء، ويتحركون بدوافع فكرية ونظريات عنصرية.

عمليات قوات الاحتلال الإجرامية في لبنان وقطاع غزة والعراق وأفغانستان هي جرائم حرب بامتياز، وما تدمير المقتنيات الثقافية التي قامت بها قوات الاحتلال في العراق إلا ترجمة حرفية لنظرية «صموئيل هنتنغتون» «صدام الحضارات» مع الرقص على دقات طبول الحرب.

لكن المحتلين الطغاة الغزاة يجهلون أن الدماء العربية تحوي (جينات) موروثة لا يمكن محوها بممحاة، وأَنَّ حُبَّ الأوطان والدفاع عنها بالمُهج والأرواح والاستشهاد في سبيل الله هو من أصل العقيدة. وأَنَّ جماهير أمتنا وجدت في المقاومة الوطنية عنوان الأمة وعنفوانها والعزّة والكرامة والانطلاقة الواثقة نحو تحرير الأرض من رجس الطغاة المحتلين وإسقاط مقولات الانهزام والاستسلام والجيش الذي لا يُقهر.

ونحن واثقون بعد انتصار المقاومة في لبنان ورفع راياتها أننا سنعود من جديد لنجتاح التاريخ بألق عربي موقنين بحتمية النصر إن شاء الله، فنحن نمتلك شجاعة المواجهة وإرادة المقاومة لنيل الشهادة وهي أقوى من أسلحة القتل والتدمير.

لقد سقطت أُكذوبة الجيش الصهيوني سقوطًا مدوّيًا فاضحًا، وانهارت اسطورة الأمن خلف جدار الفصل العنصري، بصمود المقاومة واستبسالها ووصولها إلى قلب الكيان الغاصب مما ألحق الهزيمة بالمعتدي. لقد حطّمت إرادة المقاومة حصون وقلاع الاحتلال وعبّرت عن ضمير كل العرب وهي وحدها القادرة على أن تحمي بصدورها وطن العزة والكبرياء، وتحفظ للوطن

صورته ومكانته رغم كل الذين يطعنون ظهرها قبل أن يجفّ نجيع الدم على أرض المعركة.

ونحن لا خيار لنا إلا أن نواجه التحديات الإسرائيلية – الأميركية بالمقاومة. ولم تكن الحرب الهمجية التي شنّها العدو الإسرائيلي في الثاني عشر من تموز ٢٠٠٦م ردًا على قيام رجال المقاومة بأسر جنديين إسرائيليين من أجل مبادلتهما بآلاف الأسرى الذين يقبعون في السجون الصهيونية وأمضى بعضهم في غياهب المعتقلات أكثر من ربع قرن، وليس صحيحًا أَنَّ هذا العدوان غير المسبوق الذي دمّر المرافق والجسور ودكّ الأبنية كان ردة فعل آنية لأسر جنديين، ولكنه «مشروع» مُعدّ له سلفًا لاقى صدى وتطابقًا مع المشروع الأميركي لـ«شرق أوسط جديد» بشّرت به وزيرة الخارجية الأميركية بعد أيام من العدوان. إلا أَنَّ هزيمة الجيش الإسرائيلي على يد المقاومة وتمريغ أنفه في الأوحال وإلحاق الهزيمة القاسية به وسقوط قادته ورموزه هذا السقوط المدوّي بعد أن «استبدت بهم الغطرسة» أفشل وأوقف كل المخططات الاستعمارية. فلم يستطع جيش العدو التقدّم لمواجهة رجال المقاومة، لكنه وجَد في المباني أهدافًا سهلة ليدكّها بقنابل الطائرات الأميركية ليسوّيها بالأرض، فقد تشفي حقده وغليله، ولعلّ وعسى تحقق آلة الموت والدماء التي كان يُخضع بها العرب «إنجازات» عجز جيشه عن تحقيقها على الأرض، أو في تسجيل أي انتصار في حرب مفتوحة دامت ثلاثة وثلاثين يومًا. لكنه أخذ درسًا قاسيًا أن لا أمن له بالتمترس وراء جدار الفصل العنصري ليقاتلونا من وراء جُدر، ولا خلف دبابات (الميركافا) المتطورة!

[وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ] [الحشر: ٢].

فالمقاومون أقدامهم مغروسة في تراب الوطن، وأيديهم تقبض على الزناد، وعيونهم تتطلع لتحرير الأرض وهم يملكون بسالة المقاتلين وعزّة النفس وإرادة الدفاع عن الأرض والعرض والقيم، وقد رفضوا مبارحة أماكنهم في ساحة المعركة للراحة من أجل أن ينالوا الشهادة.

وكان هذا التصدّي البطولي الاسطوري الذي تجاوز كل التوقعات، وتمَّ في أروع ملحمة بطولية في التاريخ وكانت نتيجته هذا الانتصار العسكري المُشرّف للمقاومة.

لقد امتلكت المقاومة ثقافة جديدة في المعركة، نفخت روح الحياة في الأمة التي كادت أن تستكين، مستندة إلى عقيدتها وثوابتها في كل المواجهات التي خاضتها باقتدار أثار إعجاب العالم. وأسقطت القناع الاسرائيلي الزائف عن جيش الاحتلال الذي ترهّل، بعد أن كان يُرهب به العرب، لكنه انكسر

وانهزم أمام مقاومة شديدة البأس، تمتعت بإيمان قوي بالله وبقدسية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وحقّ الدفاع عن الأرض والوجود والهوية والكرامة. واستطاعت المقاومة الوطنية بتفوقها القتالي وتدريبها وشجاعة أفرادها وكفاءة قيادتها ودقة حساباتها وصبرها الاسطوري، أن تُلحق بجيش الاحتلال هزيمة نكراء على أرض لبنان وتُسقط جنرالاته عسكريًا وسياسيًا سقوطًا مخزيًا.

[سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ] [آل عمران: ١٥١].

لقد كَشفَت حربَ استَعادة الأسرى والوعد الصادق قُدُرات العدو العسكرية الهزيلة، وبُنية المجتمع الصهيوني التكوينية والعسكرية الهشّة وتركيبته العدوانية وعقيدته العنصرية وباتت المدن والمستوطنات في العمق الاسرائيلي هدفًا للمقاومة مما زلزل الكيان الصهيوني وجعل المستوطنيين يعيشون كالجرذان في الأقبية والجحور! وقد حاول الصهاينة والمتصهينون في الإدارة الأميركية تحقيق نصرٍ ما على المقاومة لكنهم ارتدّوا خائبين خاسئين.

تألبوا واستفاق الحقد في دمهم	والشر يجمعهم والكيد والضرر
مثل الأفاعي وإن لانت ملامسها	وكالكلاب وحين الكلب ينسعر

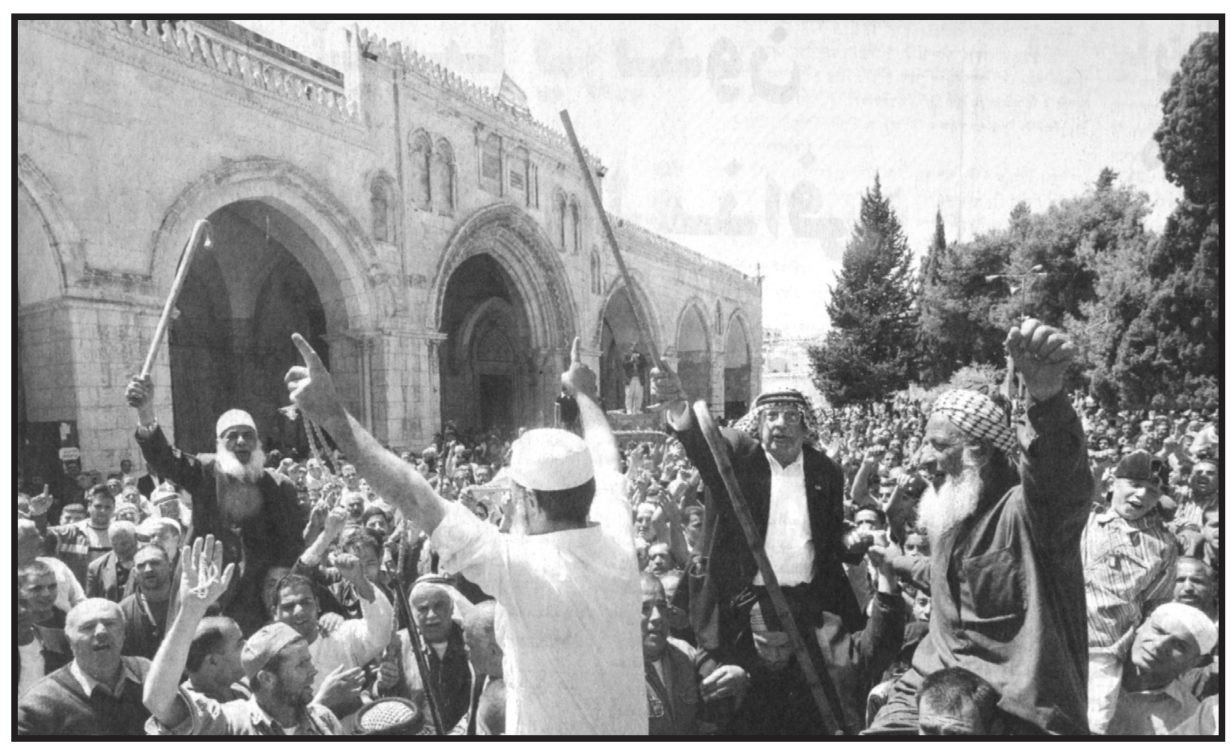
هؤلاء الحاقدون المعتدون المستمتعون بدماء الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ، أفرغوا كل شرورهم وسمومهم وأحقادهم وكراهيتهم ودمويتهم في «قانا والقاع» وأمطروا «مارون الراس ومروحين وعيترون والنبطية» وغيرها من مدن الجنوب بالقنابل حتى مسحوا المدن وكأنه قد أصابها زلزال. قصف هستيري ودمار وخراب خلفته آلة الحرب الإسرائيلية المعروفة بمجازرها وأيديها الملطخة بالدماء.

هؤلاء هم أعداؤنا «المحاربون الخارقون» الذين أفرزتهم التكنولوجية الحربية، ليسوا سوى آلات قتل وتدمير..!! يتمترسون خلف لوحة تحدد أمكنتها على خارطة مبرمجة لا تحتاج إلى أكثر من ضغط على أحد الأزرار لتلقي أطنان القنابل والصواريخ! هؤلاء هم «المحاربون الخارقون» الذين لا يُقهرون! لكنهم على أرض المعركة جبناء يهربون مذعورين. ورجال المقاومة يصرخون في وجوههم «إن كنت شجاعًا فتقدّم!».

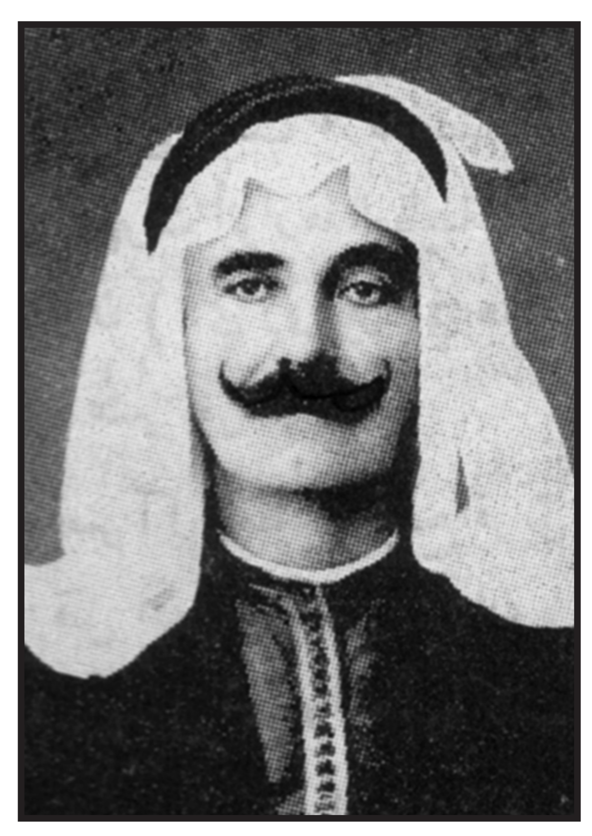




الدكتور أحمد حمدي سكر



ثورة الغضب أمام المسجد الأقصى



علي كليب



الشهيد حسن المبّقعة



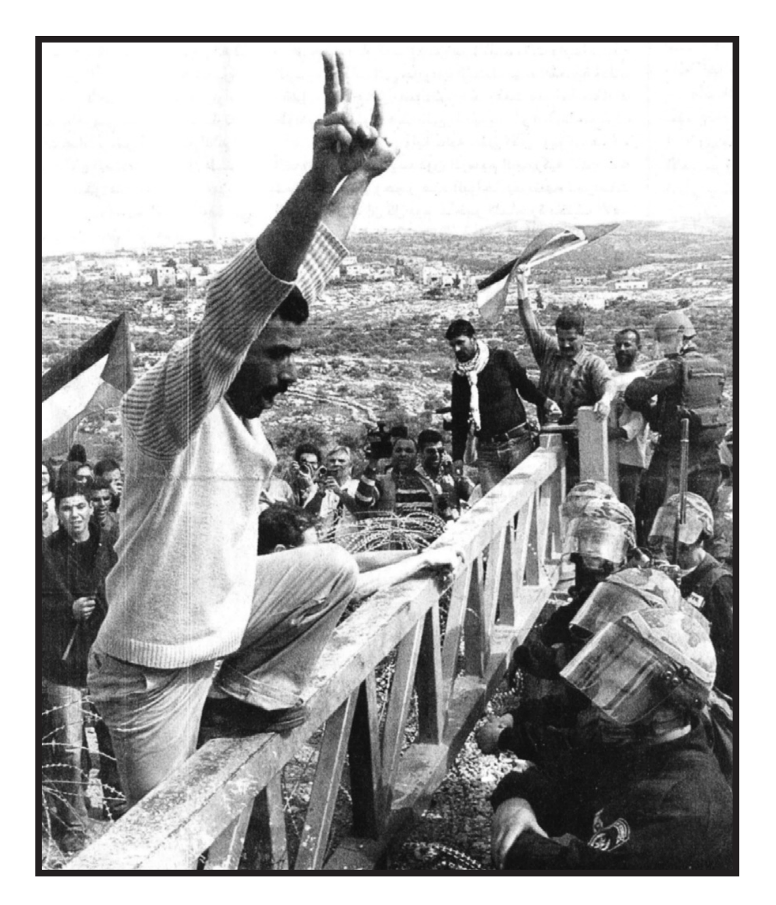
أحمد توفيق الخياط



زكي المرادي



بلير   الكلب الذي ضاع



المقاومون للإحتلال في فلسطين

الدكتور محمد علي الشواف

(١٩٠٢-١٩٥٤م)

هذا العشق الذي يسكن وجدان كل مواطن في أرض سورية، لا يمكن أزالته بممحاة.

هذه الأرض التي ترتبط بكل ذرة من كيان كل عربي تحتقر الغزاة القتلة الذين احتكروا سلاح الغدر والاغتصاب.

هذه الأرض التي نعشق
لا تُنبت ورود الياسمين
للغزاة الطامعين
أرضنا يا إخوتي
لا تُنبت زيتونًا وتفاحًا وتين
في ظلال المارقين
فارحلوا عن أوطاننا يا مستعمرين
واتركونا بسلام آمنين
اتركونا بسلام آمنين

لم يقف الدكتور محمد علي الشوّاف عاجزًا وسط المعركة التي فُرضت علينا، بل تقدّم الصفوف ليساهم في قَدَره حتى يُخرج ثوار أمته من عمق معاناتهم.

لم يُردْ الشوّاف لثوار بلده أن يشعروا بالعجز وهو يمتلك أدوات المعرفة والإرث الإنساني بل أراد أن يساهم في إعادة صياغة بناء وطنه، ليخرج من هذا الذّل الوجودي، الذي طوّقه به الأعداء والذي يُلقي بظلاله المقيتة على أمته ويقدّم رؤية جديدة لأبناء وطنه بعيدة عن عنصرية الأعداء ويكشف جوهر الإنسان العربي، ويهتك ستر إشكالية الضياع والظلام الذي تعيشه المجتمعات العربية، لتبدأ انطلاقتها المعرفية، متخطية كل العوائق، لتعود من جديد إلى مسرح التاريخ، في مجتمع إنساني جديد، خالٍ من عنف «الأقوياء» الذين يفرضون ثقافتهم بقوة الحديد والنار.

في هذا الزمن الرديء «الأقوياء» الذين يمتلكون «القوّة» هم الذين يسنّون القوانين.

التقيت بالدكتور محمد علي الشواف، وتعرّفت على هذا الطبيب الإنساني النطاسي البارع، والمجاهد المناضل الباسل، والشاب المقاتل الثائر في جدّة، قبل اشتعال الثورة السورية ببضعة أشهر. وكنت يومذاك قد ذهبت إلى الحجاز على أثر استشهاد شقيقي المرحوم عمر شاكر الخانجي، بقصد احضار تآليفه في العلوم الطبيعية، منها المطبوع كعلم الكيمياء العضوية والمعدنية، وعلم طبقات الأرض، وغير المطبوع مثل الأحياء، وأقسام فن الزراعة والهيئة (وهي العلوم الفلكية).

والشوّاف من عائلة نجديّة الأصل، نزحت كغيرها من العائلات إلى سورية طلبًا للرزق، واستوطنت مدينة أبي الفداء حماة منذ قرن من الزمان.

ولادته ونشأته:

ولد الطبيب المجاهد المرحوم محمد علي بن خالد الشواف في المدينة الباسلة (حماة) عام ١٩٠٢م، وتلقى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، ثم رحل إلى مدينة حمص لإتمام دراسته في كلية الاتحاد الوطني، ثم توجّه إلى العاصمة دمشق، حيث دخل جامعتها ونال شهادة الطب، وكان وفيًا ومخلصًا لأمته ووطنه وعروبته.

انضم الدكتور محمد علي الشواف مع زميله المرحوم الدكتور خالد الخطيب، إلى جيش الملك علي بن الحسين في جدّة، ولمّا أعلنت الثورة السورية في جبل العرب (وكان يُعرف بجبل الدروز)، كانت الحرب حول جدة المحاصرة تلفظ أنفاسها الأخيرة. لهذا استأذنا من الملك علي بن الحسين للالتحاق بالثورة السورية. وكنت قد سبقتهما إلى بلدة (السويداء) عاصمة جبل العرب، حيث رافقني الشهيد القائد شوكت العائدي شقيق الدكتور عبد الكريم العائدي، والضابط عبد الكريم المدفعي، والمرحوم حسين باشا المدفعي، والضابط الباسل شكيب وهاب، والقائد شهيد الإخلاص محمد سعيد العاص وغيرهم من قادة الميدان وهنالك اجتمعنا بقائد الثورة السورية العام سلطان باشا الأطرش، وبالدكتور الشهيد عبد الرحمن الشهبندر، وحضر الاجتماع الأمير عادل أرسلان، والمجاهد نبيه العظمة، والقائد مصطفى وصفي السمّان قائد منطقة الغوطة، الذي حضر خصّيصًا لمقابلة القائد العام سلطان باشا الأطرش، لتأمين العتاد اللازم للمجاهدين. وفي الوقت ذاته حضر إلى مدينة السويداء صديق الدكتور الشوّاف المجاهد الكبير القائد جميل العلواني(٦٢٦)، ومعه

(٦٢٦) جميل العلواني: ولد في مدينة أبي الفداء حماة عام ١٩٠٣م، وهو ابن الشيخ العلامة عبد القادر طالب العلواني، من أسرة عراقية الأصل استوطنت حماة. اشترك في الثورة السورية، وخاض معاركها مع فوزي القاوقجي،

بعض الأدوية ولوازم الاسعافات الطبيّة حيث أحضرها معه من مدينة بيت المقدس وقدّمها لزميله الدكتور محمد علي الشوّاف، الذي كان يقوم مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بالخدمات الإنسانية للثوار، في مركز خصّص لمعالجة الجرحى.

وعندما حكمت السلطات الفرنسية على الدكتور الشوّاف بالإعدام «غيابيًا»، لم ير مندوحة من مواصلة عمله الإنساني إلى أخر أيام الثورة، حيث نزح مع النازحين إلى منطقة الأزرق على الحدود مع الأردن، وبقي مع القائد العام سلطان باشا الأطرش في وادي السرحان، حتى تاريخ صدور العفو العام عن الثوار المجاهدين، حيث عاد بعدها إلى وطنه. ولمّا كان أصل أسرته من «منطقة نجد» فقد توجّه إلى الرياض، حيث أوفدته الحكومة السعودية عام ١٩٣٤م إلى تركية، ومنها سافر إلى فرنسا لإكمال التخصّص في طب العيون.

وأثناء وجود هذا المجاهد الكبير في المؤتمر الطبّي العربي في الإسكندرية، ظهرت في جسمه حبيبات متقيحة على شكل «دمّل»، فأعطي إبرة بنسلين، وبعدها أصيب بصدمة عصبية فارق على أثرها الحياة، مأسوفًا على شبابه ووطنيته الحقّة، وذلك التاسع من شهر آب عام ١٩٥٤م، حيث أُلحد الثرى في مدينة الإسكندرية. وهنالك تبارى الشعراء في رثائه بقصائد مؤثرة، وقد أنجب خمسة من الذكور وثلاث من الإناث، وكان أكبرهم السيد زياد محمد علي الشوّاف، والذي أصبح فيما بعد القنصل السعودي بدمشق. فإلى جنّة الخلد يا أبا زياد تغمدّك مولاك بالرحمة والرضوان.

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

أبكاني هدوء طبيبنا الرزين وهو ينحني فوق جراح بليغة تَنْزِف دمًا لواحدٍ من الثوار.

وآلمني حاله وهو يقف حطامًا من فرط الإعياء والإنهاك ولكنه كان كالطود الأشم. يتوق إلى الراحة التي كان يجدها في بسمة على وجوه مرضاه.

يغيب ظلّي وتحلّق روحي وأنا أراه متكئًا على جذع شجرة وجسده يرتجف

وسعيد العاص، كما اشترك في معارك القلمون والنبك، وجبال اكروم، ومعارك الغوطة. كان صديقًا للدكتور محمد علي الشواف، ثم ما لبث أن عاد مع زميله «منير الريّس» إلى حمص، ثم إلى مدينة حماة، عمل فترة في القضاء. ثم حكم عليه الفرنسيون بالإعدام لمطالبته برحيلهم، فالتجأ إلى العراق، واشترك بثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنجليز. عاد إلى سورية عام ١٩٤١م، بعدها أشرقت شمس الجلاء. عكف على إصدار كتابه «نضال شعب وسجل خلود» بكل تجرّد، وهو مرجع لكل باحث. وتوفي إلى رحمته تعالى عام ١٩٧٤م.

من البرد وترتجف معه الظلال خشوعًا وهو يتعامل مع رهبة الموت.

أتراه يستنبت الروح من جديد ويوقف نزيف الدم، الذي حرّض الجرح على الألم والشكوى والأنين.

لابدّ أنه يكتب «رموزًا» لتاريخ الألم على وريقة صغيرة، وفق تقويم اللحظة الراهنة والدهشة القادمة.

وأكاد أقول أنه همزة الوصل بين البلسم والأمل يميط اللثام عن «الوحشية» المسكونة في صدور المعتدين في الظُلم الذي طغى والحقد الذي انتصر والدماء التي تفجّرت والسلام الذي انتحر والقيم التي أُهدرت والشعوب التي انكسرت والعالم الذي سقطت قِيَمه وأُصيب بالعمى والصمم والبَكم.

هؤلاء السادة العظَام من الأطباء يكتبون الحياة في مفاصل العابرين ويرفعون الستار في رسم النهايات السعيدة أو يسدلونه في ستار المشهد الأخير من الحياة.

هؤلاء الذين يشهدون التفاف الساق بالساق وخروج اللحظة العابرة عندما يتوازن الروح مع الجسد وتسقط الثمار في مواسم التعب وتتهاوى الروح مستأنسة بالموت صاحبًا مخلّصًا. يقفون بكل الشموخ والاعتزاز، وهم يملكون هذا الكمّ الهائل من الإرث الحضاري، والمخزون الثقافي والديني والتاريخي الوطني هم قادرون – رغم كل الظروف – على التفاعل مع الثوار ومواكبة الثورة والحراك الاجتماعي، لإعادة الفرح للوطن، والبسمة إلى وجوه الجرحى والمرضى والمصابين.

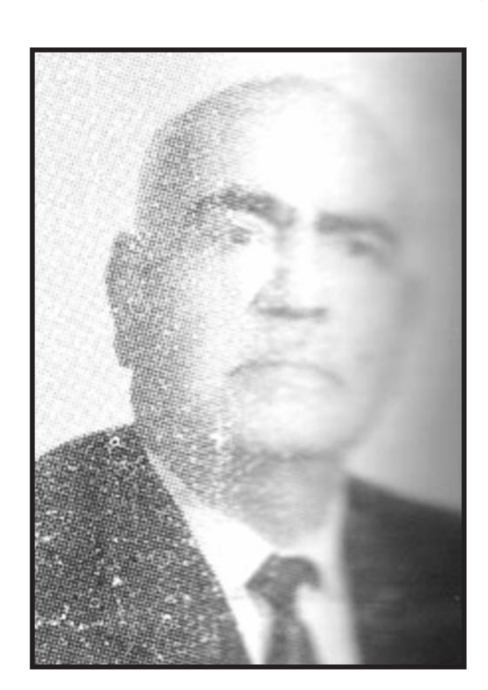
❖ أنجال الدكتور محمد علي الشواف : زياد القنصل السعودي بدمشق (توفي في ١٩٩٠/٨/١٨م ودفن في البقيع) والدكتور المهندس طارق رجل الأعمال وصاحب مكتب سعود كونسلت للإستشارات) والدكتور المحامي سعود الشواف (رجل الإعمال وصاحب مكتب الإستشارات القانونية وعضو في عدد من اللجان الرسمية) والسفير حسان الشواف (مدير مكتب وزير الخارجية) والأستاذ خالد الشواف (رجل أعمال يمتلك عدداً من الشركات العالمية).



الدكتور محمد علي الشواف



الدكتور محمد علي الشواف يجلس في الوسط بين الثوار ويقف خلفه من اليمين : الأمير عز الدين الجزائري وفارس عقيل وسليم الأظن وأحمد شعبان



جميل العلواني



دمشق العروبة ... دمشق الحديثة ... دمشق الخلود ... وجبل قاسيون

الدكتور صبحي أبو غنيمة

(١٩٠٢-١٩٧١م)

هؤلاء الاستثناء من الرجال قادوا مسيرة النضال وهم جزء من ثقافتنا الوطنية.

هو ابن دمشق ودمشق مدينة غالية، لها من بين عواصم العالم خصوصية النضال، تحوي فسيفساء التاريخ الساكن والمتحرك الثابت والمتحوّل المتوازن والمتحفّز، دمشق بألقها وهيبتها تهب أبناءها الخلود عبر اللحظة التاريخية، بمعاييرها الصارمة.

كانٍ دم الدكتور صبحي أبو غنيمة الأرجواني الأحمر القاني يحترق شوقاً بحب الوطن. كان يحب دمشق ويحب رائحة ياسمينها، وأشجار الكبّاد والزيتون والليمون وحبّات الرمّان التي تشتعل كالجمر والبرتقال المغمّس برائحة العطر.

يحب فجرها الدامي، وسماءها المغشّاة بالغيوم، المثقلة بحبّات المطر ونسائم ليلها الساجي المرصّع بالنجوم.

يحب أريج الزهر وعبق الفلِّ المبعثر على صفحات جداول أنهارها، وفي الأودية والشعاب والوهاد.

دمشق الحضارة والتاريخ أحبها صبحي أبو غنيمة وأحب خصوصيتها، وأريجها المتميز.

وقد توثقت عرى صداقتي مع فقيدنا الغالي الدكتور صبحي أبو غنيمة منذ أيام الدراسة، حيث كنّا زملاء معًا عام ١٩١١م و١٩١٢م في المكتب الإعدادي الملكي بدمشق - والمعروف اليوم بمكتب عنبر - وكان من زملائنا أيضًا: دولة السيد سعيد المفتي «الذي كان رئيس مجلس الأعيان الأردني» وقد كان مع فقيدنا الغالي صبحي أبو غنيمة كفرسي رهان، يتنافسان على أوليّة الصف، وقد التحق بهما وقتئذ السادة: جلال القطب، وأحمد الروسان. كما كان من رفاقنا أيضًا من أبناء دمشق الزملاء: خليل مردم بك(٦٢٧) الشاعر المشهور،

(٦٢٧) خليل مردم بك: شاعر الشام، ولد في مدينة دمشق عام ١٨٩٥م، وتلقى علومه في مدرسة الملك الظاهر، ثم انتقل منها إلى «مكتب عنبر». اتصل برجال الثورة السورية، وراح يهاجم بقصائده الاستعمار الفرنسي، ويفضح أساليبه الوحشية وبغيه وعدوانه. انتُخب رئيسًا للمجمع العلمي العربي. كما أُسندت إليه وزارة المعارف. أصدر مجلة الرابطة الأدبية، وكان شديد التعصب لعروبته، يحترم آراء الآخرين ومعتقداتهم. رحل إلى جوار ربه في

ومنير أمين الأصيل، وعلي المرتضى، وسواهم ممن أشغلوا المناصب الرفيعة في الدولة مما لا مجال لتعداد أسمائهم.

وكان الدكتور صبحي أبو غنيمة زميلي منذ العهد العثماني، يتقد حماسًا وطنيًا وقوميًا. وأذكر بأن أستاذ اللغة التركية في مكتب عنبر، أعطى طلاب صفّنا موضوعًا إنشائيًا تحت عنوان: (الغرب وترقّيه، والشرق وتدنّيه)، فاعترضت على صيغة عنوان الموضوع قائلاً له: اسمح لي يا أستاذ أن أكتب عن هذا الموضوع بالشكل الآتي «الشرق وترقّيه، والغرب وتدنّيه» وذلك نظرًا لما كان عليه الغرب في القرون الوسطى من الجهل المطبق، بينما كان الشرق يبدو في إبان عصره الذهبي.

وحينما حاول الأستاذ رفض طلبي رجاه فقيدنا الدكتور صبحي أبو غنيمة بكل لباقة أن يسمح لي بكتابة الموضوع حسب رغبتي، باعتبار أن الغاية هي تمرين الطالب على تحسين إنشائه، فوافق الأستاذ على مضض، وأذكر أني كتبت بهذا الصدد موضوعًا إنشائيًا مسهبًا بلغة الضاد، وموضوعًا آخر موجزًا باللغة التركية. وبعد ذلك مانع الأستاذ من قبول موضوع الإنشاء العربي (باعتبار أن الدرس متعلق بفروع اللغة التركية فحسب دون غيرها) غير أنه رحمه الله وقف بجانبي للمرة الثانية، مدافعًا عن فكرتي باعتباري لا استطيع التعبير عن أفكاري كما ينبغي إلاّ بلغتي فابتسم الأستاذ ووافق مكرهًا بإلقاء الموضوع باللغتين العربية والتركية.

ويُذكر أَنَّ جميع أساتذه «مكتب عنبر» كانوا من الأتراك، وكان تدريس مادة اللغة العربيةِ والدين الإسلامي باللغة التركية تنفيذًا لسياسة «تتريك» العرب وبدلاً من أن يتعلّم الأتراك اللغة العربية – ويرتقوا بأنفسهم إليها لأنها لغة القرآن – أضحت لغة القرآن تُدرّس بالتركية...!!

وكان «مكتب عنبر» ملتقى أبناء الوطن، وملتقى الثقافات يتوافد إليه الطلاب من مختلف أنحاء البلاد العربية والتركية بينهم العربي والتركي والشركسي والحوراني والحلبي والحمصي والحموي والكردي والشامي الدمشقي وصفوف المدرسة غاصّة بالطلاب وكان في المدرسة تسعة صفوف، كما كان فيها جناح خاص لطلاب «القسم الداخلي» للقادمين من المناطق

الحادي والعشرين من يوليو / تموز ١٩٥٩م، وأقيم له حفل تأبين على مدرّج جامعة دمشق، وترك ثروة قيمة من كتبه، أصدر بعضها بعد رحيله ابنه الشاعر عدنان مردم بك. ويُذكر أن خليل مردم بك نظم قصيدة مطالبًا ابن عمه «جميل مردم بك» بالاستقالة من الوزارة بقوله:

يا لابس الثوب مزهّوًا بجدّته ... إخلعْ ... فقد علقت في ثوبك النار

البعيدة، للأغنياء والفقراء على حدّ سواء.

في مثل هذه الصعوبات كان يعيش أبناء الوطن، وفي مثل تلك الأساليب الفجّة، كان الطالب الدمشقي يعيشها ويتحملها، ويقف أمام الجميع في شموخ لا يُدانى متحدّيًا الصعوبات، متحملاً كل أنواع الظلم والعناء والألم والتعسّف والإرهاق ويسير بصبر وثبات، رغم العيوب والمثالب، حتى يجتاز تلك المرحلة من حياته، وينال الشهادة العلمية، لتكون سلاحه الذي يقاتل به الجهل والتخلّف، والمشعل الذي يُنير له الدرب، رافعًا رأسه عاليًا يتهادى مفاخرًا بهذه الشهادة على أقرانه، مما يُجبر الجميع على احترامه وتقديره ذلك لأن القراءة والكتابة كانت نادرة بين الناس وعندما كانت تصل «رسالة» من مسافر لأهله، كان الأهل يبحثون عمن يقرأ لهم تلك الرسالة وكان «المتعلّم» — في تلك الأيام — يضع «قلم رصاص» أو «كوبيا» على أُذنه، ويمشي في سوق مدحت باشا والبزورية في خيلاء متباهيًا بين الناس بأنه «يعرف القراءة والكتابة». ويتلقى تمنياتهم وسلاماتهم وتبجيلاتهم. هكذا كان حال «المتعلّم» في «عصر الظلام والجهل» إبّان حُكم الطغمة الحاكمة في تركيا.

وغنيٌّ عن البيان بأن فقيدنا الغالي الدكتور صبحي أبو غنيمة، كان مثال المجاهد الوطني الفذّ، كما كان شعلة يتقد من الذكاء، متفانيًا بخدمة قوميته العربية، متحملاً المشاق في سبيلها. ومن جملة الأناشيد الوطنية التي نظمها، وأخذ يرددها طلاب المدارس في أواخر العهد الفيصلي هذه اللازمة:

الحمايـــة والوصايـــة كلهـا معنـى الأســـر
وعلـى الخصـم اللـدود أبـدًا لا نصطبـــر

كما له ديوان شعر معظمه في الوطنيات.

ولادته ونشأته:

ولد الدكتور صبحي بن عمر أبو غنيمة في أربد عام ١٩٠٢م، ونشأ في بيئة دينية صالحة، كان لها أبلغ الأثر في توجيه أطوار حياته الوطنية. وبعد أن أنهى دراسته في المكتب الإعدادي الملكي «مكتب عنبر» ذهب إلى الآستانة ودخل مدرسة الهندسة العليا — بعد نجاحه في المسابقة — بيد أنه وعلى أثر إصابته بمرض الحمى (الاسبانيولية)، عاد إلى مدينته التي يحبها دمشق.

وفي بداية عام ١٩٢٢م سافر إلى ألمانيا، وانتسب إلى جامعة الطب في برلين، وتخرّج منها طبيبًا عام ١٩٢٨م، متخصصًا في الأمراض الداخلية.

ثم عاد بعدئذ إلى مسقط رأسه في مدينة أربد، وافتتح فيها عيادته

الطبية، غير أن مجال عمله في أربد كان محدودًا ضيقًا، لذلك لم يلبث أن نقل عيادته إلى عمان، حيث اتسع نطاق عمله هناك في الحقلين الطبي والوطني معًا، وترأس حزب «المؤتمر الوطني» في الأردن، وهو الحزب الوحيد الذي عارض المعاهدة الأردنية – البريطانية، وظل حزب المؤتمر يتولى قيادة المعارضة حتى عام ١٩٣٤م.

وعلى الرغم من الضجة العنيفة والمعارضة الشديدة للمعاهدة(٦٢٨)، فقد بدا واضحًا أَنَّ المعاهدة شر لابد منه وأن مصير المعاهدة معلّق بتصديق «المجلس التشريعي» المزمع انتخابه. وقد تزعّم أعضاء المؤتمر الوطني حركة مقاطعة الانتخابات، ودعوا الأهالي إلى عدم الاشتراك فيها، وكان اجتماعهم الأول في ٢٥ تموز ١٩٢٨م.

إلا أن الانتخابات أُجريت، وانعقد «المجلس التشريعي» الأول، صباح يوم الثلاثاء الثاني من نيسان ١٩٢٩م، ومن الأعضاء المُنتخبين عن:

عجلون: نجيب أبو الشعر، نجيب الشريدة، عبد الله كليب الشريدة، وعقله النصير.

البلقاء: سعيد المفتي، شمس الدِين سامي، بخيت الإبراهيم، علاء الدين طوقان، سعيد الصليبي، محمد الأُنسي.

البدو : مثقال الفايز (عن بدو الشمال)، حمد بن جازي (عن بدو الجنوب).

الكرك: عطا السحيمات، رفيفان المجالي، عودة القسوس.

معان : صالح العوران.

وقد صوّت هذا المجلس على المعاهدة كما صوّت ضدّها الذين حملوا لواء المعارضة داخل المجلس ومقاطعة الانتخابات وهم: مثقال الفايز، نجيب أبو شعر، شمس الدين سامي، بخيت الإبراهيم، نجيب الشريدة، وسعيد المفتي. وقد قامت موجة من السخط على ما تضمنته من شروط قاسية. فسارت مظاهرات الاحتجاج والاستنكار في جميع المدن والقرى في الأردن(٦٢٩). وتنادى الوطنيون وانتخبوا «حسين باشا الطراونة» رئيسًا لمؤتمرهم، وسعيد

---

(٦٢٨) احتج الشعب الأردني بإجماع الأصوات وبشتى الوسائل المتاحة، على المعاهدة المعقودة بين بريطانية والأردن، وما تضمنته من القوانين الجائرة للضغط على حرية الصحافة، والتدخل في حرية القضاء، ومضاعفة الضرائب، وقانون الانتخابات، والجنسية والانفاق على الجواسيس، وبناء قصر للمعتمد البريطاني بينما الحكومة نفسها من دون بناء.

(٦٢٩) قامت الحكومة بإغلاق الصحف التالية: (جريدة الشريعة) لصاحبها «محمود الكرمي» في ١٩٢٧/٩/١م، و(جريدة صدى العرب) لصاحبها «صالح الصمادي» في ١٩٢٨/٤/١م، و(جريدة الأردن) لصاحبها «خليل نصر» في ١٩٢٨/١١/٢٤م، و(جريدة الأنباء) لصاحبها «مصطفى وهبي التل» في ١٩٢٨/٤/٢٩م.

المفتي، وطاهر الجقة، وعلي نيازي، وطارق سليمان أعضاء.

كما تشكّلت أحزاب وطنية لتمارس نضالها السياسي، كحزب الشعب الأردني الذي ترأسه «هاشم خير»، وحزب المؤتمر الوطني الذي ترأسه «حسين الطراونة»، وحزب الحرّ المعتدل الذي ترأسه «رفيفان المجالي»، وحزب التضامن الأردني الذي ترأسه «مثقال الفايز». وفي التاسع من شباط ١٩٣١م / ٢١ رمضان ١٣٤٩هـ حلّ المجلس التشريعي وسقطت حكومة حسن خالد أبو الهدى(٦٣٠).

وكانت بريطانيا قد اعترفت رسميًا باستقلال الأردن وجرى احتفال رسمي في عمان «صباح يوم الجمعة ٢٥ أيار ١٩٢٣م/١٣٤١هـ» حيث يصادف عيد الفطر.

وأمام الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة العربية، قرّر الحسين بن علي أن يزور شرق الأردن وفلسطين، ليتدارس مع زعماء فلسطين أفضل السُّبل التي تؤدي إلى حفظ حقوقهم في بلادهم، باعتقاده أن عليه مسؤولية قيادة الأمة العربية، وأنه مسؤول أمام الله والأمة والتاريخ.

غادر شريف مكة جدة في ١٧ كانون الأول ١٩٢٣م، وزار ينبع والوجه والمدينة المنورة. ثم سافر من ساحل الحجاز حتى وصل العقبة في التاسع من كانون الثاني ١٩٢٤م، ومنها وصل إلى معان حيث استقبله وجهاء أهل الأردن وعلى رأسهم الأمير عبد الله، ثم تابع سيره إلى مدينة عمان التي وصلها في ١٨ كانون الثاني وكانت تعجّ بوفود المستقبليين من سورية ولبنان وفلسطين. وتمت البيعة رسميًا في عمان في يوم الجمعة ١٤ آذار ١٩٢٤م / ٨ شعبان ١٣٤٢هـ.

وغادر الحسين بن علي عمان عائدًا إلى الحجاز بالقطار، صباح يوم الخميس ٢٠ آذار ١٩٢٤م/١٤ شعبان ١٣٤٢هـ، يصحبه الأميران علي وعبد الله.

وفي هذا الوقت العصيب من تاريخ الأردن أصدر الدكتور صبحي أبو غنيمة جريدة أسماها: (الميثاق) واشترك معه في تحريرها عادل العظمة وبعض الشباب المثقف من أحرار البلاد، وعلى صفحاتها بدأ نضاله السياسي.

إلاّ أنَّ السلطات أوقفت صحيفته عن الصدور، غير أنه لم يتوقف عن الكتابة استمر بكتابة مقالاته النارية في الصحف الفلسطينية طالبًا من الأمة العربية، الاستمرار في مقاومة المحتلين، وتوحيد الصفوف، واستنهاض

(٦٣٠) حسن خالد أبو الهدى: تولى رئاسة النظّار (رئاسة الوزراء) في فترة من أشد الفترات خطورة في تاريخ الأردن (١٩٢٦-١٩٣١م) وقد ترأس الحكومة خمس سنوات حافلة بالأحداث الخطيرة، فقد تمَّ في عهده توقيع المعاهدة مع بريطانية، وجرت انتخابات المجلس التشريعي، وخضعت جميع مرافق الدولة للمعتمد البريطاني المستر «هنري كوكس» وقد افتتح أول مجلس تشريعي في الأردن في الثاني من نيسان / أبريل ١٩٢٩م.

الهمم، لطرد جحافل الغزاة من أرض العرب «هيا أعلنوها ثورة عربية». «يا أمتي هتف الجهاد مناديًا» «إن لم نوحّد صفنا وجيوشنا».

عناوين ثورية تختزل كل الخطاب الثقافي العربي وتفضح كل المؤامرات التي اتسعت اتساعًا ضبابيًا مؤذيًا فالأدباء مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي والصراع الطبقي يسخّرون أقلامهم لتوصيل أفكارهم إلى المتلقّين من أجل خدمة وطنهم يخترقون الحواجز العرجاء باقتدار، لتتدفق مفرداتهم مع حروفها من أفواه الأقلام.

أمسك الدكتور صبحي أبو غنيمة بزمام «الرمز»، وراح يروّض الأقلام، لتساهم في استدراج أطياف الألوان، لمصادرة خيوطها المتمردة.

وأعلن في كتاباته بكل جرأة أن المقاومة هي استخدام العنف ضد المحتل، وهي الخيار الوحيد والبديل للشعوب للحصول على الاستقلال. وقرّر في مقالاته أن موجات التحرّر الوطني والقومي ومكافحة الاستعمار، وصلت إلى أوج ذروتها مع بدايات القرن التاسع عشر ووثّق كلماته بنظرية «فرانز فانون»، -الزنجي المارتينيكي- الذي أصدر كتابه «معذبو الأرض» والذي يقول فيه: «عندما يصبح توكيد العنف أصالة مطلقة، يصبح العنف له وظيفة تحرّرية وتصبح المقاومة والعنف ضد المحتل واجبًا وطنيًا قوميًا».

فالمقاومة إذًا في رأي الدكتور صبحي أبو غنيمة هي لتحرير الأرض، وقيمها الأساسية هي استعادة الأرض من المحتل، وترتبط المقاومة بالأرض وهي الجغرافية المكانية الطبيعية للمقاومة، كما ترتبط بتنظيمات المقاومة.

أما «الإرهاب»(٦٣١) فهو ابتزاز سياسي، وتفريغ شحنات العنف المسلّح، لإلحاق الضرر السياسي بالعدو، واستخدام هذا العنف لأهداف سياسية، يهدف إلى ترويع الشعوب، وهو ظاهرة تشكّل وباءً دوليًا.

ثم عاد الدكتور صبحي أبو غنيمة إلى دمشق، وهنالك التفّ حوله أصدقاؤه ومريدوه، وأقنعوه بضرورة البقاء بين ظهرانيهم، فاستجاب لرغبتهم واستقر في وطنه سورية الحبيبة نهائيًا.

وفي أوائل الحرب العالمية الثانية، وبالضبط في عام ١٩٣٩م، شعرت السلطات الفرنسية بنشاطه الوطني، وكانت أناشيده الوطنية يتلقفها الجمهور بكل ابتهاج وحبور وشغف، وخاصة طلاب المدارس الوطنية «الأهلية»، فما كان من سلطات الاحتلال الفرنسي إلاّ أن ألقت القبض عليه، وغيّبته في سجن القلعة

(٦٣١) الإرهاب: من المصطلحات التي أرعبت العالم في العصر الحديث، وهو ممارسة اعتداء أو تهديد على آمن غير ظالم. والإرهاب في القانون البريطاني فيه غموض وحشو، حتى يكاد يزيد التعريف إبهامًا والتعريف الأميركي للإرهاب: أي فعل عنيف ينطوي الخطر على الحياة الإنسانية، وانتهاك القوانين .

الحصين. وعلى أثر توسط وجهاء البلاد وأعيانها، أطلقت السلطات الفرنسية سراحه، ثم ما لبثت سلطات الاحتلال بعد مدة قصيرة من خروجه أن فرضت عليه الإقامة الجبرية وحجز حريته في مَنْزله، مع إثبات وجوده في دار المفوضية الفرنسية ثلاث مرات يوميًا. وقد استمر الحال – على هذا المنوال– أكثر من سنة، وهو في كل مرة يترقب الفرص للخروج من دمشق، هربًا من السجن الكبير إلى خارج الوطن.

وفي بداية عام ١٩٤١م فر إلى حلب، بعد أن ضاق ذرعًا من المراقبة المستمرة المرهقة. وهنالك توارى عن الأنظار أيامًا ريثما تمكّن من السفر إلى ألمانيا على متن طائرة ألمانية، وبرفقته الدكتور محمد حجازي وبعض الفلسطينيين، وكان قد سبقه إليها القائد فوزي القاوقجي الجريح، ومعه عادل العظمة. واضطر للإقامة متنقلاً بين ألمانيا وإيطاليا، ثم استقر في المجر، ومكث في تلك البلاد طيلة أيام الحرب العالمية الثانية، حيث لقي خلالها من أهوال الغارات الجوية ما تشيب له الرؤوس.

وفي نهاية تلك الحرب المدمّرة، عاد إلى دمشق، حيث أصدر كتابه القيّم في عالم الطب «نظرة في أعماق الإنسان». وهو أول مؤلف عربي في عالم الطب تطرق بمواضيعه الخطيرة، ذات الأبحاث الدقيقة، وذلك بعد دراسات مستفيضة عميقة، وجهود مضنية حثيثة بين البحث والتنقيب المستمر، ما جعله سفرًا نافعًا، ومرجعًا قيمًا في عالم الطب.

مع رفاق النضال:

ولا يفوتنا في هذا المجال، إلا أن نسجل هنا رفاق فقيدنا الغالي «الدكتور صبحي أبو غنيمة» في ميدان الكفاح الوطني، والنضال القومي أذكر منهم: حسين الطراونة، ومحمد الحسين، وعادل العظمة، وطاهر الجقة، وصالح الصمادي(٦٣٢)، وضيف الله الحمود، ونمر الحمود، وسليمان السودي، وتركي الكايد، وعلي خلقي، وسالم الهنداوي، وراشد الخزاعي، وناجي العزّام وغيرهم من شيوخ الأردن وشبابها المثقف، الذين امتازوا بالعقيدة الوطنية الصادقة.

[فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً].

[الأحزاب: ٢٣]

وفي الوقت ذاته كان رحمه الله يتمتع بين أوساط المجتمع السوري – إبان وجوده في دمشق، بعد أن أصبح سفيرًا للأردن في سورية – بمكانة بارزة، مرموقة

(٦٣٢) عشيرة الصُمادي: دُعيت بهذا الاسم نسبة إلى قرية «صُماد» وهي قرية من قرى حوران. وقد نزل بها أحد أجدادهم، وهم من العائلات المشهورة المعروفة في مدينة نابلس «التي كانت تُدعى جبل النار»

بين رجال الحكومة والشعب معًا وفي طليعتهم: الرئيس شكري القوتلي، وجميل مردم بك(٦٣٣)، ولطفي الحفار، وفارس الخوري، والدكتور ناظم القدسي، والدكتور مأمون الأتاسي، وأديب الشيشكلي وغيرهم من أعيان البلاد ونوابها ورجال صحافتها، من ذوي المبادئ القومية والوطنية المخلصة، الذين كانوا يتنافسون لنشر مقالات الدكتور صبحي أبو غنيمة، أمثال الصحفي نجيب الريس صاحب جريدة (القبس)، ومعروف الأرناؤوط صاحب جريدة (فتى العرب)، كما كان الدكتور صبحي أبو غنيمة ينشر مقالاته في بعض الصحف العربية الأخرى كـ(صدى المفيد) وجريدة (الكرمل) التي كان يصدرها الأديب نجيب نصّار في حيفا.

وقد اشتهر الدكتور صبحي أبو غنيمة رحمه الله بمزايا فاضلة، وسجايا حميدة وشمائل نبيلة فيها: التواضع والشمم، والإباء، والثبات على المبادئ الشريفة، دون أن تغريه المناصب الرفيعة. كما عُرف لدى الجميع بالشهامة والمروءة والنجدة، وخاصة وفاءه المنقطع النظير للأصدقاء.

وأذكر أنه في عام ١٩٢٨م كان رحمه الله يزور أهله في إربد، وصادف عامئذ أن لدغتني أفعى «كوبرا سامة» (مبرقعة صفراء اللون فاقع لونها لا تسر الناظرين)، فأسرع الدكتور صبحي أبو غنيمة مع الدكتور شفيق زهران، والدكتور أحمد المحايري - زميليَّ في مدرسة الاتحاد والترقي بدمشق - لمعالجتي - ومكث الدكتور صبحي أبو غنيمة شهرًا كاملاً - يتردد يوميًا لزيارتي في البيت، حتى شفيت من لدغة الأفعى السَّامة جدًا. وقد وصفوا لي أن أتناول «الكونياك» كعلاج طبي إلا أنني رفضت شربه، فأشار علي السيد محمد اللحام وشقيقه الأستاذ حسام الدين اللحام، بوضع (العلق) على يدي بعد شطبها بمبضع طبي لامتصاص السم، فوافق الأطباء على هذا الاقتراح، وكانت هذه العملية الاسعافية «البدائية» من أسباب الشفاء والحمد لله.

والموقف الثاني النبيل كان في دمشق حيث وجّهت لفقيدنا الوفي دعوة لحضور عقد زفاف نجلي الخامس برهان في ١٩٦٨/١٠/٢٥م، فلبّى الدعوة مشكورًا رغم ارتباطاته الكثيرة، وتفضل بتقديم باقة كبيرة من الزهور والورود تتضمن عبارات التهنئة الرقيقة بتمنياته الطيبة.

ومن المؤسف حقًا أن تُقتل كريمته برصاصة طائشة - بعد وفاته بعام - في

(٦٣٣) جميل مردم بك: أحد الزعماء السياسيين. ولد في مدينة دمشق عام ١٨٩٣م. حصل على شهادة العلوم السياسية من الجامعات الفرنسية. قاوم الأتراك فحكموا عليه الإعدام. بعد رحيلهم بات من مستشاري الملك فيصل، كما كان من مؤسسي «الكتلة الوطنية» التي قادت معركة الاستقلال والجلاء. شكّل الوزارة «المردمية» للمرة الثالثة. اعتزل العمل السياسي عام ١٩٤٩م وأقام في مصر. وتوفي في الثامن والعشرين من آذار ١٩٦٠م، ونقل إلى دمشق ليدفن في مدافن العائلة في باب الصغير.

الحرب الأهلية(٦٣٤) المؤسفة التي وقعت في لبنان في السبعينات، وذلك أثناء عودتها بعد مقابلة رئيس جمهورية لبنان، للتوسط لديه بشأن إيقاف اطلاق النار (حيث كانت الاشتباكات الدامية تجري على قدم وساق، بين الجيش اللبناني ورجال المقاومة الفلسطينية، بفعل ومداخلة الأيدي الأثيمة من قبل رجال المخابرات الاسرائيلية) وما كادت تصل إلى القرب من دارها حتى أصابتها رصاصة غادرة أودت بحياتها وأردتها قتيلة وهي تقوم بواجبها، فذهبت ضحية إخلاصها لبني قومها، تشكو روحها ظلم ذوي القربى من جهة، وحقد الحاقدين والمأجورين من جهة أخرى، رحمها الله رحمة واسعة.

وشقيق الفقيد الأكبر الأستاذ حسن أبو غنيمة هو (زميلي في تجهيز عمان عام ١٩٢٨-١٩٢٩م)، وأخيه الأوسط الأستاذ محمود أبو غنيمة - زميلي في مدرسة إربد عام ١٩٢٠م - وقد منحته وزارة التربية والتعليم كما منحتني أيضًا في العاشر من مارس / آذار عام ١٩٧٣م وسام التربية والتعليم مع مجموعة من الأخوة الزملاء، الذين ساهموا بنهضة الأردن التعليمية، ما يقرب من الأربعين عامًا.

وأخيرًا نبتهل إلى الله العلي القدير وندعوه، أن يتغمّد فقيدنا الغالي الدكتور صبحي أبو غنيمة بواسع رحمته، وأن يدخله فسيح جناته، آملاً أن تكون في سيرته الخالدة - المملوءة بجلائل الأعمال - حافزًا لشبابنا الناهض، ودافعًا لكل عربي مخلص لوطنه، أن يحتذي حذوه، ويقتدي بأعماله الجليلة.



●●● وأنا أقول...

أضحى مفهوم «الإرهاب» من أكثر المفاهيم التباسًا في الفكر السياسي العالمي المعاصر ابتدعوا إشكالية في مدلول الإرهاب والمقاومة ما جعل من هذه

(٦٣٤) الحرب الأهلية في لبنان: حدثت عام ١٩٧٥م وكانت حربًا مأساوية، استمرت سبعة عشر عامًا. استخدمت «الميليشيات» المتقاتلة فيها كل وسائل القتل المتاحة، وتحوّلت الأحياء إلى أشباح والمدن والقرى إلى ساحات حرب تعطّلت فيها دورة الحياة. كان القتل اليومي على «الهوية»، يذهب ضحيته مئات الأبرياء من المواطنين، لا ذنب لهم إلا انتماؤهم إلى هذه الطائفة أو تلك. حتى الجيش انقسم إلى فصائل عسكرية متناحرة، انحاز إلى «الميليشيات» المتصارعة. فتفكك الجيش، وانهارت مؤسسات الدولة، وشُلّت قدراتها، وتوقفت الخدمات العامة، وقطعت الكهرباء، ودمّرت الطرق والمعامل، واختفت أحياء بكاملها أو دمّرت بقنابل المدفعية الثقيلة وسقط مئات القتلى وآلاف الجرحى والمشردين. وعمّ الدمار والخراب كل شيء واندلعت الفتن الطائفية، وتوقفت حركة الطائرات، ومن ثمّ تمّ الاجتياح الإسرائيلي يومذاك وهجر مئات الألوف إلى خارج لبنان وتزايدت معاناة اللبنانيين بالاجتياح الإسرائيلي، واندلاع الفتن الطائفية التي أججها العدو الصهيوني وخرج لبنان من حرب أهلية عصفت بالبلاد والعباد.

الشعوب المقهورة شعوبًا متمردة، تختزن في أعماقها الكراهية التي تدفعها إلى العنف المضاد في معركة أُجبروا أن يكونوا وقودها ونارها.

والتعريف المبسّط «للإرهاب» استخدام العنف العشوائي أو المنظّم، ضد أبرياء بهدف ترويعهم وقد أُسيء استخدام مفهوم الإرهاب عندما بدأ يتصل بقضايا أمتنا العربية، بعد أن نصّبوا عدوًا وهميًا يلبس ثوبًا فضفاضًا يناسب كل المقاسات.

ونشوء الإرهاب واستمراره يعود دائمًا للاستبداد السياسي، والشعور بالظلم الاجتماعي، والظلم الاجتماعي هو التربة الخصبة التي تغذي الإرهاب.

والإسلام يرفض الإرهاب، ويُعلي راية الجهاد حين تُنتهك الحرمات، ويُعتدى على الوطن أو العقيدة أو الأمة ولكنه لا يقتل «الأبرياء» للانتقام من حكوماتهم فقد حرّم الله قتلهم ظلمًا وعدوانًا.

ويحاول الكيان الصهيوني والمتصهينون، فرض فلسفاتهم على المجتمع الدولي للربط بين الإرهاب وحركات التحرّر الوطنية والخلط بينهما.

وأمتنا تواجه اليوم «الإرهاب المعولم» تقوم به العنصرية الصهيونية النازية والفاشية الهتلرية المتصهينة، وبحجة محاربة الإرهاب «يصدّرون» الإرهاب المبرمج حتى في أفلامهم.

والمقاومة هي قَدَر أمتنا وخيارها، لمواجهة هجمة الاحتلال الشرسة التي تتعرض لها هذه الأمة وتهدد ثقافتها وهويتها ووجودها.

وهمّ الأعداء مصادرة سلاح المقاومة ليُفرغوا أيديهم من السلاح، فيسهل عليهم حصد رؤوسهم وهدم دورهم. فهل استطاع الغزاة القضاء على المقاومة بارتكاب الجرائم والمجازر واستخدام الحملات العسكرية وآلة الحرب بقوتها التدميرية العاتية؟ وهل حققت القسوة أهدافها بحجة محاربة الإرهاب؟ أم هل فقدت المقاومة مصداقيتها في وعي ووجدان الشعوب التي ترزح تحت بطش الاحتلال؟ والصراعات التاريخية الكبرى تحتاج لمخاض تاريخي وثقافي وهذا ما لم تدركه العسكرتارية الإسرائيلية الحاكمة.

وبقيت «المقاومة» عبئًا ثقيلاً وهمًّا يوميًا على «إسرائيل» وحماتها، وشعوبنا تتمتع بروح نضالية طوعية ضد قوات الاحتلال الغازية والتي يحاول المغتصبون وأدها. المقاومة هي التي تصنع الانتصار بفضل إيمانها بقضيتها العادلة واستعدادها للتضحية في سبيل الوطن. ويخطئ المتصهينون والصهاينة عندما يظنون أن الذي يحققونه باغتيال أو قتل «مقاوم» هو بمفاهيمهم المادية البحتة «انتصار». لكنه انتصار كبير للمقاوم نفسه الذي صنع الحياة للأُمة وعَبَر برزخ الحياة إلى جنة الخلود والحياة الأبدية الأزلية.

لقد بدا واضحًا التواطؤ الأميركي والنَّزعة الإمبريالية والسياسة العدوانية التي تنتهجها الإدارة المتصهينة في دعم الإرهاب الصهيوني بالمال والسلاح والتغطية السياسية والدبلوماسية والإعلامية للعمليات الإجرامية الصهيونية. وتدّعي الإدارة المتصهينة أنها تحارب الإرهاب وهي التي تعمد إلى دعم الإرهاب في العالم عن طريق محاولات التضليل والخلط المتعمّد بين مصطلحات الإرهاب والمقاومة مما دفع الشعوب إلى الالتفاف والتماسك والوحدة، والتمسك بخيارها الوطني للدفاع عن هويتها ومستقبل أجيالها. والتمسك بثقافة المقاومة بعد فقدان الأمل بتحقيق أي تسوية سلمية عادلة، ومواجهة الصمت الدولي والعناد والتعنت في الدفاع المفضوح عن الصهيونية العدوانية. مما ألهب مشاعر العرب والمسلمين، ومناصبة العداء للسياسة الأميركية المنحازة في الدفاع المستميت عن إسرائيل وتبني كل ما تدعو إليه، واستخدام «الفتيو» الظالم بوقاحة أمريكية للحيلولة دون مساءلة الدولة الصهيونية المغتصبة.

وليعلم المعتدون أن سياسة قهر الشعوب ونهب ثرواتها بالهيمنة والتسلط والاحتلال والعدوان بالأسلحة الفتاكة والتكنولوجية لا تفعل شيئًا أمام إرادة المقاومين.

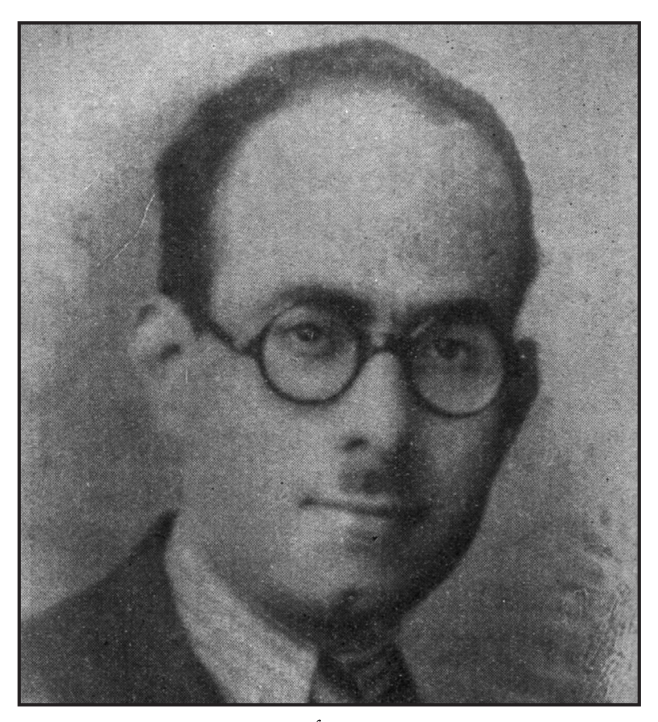
ويحق للمقاومين في زمن الإنهيار العربي أن يشمخوا برؤوسهم ويفاخروا بصمودهم البطولي وشجاعتهم وإيمانهم وإرادتهم ونصرهم الإلهي المدويّ.. ولينصرنَّ الله من ينصره..!!

يقول تعالى في (سورة التوبة:١٠٠):

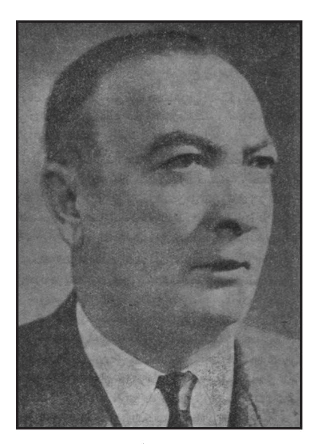
(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة، مَرَدوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)

صدق الله العظيم





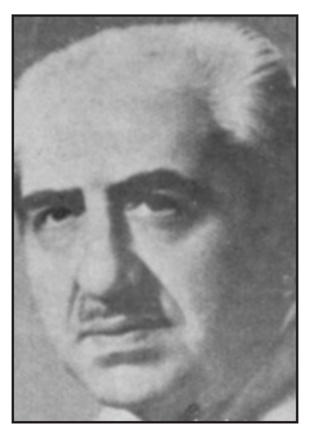
د . صبحي أبو غنيمة



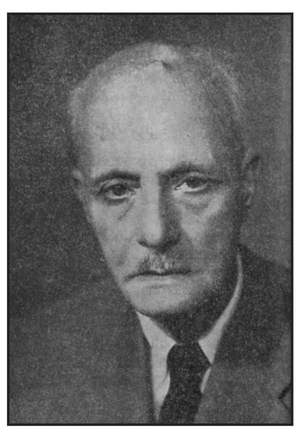
سعيد المفتي



جميل مردم بك



خليل مردم بك



ابراهيم باشا هاشم



توفيق ابو الهدى



سمير باشا الرفاعي



حسن خالد باشا

نجيب باشا الابراهيم

حسن باشا الطراونة
(حزب المؤتمر الوطني)

حديثة الخريشة

سعيد الصليبي

رفيفان المجالي

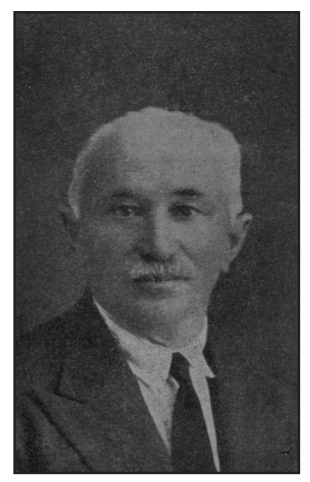
صبحي أبو غنيمة

كليب الشريدة

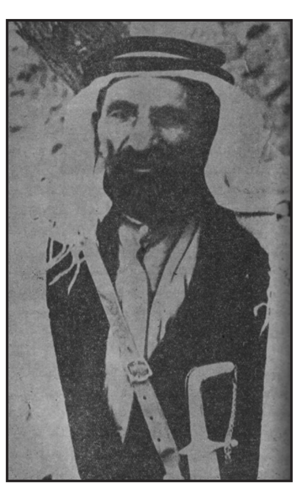
كايد المفلح



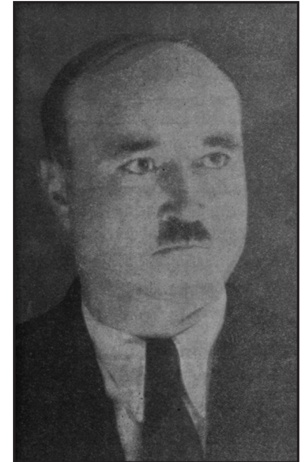
طاهر الجقة



شمس الدين سامي



سلطان باشا العدوان



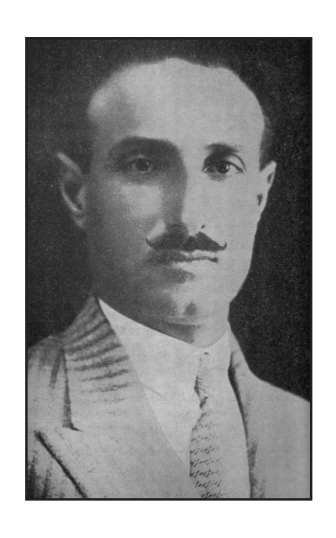
هاشم خير
(حزب الشعب الأردني)



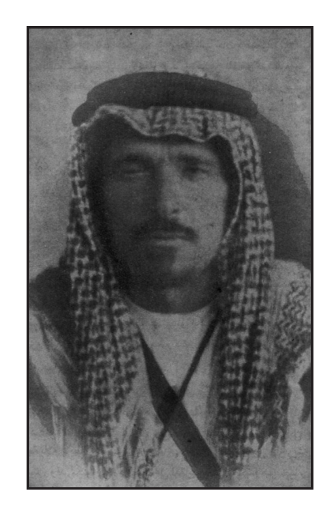
الأعضاء الأردنيون في المؤتمر السوري : سليمان السودي - سعيد أبو جابر - عيسى المدانات - عبد الهادي المرافي - خليل التلهوني - سعيد الصليبي - عبد الرحمن رشيدات - ناصر الفواز البركات



الجلوس من اليمين عبد الهادي الحسيبي - فايز الخوري - فخري البارودي - احسان الشريف - نسيب الكيلاني - (الوقوف من اليمين) لطفي الحفار - يوسف ليندو (يهودي) نسيب البكري - محمد علي العابد - زكي الخطيب - جميل مردم



محمد بك المحيسن



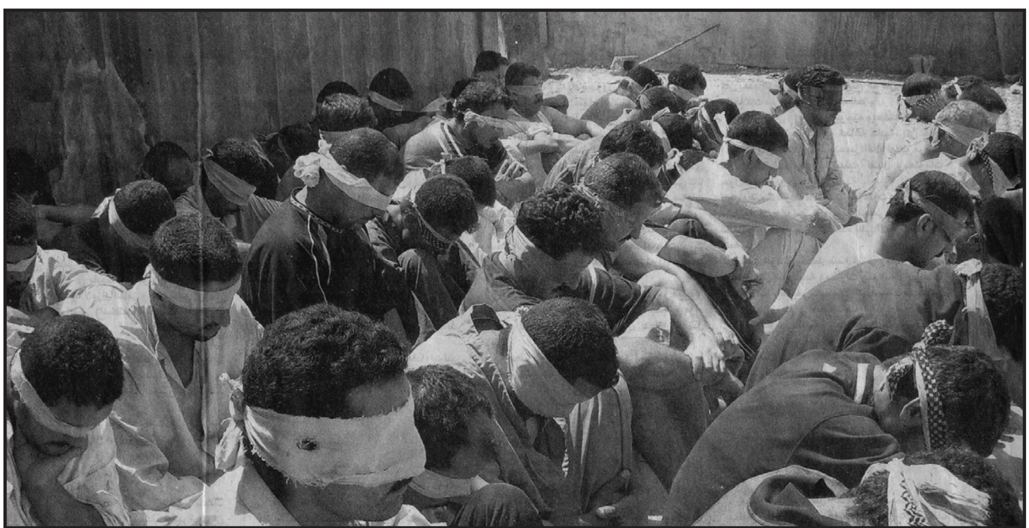
مثقال الفايز
(حزب التضامن الوطني)

كتاب جديد يوسع دائرة فضائح عهد بوش

واشنطن تجاهلت تقريرا لـ «سي آي إيه» يؤكد أن ثلثي معتقلي غوانتانامو أبرياء


رجال بلا محاكمة فى غوانتنامو

بوش اسوأ رئيس في تاريخ اميركا



نفذت جرائم حرب تستدعي سوق منفذيها إلى محاكم العدل الدولية

الدكتور توفيق القصيباتي

(١٩٠١ – .....م)

تصمت زهور الربيع وهو يحملها بين يديه ليقدمها لثائر يَنْزِف دمًا عندما يُضمّد جراحه، أو يكتم مرارة آلامه وهو يحتضن جسد مقاتل تبعثرت أشلاؤه.

لقد استهدف المستعمرون الطامعون بلادنا عبر العصور ووقعت تحت سنابك خيولهم. وكان أجدادنا يئنون تحت سياط جلاديهم، كما كانت خيرات بلادنا نهبًا للغزاة. وقاوم أجدادنا المحتلين وطردوهم، وأدّوا الأمانة وصانوا الوديعة وقدّموا إلينا وطنًا حرًّا مستقلاً.

ولادته ونشأته:

كان من بين الذين دافعوا عن استقلال بلدهم أطباء ساهموا بمعالجة جرحى المجاهدين في الميادين الإنسانية ومنهم الطبيب الماهر توفيق القصيباتي بن فارس بن عبد القادر القصيباتي. ولد في مدينة يافا عام ١٩٠١م ثم أقامت أسرته في مدينة دمشق.

وقد دخل المعهد الطبي في العهد الفيصلي ثم انضم إلى البعثة الصحية التي تشكلت لإسعاف الجرحى، على أثر نشوب معركة ميسلون المشهورة.

ولما اندلعت الثورة السورية عام ١٩٢٥م كان في بادئ أمره يقوم متطوعًا بواجبه الإنساني: يداوي جرحى المجاهدين في بيوتهم خلسة، فضلاً عن معالجة بعضهم في عيادته التي افتتحها في حي الميدان بدمشق. وقد تعرّض لكثير من المجازفة بسبب الأخطار التي كانت تحيط به أثناء ذهابه وإيابه لتأدية هذا الواجب الوطني والإنساني معًا.

ولما كثرت مظالم السلطات الفرنسية بعد قصف حي الميدان بقنابل المدافع، وقصف مبنى البرلمان السوري بعد الإجهاز على حراسه رميًا بالرصاص، شرع الدكتور قصيباتي بطبع منشورات ثورية ضد المستعمرين، وذلك بالاتفاق مع صاحب المطبعة «أبي قاسم الصقال» ثم كان يقوم بلصقها مع بعض إخوانه على جدران المؤسسات العسكرية والمدنية، أو يقومون بتوزيعها سرًّا على المصلين في المساجد أو يضعونها تحت أبواب المنازل.

ولما اشتد وطيس المعارك في قرى الغوطة الشرقية، وكثرت أعداد الجرحى

ترك عيادته في حي الميدان الفوقاني - قرب الجامع السلطاني - وذهب إلى ميادين الثورة ليداوي ويواسي جرحى المجاهدين وكان مركزه الذي اتخذه في بادئ الأمر في (قرية الحتيتة) وقد قمت بزيارته ودعوته إلى قرية الافتريس، مركز عصابة حي العمارة بقيادة أبي عبده ديب الشيخ لتوسطها بين قرى الغوطة وكان فيها أبناء عمومتي سليمان الخانجي مع شقيقه شفيق الخانجي ووجيه الخانجي المشهور بأبي معروف، وقد أمّنوا له دارًا واسعة جمعوا فيها ما تمكنوا من جمعه من جرحى المجاهدين مع تأمين الأسرّة لَهم بما يشبه المستشفى العسكري وكان في الوقت ذاته يتنكب بندقيته على كتفه، ويحمل حقيبته الطبية باليد الأخرى حيث شاهدته بعد الانتهاء من المعركة الدموية التي جرت مع العدو الفرنسي بين قريتي سقبا وحمورة يتفقد الجرحى ويقوم باسعافهم حتى أنه عالج فرسي التي أصيبت أثناء إحدى المعارك بوضع المطهرات على الجراح التي أصيبت بها. كما كان يطوف مع الدكتور سيف الدين البستاني(٦٣٥) على القرى التي فيها جرحى المجاهدين فيقوم باسعافهم بما تبقى لديه من أدوات الاسعاف ثم يطلب نقلهم إلى مركزه في الافتريس.

ولما تم تطويق الغوطة عام ١٩٢٧/٢٦م بما كان لدى الجيش الفرنسي النظامي من مدافع ثقيلة بعيدة المدى ودبابات وطائرات، بينما لم يكن لدى الثوار مَنْ يمدهم بالعتاد والأسلحة، اضطر أن ينْزح مع بعض القادة والمجاهدين إلى العراق، ثم سافر منها إلى المملكة العربية السعودية حيث استقر في الرياض حتى إذا ما صدر العفو العام عن المجاهدين. عاد إلى دمشق مع العائدين وقد جرى لهم استقبال شعبي حافل يليق بأبطال المجاهدين الذين أبلوا البلاء الحسن بدافع من وطنيتهم وعروبتهم. وكان مخلصًا مُبدعًا ثائرًا يتأجج نشاطًا وحماسًا امتلأ آمالاً ومشاعر وأحاسيس بأهداف أمته، وعاش بركانًا متفجرًا، وارتفع هتافه مع هدير الجماهير ليُشعل النار المقدسة وأناشيد الغضب تحرق أصواتهم!

يقول تعالى:

[فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً]

[الأحزاب: ٢٣].

(٦٣٥) الدكتور سيف الدين البستاني (١٨٩٤-١٩٦٧م): وُلد في حيّ الشاغور بدمشق وهو ابن سعيد البستاني وشقيق الشهيد صلاح الدين البستاني من أسرة حلبية الأصل. اشترك في معركة ميسلون على رأس خمسين متطوعًا، وأتم دراسة الطب البشري عام ١٩٢٢م بدمشق، ومارس مهنته كطبيب وكان من المقاتلين. اعتقله الفرنسيون أثناء الثورة السورية وسجنوه في جزيرة أرواد، ثم تمكن من الفرار إلى العراق. عاد لوطنه عام ١٩٤١م وهو أوّل مَنْ ألف عن الماسونية «احذروا هذا السرطان».

هؤلاء هم القدوة، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نتعلم منهم ونقتدي بهم هؤلاء هم الشهداء الأبرار روّوا تراب الوطن بدمائهم واستعذبوا الموت دفاعًا عن كرامة أمتهم وعزة وطنهم. نستمطر شآبيب الرحمة على أرواحهم.

❖❖❖

●●● وأنا أقول(٦٣٦)...

المعارك التي تقوم بها أميركا وإسرائيل في وطننا العربي،حوّلت شعوبنا إلى براكين تغلي وتفور وفي داخلها الجمر والجحيم يُمزّق أفئدتنا.

والهمجية الصهيونية فاقت في وحشيتها جميع الحركات العنصرية التي ظهرت في تاريخ البشرية؛ ذلك لأنها تنطلق من ايديولوجية عنصرية إرهابية، تكرّس الأساطير التلمودية من أجل أهدافها الاستعمارية التوسعيّة، وتضع القوة فوق الحق والعدل والقوانين الدولية.

وقد دان العالم العنصرية الصهيونية التي تكونت من اتحاد التراث التلمودي والايديولوجيّة الصهيونية والفكر الغربي العنصري المعادي للمسلمين والعرب. وإسرائيل التي قامت على الأساطير الخرافية تجد في الإدارة الأميركية المتصهينة مَنْ يؤمن بتلك الأساطير حتى تطاول قادتها على مقدساتنا، فدنّس شارون في ٢٠٠٠/٩/٢٨م المسجد الأقصى وأشعل انتفاضة الأقصى.

وتجاهر إسرائيل اليوم باستفزاز العرب والمسلمين عن طريق تهويد المدينة المقدسة، حيث تواصل عمليات الهدم منذ بداية كانونٍ الثاني ٢٠٠٧م عن طريق (باب المغاربة) المؤدي إلى حائط (البُراق) وصولاً إلى فناء المسجد الأقصى لتحقيق الاسطورة التلمودية بأن «هيكل سليمان» موجود في المكان الذي بُني عليه المسجد الأقصى، ولذلك يجب إزالة المسجد الأقصى لإقامة (الهيكل الثالث)، أو تفكيك المسجد وإعادة تركيبه في بلدة (أبو ديس) في ضاحية مدينة بيت المقدس التي تبعد ٣كم عن القدس. وفي تزامن شيطاني خبيث مع اقتتال الأخوة في فلسطين يقوم الصهاينة بحفر الأنفاق تحت مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، ومهاجمة المصلين بحماية قوات الاحتلال الإسرائيلية.

أما الشارع العربي فيعيش حالة إرباك شديدة وهو غارق حتى أُذنيه في صمت حزين وكأنه يشاهد نصًّا في التلفاز لفيلم أميركي مرعب في جزر

(٦٤٤) نشرت لي «صحيفة الغد» التي تصدر في عمان هذه الكلمة تحت عنوان «اسطورة الهيكل والعنصرية الإسرائيلية» في ١٩ شباط / فبراير ٢٠٠٧م العدد (٩٢٢).

«الواق الواق». فيما إخوتنا يُقتلون بدم بارد وعنصرية بشعة في قطاع غزة والعراق وأفغانستان! وهناك طائرات تقذف الحمم ودبابات ومصفحات لمجابهة «التطرف الإسلامي»، وقتلٌ وذبحٌ وأشلاءٌ عن طريق فرق الموت وجنود المارينز «للإسلاميين الأصوليين المتطرفين المجبولين على العدوان والاغتصاب والجهل». وعصابات القتلة تقوم بانتهاك الحرمات والمقدسات، وتعذيب الوطنيين المقاومين للاحتلال في السجون والمعتقلات، وزرع الفتنة والاقتتال وإثارة النعرات الطائفية والعرقية. فكيف يُكافأ مجرمو الحرب على مجازرهم البشرية وهم يُجاهرون بالعداء والكراهية والعنصرية؟ وكيف تُذبح الشعوب باسم الديمقراطية، ولا حديث لهم إلا عن الأصوليين والإسلاميين الفاشيين والمهاجرين الذين يتناسلون كالأرانب! وكيف تُستباح الأوطان باسم الحرية الأميركية ويُطوى التاريخ برغبة صهيونية، وتُنهب الثروات النفطية والآثار الحضارية باسم المشاريع الشرق أوسطية لضمان أمن إسرائيل؟ وهم يشيعون أن المسلمين سينقلون أمراضهم المُعدية وجراثيمهم القاتلة للغرب، وسيحوّلون «ساعة لندن» و«برج إيفل» و«تمثال الحرية» إلى مآذن لهم.! لكن ما يُعزّينا وينفخ روح المُقاومة فينا أنَّ الضَعف عنصر طارئ في حياة العرب والمسلمين. فقد كانت الأُمة تعيش بكيانها حقيقة الإيمان في عالم الواقع، لم تحلّق أبدًا في عالم المثاليات. وقد هَزَمَت في سنوات معدودة الفرس والرومان وردت كيد الصليبيين والتتار. وكان الإيمان الذي يملأ قلوب هذه الأمة يحركها للعمل فصنعوا تلك الأعاجيب التي سجلها التاريخ. وهناك مليار ومئتي مليون مسلم وثلاثمائة مليون عربي لن يصيبهم الوهن أبدًا.

وقد تختلف شعوبنا عن جميع أهل الأرض بـ«المناعة» التي اكتسبتها من قيمها وتراثها وثقافتها الدينية، بينما مجتمعات الحضارة الغربية مجتمعات هَشّة خُلقيًا وأُسرها متفككة تعتنق اللحظة المتشظيّة، تنتقل المرأة عندهم كما تنتقل الملعقة في الأفواه تقطف ثمار اللحظة، وتبرر اللحظة في حياة آنية مخادعة قابلة للانشطار والتشظي، مجتمعهم ساقط في حَمَأة الرذيلة، بحضارته المادية ومظاهرها الفاسدة وجراثيمها القاتلة سينهار حتمًا مهما بلغ من رقي وتقدم.!

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن ثمَّ فمهما اشتدت المحن والأزمات، والعصبية القبلية ودعوى الجاهلية والشعوبية والتشرذم والتقطرن ستظل شعوبنا قادرة على حماية أوطانها

ودحر القوى الغازية المعتدية. ودماء شهدائنا نور تسكبه السماء على أرض الوطن، وحروف كَتَبَت اسم الوطن بالدم. وشهداؤنا الأبرار يرحلونٍ مغادرين وفي عيونهم أطياف جنة الخُلد تتراقص في وهج الشمس خيوطًا من نور، مسبّحة خالقها فوق لآلئ النور الأبدي، منشدة بصمت نشيدها الأزلي تحت راية «الله أكبر»، لتعانق خيوط الفجر وهي تتسللً عبر أطياف الظُّلمة، مختزنة شطآناً لا نهاية لها بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. فرسان المعارك رهبان الليل ذرفوا الدموع على الوجنات مُناجين، من أجل أن يُعلنوا الحقيقة ويُخضبوا أرض المعارك بنجيع الدم.



صراع فتح وحماس

المدافع الإسرائيلية تستريح

16 قتيلا في معارك فتح وحماس و5 شهداء بقصف إسرائيلي

٢٥ ضحية في اقتتال الإخوة والضفة متخوفة

اشتباكات فتح وحماس

قتال "الإخوة"

اقتتال الإخوة" في غزة

مقتل 14 فلسطينيا في اشتباكات

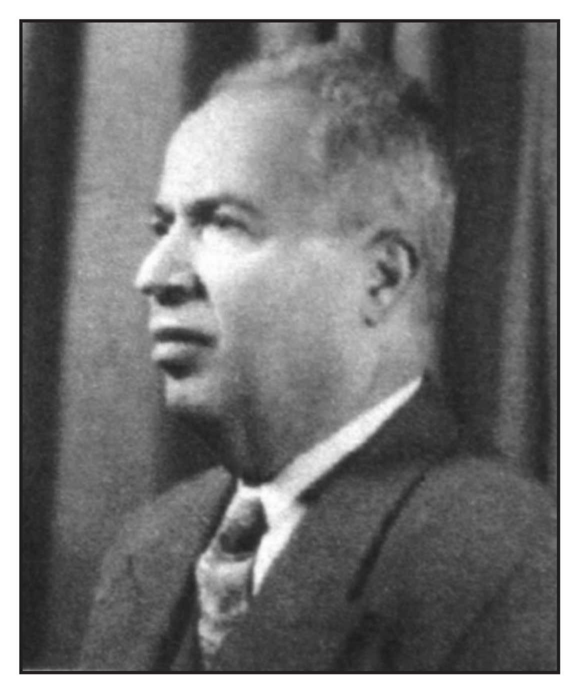
دامية بين حركتي فتح وحماس بغزة

قتال الفلسطينيين يخلف

34 قتيلا و90 جريحا

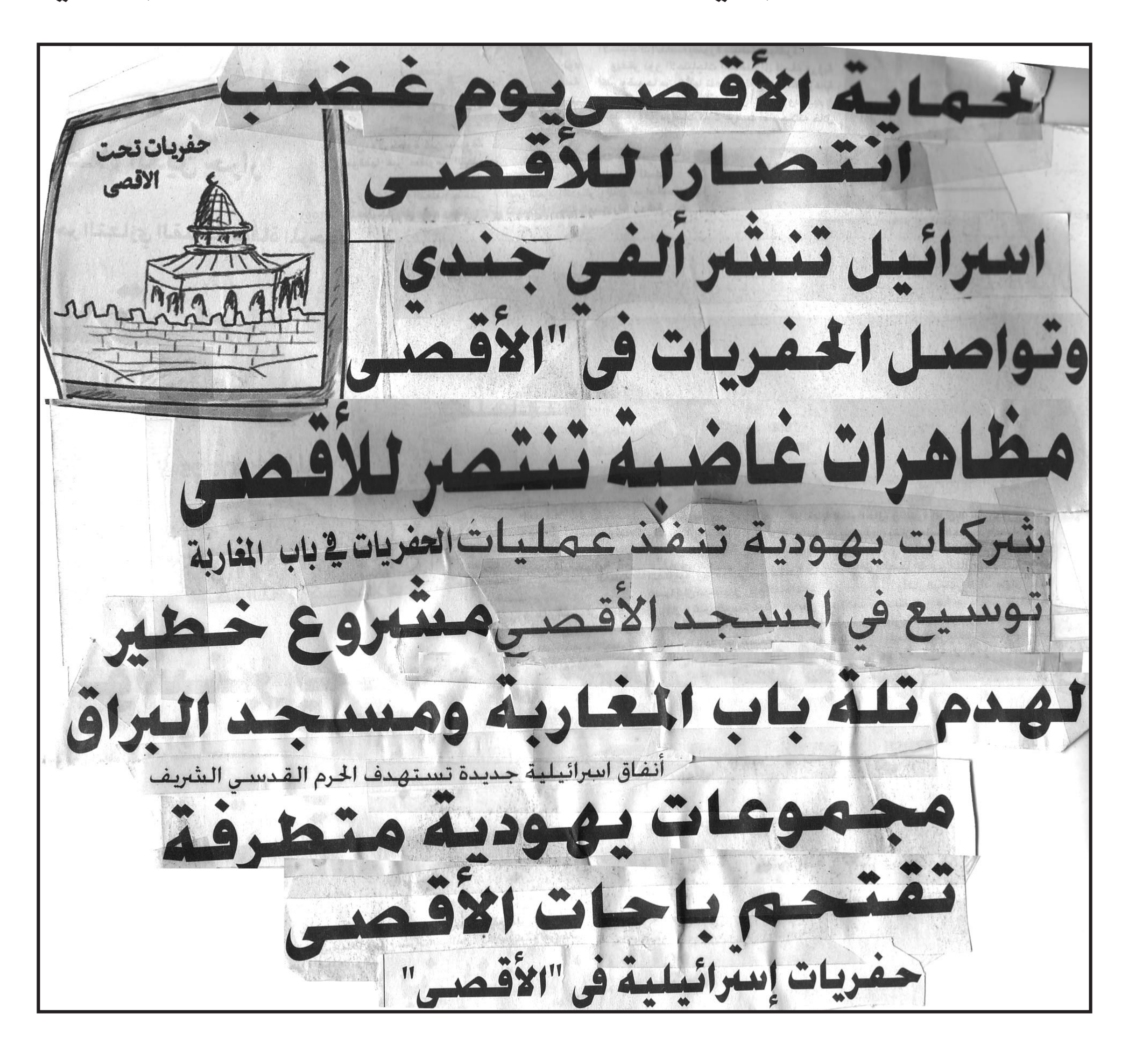


د . توفيق القصيباتي





د . سيف الدين البستاني



الدكتور القائد مصطفى فخري

(١٨٨٦ – ١٩٦٥م)

استحضَر أوجاع بلده ومجازر المحتل، فلامست شفافية مشاعره وأحاسيسه ففجّرتها، ورسمت خطوط الألم على قسمات وجهه.!

هؤلاء الرجال الأفذاذ يسكنون في مشاعرنا وأحاسيسنا، أحياء عند ربهم وأحياء في ضمير أُمتهم، جادوا بالنفس والجود بالنفس أسمى ما يبذله البشر.

طبيب مدينة دمشق مصطفى فخري ولد بدمشق عام ١٨٨٦م وتخرج من جامعة الطب في الاستانة. وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م اشترك فيها، كما خاض معارك «قناة السويس» و«الدردنيل» و«رومانيا» و«القوقاز» ورقي إلى رتبة قائد. فكان الطبيب القائد.

وعندما اندلعت الثورة السورية عام ١٩٢٥م كان يتصل بالسلطات التركية، لتزويد الثورة السورية بالأسلحة والعتاد، وقد لبى نداء الوطن وأدى ما عليه من الواجب الإنساني فكان يعالج الجرحى والمرضى من المجاهدين بصورة سرّية، إلى أن علمت السلطة المنتدبة بأمره فحكم عليه بالإعدام من قبل المحكمة الاستثنائية العسكرية الفرنسية عام ١٩٢٦م، وقد تمكّن من الفرار إلى خارج البلاد السورية، وبقي أحد عشر عامًا في «يافا» ثم عاد بعدها إلى دمشق. وذلك بعد إعلان العفو العام عن المجاهدين. حيث أخذ يمارس مهنته كطبيب بكل أمانة وإخلاص.

وكان قد ألّف أثناء وجوده في مدينة (يافا) كتابًا بعنوان (المحاضرات الطبيّة) كما انتسب إلى حزب الاستقلال وهو يحتفظ بعدة أوسمة نالها أثناء الحرب العالمية الأولى وانتقل إلى رحمة اللّه عام ١٩٦٥م. ومما هو جدير بالذكر بأن الحكومة السورية – بعد أن نالت البلاد استقلالها عام ١٩٤٦م – أصدرت في ١٩٥٤/٨/٣١م قانونًا تحت رقم ٢١٦ وذلك تعديلاً للمادة الأولى عن القانون الصادر في ١٩٣٨/١٢/١٤م والمتضمن بأن يمنح الموظفين الملكيين والعسكريين والمتقاعدين الذين سبقت لهم خدمة في وظيفة من وظائف الدولة أو المؤسسات العامة أو اشتركوا في الثورة السورية عام ١٩٢٥م و١٩٢٦م أو اشتركوا في خدمة القضية الوطنية وتعطى إليهم بعض التعويضات أو المكافآت لكن تلك المخصصات كانت «وقفًا» على المقربين الذين

يملكون الوساطة والجاه، أما الذين حُكم عليهم بالإعدام مع حجز الأموال والأملاك وإدارتها بمعرفة الحكومة ومنهم كاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي ورفاقه فقد حُرموا من تلك التعويضات لأنهم غير منتمين لذلك الحزب أو ذاك. حالتنا حالة مَرَضية سريرية لا شفاء منها! رموز من النُّخب الوطنية المناضلة فسدوا. اكتشفوا مآثر الذهب الأصفر الرنان. تسلقوا من السلالم الخلفية وتخندقوا خلف زمر متنفذة أفسدها المال وأصبحت عبئًا على المجتمع، والوطن متعب وهم ملتصقون بمقاعدهم!.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

نحن شركاء في الوطن وفي خندق واحد، شركاء في البندقية والأحلام والآمال والمصير والهدف، شركاء في النضال نبني ونعمّر ونشيد ونعمل في الإصلاح ومحاربة الفساد، نكافح من أجل كرامة وحرية الوطن كل حسب موقعه، يمد وطنه بالدماء والحركة والقوة والنماء. عندها ستتبدل الغفلة إلى صحوة، والنوم إلى يقظة، والاستسلام إلى عزيمة، والمرض إلى عافية، والموت إلى حياة.



●●● وانا أقول(٦٣٧)...

ثمة حقيقة واحدة تؤمن بها شعوبنا العربية، وسط ركام التزوير والتلفيق والافتئات على الحقيقة، وهي أن قضايا أمتنا واحدة وإن تعددت العناوين وتباينت الآراء. وشعوبنا أصبحت على وعي لكل ما يريده المتصهينون ويخطّطون له، مع مَنْ يدور في فَلَكهم ممن وسمتهم الصهيونية بطابعها.

ولن يتوقف نازيو العالم الجديد عن حملاتهم المسعورة بل سيزدادون شراسة وحقدًا. وطغاة الحروب والمال وشركات العولمة، المتربعون فوق عروشهم الحالمون بإمبراطورية تبسط أذرعها الأخطبوطية على العالم، من المفترض أن يُحوّلوا إلى محكمة العدل الدولية لمحاكمتهم كمجرمي حرب، لينالوا جزاءهم العادل تمامًا كما حوكم قادة النازية في محكمة «نورنبرغ».

فقد احتضنت ألمانية «نازية» الرايخ الألماني ورأس هتلر أعتى قوة عرفها تاريخ

(٦٣٥) نشرت لي «صحيفة الغد» التي تصدر في عمان هذه الكلمة تحت عنوان «النازيون الجدد» في ١٧ آذار / مارس ٢٠٠٧م العدد (٩٤٨).

البشرية، واستولدت إيطالية «فاشيةً» مُدانةً تربّع على عرشها موسوليني! والشعار الذي أوجده (النازيون الجُدد) هو: «الإسلام الفاشي» و«التطرف الإسلامي» لمحاربة عدو وهمي، أوجدوه وضخّموا صورته مبالغين في قوته، للتخويف من خطره، وبالتالي تحقيق الحلم الإمبراطوري الأميركي.

والمتصهينون يصرّون على مجازرهم الوحشية، تدفعهم عنصريتهم وعدوانيتهم وهمجيتهم ضد أهل العراق المنكوبين بالديمقراطية الأميركية! فقد حوّل المحتلون أحلام شعبنا العربي في العراق إلى كوابيس، وإرهاصاته إلى إرهاقات، صوّر هؤلاء الجُناة الجبابرة للشعب العراقي أنه قد وصل إلى قمة الحرية، وفُتحت لهم أبواب الفردوس والحضارة والحداثة والتقدم والازدهار، فلم يحصد سوى الكوارث والقتل والتدمير والموت الزؤام وشلالات الدم والأشلاء والجوع والفقر والحرمان ونهب الثروات وانتهاك الأعراض.

مارس الجنود الأمريكيون وقوات المارينز الدفاع عن حقوق الإنسان في بغداد وشوارعها على طريقتهم الخاصة في نشر الديمقراطية.

زيّفوا حقائق غزوهم العسكري للعراق، بالإدعاء بوجود أسلحة الدمار الشامل، ولما اكتُشف كذبهم ادّعوا أنَّ حربهم من أجل نشر الحرية والديمقراطية ثم اعترفوا أَنَّ حربهم من أجل السيطرة على منابع النفط وحماية أمن إسرائيل وتفوقها العسكري، وإدخالنا عالم العولمة، وتنشيط الشركات الاستثمارية الأميركية لضمان ازدهارها الاقتصادي ورسموا مخططات لمشاريعهم الاستعمارية، بتفكيك وتمزيق دول المنطقة وبناء «شرق أوسط جديد» تكون أميركا وإسرائيل هما المهيمنتان الوحيدتان عليه، وليكون قاعدة استراتيجية متقدمة لعملياتهم العسكرية، ومركزًا لانطلاق نشاطهم التجسسي وتعميم حضارتهم المادية الاستهلاكية، ووأد حضارات الأمم الأخرى وتراثها وقيمها الروحية.

زرعوا الخراب وتحدثوا عن الإعمار، ونشروا الفوضى وادعوا نشر الديمقراطية، وتظاهروا بالإصلاح والطهارة وشجعوا الفساد والمفسدين واللصوص. أثاروا الفتن وكرّسوا التعصب والطائفية والعنصرية وادعوا أنهم يريدون نشر الأمان والاستقرار. وبعد كل ذلك اتهموا الإسلام بالفاشية والمقاومين بالإرهاب، وسنّوا القوانين لمحاربتهم، وخاضوا المعارك العنيفة ضد المقاومين لاحتلالهم العسكري واعتبروا العنف والقتل الذي يُمارسه الصهاينة ضد شعب فلسطين دفاعًا عن النفس، فيما مقاومة الشعب الفلسطيني الأعزل للغزاة المحتلين عنفًا وإرهابًا! وتعاموا عن انتهاك الصهاينة لقرارات الأمم المتحدة في فلسطين فبقيت حبرًا على ورق، وأعطوا الضوء الأخضر

لإسرائيل بممارسة العنف والقتل اليومي، واستخدموا فيتو وقف الإدانة، وقسموا بلادنا إلى دول مارقة وأخرى غير مارقة، وأصروا على اتهام ومحاسبة كل دولة لم تستجيب ولم ترضخ لسياستهم وسطوتهم. وهاهي أميركا سمحت لإسرائيل بامتلاك الأسلحة النووية ورفضت أن تمتلك أي دولة عربية أو إسلامية مشروعًا تدخل فيه الطاقة النووية للأغراض السلمية.

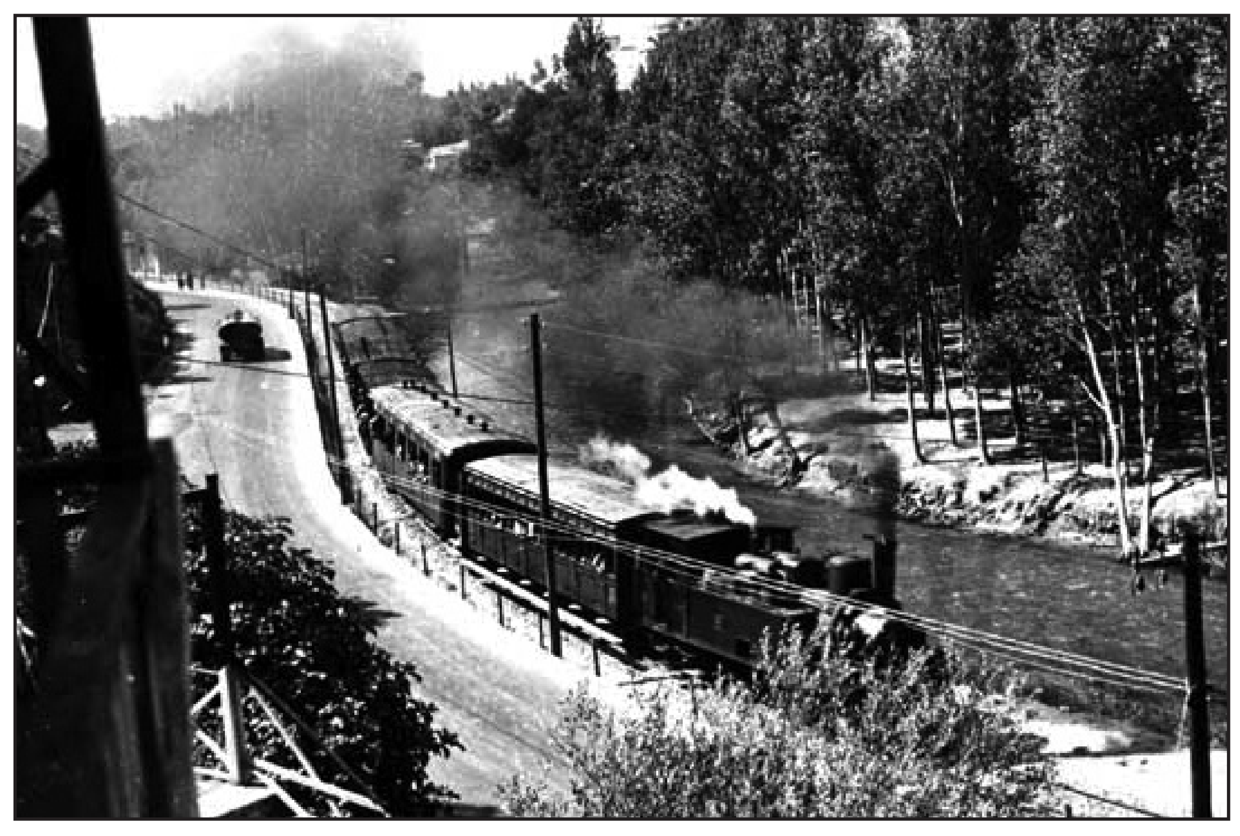
لقد عانى عالمنا من ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين والانحياز الكامل للدولة الصهيونية الباغية المحتلة التي أجهضت إقامة دولتين في فلسطين، تعيشان إلى جانب بعضهما البعض بأمان وسلام، فألغيت «خارطة الطريق» واستبدلت بخارطة «شرق أوسط جديد» غارق بالفوضى والدماء. ثم سكتت أميركا عن عشرة آلاف أسير فلسطيني زجّت بهم الدولة الصهيونية في سجونها وتفنّنت في تعذيبهم جسديًا ونفسيًا، لكنها تباكت على جندي صهيوني واحد أسرته المقاومة! أضف إلى ذلك كله عمليات الإبادة المبرمجة والتفجير والقتل اليومي والتدمير والكارثة السياسية والاقتصادية والإنسانية التي سببوها في العراق! دولة عظمى تحتل دولة صغيرة وتملأ مدنها بالدبابات، وشوارعها بالمصفحات وأشلاء البشر تتناثر وشلالات الدماء تتدفق في كل مكان، وصراعات دينية وعرقية تتفجر. وهم يرقصون بالسيف على الأشلاء..!!

تجشّموا عناء السفر ليعلمونا دروسًا في الحرية الشوهاء والديمقراطية المضرجة بالدماء. وهم يدكّون مدننا بالطائرات والصواريخ، ليعلنوا حرصهم على أمننا وسلامتنا.! ويوزعون بطاقات الموت في كل الشوارع لتلقين شعوبنا دروسًا في محاربة الإرهاب.! ويفتحون السجون والمعتقلات لينشروا حقوق الإنسان.! وتتفجر شلالات الدماء في العراق وأفغانستان لتعميم تجربة الديمقراطية في كل البلاد.! وعلى شعوبنا تقديم فروض الشكر والطاعة والولاء والعرفان بالجميل للإدارة الأميركية على دروس الديمقراطية وتدمير المتاحف والمكتبات والجامعات وقتل العلماء ونهب ثروات البلاد النفطية.

تلك هي الإنجازات الأمريكية في خدمة السلام العالمي والسلم الدولي ..! استباق الجرائم التي سيقوم بها شعب العراق بقلهم وإراحتهم من الحياة وهدم مدنهم وقراهم وإبادتهم ..!! وقد تركوا لهم حرية البكاء هلى ذويهم ومنازلهم المدمرة ..! ثم يسألون ببلاهة: لماذا يكرهوننا؟.



د. مصطفى فخري



الربوة - وقطار الزبداني ونهر بردى (أيام زمان)





أحمد البارافي الكردي



حماة ونواعيرها

عبد الرحمن السفرجلاني [٦٣٨]

(١٨٧٨-١٩٧٢م)

هو والد كلٍّ من: الدكتور محيي الدين السفرجلاني والمستشار محمد صلاح الدين السفرجلاني والأستاذة أديبة، وقد ولد عبد الرحمن السفرجلاني بدمشق في حيّ العمارة عام ١٨٧٨م، درس في مدارس والده معلم الشام الأول الشيخ «محمد عيد السفرجلاني» (المتوفى عام ١٩٣٢م بعد أن عاش ٩٤ عامًا)، كما تخرّج من «مكتب عنبر» وحصل على إجازة خاصة في العلوم الرياضية، ثم أكملها بدراسات عُليا في تركيا.

كان من مؤسسيّ (جمعية النهضة العربية) و(المنتدى الأدبي). انضم لـ(حزب الجزيرة) الذي أسّسه شقيقي المرحوم «عمر شاكر الخانجي» و«فؤاد محاسني» وقد نشرت صحيفة «الاستقلال العربي» بعددها رقم (٢٠٥) تاريخ ١٩١٩/٦/٢٨م عن انعقاد مؤتمر الحزب، للتداول في الأوضاع السياسية العامة، وبيان الدكتور الشهبندر الذي يطالب فيه بالاستقلال التام.

له مؤلفات كثيرة تربو على العشرين كتابًا، وقد بلغ من العمر عتيًا، وتوفي عام ١٩٧٢م بعد أن عاش أربعة وتسعين عامًا.

رحم الله المربي الكبير الأستاذ عبد الرحمن السفرجلاني وجعل الجنة مثواه(٦٣٩).

الدكتور محيي الدين السفرجلاني

(١٩١١-١٩٩٢م)

حاملو المشاعل والرايات الوطنية يختارهم الموت يغريهم يخاتلهم حتى يتحولوا إلى رمز تاريخي. ثم يُحملون على الأكف والأعناق في عرس وطني، ويمضوا بهم ليجتازوا بوابة الحياة عبر اللحظة الأبدية إلى المجد الأبدي.

---

(٦٣٦) تخليدًا لذكراه أطلقت وزارة التربية والتعليم في سورية اسمه على مدرسة ثانوية للبنات في المزّة - فيلات (ثانوية عبد الرحمن السفرجلاني).

(٦٣٧) أولاده: الدكتور محيي الدين، والأستاذ المحامي محمد صلاح الدين، والأستاذة أديبة. وأحفاده: الدكتور غياث الدين، والدكتور عبد الرحمن، وعيد وعلي وغادة وخيرية ورنا «أنجال الدكتور محيي الدين السفرجلاني»، ومجد الدين والمحامي محمد والصيدلانية لوليا أنجال أستاذ القانون «محمد صلاح الدين السفرجلاني».

إنه الأديب والمؤرخ والشاعر، والكاتب والمناضل الوطني الثائر، الدكتور محيي الدين السفرجلاني يعكس الحركة التاريخية في شموليتها.

وُلد صاحب الترجمة الدكتور محيي الدين السفرجلاني في مدينة بيروت عام ١٩١٠م، في حي «زقاق البلاط»، والده «عبد الرحمن بن الشيخ محمد عيد» السفرجلاني. درس المرحلة الابتدائية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق، وأكمل المرحلة الثانوية في «مكتب عنبر»، ثم درس في جامعة دمشق وحصل على الشهادة العلمية في الصيدلة عام ١٩٣٩م.

كان يحمل هموم الوطن منذ نعومة أظفاره، شغوفًا بقضايا أمته، متحسسًا همومها، مندفعًا للتحدث عن معاناتها وأهدافها وطموحاتها. كما كان في أوائل الثلاثينات أحد رموز «الكتلة الوطنية» التي تضم الرعيل الأول من رجال الوطن، للخلاص من الانتداب الفرنسي، والعمل على استقلال الوطن ووحدته.

انتسب إلى فرقة «القمصان الحديدية»(٦٤٠)، وكان يقود التظاهرات الوطنية، ويلقي الخطب الحماسية، ورافق الزعيم الوطني الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بعد عودته من منفاه. وكان همه توحيد صفوف رجالات «الكتلة الوطنية» مع الزعيم الشهبندر، حتى اغتياله عام ١٩٤٠م.

أرّخ الدكتور محيي الدين السفرجلاني للثورة السورية، وأصدر كتابه «تاريخ الثورة السورية» وكانت مقدمة الكتاب كلمة للدكتور عبد الرحمن الشهبندر «أبو الثورة وخطيبها المفوّه». كما تضمّن الكتاب كلمة لقائد الثورة السورية سلطان باشا الأطرش، وكلمات أخرى للقائد فوزي القاوقجي، والمجاهد نسيب البكري، وجميل المدفعي، وعز الدين الحلبي، وعقلة القطامي، ويقع الكتاب في ٦٤٨ صفحة.

وكان الدكتور محيي الدين السفرجلاني قد أصدر كتاب «فاجعة ميسلون» والبطل «يوسف العظمة» ويقع الكتاب في ٣٥٢ صفحة، وتضمّن الكتاب كلمة للزعيم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وقادة معركة ميسلون أحمد اللحام، أحمد صدقي الكيلاني، تحسين باشا الفقير، عارف التوّام، حسن الهندي، محمد شريف الحجّار، توفيق العاقل، حسن يحيى الصبان، جعفر باشا العسكري، ونائب دمشق المحامي زكي الخطيب، وأمير البيان شكيب أرسلان، وعضو المجمع العلمي عز الدين علم الدين التنوخي، ونقيب المحامين فائز الخوري، والمجاهد نسيب البكري، والقائد مولود باشا مخلص.

---

(٦٤٠) القمصان الحديدية: فرقة شبه عسكرية أنشأتها «الكتلة الوطنية» للتدريب والإعداد لمجابهة الاحتلال الفرنسي، ونسميها المقاومة الوطنية في أيامنا هذه.

كما أصدر الدكتور محيي الدين السفرجلاني كتاب «نضال حتى النصر» وهو مؤلف ضخم يقع في ٦٥٠ صفحة من القطع الكبير، ضمّنه الأحداث في سورية، ولا يقل أهمية عن كتاب «تاريخ الثورة السورية».

وصدرت له كتب أخرى: «في سبيل الإصلاح» و«من وحي الأيام»(٦٤١).

القائد آصف السفرجلاني

(١٨٩٧-١٩٦٧م)

آصَف بن توفيق وُلد في حيّ القنوات بمدينة دمشق عام ١٨٩٧م، جدّه محمد أمين السفرجلاني (توفي عام ١٩١٦م). تلقى علومه في تركيا. وأصبح ضابطًا في الجيش العربي الفيصلي، مع صهره القائد «مصطفى وصفي السمّان»، وصهره الآخر نزيه المؤيد العظم وأخوته (أحمد وملك وعرفية وعليّة).

قاتل جيش الإحتلال الفرنسي في معارك الغوطة، وكان يرافق صهره دائمًا، حتى أنه التجأ معه إلى جبل العرب بعد تطويق الغوطة، وبقي مع صهره بضيافة سلطان باشا الأطرش حتى توقفت الثورة.

وغادر السفرجلاني مع جميع الثوار سورية هربًا من بطش الفرنسيين، ملتجئين إلى «واحة الأزرق»، حيث كان الأردن ملجأ للثوار الأحرار.

توفي آصف السفرجلاني في حزيران ١٩٦٧م، وأنجب ثلاث بنات هن: سميرة وسمية ووسيمة، وولدين هما: كرام ونسيم(٦٤٢).

(٦٤١) قبيل رحيله في التاسع من فبراير / شباط عام ١٩٩٢م وكان قد بلغ من العمر عتيًا، كتب «خاطرة» تحت عنوان: «حصيلة العمر» يقول فيها: (انطوت الأيام، وبلغتُ قمّة الشيخوخة، وأصبحتُ في وضع صحّي لا أُحسد عليه، ولا أعلم هل سأنزل عن القمة بسلام أم سأهبط إلى غير ما يُرام. تدور بنا الأيام، نودّع سنين العمر ونودّع معها الأحداث، ونستقبل الأزمات ولا ندري ماذا سينتظرنا من أقدار.). رحم الله أبا غياث فقد كان أديبًا ومؤرخًا ووطنيًا فذًا. وقد أنجب الدكتور محيي الدين السفرجلاني أربعة من الذكور وثلاث من الإناث: غياث الدين (دكتور في طب الأسنان)، وعيد وعلي وعبد الرحمن (دكتور في الجيولوجيا) وغادة وخيرية (مجازتان في اللغة العربية) وأختهما «رنا».

(٦٤٢) توفي نسيم بن آصف السفرجلاني عام ١٩٩٤م وأنجب ولدين هما: المهندس مُضر والطبيب عمر، وكان قد شغل في مطلع الستينات من القرن الماضي محافظًا للاذقية.

القائد مصطفى وصفي السمّان
(١٨٨٨-١٩٤٤م)

جمعته القرابة والخدمة العسكرية مع آصف السفرجلاني، فلم يفترقا أبدًا. كان «السمّان» في هيئة الأركان، في المقرّ العام لقيادة الجيش، ومن مؤسسي «حزب العهد» العسكري. تسلّم القيادة العسكرية في جميع معارك الغوطة، والتجأ إلى جبل العرب، وأقام بضيافة سلطان باشا الأطرش بعد مطاردة السلطات الفرنسية له ولرفاقه الثوار. وُلد مصطفى السمان بدمشق في حي العمارة عام ١٨٨٨م، وتخرج من مدرسة الأركان الحربية في اسطنبول واشترك في حرب البلقان والدردنيل ورمانيا ولمع نجمه وذاع صيته ورقي إلى رتبة قائد.

بعد توقف الثورة السورية، غادر مصطفى وصفي السمان مع نسيبه «آصف السفرجلاني» إلى «واحة الأزرق» في الأردن، في أواخر أيلول عام ١٩٢٦م، وعاد لوطنه بعد صدور العفو عام ١٩٣٧م، وانتقل مصطفى وصفي السمان إلى جوار ربه عام ١٩٤٤م.



●●● وأنا أقول...

إنَّ كل من يتجرأ على النطق بالحقيقة، وقول كلمة الحقّ والعدل، عن الإرهاب الصهيوني والأميركي، وعن الظلم الذي يتعرّض له الشعب العربي، على أيدي الغزاة الذين يوزّعون «نماذج» الحرية والديمقراطية على شعوب العالم قد يكلّفه حياته أو مورد رزقه. وقد استعصت أصوات على محاولات كمّ الأفواه التي جرت «قوننتها» دوليًا عبر قرار إدانة «معاداة السامية» أو من خلال تصفية جسدية.

فالوسيط الدولي «الكونت برنادوت»(٦٤٣) الذي عيّنته الأمم المتحدة وسيطًا دوليًا، بقرارها رقم (١٨٦) في ١٤ مايو / أيار ١٩٤٨م، دفع حياته ثمنًا

(٦٤٣) الكونت فولك برنادوت: نبيل سويدي، عُيّن وسيطًا للأمم المتحدة في العشرين من مايو / أيار ١٩٤٨م بين العرب واليهود. اغتاله الصهاينة في القدس في السابع عشر من سبتمبر / أيلول ١٩٤٨م، وهو ابن أخي ملك السويد «غوستاف الخامس». قام في (٢٤ نيسان / أبريل ١٩٤٥م) – بتكليف من ألمانيا النازية بعرض للحلفاء مفاده أن تستسلم ألمانيا لكل من بريطانية وأميركا عدا الاتحاد السوفياتي، دون قيد أو شرط، إلا إنهما رفضتا العرض.

لتحقيق العدالة العمياء، وقول كلمة الحق، بتأكيده على وجوب قيام الأمم المتحدة، بحمل إسرائيل على تنفيذ حق العودة للفلسطينيين، الذين نزحوا عن ديارهم، نتيجة للحرب التي أشعلتها إسرائيل، والفزع الذي أثاره نشوب القتال في المدن والقرى الفلسطينية، وعن الأعمال البربرية الإرهابية التي قامت بها المنظمات الصهيونية. وأكد «الكونت برنادوت» في تقريره للأمم المتحدة، المعاناة التي عاشها أهل فلسطين، وطلب من المنظمة الدولية تثبيت حق هؤلاء «الفارين من أعمالِ الإرهاب الإسرائيلية» في العودة إلى وطنهم، في أقرب فرصة ممكنة. وأن أيَّ تسوية لا يمكن أن تكون عادلة، ما لم يتم الاعتراف بحق المطرودين العرب من ديارهم في العودة إلى بيوتهم، التي أخرجتهم منها مخاطر واستراتيجية النِّزاع بين العرب واليهود في فلسطين. وقال برنادوت: ستكون إساءة عظيمة إلى مبادئ الحق والعدالة، إذا ما أُنكر على هذه الضحايا البريئة للنِّزاع، حق العودة إلى ديارهم، في الوقت الذي يتدفق المهاجرون اليهود إلى فلسطين، مما يهدد بالتشريد الدائم للفلسطينيين، الذين استقرت جذورهم في هذه الأرض، طوال عدّة قرون من الزمن. وحمّل إسرائيل عمليات السلب والنهب الواسعة النطاق، التي قامت بها المنظمات الصهيونية الإرهابية، وتدميرها للمدن والقرى الفلسطينية، دون ضرورة عسكرية ملحة - سوى إرهاب سكانها - ومسؤوليتها عن إعادة كل الممتلكات الخاصة إلى أصحابها، والتعويض على هؤلاء عن ممتلكاتهم التي دمرت، كما طالب «لجنة التوفيق» - التابعة للأمم المتحدة - أن تقوم بالإشراف والمساعدة في إعادتهم إلى وطنهم، وإعادة تأهيلهم اقتصاديًا واجتماعيًا، وتوطينهم ودفع التعويضات عن ممتلكاتهم، ممن يختارون عدم العودة.

وحاول الوسيط الدولي «الكونت برنادوت»، أن يحصل من الصهاينة على الاعتراف بحق أهل فلسطين في العودة إلى ديارهم، لكن إسرائيل قرّرت تصفيته جسديًا للقضاء على «كلمة حق» أكدتها القوانين والعهود والمواثيق الدولية، وقرارات الأمم المتحدة.

وقام الصهاينة باغتيال «الكونت فولك برنادوت» في مدينة القدس في أبشع جريمة دولية عرفتها الأمم المتحدة - مدينة السلام - في السابع عشر من أيلول / سبتمبر ١٩٤٨م. ودفع «برنادوت» حياته ثمنًا لكلمة حق قالها.

ومن الشرفاء الذين كانوا يجهرون بقول كلمة الحق والعدل أيضًا، وزير الخارجية البريطانية «روبن كوك»، الذي استقال من منصبه وحزبه، احتجاجًا على تدخّل الحكومة البريطانية في الحرب على العراق ويعتبر وزير الخارجية «روبن كوك» من رجال السياسة والمبادئ الذين يقفون إلى

جانب العدل ليصبح قويًا، وإلى جانب القوة لتصبح عادلة.

وقد رحل رجل المبادئ «روبن كوك» الذي مزج السياسة بالمبادئ، بعد أزمة قلبية مفاجئة، في أوائل أغسطس / آب ٢٠٠٥م، واستحق تقدير وإعجاب أعدائه قبل أصدقائه.

كما كان هناك قادة صنعوا التاريخ، ورفضوا الهيمنة الأميركية من هؤلاء القادة العظام: «فيدل كاسترو-كوبا» و«نيكروما-غانا»، و«نيلسون مانديلا-جنوب إفَريقية»، و«هوغو شافيز-فَنْزويلا»، و«جورج غالاوي-عضو مجلس العموم البريطاني» المفوض من قِبَل الشعب البريطاني، ليُعبّر عن قناعاته تحت قبة البرلمان البريطاني الذي يُعتبر أكثر البرلمانات شهرة في نماذج الديمقراطية الغربية وفي عراقتها. تنتصب أمام غالاوي «محاكم التفتيش»، ليُستجوب ويُحاكم في أميركا لأنه فضح حقائق الظلم الذي يتعرض له الشعب العربي في فلسطين والعراق، محاولين إسكات صوت الحق إلى الأبد.

وقام النائب البريطاني «جورج غالاوي»، - الذي تألق في نضاله الإنساني - بزيارة تاريخية لمنطقة الشرق الأوسط، ألقى خلالها عدة «محاضرات»، في كل من لبنان والأردن وسورية، واستقبلته شعوب تلك الأقطار استقبالاً حافلاً.

وقد قوبل «جورج غالاوي»، بعاصفة مدوّية من التصفيق، وهو يدخل محاضرًا قاعة «مكتبة الأسد» بدمشق، في ٢٠٠٥/٧/٣١م، ووقف الحاضرون الذين احتشدوا لسماع محاضرته «العدالة في النظام العالمي الجديد» احترامًا له، وضاق مدرّج المكتبة عن استيعاب هذه الحشود الهائلة، التي تجمعت لسماع «صوت حق»، وقد عبّر عن ضمير الشعوب التي تتوق إلى الحرية والاستقلال، في عالم فَقَدَ مصداقيته في قول كلمة الحق والعدل، وهو موقف افتقدناه في كل دول العالم.

وكان النائب البريطاني «جورج غالاوي»(٦٤٤) قد حوّل جلسة استجوابه في «الكونغرس الأميركي» إلى محاكمة للسياسية الأميركية، المنحازة كلّيًا للدولة الصهيونية، لتقاطع المصالح العدوانية، واستراتيجية الهيمنة، والتآمر على اقتلاع شعب من أرضه ووطنه وجذوره مستهترين بكل القيم الإنسانية، والقوانين الدولية.

ولا تملك إلا أن تحترم جورج غالاوي السياسي والمفكّر ورجل المبادئ

(٦٤٤) أصدر النائب البريطاني «جورج غالاوي» كتابًا عن جلسة استجوابه في «الكونغرس» مجلس الشيوخ الأميركي، ومهاجمته الحرب المجنونة التي قادتها واشنطن في بلاد الرافدين. ويروي الكتاب قصة النائب «جورج غالاوي» واستجوابه أمام مجلس الشيوخ الأميركي وانتصاره على لجنة الكونغرس التي اتهمته «باقتناص أرباح»، من برنامج «النفط مقابل الغذاء» الخاص بالعراق. ولقاءاته مع أركان النظام العراقي السابق، وهي «تهم جاهزة» تلصقها الإدارة الأميركية المتصهينة، لكل «شريف» يعارض سياسة هيمنة القطب الأحادي.

وتتعاطف معه بما يحمله من عواطف حانية دافئة. إذ ينطلق في خطابه من الحقائق والوقائع وما يجري على الأرض، بعيدًا عن أساليب المخادعة والفساد الأخلاقي والفكري. وقد عرفناه مدافعًا عن كل القضايا العادلة في العالم، ومساندًا للعرب ومدافعًا عن قضاياهم انطلاقًا من إيمانه بحق الشعوب المضطهدة المقهورة في الحياة الحرة الكريمة.

ويرفض جورج غالاوي النهج الإمبريالي العنصري للمتصهينين في الإدارة الأميركية، الذي يقوم على فكرة الهيمنة وعلى مفردات القوة والغطرسة والعدوان والإرهاب والعنجهية العسكرية والتحكم بالدول والأمم، وأينما تتوجه البوارج الحربية الأميركية تجد رائحة النفط والفوضى والدمار وشلالات الدماء، وقد جعلت من أرض الرافدين جحيمًا لا يُطاق.

وبهر «غالاوي» الجماهير العربية بدفاعه عن الحقيقة، عندما وقف مرة أخرى بدمشق أواخر أيلول ٢٠٠٦م ليؤكد أن النصر الذي أحرزته المقاومة غيّر المعادلة السياسية وفي محاضرته: «إلى أين؟ بعد الهزيمة الإسرائيلية في لبنان» قال غالاوي: أنَّ مقاومة المحتلين في فلسطين والعراق، حق مشروع للشعوب، وأنَّ مَنْ يَتّهم المقاومة بالإرهاب هم المحتلون المغتصبون فقط.

ونوّه جورج غالاوي بأن يدي رئيس الحكومة البريطانية، مغموستان بدم الجنود الإنجليز، الذين قتلوا في العراق، وأنه أكثر إرهابًا من الإرهابيين الذين فجّروا «أنفاق لندن».

وقال أَنَّ من حقّ العرب، الذين ينتمون إلى قومية عربية واحدة، ويتكلمون لغة عربية واحدة، ولهم تاريخ مشترك واحد، ويجمعهم مشروع طموح واحد، أن يكوّنوا دولة كبرى، وأن يتوحدوا على غرار ما فعلت أوروبا، بلغاتها وقومياتها المختلفة وذاك هو جرحنا الذي يَنْزف.

وحيّا «جورج غالاوي» المقاومة الشجاعة، التي جعلت المحتلين ينسحبون من جنوب لبنان، ووحدها جعلتهم ينسحبون من غزة هاشم، كما أن المقاومة الوطنية تجعلهم ينسحبون من العراق.

وحذّر «جورج غالاوي» من أن محاربة الإرهاب يجب أن تقترن بتجفيف مستنقعات الظلم الاستعماري، الذي يسفك دماء الشعوب وأنَّ الغرب يخوض حربًا وغزوًا، لاستعباد الشعوب واقتسامها من جديد، لفرض الوصاية على الوطن العربي، ونهب ثرواته النفطية، وجمع تكتلات «العداوة والحقد»، ضد العرب والمسلمين فهل مَنْ يستطيع أن يوقف ويردّ الشر عن الأرض العربية ويوقف أُغنية الشيطان؟

كما فضح الكاتب الأميركي «نعوم تشومسكي»(٦٤٥) ازدواجية السياسة الأميركية في التعامل مع القضايا العربية، وكشف ما تخفيه السياسة الأميركية من أهداف تقوم على الهيمنة والسيطرة والمنفعة، مع شريكهم البريطاني الذي يلعبُ دور الكلب التابع الوفي! وأن الموقف الأميركي لا يرتبط إلا بمصالحه الخاصة، ولا يقتات ويتقوّى إلا على تدفق النفط. وأَنَّ النُّخب الصهيونية لم تنضج بعد، ولم تتعظ من فظائع النازية، بل سخرتها وتسخّرها من أجل ارتكاب فظائع أكثر وحشية منها بحق الفلسطينيين.

ويُذكر أن بريطانية اشتكت من أَنَّ الطائرات الأميركية قامت أثناء حرب إسرائيل مع المقاومة اللبنانية بنقل القنابل الذكية والخارقة التفجير من أميركا إلى إسرائيل لتستعملها في قتل أطفال لبنان وفلسطين قد توقفت للتزوّد بالوقود في مطار «بريستويك» في اسكتلنده. وطالبت أميركا باتخاذ الحذر والإجراءات السليمة مستقبلاً في إرسال قنابلها عبر مطار بريطاني!

وهكذا يمنح المستعمرون هذا الكيان السرطاني كل أدوات التدمير ليقتل ويسفك الدماء تحت أزيز الطائرات النفاثة والصواريخ والقنابل الذكية والعنقودية والفوسفورية. تواطؤ المتصهينين في أميركا مع الإرهاب الصهيوني يعرّي مزاعمهم عن الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. قوى البغي والظلم والعدوان الذين أخذتهم العزة بوحشيتهم وبالإثم يباركون المجازر البشعة التي تقوم بها النازية الإسرائيلية وهو تعبير واضح لحقيقة هذا الكيان وعدائه لكل حضارة إنسانية.

ديمقراطية القتل الجماعي والموت العلني والأشلاء وشلالات الدماء، يقابله صمود اسطوري لأبطال المقاومة الذين سطروا الملاحم البطولية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. هذا الانتصار العظيم الذي سطّرته المقاومة بعد الهزائم التي مُنيت بها قوات الجيش الذي لا يُقهر، لم يجد سبيلاً لتغطية هذا العجز والإفلاس إلا الانتقام من الأطفال الآمنين والنساء وكبار السن بالقتل والتدمير والإبادة في حقد مجنون.

النازيون في حربهم الهمجية المفتوحة والمتصهينون على لسان وزيرة خارجية المحافظون الجُدد التي وقفت بين الرجال لتعلن أن الدماء والأشلاء العربية المتناثرة هو المخاض لولادة الشرق الأوسط الجديد، والاستسلام المطلق للسيادة الإسرائيلية وتصفية المقاومة مع تواطؤ دولي وعجز وصمت

(٦٤٥) نعوم تشومسكي: كاتب أميركي من أكثر العلماء تأثيرًا في علم اللغويات، ومن أبرز مواطني أميركا عداء للسياسة الأميركية. وُلد عام ١٩٢٨م، وحاز درجه الدكتوراه في علم اللغويات عام ١٩٥١م من جامعة (بنسلفانيا)، أصدر عام ١٩٥٧م بحثه (البناء السياقي) الذي أحدث ثورة في علم اللغويات الحديث. من كتبه: السلام في الشرق الأوسط، ومثلث المقادير، قراصنة وقياصرة، ثقافة الإرهاب.

عربي لم نسمع صوتًا يدين همجية المذابح رغم شلالات الدم النازف والجرح الراعف واللحم المحترق والأشلاء الممزقة! ويح أمة أضاعت اتزانها... تصفّق لكل مَنْ يُدغدغ عواطفها..! طَبَقٌ يجمعها وعصا تفرقها.

حُماة إسرائيل الذين استخدموها قاعدة عسكرية متقدمة لضرب المقاومة وقوى الممانعة، لم يستطيعوا مساعدتها على تحقيق نصر على الأرض، فعمدوا إلى تزويدها بقنابل الطائرات ذي القوة التدميرية الهائلة، تعبيرًا عن حقدهم وفشلهم في القضاء على المقاومة وقُدراتها العسكرية، وبعد أن عجزوا في مواجهة المقاومة الوطنية وجهًا لوجه، مارسوا انتقام المهزومين بالقصف الوحشي وزرع الرعب والخوف بين المواطنين. ثم يُظهرون الأسف والأسى والحزن العميق وهم يذرفون دموع التماسيح على مجازر الأطفال في قانا ويُرسلون معوناتهم أو شركاتهم لإعادة الإعمار حتى في مثلث النصر «مارون الراس وعيترون وبنت جبيل».

قَدَر النخبة الثقافية الوطنية من الأدباء فحص الأحداث لحظة وقوعها، بعد هزيمة إسرائيل بلبنان في تموز ٢٠٠٦م، وفشل الجيش الصهيوني في غزة هاشم، وغرق الجيش الأمريكي في مستنقع العراق ...!!

قَدَر الأمة هو مقاومة الغزاة، وعدوانية الدولة الصهيونية المغتصبة التي سلبت الشعب العربي في فلسطين أرضه وبيته وحريته وشرّدته من وطنه ومواصلتها القتل مع كل ما تملكه من قوة تدميرية هائلة، هي التي دفعت المقاومة إلى الردّ بعملية «الوهم المتبدد» و«الوعد الصادق» ومقاومة العنف الإسرائيلي بالعنف.

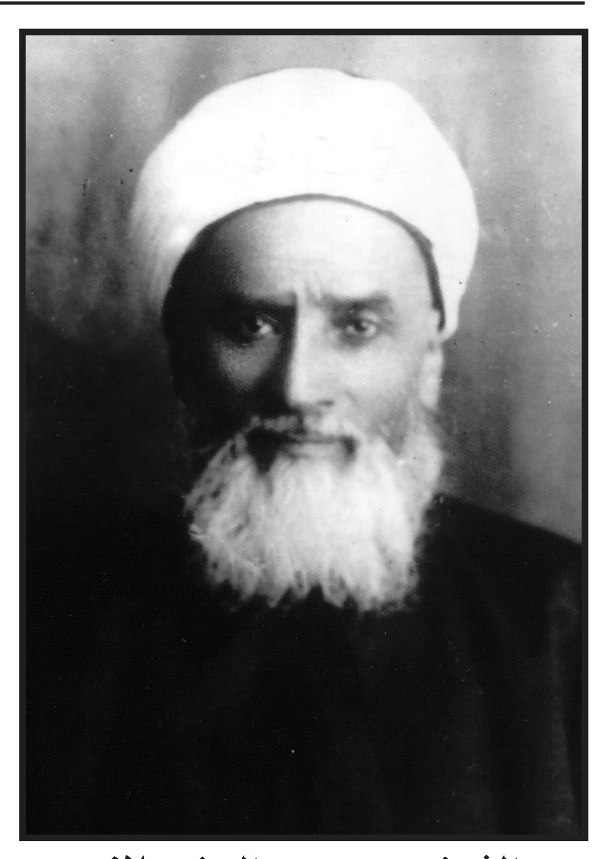
ثم يسألون بعد هذا كله لماذا يكرهوننا؟ لا سلام مع الاحتلال حتى تخرج أميركا من جلدها الإسرائيلي، وتتوقف عن انحيازها الأعمى والمطلق لإسرائيل وإلا فإنهم سيواجهون كراهية «الغضب العربي» بشكل مروّع.

فانتظروا إني معكم من المنتظرين.

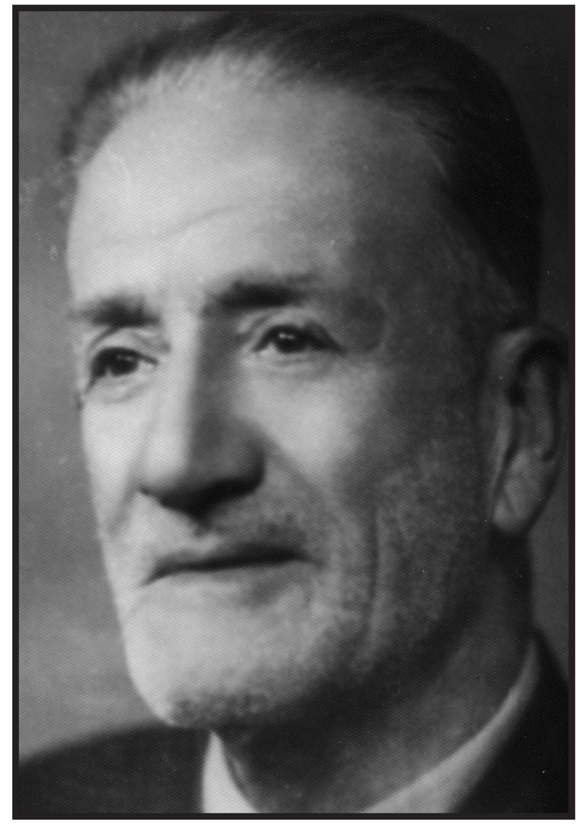
الغد الجمعة 11 جمادى الأولى 1429 هـ - 16 أيار 2008 م

رئيس حزب الاحترام في بريطانيا يتمنى أن يمتد به العمر ليرى فلسطين محررة

غالاوي: سأعلم ابني كيف يحارب الاستبداد ويقف مع القضايا العربية



الشيخ محمد عيد السفرجلاني



عبد الرحمن السفرجلاني



د.محي الدين السفرجلاني



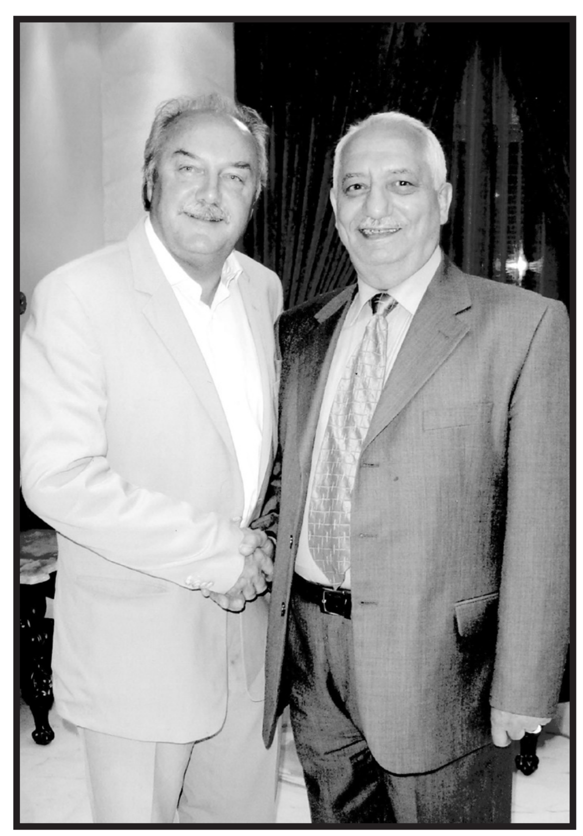
آصف السفرجلاني ومصطفى وصفي السمان



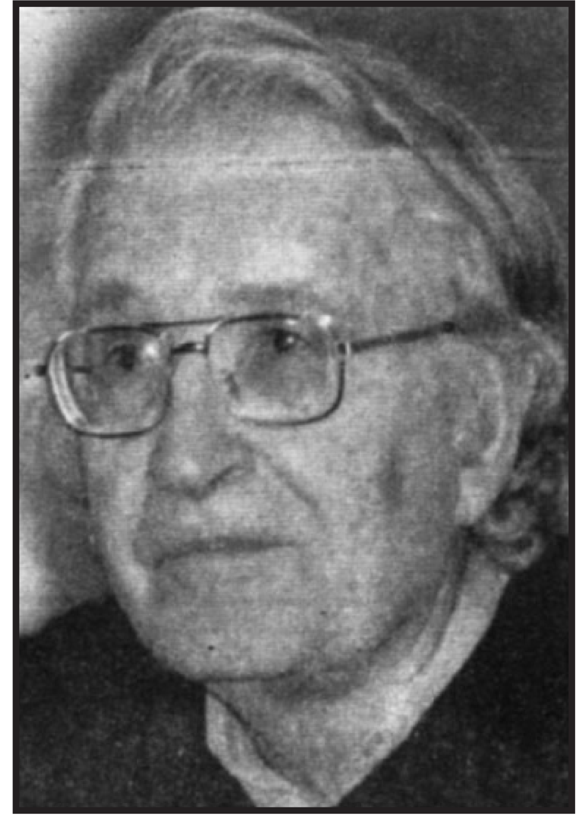
المجاهد أبو عمر خيتي



الكونت فولك برنادوت



النائب البريطاني جورج غالاوي مع الباحث نشأت الخانجي



المفكر نعوم تشومسكي (والحرب المستدامة أميركياً)



مكتبة الأسد في حي المالكي بدمشق وجه سورية الحضاري

مكتبة الأسد

بالتعاون مع

رابطة رجال الثورة السورية الكبرى

ورابطة المحاربين القدماء وجمعية أصدقاء دمشق

وجمعية حماية المستهلك والندوة الثقافية النسائية

تدعوكم للاستماع إلى المحاضرة الوطنية بعنوان

ثوّار صنعوا الاستقلال

للأستاذ نشأت الخانجي

يتخلل المحاضرة عرض مرئي للثوار صنّاع الاستقلال في الساعة السادسة

من مساء يوم الاثنين ١٦ نيسان ٢٠٠٧م - في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد

الدعوة عامة — المدخل عدنان المالكي

القائد عزَّت الساطي

(١٨٨٨-١٩٧٦م)

لكل قائد فذّ رؤاه، وهو يواجه التحديات والمؤامرات التي تواجه وطنه. والقائد عزَّت الساطي كان يؤمن أَنَّ إرادة الصمود والتصدي مقرونة بالتحدي، تراث وطني ينتقل من جيل إلى جيل وأَنَّ مواجهة هذه التحديات تكون بالتواصل بين ماضينا وحاضرنا إذا نحن تمسّكنا بهويتنا وتاريخنا الذي هو ذاكرتنا في الانطلاق نحو المستقبل وأن تجاربنا مع الغربيين تجارب مريرة. فقد تآمر هؤلاء على الوطن العربي، وفتتوه واحتلوه.

وهو يرى كيف يتحكم العابثون الحاقدون بشعبه، بما يمتلكون من صخب وغضب، وعنجهية وعدوانية، وما يحملون من عقلية استعمارية استبدادية، وهم يظنون أنهم يمتلكون الحق في امتلاك الصولجان، والجلوس فوق عرش العالم.

وأَنَّ مخاتلة هؤلاء المستعمرين الطغاة، بما يحملون من سطوة السيطرة، المسكونة بالطغيان الذي جلبوه معهم عبر المحيطات والجبال العائمة، وهوس الحروب المقترن بجنون العظمة، لن يستمر إلى ما لا نهاية، إذ لا بدّ أن تتسلّل خيوط الفجر إلى غسق الليل متكئة على خيوط الشمس الذهبية هامسة في بَوْح للحرية مسربل باختلاجات ينابيع النور.

وقد حذّر القَائد عزت الساطي، أن ما تتعرّض له الأمة العربية، أمر في غاية الخطورة، وتكمن خطورته أنه يستهدف البُنية النفسية والمعنوية والمعرفية للإنسان العربي، في إطار حرب شاملة تستهدف الوطن كله، وتتمحور مركّزة على أجيالنا الشابة، بهدف فصلهم عن هويتهم وتراثهم وتاريخهم، وجعلهم يفقدون الثقة بأُمتهم ووطنهم.

ولادته ونشأته:

وُلد في مدينة دمشق في حي القنوات عام ١٨٨٨م، والده القائد رشيد الساطي، تلقى علومه الابتدائية في دمشق، وعلومه الحربيَّة في مدرسة الرمي (وفنّ البلاسيك) والفروسية العالية بالآستانة، حيث كان من أوائل صفه.

بدأ حياته العملية بعد تخرجه عام ١٩٠٩م، بأن عُيّن أستاذًا للفروسية العالية بالآستانة، وبعدها أوفدته السلطات التركية إلى أوروبا والنمسا

للتخصص في علم الفروسية نظرًا للياقته كفارس. وقد اختير بعد تخصّصه لأن يكون أستاذًا للفروسية في كلٍّ من برلين وفييّنا، وفقًا للتعاون الذي كان قائمًا بين الدولة العثمانية وألمانيا والنمسا. فقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، إلى جانب ألمانيا والإمبراطورية النمسوية – المجرية.

وشارك القائد عزّت الساطي في الحرب العالمية الأولى في جبهة الدردنيل على مضيق البوسفور(٦٤٦)، وفي معركة غاليبولي الكبيرة عام ١٩١٥م، والتي أحرزت فيها تركيا نصرًا عظيمًا مؤزّرًا على الحملة البريطانية، كما شارك في القتال على جبهة رومانيا.

قاتل القائد عزّت الساطي دفاعًا عن وحدة التراب التركي لكن الأحداث المتسارعة في تركية، أَدَّت إلى تغيير جذري في سياسة الدولة العثمانية، بعد أن تسلَّم مصطفى كمال أتاتورك مقاليد الحكم في تركية. فأزال دولة الخلافة «في الثالث من آذار / مارس ١٩٢٤م»، وطرد آخر سلاطين الخلفاء العثمانيين «عبد المجيد الثاني»، وأعلن قيام الجمهورية «في ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٣م»، ونقل العاصمة من اسطنبول «القسطنطينية» إلى «أنقرة»، وحظر ارتداء الحريم للحجاب، وألغى الحروف العربية واستعاض عنها بالحروف اللاتينية، حتى يقطع كل صلة تربط تركية بماضيها الإسلامي. لكنه لم يُعمّر طويلاً فقد مات عام ١٩٣٨م ولم يكن قد بلغ الثمانية والخمسين عامًا.

وكان من رفاق القائد عزت الساطي، الذين طردتهم الحكومة «الكمالية» من تركية «الشريف علي حيدر»(٦٤٧)، كما كان من رفاق دربه النائب الأستاذ زكي الخطيب(٦٤٨)، والقائد أحمد صدقي الكيلاني، والقائمقام تحسين الفقير، والقائد توفيق العاقل، والقائد محمد شريف الحجّار، والقائد عارف

---

(٦٤٦) البوسفور: مضيق يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود، ويفصل ما بين تركيا في آسيا وتركيا في أوروبا. يبلغ طوله ثلاثون كيلومترًا، وعرضه ثلاثة كيلومترات. ويتمتع بمركز استراتيجي هام وخاصة بالنسبة إلى الدفاع عن اسطنبول، التي تقع على طرفه الجنوبي من الناحية الأوروبية. أخضعته الدول الأوروبية للسيطرة الدولية، ولم تسمح للقوات التركية بالسيطرة عليه إلا عام ١٩٣٦م.

(٦٤٧) الشريف علي حيدر: هاجر من اسطنبول عام ١٩٢٤م، بعد أن طردت الحكومة التركية أفراد عائلة بني عثمان من بلادها. وابنه الشريف عبد المجيد كان متزوجًا من إحدى أميرات العائلة المالكة العثمانية، فاضطر للنزوح مع عائلته، واستقر مع والده وإخوته في بيروت. وقد وعد المفوّض السامي الفرنسي (هنري دي جوفنيل) الذي حل محل ساراي بتعيين الشريف علي حيدر ملكًا على سورية إذا استطاع إخماد ثورتها وتوجّه إلى دمشق واتصل بزعمائها، وعرض وساطته لكن مساعيه فشلت، وعاد «بخفيّ حُنين»، توفي عام ١٩٣٥م.

(٦٤٨) زكي الخطيب: هو ابن الشيخ أبي الخير الخطيب، ولد في مدينة دمشق عام ١٨٨٧م، ودرس الحقوق وتخصص في الآستانة في العلوم الإدارية والسياسية والاقتصادية. كما تولى وظائف إدارية في العهد التركي وكذلك إبان الاحتلال الفرنسي لسورية، وآخرها رئاسة ديوان في وزارة الداخلية. وقد اشترك في النضال الوطني، وانتُخب نائبًا عن دمشق عدة مرات، كما تسلّم وزارة العدل، وكلّف بتأليف الوزارة. توفي في ٢٤ نيسان / أبريل عام ١٩٦١م، ودفن في دمشق.

التوّام، والقائد فايز السفرجلاني، ورشيد بقدونس(٦٤٩)، والمجاهدين الثوار أبو عمر خيتي، وسليم الأظن، وأبو حامد الفحل، وجميل دلّول، ومحمد أبو عبده قدّور، والأخوة: هايل وجاد اللّه وأديب سلام، وأبو ياسين الخانجي، ولطفي الخانجي، ونسيب الخانجي، ورشيد الجوخدار.

وعندما حدثت معركة ميسلون، شارك النقيب «عزت الساطي» (قائد الخيّالة النظامية) في المعركة ومعه ٢٥ خيّالاً ورشاشين، وانضم إليه الملازم «سعيد عمّون» والملازم «ذهني الدهنة» في جبهة مزرعة «دير العشائر» اللبنانية، وانضم إلى الساطي ما تبقى من خيالة الفرقة الثانية، وباقي خيالة لواء الفرقة الأولى من اللواء الهاشمي فأصبح عدد رجاله مئة خيّال.

كما شارك في معركة الشرف والبطولة هذه خيالة العصابات، بإمرة القائد صبحي العمري ومعه ١٥٠ خيالاً.

وشارك لواء «الهجّانة الحجازي» – وهو الحرس الخاص بالملك فيصل – في المعركة، بقيادة الشيخ مرزوق التخيمي ومعه (٣٠٠) هجّان. و(٦٠٠) جنديًا من سرية الحرس الملكي النظامية بقيادة النقيب «محمد علي العجلوني»، وبقايا اللواء الأول بقيادة المقدّم «حسن الهندي» ومجموعهم (١٦) ضابطا و(١٣٧) جنديًا و(١٣٩) متطوعًا وبقايا اللواء الثاني الذي أرسل للزبداني وفيه (١٦) ضابطًا و(١٦٠) جنديًا و(٢٦٠) متطوعًا نصفهم بدون سلاح.

كما شارك في المعركة سرية الهندسة بقيادة النقيب «تحسين العنبري»، ومدفعية الفرقة بقيادة العقيد «أحمد صدقي الكيلاني» ومعه أربعة مدافع بطارية صحراء، وست من المدافع الجبلية.

وهكذا كانت القوة الراكبة التي شكّلت لواء الخيالة الذي وصل ميسلون وما تبقى منهم بعد التسريح نحو ستين جنديًا وثلاثة من الضباط هم النقيب عزت الساطي، والملازمان عبد اللّه عطفة وعرب أوغلي ومعهم الرشاشين مع بقايا «اللواء الهاشمي الخيَّال» الذي لم يصل منه إلى ميسلون سوى قائده المقدّم «إسماعيل نامق» وبعض الجنود.

وأُلحق الجنود باللواء الأول، والتحق قائده بمركز تموين ميسلون، وانضم الخليط العجيب من خيالة فوج الدرك الاحتياطي من الشركس والأكراد

(٦٤٩) رشيد بقدونس: ابن عبد الرزاق، ولد في مدينة دمشق عام ١٨٧٥م، وتخرّج من الكلية الحربية في اسطنبول عام ١٨٩٥م، وكان ضابط مشاة. قاتل مع الجيش التركي في حروب اليونان وأسر، وبقي في أسر اليونان عامًا ونصف العام، وكان يُجيد اللغة التركية واليونانية والفرنسية. أصبح في الحرب العالمية الأولى ضابطًا برتبة مقدّم، ثم أستاذًا للرياضيات، ومدرّسًا في «مدرسة التجهيز والمعلمين» في مكتب عنبر، ثم أصبح عضوًا في «مجمع اللغة العربية» بدمشق في تموز عام ١٩١٩م حتى وفاته في الحادي والعشرين من أيار ١٩٤٣م بدمشق ودفن في مقبرة «ذي الكفل» بالصالحية.

والدروز بقيادة القائد «فؤاد سليم» بالإضافة لخيالة المتطوعة الذين جمعناهم من أحياء دمشق وداريا ودوما والغوطة.

قد تعجز الكلمات مهما سمت، أن تفي هؤلاء الثوار الذين صنعوا استقلال وطننا حقهم هؤلاء الرموز الذين ضحّوا بأنفسهم في معركة الجلاء هؤلاء الذين نزفوا دمًا، من أجل حرية واستقلال وطنهم تفخر الأمة بهم.

ثم ما لبث عزت الساطي أن عاد من أوروبا إلى دمشق بعد توقف الحرب العالمية الأولى، حيث عيّن قائدًا للخيالة، وبعد ذلك عيّن ملحقًا عسكريًا في بيروت مع البطل يوسف العظمة، ثم عيّن مديرًا «قوميسيريًا» للخطوط الحديدية، وقائدًا للسرية الأولى في اللواء الأول الذي شارك في معركة ميسلون عام ١٩٢٠م.

وبعد الاحتلال الفرنسي لسورية، عيّن أستاذًا للفروسية للدرك السوري، ثم قائدًا للحدود بين سوريا وفلسطين وشرقي الأردن، ثم قائدًا لدرك دمشق، ونظرًا لمواقفه المعادية للاحتلال الفرنسي، فقد أبعده الفرنسيون منفيًا إلى جهات بعيدة عن مدينة حلب، ثم أحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٩م.

التحق عزت الساطي بكلية الحقوق بدمشق عام ١٩٣٠م وتخرّج عام ١٩٣٤م وهو يحمل شهادة المحاماة، ثم عمل في سلك المحاماة حتى عام ١٩٤٣م، حيث عيّن بعد ذلك مديرًا لشرطة دمشق.

اشترك القائد عزت الساطي عام ١٩٤٥م، في صدّ العدوان الفرنسي الغاشم على سورية، وكان مركزه في ثانوية التجهيز في الحلبوني (ثانوية أسعد عبد الله) ومسؤولاً عن تلك المنطقة.

في العهد الوطني عام ١٩٤٨م عيّن مديرًا لسجن دمشق برتبة مقدّم، ومستنطقًا للجيش السوري باعتباره يحمل شهادة المحاماة، وسمي في شهر آب عام ١٩٤٨م «محقّقًا في المحكمة العسكرية» في منطقة العمليات العسكرية، ثم أحيل إلى التقاعد عام ١٩٤٩م.

عاد القائد عزت الساطي إلى مزاولة مهنة المحاماة عام ١٩٤٩م، حيث أحيل إلى التقاعد عام ١٩٥٠م(٦٥٠).

وقد حاز عزت الساطي على عدة أوسمة منها: وسام الحرب العثماني، ووسام الباقة ذي السعف، ووسام الصليب الحربي الألماني، ووسام الحرب الفرنسي،

(٦٥٠) اختاره الله إلى جواره في حزيران عام ١٩٧٦م، وترك سبعة أولاد أربع من الذكور وثلاث من الإناث. (المحاميان: رشيد الساطي، وهند الساطي. والمهندسان: مروان الساطي، وهشام الساطي «وكان رئيسًا لجمعية أصدقاء دمشق». والمجاز في التجارة وليد الساطي، وأخرى في اللغات هيفاء، وواحدة في السكرتارية هناء الساطي).

ووسام الاستحقاق السوري.

تلك الصفحات المجيدة من البطولات، يتوارثها الأبناء والآباء، والأحفاد عن الأجداد كابرًا عن كابر.



●●● وأنا أقول...

كان القرن الماضي «عصر القوميات»، كما كان عصر التخلّف والاستبداد. نهضت الحركات القومية على أنقاض الدولة العثمانية، التي تطلعت إلى إنهاء «الدولة الصفوية» في فارس والعراق، و«الدولة المملوكية» في مصر وبلاد الشام، بدل امتدادها وتحركها نحو أوروبا.

وقد نجحت في ضم دولة المماليك عام ١٥١٦م في معركة (مرج دابق) قرب حلب، وفي معركة (الريدانية) قرب القاهرة عام ١٥١٧م، وشنق الأتراك آخر سلاطين المماليك «طومان باي» على أبواب القاهرة لكنها لم تنجح في ضم الدولة الصفوية، ولا في الاتفاق معها، ذلك لأنَّ الدولة الصفوية، تحالفت مع البرتغاليين ثم الإنجليز ضد الأتراك العثمانيين.

ويرى بعض الباحثين بعد أن انكشفت «المؤامرة» التي حاكها الإنجليز - ثعالب السياسة - على مفجّر الثورة العربية الكبرى «الحسين بن علي» تبيّن أن الحكم العثماني بكل سلبياته ومخاطره وتجهيله للأمة واعداماته التي قام بها السفَّاح أفضل مئة ألف مرة من عصر المستعمرين الفرنسيين والإنجليز و«الدويلات» التي أقاموها والانكسارات والارتداد إلى كيانات التجزئة والتقسيم والفرقة، التي عاشها ويعيشها الشعب العربي.

واستيقاظ النَّزعة القومية، بعد رحيل الأتراك – بقوة دراماتيكية – جاء لأن رجال الأمة وأجيالها، غاصوا حتى أذانهم في مواجهة «الحلفاء المحررين» الذين تحولوا إلى «انتداب أجنبي» ثم الانقلاب الذي أحدثته «الصهيونية العالمية» بظهورها المسرحي كـ«قوة ثالثة»، تطالب بحصتها، بكل فجاجة، وحقوقها التاريخية المزعومة في المنطقة، مدعومة من القوى الإمبريالية مطالبة بعقد محاكم لـ«مجرمي الحرب».

وقد بدأ خطر الصهيونية يتعاظم بعد رحيل الأتراك من المنطقة ووضع مشروع الغزو الاستيطاني الصهيوني لفلسطين، والدراسات التفصيلية لتجزئة الوطن العربي، أرضًا وبشرًا في كيانات هلامية هشّة ضعيفة، تسهل السيطرة عليها، لضمان أمن «إسرائيل» وتفوقها على العرب مجتمعين.

ويكمن خطر الفكر الصهيوني، في «وطن لا تحده حدود» وقد بدأ في فلسطين وعلى حساب شعب فلسطين.

ونحن نحصد اليوم ما ارتُكب بحق هذه الأمة والتداعيات التي تعصف بالأمة، وظروف القهر والاستبداد والاحتلال التي يعاني منها الشعب العربي إذ يعيش عالمنا العربي، في ظل أوضاع استثنائية مريضة، وواقع بائس، خلّفه الاستعمار البغيض، بعد تقسيم الوطن العربي إلى «كانتونات»، تتمتع بالسيادة الإقليمية الوطنية، وكيانات متشظية، محاطة بهالة قدسية من الاستقلال الوطني ونُصّب أنصاف آلهة احتكروا السلطة والوطنية والوطن، وحكموا شعوبهم حكمًا فرديًا ديكتاتوريًا استبداديًا مطلقًا، وتربعوا فوق صدور شعوبهم كاتمين أنفاسهم، محصين على كل فرد عدد حركاته وسكناته تاركين المواطن يعيش في واقع بائس تعيس تحت مطرقة السلطة، وسندان الجشعين، ومخالب الفاسدين، يتعرض لأقسى أنواع الظروف المعيشية، تاركين هامشًا واسعًا للفساد والمفسدين، وهم يحصدون الأموال، ويقبضون على السلطة بيدٍ حديدية ويتفرّدون بالحكم، ويختزلون الشعب في شخصهم! يفكّرون عنه، ويصنعون الخوارق والمعجزات بـ«تفويض إلهي».

وحوارنا هذا الذي فجّر الهموم في أعماقنا، ودفعنا إلى البَوْح بالمسكوت عنه، دليل صحة وعافية، لا دليل آفة مَرَضية، وأجيال المستقبل هي التي تمتلك أدوات التغيير والتحديث ..!!



جمال باشا السفاح في دمشق



مع الشريف علي حيدر



القائد عزت الساطي



زكي الخطيب



رشيد بقدونس



من القرى اللبنانية التي قاومت العدوان الصهيوني

الشهيد منيب حمزة

(١٨٩٧-١٩٣٩م)

كان منيب حمزة رحمه الله ضابطًا في الجيش الفيصلي، ومرافقًا للشهيد يوسف العظمة. ولد بدمشق عام ١٨٩٧م وهو من أسرة (حمزة) من وجهاء طرابلس الشام.

بعد معركة (ميسلون) صَدَرَ الحكم عليه بالإعدام غيابيًا، من قبل السلطات الفرنسية - العسكرية - فانتقل إلى الأردن الموئل الوحيد لأحرار سورية، حيث عيّن في قوّة الحدود. واستقبل الشعب في الأردن جميع أحرار سورية، وعملوا على إيواء الفارين من الظلم والإرهاب والقتل الذي تقوم به السلطات الفرنسية الغازية المحتلة.

كان منيب حمزة ضابطًا شجاعًا لامعًا اشتهر بمبادئه الوطنية، ولم تفارقه هذه العقيدة يومًا واحدًا، بل كان يلتهب حماسًا وطنيًا قوميًا، معللاً نفسه بالعودة إلى وطنه، متى تحققت جهود المخلصين، لإعادة الوطن المغتصب تحت علم سورية.

ثم انتقل منيب حمزة مع فرقته إلى مدينة (معان)(٦٥١) وكان برتبة رئيس، ونظرًا لإخلاصه وألمعيته ووطنيته الصادقة، فقد حقد عليه أذناب الإنجليز، ودبروا له مكيدة لئيمة أودت بحياته عن طريق اغتياله غدرًا، حيث جاءه أحد الجنود بعد انتهاء التدريب اليومي، وأبلغه أن قائد الفرقة يريده لأمر هام فركب جواده وتوجّه إلى مركز القيادة، وفي أثناء سيره كان أحد العرفاء الدخلاء مختبئًا في حفرة واقعة في (ميدان رمي النار)، ولما وصل منيب حمزة لم ير أحدًا، فاستدار بحصانه ليعود إلى مركز عمله، وعندئذ أطلق عليه ذلك العريف «الحبشي» الرصاص، فخر شهيدًا - غريبًا - مضرجًا بدمائه الطاهرة، وذهبت روحه إلى بارئها تشكو غدر الغادرين وحقد الحاقدين الظالمين عام ١٩٣٩م.

وكان شقيقه صادق حمزة-وهو من جبل عامل في لبنان- قد قام مع مجموعة من المجاهدين يقودهم الشيخ مصطفى الخليلي بالهجوم على

(٦٥١) معان: مدينة في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة الأردنية الهاشمية، وعاصمة محافظة معان يرجع تاريخها إلى عهود قديمة جدًا. وازدهرت معان عبر التاريخ لوقوعها على طريق القوافل، بين بلاد الشام وخليج العقبة. يمرّ بها حجّاج البرّ في طريقهم إلى بيت الله الحرام.

القوات الفرنسية في درعا. وأستشهد شقيقه صادق في المعركة التي وقعت عام ١٩٢٤م في أراضي قرية (نبع الصخر)؛ وهي قرية في الجولان تبعد ١٥ كم عن خان أرنبة وأخذت تسميتها من كثرة ينابيعها الصخرية.

إعدام القاتل:

وتولى المحامي عبد الستار السندروسي، المجاهد الوطني المعروف، التحقيق في مقتل منيب حمزة. وقد حاول أذناب الإنجليز وصنائعهم أن يطمسوا الجريمة بكل الوسائل، غير أنه استطاع إثبات إدانة هذا العريف الدخيل، ونفذ حكم الإعدام بالمجرم جزاءً وفاقًا على خيانته لبلدٍ آواه، وغدر بمجاهد كريم، أكرمه الله في دنياه وآخرته.

رحم الله الشهيد منيب حمزة فقد عاش مقاتلاً ومات مقاتلاً.





دعاة الديمقراطية الأمريكية قرروا مساعدة أهل العراق بقتلهم واراحتهم من الحياة .!!

القائد زكريا الداغستاني

(١٨٩٨-١٩٧٤م)

أكاد أجزم أَنَّ جيلنا هو جيل الانتماء للوطن. فتراب الوطن كان له وقع السحر في القلب لذا كنا نفخر ونعتز بجيلنا صاحب الانتماء والتمسك بالهوية الوطنية.

كان حب الوطن ينبض في روحنا، ونعمل على تعزيز هذه «المواطنة» في أجيالنا القادمة، خوفًا من الاختراق حيث تسعى القوى المعادية، إلى تشويه ثقافة أجيالنا وتاريخهم ودورهم الوطني الإنساني.

وقد كان آباؤنا وأجدادنا، يؤثرون سواهم على أنفسهم في المواقف الحاسمة وتربيّنا ونحن في سن الطفولة واليفاعة على هذه المُثل والقيم الخالدة في زمان أهله مُتخمون بالنرجسية يلهث وراء الشهرة وجمع المال.

كنّا نُقبّل تراب الوطن بثغرنا، والناس اليوم يُقبّلون الأصفر الرنّان والدرهم والدينار والقلب يتفطّر حزنًا وألمًا على هذا الزمان.

فهل تعرف أجيال اليوم معنى «المواطنة»(٦٥٢) وما كنا نختزنه في قلوبنا من هموم وأشجان، وأحلام وطموحات لهذا الوطن الحبيب؟

إنَّ ملحمة النضال الدامي، التي خاضها شرفاء هذا الوطن من أجل الوطن ومَن أجل الحرية والكرامة هي التي رسمت طريق الاستقلال.

لقد أعاد إلينا هؤلاء الرجال العظام ثقتنا واطمئناننا، وأنسونا آلامنا وانكسارات أحلامنا فهل نعي دروس التَاريخ لنتعلم العِبر؟

إنَّ مَنْ يراهن على الدفاع عن الحق، والشعب ووجوده وإبائه، وعزّته وكرامته الوَطنية والقومية فلن يخسر أبدًا فحب الوطن لا يموت في القلوب أبدًا بل يتجدد كلما اشتد الحنين وتأججت مشاعر الشوق عندها تنطلق نسائم الروح المكبوتة ويتوقف الزمن ويتسع المكان والزمان للقاء اللحظة الحميمة النادرة فتخرج من رداء الصمت لنبني توءمة مع البَوْح.

إنه القائد الثائر «زكريا الداغستاني» وهو ابن المرحوم عبد الصمد الداغستاني(٦٥٣) - نسبة إلى داغستان -.

(٦٥٢) المواطنة: علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع، وانتماء يشعر الناس به نحو الوطن، الذي يقدّم الحماية والعدالة والمساواة للأفراد الذين يعيشون في كنفه.

(٦٥٣) الداغستاني: بطل قومي داغستاني مُسلم اسمه «شامل»، ولد عام ١٧٩٨م، والتحق في أوّل شبابه بإحدى الفِرق الصوفية عام ١٨٣٠م، وحمل راية الجهاد ضد الروس، الذين انتزعوا بلاده داغستان عام ١٨١٣م، وأقام

ولادته ونشأته:

وُلد زكريا الداغستاني في مدينة دمشق عام ١٨٩٨م، في حيّ الصالحية، وتعلم في مدارس دمشق، وتنقّل في وظائف الدولة.

تطوّع زكريا الداغستاني مع رفاقه طلاب الكلية الحربية في معركة ميسلون، ولكن المعركة انتهت قبل وصول القطار الذي كان يقلّهم إلى هضبة ميسلون.

وبعد أن تخرّج زكريا الداغستاني من الكلية الحربية، تمّ فرزه إلى «مديرية السجون»، وبقي يقوم بواجياته حتى اندلعت الثورة السورية.

التحق زكريا الداغستاني بالثورة السورية، في أوائل شهر آب / أغسطس ١٩٢٦م، وخاض مع الثوار كل المعارك الضارية، ضدّ القوات الفرنسية الغازية في منطقة الغوطة.

وكاد المجاهد البطل والقائد الوطني زكريا الداغستاني، أن يضحي بحياته لإنقاذ أربعة مجاهدين، حكموا بالإعدام من قبل المحاكم الفرنسية وهم:

الشيخ مصطفى الخليلي شيخ مشايخ قرية «المغير» في الأردن وهو من زعماء تلك المنطقة، والشيخ ضيف الله الصالح شيخ مشايخ قرية «الشجرة» التابعة لناحية الرمثا المجاورة لمنطقة أربد، والشيخ فندي بوياغي من شيوخ دروز الشوف، والشيخ أحمد يقطيني الملقب بأبي يحيى من أهالي قرية (داريا) في غوطة دمشق، ومعهم الشيخ مصطفى الخليلي(٦٥٤) وهو أحد رجال الشهيد أحمد مريود الذين كانوا يقيمون في وادي الشلالة - الواقع بين مدينة الرمثا ومدينة أربد -.

وقد صدر أمر من السلطات الأردنية بالقبض عليهم وتسليمهم(٦٥٥) من

«شامل» دولة مستقلة في داغستان عام ١٨٣٤م، بعد تحريرها من الروس، وأخذ يشنّ الغارات على المواقع الروسية في «القوقاز» ولكن الروس جرّدوا عليه حملات متلاحقة، أكرهته على الاستسلام عام ١٨٥٩م.

(٦٥٤) وقع الاختيار على الشيخ مصطفى الخليلي، لقيادة عملية استشهادية ضد فرنسا، في الرابع من أغسطس / آب ١٩٢٤م تنطلق من مدينة درعا، وتقارب في ملامحها «عملية القنيطرة»، والكمين الذي نَصَبه ثوار أحمد مريود لاغتيال الجنرال غورو (يوم ٢٣ حزيران / يونيو ١٩٢١م)، في موقع «كوم الويسية» وهو في طريقه إلى الجولان. وقد تمكنت المجموعة التي يقودها الشيخ مصطفى الخليلي، من اجتياز الطريق الممتدة من «المزيريب إلى درعا»، والاشتباك مع دورية للجيش الفرنسي وقتل عناصرها السبعة، ومتابعة سيرها إلى دمشق حيث اشتبكت مع دورية فرنسية في (حيّ باب السريجة)، وقتلت أربعة أفراد من الجيش الفرنسي، وعادت إلى قواعدها سالمة. وعلى أثرها طلبت الحكومة الأردنية إلى زعماء «حزب الاستقلال» مغادرة الأراضي الأردنية

* كوم الويسية: قرية في الجولان، تتبع ناحية خان أرينبة في محافظة القنيطرة. وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى عشيرة «الويسية» البدوية. وتقع في أرض بركانية وعرة يخترقها وادي «عين النورية». تعرضت للاحتلال الصهيوني عام ١٩٧٣م، وحرّرت عام ١٩٧٤م.

(٦٥٥) اتهمت السلطات الفرنسية الأردن، بإيواء رجال «العصابات الوطنية» من ثوار سورية، وتشجيعهم على «قتل الفرنسيين». وعلى أثر ذلك أصدر «رضا باشا الركابي» رئيس الحكومة الأردنية «تعليمات» بإجراء تحقيق، وإعلان

قبل حكومة «رضا باشا الركابي» إلى السلطات الفرنسية - بضغط من حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين - وقد حكمت عليهم السلطات الفرنسية بالإعدام، وحُدّد يوم السبت في السابع من أغسطس / آب سنة ١٩٢٦م، موعدًا لتنفيذ حكم الإعدام فيهم شنقًا في ساحة المرجة بدمشق.

وكان الضابط زكريا الداغستاني وكيلاً عن مدير السجن في قلعة دمشق - أثناء إجازة صفوح بك المؤيد العظم - ولما اقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام فيهم، قام زكريا الداغستاني بعمل بطولي، وخاطر بنفسه وبمستقبل أسرته، في سبيل إنقاذهم من براثن الموت المحقق من قِبل السلطات الفرنسية.

إنقاذ السجناء:

كيف استطاع الداغستاني إنقاذ السجناء من سجن القلعة قصة أشبه بالخيال؟

إذ ما كاد يبزغ فجر يوم الخميس الخامس عشر من آب ١٩٢٦م، حتى وصل القائد زكريا الداغستاني إلى سجن القلعة وبدأ بتنفيذ خطته، حيث طلب رئيس الحرس السنغالي وأذن له بالانصراف، ووضع أحد الحراس الوطنيين مكانه، ثم أمر الوكيل الذي أبدله أن يأذن لعنصرين من الحرّاس المشكوك بولائهم للثورة باستعمال إجازتهما الأسبوعية في الصباح، وهكذا استمر بتبديل الحرس وفي إبعاد وصرف سبعة عناصر من حرّاس سجن القلعة قبل ظهر ذلك اليوم. ثم طلب زكريا الداغستاني من أحد الحراس، أن يذهب إلى السوق ويقوم بصرف راتبه واستبداله بليرات ذهبية، كما كلّف آخر أن يحضر له طعام الغداء من مكان بعيد عن القلعة، وفي الوقت ذاته قام بإرسال حارس دورية آخر لشراء بعض الفواكه, وبذلك خلا له الجو لتنفيذ خطته، ولم يبقَ أمامه سوى بعض العناصر من الخفر الذين يحملون مفاتيح شبكات السجون في الزنزانات والأقبية والأبراج بعدها خرج زكريا من غرفة مكتبه، وذهب إلى غرفة ضابط السجون الفرنسي (وكان الداغستاني يجيد التكلم باللغة الفرنسية)، وبعد أن حيّاه قال له: لدي قرار صدر ببراءة أربعة أشخاص، فأرجوا تنفيذ إطلاق سراحهم، وعندئذ توجّه الضابط الفرنسي

الأحكام العرفية في لواء عجلون، وإلقاء القبض على المشتبه بهم واتهمت قيادة «حزب الاستقلال» رضا باشا الركابي بالتآمر على وجودها في الأردن. وعندما عاد الأمير عبد الله يومها من الحجاز، بعد تأديته فريضة الحج في ١٩٢٤/٨/١٩م، قدَمت إليه سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين إنذارًا، وافقت عليه الحكومة الأردنية فيما بعد، تضمّن إخراج المتهمين بالتحريض في حوادث الحدود، وتسليمهم إلى الفرنسيين في سورية، حسب اتفاق تسليم «المجرمين». فالمقاومون في نظر المحتلين يدعون مجرمين ..!! واليوم مع اختلاف الزمن يدعونهم (إرهابيين)..!!

مع الداغستاني إلى باب السجن العلوي الكائن بين الأبراج الحصينة يرافقهما ضابط فرنسي آخر، وأمام الجميع نادى الداغستاني الخفير المسؤول عن الحراسة، وأمره أن يجلب السجناء الأربعة، وأفهمه في الوقت نفسه «مواربًا»: أن الضابط الفرنسي جاء ليأخذهم بنفسه إلى ديوان الحرب العسكري، فما كان من الجندي الخفير إلا أن فتح أبواب الزنزانات (حيث كان كل سجين في زنزانة خاصة). وحضر المحكوم عليهم بالإعدام وقد ظن هؤلاء أن ساعتهم قد دنت، فظهر على وجوههم الخوف والارتباك.

ولما أصبحوا بعيدين عن باب سجن القلعة، طلب آمر السجن زكريا الداغستاني منهم أن يرافقوا شقيقه «عزت الداغستاني» إلى داخل الجامع الأموي ليختلطوا بالمصلين ليبعد الشبهة عنهم، في حال مطاردتهم وتعقبهم من السلطات الفرنسية، فيما إذا انكشف أمرهم، حيث يتمكنون من التغلغل بين الناس، وكان موفّقًا في تنفيذ فكرته وخطته السديدة هذه. بعد ذلك عاد الداغستاني إلى سجن القلعة للحيلولة دون اتصال أحدٌ بالضابط الفرنسي، وذلك لئلا يعلم أحد من الفرنسيين ما تمّ بالسجناء المذكورين. وبعد ساعة من إطلاق سراحهم جمع الداغستاني الخفراء والحراس والموظفين، وقال لهم أن الفرنسيين استلموا السجناء، ولا نعلم ماذا سيجري لهم، فإياكم والتحدث عنهم بشيء أمام الأهالي والمسجونين، خشية تسرّب الأخبار إلى رجال الثورة، فيهاجموا سجن القلعة انتقامًا، ونكون نحن المسؤولين عن إفشاء سر أخذهم. فامتثلوا وكتموا الأمر. ثم ذهب إلى غرفته وكتب كتابًا باللغة الفرنسية:

«أنا الموقع أدناه استلمت السجناء الأربعة من سجن القلعة في هذا اليوم: التوقيع زكريا الداغستاني». ووضع زكريا الداغستاني الكتاب الذي وقّعه، ضمن محفظة الورق الموجودة أمامه على المنضدة، وبقي في مكتبه حتى المساء. وقبيل مغادرته سجن القلعة، نادى رئيس حرس الخفراء وقال له: بأنه استلم الوصل من الضابط الفرنسي باستلامه السجناء ثمٍ قدّم له الايصال الذي معه وتابع يقول له: وعند إعادة السجناء لكم ليلاً استلموهم وأعيدوا له هذا الايصال الذي سأضعه لكم في هذه الاضبارة.

ثم توجّه إلى ساحة المرجة وأخذ سيارة أجرة، حيث أوقفها بجانب باب الجامع الأموي المطل على ضريح بطل المجاهدين، ومنقذ فلسطين من أيدي الصليبيين في معركة حطين السلطان «صلاح الدين الأيوبي»، ودخل المسجد وذهب مباشرة إلى مشهد الحسين حيث كان السجناء الأربعة ينتظرون، فرافقوه واركبهم معه في السيارة وتوجّه بهم إلى طريق الصالحية، واجتاز

المنطقة العسكرية والدورية المرابطة في الجسر الأبيض - بين منطقتي الثوار والحكومة - وبعد أن اجتازوا بأمان هذه «النقاط» الخطيرة (دون أن يتعرّض لهم أحد من الجنود لوجوده معهم وهو يلبس بزته العسكرية)، كما أنه كان معروفًا عندهم (كمعاون لمدير عام السجون في مركز القلعة)، حيث غادروا السيارة إلى حارة الأكراد، وهو مكان الالتقاء بإخوانهم المجاهدين، وعلى رأسهم الضابط الشهيد زكي الحلبي، وعزت شقيق زكريا الذي اشترك بعملية انقاذهم مع القائد صادق الداغستاني، والمجاهد عبد الرحمن الحلبي وكاتب هذه السطور، الذي عانق رفاقه في ثورة حوران، وهنأهم بسلامتهم وإنقاذهم من طغيان السلطات الفرنسية، وسعى لهم بتأمين خيل كوسيلة للركوب حتى يصلوا عن طريق الجبل إلى معقل الشيخ مصطفى الخليلي في قرية «المغير»، من أجل تجديد الثورة هنالك.

وفي قرية «الشبكي» في المقرن الشمالي استقبلهم دولة رشيد باشا طليع، ورحّب بهم أجمل ترحيب وسرّ بنجاتهم من الإعدام، وأثنى ثناء عطرًا على شجاعة القائد الوطني زكريا الداغستاني، وثمّن تضحيته بحياته ووظيفته، حتى أن أسرته لم تسلم من فظائع المستعمر الفرنسي، ومع ذلك لم يأخذ زكريا الداغستاني من أموال التبرعات، التي كانت تنهال على اللجنة المركزية في القدس وعمان، ما يؤمن حاجات عائلته الأساسية، مما اضطره أن يعمل محاسبًا لدى أحد تجار مدينة يافا.

وسجّل التاريخ في صفحاته الذهبية، للمجاهد الثائر القائد زكريا الداغستاني، وشقيقه القائد عزت الداغستاني، إنقاذ رقاب أربعة من شيوخ العشائر وزعمائها من حبل المشنقة.



●●● وأنا أقول...

ولدت «الفاشية» في العالم من جديد تلك التي تحمل في أحشائها البذور المتوحشة المرعبة، والنبتة الشيطانية الملعونة، التي لم تشهد البشرية لها مثيلاً نَمَتْ وترعرعت وازدهرت بعد سقوط الاشتراكية البراغماتية(٦٥٦)، التي أتخمتنا في منتصف الخمسينات من القرن الماضي بشعاراتها عن البرجوازية(٦٥٧) والثيوقراطية(٦٥٨) والبيروقراطية(٦٥٩)

---

(٦٥٦) البراغماتية: النفعية.

(٦٥٧) البرجوازية: حُكم الأغنياء والإقطاع المُطلق.

(٦٥٨) الثيوقراطية: حُكم رجال الدين.

(٦٥٩) البيروقراطية: حُكم المكاتب واللوائح.

والبلوتوقراطيـة(٦٦٠) والارسـتقراطية(٦٦١) والأتوقراطيـة(٦٦٢) والديمقراطية(٦٦٣) والبروليتاريـا(٦٦٤) وما رافقها من تورّم ثوري وانتفاخ وطني مزّق أفئدتنا.

في النظام الأميركي الفاشي بأيديولوجيته النازية وحركته العنصرية، تتضخم وحشية وقسوة القبضة الفولاذية والسطوة التسلطية، بعيدًا عن القيم الإنسانية والأخلاقية «المفترضة». الفاشيون الجدد «المتصهينون» حتى نخاع العظم يعملون على ترسيخ وبناء إمبراطورية تتفرّد بالهيمنة على العالم، وذلك بإعادة التشكيل الحضاري والعقائدي والنفسي، للمجتمع العربي والإسلامي، بما يضمن بقاء وأمن وهيمنة المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، و«تطويع» العالم العربي والإسلامي بالقسر، وصولا إلى «التطبيع»، والهيمنة على منابع النفط في المنطقة، وثروات العالم.

الفاشيون في العصر الحديث، يمارسون أعمالاً إجراميّة مرعبة، ويعبثون بحياة الأمم، وشعوب العالم وأمنه. المفسدون في الأرض فاشيو القرن الحادي والعشرين، يرتكبون المجازر في العراق، وكأن العراق مزرعة دجاج مصابة بـ«انفلونزا الطيور» ويتبنون مواربة شعارات «الحداثة» و«الإصلاح» والدفاع عن «الحرية» و«حقوق الإنسان»، ولبس قبعة «الديمقراطية» و«محاربة الإرهاب»، وهم يمارسون أبشع أنواع الحروب الإرهابية الدولية المنظّمة، والسجن والتعذيب، والتدمير والقتل بقنابل النابالم والفسفوريّة(٦٦٥) المحرّمة دوليًا.

وهم قوة عسكرية طاغية، تتمتع بالنُظم العسكرية الحديثة المتطورة، المجهزة بأحدث مبتكرات التكنولوجيا ونُظم أسلحة متكاملة، تمتاز بفعاليات عالية، وقُدرات الكترونية ومعلوماتية مؤتمتة فائقة التطوّر، سريعة الحركة

(٦٦٠) البلوتوقراطية: حكم الأثرياء

(٦٦١) الارستقراطية: حُكم النبلاء.

(٦٦٢) الأوتوقراطية: السلطة المطلقة الاستبدادية الديكتاتورية.

(٦٦٣) الديمقراطية: حكم الشعب.

(٦٦٤) البروليتاريا: طبقة العمال والكادحين.

(٦٦٥) الفوسفور الأبيض: مادة سمية قاتلة، إذا ما لامست جسم الإنسان، سرعان ما تتفاعل وتعمل على إذابة لحم الإنسان وبشرته وجلده - في حين يبقى الهيكل البشري كما هو سليمًا مع ما تبقّى من الثياب - بينما يذوب باقي اللحم. وقد استخدم الجيش الأميركي القنابل الفوسفورية (النيوترونية) التي تبيد الحياة وتحوي مادة حارقة تتأكسد مع الأوكسجين، وتُطلق دخانًا كثيفًا ودوّيًا مرعبًا وحرارة هائلة تحرق الأغشية المخاطية، وتؤدي إلى تقرّح الجلد والعمى الفوري. وقد تمّ إسقاط أطنان من هذه القنابل، في جنوب لبنان في ٢٠٠٦/٧/١٢م، وفي الحرب العراقية اللعينة الظالمة، المبنيّة على الكذب والتضليل والزيف والخداع بوجود أسلحة دمار شامل. وهذا يُفسّر اختفاء القوات النخبة العراقية المكلّفة بالدفاع عن مطار بغداد خلال ثوان إبّان الغزو الأميركي للعاصمة العراقية في ١٩ آذار / مارس ٢٠٠٣م، وسقوط بغداد في ٩ نيسان / أبريل ٢٠٠٣م.

من قواعدها المتناثرة في المفاصل الاستراتيجيّة، للاستخدام كقوة عسكرية طاغية تفرض وتطوّع وتغتصب الشرعية الدولية وتمارس إرهابها في العالم كله باعتبارها «القطب الأحادي» دون مُنازع.

المتوحشون المتعجرفون صنّاع «حضارة العولمة» يريدون «تطويعنا» و«تأديبنا» بقذائف المدفعية والدبابات، وقنابل الطائرات، وبالجوع والحصار والقتل اليومي، على أيدي جنود «المارينز» وتعذيب المقاومين في السجون السرية وسجون غوانتانامو وأبو غريب على أيدي «خبراء» مختصين في فنون التعذيب، وإهدار الكرامة الإنسانية. حتى «نستوعب» دروس «الديمقراطية» و«الحرية» القادمة إلينا من وراء البحار على السفن الحربية والمجنزرات والدبابات والطائرات والتي تبشّر فيها «الحضارة الغربية» الموسومة بطابعها المميّز. رسم خرائط الغزو، ونشر الفوضى الخلاقة بكل ما فيها من جرائم العنف المفرط والدماء وحرق دور العلم والمكتبات ونهب واستباحة المتاحف والآثار لمحو تاريخ أُمة عريقة بتراثها من قِبَل شعبين لا «تاريخ» لهما ولا «حضارة» أسهموا في تدمير العالم وحضارته بالقوة الغاشمة المرعبة سلطات الإدارة الأميركية الحاكمة وجنرالات الدولة الإسرائيلية المغتصبة.

إنَّ مقاومتنا للمُحتل ليست «إرهابًا» ولا «عنفًا» ولا «عنصرية» ولا «تعصبًا» لقومية أو دين، ولكنها محاولة إنسانية واعية وجادة، للقضاء على الإرهاب والعنف والعنصرية، المتمثلة والمتجسدة بالصهيونية المعتدية، و«المتصهينين» الذين يدعمون إرهاب الدولة الصهيونية المحتلة الغازية، وممارساتها العنصرية النازية، وأعمال العنف التي ترتكبها ضد شعب يعيش في أرضه ووطنه.

والمقاومة تُحرّر الأرض بمقاومة المحتل وليس بالقرارات الدولية، والمجتمع الدولي ممنوع حتى من إدانة هؤلاء المجرمين. وإذا أراد «المجتمع الدولي» أن يستتب الأمن في العالم، وإن تُجتث جذور «الإرهاب» فعليه تجريد الدولة الصهيونية المعتدية من جميع أسلحة الدمار الشامل النووية والكيماوية والبيولوجية، وتقديم مجرمي الحرب الإسرائيليين إلى المحكمة الجنائية الدوليةِ لمحاكمتهم كمجرمي حرب أُسوة بمجرمي الحرب النازيين والصربيين، ذلك لأن الصهيونية أسوأ من النازية والفاشية، وإسرائيل هي النظام العنصري والإرهابي والاستعماري الوحيد المتبقي في العالم، وجرائمها في دير ياسين(٦٦٦) وقانا وجنين تشهد بذلك.

(٦٦٦) دير ياسين: قرية فلسطينية تبعد حوالي ٦كم إلى الغرب من مدينة القدس. تبلغ مساحة أراضيها الزراعية (٢٨٥٧) دونمًا. تقع على أحد التلال التي تطل على وادٍ بالقرب من مدينة بيت المقدس، وتربط القدس بمدن الساحل يافا وعكا. تُعتبر دير ياسين إحدى قلاع مدينةً القدس، وأكثر القرى التي تعرضت للاعتداء من قِبل الصهاينة. داهمتها عصابات (شتيرن والأرغون والهاغانا) في الساعة الثانية فجرًا في التاسع من نيسان عام

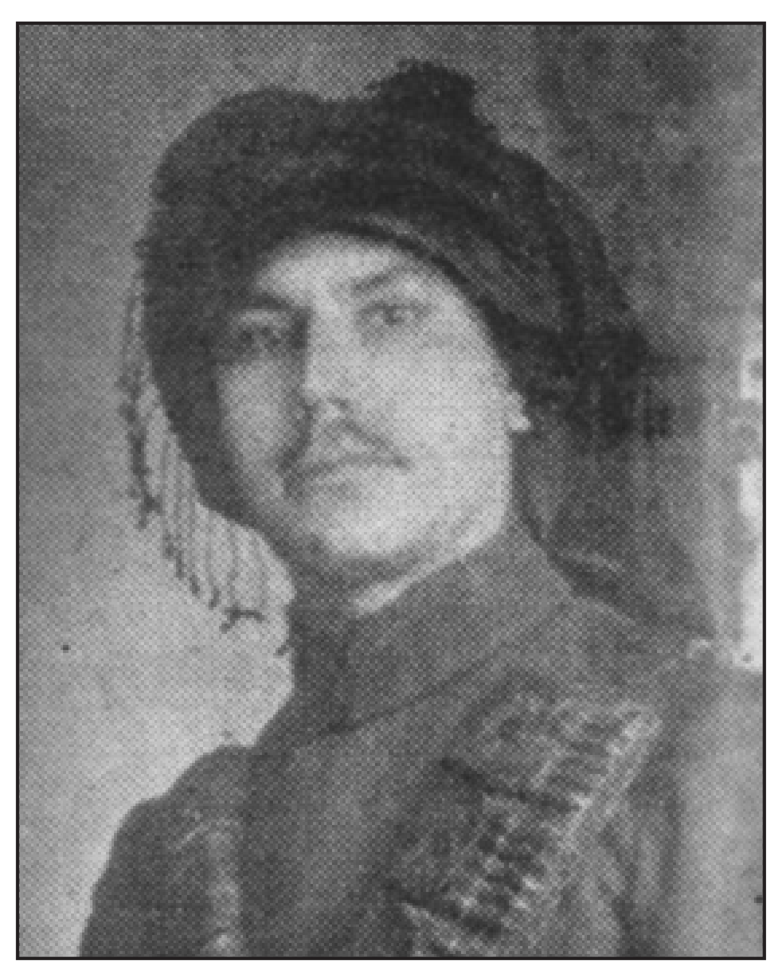
«إسرائيل» هي الدولة الوحيدة في العالم التي تحتل الأرض، وتخترق الحدود برًّا وبحرًا وجوًّا، وتهدّد الأمن الوطني والقومي والسلام العالمي وتمارس شتى أنواع الاستلاب والاضطهاد دون مساءلة.

«إسرائيل» التي راهنت على الخيار العسكري والانسحاب الأُحادي وفرضت واقعًا على الأرض وجدّدت «اللاءات» الثلاث «لا عودة إلى حدود ١٩٦٧م ولا عودة للاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم ولا انسحاب من القدس الشرقية» مع الإصرار على بقاء القدس عاصمة أبدية لـ«إسرائيل»! إلا أنَّ كل هذه «الخيارات» أخفقت في أن تضمن الأمن والسلم للدولة الصهيونية بل أدّى إلى دخولها في نفق مسدود مظلم، ذلك لأنها تحتل «وطنًا» لشعب.

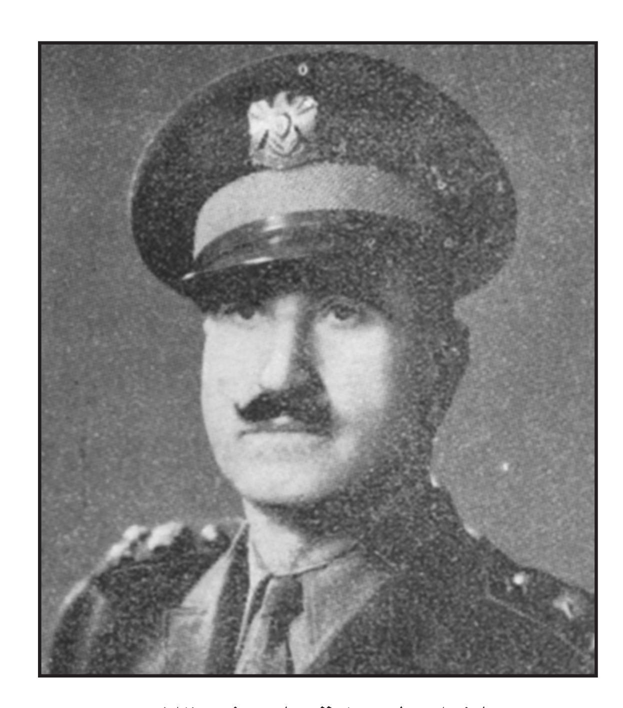
والشعب الفلسطيني اعتمد «مقاومة المحتل» خيارًا استراتيجيًا لتحرير أرضه. وجيش العدو بكامل أسلحته لم يتمكّن من القضاء على «المقاومة» في لبنان وغزة كما لم يستطع البقاء عُرضة لحرب استنْزاف تؤدي إلى انهياره ذلك لأن أصحاب الأرض والحق والوطن، يملكون القدرة على ضرب المحتل المغتصب في العمق، ورسم معادلة توازن الرعب، ومواجهة المعتدين المحتلين، ورفض الاستسلام... فانسحب العدو من غزة وراح يقصفها بالطائرات والصواريخ..!!

وقد أثبت أهلنا وشعبنا في فلسطين، قُدرة تحمّل استثنائية، في أشدّ الظروف قساوة وسيتجاوز الشعب الفلسطيني المرحلة العصيبة التي يمرّ بها، وسيخرج منها منتصرًا، وهو أكثر قُدرة على تأجيج مقاومته وانتفاضته ضد الاحتلال! وسيكون أكثر صلابة وتجذّرًا وتماسكًا وانتماء أمام المنعطف المصيري بإذن الله فالعدو لا يفرّق بين مقاتل إن كان «فتحاويًا» أو «حمساويًا».! ونحن ننظر باشمئزاز للمقاتل الذي يقاتل أخاه! وما أسوأها من قيادات بعثرت الأولويات! فالهم القومي يحتل قلوب كل العرب وسيتحوذ مشاعرهم، والشارع العربي يشتعل ويلتهب إحتجاجاً واستنكاراً لكل الممارسات الخاطئة واللا مسؤولة. يكفي شعوبنا مادفعته ثمناً باهضاً من دماء أبنائها واستقرارها وأمنها وثرواتها..!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٩٤٨م. ودمرت العصابات الصهيونية كل بيوت القرية العربية وقتلوا كل مَنْ بقي حيًا داخل القرية حتى وصل مجموع مَنْ استُشهد في القرية ٣٦٠ شخصًا من مجموع عدد سكانها البالغ (٦١٠) أشخاص يوم المجزرة. وتُعدّ مجزرة دير ياسين من أفظع المجازر التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحق شعب فلسطين، لطردهم من بلادهم وإفراغ فلسطين من سكانها الأصليين حتى يتحقق حلم الصهيونية بإنشاء الكيان الصهيوني.



زكريا الداغستاني



الضابط عزت الداغستاني



صادق الداغستاني



إلى جهنم ..!! وبئس المصير لسان حال كل العرب ..!!

الشقيقان [نبيه العظمة و عادل العظمة]

في هذا الزمن الرديء، والتواطؤ المهين والظلم الذي كشّر عن أنيابه وفي زمن الاستبداد اللاهب، يُلهب ظهور شعوبنا سياط السلطات الفرنسية الظالمة المنتدبة التي تدّعي نشر الحضارة الغربية، وترفع لواء شمس الحرية شعارًا لها وتدّعي الأصالة الشوهاء.

ويدفع مواطننا العربي الضريبة باهظة لأطماع الانتداب الفرنسي، والثمن باهظًا لخيانة «الأباطرة» الذين يُطلّون من قصورهم الشاهقة، ومكاتبهم الفخمة في «الشانزليزيه» يمجدّون الإنجاز التاريخي الحضاري الاستثنائي لفرنسا، ويمتدحون تاريخها الاستعماري الرائد منذ فجر التاريخ، ويعيشون على أمجاد فاتح العالم الأعظم «نابليون بونابرت» ويختزنون تاريخ فرنسا في أعماله وفتوحاته أو يتغنون بثورة الباستيل.

وهم في نشوة «النصر» الموهوم هذا، يضعون أقنعة الرياء على وجوههم، ويختبئون في بروجهم العاجية يستعدّون لأيام البطش أو يختفون في سراديبهم وأقبيتهم كالجرّذان والشعوب المغلوبة على أمرها مُحاصرة مهشّمة صامتة تتململ لا تملك حق الكلمة أو الشكوى.

في ذلك الجو الكئيب الحزين المشحون برائحة البارود يقفز إلى مقدّمة الصفوف مثقفو هذه الأمة لحماية الوطن الحبيب.

وكنت بعد توقّف الثورة في حوران عام ١٩٢٠م، قد التجأت مع رفاقي الثوار إلى مدينة إربد - المتاخمة للحدود مع سورية – حتى أكون على مقربة من الثورة والثوار في قلب المعركة حيث عُيّنت من قِبل الزعيم والحاكم الإداري لمنطقة عجلون (علي خلقي باشا الشرايري) مديرًا عامًا لمدارس اللواء، باعتباري خرّيج «مكتب عنبر» ودار المعلمين.

وبعد مجيء الأمير عبد الله إلى عمان، واستقرار الأمور في الأردن، عيّن (نبيه العظمة) عام ١٩٢١م متصرفًا في لواء إربد، وكان لي شرف الخدمة والزمالة معه، فكان مثال الإداري الحكيم صاحب الخلق الرفيع والرجل النبيل، المثاليّ بسلوكه وبجهاده القومي وعقائده الوطنية.

اشترك الشقيقان في الثورة السورية الوطنية، حيث اجتمعت به في مدينة السويداء، وكان الزميل نبيه العظمة قد نزل ضيفًا على الأمير عادل أرسلان.

نبيه العظمة
(١٨٨٦-١٩٧٢م)

وُلد نبيه العظمة بدمشق عام ١٨٨٦م، وتلقّى دراسته في الكلية الحربية العسكرية، وتخرّج منها برتبة ضابط مشاة وذلك في عام ١٩٠٧م، حيث خدم في الجيش العثماني، كما اشترك في حملة قناة السويس، ونجا من مشانق جمال باشا السفاح، إذ كان يعمل مع أركان حربه سرًا.

وفي العهد الفيصلي عُيّن مديرًا لشرطة مدينة حلب، وهنالك قام بمؤازرة الزعيم الثائر إبراهيم هنانو، حيث منع النقليات العسكرية الفرنسية من الوصول من بيروت إلى (قطمة)(٦٦٧)، كما ضيّق الخناق على ممثلي فرنسا بحلب، وعلى العملاء من بعض الاقطاعيين الموالين لهم، والذين كانوا يسيرون في ركاب الفرنسيين.

ولما احتلّ الفرنسيون البلاد السورية، انسحب نبيه العظمة سرًا مع صديقه رشيد باشا طليع – والي حلب – إلى جبل الدروز ثم إلى عمان، حيث عُيّن متصرفًا في لواء عجلون - ومركزه مدينة إربد - وكان رئيس ديوانه الصحافي الوطني القدير المرحوم (عثمان قاسم)، وفي الوقت ذاته أصدرت السلطات الفرنسية الحكم عليه بالإعدام.

وخلال فترة إقامة نبيه العظمة في الأردن، أشغل عدّة وظائف إدارية منها وزارة الداخلية، ومديرية الأمن العام. وقد أعاد المجاهد نبيه العظمة مع إخوانه الثوار أحمد مريود، والأمير عادل أرسلان، ورشيد طليع تشكيل فروع «حزب الاستقلال العربي» في عمان، وإربد، والكرك.

ولكن بعد محاولة الاغتيال التي تعرّض لها الجنرال (غورو) - المندوب السامي الفرنسي في سورية - وهو في طريقه لتناول طعام الغداء في مضارب الأمير محمود الفاعور، من قِبَل مجموعة الشهيد أحمد مريود، فقد اقتضت السياسة وضغوطاتها في عهد حكومة المرحوم رضا باشا الركابي، نفيه إلى الحجاز مع إخوانه من الثوار: الأمير عادل أرسلان، وأحمد مريود، وعمر شاكر الخانجي، ونجيب بليق، وسامي السراج، والشاعر خير الدين الزركلي،

(٦٦٧) قطمة: قرية في هضبة حلب، وتتبع منطقة منبج وتبعد عنها ١٢كم. تقع على مرتفع من أرض متموجة، تخددها أودية سيلية.

وذلك في أواخر عام ١٩٢٢م، وفي الحجاز عُيّن "صاحب الترجمة" مستشارًا للأمير علي بن الحسين.

بعد ذلك قرر نبيه العظمة العودة إلى دمشق، على أثر صدور العفو العام من قبل السلطات الفرنسية عام ١٩٣٧م على جميع السياسيين المحكومين بالإعدام، وغادر الحجاز في طريقه إلى دمشق عن طريق مصر. ولما نشب النِّزاع بين اليمانيين والسعوديين من أجل منطقة عسير، كان نبيه العظَمة من أعضاء الوفد الذي ذهب إلى اليمن والحجاز لإزالة الخلاف بين العاهل السعودي وإمام اليمن. وبعد أن أدّى مهمته الوطنية عاد إلى القدس،وانتخب عضوًا في المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي.

ونظرًا لنشاطه السياسي، فقد سجنته السلطات البريطانية في معتقل (صرفند) في فلسطين، مع فريق من إخوانه الثوار الوطنيين من سوريين وفلسطينيين، ولم يترك نبيه العظمة شخصية من الشخصيات الوطنية أو الرؤساء العرب إلا كتب إليه عن هموم وطنه(٦٦٨).

وبعد التصديق على بنود المعاهدة عاد نبيه العظمة إلى مدينة دمشق، وانتُخب مندوبًا عن سورية في لواء الاسكندرون.

بيد أن فرنسا لم تلبث أن ألغت تلك المعاهدة، واعتقلت جميع الوطنيين وزجّت بهم في أعماق السجون ونظرًا لقيام «صاحب الترجمة» بالنضال القومي الوطني، حوكم وسُجن مع بعض الوطنيين أكثر من مرة، وكان قد أمضى أكثر من أربعين عامًا ما بين سجن ونفي، عدا عن حكمه مرتين بالإعدام، كما قضى عدة سنوات في سبعة سجون لبنانية وسورية، ثم أفرج عنه نتيجة وساطة من ملوك ورؤساء الدول العربية.

وبعد احتلال الجيوش الإنجليزية والديغوليين مدينة درعا، غادر نبيه العظمة مع بعض رفاقه دمشق إلى تركية حيث قضى فيها أربع سنوات ونيّف، ثم عاد إلى دمشق ليساعد في تأسيس دعائم الحكم الوطني في سورية.

في الوزارة السورية:

وتقلّد نبيه العظمة منصب وزارة الدفاع الوطني في الحكومة السورية الجديدة - في عهد الاستقلال - في السابع والعشرين من أبريل / نيسان سنة ١٩٤٦م، وقدّم مشروع قانون تنظيم وزارة الدفاع لرئاسة مجلس الوزراء ولمّا لم يُستجب طلبه قدم استقالته للرئيس شكري القوتلي في ١٩٤٦/٦/١٧م، ثم

(٦٦٨) جمعت الباحثة خيرية قاسمية أوراق نبيه وعادل العظمة في كتاب: (الرعيل العربي الأول) صدر عام ١٩٩١م عن (دار رياض الريس – لندن).So Knightsbridge, London SW1X7NJ R.EL-RAYYES.

عُهد إليه برئاسة أمانة محافظة العاصمة في دمشق، وفي ذات الوقت انتُخب رئيسًا «للحزب الوطني» عام ١٩٤٧م. وقد ضمّ الحزب الوطني جميع أعضاء «حزب الاستقلال» القدامى، كما ضمَّ بين أعضائه أكثرية رجال «الكتلة الوطنية»، بعد أن تشتت شملها، ومن بين هؤلاء الأعضاء: جميل مردم، وعبد الرحمن الكيالي.

وهكذا قضى الرجل الوطني الفذّ نبيه العظمة شطرًا كبيرًا من حياته في النضال القومي سياسيًا وثوريًا عسكريًا، وكان مثالاً يحتذى في التجرّد، والثبات على المبادئ الوطنية. وقد أنجب البنين والبنات: ملك وسعاد وهشام. واختاره اللّه إلى جواره في جنات الخُلد في منتصف أغسطس / آب ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ.

عادل العظمة

(١٨٨٦-١٩٥٢م)

تعرّفت على عادل العظمة في مدينة عمان، ثم توالت اجتماعاتنا بعد ذلك، وقد كان محاميًا لامعًا، ومن الشخصيات الوطنية البارزة في سورية والأردن، وهو ابن عزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز العظمة.

ولد «صاحب الترجمة» في دمشق سنة ١٨٨٦م، وهو أكبر من شقيقه السيد نبيه بعامين، وقد تخرّج من المدرسة الملكية «الشاهانية» في الآستانة، ثم انتسب إلى سلك التعليم في الكلية السلطانية في بيروت، وقد درس علوم الجغرافيا والتاريخ من عام ١٩١١م وحتى عام ١٩١٤م، حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى، فاضطر أن يترك مهنة التدريس، ويلتحق بالجيش التركي.

ولمّا كان عادل، وشقيقه نبيه من أركان (حزب الاستقلال العربي) الذي كان صورة ومظهرًا (لجمعية العربية الفتاة)، التي كانت وراء جميع القضايا العربية الوطنية، وكان للحزب عدة فروع، وهيئات سياسية واجتماعية في عمان والمدن السورية الأخرى وبعض الأقطار العربية، حيث ضمّت الكثير من الشخصيات القومية البارزة، ومن البديهي أن يكون عادل العظمة من ألد أعداء المستعمرين الفرنسيين. حيث سجن بقلعة دمشق إثر حادثة (كراين) الشهيرة ثم نُفي إلى عمان، حيث استطاع مع بعض إخوانه أن يؤسس (المؤتمر الأردني العربي)، كما عُيّن عضوًا في المجلس التشريعي الأردني عام ١٩٢٨م، ثم ما لبث أن عاد إلى دمشق بعد العفو العام الذي أصدرته السلطات الفرنسية على رجالات سورية من السياسيين الأحرار.

وقد ساهم في الثورة السورية وفي ثورة فلسطين، و كان يشرف على اللجنة المالية التي كانت تجمع التبرعات وتنفقها على المجاهدين، كما جاء بالقائد فوزي القاوقجي من العراق، وأمّن دخوله إلى عمان، ومنها إلى مدن الثورة في فلسطين عام ١٩٣٦م، كما ساهم بجمع المساعدات المالية للثوار، وبتوجيه الثورة من عمان باعتبارها المركز الأمثل للاتصال بين قادة وزعماء الثوار. ولما جُرح القاوقجي سعى عادل العظمة بأمر سفره إلى ألمانيا، واضطر لمرافقته بالطائرة لمّا رأى أن حياة القاوقجي كانت في خطر، وكان القاوقجي قد ساهم أيضًا في ثورة رشيد عالي الكيلاني أواخر عام ١٩٤٠م.

وفي ألمانيا أطّلع عادل العظمة على نوايا زعماء النازيين في حالة انتصارهم في الحرب العالمية الثانية، ثم سافر إلى الآستانة بعد أن سبقه إليها شقيقه نبيه العظمة مع بعض إخوانه من حزب الاستقلال أذكر منهم: الأمير عادل أرسلان، وعزّة دروزة، ومعين الماضي، وهنالك أطلعهم على آراء الزعماء النازيين بالنسبة إلى العرب، وما يضمره الأعداء من نوايا استعمارية لبلادهم.

وفي عام ١٩٤٥م عاد إلى وطنه، حيث تولّى في تشرين الأول ١٩٤٧م منصب محافظ مدينة (اللاذقية)، فكان نشيطًا، وحازمًا ومخلصًا في عمله. وفي عام ١٩٤٨م نُقل إلى محافظة (حلب)، غير أنه في عهد الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم، قرّر مغادرة سورية والإقامة في لبنان.

وانتقل المناضل الكبير عادل العظمة إلى جوار ربه، مساء يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر أبريل / نيسان ١٩٥٢م، في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت، ثم نُقل جثمانه إلى مدينة دمشق، حيث دفن في (مقبرة باب الصغير). وقد أنجب عادل العظمة ولدين هما: عصام وخلدون.

لقد عاش عادل العظمة شريفًا أبيًا، ومات فقيرًا، ولم يترك لأسرته إلا الذكر الحَسَن، لدى مَنْ يقدّرون الرجال حقّ قدرهم، ورحم الله عادل العظمة رحمة واسعة، وتغمده بواسع رحمته ورضوانه.

❖❖❖

●●● وأنا أقول... هذه رسالة إلى الأسير...

نشرت مجلة فلسطينية، رسالة موجهة إلى الجندي الإسرائيلي «جلعاد شاليت» الذي أسرته «المقاومة الفلسطينية» في أواخر حزيران / يونيو ٢٠٠٦م، تُرجمت إلى كل لغات العالم: «جلعاد شاليت» هل تذكرنا؟!

ابتسم أنت الآن في غزة. انظر إلى البحر الأزرق أمامك. قتلت مدافع بوارجكم عائلة كاملة كانت تسبح على الشاطئ وأنكر جيشكم أنه قتلهم. لدينا خبز

ساخن. بقي لنا بعض أطفال لم يقتلهم رصاصكم. ولكنهم يتضورون من الجوع الذي فرضتموه عليهم.

لا تقلق سنعتني بجروحك، ولن نتردد في أخذ بعض الأدوية مما تبقّى من مخزوننا لمداواتك وتأكد أننا لن نؤذيك، وسوف نُشفيك من جروحك وغدًا حينما تعود إلى وطنك، ستتحدث وستكتب ذكرياتك عنا. ستعود إلى قريتك المزدهرة بشوارعها الفسيحة والمضاءة، والمُزيّنة بثمار البرتقال، وسوف تتذكر صور الأشجار المُقتلعة، والبيوت المُدمّرة وقبور المجاهدين الذين سقطوا برصاصكم، والشوارع الممتلئة بآثار الخراب والدمار. وقد تتذكر بأن هذا من صنع جيشكم.

أنت هنا ضيفنا يا «جلعاد شاليت». وبالرغم من أنك ترتدي البزة العسكرية، وأنك تلقيت الأوامر بإحراقنا وقتلنا، وعليك أن تُطيع هذه الأوامر بحذافيرها، لأنك جندي نظامي، وأنت حريص على أن تقبض راتبك في نهاية الشهر ولكن هل تعلم يا «جلعاد» بأنني لم أقبض راتبي منذ أربعة شهور ومع ذلك اسمح لنا – بعد موافقتك – على أن نحتفظ بك بعض الوقت من أجل أن أدعوك لتزورني في البيت، وأن تتعرّف إلى أولادي، وأن تسألهم أنت بالذات ما الذي يشتهونه الآن. يسعدني أن تستمع إليهم، وهم يشرحون لك لماذا لم يتمكنوا من زيارة الأهل لقضاء إجازتهم، ولماذا لا يحق للأهل أن يزوروهم في مكان سكناهم.

اسأل أصغر طفل لي، وهو لا يتجاوز الخامسة من عمره، لماذا أنا قاس معه ومع إخوته أيضًا هذه الأيام؟ خذه إلى جانب واستمع إليه لأنه لا يجرؤ أن يقول لك وبحضوري، أنه لم يعد يتلقّى مني قرشًا واحدًا كمصروف جيب. ادخل المطبخ وافتح الثلاجة، ولا تندهش أبدًا إذا وجدتها فارغة تمامًا.

سنُعرّفك يا «جلعاد شاليت» على جارتنا التي تأتي لزيارتنا كثيرًا إنها لا تنسى أبدًا أنها فقدت زوجها الذي قتلتموه، وهو يحمل لها ثوبًا جديدًا، اشتراه بمناسبة الاحتفال بعيد زواجهما الأول. كان خطأه الفظيع أنه كان يعبر شارع «الشيخ رضوان» في غزة، في اللحظة التي انفجرت سيارة، استهدفتها إحدى طائراتكم التي تُكثر من التحليق فوق بيوتنا وشوارعنا. إن جارتنا ستبقى تلبس ثوب الحداد على زوجها ولكنك بعد عودتك، ستأخذ خطيبتك بين ذراعيك، وسوف تأخذها إلى أقرب مرقص لتُراقصها وتخاصرها على أنغام الموسيقا وستنسى نهائيًا أنك قَتَلْتَ هنا في «غزة» بريئًا لم يؤذك وأنك اقتلعت أشجار الحي بكاملها، وأنك دمّرت سقف بيت على رؤوس ساكنيه.

لا تخف يا «جلعاد شاليت» سنُطعمك بما تبقّى لدينا من طعام ونحن نعرف

أَنَّ ما تبقّى، لا يليق بك كجندي في الجيش الإسرائيلي، لأنك تعودت أن تتناول ثلاث وجبات متوازنة كل يوم، ومعها شراب أميركي مُثلّج وحلويات فاخرة ولكن أرجوك كن حليمًا معنا، لأننا لا نعرف أن نتصرف بأناقة مثلكم. أنتم الذين تفننتم في اضطهادنا، وسلب حقوقنا، وزرع الموت في مُدننا وقُرانا ومزارعنا.

يا «جلعاد شاليت» إنني أعرف أن جبروت جيشك يُعطيك الشعور بأنك لا يمكن أن تُقهر وأَنَّ حكومتك تجتمع بكامل أعضائها، لدراسة أنجع الطرق لاسترداك. وأَنَّ الأصدقاء والعملاء يجهدون لإرجاعك إلى أُمك، التي ستبكي من الفرح حين تحتضنك بين ذراعيها وأَنَّ أخاك سوف يُعطيك هدية ملائمة، للتخفيف عن آلامك ولجعلك تنسى المحنة التي عشتها بل وقد يقترحون عليك القيام برحلة استجمامية، لمساعدتك على نسيان الإقامة القسرية عندنا. غير أننا نأمل أن لا تنسانا، كما ينسى زعماؤك الآلام المبرّحة التي يسببونها لأمهاتنا وأطفالنا ولا نريد أن تنسى المنازل المُدمرة، والشوارع المبتورة، ولا الأشجار المقتلعة، ولا سُجَنائنا الذين يتعفنون في سجونكم ولا نُريد لك أن تنسى المقابر الكبيرة، وهي تزداد اتساعًا على الدوام، والتي يُدفن فيها شبابنا ونساؤنا وشيوخنا وأطفالنا ولا نُريد لك أن تنسى آثار حصاركم، ونفاد مخزون الأدوية عندنا، واختفاء الطحين من مخابزنا.

وتذكّر يا «جلعاد شاليت» أننا لم نأتِ بك إلى هنا لقتلك ولا لإزعاجك بل أنتم جئتم إلينا لقتلنا وترويعنا وليعرف زعماؤك أنهم لا يستطيعون أن يقهرونا، مهما حاولوا وأنَّ الظلم يوّلد عندنا القوّة على تحريك الجبال.

يقول تعالى في سورة [البقرة: ٢١٤]: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] صدق الله العظيم.

لقد أتخمنا «العالم» (والمجتمع الدولي) الذي يقوده المتصهينون، بشعارات حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، وهو أصم أبكم أعمى لا يرى ما يجري في أرض فلسطين، من مجازر جماعية، وجرائم وحشية بالأسلحة المحرّمة والفتاكة، يقوم بها الجيش الإسرائيلي في مدن الضفة وغزة وجنوب لبنان، لشعب مُحاصر أصلاً طُرد من وطنه، وسُبيت حريته، وانتُهكت حرماته، وسُرقت أحلامه كما لم يسمع هذا العالم الذي أرهبته الصهيونية، بآلاف المعتقلين في السجون الإسرائيلية، وصرخات واستغاثة أهليهم، وأمهاتهم

ودموعهن الحارقة، ونشيج الأطفال الذي يزلزل كيانك وإنما راح يذرف دموع التماسيح على جندي إسرائيلي أسير في فلسطين وآخران في جنوب لبنان وفي متاهات البحث عن جدلية الحرب والسلام تقوم «العسكرتارية الصهيونية» بتدمير الجسور والأبنية، وتُراق الدماء وتتناثر الأشلاء، ويُستباح الوطن، وتُحفر خنادق الفتن وتستيقظ النعرات الطائفية، ويسود الصمت وتموت الأحاسيس، وتحترق القلوب ألمًا ويترهل الدور العربي ولا يتحرك ضمير إنسان.

فمتى يدرك العرب والعالم أنَّ الصهيونية لا تريد السلام وإنما تريد إدامة الصراع؟!



الأخوان نبيه وعادل العظمة



عادل العظمه خلف مكتبه



نبيه العظمه



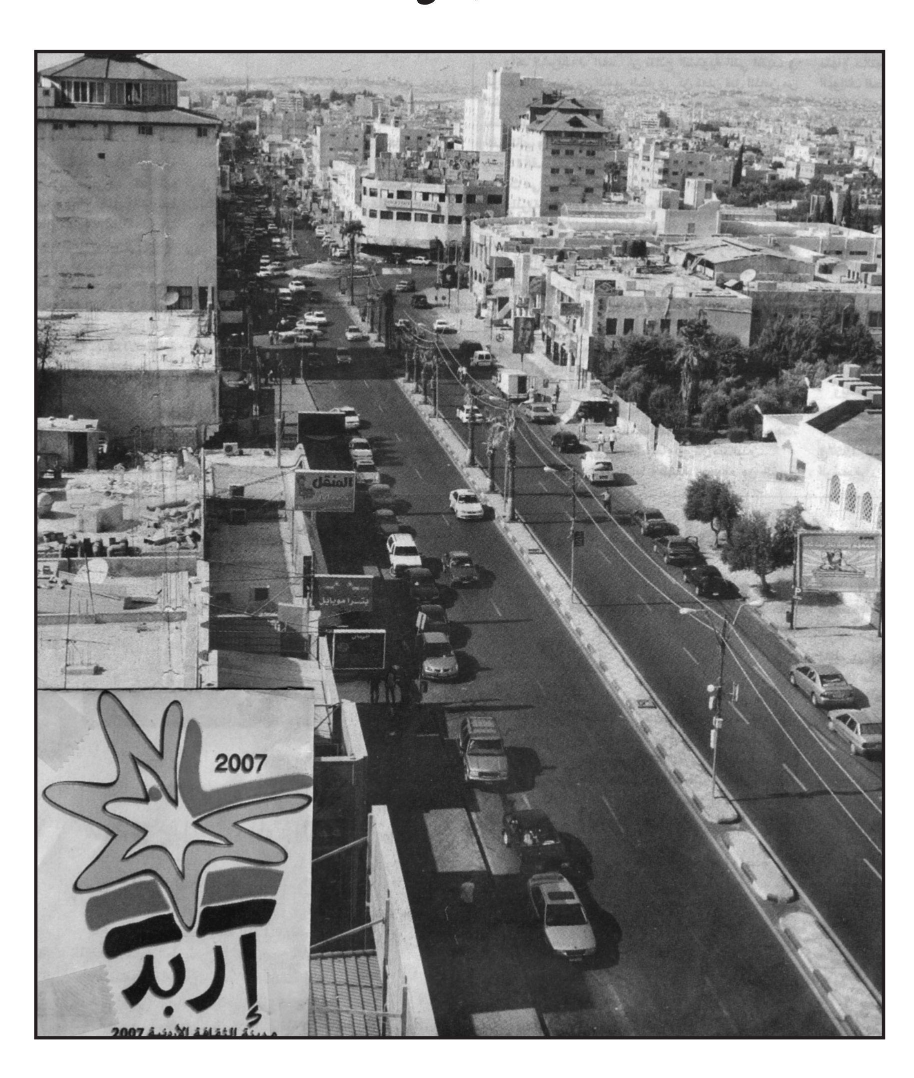
عادل العظمه



الجندي الإسرائيلي الأسير جلعاد شاليت



عمـان



المجاهد الشاعر

محمد الشُّريقي

(١٨٩٨-١٩٧٤م)

نحن هنا في أرضنا أيها الوطن الغالي مقاتلون أوفياء ومحاربون أشداء! تربة الوطن عاشقة لدمائنا، نرفض أن نغادر أرض الوطن، يخترق الموت صدورنا، نموت في عزّتنا، نكشف التآمر الخفي والملتبس، لم تعد شعوبنا مؤطرة بالخوف من الغزاة المعتدين.

نحن المنتمون إلى التراب والوطن تنبض قلوبنا بحب هذا الوطن، في سواعدنا القوة والعزيمة والإرادة. نواجه أعداء الوطن، وعدوان المتواطئين على أرضه وتاريخه. والأحداث تتساقط على رؤوسنا فتدمينا. فنجأر بالشكوى ... نحاول أن نعبّر عن ألم الشعب فنكتشف أننا لا ننجح إلا في إيذاء أنفسنا لأن قدرتنا على الحراك محدودة.

نبلع أحزاننا ونصبر صبر الحليم وننفجر كما تتفجر البراكين. ولن نألُ جهدًا في استعمال كل الأساليب، للدفاع عن حياتنا وذاكرتنا وتاريخنا.

هكذا كان المجاهد الثائر محمد باشا الشُّريقي من شخصيات الرعيل الأول التي عرفتها، خلال فعاليات النادي العربي بدمشق، وقد كان يحمل بين جنبيه قلبًا كبيرًا ملأه وطنية مجسّمة ملتهبة، جعلها دفاعًا عن أمته العربية الأصيلة بلسانه وقلمه، وبكل ما يملك من قوة بيان.

هو صديقي المرحوم محمد الشريقي الأديب الألمعي، والشاعر الرقيق الذي امتاز بين أقرانه بطلاقة لسانه، وقوّة بيانه، فإذا خطب ألهب المشاعر، وهزّ المنابر، وتدفّق في بيانه الساحر، فكان مثالاً يُحتذى للشباب الناهض، الذي خلّد لأمته في قصائده الوطنية الرائعة أعظم المآثر والمفاخر حتى أن قصائده الوطنية كانت تُلهب حماس المجاهدين والثوار والمناضلين الخالدين، وتذكّر أجيالنا الصاعدة بماضيها التليد، وتحفّزهم لمواصلة الكفاح والنضال، للذود عن حياض البلاد والأوطان، وبذل كل الطاقات لاسترداد أراضينا السليبة، التي فيها أقدس مقدساتنا المغتصبة.

ولئن جرت العادة في كثير من البلدان، أن لا يُكرّم الناس علماءهم وأدباءهم ولا يقدروا فضلهم إلا بعد مماتهم بسنوات، إلا أن فقيدنا الغالي قد شذ عن هذه العادة المألوفة حيث عاش مكرّمًا معززًا من وطنه طيلة حياته.

ولادته ونشأته:

ولد المجاهد الشاعر محمد باشا الشريقي، في مدينة اللاذقية عام ١٨٩٨م، وهو ابن الحاج يوسف الشريقي، وشقيق السيد بشير الشريقي عضو محكمة التمييز في عمّان. وبعد أن أكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه اللاذقية، تابع دراسته الثانوية في مدارس دمشق وبيروت فالآستانة، وكانت حياته المدرسية غير منتظمة، بسبب انشغاله بالدفاع عن القومية العربية، كما كان عضوًا بارزًا في (جمعية العربية الفتاة)، ثم قرّر أن يسافر إلى مصر للدراسة في جامعتها في قسم الآداب، وبعد عودته لوطنه انتسب إلى مدرسة الحقوق العثمانية بدمشق. وكانت الصحف والمجلات العربية، تنشر له القصائد الوطنية الملتهبة، التي تدافع عن حقوق الشعب العربي في سوريةٍ، مما دفع السلطات الفرنسية الحاكمة إلى اضطهاده، وطرده، وسجنه أحيانًا.

وقد حكم عليه الفرنسيون بالسجن مدة اثنتي عشرة سنة، أمضى منها ثلاث سنوات في سجن القلعة في دمشق، حيث نظم خلالها قصائده الوطنية التي جعل عنوانها «حياة الشاعر السجين»، كما سبق له أن ألف كتابًا مدرسيًا في (التاريخ القديم) إلى جانب عدّة رسائل أدبية، قبل صدور العفو العام عنه وعن رفاقه السجناء السياسيين.

ثم ما لبث أن اشترك في المظاهرات الوطنية ضد الزيارة التي قام بها بلفور(٦٦٩) أو ما يُطلقون عليه اسم «نقفور»(٦٧٠) ضد الغزاة الفرنسيين فحكموا عليه ثانية بالحبس أكثر من عشرين عامًا غير أنه توارى عن الأنظار، ولم يمكّنهم من القبض عليه.

ثم ظهر علنًا عام ١٩٢٢م عندما قاد المظاهرات الشعبية الوطنية المشهورة - أثناء فترة الانتداب الفرنسي - وذلك على أثر مجيء «لجنة كراين» الأميركية لدمشق، بقصد استفتاء المواطنين عن نوع الحكم الذي يختارونه، فكان مطلب الجماهير السورية هو الاستقلال التام، على أن تضمن إعلانه وتنفيذه الولايات المتحدة الأميركية، وأنهم يرفضون الانتداب الفرنسي رفضًا باتًا. والأدباء مبتلون دوماً بسبب (طول لسانهم) وصدق حروفهم وأقلامهم..!! وبسبب تحريض محمد الشريقي وحضّه الشعب على المطالبة بالاستقلال، واشتراكه في تلك المظاهرات التي عمّت جماهير الشعب في

(٦٦٩) آرثر جيمس بلفور: صاحب «الوعد المشؤوم» لليهود، ومن أركان حزب المحافظين. مثّل بريطانيا في أول اجتماع عقدته عصبة الأمم عام ١٩٢٠م.

(٦٧٠) نقفور: إمبراطور بيزنطي حكم من عام (٨٠٢-٨١١م)، في عهده غزا هارون الرشيد آسيا الصغرى، وهزم «نقفور» وأكرهه على دفع الجزية، ومقدارها ثلاثون ألف قطعة ذهبية سنويًا. وقُتل «نقفور» في ميدان المعركة، وهو يقاتل البلغار عام ٨١١م. اشتُهر نقفور بـ(الكتاب) الذي أرسله إليه الرشيد قبل أن يغزوه.

كل أنحاء سورية، فقد حكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية بالسجن عشرين عامًا، كما حكمت أيضًا على الدكتور الشهبندر مثله، أما بقية رفاقهم منير شيخ الأرض وحسن الحكيم وسعيد حيدر فقد حكمت عليهم المحكمة بالسجن عشر سنوات.

نزوحه إلى شرقي الأردن ثم عودته لوطنه:

وعلى أثر صدور هذا الحكم الجائر عليه، نزح إلى الأردن، وكنت في استقباله هناك في جرش، فقد سبقته وأقمت له حفلة تعارف، دعوت إليها القائمقام علي رضا النحوي، ورؤساء الدوائر الحكومية مع رهط من وجهائها، ثم واصل سيره مع بعض إخوانه الثوار إلى عمّان وظلّ فيها حتى عام ١٩٣٧م، بعد أن صدر عفو عام عن المحكومين السياسيين، عاد محمد الشريقي إلى الوطن مع رفاقه المناضلين الدكتور الشهبندر، والقائد العام للثورة السورية سلطان باشا الأطرش، وحسن الحكيم، ونسيب البكري وغيرهم من زعماء سورية.

أما الوظائف التي تولاها محمد الشريقي في العهد الفيصلي، فقد عُيّن في عام ١٩١٨م، سكرتيرًا خاصًا للحاكم العسكري العام الفريق «رضا باشا الركابي»، كما عُيّن عضوًا في المجمع العلمي بدمشق، ثم انتُخب عضوًا في «المؤتمر السوري العام» عن مدينة اللاذقية - وهو المؤتمر الذي قام مقام «الجمعية التأسيسية الأولى» والتي حلت محل المجلس النيابي الأول – وهم أعضاء المؤتمر الوطني الذي نادى في قراره التاريخي في الثامن من آذار سنة ١٩٢٠م باستقلال سورية، وتتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكًا عليها.

بعد ذلك تقلّب الشريقي في مناصب كثيرة، فأوّل وظيفة تولاها بعد أن التجأ إلى عمان هي وظيفة (سكرتير مجلس الوزراء)، ثم انتُدب لتحرير مجلة (الشرق العربي) الرسمية التي تصدر عن إدارة المطبوعات.

وكانت مواصلته النضال بالقلم واللسان، فقد كتب خلال تلك الفترة مقالات كثيرة، وحاضَرَ في الأندية الأردنية والمعاهد التربوية بالإضافة إلى المحافل العلمية. وفي الوقت الذي تمّ انتخابه عضوًا في المجمع العلمي، عُيّن مفتشًا عامًا ثم مديرًا للمعارف، وقد انصرف بعد ذلك إلى خدمة القضايا الثقافية، العربية منها والإسلامية، ونشرها وتعميمها في أنحاء الأردن. كما اشتغل في سلك المحاماة فترة من الوقت. ولهذا أقام له المحامون – بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته – حفلاً تأبينيًا كبيرًا.

كما تقلّب محمد باشا الشريقي في كثير من المناصب الوزارية في وزارات الخارجية، والمالية، والاقتصادية، والعدلية، ثم عُهد إليه بوظيفة (وزير

دولة لشؤون الشرق الأوسط)، بعد ذلك أصبح سفيرًا للأردن في الباكستان والهند وأفغانستان وإيران، ثم عاد فتولى منصب وزارة الخارجية للمرة الثانية بعد أن كان سفيرًا في تركية، كما عُيّن رئيسًا للديوان الملكي الأردني، فوزيرًا للبلاط بعدها عُين عضوًا في مجلس الأعيان.

لقد عرف فقيدنا محمد باشا الشريقي الواجب الوطني فقدسه، وتفانى في القيام به، وأيّ واجب أسمى من أن يعمل على تحرير وطنه من ربقة الأسر والاحتلال، ولهذا رفعه هذا الواجب إلى سدة النور التي لا تعرف المحاق على كرّ الأيام، ومرّ الأعوام كيف لا؟! وهو الذي جفا نعيم أسرته، وعاف مغريات الشباب التي كانت كثيرة وفي متناول يده، وخاض ميادين النضال والكفاح، ولم يألُ جهدًا وبذلاً وتضحية بكل من ما يملك من الوسائل، حتى نالت البلاد ما تصبو إليه، من الحرية والاستقلال.

ومما هو جدير بالذكر وتجب الإشارة إليه، أنه لمّا أسندت إليه «مديرية المعارف» التي أصبحت تُعرف فيما بعد باسم «وزارة التربية والتعليم»، أن جعل في مقدمة أهدافه تعديل مناهج التعليم في سائر مراحله، بما يتلاءم مع الروح الوطنية القومية الأصيلة، إلى جانب اهتمامه بآداب اللغة العربية والثقافة الإسلامية وفي الوقت ذاته كان يحثّ الأساتذة على تهذيب نفوس الناشئة، وتدريبهم على سلوك «الأخلاق الفاضلة»، إلى جانب تثقيفهم للعقول، مع صقل ألسنتهم بلغة القرآن «أم اللغات»، وإنارة بصائرهم في إطار العروبة وتعاليم الإسلام.

وقد ساهم بتأسيس الرابطة الأدبية في سورية، والكتابة في مجلّتها عام ١٩٢١م، وكان من أبرز أعضاء هذه الجمعية زملائي في «مكتب عنبر» في المرحلة الإعدادية: خليل مردم بك، وأحمد شاكر الكرمي، وسليم وعزة الجندي(٦٧١) وصبحي أبو غنيمة وعبد الرحمن الكيالي وبدر الدين الصفدي وشكري الأيوبي(٦٧٢) وغيرهم من رجال القلم في سورية، كما كان لهذه الرابطة مساجلات أدبية مع «الرابطة العلمية» في المهجر. كما ساهم في تأسيس (جمعية الثقافة الإسلامية) في عمان، و كان واحدًا من أعضائها.

---

(٦٧١) عزة الجندي: ولد في مدينة حمص عام ١٨٨٢م، وتعلّم في مدارسها، وتابع دراسته في دمشق، ثم درس الطب في الآستانة. لكنه طرد من اسطنبول لانخراطه بالقضايا العربية، فتابع دراسته في المعهد الطبي بدمشق، وعاد ليعمل في مسقط رأسه. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى استدعاه السفاح من حمص، فجيء به إلى مركز القيادة بدمشق، وقتله السفاح بنفسه.

(٦٧٢) تولى اللواء شكري الأيوبي السلطة في بيروت في ١٩١٨/١٠/٦م،، وأعلن انضمام لبنان إلى الحكومة العربية، ورفع علم الثورة العربية، كما عيّن «حبيب باشا السعد» حاكمًا مدنيًا في بيروت، بعد أن أقسم يمين الولاء للشريف حسين بن علي أمير مكة.

وللشاعر المناضل محمد الشريقي ديوان مخطوط، نُشر أكثره في الصحف والمجلات العربية، وكان شعره من طلائع الشعر القومي الثوري في العهد العثماني والعربي.

كما طبع عام ١٩٢١م، مجموعة من القصائد الوجدانية أسماها «أغاني الصبا»، فضلاً عن الأناشيد الوطنية للناشئة العربية، أذكر منها هذه المقتطفات:

هيـا بنـا إلى العُـلا	واسمعـوا صـوت الوطن
وارقبـوا المسـتقبلا	وامتطـوا مـتن الزمـن
أيـه سـوريا العـرب	أنـتِ تـاج المشـرق
إنمـا نيـل الأدب	في بنـود الموثـق
موثـق اسـتقلالنا	قبلـتي حتـى الأبـد
منتهـى آمالنـــا	حفـظ أمجـاد البلـد

ومن قصائده المشهورة تلك القصيدة التي أهداها إلى رمز الوطنية «سعد باشا زغلول» بعد النداء العاطفي الذي وجهه «أبو الأحرار» إلى المصريين، يحضّهم فيه على إعانة إخوانهم السوريين، بعد ضرب دمشق بقنابل المستعمرين. وقبيل توقف الثورة السورية، سافر محمد باشا الشريقي إلى العراق مع وفد مؤلف من الدكتور الشهبندر وحسن الحكيم وعبد اللطيف العسلي، لجمع التبرعات لمنكوبي الثورة. حيث ساهم العراق الشقيق مساهمة فعالة في إعداد اللجان لهذه الغاية، وقد وحّدت جميع هذه اللجان جهودها، مع اللجنة المركزية في بيت المقدس، وهي اللجنة الوحيدة التي كانت تمدّ المنكوبين واللاجئين وعائلات المجاهدين بالمعونات اللازمة. وقد خلّد لأمته في قصائده الرائعة أعظم المآثر والمفاخر، هذا بالإضافة إلى غزارة علمه، وسعة آفاق تفكيره، فقد كان ضليعًا في آداب اللغة العربية وأسرار بلاغتها، وقد اقترنت معانيه المبتكرة في عبارات جزلة قويّة رائعة، مع بيان ناصع كأنه السحر. فلا غرو إذا كان شعره فحلاً، وديباجته مشرقة حتى أصبح بحقّ شاعرًا عبقريًا، وكاتبًا بليغًا، وأديبًا ألمعيًا، الأمر الذي جعله في عداد كبار رجال الفكر، والأدب الرفيع، حيث ترك ثروة أدبية من شعره الرقيق، ونثره البليغ الذي يشهد له بالباع الطويل، مما جعل شعره وأدبه الفذّ مسجلاً في صفحات الخلود.

بــلادي بــلادي فــداك دمــي ... وهبــت حياتــي فــدى فاســلمي
غرامــك أول مــا في الفــؤاد ... ونجــواك آخــر مــا في فمــي

أما أنت أيها الراقد تحت التراب لسان حالي يردد مع الشاعر:

أأبكيك أم أبكــي الحجى والمعاليا ... وبيض الأيــادي والوفا والأمانيا
وأيــام يمــن ظلّلتــك سماؤهــا ... ســبعين عامًا ثم خمــس زواهيا
سنشــهد يوم الحقّ أنــك لم تكن ... دعــي هوى بل كنت للحق داعيا

ففي ذمة اللّه محمد باشا الشريقي أيها المجاهد الكبير والشاعر المجيد، فقد أدّيت رسالتك وقمت بأسمى واجباتك، وأبليت في سبيل اللّه وبني قومك ووطنك، بقلمك ولسانك وبيانك الذي كان كالسحر أعظم البلاء.
طبت أيها العزيز الغالي حيًا وميتًا، وجزاك اللّه عن أمتك أحسن الجزاء.
[يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ❖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ❖ وَادْخُلِي جَنَّتِي] [سورة الفجر: ٢٧-٣٠].

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

أصل بلاء أمتنا العربية من الإنجليز فلولا بريطانيا وتواطؤها مع الحركات الصهيونية، ووعد وزير خارجيتها المشؤوم، لما قام لليهود كيان ولا دولة.
بريطانيا تتحمل كامل المسؤولية، عن الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني لأنها سبب المأساة فقد كانت قوة منتدبة محتلة لفلسطين، وقدّمت أرضًا لا تملكها، هدية مجانية للحركة الصهيونية العنصرية، ومكّنتهم من التجمّع من أصقاع الدنيا، واغتصاب وسلب أرض فلسطين، وقيام الكيان العنصري الصهيوني. ومنذ ذلك الوقت والشعب الفلسطيني يعاني من جرائم الاحتلال الإنجليزي ثم الصهيوني.

❖❖❖

هناك مقولة كان يردّدها الضابط الإنجليزي الجاسوس لورنس، قبل أن يعود نهائيًا لوطنه بريطانية، بعد أن انتهت مهمته التي انتُدب من أجلها: «مَنْ ينجح في الخديعة هو المنتصر، ومَنْ تنطلي عليه الخديعة فهو الخاسر». وقد انطلت علينا خَديعتهم.

لقد سقطت فلسطين مُثخنة بالجراح والطعنات بأيدٍ إنجليزية. ثم ذُبحت

قبل أن تلتقط أنفاسها الأخيرة بالأيدي الصهيونية.

فمنذ عام ١٨١٤م وحتى عام ١٨٣٠م، توالى وصول البعثات البريطانية التبشيرية البروتستانتية إلى فلسطين، عن طريق جزيرة مالطة، وتمركزت هذه البعثات في مدينة بيت المقدس ثم أُنشئت جمعية المبشرين الإنجليز وأصدقاء إسرائيل، لتُعنى بجمع شتات اليهود في فلسطين، ولا تزال هذه الجمعية قائمة حتى اليوم.

وطلبت هذه الجمعية الصهيونية من والي مصر «محمد علي باشا»(٦٧٣) عام ١٨٢٩م استئجار واستثمار «مزارع» – لليهود الألمان – في مدينتي «صفد والجليل» لمدة خمسين عامًا، لتشجيع جذب اليهود إلى هذه الأرض، لكن «محمد علي باشا» رفض هذا العرض، باعتبار أن فلسطين تتبع للسلطان.

ثم قام صهر اللورد «روتشيلد» – المدعو «مونتغبور» – عام ١٩٢٩م، بعدة رحلات استكشافية إلى فلسطين.

وفي الحادي عشر من آب / أغسطس ١٨٤٠م، وقّع الوزير البريطاني «بالمرستون»، أول وثيقة بريطانية رسمية، وجّهها إلى السفير الإنجليزي في القسطنطينية، واضعًا «المسألة اليهودية» في إطار «المسألة الشرقية» وسيادة «الباب العالي» على فلسطين وقد عرضت هذه الوثيقة مدى الاهتمام البريطاني بالحركة اليهودية ورغبتهم المُلحّة في العودة إلى فلسطين.

ومع بداية عام ١٨٨١م بدأت طلائع المستوطنين اليهود بالتوافد إلى فلسطين، وفق برنامج وسياسة مُحكمة ومُنسّقة مع السلطات البريطانية، لبناء مستوطنات «الروّاد الأوائل»، والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بأساليب الإغراء، بدفع الأموال لأصحاب الأرض.

وقام «ثيودور هرتزل» عام ١٨٩٧م، بعقد «مؤتمر بال» في سويسرا، ووضع

(٦٧٣) محمد علي باشا (١٧٧٠-١٨٤٩): كان تاجرَ تبغ ألبانيّ، قبل أن تطأ أقدامه شاطئ النيل، ليصبح ضابطًا في جيش السلطان سليم الثالث. هذا الرجل الأمي الذيْ جاء إلى مصر على رأس ثلاثمائة من المرتزقة الألبانيين، للمشاركة في الحرب ضد جيش نابليون بونابرت، سرعان ما وصل إلى سدة الحكم في مصر من عام (١٨٠٥-١٨٤٨م)، حيث ارتبطت البلاد في عهده بنهضة شاملة، بعد أن امتدت إمبراطوريته لتشمل الحجاز والسودان ثم بلاد الشام ساعد السلطان في حربه ضد الثائرين اليونان، لكنه اختلف مع السلطان فاستولى على سورية وأنزل بالعثمانيين هزيمة منكرة عام ١٨٣٩م، وتوغل في الأناضول، وتجاوز جبال طوروس ودقّ أبواب الآستانة، وعندما بدأ بمشروعه التحديثي في مصر وشرع بإرسال البعثات إلى أوروبة والتصنيع في بلاده تغيرت مواقف الدول، فتدخلت الدول الأجنبية وتآزرت للقضاء عليه ووأد حلمه بإقامة إمبراطورية عربية،فالعدو الحقيقي هو (القائد الوطني) الباحث عن جوهر التقدم والازدهار لبلاده.(وسرّ القوة تكمن في التصنيع وتكنولوجيا الحضارة الحديثة). ثم اتفقت مع السلطان عبد المجيد لعقد معاهدة «كوتاهية» سنة ١٨٣٣م/١٢٤٨هـ. وخرج «محمد علي باشا» من سورية سنة ١٨٤٣م/١٢٥٩هـ وقد أناب عنه في الحكم ابنه إبراهيم باشا عام ١٨٤٨م لكنه توفي قبل وفاة أبيه

بناء «الدولة الإسرائيلية».

بعد الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء، جرى تقسيم الوطن العربي وتفكيكه، بموجب اتفاقية «سايكس-بيكو» بين إنجلترة وفرنسة، في السادس والعشرين من أيار / مايو ١٩١٦م، إلى منطقة: (زرقاء) أعطيت إلى فرنسا «الساحل السوري». و(حمراء) أعطيت إلى إنجلترة «العراق». و(سمراء) «دولية حيادية في «فلسطين» تحت إشراف بريطانية.

وتمَّ إعلان «وعد بلفور» من قبل الإنجليز في الثاني من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧م، بعد أن أغرق اليهود «اللورد آرثر بلفور» – وزير الخارجية البريطانية – بالمال، فأصدر «وعده المشؤوم» عبر رسالة موجهة إلى المموّل اليهودي «اللورد روتشيلد » – رئيس الجالية الصهيونية في أوروبة – «يتمنى» قيام وطن يجمع اليهود. و«الوعد المشؤوم» لم يصدر عن مجلس الوزراء البريطاني، ولا من منظمة الأمم المتحدة، ولا من «العصابة المتصهينة» التي تتحكم بالمنظمة الدولية وإنما كان «مجرد رسالة شخصية» لا تحمل أي التزام. وهو «مجرد وعد » لا أكثر ولا أقل.

ووُضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، لكي يتم الاستيلاء على أراضي فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية، وإجبار أصحاب الأرض تسليمها للمهاجرين الصهاينة، وتجريد العرب من كل سلاح، وتسليح العصابات الصهيونية، بأسلحة الجيش البريطاني، وإسناد مهام الاغتيالات والقتل للعصابات اليهودية.

ثم كان قرار التقسيم في الخامس عشر من مايو / أيار ١٩٤٧م، والحروب التي تلته عام ١٩٤٨م و١٩٦٧م، ١٩٧٣م. ثم جرت برعاية أميركية اتفاقيات كامب ديفيد وأوسلو، وشرم الشيخ، ووادي عربة، وخارطة الطريق، ومشروع تنت. وجميعها (توقفت) أمام (التعنت) الصهيوني..!!

فقد أعاد المغتصبون احتلال الضفة، لتشتعل أرض فلسطين بعد الاجتياح الإسرائيلي، بالانتفاضة الأولى والثانية، وليسقط آلاف الشهداء والجرحى، بقصف وحشي بالطائرات لقطاع غزة واجتياح لباقي المدن والقرى الفلسطينية.

وبالرغم من كل جرائم الاحتلال الصهيوني، فإن قضية فلسطين باقية في ضمير كل العرب ووجدانهم ويشهد التاريخ أنه مهما حاول الغزاة تركيع الشعوب فلن يستطيعوا، لأن الشعوب باقية والاحتلال إلى زوال.





محمد باشا الشريقي

عزت الجندي

شكري باشا الأيوبي

محمد علي باشا

الأديب والشاعر والصحفي تيسير ظبيان



الشريعة

تسير على مبادئ جمعية رابطة العلوم الإسلامية

[أس]سها سنة ١٩٥٨م المرحوم تيسير ظبيان

المدير العام

قيس ظبيان

[ه]تف: ٤٦٢٨٢٠٣ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٨١٩٠٣٦

الدوار الثالث – جبل عمّان – عمان – الأردن

ص.ب: ١٨٢٩ – الرمز البريدي: ١١١١٨

E-mail: e-shariah@yahoo.com

الجزيرة

جميع المخابرات باسم : منشئ الجريدة ومدير سياستها المسؤول محمد تيسير ظبيان

الادارة : شارع رامي — دمشق

صندوق البريد ٣٤٨ رقم التلفون ١٦ — ٢٠

٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٣

١٢ آذار سنة ١٩٣٥

رئيس التحرير منير العجلاني

من الذي حرض الجزائريين على المظاهرات واثار احقادهم الدينية والقومية؟

ابن السعود ؟ ام اللجنة التنفيذية السورية الفلسطينية ؟ ام مشايخ الجزائر العصريون ؟

الجزائر لا تريد اغوات وباش اغوات !.

تقول الصحف الافرنسية التي تصدر في الجزائر ان المظاهرات الاخيرة التي تمت في البلاد الجزائرية واشتركت فيها جماهير كثيرة وانقلبت في بعض المدن الى الى معارك دامية ، لم تكن الا ظاهرة من ظواهر الازمة الاقتصادية الشديدة التي حلت البلاد ...

الزعيم ابن جلول

الذي يسير وراءه مئتا الف رجل

الوطني عباس فرحات

يد ابن جلول اليمنى

الحرب بين تركيا واليو[نان]

تركيا تحتل اليو[نان]

الصفحة الأولى من العدد ٢٠١ من جريدة الجزيرة الصادر بتاريخ ١٢ آذار ١٩٣٥

تيسير ظبيان

المجاهد والأديب والشاعر والصحفي

(١٩٠١-١٩٧٨م)

النُّخب الطليعية المثقفة يتَغلّغَل حُزن الوطن في أعماقها، فيتساقطُ في أحداق الليل آلامًا مبرحة مُفعمة بالوطنية، وأوراق حزن تنكفئ في الأعماق، لتُشعل القناديل في ظلمة الليل، وتُفجّر الصمت في الذاكّرة النائمة، يوم كان العدو ينصب المشانق للأحرار ويوم كان للكلمة معنى وسطوة، تخترق الجدران وتستقر في الأعماق، وتبني الحياة، وتصوغ الإنسان يوم كان للكلمة قوة طلقة البندقية، تسري كالنار في الهشيم تُرجّع الصدى، وتُفجّر البراكين وتوقف المراوغين وتحاصر المضللين والمزيفين.

أمسك الصحفي الكبير تيسير ظبيان بتلابيب «الكلمة»، يتكئ عليها مزهوًا، مُعبّرًا عن انتمائه العميق لوطنه وتاريخه العريق، والآلام التي يعانيها في البُعد عنه، يوم عصفت الأحداث بروح الوطن، فتحول الوطن بيد المستعمر إلى ممالك صغيرة وحدود مجزأة مصطنعة، وثروات مرتهنة، ومواطنين خارج الوطن يرتعدون من مجرد رؤية ظلالهم.

ولادته ونشأته:

وُلد هذا الصحفي المُلهم (محمد تيسير محمد علي ظبيان) عام ١٩٠١م، في بلدة (مصياف) في المنطقة الشمالية من سورية لأب من أصل دمشقي، يُعتبر من طليعة رجال القضاء والعلم في سورية.

وكانت طبيعة عمل والده تُحتّم عليه الانتقال والترحال من منطقة إلى منطقة، حسب ما تقتضيه لوائح النظام العثماني في ذلك الوقت، فانتقلت الأسرة إلى (حاصبيا)، وأثناء إقامتهم فيها كان يتردد على بيت والده أمراء أسرة آل شهاب اللبنانية، وكبار رجال العلم والفكر والأدب في سورية ولبنان، ثم انتقلت العائلة إلى مدينة (الزبداني)، ومن ثمّ إلى مدينة (النبك)، وفيها بدأ يتلقّى علومه الابتدائية الأولى.

مكث تيسر ظبيان زهاء أربعة أعوام في المدرسة العثمانية، وكان مديرها الشيخ كامل القصاب.

ثم درس في الكلية الصلاحية في القدس لمدة ثلاث سنوات، حيث بدأت ميوله الأدبية بالظهور والتبلور على أيدي أساتذة هذه الكلية، وهم من فحول العربية كإسعاف النشاشيبي، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ أمين العوري، والشيخ حسام جاد الله.

وكان هؤلاء الأساتذة الكبار يجتمعون وطلابهم في ندوات اسبوعية، لمناقشة المسائل الأدبية والدينية.

وفي ذلك الحين بدأ «تيسير ظبيان» بنظم الشعر وحفظه، بتوجيه من أساتذته ووالده، فحفظ أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر، لامرئ القَيس والأعشى والمتنبي والبحتري وأبو تمام والمعرّي، من شعراء الجاهلية وعصور الإسلام، كما أُعجب بشعر حافظ إبراهيم وأحمد شوقي (اللذان ما لبثا أن اجتمع بهما مرارًا أثناء إقامته في القاهرة) حتى أن أمير الشعراء اعتمد عليه مرارًا في إلقاء شعره. كما حفظ أشعار الشعراء المحدثين (كالكاظمي) وإذا كان هذا يدل على شيء، فإنما يدل على ما كان يتمتع به «تيسير ظبيان» من ذكاء وفطنة وقوّة ذاكرة حافظة.

وفي ذلك الوقت أيضًا، بدأ بكتابة بواكير مقالاته وقصائده في مجلة (روضة المعارف) التي كانت تصدر في بيت المقدس، وغيرها من المجلات والصحف العربية. ثم دخل المدرسة السلطانية بدمشق، وبعدها (مكتب عنبر) – الذي عُرف باسم مدرسة التجهيز.

وقد تعرّفت عليه وزاملته في (مكتب عنبر)، وكان من رفاقنا أيضًا الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة، ومصطفى وهبي التل، ونصُوح القادري، وجميل صليبا، وفوزي الملقي، ومحمد الشريقي، وسليمان سكر، وعبد المنعم الرفاعي.

ومن أساتذتنا كان الشيخ عبد القادر المبارك، وجودت الهاشمي، ومحمد علي المحايري وعوني الدجاني.

ثم دخل «تيسير ظبيان» المدرسة الحربيّة، وأتمّ تحصيله فيها، حيث حصل على شهادتها عام ١٩١٩م. ونال رتبة ملازم ثاني في الجيش العربي الفيصلي، وعُيّن مرافقًا لرئيس أركان الحرب ووزير الدفاع الشهيد (يوسف العظمة)، ثم مرافقًا لرئيس الأركان اللاحق (ياسين باشا الهاشمي).

وعندما وقعت معركة ميسلون، واستُشهد بطلها (يوسف العظمة)، واجتاحت الجيوش الفرنسية كل أرجاء الوطن، اضطر تيسير ظبيان إلى الفرار من وطنه سورية مرغمًا، خوفًا من بطش الفرنسيين، وكذلك فعلت أنا وأشقائي عمر وعبد اللطيف الخانجي بعد أن حُكم علينا بالإعدام ومصادرة

الأموال والممتلكات، فالتجأنا إلى شرقي الأردن، حيث كانت المنطقة تحت النفوذ البريطاني بموجب اتفاقية (سايكس – بيكو)، وكان ذلك في أوائل تشرين الأول عام ١٩٢٠م، حيث كان تيسير ظبيان أوّل معلم منفرد في مدرسة (سما الروسان) بقضاء إربد، ثم انتقل إلى مدرسة إربد عام ١٩٢١م، وبقي كاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي في مدينة إربد.

وفي عام ١٩٢٣م انتقل «تيسير ظبيان» إلى فلسطين معلمًا للغة العربية في مدرسة (روضة المعارف) في مدينة القدس، ثم في مدينة (بئر السبع).

بعد ذلك انتقل إلى مدينة خالد بن الوليد «حمص» ليُعيّن في مدرستها الثانوية، ولكن السلطات الفرنسيّة لم تَدَعه بسلام، فأخذت تلاحقه، مما اضطره إلى العودة إلى شرق الأردن، للعمل معلمًا في مدرسة السلط الثانوية.

وفي تلك الأثناء اشتعلت نيران الثورة السورية ضدّ الفرنسيين في جبل العرب، بقيادة سلطان باشا الأطرش.

وهنا التحق «تيسير ظبيان» بركب الثورة السورية، وانخرط في صفوف الثوار العرب، حيث كلّفته قيادة الثورة بالتوجّه إلى مصر، لتولي إدارة مكتب الاستعلامات السوري، الذي كان يقوم بنشر أخبار الثورة والدعاية لها، وكنت أزوّده بأخبار الثورة والثوار، ليوزّعها على الصحف المصرية، باعتباري المسؤول عن الدعاية للثورة وأخبارها، وكنت أوقّع باسم «فتى الجزيرة» خوفًا من ملاحقة السلطات الفرنسية.

ولمّا علم الفرنسيون بأمرنا حكموا علينا بالإعدام، ولكن حكم الإعدام هذا لم يقصيه عن مواصلة الجهاد والنضال في سبيل العروبة والإسلام، فأصدر مجلة (الناشئة العربية) التي كانت تُعنى بشؤون الطلاب والشباب العربي، وتقوّي فيهم الروح القوميّة العربية.

وفي عام ١٩٣٨م أصدر جريدته اليومية (الجزيرة) في سورية، والتي اضطر إلى نقلها إلى الأردن، هربًا من ملاحقة الفرنسيين، ولكنه وقع بأيدي الإنجليز، الذين سجنوه في سجن عمان عام ١٩٤١م. ومن هناك كتب قصيدة لزوجته «فائزة» يقول فيها:

رحماك ربي استمع مني دعائي   يا نصير الضعفاء ومذلّ الأقوياء
أهلكِ الطاغين واهزم جمعهم   إنهم داسوا عهود الأنبياء
ملأوا الأرض فسادًا وأذى   وتمادوا في اضطهاد الأبرياء

ثم نفوه إلى مدينة (الطفيلة)(٦٧٤). وفي هذه الأثناء حفظ كتاب الله القرآن الكريم.

وعندما عاد من المنفى، عادت جريدة (الجزيرة) اليوميّة إلى الصدور من جديد، ولم تتوقف إلا عام ١٩٥٢م حينما عُيّن «تيسير ظبيان» مديرًا لمعهد العلوم الإسلامية، والذي سُمي عام ١٩٥٨م (كليّة الشريعة الإسلامية). وحينها أصدر (مجلة الشريعة)، ولمّا أُحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٢م أشرف على مدارس (دار العلوم الإسلامية) وكنت أحد أعضائها، كما كنّا معًا في جمعية رعاية شؤون الحج.

نال «تيسير ظبيان» وسام (الكوكب الأردني) من الدرجة الثالثة عام ١٩٥٨م، ووسام (الاستقلال الأردني) من الدرجة الثانية عام ١٩٦٢م، ونلت وإياه وسام (التربية الأردني) من الدرجة الثانية عام ١٩٧١م.

❖❖❖

●●● وأنا أقول...

اختار اللّه الأستاذ الصحفي «تيسير ظبيان» إلى جواره في السابع من شهر أيلول من عام ١٩٧٨م، تاركًا قيادة المسيرة لأنجاله الأفاضل أصدقائي وأحبتي الأساتذة: حسّان وبسّام وقيس.

رحم اللّه أبا حسّان فقد كانت حياته حلقة متواصلة من العمل الدؤوب، أغنى بقلمه الصحافة معالجةً وإرشادًا وتوجيهًا.

وسيبقى «تيسير ظبيان» حيًّا في ضمير أمته وتاريخها! وستبقى الكلمات مهما كبرت عاجزة عن إيفاء هذا الطَوْد الأشمّ حقّه.

كان المجاهد والصحفي والأديب والشاعر تيسير ظبيان - رحمه اللّه - رفيق درب والدي (جميل شاكر الخانجي) في مسيرة نضاله وكفاحه بالسيف والقلم معًا.

---

(٦٧٤) الطفيلة: تقع على بُعد ٦٥كم من الكرك في جنوب الأردن. وهي منطقة جبلية تكثر فيها ينابيع المياه العذبة وبعض المياه المعدنية.

وكانا قد تركا أرض الوطن معًا، بعد أن حكم عليهما الفرنسيّ المحتلّ بالإعدام، ومصادرة الأموال والممتلكات.

وتتلمذت على يد أستاذي الكبير «تيسير ظبيان» عندما كنت أحبو على أبواب المعرفة، معترفًا له بفضله وأياديه البيضاء فقد كنت أبعث له في أواخر الخمسينات من القرن الماضي بإنتاجي الأدبي، وكان رحمه الله ينشره على صفحات مجلة «الشريعة»، بعد أن توقفت «الجزيرة» عن الصدوركما ساعدني في توزيع كتابي القصصي الأول (عبيد الحق أحرار) الذي أصدرته لي «دار المعارف» في القدس عام ١٩٦٠م إذ كان المؤلف يكتب ويطبع ويصحح ويوزّع كتبه. كما كتب «تقدمة» لكتابي الثاني «مواكب الأحرار» عام ١٩٦٢م، وطلب من صديقه السفير الجزائري «عبد الرحمن العقّون» أن يكتب «تقدمة» لكتابي الثالث «الأرض المحروقة» عام ١٩٦٤م، وهو عن الثورة الجزائرية قبل الاستقلال.

وكان - رحمه الله - قد رثى عمّي المرحوم الشهيد «عمر شاكر الخانجي» بقصيدة مؤثّرة ألقاها في (النادي العربي) بدمشق في حفل تأبينه عام ١٩٢٥م باعتباره من الصحفيين، إذ كان يُصدر بدمشق جريدة «الفَلاَح»، ومجلة «الفلاّح» وكان يقول لي مداعبًا: (تأخذ عمر عمك يا نشأت.. أنت تشبهه في أخلاقه وقسمات وجهه ونشاطه الأدبي والصحفي والتأليف).

كما رثى والدي (جميل شاكر الخانجي) صديق عمره، ورفيق درب كفاحه، في حفل تأبينه عام ١٩٧٦م قبل أن يتوفاه الله بعامين.

وقد كنت في ديار الاغتراب، عندما اختار الله أستاذي «تيسير ظبيان» إلى جواره، فلم استطع إلقاء كلمة رثاء، أو نظرة وداع.

فأرجو أن تكون كلمتي هذه لمسة وفاء لمجاهد وأديب وصحفي كبير، أدّى واجبه وسبقنا إلى ديار الرحمن.

رحم الله أستاذي الكبير تيسير ظبيان(٦٧٥)، وأسكنه فسيح جنانه.

فقد كان جبلاً شامخًا لا تزعزعه الرياح ولا الأعاصير، وعَلَمًا خافقًا

(٦٧٥) أصدرت اللجنة الوطنية العليا (لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٢م) كتابًا من إعداد وتحرير (الدكتور أسامة يوسف شهاب) بعنوان (محمد تيسير ظبيان – مختارات من أعماله المطبوعة والمخطوطة) – والكتاب في ٥٩٥ صفحة من القطع الكبير.

يرفرف في السماء.

وقد رثاه شاعر شباب فلسطين (الأفغاني) في رباعيته:

لله أنت فكم قدّمت من خدم	**للمسلمين وللأوطان والعرب**
وقفت نفسك للإسلام تنصره	**وتنصر العُرب بالأعمال لا الخُطَب**
فلتنعم اليوم في الجنّات مغتبطًا	**برحمة الله بين الصفوة النُّجُب**
ولتبق ذكراك يا «تيسير» عابقة	**بالمسك والنّد للأجيال والحقب**

❖❖❖

وعرفانًا بالجميل، ولمسة وفاءٍ نحو الذين أعطوا فأجزلوا العطاء نحو مجتمعاتهم وأوطانهم، وإنصافًا لحَملة الأقلام حيال التاريخ الذي ينبغي لمن يسجّل صفحاته أن يكون متجردًا منصفًا، يضع النقاط على الحروف بدقّة وإتقان، ويذكر الحقائق جليّة ناصعة، ويعطي كل ذي حقّ حقه، متخذين من كلّ فرصة للحديث عن جهود المخلصين، الغيورين على وطنهم والتي فيها العظات، ومن هديها نتبيّن معالم الطريق(٦٧٦):

يذهب القلم بعيدًا في العشرينات من القرن العشرين، والعرب في نشوة أحلام اليقظة، والسوريون خاصة في بلاد الشام كأنهم خلايا نحل دءوبة، جادة على مسيرة الأماني القومية، والآمال الكبار، ودمشق الفيحاء تعجّ بالقادمين إليها من العديد من أقطار الجزيرة، والعراق ومصر والشمال العربي الإفريقي تغصّ بهم الحلقات والندوات والاجتماعات العلنية والسرية تناقش فيها الأمور الطارئة، وترسم خطط الكفاح ضدّ مَنْ قد نكثوا العهود، وكذبوا الوعود من المستعمرين القادمين بنوايا الخبث، وأساليب المكر والخداع. كشّروا عن أنياب الغدر، ليبعثوا في نفوس أحرار العرب حماس التضحية، واندفاع الصمود والثورة العربية الكبرى أذكت في ضمائرهم الحميّة، وتلمس أسباب المقاومة لكل دخيل غاز غزوته في جذورها التاريخية عميقة، ومظاهرها في أمثال تصريحاتً الجنرال – اللنبي – في القدس حين قال: «اليوم انتهت الحروب الصليبية» ومثلها استفزازات الجنرال – غورو – في دمشق، وعلى قبر صلاح الدين: «قم يا صلاح الدين فقد عُدنا» والمؤتمر السوري، والملك فيصل بن الحسين، ومعركة «ميسلون» وشهيدها «يوسف العظمة»، ورجال الثورة الموجودون في مدن وقرى بلاد الشام والرافدين. هذه وتلك من

(٦٧٦) كتب الأديب الكبير الأستاذ المرحوم «ضيف الله بك الحمود» صاحب جريدة «الصحفي» في العدد (٢٩٧) هذه الكلمة التي ألقاها في حفل تأبين المجاهد والصحفي الأستاذ المرحوم «تيسير ظبيان» عام ١٩٧٨م.

التطورات السياسية والواقع المندفع نحو الأماني السامية في هذا الجو، والإطار الذي شب فيه الشاب «تيسير ظبيان» متعلمًا مثقفًا، رباه والداه على حب الوطن، والتغني بالتراث الإسلامي، وعلّمته مدارسها تمجيد العروبة، وأنشأه أساتذته ومربّوه من رجال اليقظة العربية على الشمائل الأصيلة والشيم الرفيعة يستظهر الكثير من آي الذكر الحكيم، ترسّخ في نفسه أحكام الإسلام الحنيف ونُبل المكارم، مثلما هم غرسوا في نفسه الرغبة الملّحة في التضحية من أجل إعلاء شأن الأمة، ورفع رايتها خفّاقة في ذرى الأمجاد، والسؤود. و«أبو حسّان» والزملاء والأقران، في دمشق يلتهبون حماسًا للعمل في مجال التضحية، يقولون بإجرام الدخيل المستعمر، ويهتفون ضده ويقودون المظاهرات الصاخبة، أن لا مكان للمستعمرين في بلادنا ومن أناشيدهم نشيد- تيسير ظبيان - :

يــا ليــوث الوغى	خصمنا قد طغى
فلنمــت كلنـــــا	في سبيل الوطن

كإنشادهم نشيد:

افتحوا لنـــا الطريــق	كي نجــوز العقبات
فمماتـــاً لا نطيـــق	ولنا حـــق الحيـــاة

❖❖❖

الحماية، والوصاية كلها معنى الأسر وعلى العيش بذلٍ أبدًا لا نصطبر

كما كانت أناشيد المرحوم المناضل محمد صبحي أبو غنيمة الوطنية، والحماسية - أكثر من أن تستوعبها هذه الكلمة - قد صقلت طباع التلاميذ، والشباب بالمثل العليا، وأيقظت فيهم الهمم، وكان لها دورها البارز في مقاومة الدخلاء، فجعلت من «تيسير ظبيان» وأقرانه، شعلة وطنية لا تتهيب الصعاب، ولا تخشى المستعمر وبطشه، وجبروته، وممن صدرت بحقه أحكام ذلك المستعمر «تيسير ظبيان» الذي جاء إلى الأردن مبكرًا، ليلتقي أول ما يلتقي في مدينة إربد بالمرحوم اللواء المكافح «علي خلقي باشا الشرايري»، ورفاق دربه ثائرًا بفطرته على مظاهر الميوعة أنَّى وجدت، والانحلال أنَّى ظهر، وعلى كل مظاهر الاستكانة للواقع الذي يحاول أحلاف الأمس أن يفرضوه على العرب،

وعلى ديار الشام خاصة، وفي محافظة أربد التي كانت في ذلك الحين وكأن «مضافاتها» فنادق ومطاعم للثوار القادمين من جباثا الخشب في الجولان، وحلب، وحمص، وحماة، واللاذقية، وطرابلس، وبيروت، وبغداد، وصفد، وعكا، وحيفا، ونابلس، والخليل، والقدس، وغزة، وغيرها من مدن العروبة الثائرة، على ذلك الواقع الذي يريد المستعمرون أن يجسّدوه بالحديد والنار، وأحرار العرب يقولون: لا وألف لا وهم قد توافدوا زرافات ووحدانا إلى «عمان» التي غدت في العشرينات مركز ثقل في السياسة والنضال والتخطيط للثورة، وثورات أخرى متصلة ضد الاستعمار والانتداب والحماية، والاستقلاليون من «حزب الاستقلال» ومَنْ تبقّى من رجالات الجمعيات، والأندية التي خططت للانتفاضة على التبعية في أواخر العهد العثماني هؤلاء وأولئك، وأمثالهم من المتعلمين والمثقفين، ومثلهم في الحميّة والحماس والمناداة بالجهاد زعماء، وزعماء أردنيون جعلوا من منازلهم منازل لإخوانهم القادمين من الحجاز، والعراق، ومصر، وسورية، وفلسطين.

وفتحت عمان، وإربد، ومعان، والسلط، والكرك، وسائر المدن والقرى الأردنية صدورها للأهل، والأشقاء الذين قدموا من كل قطر، تحدوهم الرغبة في الكفاح، ويحدوهم أمل كبير أنهم سيجدون في الديار الأردنية أبهى معاني الوحدة، وأجمل صور الأخوّة. وقد صدق ظنّهم فتأسّس الكيان، وقام الحكم على اعتبار أن هذا البلد للعرب، كل العرب لا إقليمية، ولا طائفية ولا عنصرية والكل مجنّدون للقضية، وبرز هنا دور المدارس وتأسيسها، ودَوْر معلميها من ضباط، ورجال الثورة وهم – عَلِمَ الله – الصورة الأكثر إشراقًا في تاريخ تلك المرحلة من مراحل تطورات القضية العربية، صدقوا ما عاهدوا أنفسهم وضمائرهم عليه فتعبوا النهار، وسهروا الليل على تأدية رسالتهم على النحو الأكمل. ومنهم الأستاذ الراحل تيسير ظبيان، أول معلم لمدرسة قرية «سما الروسان». وإذا ما ذكرنا قرية «سما الروسان» ترحّمنا على الزعيم الكبير المناضل «سليمان السودي» الذي كان عضوًا في المؤتمر السوري (عن عجلون)، الذي وَجَدَ فيه «تيسير ظبيان» ضالته المنشودة، وهو العنيد في نضاله، القوي في موقفه، لا يداري ولا يحابي فيما يراه خيرًا لبلده وأمته، وفي «سما الروسان» استأنف «تيسير ظبيان» نشاطه يعلّم تلاميذه (صناعة الموت في سبيل الحياة الحرّة الكريمة).

ورحم الله معلمي تلك الحقبة من الزمن، كان همّ المعلم أن يربّي تلامذته على المروءة والشهامة والبذل والعطاء في سبيل الوطن، ويذكي في أفئدتهم حماس الجهاد ففي الصباح المبكر كانت تأدية تحية العلم:

حيــوا اللــواء وقوفًــا أيهــا العرب   هذا هو الشــرف الموروث والنســب

وبعد تحية العلم نشِيد، ونشيد:

هبــت علينــا: لمّــا أتينــا ريــح مــن الأوطــان تُصبينــا

❖❖❖

نحــن جنــد الله شــبان البــلاد   نكــره الظلــم ونأبــى الاضطهــاد

فارفعــوا الأعــلام وامشــوا للجهــاد   حيــث أعدانــا تمــادوا بالغــرور

وغيرها من الأناشيد معظمها من نظم، وتلحين أولئك النفر الطيب من معلمي الأمس الذين كان منهم «تيسير ظبيان» يلتقي في نهاية كل أسبوع، وفي مختلف المناسبات مع: جميل القربي، ومصطفى الشريف، وعمر فائق الشلبي، وصبري فريد البديوي، ولطفي عثمان، وحسين العلي الطوالبة، ومحمد أديب العامري، ومحمود أبو غنيمة، وحسن أبو غنيمة، وبكر صدقي، والشريف فايز الشهابي، ومصطفى وهبي، وأحمد أبو صعب، وحسن حشيشو، وعباس أبو ريشة، ومنح غلونجي، وسعيد الدّرة، ورشدي التميمي، وبهاء الدين العابودي، ومصباح العابودي، ووهيب الأفيوني، وجميل شاكر الخانجي، وعبد اللطيف شاكر الخانجي، ونصوح القادري، والشيخ نديم الملاح، ومحمد علي الحوماني، وصلاح عابدين، وزيدان الشرايري، وحسن البرقاوي، وسعيد البحرة، وحامد مريش، وأسبر بشّور، وعبد القادر التّنير، ورشيد زيد، وغيرهم، وغيرهم من أفراد قافلة أخرى ممن قد تتلمذوا عليها من الشباب العربي الأردني اهتدوا بهديها، وساروا على نهجها وكوّنوا جيلاً يؤمن بربه ووطنه، ثمار جهود مشتركة موصولة رعتها قيادة البلاد وباركتها، والتف حول آمالها الشعب، وكانت للمرحومين علي رضا الركابي، وأديب وهبة، ومحمد المحيسن، ومَنْ معهما ومَنْ قد تبعهما إلى حين من الزمن، الأيادي الطولى في تدعيم أسباب المسيرة الهادفة إلى الأمجاد والسؤود، ومن أفرادها، وجنودها المخلصين الصحفي والشاعر المرهف - تيسير ظبيان - تنقلت به التطورات والظروف والأحداث السياسية والانتفاضات القومية، ونقلته تارة إلى دمشق صحفيًا ومثلها إلى عمان والقاهرة، ومن أجمل أيامه، أيام الصحافة كصاحب ورئيس تحرير - جريدة الجزيرة - وحتى لحظات حياته الأخيرة كان يحرّر، ويعمل لمجلة الشريعة «عربية، إسلامية، ثقافية»، ما زالت تصدر لتبقى في سطورها وصفحاتها مشاعره، وهو الذي يتمنى لأجيالنا الحاضرة

أن تعي تراثها الزاهر، وتعمل في إطار العودة التائبة إلى الله تعالى يكفّر عنا أخطاءنا، وأغلاطنا التي ارتكبت خلال الأربعين عامًا الأخيرة والتي كان إهمال تصحيحها، وتصويبها السبب فيما عانينا، ونعاني منه منذ سنة ١٩٤٧م، نتيجة جحود أفكار الرعيل الأول، والانحراف عن خط سيرهم القويم، ذلكم الرعيل الذي ناضل لله، وكافح من أجل علوّ مكانة الوطن ووحدته فحسب، لا من أجل المكاسب الشخصية، والمنافع الذاتية، وحسب «تيسير ظبيان»، وهو من ذلك الرعيل أنه عاش عيشة البساطة، والتقشف، وشعاره الذي مازال يضعه فوق مكتبه [وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ] [الزخرف: ٣٢] الشعار الذي يصوّر الحياة تصويرًا دقيقًا، بَعَثَ في نفسه أسباب الرضى بما قد قَسَم الله، والقناعة التي تصفّي النفس من أدران الشهوات والنفعية والانتهازية والنفاق، وذلك ما لم يجنح إليه الراحل العزيز فقد احترم ذاته وكرامته، وشخصيته فلم يداهن ولم يتزلّف مسؤولاً، وإذا اجتمع برئيس أو حاكم أو زعيم، فاجتماعه به للبحث عن سبل الإصلاح وطرق الفلاح في الأقوال والأفعال.

كان «تيسير ظبيان» عبدًا من عباد الله الصالحين، متعته أن يُنقّب في الكتب، ويستقصي أخبار العظماء، ويفكّر بأساليب العمل المجدي، والمشاريع الإسلامية، والخيرية الهادفة، وأما حبّه للرحلات والأسفار فكان بحثًا عن الحقيقة، والوقوف على مجريات الأمور، والتطورات عن كَثَب، يستهون الصعاب، ويتحمّل المشاق في سبيل ذلك، وأحب الجلسات إليه جلسات الفقه، والحديث والتاريخ والصحافة، وهو من الروّاد الأوائل في الصحافة، وكانت المشاعر ملتهبة نحو اليقظة والنهضة في سنيّ الدراسة والشباب، والثورة الكبرى انتهى قتال سنيّها المعلومة بغدر الحلفاء، وجنّد الزعماء والمفكرون، والقادة جميع مَنْ حولهم، أن حيّ على الفَلاح، والجهاد، والشعراء يتنافسون في الجيّد من الشّعر صرخة داوية في الأمة أن قاومي الغزاة ..!! والخطباء يُلهبون الأكفّ بالشعارات الوطنية، والساسة صادقون مخلصون، والمحاربون المناضلون يسترخصون الردى في ميسلون، والثورة العراقية تحرز الانتصارات على المستعمر، ومصر تلتهب حماسًا على مسيرة النضال ضد الغزاة، وعمّان ملتقى أحرار العرب كما هي دمشق الوثبة، وكان الجيل جيل «تيسير ظبيان» مولدًا ونشأة ودراسة وشبابًا. فلابد وأنه قد انطبعت فيه كل انطباعات المُثل العليا، نشأت معه لتبقى حتى النَفَسَ الأخير، مؤمنًا أن رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا الفانية، أن يفنى في سبيل المجموع والصالح العام، شمعة تضيء لتحترق راضية مرضية من أجل سعادة الآخرين، وأمثاله كثيرون من

الرعيل الأول كلّ في حدود مهمته ووظيفته واختصاصه وما قد قدّر له. ذهبوا لتبقى ذكرياتهم عاطرة في نفوس الأوفياء، كذكريات الشهداء «أحمد مريود» يمثّلون بجثته الطاهرة بعد أن انتقلت روحه إلى جوار الرفيق الأعلى، و«عمر المختار» يلقون به من علو شاهق من طائرة من طائرات الظالمين، و«فرحان السعدي» يشنقونه وهو الشيخ المسنّ وفي يوم من أيام صيامه، وعزّ الدين القسام، وعبد القادر الحسيني، و سعيد العاص، وكايد المفلح، والأمير عز الدين الجزائري، والعربي التبسي معهم، وقبلهم شهداء أخيار لا تتسع هذه الكلمة لتعدادهم، صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، لتكون دماءهم النبع الذي يرفد شجرة الحرية العربية، مازال أعداؤنا يغيرون عليها يومًا بعد يوم ليقطعوا من أوراقها وفروعها وأغصانها، ولكن الصامدين من حرّاسها يحولون بينهم بين استئصال جذورها القوية الراسخة في الثرى العربي الطهور.

رحل «تيسير ظبيان» وهو يحلم بخلافة إسلامية و بوحدة عربية، والأولى حطّمتها المؤامرات الاستعمارية اللئيمة، بأحقادها التعصّبية الذميمة، والثانية تقف تلك المعسكرات العدوانية في طريقها، وكان يمكن أن تتحقق لو ظلّ العرب على نهج ثورتهم الكبرى التي انطلقت عام ١٩١٦م، ولكن كثيرين منهم ضلّوا سواء السبيل، فتاهوا في متاهات المادة الهزيلة، والأفكار المسمومة المستوردة، والعقائد الخبيثة، وفي الصراع الحزبي والعشائري والإقليمي، وقاد الجماهير سطحيون وانتهازيون وجَهَلة وأغرار سياسة وجبناء قيادات عسكرية، وفرضت (العسكريتاريا) سلطتها ونفوذها لتشلّ حركة الفكر السليم والتوجيه الصحيح، وظنّ الأدعياء أنهم على مستويات الزعامة والرئاسة، وأنهم على مستوى مواجهة الأحداث، والمخططات الغربية الماكرة، وأنهم أهل للبطولات، والمعارك الحاسمة المنتصرة، واختل التوازن، وتدنّت القيم الروحية، وتعثّرت خطى التضحيات، وأُجبر المخلصون، والواعون على الانزواء، محظورًا عليهم القول والعمل، لتكون النتائج انكسارات وهزائم لا بل إذلالاً، واستسلامًا مهينًا.

صعدت روح «تيسير ظبيان»، وأرواح أمثاله من الوطنيين الشرفاء وهي تُشرق بغصص المرارة والأسى، مع هَوْل مصائب تمرّغ الجباه بوحل العار، والشنار والصغار.

لقد رافق «تيسير ظبيان» المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسياسته المتزنة، ودولة «حسن الحكيم» وإدارته الحكيمة، وشاركوه مجالسه الأدبية، واستمعوا إلى تصوراته المتوقعة. وعاش «تسير ظبيان» الصحافة قلمًا ورأيًا وفكرًا، وتردّد على مجالس العلم والفقه والتاريخ في القاهرة، وصادق مَنْ

صادق من أعلام الفكر الإسلامي في عالم المسلمين، فأكسبه ذلك مزيد علم وثقافة، ومات وفي ذهنه مشاريع مختلفة كلها تستهدف خير البلاد، وكانت أغلى ذكرياته مع المرحوم «علي خلقي باشا الشرايري» من أوائل من قد التقى به في هذا الجزء من بلاد الشام، حيث وجد فيه الإباء والشمم والجرأة في قول الحق، والاستعداد الأكيد للبذل والعطاء في سبيل الوطن المفدى.

ورابطة العلوم الإسلامية وهي تؤبن «تيسير ظبيان» اليوم مؤسسًا وراعيًا وأبًا لا تنسى محمد حافظ معاذ من السابقين في خدمة هذا البلد، والمجاهد الأستاذ جميل شاكر الخانجي، والغيورين على المصالح الاجتماعية الحاج خليل العزيزي، وحمدي جميّل، أحسن الله إليهم بالعفو والرضوان. والمرحومين عمر باشا مطر، والحاج إبراهيم منكو، والحاج عبد اللطيف أبو قورة من قدامى المجاهدين في سبيل عروبة فلسطين. كما لا تنسى أن تؤبن فقيد المؤرخين والكتّاب والأدباء الأستاذ المرحوم «محمود العابدي»، «أبا وضّاح» فقد كان قبل ليلتين من وفاته يسعى إلى تنظيم حفل تأبين زميله وصديقه ورفيق دربه «أبي حسان» فلم يشأ القَدَر لحكمة ربانية لا نعلمها، أن يعيش معنا ساعات إطراء مناقب – تيسير – فالتحق بهِ لنؤبّنهما معًا بذكر مآثرهما الجليلة، وشمائلهما الكريمة ولطالما اجتمعا في السفر، وتناقشا من أجل العلم والعلماء والثقافة والمثقفين، والمساهمة في تطوير نهضتنا إلى الأفضل.

وبعد فإن الفترة التي رافقت قدوم «تيسير ظبيان» إلى منطقة إربد، شهدت تأسيس «النادي العربي» مؤسّسه المرحوم «زكي الخطيب» الذي كان متحمسًا للقومية العربية، وزعماء الشمال بلا استثناء، شأنهم شأن كل زعماء الأردن لا يقرّ لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال ليلاً ونهارًا تحسبًا وحسابًا للظروف الطارئة، وغدر الإنجليز والفرنسيين، وصلف «غورو» في دمشق، ومؤامرات «هربرت صموئيل» الصهيوني في القدس، وحيَل «سمرست» في «أم قيس» وبلدة «إيدون»، والدويلات التي ارتأها تمزيقًا لأوصال البلاد والعباد فترة زاخرة بالآمال، والآمال يخشى ضياعها في خضم الغزو الاستعماري الجديد، وقد وقف كل مَنْ تواجد في هذا الجزء من بلاد الشام ضده مقيمين أُصلاء، وأشقّاء قادمين أعزاء، والمظاهرات الحماسية، كلها في سبيل قيام العهد الجديد، على أسس وطنية راسخة.

لقد ساهم «تيسير ظبيان» في شتى مجالاته معلمًا ومربيًا وخطيبًا ومحاضرًا وشاعرًا وصحفيًا وسياسيًا.

تحية لـ«أبي حسّان» تيسير ظبيان من صديق عمره ورفيق درب كفاحه

ونضاله: ضيف الله الحمود(٦٧٧).

لم يعلم قبل أن يغفو إغفاءته الأخيرة أن الرابع عشر من ذي القعدة ١٣٩٨ هجريةٍ الموافق للسادس عشر من تشرين الأول ١٩٧٨م سيكون تأبينًا قوميًا شاملاً بشخص «تيسير ظبيان».

تحية إلى روحه الطاهرة، وأرواح أقرانه الذين أبلوا فأحسنوا البلاء، وأعطوا فأجزلوا العطاء، وكانوا المشعل الذي مازال يضيء مشاعر المخلصين المؤمنين.



●●● وأنا أقول...

مَنْ قال إن الفجر لا يتنفّس، وإن الأحلام لا تتوهّج، وإَن النور لا يظهر في نهاية النفق؟!

تتوالد الصور أمامي، أُحاول أن أتفلّت من القيود وخيوط العنكبوت، وأستردَّ الحلم الذي بدّده الغزاة.

فَقَدت الإحساس بالألم والحزن، تعبت قدماي من احتضان نزيف «الديمقراطية» المشوّهة العرجاء القذرة وما ولّدته من مآس وفواجع وانكسارات. تلك الديمقراطية الدموية القاسية الشرسة، للنُخبٍ العسكرية، التي مزّقت قيم الخير والعدل والكرامة. ديمقراطية الجلادين والقَتَلة والمجازر والمقابر، ديمقراطية القتل والذبح والافتراس والاغتصاب، ديمقراطية برك الدماء وأفلام الرعب، ديمقراطية شريرة مخادعة مرفوضة متسخة تحمل بين طيّاتها، بذورًا فاشية عنصرية متعصبة حاقدةً.

جماجم ثقبتها الطلقات، وجثث ممزّقة، ودماء وأشلاء. فهل هذه

(٦٧٧) ضيف الله الحمود: من مواليد بلدة «النعيمة» قضاء إربد. درس في مدارس إربد والسلط وعمان، وحصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة دمشق. التحق في بداية الأربعينات في سلك التعليم، ثم أصبح قاضيًا للصلح في إربد والسلط والكرك في مطلع الخمسينات، ثم أمينًا للعاصمة عام ١٩٥٧م. تسلّم مناصب وزارية عدة: وزيرًا للبرق والبريد والطيران عام ٥٤ في حكومة توفيق أبو الهدى، وفي حكومة سمير الرفاعي عام ١٩٥٦م وزيرًا للمعارف والزراعة، وكان آخرها وزيرًا للداخلية عام ١٩٧٥م. كما ترأس اتحاد الجمعيات الخيرية، ونُصرة الجزائر، وجمعية رعاية شؤون الحج، ورعاية أبناء الشهداء. أصدر جريدته الاسبوعية السياسية «الصحفي» مع بداية السبعينات، وكانت منبرًا للأقلام الحرة والكلمة الصادقة، وكانت في خندق واحد مع المقاومة الوطنية والمقاومين، وسيفًا مُسلطًا على الصهاينة والمتصهينين وكل مَنْ يدين بالولاء لهم. واستمرت «الصحفي» في الصدور إلى حين وفاته في نيسان ١٩٩٨م. ويُعتبر من أشهر الأدباء والشعراء والصحفيين اللامعيين والسياسيين البارزين، وله مؤلفات عن العشائر الأردنية والفلسطينية.

«الديمقراطية» التي مزّقت الأوطان وبعثرت شعوبها التي يَتغنون بها هي «الفردوس البديل»؟ استباحت الإدارة المتصهينة في أميركا بلاد الرافدين واخترعت المسوّغات وخاضت حربًا بالقوة العسكرية الجبارة دون إذن من الأمم المتحدة. وعاش شعب العراق الكوارث من قتل وتخريب ونهب واستباحة لكل المحرمات الإنسانية. رياح الديمقراطية التي هبّت يحملها جنود «المارينْز» معهم، تحمل نُذر الموت والكراهية والظلم والاغتيالات، والأحقاد والعنصرية والدمار والدماء.

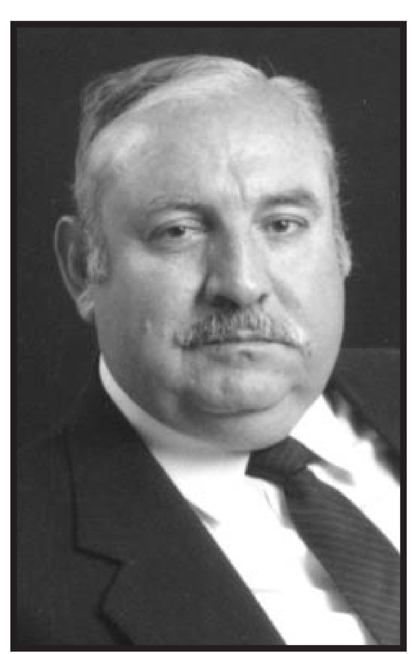
المهووسون بالحروب وسطوة السيطرة على العالم وأسراره ونفطه أدّى بهم هذا إلى جنون العَظَمَة، وولّد فيهم الرغبة للانتقام والقتل، والمذابح الجماعية بصور مرعبة.

المخاتلون نازيو العصر الحديث، والعشرية الثالثة، وفاشيو المجتمعات الديمقراطية، ومافيا شركات العولمة العملاقة المتوحشة جاءت جميعها برياح الشر من أقاصي المعمورة، وشنوا حربًا عبثية خدمة مجانية للصهيونية، اكتوى عالمنا العربي بنارها مثقلة بالظلم والوحشية والرعب والآلام والكوارث والدماء لم تترك لنا إلا الويلات ومشاهد القتل والدمار.

فمتى يأخذ العدل مجراه ويُحاكم تجار الحروب في محاكم مجرمي الحرب لينالوا جزائهم ..؟

❖❖❖

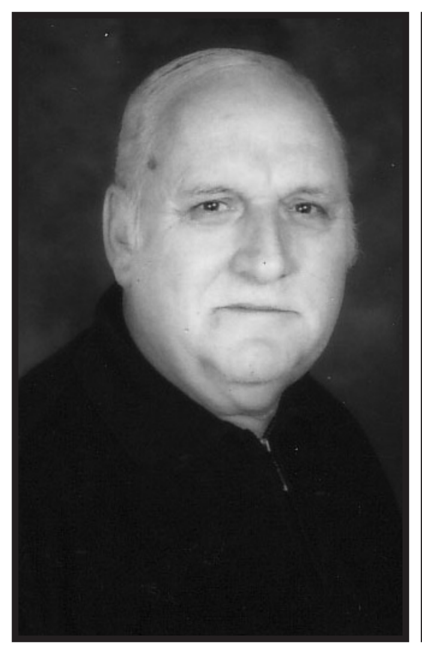
أنجال تيسير ظبيان



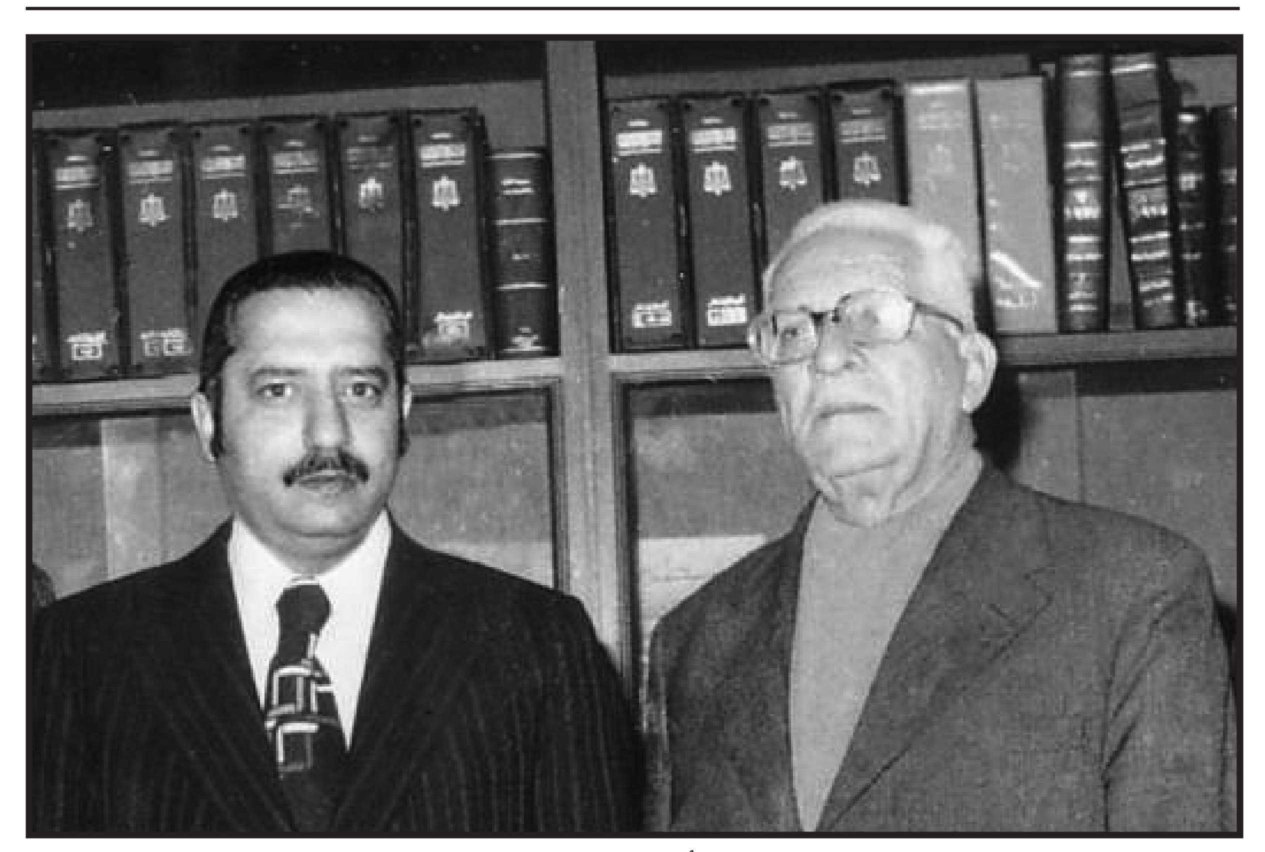
حسّان



بسام



قيس



تيسير ظبيان مع المؤلف نشأت جميل شاكر الخانجي عام ١٩٧٦ م



السفير الجزائري في الأردن عبد الرحمن العقون يتوسط تيسير ظبيان عن يساره و جميل شاكر الخانجي عن يمينه



الأديب المرحوم يوسف العظم شاعر الأقصى كتب تقدمة لكتابي (عبيد الحق أحرار) عام ١٩٦٠ م



ضيف الله الحمود صاحب جريدة الصحفي

نشأت الخانجي «ثوار صنعوا الاستقلال»

نتذكر المجاهدين والشهداء من أجل الحاضر والمستقبل





هذي دمشق الخالدة.. عنوان مُجد العروبة، وبرج عظمتها في تالد مجدها، ستبقى على مر الزمن والتاريخ، شامخة بكبريائها، سخية بعطائها، حبيبة دافئة لعشاقها.. مرت عليها جحافل الغازين من المغول الى التتار والصليبيين والأتراك والفرنسيين، ولكنها بقيت أبداً منتصرة تمسح آلامها بكل صبر وشموخ.. قال عنها سيد الخلق: «طوبى للشام! تلك ملائكة الله.. باسطو أجنحتهم على الشام. الشام كنانتي.. فإذا غضبت على قوم ريعتهم بها بسهم». ومجاهدو الثورات السورية هم رجالها، فهم من تحمل العبء الأكبر من الجهاد واختاروا رحلة المعاناة والعذاب، رغم وعورة طرقها. بهذه العبارات الجميلة قدم الاستاذ نشأت الخانجي لمحاضرته «ثوار صنعوا الاستقلال» التي أقيمت في السابع عشر من هذا الشهر في مكتبة الأسد احتفاءً بيوم الاستقلال وجلاء الاحتلال.

لقد استعرضَ السيد الخانجي في محاضرته بتكثيف شديد حياة «٦٠» مجاهداً من مجاهدي الثورة السورية، ونوّه إلى حقيقة أن الوقت لايسمح بالاستفاضة التي لا بد منها في الدراسات التي تتناول حياة وكفاح مجاهدي سورية الأبطال، ستون اسما خالداً في ضمير الشعب السوري والأمة العربية، كرمهم الله، قبل أن نكرمهم، لأن هؤلاء كانوا طليعة الزحف المقدس وقدوة الرجال.. هؤلاء الذين تركوا بصماتهم على صفحات التاريخ، وأضاؤوا شعلة الثورة وتقدموا الركب.

وتلزمنا الأمانة التاريخية، أن نذكرهم، ونذكر كلّ من ساهم في الثورة، وكلّ من قدّم الأمن والحماية والمال والسلاح للثوار، وأرشدهم إلى المواقع المهمة في عملهم الجهادي، أو آزرهم وتعاون معهم ضد الدخيل المستعمر، وأخص بالذكر أحياء دمشق الشعبية، التي رفدت الثورة بالرجال، وتحملت دفع الغرامات الحربية، وسجّلت صفحات بيضاء في تاريخ الثورة..

تحمّلت تلك الأحياء الشعبية العريقة.. «الميدان، الشاغور، باب سريجة، سوق ساروجا، ركن الدين والصالحية والأكراد وغيرها من الأحياء» الكثير من المعاناة.

لجأت سلطات الاحتلال- كما يفعل الاحتلال اليوم في فلسطين والعراق- إلى القصف العشوائي، فدمّرت معظم الأحياء الشعبية، وفرضت على الأهالي الغرامات الحربية، وقطعت المياه، كما فرضت حالة التجويع.. والحصار.. وذلك لإفراغ دمشق من المجاهدين.

وحتى لا تمتد الثورة إلى أحياء دمشق كلها، لجأت سلطات الاحتلال إلى تحصين دمشق تحصيناً عسكرياً، ببناء الثكنات العسكرية عند جميع مداخلها، لمنع تسلّل الثوار.

ولكن أنّى للمستعمرين الدخلاء السيطرة على النفوس الأبيّة التي جُبلت على حبّ الأوطان..؟

كان كل حي من أحياء دمشق يعمل كثكنة عسكرية.. وكانت دمشق أهمّ الساحات النضالية للثوار، كونها العاصمة، ومركز البعثات الدبلوماسيّة والسفارات ووكالات الأنباء..!

فعندما كانت تطلق رصاصة من أحد أحياء دمشق، كان العالم الخارجي يتحدث عنها في اليوم التالي، لذلك كان هدف الثوار الأول إيقاد شعلة الثورة في (دمشق..) فهم يؤكدون فيها على كثافة تواجدهم ويضربون سلطات الاحتلال في مركز قوتها، ويهينون تعاظم فرنسا وغرورها.

وكان لكل ثائر من هؤلاء الثوار دور قوي ساهم من خلاله في الثورة، وشارك فيها..!!

هؤلاء... كانوا وقود الثورة...!!

إنهم نخبة مختارة من الأبطال.. أيقظوا المشاعر الوطنية في الأمة وجسّدوا آمالها، وطموحاتها في التحرر والاستقلال!!.

لقد أحسن الاستاذ الخانجي، وهو سليل عائلة مجاهدة، بإرفاق كلامه، بصور عرضت على الشاشة، لأحياء دمشق القديمة، والصور الجماعية للثوار، وكذلك الفردية لكل واحد من قادة الثورة ويسجل للباحث سعيه للإحاطة بأسماء أكبر عدد من أسماء هؤلاء الأبطال، وإيفائه حقه ومكانته ودوره في الجهاد، فلم يكتف بالاسماء الشهيرة والمعروفة مثل أسماء الشهداء، يوسف العظمة، وأحمد مريود وصالح العلي وسلطان باشا الأطرش وعبد الرحمن الشهبندر، بل أشار الى مجاهدين من ضباط وجنود قاتلوا في معركة ميسلون وسواها من معارك الشرف لنيل الكرامة والاستقلال والحرية.

إن إيقاد شعلة المجاهدين كل عام في يوم الجلاء قضية للحاضر والمستقبل، قبل أن تكون للماضي وحده، فكما قال الباحث: «إذ نتذوق اليوم حلاوة الاستقلال، ونتفيأ ظلاله، ونسير في طريقنا نحو المستقبل، نستذكر ونستعيد ذكريات الماضي، لنأخذ الدروس والعبر، ونذكر الذين ضحّوا بحياتهم ليعيش الوطن حراً مستقلاً، فاعادوا الى الوطن استقلاله، وإلى دمشق مجدها التليد، وإلى بردى ابتسامته الساحرة...!!!

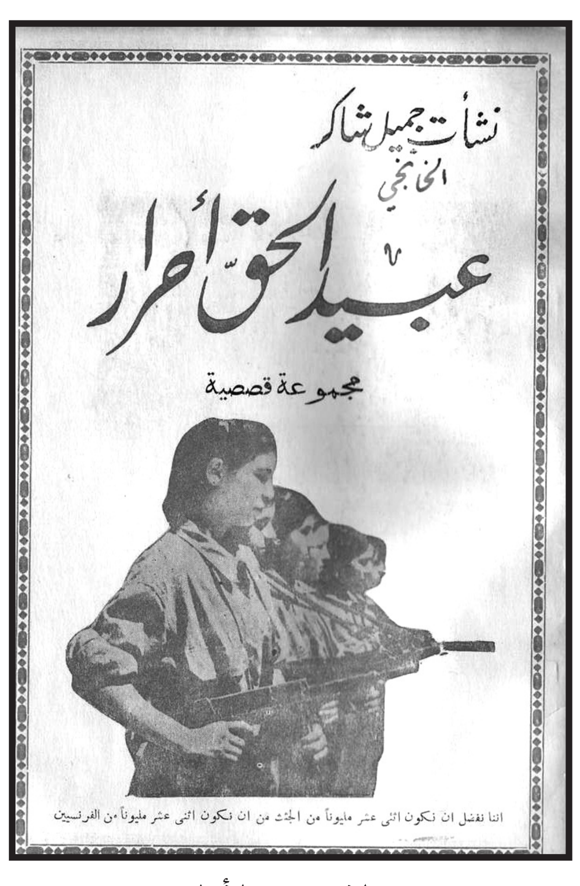
فها نحن نذكر الذين أراقوا دماءهم على مذبح الحرية، وقاتلوا المحتل الغاصب وما يعضده من قوة الحديد والنار.

نذكر الذين وضعوا حق الوطن أمانة في أعناقهم متمسكين بقوة إيمانهم، وبعدالة قضيتهم، وكرامة وطنهم وازدهاره وسعادته، فاستحقوا منا التقدير والإعجاب!!.

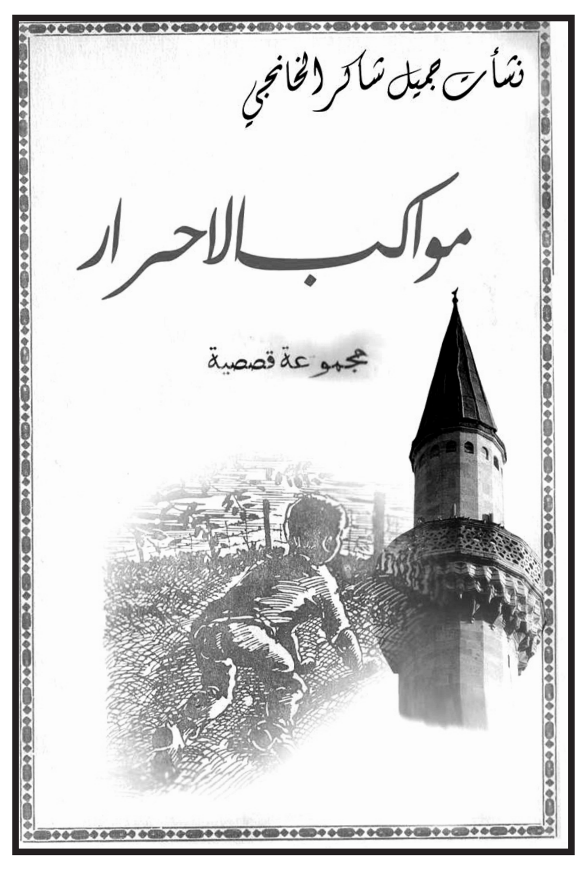
نذكر هؤلاء الذين انطلقوا كالأسود من عرينهم، يدافعون عن كرامة وطنهم وعزّته.. وقد أبلوا في ميادين الجهاد أعظم البلاء!! وافتدوا الثورة بأموالهم وأرواحهم، وآووا الثوار ونصروهم وحموهم».

□ متابعة: موسى السيد

تابعت جريدة تشرين المحاضرة التي ألقيتها في مكتبة الأسد بدمشق وحضرها وزير الإعلام ورئيس مجمع اللغة العربية المرحوم الدكتور شاكر الفحام والأديبة كوليت خوري وأعضاء رابطة رجال الثورة السورية وجمع من الأدباء . نقلها التلفاز بمناسبة أعياد الاستقلال



الاصدار الأول



الاصدار الثاني



الاصدار الثالث



الاصدار الرابع

تمثال الحرية بأمريكا - برج إيفل في فرنسا - ساعة لندن في إنكلترا -
المتصهينون يقولون أن المسلمين سيحولونها إلى مآذن لهم...!!



(أدب المقاومة)
يشعل الثورة ضد العدو المحتل
فمتى توقظ كلمات الأدباء
النائمين

علي خلقي باشا الشرايري

كان الهمّ القومي يحتل قلبه ويستحوذ على مشاعره، كما كانت ثقافة الحروف والكلمات تتغلغل في ذاكرته وتدغدغ خياله كقَدَر محتوم..! وظلال أشجار الحور والصفصاف ومعرشات كروم العنب تتراقص لاهثة كنسمات ربيع تمهّد للعبور إلى فسيفساء الجوهر لترتعش في ومضة من ومضات الجمال في فضاء القلب، وتنساب كالماء الزلال من النبع إلى شفتي ظمآن يرنو إلى أفق متخضب بحمرة الشفق..!!

كان علي خلقي باشا الشرايري من جيل الرواد الأوائل الذين تركوا بصماتهم على جدار الوطن... جَمَعَ بين العلم والخبرة العسكرية، وكان عروبي الانتماء أردني المشاعر والولاء... قدّم حياته خدمة لبلده وأمته.

ولادته ونشأته:

ولد علي خلقي في مزرعة جده في أربد عام ١٨٧٨م، لأسرة مكافحة امتهنت الزراعة، وكافحت لتوفير مقومات العيش الكريم.

التحق بالكتّاب وأظهر تفوقًا في تلقّي العلوم أكثر من العمل في الزراعة. ثم انتسب للمدرسة الرشيدية في دمشق، ثم التحق بالمدرسة العسكرية في اسطنبول، ليصبح تلميذًا في مدرسة الآستانة الحربية وتخرج متفوقًا على جميع أقرانه عام ١٩٠٢م برتبة ملازم ثاني في الجيش العثماني. ثم التحق بكلية المدفعية وتخرّج برتبة ملازم أول عام ١٩٠٥م.

وعُيّن قائدًا لسرية المدفعية السابعة في منطقة (الدردنيل). ثم نُقل إلى قيادة الفرقة المتمركزة في لبنان ورُفّع إلى رتبة قائمقام عسكري. ثم نُقل إلى اليمن عام ١٩٠٨م، وانتُدب للمشاركة في الحرب ضد الجيوش الإيطالية عام ١٩١١م في ليبيا، لكن ضعف الدولة التركية وتخلّف نظمها العسكرية أدى إلى سقوط ليبيا بيد الإيطاليين. فعاد إلى اسطنبول عام ١٩١٣م ليُعين حاكمًا عسكريًا لمنطقة مكة المكرمة.

الثورة العربية ودوره النضالي:

بعد إعلان الثورة العربية الكبرى، التحق علي خلقي باشا الشرايري بجيش الشريف حسين بن علي، وبعد رحيل فيصل من سورية عَمَدَ مع أبناء العشائر الأردنية إلى تشكيل حكومات الحكم المحلي وتنظيم قوة عسكرية وإقامة

مؤتمر عام في «أم قيس». ثم أصبح عضو مجلس المشاورين للأمن والانضباط في أول حكومة أردنية تشكلت برئاسة رشيد باشا طليع، ثم (ناظر المعارف) في حكومة (حسن أبو الهدى).

تزوّج من السيدة (حورية) كريمة القائد العسكري شكري باشا التوتنجي، ورزق منها بثلاثة أولاد وابنة واحدة هم: (حسين) وقد أنجب: تيسير وعدنان وأسامة وبشير، و(صلاح الدين) وقد أنجب: حسان وطارق ورجا، والابن الثالث (حسن) والابنة الرابعة (فاطمة).

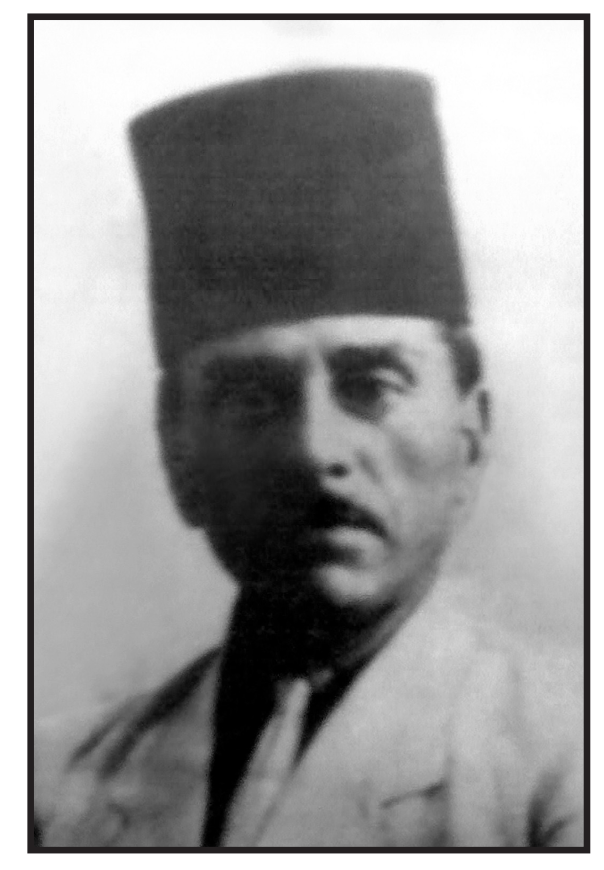
وانتقل علي خلقي باشا إلى جوار ربه في ٢٥ حزيران / يونيو عام ١٩٦٠م رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



جدار الفصل العنصري في فلسطين



علي خلقي باشا





علي خلقي باشا الشرايري



(الزيارة الأخيرة) قبيل وفاة والدي بيوم واحد زار مكتب (جريدة الصحفي) ليودعه كلمة عن رفاقه المجاهدين، وكانت هذه آخر كلمة يكتبها . وفي مساء يوم السبت ١٩٧٦/١/٣١ م توفاه الله وهو في السجدة الأخيرة لصلاة المغرب .

شفيق بن سعيد الركابي[٦٧٨]
(١٨٩٤-١٩٧٦م)

كان «صاحب الترجمة» شفيق الركابي في طليعة مَنْ ساهم مع والدي جميل شاكر الخانجي في ثورة حوران سنة ١٩٢٠م، والثورة السورية الكبرى من عام ١٩٢٥م حتى ١٩٢٧م. وكانت هذه آخر ترجمة لحياة المجاهدين، كتبها والدي قبل أن يتوفاه اللّٰه بيوم واحد فقط وذلك في مساء يوم السبت ١٩٧٦/١/٣١م وهو في السجدة الأخيرة لصلاة المغرب.

ولادته ونشأته:

وُلد المجاهد السيد شفيق بن سعيد بن محمود الركابي في حيِّ الميدان الفوقاني في مدينة دمشق عام ١٨٩٤م، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية ثم الإعدادية، دخل مدرسة الضباط في بيروت، ولما تخرّج منها ألحقته السلطات التركية بجبهة القوقاز - وكان ذلك أبان الحرب العالمية الأولى - وبعد أن خدم في الجبهة زهاء سنتين عاد إلى وطنه، وبقي فيه حتى إعلان الثورة العربية الكبرى.

وما كاد شريف مكة (الحسين بن علي) يطلق رصاصته الأولى في التاسع من شهر شعبان عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، حتى التحق شفيق الركابي بجيش الأمير فيصل الأول، وبقي مرافقًا له حتى دخل معه دمشق عام ١٩١٨م.

اشترك شفيق الركابي في معركة ميسلون، ولما دخل الفرنسيون دمشق انسحب إلى حوران، وأخذ يعمل بتجارة الحبوب في محطة «خربة غزالة». بعد مذبحة خربة الغزالة من قِبل ثوّار حوران ومقتل رئيس الوفد السوري علاء الدين بك الدروبي ومعه عبد الرحمن باشا اليوسف، والتجاء عطا بك الأيوبي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ عبد الجليل الدرّة إلى وجوه التجار من أهالي الميدان لحمايتهم، واعتقد أهل حوران بأن هذا الوفد قد أرسلته السلطات الفرنسية، من أجل رشوة مشايخ حوران للحيلولة دون

(٦٧٨) ويُذكر أن «صاحب الترجمة» شفيق الركابي لحق بوالدي إلى رحمة الله ورضوانه في نفس عام ١٩٧٦م. وقد كتب صاحب «جريدة الصحفي» الأديب «ضيف الله بك الحمود» المقدّمة التالية: «قبل أن ينشر الكلمة التي كتبها والدي»، وقد كان الحمود عريف حفل التأبين الذي أُقيم لوالدي مساء يوم الثلاثاء في ٩ آذار ١٩٧٦م كتب يقول: «قبيل وفاته بيوم واحد رحمه الله، زار مكتب «جريدة الصحفي» ليودعه هذه الكلمة عن (رفاقه المجاهدين)، وهو تغمده الله بالرضوان منهم، ومن طلائع الرعيل الأول الذين أبلوا أحسن البلاء فاستحقوا منا، وعلى الدوام الوفاء لذكرياتهم والإخلاص لمبادئهم، ونحن إذ ننشرها نرجو الله تعالى أن يعوّضنا عن أمثاله من المخلصين».

امتداد الثورة، ومن ثم القضاء عليها قبل استفحالها، وكان شفيق الركابي قد اشترك معي في معركتي «دير علي» و«غباغب» وخاض سائر المعارك التي دارت رحاها بين الحوارنة والجيش الفرنسي، وقد استشهد معظم هؤلاء الثوّار بعد أن جاهدوا في سبيل الله، وعملوا على تحرير الوطن بأموالهم وأنفسهم، حيث قاتلوا وجاهدوا حق الجهاد، وضحّوا بكلّ ما يملكون من مال، فجزاهم الله عن الأمة والبلاد خير الجزاء.

وعلى أثر انتهاء ثورة حوران، توجّه شفيق الركابي إلى عمان حيث التحق في خدمة الجيش العربي. وتوجّهت أنا إلى جدّة عام ١٩٢٥م لإحضار مؤلفات شقيقي عمر شاكر الخانجي في الكيمياء والفيزياء والأحياء وعلم طبقات الأرض، وفي فروع علم الزراعة وعلم الهيئة (العلوم الفلكية)، منها المطبوع وأكثرها تحت الطبع، هناك اجتمعت بصديقي المجاهد الكبير شفيق الركابي.

وبعد أن أعلن سلطان باشا الأطرش ثورته على الفرنسيين عام ١٩٢٥م، وذلك على أثر إعدامهم ضيفه أدهم بك خنجر(٦٧٩) الذي أراد أن يزوره في بيته مع صديقه شكيب وهّاب. قرّر شفيق الركابي العودة لدمشق والالتحاق في الثورة، مع باقي ضباط الجيش. وقد عدت وإياه ومعنا فريق من إخواننا الضباط السوريين حيث توجهنا رأسًا إلى مدينة (السويداء) عاصمة جبل العرب، وهناك اجتمعنا بالقائد العام سلطان باشا الأطرش، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ومعه بعض رفاقه الأطباء: أمين رويحة، ومحمد علي الشواف، كما حضر معنا من جدة الدكتور خالد الخطيب وباقي المجاهدين كالأمير عادل أرسلان ونبيه العظمة، ثم توجهنا بعد ذلك إلى الغوطة والتقينا مع إبراهيم صدقي(٦٨٠)، وأحمد العكاوي(٦٨١).

---

(٦٧٩) أدهم خنجر: من عائلة الأسعد في جبل عامل. في أثناء حوادث عام ١٨٦٠م لجأ كثير من المسيحيين إلى منْزل جده فحماهم وأكرمهم. كان من قادة العصابات الوطنية في جبل عامل، اعتقله الفرنسيون أثناء زيارته بيت سلطان باشا الأطرش، بعد اتهامه بإطلاق الرصاص على الجنرال غورو. وقد أرسل سلطان باشا الأطرش برقية للسلطات الفرنسية ختمها بقوله: «صعب عليّ إهانة قاصدي، الحل الوحيد إطلاق سراح الرجل، ولن أتأخر عن كل ما يرضي الفرنسيين». «أطلب من حلمكم وعدلكم المحافظة على تقاليدنا وعوائدنا». «إن موتي وإهانة ضيفي سيّان في عوائدنا». لكن الفرنسيين الحمقى نقلوه بالطائرة إلى بيروت وأعدموه عام ١٩٢٢م، وقصفوا قرية سلطان باشا الأطرش (القريّا) بالطائرات.

(٦٨٠) إبراهيم صدقي (الجزائري): مجاهد ولد في مدينة دمشق عام ١٩٠٠م، في حيّ ساحة الشهداء، وتحدّر من أسرة جزائرية الأصل. كان والده (علي راجي الجزائري) إمامًا في مسجد المدرسة التي يشرف عليها. التحق بالمدرسة (الرشدية) العسكرية، ثم الإعدادية العسكرية، وتخرّج ضابطًا برتبة ملازم ثان، ثم انتسب لجامعة الحقوق. التحق بالثوار الذين يقاومون الفرنسيين في مرجعيون، وجبل عامل، وصور، والنبطيّة. عيّن مدرّسًا في مدينة القنيطرة، فالتقى بثوار أحمد مريود. استُشهد وهو يدافع عن أرض سورية التي أحبها وفداها بدمه فبلاد العُرب واحدة أينما كانت.

(٦٨١) أحمد العكاوي (المعروف بأبي عبده العشّي): مناضل خاض مع بقية الثوار معركة كفربطنا ضد القوات الفرنسية، وكان الفرنسيون قد تحصنوا في الجامع ومئذنته فأحرقه الثوار بهم. كانت هذه المعركة بقيادة القائد

وقد اشترك شفيق الركابي في معركة (يلدا) و(ببيلا)، ومُعظم معارك الغوطة، وبعد تطويق الجيش الفرنسي لمنطقة الغوطة انسحب جميع الثوار عن طريق الجبل إلى عمان. وكان من أسباب توقف الثورة السورية عدم التنسيق بين زعماء الثوار ووحداتهم ومناطقهم، وضبط تجاوزات بعض الملتحقين بهم، رغم القرارات الصارمة بحق المتجاوزين، أضف إلى ذلك وقوف بعض الأقليات ضد الثوار، بانخراطهم مع العدو الفرنسي متطوعين في جيشه وافتقار الثورة أيضًا إلى وسائل الإعلام الفعّالة، وإلى السلاح الثقيل والقنابل اليدوية والمتفجرات لتخريب خطوط مواصلات العدو، وافتقار الثورة إلى الأموال واقتصار مساعدات الدول العربية على التأييد المعنوي والتبرعات المحدودة.

وعلى أثر صدور العفو العام عن عموم المجاهدين بعد توقيع المعاهدة السورية - الفرنسية عاد المجاهد شفيق الركابي إلى وطنه. علمًا بأنه سبق للسلطات الفرنسية أن حكمت عليه بالإعدام بعد أن استولت على داره ونهبت دور أقاربه.

وأقام الركابي بدمشق مع البقية الباقية من رجالات الرعيل الأول المخلصين، الذين جاهدوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. وجزاهم الله عن تحرير الأمة وإنقاذ البلاد من رزايا الاستعمار والاستعباد خير الجزاء.

ومن أصدقاء «صاحب الترجمة» الذين اعتّز بصداقتهم أبو الخير الجندي، وأدهم آل جندي(٦٨٢)، وإبراهيم الفحل، وحسن المطيط، وزكي بك الحلبي، وقدري طوقان(٦٨٣)، وجميل المدفعي(٦٨٤).

وبالرغم من شيخوخته التي بلغت أكثر من ثمانين عامًا، وفقده كريمته الكبرى وقيامه بحضانة أحفاده، قررت محافظة دمشق هدم داره من أجل

العام في الغوطة فوزي القاوقجي، كما اشترك فيها القائد مصطفى وصفي السمان، وآصف السفرجلاني، وشوكت العائدي.

(٦٨٢) أدهم آل الجندي: ولد في مدينة حمص عام ١٩٠٢م، وتعلم في مدارسها. بعد نكبة الأسرة باغتيال شقيقه الدكتور عزّة الجندي، درس في دار المعلمين بدمشق، وقام برحلات إلى فرنسا وإيطاليا وأميركا والبرازيل. وضع ثلاثة مؤلفات ضخمة: تاريخ الثورة السورية، وشهداء الحرب العالمية، وأعلام الأدب والفنّ في جزأين. وتُعدّ هذه المؤلفات مرجعًا لكل باحث. وتوفي في ٢ حزيران ١٩٧٧م وترك ابنه الوحيد عمر.

(٦٨٣) قدري طوقان (١٩١٠-١٩٧١م): مناضل فلسطيني، ولد في مدينة نابلس وتوفي في العاصمة اللبنانية بيروت عام ١٩٧١م. اشتغل بالتدريس، ثم عُين وزيرًا لخارجية الأردن عام ١٩٦٥م. من أعماله: العلوم عند العرب، بين العلم والأدب، تراث العرب العلمي، بعد النكبة، جمال الدين الأفغاني.

(٦٨٤) جميل باشا المدفعي: ولد في الموصل عام ١٨٩٠م، تخرّج من اسطنبول ضابطًا في المدفعية، واشترك في حرب البلقان وحارب في جبهة القفقاس، بعد دخول فيصل دمشق عيّن قائدًا لموقع دمشق، ثم مستشارًا عسكريًا لفيصل. ارتحل وعيّن حاكمًا عسكريًا في الكرك، ومديرًا للأمن العام. تقلّد عدة مناصب وزارية في بغداد ثم رئاسة الوزراء.

توسعة الشارع القديم في الصالحية. ثم قام بزيارتي غير مرة دون أن أتمكن من رد زيارته لأن الأطباء منعوني من الحركة، وعندما خالفت تعليماتهم أصابتني نوبة قلبية استمرت إلى ما بعد منتصف الليل نُقلت بعدها إلى مركز العناية الطبية المشددة. وأنا اعتبر شفيق الركابي من أصدق الأصدقاء، وأوفى الأوفياء، ذلك أن الوفاء في هذه الأيام نادر. وقديمًا قالوا: بأن المستحيلات ثلاث: الغول والعنقاء والخل الوفي.

فلتكن هذه السيرة عبرة للأجيال، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وحسبي الله ونعم الوكيل، فهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.



●●● وأنا أقول...

هذا الوطن الذي نستظلّ كلّنا تحت سمائه، ونتفيأ تحت ظلال راياته، ويعتز صغيرنا وكبيرنا بتاريخه ورجاله وشهدائه، الذين صنعوا استقلاله وأمجاده، ويستوعب الجميع تحت مظلته لا بدّ أن يشارك الجميع في مسيرته النضالية والإصلاحية والتطويرية والتحديثية، رغم تباين الآراء والإدراك والوعي، لطبيعة الإصلاح وغاية التطوير.

والوطن لكل أبنائه. الوطن كالأم الرؤوم لجميع أبنائها، يتسع صدرها للمسيئ منهم، وتفتح ذراعيها وصدرها وقلبها، تحنو عليهم وتغفر لهم حتى يشاركوا معًا في إعمار هذا الوطن، ويُسقطوا كل المخططات الخارجية والتهديد والوعيد، والتخويف والترهيب، بالردع والمحاصرة والحرب لقوى التحرّر، المعادية للعنصرية الصهيونية، ومشاريع المتصهينين ومخططاتهم الاستعمارية الأمبريالية، بـ«الضربات الاستباقية» ونشر «الفوضى الخلاّقة» وإعادة «هيكلة الدول المارقة» والتهديد بـ«الاجتياح الديمقراطي»، من قِبَل المهووسين عنصريًا وصهيونيًا وذلك بتأجيج مشاعر الحقد والكراهية، والبغضاء والعنصرية. هم الخصم والحَكَم يوزّعون أحكامًا «قراقوشية»(٦٨٥) كل أسبوع

(٦٨٥) قراقوش: كلمة تركية معناها «العقاب». هو أبو سعيد بهاء الدين بن عبد الله الأسدي. نشأ بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وناب عنه في الديار المصرية. كان همامًا مولعًا بالعمران، بنى السور المحيط بالقاهرة، وبنى قلعة الجبل، كما بنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرامات. ولمّا حرّر صلاح الدين مدينة عكا من الصليبيين ولاّه عليها، ولمّا أعاد الصليبيون احتلالها أسروه، فافتداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار. توفي في القاهرة، وتُنسب إليه في ولايته أغرب الأحكام، حتى ذهب اسمه مَثَلاً «حُكم قراقوش» ويظهر أن كلّ ما قيل بحقه «موضوع» ذلك لأن صلاح الدين كان يعتمد عليه في تصريف أُمور الدولة، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوّضها إليه. وقد وضع «الأسعد بن مماتي» كتابًا عنه أسماه «الفاشوش في أحكام قراقوش»، وشعوبنا مُصابة بمرض الشك برموزها.

يرددها كبير المتصهينين كالببغاء – في بثّ حيّ ومباشر – على العالم من ورقة كُتبت له!

لقد وَصَمَ المحتلون الغزاة «المقاومة» بـ«الإرهاب» للخلط بين مفهوم المقاومة والإرهاب كما وصموا الإسلام بـ«الفاشي»، من أجل تشويه وجهنا الحضاري المُشرق.

وقد اعترف «المتصهينون» بعد إعلانهم «الحرب المقدسة» على الإسلام أن «الإرهاب» في تصاعد حاد ولم يتراجع أبدًا رغم سياسة «معاقبة الشعوب» بصواريخ الطائرات ومدافع الدبابات. ورغم كل ما يمتلك الغرب من قوة عسكرية ضاربة، وصواريخ عابرة للقارة، وسفن عائمة، وبوارج حربية، وأسلحة نووية لم يستطع الإجهاز على الإرهاب والإرهابيين.

بإمكان أميركا ومعها دول العالم، القضاء على الإرهاب وجذور الإرهاب، إذا ميّز رئيسها المتصهين بين «الإرهاب» و«المقاومة» المشروعة للشعوب، التي تقاوم المحتل المغتصب، من أجل أن تنال هذه الشعوب حريتها واستقلالها.

إن «إرهاب الدولة» الذي يقوم به الجيش الإسرائيلي في فلسطين و لبنان، والأميركي في بلاد الرافدين، وتهديدات «قادة الحرب» المسعورة واقع يومي يُعاني منه شعبنا العربي، الذي ابتُلي بالمحتلين المغتصبين.

مجرمو الحرب ووحوشها لا يحتاجون إلى الذرائعٍ ليسوّغوا عدوانهم على شعبنا العربي، بما يمتلكون من أسلحة هي الأشد فتكًا وتدميرًا.

قذائف المعتدين تحصد كل يوم أرواح الفلسطينيين في غزة والعراقيين الأبرياء، بـ«ضربات نوعية» لتجريب كافة أنواع الأسلحة قصفًا مدفعيًا وجوّيًا وصاروخيًا، ومع اجتياح واستباحة.

صور الديمقراطية وإنجازاتها ومشاهد التعذيب والاغتصاب والقتل والتدمير لأبنية على رؤوس ساكنيها، وفظائع جرائم الاحتلال في فلسطين وقطاع غزة وما فعلوه في لبنان مع ما يثيرونه من الفتن والصراعات، صور تختزنها ذاكرة المواطن العربي، وهو يرى إخوته تحصدهم الطائرات بصورايخها وقنابلها في فلسطين ولبنان في عمليات إبادة منظمة. تجّار الحروب هؤلاء «تتار»(٦٨٦) العصر وبرابرة العالم «المتصهينين» بامتياز من قمة رأسهم حتى أخمص قَدَمَيْهم ماضون في جموحهم الهائل نحو جنون العَظَمَة.

هم «إرهابيون» بمواصفات أميركية حتى نخاع العظم تفوح من أفواههم

(٦٨٦) التتار «المغول»: من الشعوب الطورانية القاطنة منغوليا، في شرقي آسيا وشمالي الصين، كانوا بوذيون زحفوا في القرن السابع الهجري بقيادة (جنكيزخان) نحو بلاد آسيا وأوروبة، وخرّبوا المدن ودمروا الحضارة وسفكوا الدماء، ثم اعتنقوا الإسلام.

«رائحة النفط» ...! وفي غمار هذا الحاضر الأسود، الذي تعيشه البشرية اليوم، يستغل «صانعو الحروب» التقدّم العلميّ، ليكون أداة خراب ودمار للقيم الإنسانية ومُثلها العُليا، واطمئنانها الروحي جرّوا العالم نحو الهاوية، وفجّروا تقدّمهم التكنولوجي، قنابل «انشطارية» زرعت الموت الزؤام.

وبإمكان شعوبنا العربية الإفادة من التطوّر العلمي والمعرفي في الغرب، دون أن يغوصوا في مستنقع المجتمعات الغربية المتفلّتة من القيَم، والمتحررة من المُثل والأخلاق، ودون أن يستوردوا الحداثة الهجينة، ومصطلحاتها المراوغة، التي تحوي بين طياتها علمانية عائمة، وعبثية مناهضة للتراث والدين.

كما تُطلّ علينا الهوية الغربية بثقافة «العولمة» رافعة «تمويهًا» شعارات «الانفتاح» على الآخرين و«الحوار» بين الثقافات والحضارات، والتغنيّ بـ«الديمقراطية» و«الحرية» في ظلال حراب الاحتلال العسكري، وهم يسفكون دماء الأبرياء.

والعَوْلمة شكل جديد متطوّر «للاحتواء» والسيطرة الاستعمارية، واستنْزاف موارد الفقراء. وما إعلان «دولة العَوْلمة» إلا ترجمة لهذا الصراع الحضاري، الذي يستهدف فرض «النموذج الغربي» على الآخرين.

ويحاول المستعمرون الجُدد، إخراج المواطن العربي من هويته وقوميته العربية، ومشروعه الحضاري الإسلامي، لمصلحة مفاهيم العولمة، ليسهل اختراق المنطقة، وتفريغ العالم العربي من مكنونه الحضاري والثقافي، الذي حافظ على تماسكه ووحدته طوال القرون الماضية.

هذا الغزو لثقافتنا العربية والإسلامية، يدعونا إلى ضرورة بلورة رؤى ومواقف للتصدي لهذه المخططات الاستعمارية، لأنها أخطر من الغزو العسكري، وهو ما يتطلب تضافر جهود كل المخلصين في الأمة لمواجهة هذه التحديات. ومجتمعاتنا مؤهلة لانفجار اجتماعي في فلسطين ولبنان والعراق ما لم تحاول الأمة الخروج من حالة التيه الراهنة، والبحث عن جذور الأزمة.

وساسة الطغمة الحاكمة «المتصهينة» دُعاة «الديمقراطية المعولمة» التي خرجت من رحم المحتلين (رعاة البقر)..! ديمقراطية الغزاة والحروب والظلم والتسلّط والهيمنة. طغاة الإبادة العرقية «قرامطة»(٦٨٧) القرن الحادي

(٦٨٧) القرامطة: حركة دينية سياسية اجتماعية، لا تزال حقيقتها على كثير من الغموض لانقراض أتباعها. وتُنسب إلى داعيها الأوّل «حمدان قرمط» في العراق. وقد أظهرها قوية في البحرين «أبو سعيد الجابي» ٨٩٩م/٢٨٥هـ، ثم سيطرت على كثير من البلاد الإسلامية. فاستولوا على مكة عام ٩٣٠م، ونقلوا «الحجر الأسود» من الكعبة المشرّفة إلى اليمن، ثم ردّوه بعد اثنين وعشرين عامًا. كما انتزعوا دمشق من أيدي الفاطميين عام ٩٧٠م، وزحفوا بجيوشهم إلى مصر، إلا أَنَّ «المعزّ لدين الله الفاطمي» هزمهم عام ٩٧٢م، وانتهى أمر «القرامطة» على

والعشرين دعاة الحرية الحمراء الملطخة بدماء الشعوب يتهموننا بكل صفاقة ووقاحة أننا نمثّل «ثقافة الإرهاب»، وأننا دُعاة إلى العُنف والرُعب والكراهية والرجعية. وأنهم هم وحدهم الذي يمثّلون ثقافة «النَّزعة الإنسانية»، والدعوة للديمقراطية والحرية والسلام.

هؤلاء القَتَلة. قدّموا وثائق مزوّرة، ادّعت وجود «أسلحة دمار شامل» في العراق. وسقطت كل تلك «الأدلة الدامغة»، والمبررات التي ساقها المحتلون، كانت مبنية باعترافهم على أكاذيب ومعلومات خاطئة «مُفَبْرَكَة»، قدّمتها وكالة المخابرات الـ(CIA) لشنّ حرب على العراق نيابة عن (إسرائيل)، لاحتلال العراق وتحطيم جيشه. فالحروب العدوانية التي يقودها (المتصهينون) باسم الصهيونية، بالضربات (الوقائية) و(الاستباقية) والإبادة المنظمة الجماعية، تنفيذًا لمخططات فرض الهيمنة الإمبريالية على العالم، والاستعمار الاستيطاني في فلسطين. وقد دفع اليهود بالتعاليم التوراتية والأصولية المسيحية، التي تنتشر في الكنائس البروتستانتية ويدّعون فيها بأن العرب والمسلمين محبون لسفك الدماء، وبأنهم أصل الإرهاب في العالم...! وهكذا تبنت الإدارة الأميركية المواقف الصهيونية ومخططاتها، وصَبَغَتها بالصبغة الأميركية.

وقام المهووسون بالقتل والتدمير، بتجييش جيوشهم، وساقوا أساطيلهم وما تحمله من آلة الدمار والرعب، وفِرَق الموت من جنود (المارينْز)، لنشر حمّامات الدم المسكوت عنها، تعاونهم شركات متخصصة بالحروب القذرة مثل (بلاك ووتر)، وتجّار السلاح والفواكه والموز والنفط، لرسم الفوضى وجرائم القتل وخرائط الغزو وزرع الموت.

ثم يتحدثون عن حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية والإصلاح وهم يفتتحون المعتقلات وسجون التعذيب. دمّروا أرض العراق وجعلوه أكثر جحيمًا وإرهابًا وقهرًا وكراهية وقسوة وطَمَعًا وحَسَدًا، وجوعًا وفقرًا ومرضًا ويأسًا وموتًا وكارثة ثم يتحدثون عن (إنجازات) (ديمقراطية الاحتلال) كل أسبوع، وهم أكثر المستعمرين عنادًا وتضليلاً ووحشية...! فأَوَّلوا (المأساة) على أنها (نجاح) والهزيمة على أنها (نصر) والموت الزؤام على أنه بعث جديد للحياة. وفرق الموت على أنهم (محررين) وسجون التعذيب على أنها (مدارس إصلاح) وتَفجير المقامات الدينية على أنه (توتر طائفي) وتدنيس القرآن الكريم في مصارف القاذورات، على أنه (عمل فردي محدود)! والرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لرسول اللّٰه صلوات اللّٰه عليه وللإسلام والمسلمين على أنها ممارسة

يد الأمراء «العيونيين» في البحرين عام ١٠٢٧م.

للديمقراطية والحرية بلا حدود، وعلى أمة العرب أن تقبل بسنابك الاحتلال على أنه تقدم نحو الحرية. واحتلال الوطن واستركاع الأمة وإهانتها، على أنه تحرير للإرادة الديمقراطية.

عالَم تسوده النذالة، ويتحكم فيه العابثون الحاقدون، بما يمتلكون من عدوانية وعنجهية، وصَخَب وغَضَب ووحشية. يُسوّقون (حرية فاسقة) و(ديمقراطية معلّبة) من صناديق القمامة الحضارية. ويشنّون بعنصريتهم حربًا عَلَنية ضد هويتنا العربية، على مسرح أرضنا ومنابت ديننا. وتغتصب آلياتهم العسكرية، أجساد أهل العراق في شوارع عاصمة الرشيد، وكوفة علي رضي الله عنه، وبلدة المعتصم. حماة الديمقراطية وحقوق الإنسان يغتصبون الطفلة العراقية (عبير قاسم حمزة) ابنة الخمسة عشر ربيعًا في مدينة المحمودية جنوب بغداد، ثم يقتلوها مع باقي أفراد أُسرتها ويحرقوا جثثهم لطمس جريمتهم.

وتغتال مدافع بوارج الأسلحة الإسرائيلية – الأميركية المتطورة على شواطئ مدينة غزة، أسرة الطفلة الفلسطينية (هدى) فتفقد أباها وأُمها وأخوتها وجيرانها.

العالَم كله متواطئ أو خائف من «الرياح الصهيونية» والأميركية الصفراء لكن الغزاة في عجز تام وكامل أمام ضربات «المقاومة» التي تواجه جيشًا مدربًا بكامل أسلحته. وباعتراف قادة العمليات العسكرية الصهيونية بأن عملياتهم العسكرية الانتقامية في لبنان وفلسطين «لم تأت بأي تغيير على الأرض، أو ردع في وعي الخصم» وفي لعبة عضّ الأصابع: مَنْ يصرخ يخسر هذا ما يفعلهُ الجيش الإسرائيلي بمدن الضفة وقطاع غزة. والجيش الأميركي في بلاد الرافدين.

ويحاول المتصهينون حجب نور الشمس بالغربال، وإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، بسياسة خلط الأوراق، ونشر الفوضى في أرض العراق، لتُكرّس أميركا سيطرتها وهيمنتها على العالم، بامتلاكها مناطق بترولية كانت «عصيّة» عليها.

وفي صحوة ضمير كان في إجازة مفتوحة ثم استُدعي للإدلاء بشهادته، يعترف الرئيس الأميركي الأسبق «جيمي كارتر» في كتابه (فلسطين.. السلام لا الفصل العنصري): «أَنَّ إسرائيل تقوم بعمليات الاضطهاد والقتل والتشريد بحق أصحاب الأرض الحقيقيين من الفلسطينيين، لتهجيرهم من أراضيهم وبيوتهم واستقدام مهاجرين يهود ليحلوا محلّهم، وهذا يمثل الوجه الآخر للأبارتيد في جنوب إفريقية». ويقول كارتر في كتابه: «صادرت قوات

الاحتلال الأراضي الفلسطينية الخصبة ومعظم مصادر المياه وبَنَتْ شبكة عنكبوتية من المستوطنات وأقامت جدارًا فاصلاً بارتفاع أربعين قدمًا رغم معارضة المحكمة الدولية لبناء هذا الجدار».

واتهمت الصهيونية كارتر باللاسامية وهي تهمة جاهزة لكل مَنْ يفضح جرائم الصهيونية.

لقد تخطّى العالَمْ اليوم فضاء الإنسانية ليدخل عالَمْ الظُلمة. وتلاشت قِيَم الشعوب وأخلاقها وتجرّدت من صفاتها البشرية ليحلّ محلها القتل والدمار والرعب والخوف، وإرهاب الدولة المُنظّم، وتحوير المصطلحات وتبديلها وتغييرها، وتحويل الحق إلى باطل والخير إلى شر. ثم شوّهوا الحقائق والوقائع، وَسَادَ التزييف والتضليل والتحريف والنفاق والكذب وتناسوا «تيموثي ماكفاني» المسؤول عن تفجير «أوكلاهوما سيتي»، الذي ذهب ضحيته أكثر من مئتي مواطن أميركي.

فهل هناك أقبح من منطق الغزاة عندما يذرفون دموع التماسيح، وهل بعد هذه الحضارة من حضارة وهل بعد هذا الهذيان من هذيان. نَهَبَ المحتلون الامريكيون خيرات العراق وشردوا أهله، فأصبحت المدن بدون سكان والأوطان بدون نفط، واتهموا كل مَنْ يقاوم الاحتلال بالإرهاب وجعلوا العالم يعيش على فوهة بركان. ثم يسألون ببلاهة ممجوجة لماذا يكرهوننا.

ألا فليذهبوا إلى الجحيم مع حضارتهم، ومع «تمثال الحرية»(٦٨٨) الذي يباهون به وقد استوردوه من فرنسة، ومع الحرية والديمقراطية التي يُبشّرون بها ويتشدقون وهم يمزقونها ويذبحونها..!

كل ما يهمهم أن لا يستيقظ المارد العربي، هم يخشون النار الساكنة تحت الرماد، أن تعود لتتأجج من جديد، يخشون القوة العربية أن تتحرك

(٦٨٨) تمثال الحرية: يُعتبر رمزًا وشعارًا لأميركا، ومن أهم المعالم السياحية فيها، وهو مُقام على جزيرة تطل على المحيط الأطلنطي، عند مدخل ميناء نيويورك. يبلغ ارتفاعه ٤٦ مترًا، وهو على شكل سيدة ترفع «شُعلة» بيد، وتحمل «كتابًا» باليد الأخرى. صمّم التمثال النحّات الفرنسي «بارتوتيه»، بمساعدة المهندس الفرنسي «غوستاف إيفل» – الذي بنى برج إيفل – وذلك ليوضع في مدخل قناة السويس، قبل مئتي عام. وكانت الإمبراطورة الفرنسية «جيني»، قد طلبت من النحّات «أرتوست بارتوتيه»، بصنع تمثال حتى يُهدى للحكومة المصرية، ليُطل على قناة السويس من جهة مدينة «بورسعيد»، وذلك بعد أن حضرت حفل افتتاح قناة السويس، بدعوة من الخديوي إسماعيل. لكن اندلاع الحرب الفرنسية – البروسية، وهزيمة فرنسة وهروب الإمبراطورة «جيني» إلى إنجلترة، حال دون إرسال التمثال إلى مصر فقامت الجمعية الفرنسية الأميركية بإهدائه للولايات المتحدة بمناسبة عيد الاستقلال. ولا يزال أحد جسور «نهر السين» في باريس، مزيّنًا «بتمثال برونزي»، هو نسخة طبق الأصل عن تمثال الحرية مصغّرًا ولم يغلق تمثال الحرية أبوابه لاستقبال زوّاره منذ افتتاحه في (٢٨ تشرين الأول ١٨٨٦م). وتمثال الحرية مُجهّز بسقف زجاجي، وبنظام إنارة يُتيح للزوّار الوصول إلى رأس التمثال، والخروج إلى شرفته البنورامية. يقول الفيلسوف الأميركي «برناردشو» بسخرية: «أرى أنكم تقيمون تماثيل لموتاكم العظام». تلك هي الحقيقة المُرّة.

فتتماسك الأيدي، وتتعاضد سواعد الأبطال(٦٨٩)، ليعود الألق العربي إلى منطقة الضوء، ويستيقظ المجد العربي على صفحات التاريخ، ليعيد ترتيب الحروف، ويحرق الأوراق، وينسف الجسور، ويوقظ مشعل النور لإيقاظ النائمين الذين يغطّون في سبات عميق وهم يهمسون في أحلامهم:

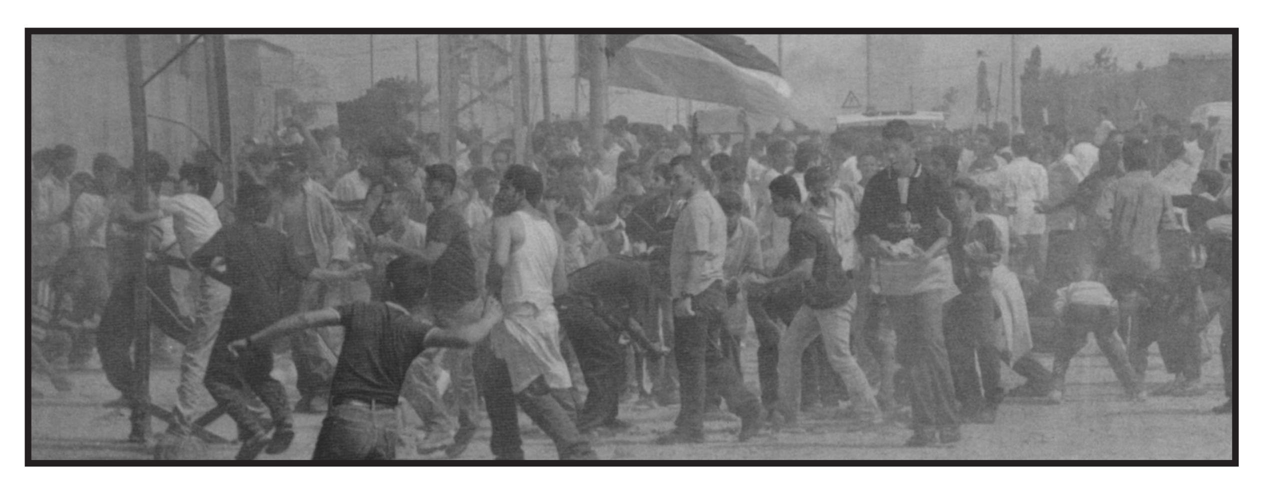
وخيّم فوق «منْزلنا» سكون ... ونام الصحب من كُثر العَناء!

وتبقى سورية حصنًا منيعًا عصيًّا على الطغاة والطامعين، وملجًأ لكل المضطهدين والخائفين والعابدين، احتضنت أرض الشام كل الأعراق وكل الثقافات، فكانت بؤرة إشعاع لكل الحضارات، كما كانت هدفًا للغازين الطامعين بخيراتها وأرضها الخصبة، التي تفيض لبنًا وعسلاً.

فقد غزاها الفراعنة والمغول والتتار بقيادة هولاكو وتيمورلنك لكنها طردتهم ورفعت رأسها بكل شموخ. ذهبوا إلى زوايا العدم والنسيان وبقيت أرض الشام التي بارك الله فيها، وأودعها رسالاته السماوية.

يقول الشاعر المبدع أحمد رامي في ديوانه:

ولئن جارت الليالي علينا ... ولقينا من الخطوب عناء
فغدًا تلتقي الجهود على العزم ... ونمضي كعهدنا أقوياء
ونشقّ الطريق في ظل النصر ... ونرقى المدارج الشمّاء



المقاومون بالحجارة

(٦٨٩) البَطَل: إنسان استثنائي يجمع بين الأسطورة الإغريقية، والأُنموذج الذي يُحتذى والنجومية اللامعة. والبطل إنسان يستحق التمجيد والتعظيم، ويستأثر بإعجاب وتقدير الجماهير. يتميز بإنجازاته الخارقة التي يُجسّدها، وإخلاصه لمبادئه والمُثل العُليا التي يحملها، وقوة إيمانه للقِيم والأخلاق الكريمة التي نعتز ونفخر بها.



المجاهد شفيق بن سعيد الركابي



جميل المدفعي



أدهم آل جندي (أبو عمر)



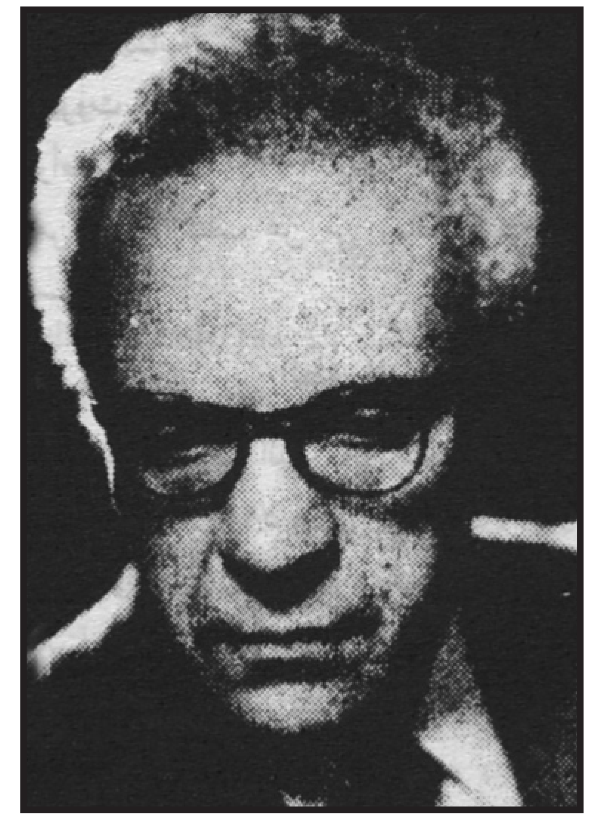
أحمد العكاوي العشي



الشاعر ابراهيم طوقان



ابراهيم صدقي



د. قدري طوقان

مجاهدو آل الخانجي

رجال القمم السامقة، والجرود العالية، التزموا بالثوابت الوطنية، ووضعوا أنفسهم في خدمة الوطن، واعتبروا أن المعركة مع العدو ومقاومة المحتل واجب وشرف وطني.

هؤلاء الأحرار افتدوا بدمائهم تراب الوطن الغالي فبالبطولة والتضحية يبقى الوطن حرًا عزيزًا.

هؤلاء رفضوا أن يركعوا للغزاة المحتلين، والذين يدورون في فَلَكهم، ويدينون بالولاء لهم، ويلوون عنق التاريخ، ليخضعوه ويُرغموه على الاستسلام.

رجال الوطن هؤلاء كأشجار السنديان رحلوا وقوفًا مقاتلين أشداء رغبة في جنان الله ثم أخلدوا إلى الصمت. ذابوا عشقًا بوطنهم، وتحدّوا أعواد المشانق وطاغوت الطغاة يدفعهم الشوق والحنين، كالفراشات البيضاء تموت وهي تعانق النور حبًا.

كان هؤلاء من النُخب الوطنية التي تحمل في جوانحها الشعور القومي المتوهج، وتقود نبض الشارع الذي يضجّ بصراخ الجماهير، ويغلي بالحركة والصَخب فتنتعش الذاكرة، ويتوهج الاحساس، ويتوقد الشوق، وتهفو الروح.

لقد صدق (مجاهدو آل الخانجي) ما عاهدوا الله عليه، في مواصلتهم الجهاد في سبيل الله، والكفاح حتى نالت البلاد استقلالها، فمنهم من قضى نحبه شهيدًا، ومنهم مَنْ نجا بإعجوبة من جراحه الخطرة، فنال أوسمة الجهاد، أو مات غريبًا مشردًا عن وطنه، بعد أن حكم عليه أعداء الأمة والوطن بالإعدام، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

هذه تراجم حياة رفاق السلاح والكفاح، من شهداء المجاهدين ومقاتليهم، الذين قدّموا التضحيات بالنفس والنفيس، سواء في ميادين القتال، أو في ساحات النضال القومي، والوعي التربوي، ما فيه قدوة حسنة للأجيال القادمة، وذكرى عطرة اكتبها... كما يقول الله تعالى:

[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] [ق:٣٧]

لقد جاهد هؤلاء لإعلاء كلمة الحق، وعملوا بكل طاقاتهم لتحرير بلادهم من المستعمرين، الذين احتلوا البلاد بالغدر والخداع وقوة الحديد والنار وبثّ

الفرقة، ونشر كل أنواع الفساد.

وقد ثبت هؤلاء الأحرار على مبادئهم الشريفة طيلة حياتهم، وبذلوا المهج والأكباد دون أن ينتظروا من أمتهم جزاءً ماديًا ولا شكورًا ،وإنما قاموا بواجباتهم لطرد الغزاة المعتدين ولتحقيق أهداف أمتهم في الحرية والاستقلال.

لقد رفدت أسرة آل الخانجي الثورة السورية بمجموعة متميزة من الثوار، فيهم صمت العلماء وأخلاق النبلاء. حملوا هموم الوطن على أكتافهم، وضموا البندقية إلى صدورهم، وسامًا يتحدون به قهر الطغاة إيذانًا بانبلاج فجر الحرية، وحتمية النصر الأكيد.

وقفوا بكل الشموخ كالطَوْد الأشم، لا يعرفون كيفية الانحناء، يقبضون على نسائم الحرية، ويصنعون أبجدية النصر.

إليهم وإلى كل المناضلين الشرفاء تحية إكبار ووفاء.

توفيق شاكر الخانجي

(١٨٨٧-١٩١٧م)

هو الشقيق الأكبر وعميد الأسرة - بعد وفاة عميدها - وُلد في مدينة دمشق عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٧م، وهو أوّل من ضحّى بحياته من أجل الوطن، وسقط في معارك فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى.

تخرّج الشهيد توفيق بن شاكر بن عمر الخانجي من (دار المعلمين العثماني)، وعُيّن مديرًا لمدرسة (برزة) في ضواحي دمشق، والتي أُطلق عليها فيما بعد اسم (مدرسة التوفيق والإرشاد)، وذلك في أواخر عهد السلطان محمد رشاد الخامس.

وما كادت أبواق النفير العام للحرب العالمية الأولى تُطلق عام ١٩١٤م، حتى دعته السلطات التركية للخدمة كضابط احتياطي. وبعد أن أنهى تدريبه العسكري ألتحق بفرقة «مصطفى كمال باشا» التي كانت تدافع عن فلسطين ضد هجوم الجيش الإنجليزي (الذي كان يمهّد للصهاينة بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حسب وعد بلفور ومخططات سايكس - بيكو) وكان أخي توفيق قد تدرّج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة «ملازم أول».

وقبيل انتهاء الحرب الكونية ببضعة أشهر، استُشهد الأخ الأكبر في «مجدل غزة» «غزة هاشم»(٦٩٠)، في ٢١ تموز ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، ولم يخلّف الشهيد سوى ولدًا واحدًا أسماه «عارف»، وكان عمره يوم استشهاد والده عامًا ونصف العام. وقد قضت والدة الشهيد نحبها في ذات العام الذي استُشهد فيه ولدها، بعد أن أضناها الحزن على فقده، كما لم تكتحل عيناه برؤية ولده وعائلته، التي كان كثير البرّ بها طيلة حياته. وكان «توفيق» أول شهيد يسقط من أسرة آل شاكر الخانجي.

---

(٦٩٠) غزة: مدينة فلسطينية كانت منذ القديم ثغرًا تجاريًا على البحر المتوسط، وملتقى طريق القوافل. احتلها الملك سرجون عام ٧٢٠ق.م، والاسكندر الأكبر ٣٣٢ق.م، كما احتلها السلوقيون والرومان. دخلت في الفتح الإسلامي عام ٦٣٤م. واستولى عليها نابليون عام ١٧٩٩م. وكانت مسرحًا لحروب طاحنة بين البريطانيين والأتراك في الحرب العالمية الأولى. استولى عليها الجنرال الإنجليزي «اللنبي» في ١٩١٧/١١/٧ ودخلها الجيش المصري عام ١٩٤٨م. ومنذ ذلك الوقت عُرفت باسم «قطاع غزة». انسحب منها الإسرائيليون عام ٢٠٠٥م تحت ضغط المقاومة، لكن الاجتياحات الإسرائيلية للقطاع لم تتوقف.,وبقيت غزة شوكة في حلق الصهاينة عصية عليهم.

عمر شاكر الخانجي

(١٨٩١-١٩٢٥م)

هو من أصحاب الهامات الشامخة وأعلام الفكر والأدب، وروّاد الحركة الوطنية، الذين انطوت عليهم قوائم الشهداء، ولهم تاريخ حافل بالنضال لا يُجارى محفور في وجدان الأمة، واستحوذ إعجاب العالم كان عطاؤهم لا حدود له اجتازوا الحدود، وبعثوا الحياة في أديم الوطن وهجًا ودفئًا وعطاءً.

عمر... هذا الذي لا يُتقن التعب المُطلّ برأسه في شموخ أحسّ بسهام الغدر تُهدّد الوجود الوطني، وحجم الانهيار المروّع الذي يواجهه الوطن، في تلك الفترة الحرجة من تاريخ نضال أمتنا، وما حملته هذه الفترة من ارهاصات ومخاضات في الرؤى السياسية والوطنية، وهموم الوطن وتطلعاته في عالم يرزح تحت سطوة القوة فأشعل من دمه مخاض أمه.

اخترق عمر شاكر الخانجي الصفوف، ومضى مع شروق الشمس، ليُشكل المجرى العام للتاريخ، وليسجّل شهادة موثّقة في الوطنية، وليدفع للوطن الضريبة من دمه ف «الشهادة» «نجومية» باهظة الثمن لها ضريبتها.

هذا الصحفي الشاعر عمر بن شاكر الخانجي، ثاني شهداء الأسرة وثاني الأشقاء استُشهد في الحجاز، فكان بحق فقيد العلم والأدب والصحافة، وشهيد الأمة والوطن.

قد تجهل الأكثرية العظمى من أبناء هذا الجيل الصاعد، الشيء الكثير عن قوافل الشهداء الأبرار من رجالات الرعيل الأول الأحرار، الذين سقوا تربة الحرية بدمائهم الزكية، وكان من واجب الذين عاصروهم وشهدوا مصارعهم أن يكتبوا ما يعرفونه عنهم، ونشر تلك الصحائف المضيئة والمنسيّة في زوايا التاريخ، في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها أمتنا واجب وطني.

وقد آليت على نفسي أن استمر بكتابة تراجم بعض من عرفتهم شخصياً من هؤلاء الشهداء الأخيار، تكريماً لهؤلاء الذين جادوا بأرواحهم من أجل رفعة شأن أمتهم، وتحرير بلادهم من براثن الدخيل الأجنبي المجرم، ومن هذه الفئة الصابرة المجاهدة المحتسبة، التي واصلت كفاحها وجهادها طيلة حياتها أخي الشهيد عمر شاكر الخانجي.

في أواخر العهد الطوراني التركي الذي كان يسيطر عليه أعضاء «جمعية الاتحاد والترقي» أمثال جمال باشا السفاح، وطلعت باشا، وجاويد أو «دافيد»

اليهودي (الذي أصبح وزيراً للمالية في زمن السلطان محمد رشاد الخامس) قررت هذه الجمعية، صهر جميع العناصر غير التركية، التي يظللها العلم التركي في بوتقة العنصر التركي. وقد استمر «صاحب الترجمة» في نضاله حتى عام ١٩٢٥م، حيث سقط شهيدًا في ميادين الشرف، وجاد بالنفس من أجل الدعوة إلى وحدة الصف العربي، ومقاومة الاستعمار الأجنبي في جميع أشكاله وألوانه، سواء كان فرنسيًا أم إنجليزيًا. وقد هاجم «صاحب الترجمة» أخي عمر الفكرة الصهيونية الداعية إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حيث كان يُحبّر المقالات النارية قبل الحرب العالمية الأولى في جريدة «الكرمل» لصاحبها المرحوم «نجيب نصّار»، ثم أسس في عام ١٩١٨م بدمشق جريدته اليومية السياسية التي أسماها «الفَلاَح» وعن طريقها أخذ يحارب العملاء والانتهازيين النفعيين من طلاب الكراسي الذين ارتضوا المناصب في ظلال الاحتلال وتحت حكم الأجنبي، بالإضافة إلى مجلته الزراعية الأسبوعية «الفلاّح»، ومؤلفاته العلمية، كما انتهج في صحيفته خطًا وطنيًا، عندما طرح برنامج «حزبه»: «حزب الجزيرة»(٦٩١) الذي أسّسه مع صديقه السيد «فؤاد محاسني»(٦٩٢).

وفي الوقت ذاته كان أخي عمر يعطي حصص تدريس إضافية في مدرستي التجهيز ودار المعلمين لمادة الكيمياء والفيزياء والأحياءً وعلم الهيئة، - وهو ما يسمى اليوم بالعلوم الفلكية» - إلى جانب قيامه بأمانة سر اللجنة الوطنية، وسعيه المتواصل لتوحيد أهداف الأحزاب السياسية.

وترأس عمر شاكر الخانجي قيادة «حزب الجزيرة» مع صديقه «فؤاد المحاسني» لحضور المؤتمر العام، الذي عقدته الجمعيات الوطنية والنوادي والأحزاب في ١٩١٩/٦/٢٨م، من أجل التداول في الأوضاع السياسية العامة، بعد نزول القوات الفرنسية في الساحل السوري للخلاص من الكابوس الأجنبي

---

(٦٩١) كتاب «أعلام من آل السفرجلاني» للمستشار «محمد صلاح الدين السفرجلاني» صفحة (٣٨) تحت عنوان: «النشاط الاجتماعي والسياسي»: «حزب الجزيرة» أسسه السادة: فؤاد محاسني – وعمر شاكر الخانجي».

(٦٩٢) فؤاد المحاسني (١٨٩٩-١٩٧٦م): ابن الشيخ محمد خيري المحاسني قاضي القضاة في دمشق. وُلد في مدينة دمشق عام ١٨٩٩م، وتخرّج من المدرسة التجارية عام ١٩١٩م. درس في معهد الحقوق، وأسس مع عمر شاكر الخانجي عام ١٩١٩م (حزب الجزيرة) كما كان عضوًا في اللجنة الوطنية العُليا، وأصبح عضوًا في محكمة البداية بدمشق عام ١٩٢٦م، ورئيس محكمة في دير الزور ثم حلب عام ١٩٣٩م. في عام ١٩٤١م أصبح نائب جمهورية دمشق، ثم مستشارًا في محكمة التمييز عام ١٩٤٤، فرئيسًا للمجلس العدلي في اللاذقية، ثم رئيسًا لغرفة في محكمة التمييز بدمشق عام ١٩٤٧م، عُيّن بعد ذلك مديرًا عامًا للقصر الجمهوري عام ١٩٤٨م، ثم أمين عام وزارة الداخلية عام ١٩٥٠م، ثم محافظًا لجبل العرب في السويداء عام ١٩٥١م، قبل أن يُحال إلى التقاعد عام ١٩٥٤م. وتوفي عام ١٩٧٦م ودُفن بدمشق. من أنجاله: الدكتور مروان المحاسني أستاذ جراحة الصدر ورئيس ونائب رئيس مجمع اللغة العربية. والصيدلي غسان المحاسني ويعمل في ميدان الأدوية في بيروت.

الذي جثم فوق صدور أمتنا، والعمل على الاستقلال التام للأمة العربية ووحدتها وازدهارها، وخدمة مجتمعها.

كما دعا عمر شاكر الخانجي إلى ضرورة عقد مؤتمر عام، لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بالدفاع عن استقلال الوطن التام. وقد تكلّل مسعاه المخلص بالنجاح، حيث عُقد في سنة ١٩٢٠م «مؤتمر الأحزاب»، الذي رفض إنذار الجنرال «غورو» للحكومة السورية، وقرّر رجال المؤتمر مقاومة الاستعمار بالمهج والأرواح، وعدم الرضوخ للاستسلام وقبول المذلّة والهوان.

وبعد الاحتلال الفرنسي لدمشق وبُغية التّشفي والانتقام من الوطنيين الأحرار، أصدر المجلس الحربي الفرنسي الأعلى لجيش الاحتلال الفرنسي، في التاسع من آب ١٩٢٠م، بعد معركة ميسلون ودخول الجيش الفرنسي دمشق، قراره الآتي:

«هؤلاء التالية أسماؤهم هم المجرمون بالاتفاق والتحريض والدسائس، لكونهم عملوا بالاتفاق مع أعداء الحكومة الفرنسية لتسهيل مقاصدهم وأعمالهم. فلذلك قرر المجلس العسكري الأعلى، أدانتهم والحكم عليهم بعقوبة الإعدام، وبمصادرة جميع أملاكهم، طبقًا للمادة (٢٠) من قانون الجزاء الفرنسي، وقانون ١٩ مايو / أيار ١٩١٢م، للمادة (١٢٩) من قانون العقوبات العسكري، والمادة (٩) من قانون ٢٢ تموز ١٨٦٧م، قرر المجلس أن يؤدي المحكوم عليهم نفقات المحاكمة، على أن تستوفى من إدارة أموالهم، وتُدفع إلى خزينة الحكومة الفرنسية:

الشيخ كامل القصاب، علي خلقي، أحمد مريود، الأمير محمود الفاعور، فؤاد سليم، صبحي الخضرا، صبحي بركات الخالدي، مُنح هارون، عوني القضماني، شكري الطباع، عمر شاكر الخانجي(٦٩٣)، سليم عبد الرحمن، عمر بهلوان، عثمان قاسم، سعيد قاسم، سعيد حيدر، عبد القادر سكر، خليل

---

(٦٩٣) ذُكرت هذه القائمة وهذا البيان في كتاب: «تاريخ الثورات السورية» في عهد الانتداب الفرنسي لمؤلفه أدهم آل جندي – ص(١٧١) تحت عنوان «أحكام الإعدام والنفي». كما ذُكرت في كتاب: «كفاح الشعب العربي السوري» للدكتور إحسان هندي، ص (٤٧). وكتاب «ميسلون نهاية عهد» لمؤلفه «صبحي العمري»، ص١٩٦.

* كما أصدر المجلس العسكري الفرنسي الملتئم بدمشق في ٩ آب ١٩٢٠م باتفاق الآراء وبعد سماع مقررات وادعاءات المفوّض العسكري حكمًا بالإعدام على كوكبة من المناضلين القوميين من أعضاء النادي العربي الذين كان حراكهم بحسّ وطني كبير، لنشر الوعي بقضايا الأمة والدفاع عنها وهم: عبد القادر سكر، وشكري الطباع، وأحمد قدري، وخير الدين الزركلي، وتوفيق مفرج، وخليل بكر ظاظا، ورياض الصلح، وعمر بهلوان، وحسني مفرج، وسليم عبد الرحمن، وعمر شاكر الخانجي، وعادل أرسلان، وعثمان قاسم، وتوفيق اليازجي، وبهجت الشهابي، ورفيق التميمي، ومحمد علي التميمي، وعلي زغلو. وقد تبيّن أَنَّ المذكورين قاموا بمعاضدة أعداء الحكومة الفرنسية، وبعملهم هذا عُدّوا مجرمين وفقًا للمواد ٦٣ و٢٠٥ من القانون الحربي العسكري، وطبقًا للمواد المذكورة حُكم عليهم بعقوبة الإعدام ومصادرة ممتلكاتهم.

باكير، حسن رمضان، عادل أرسلان، محمد إسماعيل، رشيد طليع، عوني عبد الهادي، إحسان الجابري، الحاج فاتح المرعشلي، الشيخ رضا الرفاعي، الدكتور أحمد قدري، رفيق التميمي، بهجت الشهابي، توفيق اليازجي، رياض الصلح، خير الدين الزركلي، محمد علي التميمي، نبيه العظمة، شكري القوتلي، عيد الحلبي، ياسين دياب، خالد الحكيم، صادق حمزة، محمود أحمد البزرة، رياض محمد، حسن فرحات، عبد المجيد البزرة، محمود فرح سليمان، موسى بورقبلي، الشيخ عبد الله عز الدين، طرفة الحاج فياض شرارة، محمد سويدان، أدهم خنجر، علي حرب، محمود قاسم، عيد سرور وحسن سرور، نمر بيلوز، محمد تامر، سعيد يوسف تامر».

وهكذا حكمت السلطات الفرنسية على أخي عمر شاكر الخانجي بالإعدام مع مصادرة أملاكه وأملاك إخوته ولفيف أفراد أسرته، ونهب العدو أثاث المنزل ومكتبة الأسرة في حيّ القيمرية.

وبالرغم من العفو العام الذي أصدرته السلطات الفرنسية عن المحكومين السياسيين فقد آلى أخي عمر على نفسه ألا يدخل سورية مادام الفرنسي المحتل فيها، وقد برّ بعهده حيث سقط شهيداً في سبيل مبادئه الشريفة، التي أوقف حياته في العمل على تحقيقها، بعد أن تروي شجرة الحرية بدماء شهداء أبنائها الأبرار.

ولادته ونشأته:

ولد الشهيد عمر بن شاكر بن عمر الخانجي في حي القيمرية بدمشق عام ١٣٠٩هـ /١٨٩١م، وبعد أن أنهى دراسته الإعدادية والثانوية في المدرسة الملكية، والتي دُعيت بـ«مكتب عنبر»، التحق بالمدرسة الطبية بدمشق لدراسة الطب البشري، بيد أنه وهو الأديب الشاعر لم يقو إحساسه المرهف، على ممارسة «عمليات التشريح» ورؤية الدماء وهي تتفجر من الجسد فسافر إلى الآستانة حيث التحق عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م بالمدرسة الزراعية العليا. وفي ذات الوقت كان عضواً عاملاً في «المنتدى الأدبي» الذي أُسس في اسطنبول عام ١٩٠٩م، وكان المنتدى ثقافيًا في ظاهره سياسيًا في حقيقته، كما كان يضم عدداً كبيراً من شباب العرب المثقفين والمنتمين إلى مختلف الأقطار العربية. وكان يُحبرّ المقالات الزراعية والاقتصادية والوطنية والاجتماعية، على صفحات جريدة

«المقتبس»(٦٩٤) لصاحبها العلامة المرحوم الأستاذ «محمد كرد علي»(٦٩٥)، وذلك بتوقيع «الفلاّح العربي».

وفي أثناء النفير العام خلال الحرب العالمية الأولى دعته السلطات العسكرية التركية لتأدية الخدمة العسكرية الإلزامية باسم «الخدمة المقصورة كضابط احتياطي» وبعد تخرّجه عيّنته مفتشاً زراعياً للأراضي الأميرية في بيسان ومرج ابن عامر، وبقي برتبة «ملازم» طيلة أيام الحرب العالمية الأولى. وكان أخي عمر شاكر الخانجي قد عُيّن في أوائل العهد الفيصلي عام ١٩١٨م أستاذاً في «دار المعلمين العثماني» والتجهيز بدمشق، وكان يعلّم فيها: علوم الكيمياء والفيزياء والأحياء. وهو أوّل من ألّف في اللغة العربية للمدارس الإعدادية والثانوية، وكَتَبَ علم الكيمياء المعدنية والعضوية والأسمدة الطبيعية، وفن الزراعة وماكينات التفريخ، وفن تربية دود الحرير والمنسوجات الحريرية، كما كَتَبَ عن فن تربية أنواع الطيور الأهلية والحيوانات الداجنة، فضلاً عن طرق تربية النحل وجني العسل، وسائر الصناعات الزراعية «كالحلابة وصناعة الجبن والسمن»، وألّف كتبًا عن المنسوجات القطنية والكتانية، وعن الكروم والموضوعات الفنية، وعن الغابات والحراج بالإضافة إلى الكتابة في مجلته الزراعية الأسبوعية «الفلاّح» عن موضوعات علمية كثيرة. ومن مؤلفاته أيضاً: كتب مدرسية عن «دروس المعلومات الفنيّة» ودروس «الأشياء» و«العلوم». وبقيت مطبوعاته عن «علم طبقات الأرض» و«الهيئة» (العلوم الفلكية) لا تزال تحت الطبع حين استُشهد، كما كان قد ألّف جزأين في الأناشيد الوطنية للناشئة العربية من نظمه.

الإنذار الفرنسي:

في أواخر العهد الفيصلي أرسل الجنرال «غورو» «المندوب الفرنسي في

(٦٩٤) المقتبس: مجلة علمية أدبية شهرية كان يُصدرها في مصر العلامة «محمد كرد علي»، وكان ينشر فيها أخبار التقدم العلمي، وترجمة بعض الكتب المخطوطة النادرة. بعد إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م، أصدر «جريدة المقتبس السياسية» من دمشق، إلى جانب مجلته الشهرية التي كان يُصدرها في القاهرة. إلا أنَّ السلطات التركية أغلقت جريدته. كما أصدر عام ١٩٠٦م جريدة «القبس» في دمشق، قبل أن تؤول ملكيتها عام ١٩٢٩م إلى «نجيب الريس» ثم احتجابها عام ١٩٥٨م.

(٦٩٥) محمد كرد علي: علاّمة الشام ومؤسس المجمع العلمي عام ١٩١٩م أبصر النور بدمشق عام ١٨٧٦م، وتعلّق بالصحافة وأحبها حتى العشق، فجمع بين الأدب والصحافة أصدر في دمشق عام ١٩٠٦م جريدة (القبس) ثم أصدر مجلة (المقتبس) من القاهرة، وجريدة المقتبس) السياسية من دمشق. شغل عددًا من المناصب الحكومية الرفيعة. وقد عُيّن وزيرًا للمعارف عام ١٩٢٠م في وزارة جميل الألشي، وفي عام ١٩٣١م في حكومة الشيخ تاج. وتوفي في أوائل نيسان ١٩٥٢م. وترك أكثر من ثلاثين كتابًا أشهرها (خطط الشام – في ستة أجزاء) و(مذكراته – في أربعة أجزاء).

بيروت» إنذاره المشهور إلى الحكومة السورية بدمشق، طالباً فيه أن تُلغى الخدمة العسكرية الإجبارية، مع وجوب تسريح الجيش الوطني، وأن تقبل سورية وتعترف بالانتداب الفرنسي. كما طلب «غورو» من حكومة فيصل تسليم الخط الحديدي الممتد من رياق إلى شمالي حلب، من أجل نقل الجنود الفرنسيين لقتال الأتراك في «كلس ومرعش وعنتاب»، إلى ما هناك من المطالب الاستعمارية التعسّفية، المتعلّقة بالنقد السوري وربطه بالفرنك الفرنسي.

ثار الفقيد عمر شاكر الخانجي فترك مقاعد التدريس والتأليف والمطبعة والصحافة، وأخذ يجمع المتطوعين من أحياء دمشق وضواحيها، حيث باشر المتطوعون تدريبهم على حمل جميع أنواع الأسلحة، وذلك بالتعاون مع أصدقائه وإخوانه الضباط المخلصين أمثال القادة: عارف التوّام، وشريف الحجّار، وزكي الحلبي، وصادق الداغستاني، وزكي الدروبي وغيرهم، وهذه التشكيلات تشبه ما يسمونه اليوم بـ«المقاومة الشعبية»(٦٩٦). ثم اقترح على صفحات جريدته «الفَلاَح» - «وهي جريدة يومية سياسية وفيها زوايا: علمية وأدبية واجتماعية» - داعيًا إلى عقد «مؤتمر عام» يحضره ممثلون عن جميع الأحزاب والهيئات، على غرار المؤتمر السابق، لوضع آليات عمل وقرارات من شأنها إنقاذ الأمة والوطن من خطر المؤامرات الأجنبية، وقد لبّى دعوته - أحزاب: الشعب والاستقلال والعهد العسكري والأمة. وعقد أعضاء أحزاب الكتل الوطنية في منتصف يوليو / تموز ١٩٢٠م بالإضافة إلى «حزب الجزيرة» الذي أسسه مع فؤاد المحاسني اجتماعًا، وقد أسموا ذلك الاجتماع «مؤتمر الأحزاب». وقرّروا في هذا المؤتمر: تجميع القوى الشعبية، وتدريب المتطوعين، ودعوة أفراد الجيش المسرّحين للعمل، وتأليف العصابات الوطنية - للحيلولة دون الغزو الفرنسي المرتقب - والعمل بكل الوسائل على إنقاذ الوطن من خطر الدسائس والمؤامرات ومقاومة المستعمرين والمتخاذلين، ورفض الإنذار الفرنسي ورفعوا شعار: «اطلبوا الموت تُوهب لكم الحياة». وقد ترأس عمر اللجنة الوطنية العُليا مع رفاقه الشيخ كامل القصاب ورشيد طليع وفؤاد المحاسني وناجي العزام وسليمان السودي وعبد الرحمن السفرجلاني وصبحي أبو غنيمة وسامح حجازي(٦٩٧) ومصطفى حجازي. وقد تسلم الأخير رئاسة اللجنة الوطنية في قضاء عجلون.

(٦٩٦) يصف ضابط صهيوني المقاومة في الحرب التي خاضها الجيش الإسرائيلي ضد المقاومين في جنوب لبنان: إنَّ الحرب التقليدية مع المقاومة تحتاج إلى معجزة كنا نقاتل أشباحًا لا نراهم، لا ندري من أين كانت تُفتح علينا أبواب جهنم ومثلثات الموت. يقاتلون قتال الملائكة ويشفّون للدرجة التي لا نراهم، فلا نعرف عددهم ولا وجوههم ولا من أين جاؤوا ولا كيف يقاتلون كل ما نراه آثار انتصاراتهم والقتلى من جنودنا.

(٦٩٧) سامح حجازي (١٨٩٨-١٩٧٠م): كان من الاستقلاليين العرب في شرقي الأردن والذين كان شعارهم:

الثورات في سورية ضد فرنسا:

وعلى أثر هذا الحراك الوطني، قامت في سورية عدّة ثورات ضد فرنسة منها: ثورة عمر البيطار وأخوته محمد ونجيب وعزيز، وثورة أحمد مريود في الجولان، وثورة الأمير محمود الفاعور في جنوب غربي سورية، كما قامت ثورة في الشمال بقيادة الزعيم إبراهيم هنانو وإخوانه من القادة المجاهدين والأبطال الغرّ الميامين، أمثال القاوقجي والعاص وعمر زكي باشا الأفيوني، وثورة الجعافرة والدنادشة، وثورة الشيخ صالح العلي في منطقة جبال العلويين وثورة عمر البيطار وأخوته مع علي بدور وأسرة آل هارون في جبل صهيون، وثورة عشائر وقبائل حوران التي اندلعت في الجنوب، بعد معركة ميسلون التي استشهد فيها وزير الحربية يوسف العظمة. وقد ظلّت هذه الثورات متصلة الحلقات حتى عمّت جبل العرب وقرى المرج والغوطة وحمص وحماة وحاصبيا وراشيا، كما استمرت الثورة في محجة، وشقرا، والكتيبة، وداعل، وطفس، وجلين ثم امتدت إلى خان دنون واستمرت في مدًّ وجزر بضعة اشهر. كما بقي المجاهدون من أبناء حوران يقاتلون العدو، بقيادة شيخ مشايخهم الجليل «اسماعيل باشا الحريري»(٦٩٨)، ولم يكن معهم من الضباط سوى حسين باشا المدفعي، وزكي بك الحلبي، وشفيق الركابي، وعبد اللطيف شاكر الخانجي، وكاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي دون أن يمدهم أحد بمال أو سلاح أو عتاد. ولولا الفتنة التي استغلها الفرنسيون لصالحهم وبتحريض منهم، فضلاً عن نفاد العتاد، لظلّت الثورة قائمة في حوران ولاتسع نطاقها، وربما كانت قد عمّت أرجاء سورية كلها وقتئذ.

مغادرة دمشق:

بعد معركة ميسلون غادر الملك فيصل الأول البلاد السورية في الأول من

ألا فاكتبـوا صـك النهـوض إلـى العُلـى   فإنـي علـى موتـي بـه لموقّـع

انتُخب مديرا لمخابرات حكومة عجلون عام ١٩٢٠م في الوقت الذي انتُخب (علي خلقي الشرايري) قائم مقام لقضاء عجلون زمن حكومة الانتداب البريطانية ومعتمدها (سمرست). كما انتُخب عام ١٩٢٥م حاكمًا للرمثا وكان يزوّد مكتب الاستعلامات العسكرية السوري في القاهرة بأخبار معارك الثوار مع قوات الاحتلال الفرنسي.

(٦٩٨) إسماعيل باشا الحريري: شيخ مشايخ حوران. اتفق مع الملك فيصل على أن تكون درعا خطًا ثانيًا للدفاع بعد معركة ميسلون. بعد حادثة «خربة الغزالة». سجن الفرنسيون الحريري ومشايخ حوران، ولما أُطلق سراحهم التجأ الحريري إلى الأردن، وراح يشن الغارات على الفرنسيين. وحكم المحتلون على ولديه «محمد خير، وسالم» بالموت. ولما أُعلن العفو العام عام ١٩٣٧م بعد إبرام المعاهدة الفرنسية السورية عاد الشيخ الحريري إلى وطنه.

آب / أغسطس ١٩٢٠م بالقطار من مدينة درعا إلى فلسطين ثم إلى أوروبة، وقد رافقه أخي عمر شاكر الخانجي إلى مدينة حيفا، حيث مكث عمر فيها بضعة شهور يحرّر بجريدة «الكرمل» - لصاحبها نجيب نصّار - المقالات النارية الملتهبة حماسة ووطنية، تحت عنوان «أرضكم يا قوم»،«وبلادنا لنا لا للصهيونية ولا للأجانب» وكان يحذّر في مقالاته أبناء فلسطين من مطامع اليهود، ومن السياسة الصهيونية التي تحاول شراء الأراضي، وفتح باب الهجرة لشذّاذ الآفاق، وتأسيس المستعمرات توطئة لإنشاء الوطن القومي لليهود. كما كان يدعو قومه لتنظيم الصفوف، وذلك بتوحيد الكلمة والجهود، لمواصلة الكفاح والنضال، وإعلان الجهاد لتحرير البلاد من الاستعمار والاضطهاد والاستعباد.

خدماته في الأردن:

لما وصل الأمير عبد اللّه بن الحسين إلى مدينة معان ثم انتقل إلى عمّان وشكّل فيها أوّل حكومة عربية في شرق الأردن برئاسة المرحوم «رشيد باشا طليع»، عيّن فيها أخي عمر شاكر الخانجي مفتشاً زراعياً، ولبث في وظيفته الجديدة حتى شكّل «رضا باشا الركابي» حكومته، وقد أخذ يضايق عمر ويضغط عليه بسبب مقالاته الثورية في جريدته «الفَلاَح»، منتقدة سياسة «الركابي» الذي سمح للإنجليز باعتقال «ياسين باشا الهاشمي». وقد كان أخي عمر على رأس المظاهرات التي احتجّت على اعتقاله، وانتقد موقف الركابي المساير للمستعمرين وعدم اهتمامه أو مشاركته الجمهور شعوره الوطني على الأقل كحاكم عسكري، ولم يكتف بذلك بل أخذ «الركابي» يضغط على أعضاء «حزب الاستقلال» الذين لجأوا إلى الأردن، عقب الاحتلال الفرنسي لسورية وراح يضايقهم، مما حمل عمر أن ينظّم بحقّه قصيدة طويلة يقول فيها:

خلّياني ولا تُطيلا عتابي	فجوادي ما قط يومًا كباني
فإذا ما أنست منه عثارًا	ألقيت رجلي بفم «الركابي»

ولم يجد أخي عمر بُدًّا من مغادرة عمّان إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م مع إخوانه (أعضاء الوفد السوري)، الذي ضم الشهيد الوطني المرحوم أحمد مريود، والأمير عادل أرسلان، ونجيب بليق وغيرهم، وقد بلغ من عطف أمير مكة أن قلّده «وسام النهضة» من الدرجة الثالثة، مع السماح له بإصدار جريدته (الفَلاَح) اليومية، التي كان يُصدرها في سورية، وكذلك

مجلة (الفلاّح) الاسبوعية الزراعية، كما أمر بتعيينه مديرًا للتابعية في وزارة الخارجية، التي كان يشغلها شاعر الثورة الشيخ فؤاد الخطيب وقتئذ. وفي ذات الوقت عُيّن عضوًا في مجلس الشورى، كما قام بأمانة سرّ لجنة مؤتمر الحج الذي عقد في مسجد (الخيف) بمنى سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ، لمبايعة أمير مكة بالخلافة الإسلامية من قِبَل الوفود التي أمّت الحجاز لهذه الغاية، «وكان من بينها الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والشيخ عبد القادر المظفّر، والشيخ كليب الشريدة، والشيخ حمد بن جازي، وحسين الأطرش، وعلي الأطرش(٦٩٩) شقيق سلطان باشا الأطرش، ومتعب الأطرش، بالإضافة إلى رؤساء وفود الأقطار الإسلامية».

منع الفقيد من السفر وكيفية استشهاده:

ولما نشبت الحرب سنة ١٩٢٥م بين السعوديين والهاشميين، وتنازل الحسين بن عليٍ عن المُلك لنجله الأكبر وولي عهده عليّ بن الحسين، حاول فقيدنا (أخي عمر) مرافقة عائلته إلى مصر ليؤمّن سفرها إلى دمشق، بيد أن «الملك عليّ» حال دون ذلك، حيث أصر على بقائه إلى جانبه ليكون رسول سلام بينه وبين آل السعود، فآثر المصلحة العامة على كل شيء ولبّى نداء الواجب الوطني، فركب فقيدنا الطائرة ورافقه في رحلته المرحوم السيد عبد الفتاح جودة، لدعوة السعوديين إلى فتح باب المفاوضات حقنًا للدماء العربية في الأراضي المقدّسة. غير أن القدر كان له ولرفيقه بالمرصاد، إذ أُسقطت طائرته بعد إصابتها بالمدافع المضادّة للطائرات، فقضيا مع الطيار نحبهم في الدعوة لحقن دماء المسلمين والصلح والإصلاح، والعمل على تدعيم وحدة الصف العربي والإسلامي. وتبين أن الإنجليز تآمروا على إسقاط طائرته حتى لا يتم الاتفاق والصلح بين الفريقين المتحاربين.

وهوى الطود الأشم صريعًا يروّي بدمائه أرضًا عربية، وهو مُمدّد فوق أديمها يحتضن ذرات ترابها وهكذا عاش أخي (عمر)غريبًا ومات وحيدًا.

النبأ المفجع:

وعلى أثر استشهاد فقيدنا «عمر شاكر الخانجي»، طَيّر صديقه الدكتور خالد الخطيب، برقية من جدّة إلى الصحف السورية ينعي فيها الشهيد

(٦٩٩) علي بن ذوقان الأُطرش: شقيق سلطان باشا. وُلد في قرية «القريّا» عام ١٨٩٥م، واشترك إلى جانب شقيقه في المعارك ضد القوات الفرنسية الغازية، ولجأ مع باقي الثوار إلى الأزرق وقريات الملح، وعاد مع باقي المجاهدين للوطن عام ١٩٣٧م. كما انتُخب نائبًا عن قضاء صلخد عام ١٩٤٥م.

«عمر». وبعد مرور أربعين يومًا على وفاته، أقام له رجال الصحافة السورية (في النادي العربي) بدمشق (وكان الفقيد من مؤسسيه القدامى وعضوًا في الهيئة الإدارية طيلة العهد الفيصلي)، حفلة تأبينيّة كبرى تبارى فيها عدد كبير من الخطباء والشعراء منهم: نجيب الريس صاحب جريدة (القبس)، ويوسف حيدر بن إبراهيم (صاحب جريدة صدى المفيد) مع أخيه سعيد حيدر، وصديقه الحميم (منير العيطة) الذي عدّد مؤلفات الفقيد ومواقفه الوطنية المشرفة، والمبادئ والقِيم السامية التي دافع عنها ومات من أجلها ولم يحد عنها قيد شعرة، بالرغم مما لاقاه من أنواع الخطوب والكوارث طيلة حياته. كما ألقى الصحافي القدير المجاهد تيسير ظبيان - صاحب امتياز «جريدة الجزيرة» - قصيدة استهلها بقوله:

قد كنتَ تسطع كالشهاب   وتميس في حلل الشباب
وتجوب أرجاء البلاد   وترتقي شم الهضاب
لم لا تجيب وقد دعوتك   هل عييتَ عن الجواب؟

ومنها:

قد كنت تغبط «يوسفًا»   فقضيت محسودًا مهاب
أفنيتَ ما ملكت يداك   ولم ترم نيل التراب
الشمس بعدك ظلمة   والأرض أمست باضطراب
ألقيت درسًا في البطولة   ليس يوجد في الكتاب
ما شاقك العيش النضير   ولا صبوت إلى الكعاب

ومنها أيضًا:

«عمر» عليك تحية   من بائس هتك النقاب
أبكي عليك بحرقة   وأجود بالدّر المذاب
أبكيك أم أبكي ديارًا   تشتكي مرّ العذاب

ومنها:

يا أيها البطل الذي   أمسى يكفّن بالخضاب

ثم ختمها بقوله:

سنشيد مجدًا خالدًا   ونعيد للعُرب الشباب

ومن القصائد الرثائية ما قاله معالي الشيخ «محمد سرور الصبان»(٧٠٠) الذي أصبح وزيرًا للمالية والاقتصاد في المملكة العربية السعودية فيما بعد – وكان وقتئذ سجينًا – فأرسل من سجنه الأبيات التالية، وقد تُليت في حفل التأبين بالنيابة عنه. وكان مطلعها:

«لا يــلام الفتــى إذا مـا تسـاما ... ثم أمســى على الصعيـد ركاما»
هكــذا الــروح للسـماوات تعلــو ... مثلما الأرض تجذب الأجسـاما
ليس بدعًا على الشجاع إذا أقدم ... يبغـي لــه السـماك مقامـا
وامتطـى أصعـب المراكـب حتى ... جرّعتــه الأقـدار موتًـا زؤامـا
(كفــراش يحــوم حــول لهيــب) ... أجَـلٌ سـاقه إليـه فحامـا

ومنها:

أيهـا اللائـم الغـرور رويـدًا ... فمهـور العلـى تكـونِ عظامـا
قـد يكـون الأديب قائـد جيش ... فـترى فيـه باسـلاً مقدامـا
ويكـون الجنـدي خـدن يـراع ... فيحيـي قصورنـا والخيامـا

(٧٠٠) الشيخ محمد سرور الصبّان: من أقرباء رضا باشا الصبّان الذي وُلد في مدينة دمشق عام ١٨٨٢م وتوفي عام ١٩٦٣م، وهو من رجال الثورة العربية الكبرى. لازم شريف مكة طيلة أعوام الثورة، وكان مبعوثه الخاص إلى أكثر الشخصيات العربية. استمر إبّان فترة الانتداب الفرنسي يعمل مع رفاقه من أجل القضية الوطِنية. طلب من شريف مكة أن يوافق على مرافقته مع زميله «عارف درويش الحسامي» إلى منفاه في قبرص، إلا أَنَّ الحسين لم يقبل حتى لا يكلفهما مشقة، وردّد شريف مكة يومها قول الشاعر:

مـشـيـنـاهـا خُـطـى كُـتـبـت علينا ... ومَـنْ كُتبـت عليـه خُطـى مشـاها
ومَــــنْ كـــانـــت مـنـيـتـه بأرضٍ ... فليـس يمـوت فـي أرضٍ سـواها

وقصيدة للشاعر الأديب (محمد راغب الجشّي) مطلعها:

مكارم العُرب والأخلاق يا (عمر) قد أسرقت منكم الشمس والقمر
عُرب كرام، مغاوير شمائلكم صدق، وفاء، سخاء للورى عبر
نعْمَ المجاهد فالإخلاص شيمتكم أعظمْ بشهم به الأوطان تفتخر
شَهم أديب نبيل عالم عَلَم في وَقعة الجهل والهيجاء منتصر
قد أزبد الغاشم الظلامَ فانطلقت عيناه حقدًا بها قد أزبد الشرر
قد عذبوك بسوط الغاشمين فلا يبدو لسوط بجسم طاهر أثر
على فرنسا زمانًا ثرت فارتعدت خوفًا وفي جيشها قد أوغل الضجر
ثرتم على الظلم فارتجّت لثورتكم قلوب ظلم ومَنْ بالحق قد كفروا
الله أكبر، قد ثارت لثورتكم حمية نارها عند الوغى سقر
لما مدافعكم ثارت جهنمها راحت بأعدائها النيران تستعر
لما صوارمكم أرخت أعنّتها أضحى دم الظلم في الهيجاء ينهمر
فرّت عُلوج العدا خوفًا تطاردها أشبال عُرب كماة جدّهم مضر
لله درّك من ليث بصولته كانت جحافلنا في الحرب تنتصر
صاحت دمشق وقد هبّت مصفّقةً لما هجمتم على الأعداء فاندثروا
هذي دمشق فكم قد أنجبت بطلاً هذا صلاح وذاك العظمة النضر
من العروبة، أُسد العُرب فتيتها كم من عُداة لهم يوم الوغى دُحروا
كم جحفل غاشم غالت مدافعهم فلا يعين لأعداء هنا نفر
الشبل إن شاب لا يفني عزيمته عمر طويل، ولا شيب ولا كبر
أفجعت قلب العلا والمجد يا (عمر) لما رماك بسهم الهاجم القدر
سقطت توًا شهيدًا فوق مقبرة فيها رسول به قد آمن البشر
فنعم فخر به وشحت فانطلقت أيدي المفاخر بالتصفيق تنتحر
عليك منا سلام كلما صدحت بلابل الأيك والأرواح يا (عمر)

عمر الشاعر:

نَظَم شهيدنا عمر شاكر الخانجي للأمة العربية، الكثير من أشعاره الوطنية الحماسية التي تحرّك الضمائر، وتثير المشاعر، وتفجّر روح الثورة في النفوس، وتدعو إلى الثبات على القيم والدفاع عنها.

نحن جند الله شبان البلاد
نكره الذل ونأبى الاضطهاد
فارفعوا الأعلام وامشوا للجهاد

ولكن بسبب غيابه القسري عن أرض الوطن، ومصادرة السلطات الفرنسية لدارنا، التي تشتمل «عدا المفروشات والأثاث» الكثير من التُّحف الأثرية القديمة، ومكتبته الضخمة التي فيها مؤلفاته القيّمة، لم نستطع العثور على قصائده الوطنية، التي نظمها في مناسبات مختلفة، ليرتلها الطلاب في مدارسهم، ويردّدها المتظاهرون أثناء سيرهم في المظاهرات ضد الاستعمار الأجنبي، وقد تحولت بعض هذه الأشعار والقصائد إلى أغانٍ وأناشيد وطنية، يتغنى بها أبناء الشعب.

غير أني عثرت على رسالة بعث بها أخي عمر إلى كريمته الوحيدة (عصام)(٧٠١)، مملوءة بالعواطف الكريمة الجياشة وبالحنوّ الأبوي، والمشاعر الوطنية النبيلة السامية، المنبثقة من أعماق عواطفه الدافئة وحبه للوطن، مؤكدًا على ثقافة الشهادة، وملحمة الدفاع المقدسة، والتحديات الخطرة التي يواجهها الوطن، وقد ختمها بأبيات مؤثرة، وذلك حينما كان في جدة وقبيل امتطائه الطائرة بأيام قليلة (حيث استشهد ومات بعيدًا عن مسقط رأسه وأهله وإخوانه) والتي يقول فيها:

ولقد ذكرتك يا «عصام» ومدمعي ... كالغيث منهمر على الوجنات
أبكي الديار وأهلها متشوّقًا ... وأنوح نَوْح الطير في الفلوات
وأقول ليتك يا «عصام» بجانبي ... من قبل أن يدنو زمان مماتي
أفتعلمين بأنني خفت الشقا ... لك بالتغرّب موقد الجمرات
إن التغرّب مثل مثل فيح جهنم ... نُشوى به في هذه الفترات
فثقي بأني ما برحت أحن للوطن ... المفدى مرسلاً عبراتي

من أبيك الذي يموت غريبًا
التوقيع عمر

ويختزل عمر شاكر الخانجي شوقه وحنينه وعشقه لوطنه وبُعده عنه فيقول:

(٧٠١) عصام عمر شاكر الخانجي (١٩٢١-١٩٩٥م): ولدت عام ١٩٢١ في دمشق، (والدتها السيدة الفاضلة بُشرى بنت أمين الأصيل - توفيت في ١٩٨٠/١١/١٦م) (وزوجها عبدو جلال الدين - توفي عام ١٩٩٣م). أنجالها: محمد جلال، أحمد، محمود، المهندس أيمن، عمر، وشفيقة (زوجها الدكتور راغب نسب)،وميسون (زوجها محمد نزار فواخيري)، وأمل (زوجها حسن جلّيك)، وخديجة (زوجها الدكتور مروان شيخ الأرض)، والمربية (رجاء) وقد انتقلت عصام إلى رحمته تعالى عام ١٩٩٥م.

قسـمًا بوطني لم أفـارق عن رضى | أهلـيٍ وهم ذخـري وركـن عمادي
لكـن أنفـت بـأن أعيـش بموطني | عبـدًا وكنـتُ بـه مـن الأسـياد

ويتذكّر ملتاعًاوهو في غربته:

هتـف المـؤذن للصـلاة فهزّنـي | صـوت المـؤذن فارتفعـتْ أيـادي
نعـم الأذان وقـد دوّى في مسـمعي | كحفيـف أوراق وخفـق فـؤادي
اَللّه أكـبر مـا الصـلاة لخالقـي | إلا تسـابيح ٍ وغسـل ذنـوب
فوقفت عنـد «القيمرية» خاشـعًا | والشـهب مثل الشـمس عند مغيبَ

روّاد الأمة:

لقد كانت حركات الاحتجاج على الأتراك والمستعمرين ومقاومتهم، تتم تحت زخم وطني كبير، يعتمد على البُعد الديني والقومي، تلتزم به الحركات الإسلامية، وتظهر دوافعه الدينية، باعتباره واجبًا إيمانيًا، وثقافة إسلامية ايديولوجيه، تنبع من أصول الدين، والردّ بعنف على كل عدو يعتدي على الحدود والثغور، واعتبار هذه «الثغور» في أرض المسلمين واحدة. لذلك شكّل الإسلام والمسلمون الاحتياطي الرمزي للمعارضة والاحتجاج في كل بقاع الأرض.

وكان الشهيد عمر شاكر الخانجي، قد قام في أواخر العهد التركي، بتأسيس غرف المطالعة. وإعطاء الدروس الطوعية، التي نظّمها المثقفون «روّاد هذه الأمة»، لمكافحة الأُمية بين المواطنين، الذين حُرموا نعمة التعليم والقراءة والكتابة، وقد أسّس الفقيد عمر شاكر الخانجي مع فريق من إخوانه: فؤاد المحاسني، محب الدين الخطيب، وجودت المارديني، وأَخيه عبد الرزاق المارديني، والدكتور سعيد السيوطي، والدكتور جودت الكيال، والدكتور يحيى الشماع، والدكتور عزت شموط، وعبد الفتاح الأصيل، وعبد الرحمن السفرجلاني، وعبد اللطيف شاكر الخانجي، وكاتب هذه السطور جميل شاكر الخانجي، وحمدي عبيد، وعبد اللطيف الشطي، ومحيي الدين الخاني، ولطفي الحفّار، والدكتور حسني سبح، وخير الدين الزركلي، وكامل القصاب مدير المدرسة الكاملية، وأبو الفرج الموقّع، وشريف النص، وراشد القوتلي، وتيسير الدولاجي، ومحمد وعبد القادر الخطيب، ومنير المحايري، وتوفيق شاكر الخانجي (شقيق صاحب المذكرات وشهيد مجدل غزة في حرب فلسطين ضد الإنجليز وربيبتهم إسرائيل)، وشفيق الكسم، ومحمود السكري وغيرهم

كثير مما لا استطيع حصر أسمائهم في هذه العُجالة. وقد زوّد أخي عمر غرف المطالعة في المكتبة بكثير من الكتب القيّمة، من علمية وأدبية بالإضافة إلى مؤلفاته التي أشرنا إليها، كما زوّدها مع أشقائه بما لا يقل عن مئة وخمسين كتابًا. وكان موقع المكتبة في البناية العُلوية المجاورة لباب البريد، بالقرب من الجامع الأموي بدمشق، وهو ما يُسمى اليوم بـ«المكتبة الظاهرية».

في ذمة الله يا أخي عمر أيها الشهيد الأديب، فقد بكى روحك الطاهرة كلّ وطني مخلص لبلاده، لأنك ضحّيت بحياتك وما تملك يمينك، لتحرير وطنك ورفع شأن بني قومك، والعمل على تحقيق تلك المبادئ الشريفة السامية، التي آمنت بها.

إن تـــذرف الدمع مــدرارًا فكم ذرفت عينـــاي من دمهـــا دمعـــات تحنان

في ذمة البطولة والتضحية والأدب الحيّ الكامن في نفسك فقد خلّدت ذكرًا عطرًا لا تمحوه الأيام وأثرًا من تأليفك، ومبادئك التي ثبت عليها حتى النفس الأخير، وستبقى ذكراك على مرّ الأيام والأعوام، في نفوس إخوانك السائرين على دربك.

[مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً]. [الأحزاب: ٢٣].

رحمك الله يا عمر رحمة واسعة وجعل مسكنك الجنان، يا من عاهدت الله أن لا تعود لوطنك ما دام المستعمر فيه، فأنت الشهيد الحي في قلوب الناس، الذي لم يقبل بالاحتلال، وقد بررت بعهدك ولم تخلف بوعدك، فمتَّ بعيدًا عن الأهل والإخوان في تلك البيداء، وصبرًا جميلاً لبلادك التي فقدتك، وعزاء لك حيث تحررت والحمد لله أمتك وبلادك، واستقلّ وطنك بفضل المخلصين من المجاهدين الخالدين الغرّ الميامين للجهاد، وتضحياتهم بالنفس والنفيس في ميادين الشرف والبطولة والفداء، حتى نالوا ضالتهم المنشودة، وبغيتهم المقصودة. فنم قرير العين يا سيد الشهداء فأنت حيّ في القلوب، كما أنت حيّ عند ربك علاّم الغيوب.

[وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ] [آل عمران: ١٦٩]

❖❖❖

● ● ● وأنا أقول...

ما أثقل ما تحمل الأيام، سقط النسر من عل، والوشاح الأحمر يزيّن صدره العاشق لوطنه. نزفت قطرات دمه لتعانق الأرض، وتلاشى الزمن أمامه في

لحظة العبور خارج حدود العالم ليتساوى الموت مع الحياة، وفقد الجسد لحظة الروح إلى الأبدية . وبقيت روحه حرة طليقة في الحروف والكلمات والمُثل والقيم التي جسّدها، وتألق الوطن في عينيه، وهو يحتضن ذرات التراب في حياء ويعزف اللحن الأخير، وأمسى وطنه كله أنهارًا من دماء. سؤال يحرق الشفاه دومًا. لمَ تختار الأقدار كل الأشياء الجميلة من حولنا؟

لِمَ يختار القَدَر «البلابل المغردة» على شجرة الصفصاف الآخذة في السمو نحو السماء، وهي تعزف «لحن الرحيل» على الوتر الحزين واللحن الباكي، في صورة من صفاء الروح والقيم الأخلاقية والجمالية وقدسية الأوطان؟

غيّبت الأقدار في ذلك الصباح الباهت الكئيب غيمة مسافرة تحمل الأحلام نزحت عن أرض الوطن، وعَبَرت إلى عالم السرمد لتُشعل قناديل الظلام، وتغرد في سمائه قيثارة روحانية فتهتز الجبال وتثور البراكين.

وتلملم أزهار الأقحوان والبنفسج والياسمين أكمامها لتصنع باقة ورد وأكليل غار لتضعه على رأس الفارس الذي رحل مع نسمات الفجر.

حــيٍّ البطولــة والإقــدام في بطل   للمــوت يزحف.. كي يلقــاه عن كثب
في كفــه روحــه قــد راح يحملهــا   وبين جنبيــه عزم الجحفــل اللجبِ

عبد اللطيف شاكر الخانجي
(١٨٩٣-١٩٦٨م)

أما الشقيق الثالث هو «عبد اللطيف بن شاكر الخانجي»، وُلد في مدينة دمشق ١٣١٢هـ/١٨٩٣م، وقد اشترك في ثورة حوران ١٩٢٠م. وبعد صدور حكم الإعدام من قِبل السلطات الفرنسية على شقيقنا «عمر» الذي كان يهاجم المستعمر الفرنسي بجريدته اليومية «الفَلاَح»، ويقود المظاهرات الشعبية احتجاجًا على إنذار (غورو) للحكومة السورية صادر العدو عقب احتلاله مدينة دمشق محتويات دارنا، وحجزت السلطات الغازية على جميع الأملاك. ولم يكتف العدو بما فعله، بل حكم على أخي عبد اللطيف وباقي إخوته بالإعدام غيابيًا.

وعلى أثر ذلك غادرت أنا وشقيقي عبد اللطيف مدينة دمشق إلى درعا(٧٠٢) بعد أن أصبحت حوران بعد «معركة ميسلون»، مركزًا لخط الدفاع الثاني بعد أن غادرها فيصل ومعه شقيقي عمر.

ثم كانت المجزرة الدموية التي وقعت في محطة القطار في «خربة الغزالة» من أسباب اندلاع نيران الثورة في حوران. واتهم الفرنسيون محافظ درعا «أبو الخير الجندي»(٧٠٣) بأنه كان يتعاون مع الثوار، ويعلمهم عن تحركات الجيش الفرنسي فاعتقلوه.

وقد خاض أخي عبد اللطيف مع ثوار حوران جميع المعارك الدامية، وأشهرها «معركة دير علي» حيث انتصر فيها المجاهدون انتصارًا كبيرًا على الفرنسيين، بعد أن دمروا الخط الحديدي، وهاجموا القطار الذي كان يحمل جنود العدو، ومدافع الميدان، كما غنموا الكثير من تجهيزاتهم، وأنزلوا بالجيش الفرنسي خسائر فادحة بالأرواح والمعدات الحربية، فكان

---

(٧٠٢) درعا: تسميتها كنعانية «أتى راعا». سمّاها العرب «أذرعات» الشام. تقع في القسم الجنوبي من هضبة حوران، وتتاخم القطر الأردني، وتبعد ٣ كم عن الحدود الأردنية. تجاورها «إزرع» من الشمال، والسويداء من الشرق، والقنيطرة من الغرب، والأردن من الجنوب. وتضم بصرى الشام، وخربة الغزالة، والشجرة، وداعل، ومزيريب وغيرها من القرى. تعاقبت عليها كل الحضارات. ويمرّ فيها الطريق الدولي إلى الأردن، ومحطة سكة الحديد إلى عمان، وقد توقّف انطلاق خط المدينة المنورة وحيفا. وتضم محافظة درعا (١٢٩) قرية.

(٧٠٣) أبو الخير الجندي: وُلد في مدينة حمص عام ١٨٦٧م، وتولى وظائف إدارية ومالية وعدلية. نفاه أحمد جمال باشا السفاح إلى الأناضول ثم عُيّن متصرفًا في درعا، واتُهم بأنه كان يتعاون مع الثوار. وفي عهده وقعت «مذبحة خربة الغزالة». وتوفي أواخر عام ١٩٣٩م.

لهذا النصر أبلغ الأثر في نفوس أهل حوران، الذين حملوا السلاح للدفاع عن أرضهم وكرامتهم وحريتهم.

وقد وصل فرسان المجاهدين إلى ضواحي دمشق، وطاردوا جنود العدو المرابطين في منطقة «الخيارة» الكائنة بجوار (محطة الكسوة) حتى منطقة (خان دنون)(٧٠٤)، حتى أجبروه أن يرتدّ على أعقابه. ثم كانت «معركة غباغب». بعد تلك الهزيمة النكراء التي لحقت بالفرنسيين بعثت القيادة الفرنسية قوة كبيرة من جيشها النظامي، للاستيلاء على قرية «غباغب» لموقعها الاستراتيجي، المسيطر على معظم طرق وقرى حوران.

وأمام هذه المعطيات الجديدة، قرر أبناء الأردن المشاركة في ثورة حوران، فأرض العرب أرض واحدة من المحيط إلى الخليج. وفي هذا الوقت العصيب لبّى نداء الجهاد الوطني مجموعات كثيرة من متطوعي قرى (الطرّة، والشجرة، وخرجا، وعمراوه، والرمثا، وحوارة إربد، والبارحة، والمغير)، وفي مقدمتهم شيخ مشايخ قرية «المغير» مصطفى الخليلي، وضيف الله الصالح شيخ مشايخ قرية الشجرة، ثم التحق بهم رهط من أهالي «عنجرة» و«عين جنة» القريبة من جبل عجلون، حيث انضموا إلى إخوانهم في حوران القادمين من قرية «عين ذكر»(٧٠٥) لمواصلة الجهاد، باعتباره سنام الإسلام، ولأن المسلم أخو المسلم في السراء والضراء، وأمتكم أمة واحدة في كل مكان، وهذه القاعدة الإيمانية تنبع من ثقافتنا الدينية، ولا يدركها «الأجانب».

وبعد معارك ضارية استمرت بضعة أسابيع من المقاومة والدفاع المستميت، في مواقع «الدلّي وداعل وطفس» حتى قرية «شيخ مسكين»(٧٠٦) ومحطة بلدة «المحجة» – التي امتلأت بجثث الفرنسيين وأضحت مقبرة لهم – فقد اضطر شيخ مشايخ حوران ومن معه من شيوخ ومخاتير المنطقة إلى قبول الهدنة للمفاوضة مع الفرنسيين. ثم ما لبث الفرنسيون أن غدروا بالشيخ إسماعيل الحريري وشيوخ مشايخ حوران، حيث زُجّ بهم في السجن، ومعهم الشيخ مصطفى الخليلي شيخ مشايخ قرية «المغير»، وضيف الله الصالح مختار قرية «الشجرة»، ولم تفرج السلطات العسكرية الفرنسية عن الحريري ومَنْ

(٧٠٤) خان دنون: خان أثري جنوب بلدة الكسوة ويبعد عنها ٣كم على طريق دمشق – درعا القديم بناه التاجر الدمشقي (علي ذي النون الأسعردي) عام ١٣٦٨م، ليكون محطة للمسافرين وحجاج بيت الله الحرام.

(٧٠٥) عين ذكر: قرية في هضبة حوران باتجاه منطقة وادي طعيم، وتتبع ناحية الشجرة وعلى بُعد ١٠كم منها، بقربها عين ماء سميت باسمها أُقيم عليه مشروع.

(٧٠٦) شيخ مسكين: بلدة في سهول حوران في محافظة درعا، وتتبع منطقة «إزرع» وتبعد عنها ثمانية كيلومترات. وتعتبر من عقد المواصلات الهامة، حيث تنطلق منها طرق معبّدة باتجاه جبل العرب. والجيدور ومدينتي دمشق ودرعا.

معه، إلا بعد أن حصلت من أهل حوران، على الغرامة الحربية التي فرضتها عليهم وقدرها مليون ليرة ذهبية، جُمعت منهم على ثلاثة أقساط خلال ثلاث سنوات، وفي ذات الوقت جرّدت المواطنين من السلاح، وتركتهم في منتهى الفقر والبؤس.

وبعد توقف ثورة حوران، نزح أخي عبد اللطيف شاكر الخانجي إلى مدينة إربد – وكان حاكمها القائد العسكري (علي خلقي) الذي حارب الفرنسيين في أواخر الحكم الفيصلي مع الأمير محمود الفاعور – ثم ما لبث أن التحق أخي عبد اللطيف بالأمير عبد اللّه (عندما جاء إلى مدينة معان مع لفيف من الأشراف الذين ساهموا في الثورة العربية الكبرى)، حيث أصدر هناك أول صحيفة في الأردن، وذلك بالاشتراك مع المرحوم «محمد الأنسي» أسمياها «الحق يعلو»، كما اشترك في الحملة التي قادها «رمضان باشا شلاش» الذي كان يهاجم مع بعض المجاهدين مواقع الفرنسيين في كل مكان. ولما استقرت الأمور في الأردن، عاد أخي عبد اللطيف للخدمة في وزارة المعارف في الكرك، ولما أحيل إلى التقاعد، واصل التدريس في الكلية العلمية الإسلامية بعمان، حتى أقعده المرض.

وقضى عبد اللطيف شاكر الخانجي نحبه عام ١٩٦٨م وهو يقوم بواجباته نحو الأجيال الصاعدة مخلفًا ثلاثة أولاد هم: فايز وعدنان ونزار وأختهم سميرة، وما زال الكثير من تلاميذ أخي عبد اللطيف يذكرونه بكل تقدير واحترام، حيث يرقد الآن في مثواه الأخير في المقبرة الإسلامية بعمان.

صاحب المذكرات

جميل شاكر الخانجي

(١٨٩٨م - ١٩٧٦م)(٧٠٧)

«بعد الرجوع للقيود تبين من سجل الإعلامات أن السيد جميل شاكر الخانجي كان قد حُكم بالقرار الصادر عن المجلس العدلي بدمشق بتاريخ (٢٣) آب / أغسطس ١٩٢٦م وتحت رقم (١٣١) أساس (د١٤٠/١٠٩) عملاً بأحكام المادتين (٥٥، ٥٦) من قانون الجزاء بالإعدام، وحجز أمواله وأملاكه وإدارتها بمعرفة الحكومة، وتضمينه مع رفاقه (١٥٥٠) قرشًا سوريًا، وثبوت كون جميل شاكر رئيسًا لقلم الاستخبارات والدعاية للثورة. حكمًا غيابيًا نشر بجريدة ألف باء ٦ أغسطس ١٩٢٦م بالعدد رقم ١٧٣٦ وأصبح مبرمًا».

المجاهد سليمان الخانجي

«أبو شاكر»

(١٨٨٩-١٩٦٥م)

هو أكبر اخوته، من مواليد حي الخضيرية بدمشق عام ١٨٨٩م. أُصيب أثناء المعارك في أنحاء ممختلفة من جسده، وكسرت يده.

في الغوطة كان اجتماعي بأبناء عمومتي الأخوة الثلاثة: (سليمان وشفيق ووجيه) أبناء عبد الرزاق وهم من مجاهدي آل الخانجي. فقد حدث أن استأجروا قبل الثورة السورية (حانوتًا كبيرًا) في قرية (الافتريس) – من قرى الغوطة – ولما تقرّر إعلان الثورة في تلك المنطقة، اشترك فيها الأخوة الثلاثة بالإضافة إلى أبناء العم: (ياسين الخانجي، وبشير الخانجي)، وقد انضم إليهم الشهيد شوقي المالح وأخوه عبده، والشهيد يوسف القباني وغيرهم من

(٧٠٧) بمناسبة العيد الوطني للاستقلال وطرد المستعمر، نُشر لقاء صحفي مع المجاهد الأستاذ «جميل شاكر الخانجي» يوم السبت ١٩٧٤/٨/٣١م في الصفحة الثالثة من «جريدة الحوادث» لصاحبها الصحفي الأديب الأستاذ محمد المسلمي، ومدير إدارتها الأستاذ هاني العبد الله، قبيل وفاة والدي بعامين.

الثوار فأرسلت السلطة العسكرية قوة كبيرة من الجيش الفرنسي، استطاعت أن تصل إلى قرية (الافتريس) – وذلك قبل اتساع نطاق الثورة – فأحرقت بيادرهم، ونهبت حاصلاتهم، ودمّرت بعض المنازل في القرية ثم عادت أدراجها إلى ثكناتها.

فلما اجتمعتُ بأبناء عمومتي في (الافتريس) - وكان معي الدكتور أمين رويحة - قرّرنا أن نوحّد أعمالنا مع مجموعة ثوار زعيم حي العمارة ديب الشيخ، الذي وافق على اتخاذ قرية (الافتريس) مركزًا لجماعته.

ومن أهم المعارك التي خاضها مجاهدو آل الخانجي مع إخوانهم الثوار: (معارك المليحة، وعربين، وجوبر، والحتيتة، وكفر بطنا، وحمورة، وسقبا)، وغيرها من المعارك التي مرّ شرح تفاصيلها.

المجاهد شفيق الخانجي

«أبو ياسين»

(١٨٩٤-١٩٦٩م)

هذا الزخم الوطني، الذي رافق اليقظة العربية، والصحوة القومية والدينية، وطموحات أمتنا في الحرية والاستقلال، جعل مقاومة المحتل وطرد المستعمر الغاصب أمرًا حتميًا.

هذا المحتل الغازي المتغطرس، الذي يزهو بعنصريته وتفوّقه العسكري والمادي والحضاري قام بانتهاكات حضارية مشينة ضد كل أمة العرب، جاحدًا أصالة الحضارة العربية الإسلامية وزخمها، وما قدّمته للبشرية من علوم إنسانية وإبداع، بقيت محفورة في ذاكرة التاريخ.

كان شفيق بن عبد الرزاق الخانجي أحد الأُخوة الثلاثة الذين وضعوا أنفسهم وكل ما يملكون في خدمة المقاومة.

والمجاهد شفيق الخانجي من مواليد سوق القطن بدمشق عام ١٨٩٤م. أُصيب بجراح خطيرة في معركة (الأشعري)(٧٠٨)، وكانت إصابته في عنقه إذ جُرح جرحًا بليغًا، وذلك من جرّاء شظايا قنبلة ألقتها طائرة فرنسية على الثوار، وقد خفّف من حدّة انفجارها الأشجار الضخمة الكثيفة التي تمترس خلفها الثوار.

(٧٠٨) الأشعري: تقع في منطقة سهلية خصبة، وتتبع بلدة «طفس»، وتبعد عن المزيريب ٤كم، وتطل على وادي الهرير المشهور بكثرة مياه الينابيع والمقاصف السياحية.

وقد أصابت شظايا هذه القنبلة عضدي الأيمن، كما تلقّت بندقيتي شظية أخرى من شظايا هذه القنبلة فعطّلتها. كما أصيب ثمانية من أخوتنا الثوار بجراح، تمَّ نقلهم إلى المركز الطبي لإسعافهم وتضميد جراحهم.

المجاهد وجيه الخانجي

«أبو معروف»

(١٩٠٣-١٩٧٥م)

هو أصغر أخوته من أبناء عبد الرزاق الخانجي، من مواليد دمشق عام ١٩٠٣م، أُصيب أثناء المعارك واقتلعت عينه اليسرى من محجرها، وسالت على وجنته، وراحت الدماء تتدفق من وجهه، وقد كنت إلى جانبه وهو يتجلد دون أن يتأوه أو يتذمر، كما أصيب أيضًا في صدره ويديه وذلك أثناء المعركة التي جرت وقتئذ بالقرب من مقبرة النصارى، بساحة الخضر القريبة من دمشق وقد عالجه الدكتور توفيق القصيباتي في مزرعة (البطيخي)(٧٠٩)، ثم نقل إلى قرية (الافتريس)، حيث أشرف على مداواته ومداواة أخويه (سليمان وشفيق) الدكتور أمين رويحة، والدكتور مصطفى فخري، والدكتور سيف الدين البستاني وتوفيق القصيباتي، وذلك بعد نقلهما إلى مستشفى في الشيخ محيي الدين، البعيد عن سيطرة السلطات الفرنسية.

ثم جرى فيما بعد تطويق الغوطة من قبل الجيش الفرنسي، ونزح كثير من المجاهدين إلى الأردن، كما سبق أن تمكّن الجيش الفرنسي من الاستيلاء على مقارن جبل العرب (الجنوبية والشرقية والغربية)، ولم يبق أمام العدو الفرنسي إلا (المقرن الشمالي)، الأمر الذي ساعده لِسَوْق معظم قواته النظامية لتطهير الغوطة من المجاهدين، الذين نفد عتَادهم «أو كاد»، دون أن يمدّهم أحد بالذخيرة، مما اضطر معظم مجموعات الأحياء الدمشقية، للنّزوح إلى (وادي الشلالة)، وإلى الأغوار في الأردن، ريثما يتصلوا باللجنة المالية التي كان مركزها في مدينة (القدس)، برئاسة مفتيها سماحة الحاج محمد أمين الحسيني.

في ذلك الوقت العصيب الذي مرت به الثورة في أواخر أيامها نزح الأخوة الثلاثة (سليمان وشفيق ووجيه) إلى عمان، لاستكمال المعالجة من قبل

(٧٠٩) البطيخي: مزرعة في غوطة دمشق، وتتبع بلدة «المليحة»، وتبعد عنها ٢كم. ترتوي من نهر المليحي المتفرّع عن نهر العقرباني أحد فروع بردى.

الدكتور حمدي سكر. ثم سافروا إلى فلسطين ومصر وعادوا بعد ذلك إلى دمشق بعد صدور العفو العام عن جميع المجاهدين المشردين في أصقاع العالم.

المجاهد ياسين الخانجي[٧١٠]

(١٩٠٤-١٩٦٠م)

وُلد المجاهد ياسين بن أحمد الخانجي في مدينة دمشق سنة ١٩٠٤م، والتحق بميادين الجهاد مع أبناء عمه في معظم معارك الغوطة، وخاصة في معركتي «يلدا وببيلا»، ثم سافر أخيرًا إلى مصر وأقام مستقرًا فيها أكثر من ثلاث سنوات، حتى صدور العفو العام عن جميع الثوار، وعندئذ عاد إلى مدينة دمشق، حيث تزوج من ابنة العلامة محمد كرد علي وتولى أمانة سرّ (المجمع العلمي) بدمشق. وتوفي عام ١٩٦٠م. أنجب ثلاثة من الذكور: هيثم ويعلا وهشام وشقيقتهم صبحة وجميعهم في أميركا.

رحم الله ثوار بلدي وأسكنهم فسيح جنانه.

المجاهد لطفي الخانجي

شيخ قريتي المليحة والبلاطة طلب الفرنسيون منه تقديم خمسين مسلحًا لتكلفيهم بحراسة القرى ولما رفض طلبهم زجّوه في غياهب السجون.



(٧١٠) الدكتور المهندس خليل الخانجي (١٩١٨-١٩٩٩م): بن أحمد الخانجي (وشقيق ياسين وبشير الخانجي الذي توفي عام ١٩٧١م وأنجب أحمد بشار الخانجي). درس هندسة الصناعات الزراعية في باريس ونال دكتوراه في العلوم فرع الكيمياء من جامعة باريس عام ١٩٥٤م. عمل مهندسًا في معمل سكر حمص مختصًا في صناعتي السكر والمواد الدهنية. وكان عضوًا مؤسسًا في النادي العربي عام ١٩٥٥م. أصدرت له دائرة الثقافة والنشر في «الاتحاد العام لنقابات العمال» كتاب «الصحة والسلامة المهنية» عام ١٩٧٤م. كما قام بترجمة كتاب «معالجة التلوث في صناعة الدباغة» للهيئة العربية الدولية للاتحاد العربي للصناعات الجلدية عام ١٩٨٤م. وتوفي عام ١٩٩٩م. أولاده: أحمد وزينة.

••• وأنا أقول...

ماذا عساك تقول ...!!

أتساءل بألم وحسرة.. هل محكوم على أُمة العرب التخاذل والانهزامية وأن تنام وتصحو على الكوارث والمحن وأن تعاني القمع والاحتلال أم أنها محكومة بـ«جينات» لا تستطيع منها فرارًا أم أن الكسل حطّم قواها والتواكل مزّق مفاصلها، وأودى اليأس والقنوط بروحها، و«صلّبت» العصبية القبلية المنتنة شرايينها.

أم أنها استمرأت الاستكانة والنكبات القاسية الأليمة في تاريخها وتعايشت معها، تلك التي أفرزت اتفاقية «سايكس – بيكو»، والتي جذّرت تشرذمها وقبليتها وتمزّقها روحيًا ونفسيًا وفكريًا وسياسيًا واجتماعيًا. ومن ثمَّ تأقلمت مع هذا «الداء» الذي أصابها في الرئتين. فكرّست إقليميتها وتفاخرت بسيادتها واستقلالها، وراحت تقاتل من أجل هذا التمزق الكارثي فتوالت عليها النكبات القاسية، وتوالت الهموم المختلفة وزحفت الأخطار لتهدد مستقبل أمتنا الحضاري لتوصلنا إلى جحيم كارثة سحيقة.

هذا الطعن المتوالي في الحلم والأمل العربي وأَد الفجر الروحي في أمة العرب فضاعت الحقائق وماتت المسلّمات واختلطت المسمّيات وغدا «الاحتلال» تحريرًا والهيمنة الأجنبية «ديمقراطية»و«المقاومة» «إرهابًا» والمظلوم ظالمًا، واللصوص قضاة.

هذه «الديمقراطية» المشوهة المتوحشة ذات الأنياب والمخالب، هذا «الوباء» الذي وصلنا على ظهور الدبابات وأزيز الطائرات فراح ينهش ويحرق، وينفث غازاته السامة في رئتي أرضنا العربية لن يستمر إلى ما لا نهاية، لأنَّ شمس الحقيقة لن تغيب ونورها لن ينطفئ وضياؤها لن يخفت ولن يتلاشى ما دامت قلوبنا عامرة بالإيمان. وأمتنا متمسكة بمبادئ دينها الحنيف وأخلاقه السامية.

وستنتصر إرادة شعبنا وجماهير أمتنا مهما اشتدت الأخطار، وتعاظمت الخطوب، وعصفت الأهوال لتقفز فوق الحدود، وتحطّم السدود، وتجتاز الحواجز وكل ما هو مستحيل مستنيرة بنور إيمانها، متكئة على ظُهر مبادئها وانتماء أجيالها للأمة والوطن.

تحترق الكلمات مع حروفها على الشفاه وتُطمس المفردات وتتلاشى مكامن الثقل في الذاكرة عندما يبدأ فصل اليباس، سأستعير نصًّا كتبه آخر فرسان العروبة، في كتابه «التثقيف العربي الأمثل». يقول فيه أَنَّ اليقظة العربية لم تبدأ بعد ولكنها سوف تكون قريبًا، وسوف تبدأ عاجلاً.

وإنه لإنسان عربي لا مناص من أن يوجد، وإنه لبعث لا مندوحة من أن يتحقق، ولن يكون آجلاً في المدى البعيد. بل عاجلاً في المدى القريب».

ولم أجد أجمل من النَّص الذي كتبه الدكتور غسان الرفاعي من باريس في عدد تشرين (٩٥٢٦) في الثاني من نيسان / أبريل ٢٠٠٦م:

«ماذا عساك تقول.!!

شيء لا يُطاق ولا يحتمل. الدياجير تحيط بك من كل جانب، ورفاق الاغتراب متلهفون قلقون حائرون يتساءلون: «وماذا بعد»؟ يستمعون إلى الإذاعات يشاهدون الفضائيات يقرؤون الصحف يتابعون مواقع الانترنيت، بحثًا عن طمأنينة عن شعاع عزاء..! ولكنهم يتفطرون جزعًا، ويزدادون يأسًا. الوطن دم أحمر يسيل في عروقهم، دمعٌ مدرار يتدفق من عيونهم، وهم فخورون به وبسياراته «المفخخة» وعبواته الناسفة، وجثثه المجهولة الملقاة في الشوارع، مقطوعة الرأس ونحيب نسائه، وصراخ أطفاله. هم راضون به، بحرمانه وهذيانه، وخرافاته وانتفاخ أوداجه، وزئير مهرّجيه، وزمجرة قادته هم قانعون بأكواخه وأزقته، وجفافه ونضوب خيراته ولكن السؤال الفاجع يؤرّقهم دومًا: «وماذا بعد»؟ وأنت عاجز عن الإجابة تفضّل الصمت في خلوة مع نفسك تفكّر وتراجع وتحاسب وتتهم وتتمزق.

ونحن نسترق السمع والنظر نقف على رؤوس أصابعنا خائفين متلهفين. نسترق النظر إلى التاريخ، وهو يهمّشنا ويلغينا ويدمّرنا. ونتلصص على الجغرافية، وهي تنهب أراضينا، وتسطو على مواردنا، وتقرض حدودنا وتحاصرنا في حُفر مكتظة بالوحل الممزوج بالدم ونُجوّف ويُنتزع جلدنا عن عظمنا ونُرمى بالنفايات والقمامة فلا يصدر عنا إلا ابتهال ذليل، وتضرّع مذعور: «اللهم أبقنا على قيد الحياة وكفى».

لقد تعطّل الفكر عندنا، أو لعلّه أُلغي لحساب سلطة دينية تزعم أنها تعرف كل شيء أو لحساب سلطة سياسية تزعم أنها قادرة على كل شيء وحين يستمر التعطيل فترة طويلة، يعتاد الناس على «إلغاء» عقولهم، بحيث يبدو الاعتداء على قانون «التناقض» أمرًا مألوفًا ومقبولاً وحين يقترن «الصدأ» الفكري، بعامل الخوف، فإن العقول «تفقد» القُدرة على ممارسة فاعليتها حتى حين تزول الأسباب التي تدعو إلى الخوف والهلع.

شيء لا يُطاق ولا يُحتمل...!!

يظل الاختصاصيون الذين يتوافدون علينا أو نقابلهم يدّعون بكل «براءة وحسن نيّة» أنهم لا يَعرفون الحقائق وأنهم «ضحايا الجهل»، نشرح لهم بتجرّد وموضوعية، فيفتحون عيونهم في دهشة واستغراب ويهتفون: «آه هكذا إذن».

نفسّر لهم التسلسل التاريخي، لما اصطلح على تسميته «أزمة الشرق الأوسط» فتنخلع عيونهم من محاجرها ويصرخون: «آه كم كنا جهلة» ونكشف لهم الأخطاء والخطايا التي يقع فيها الإعلام الذين يحتكرون منابره، ويطبخون أغذيته فيعترفون: «ولكننا لم نكن نعلم، نحن لسنا مسؤولين عن التزوير».

الجميع يؤكدون دون أن يرفّ لهم جفن أنهم من «هواة جمع الحقائق أو تقصّيها» والجميع يَعِدون أمام الله والتاريخ وأمامنا أنهم سينشرون هذه الحقائق في صحفهم فور عودتهم، بدون زيادة أو نقصان والسبب بسيط «أن ضمائرهم يقظة، وتفكيرهم حرّ لا يخضع للمزايدات أو المناقضات الإعلامية المطروحة في البورصة». والغريب في الأمر أنَّ معظم هؤلاء من كبار الاختصاصيين في قضايا الشرق الأوسط، أو من الكتّاب الذين لا يكتبون إلا عن الشرق الأوسط.

ألم يملّوا من «جمع الحقائق» ألم تتضح الأمور أمامهم بعد؟ ألم يضعوا يدهم على جوهر المأساة، التي يُعانيها هذا الجزء من العالم بعد؟

كلا إنَّ براءتهم مصطنعة، وحُسن نواياهم مُدان، وجهلهم مقصود، وموضوعيتهم خدعة كبرى وليست المأساة في أنهم لا يعلمون فالحقائق والوقائع في متناول الجميع ولكن المأساة هي في الإصرار على عدم العلم ونحن لا نعتب على مَنْ يتخذ موقفًا مُعاديًا – فبهذا نعرف كيف نتصرف معه – ولكننا نعتب على مَنْ يدعي أنه صديق، ولكنه قد يكون أكثر عداء من العدوّ، فهذا يتعذّر علينا التعامل معه على أُسس صريحة ومقبولة.

❖❖❖

تسللت بين صفوف الشباب والشابات المتظاهرين ضد سياسة الحكومة الفرنسية، وأنا خجل من بياض شعري، وبواكير تجعيدات في وجهي. شعرت أنني لصّ يقتحم بيتًا ليس له، أو متطفّل يسترق النظر من ثقب الباب. كانوا يتماوجون جرأة وغضبًا، ويصيحون نزقًا وتمردًا ولم أكن أنا إلا من بقايا جيل مهزوم مقهور، يتبرأ من ماضيه، ويرتعد من مستقبله. أحرجوني بحفاوتهم وحرارتهم، وأذابوا جبالاً من الصقيع كانت تسكنني، استقروا في داخلي بالرغم من حواجز الجغرافية والتاريخ والحضارة وسوء التفاهم.

قالت لي فتاة: هل أنت معنا؟ ووجدتني أقول وكأنني أتخفف من قرون من الصقيع: «نعم أنا مع أي تمرد في أي مكان» لقد تقرّح عمري وأنا أمتثل وأطيع، وأُبارك، وأهتف، وأُصفق.

وقبّلتني على وجنتي، وهي تزقزق كعصفور، وتهتف بالفرنسية: «عاشت الحرية والموت للخونة». وسمعت قرقعة القنابل المسيلة للدموع، وانهمرت

الحجارة، وارتفع عويل سياراتٍ الشرطة.

أمست الساعة العاشرة ليلاً، ورذاذ خفيف من المطر يتساقط بدون انقطاع، والساحات مهجورة. في كل مكان زجاج مهشّم لافتات ممزقة بقع من الحبر الأحمر والأزرق والأخضر، وقناني فارغة ورجال الشرطة يتجولون بتكاسل وعدم اكتراث.

أدور حول الساحة بدون هدف، وفي قلبي حزن بحجم الأرض ومَنْ عليها أتوجه إلى الشارع بتثاقل، وأنا أُطارد علبة فارغة بحذائي من مكان إلى مكان.

آه ماذا فعلنا بشبابنا الذين يتوالدون ويتكاثرون ويسدون الساحات والشوارع أغرقناهم بوعود الازدهار والرخاء، وأدخلناهم الجامعات، وكأنهم قطيع من الماعز دون تخطيط، ودون مراعاة لسوق العمل، وحينما تخرّجوا بتفوق، ووقفوا أمامنا والشهادات في أيديهم، أشحنا عنهم، وقلنا لهم: «أنتم ومصيركم». وفي بحثهم المتواصل عن العمل، اكتشفوا أن لا شيء يتحقق بدون إراقة ماء الوجه لا مكان لكفاءة، ولا للمثابرة، ولا للنِّزاهة وإنما هنالك غابة كثيفة من المحاباة والولاءات الشخصيّة، والطائفية، والسلطوية، وإذا لم يكن الشاب الوليد ذئبًا ذا مخالب وأظافر، فقد تأكله الذئاب، ولن يأسف لسقوطه وفشله وتعثره أحد.

يا أحبائي يا أحلى الكائنات استلمنا الوطن والجموع العربية من المحيط إلى الخليج تهتف بتفاؤل: «بلاد العُرب أوطاني». أردنا أن نسلّمه لكم وطنًا أكبر بحجم تطلعاتكم وأحلامكم يوفر لكم سنابل القمح والكرامة والحرية والعمل الشريف وهانحن على قاب قوسين من تسليم الأمانة: دويلات كدكاكين البقالة، زعامات بالكوفية والقبعات العسكرية متخاصمة متناحرة حروب أهلية اندلعت، وتهديد باندلاعها من جديد، وثقوب جغرافية يقفز الطامعون لاحتلالها. والوحدة العربية تجسدت في جوازات سفر مثقوبة من الوسط، وزعامات تُغتال في وضح النهار ومثقفون في السجون، وشباب يهاجرون. لكم يحزننا أن نُعلن فَشَلَنا وأننا خدعناكم(٧١١) لا نريد أن تصفحوا عنا، ولا أن تغفروا لنا وهذا يُحرجنا ويوجعنا أزيلوا عنا هذا القتام والظلام. وليعد «الإنسان العربي» إلى مسرح التاريخ مُعافى قويًا حرًا».

وأنا أقول لكم يا أخوتي لسوف تتسلل خيوط الفجر إلى غسق الليل متكئة

(٧١١) يقول المُصلح الاجتماعي (عبد الرحمن الكواكبي) في كتابه (طبائع الاستبداد): «قد يبلغ فعل الاستبداد بالأُمة أن يحوّل ميلها الطبيعي من طلب «الترقي» إلى طلب «التسفّل» بحيث لو دُفعت إلى الرفعة والسمو لأبت وتألمت كما يتألم «الأجهر» من نور الشمس، وإذا أُلزمت بالحرية لتشقى وربما تفنى».

على خيوط الشمس الذهبية هامسة في بَوْح مسربل بالاختلاجات أَنَّ مخاتلة الطغيان لن تستمر إلى ما لا نهاية في معركة المصير، ولسوف يزحف الفارس الموعود، المسكون بحب أمته، عبر طرقات الوطن ليقرع النواقيس ويجعل المآذن تضجّ بالتكبير.

صور جماعية لأنجال (صاحب المذكرات) جميل شاكر الخانجي



من اليسار: ١- رفيق ٢- نشأت ٣- مروان ٤- برهان ٥- أحمد



يمثل هذا الرسم شهيد الواجب الأديب المهندس عمر شاكر حيث سقطت الطائرة التي أقلته وهو يسعى للصلح وحقن دماء المسلمين عام ١٩٢٤
وقالت فيه جريدة عكاظ وقتها:

ثلاث يعز الصبر عند نزولها ويفرح منها كل قلب لبيب
خروج اضطرار من بلاد تحبها وفرقة إخوان وموت حبيب

والأبيات التالية هي آخر رسالة للشهيد يبث فيها حنينه لابنته الصغيرة ووطنه الكبير الذي فارقه عندما حكم عليه بالاعدام من المستعمر

ولقد ذكرتك يا عصام ومدمعي كالغيث منهمل على الوجنات
أبكي الديار وأهلها متشوقاً وأنوح نوح الطير في الفلوات
وأقول ليتك يا عصام بجانبي من قبل أن يدنو زمان مماتي
ولو أني فرطت فيك لجيشتي لكن ضننت فأنت ربيع حياتي
إن التغرب مثل فيح جهنم تشوي بنا في هذه الفترات
فثقي بأني ما برحت أحن للـوطن المفدى مرسلاً عبراتي

١٤١٥ حرره محمود جلال الدين ١٩٩٥

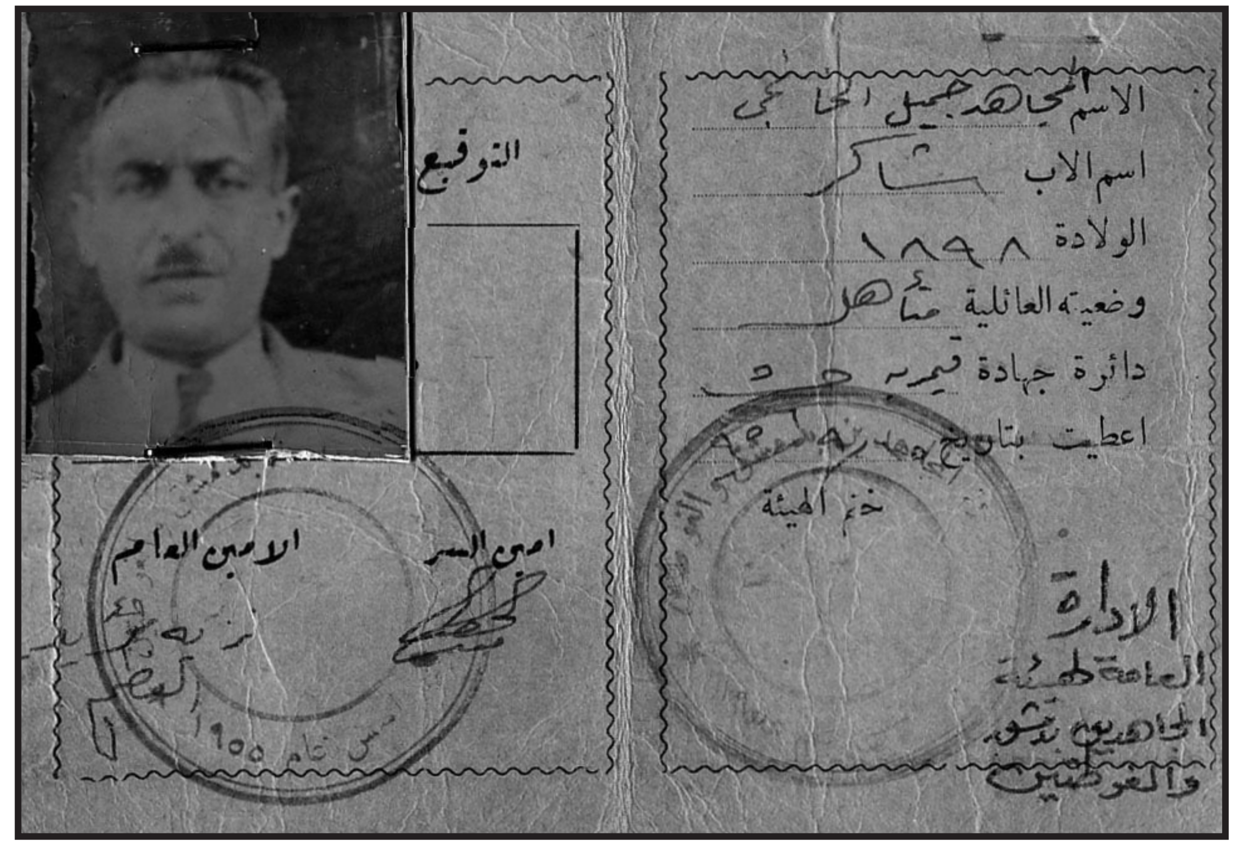
الشهيد عمر شاكر الخانجي وابنته الوحيدة عصام عام ١٩٢٠



عبد اللطيف شاكر الخانجي



جميل شاكر الخانجي



الاسم المجاهد جميل الخانجي
اسم الاب شاكر
الولادة ١٨٩٨
وضعيته العائلية متأهل
دائرة جهادة
اعطيت بتاريخ
ختم الهيئة
الادارة العامة لهيئة المجاهدين بدمشق والغوطتين

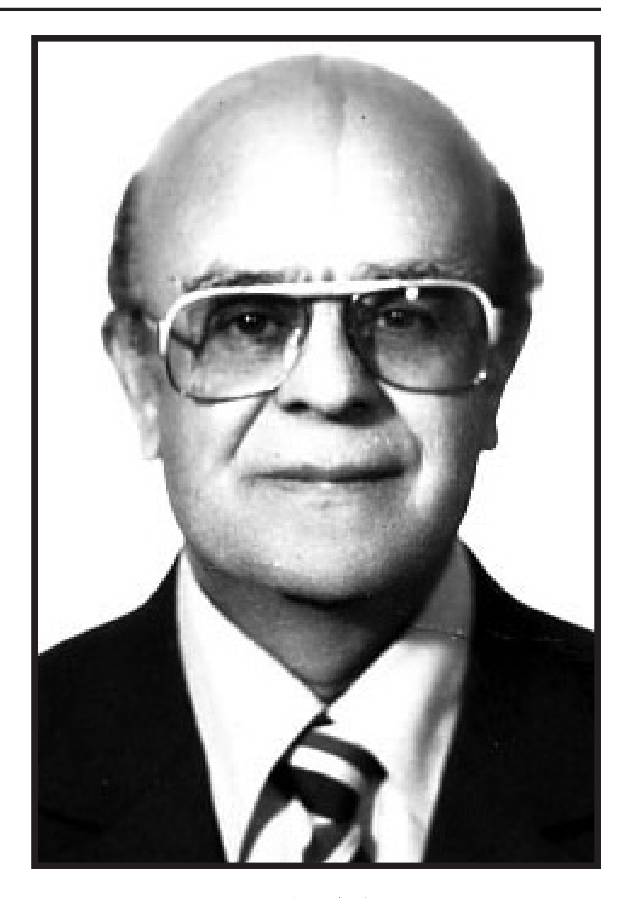
التوقيع
امين السر
الامين العام
اسس عام ١٩٥٥

بطاقة عضوية رابطة رجال الثورة السورية عام ١٩٥٦ م



صورة جماعية لأنجال (صاحب المذكرات) جميل شاكر الخانجي

من اليسار: ١- رفيق ٢- نشأت ٣- مروان ٤- برهان ٥- أحمد ٦- مسعود

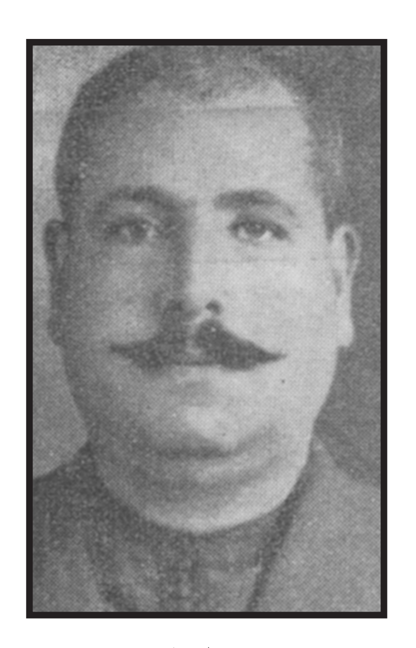


د . خليل الخانجي





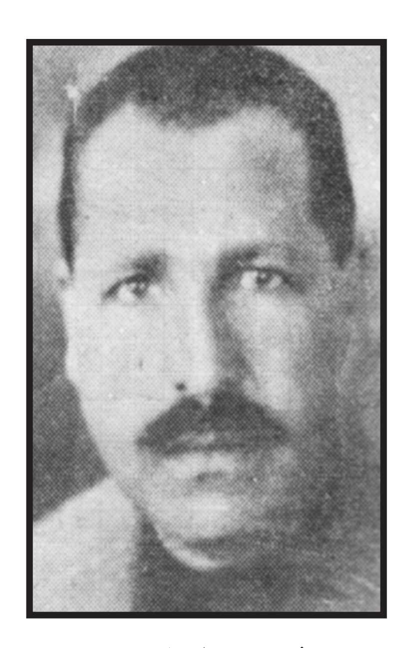
سامح حجازي



وجيه الخانجي
(أبو معروف)



سليمان الخانجي
(أبو شاكر)



شفيق الخانجي
(أبو ياسين)

من الرجوع للقيود في سجل الاعلامات ان المدعي السيد جميل شاكر كان
محكوم بالقرار الصادر عن المجلس العدلي بدمشق بتاريخ ٢٤ اغسطوس ١٩٢٦ تحت
رقم ١٢١ اساس و ١٤٠ عملاً بأحكام المادتين ٥٥ و ٥٦ من قانون الجزاء
١٠٩
بالإعدام وحجز امواله واملاكه وادارتها بمعرفة الحكومة وتضمينه مع رفاقه
١٥٥٠٠ قرشاً سورياً وثبوت كونه للشاكو رئيساً لعلم الاستخبارات والدعاية
للثورة .

حكماً غيابياً نشر بجريدة الف باء ٦ اغسطوس ١٩٢٦ بالعدد رقم ١٧٢٦
واصبح مبرماً .

١٢ ايار ١٩٥٤

رئيس الديوان


لسعادة المحامي العام للجمهورية السورية الأكرم

يعرض مقدمه جميل شاكر الخانجي بما انه قد جاء في القانون رقم ٢١٦ تاريخ ٢/٨/١٩٥٤ تعديلاً
للمادة الأولى من القانون المؤرخ ١٤/١٢/١٩٤٨ ان الموظفين الملكيين والعسكريين والمتقاعدين
الذين سبقت لهم خدمة في وظيفة من وظائف الدولة - او المؤسسات العامة - أو اشتركوا
في الثورة السورية عام ١٩٢٥ و ١٩٢٦، او اشتركوا في خدمة القضية الوطنية الخ بما انني من الذين
ينطبق عليهم هذا القانون المعدل المنوه عنه آنفاً حيث اشتركت في الثورة السورية مدة سنتين وقد
حكم علي بالإعدام من قبل السلطة الفرنسية، وفي الوقت ذاته كنت موظفاً في وزارة المعارف
- في المعهد الفيصلي -
أي مديراً لمدرسة قرية برزة وهي مدرسة للتوجيه والإرشاد الإجبارية
وعليه ارجو التفضل بإعطاء الأمر لمن يلزم بشأن اخراج صورة عن قيد الحكم العسكري الآنف
واطلب تسليمها لي .
وتفضلوا اخيراً بقبول فائق احتراماتي

جميل شاكر الخانجي

حكم الإعدام من قبل السلطات الفرنسية على صاحب المذكرات

بلاغ عام الى عموم العرب الكرام

يا احفاد يعرب وابناء قحطان تحية وسلام نقدمها الوقت الذي تأخذوا به ثاركم من دولة فرنسا وجنودها اللئام تلك الدولة الباغية التي داست حقوقكم وجرحت ملككم وابن نبيكم وهتكت حرمتكم بعد ان اثقلت ظهوركم بالغرامات وزجت رجالكم بالسجون اليوم العار عليكم ايها العرب خاصة والاسلام عامة ان تناموا على الذل والاستعباد وتبقوا دولة فرنسا الفاجرة ببلادكم المقدسة تسومكم سوء العذاب تذبح اطفالكم وتستحل اعراضكم فالجهاد الجهاد كما امركم ربكم لحفظ النساء والاولاد. فما الموت في سبيل تخليص الوطن الا الحياة وما التقاعس والقعود عن الحرب الا الموت.

ثوروا ايها العرب فوالله انكم على حق وعدوكم على باطل واعلموا ان الدول جمعاء لا ترتاب في عدالة نهضتكم وشرعية دفاعكم وثورتكم فالقوانين الدولية تؤيدكم والشرائع الانسانية تعضدكم لانكم ايها الثوار منزهين عن كل عيب فالمسؤولية ملقاة على دولة فرانسة ورجال سياستها الذين نقضوا الوعود وخانوا العهود.

فثورتنا مقدسة ودفاعا عن البلاد والاستقلال مشروع فانهضوا واسحقوا كل من يقف بوجوهكم اهجموا واجعلوا بلادكم مقابر لجنود فرانسة واعوانهم. ايها الثوار الكرام لا ترهبوا احدا في سبيل استقلال ... لا تشفقوا على انسان في سبيل تخليص بلادكم اسفكوا دم كل من يحول دون غايتكم الوطنية، امحوا وجود كل من يكون عثرة امام تقدمكم المشروع. واعلموا ان فرانسة لم ترحمكم ولم تشفق عليكم وعلى بلادكم ولم تراعي موقف ملككم فيصل وابن نبيكم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ذللوا ايها الثوار الصعوبات واهدموا الحواجز واقتحموا الموانع لنيل استقلالكم وانقاذ بلادكم واعادة ملككم فالعار الذي لحق العرب لا تغسله سوى الدماء التي تهدر من الافرنسيين وطردهم من بلادنا

ابشروا ايها العرب خاصة والاسلام عامة بزحف جيوشنا من الجنوب تحت قيادة الامير عبد الله المعظم وجيوش مصطفى كمال من الشمال وتقدم المجاهد الكبير [illegible] على حماة ومحاصرة بطل الاسلام الشيخ صالح لحمص وها ان الدائرة بدأت تدور على فرانسة المعتدية الظالمة وعلى الباغي تدور الدوائر.

فجاهدوا ايها الاسلام واهتفوا بالاستقلال وارعوا الشروط الآتية وفقكم الله آمين.

١ــ يجب تأمين الطرق وحفظ المواصلات بين مناطق الثورة.

٢ــ بذل الهمة لحفظ الرصاص فلا يجوز اطلاقه في الهواء بدون فائدة.

٣ــ الاعتناء بالاسراء ضباطا او جنودا.

٤ــ حينما ترون من خنادقهم الاعلام الموجودة بخيمة فرنسا اشارة السلام ان تكفوا عن هجماتكم.

٥ــ حفظ ادوات التلفون والتلغراف وحفظ الاعمدة حيث انها تعود على الامة بمنافع ويجب قطع الاسلاك من الاعمدة فقط حتى تنقطع مخابرات الافرنسيين.

٦ــ نسف الجسور وقلع سكك الحديد والقاطرات التي تمر عليها القطر.

٧ــ الاحتفاظ بما يقع تحت ايديكم من عربات النقل والسيارات.

٨ــ حفظ المدافع والرشاشات ولا يجوز تخريبها مطلقا لانها تنفع جيشنا العربي.

٩ــ يجب الاعتناء بالذين يجرحون من الاعداء حيث ان الجريح يستحق الرحمة والعطف.

١٠ــ يجب ان تنسوا الهموم والاحقاد التي بينكم لحين اخراج العدو من بلادكم والسلام.

[illegible] الجولان
كورية
عن المعسكر العام

بلاغ من الثوار إلى الشعب (بخط يد والدي)



أمام مدرسة جميل شاكر الثانوية الشاملة للبنين يقف وزير التربية الأردني ووزير التربية السوري والسفير السوري في الأردن وأنجال المرحوم جميل شاكر



أمام لوحة داخل المدرسة يقف أبناء صاحب المذكرات

من اليمين : أحمد - مروان - مسعود



مدير مدرسة جميل شاكر وليد خريسات يسلم السفير السوري في الأردن علي حمود درع المدرسة بينما يقف وزير التربية والتعليم في الأردن خالد طوقان يصفق



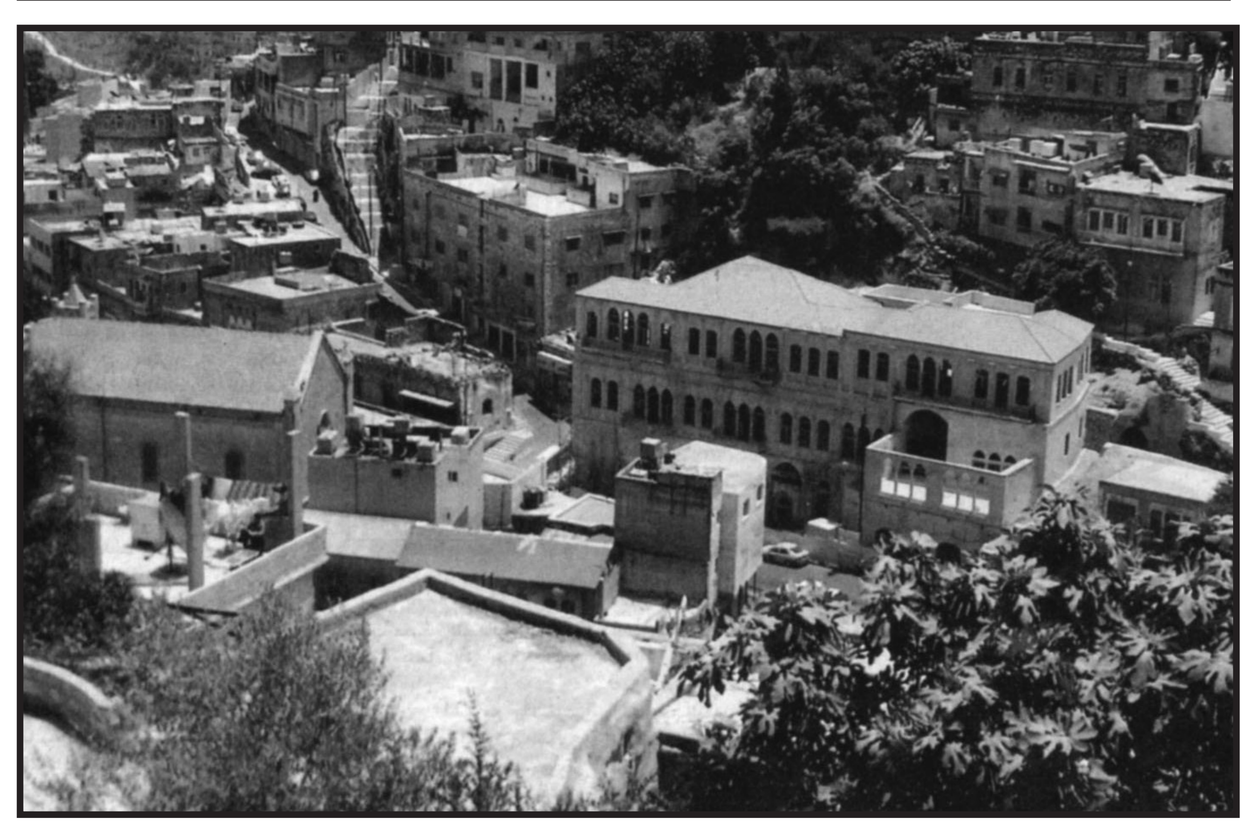
وزير التربية ةالتعليم في سورية الدكتور علي سعد يكتب كلمة في سجل التشريفات أثناء زيارته لمدرسة جميل شاكر في عمان



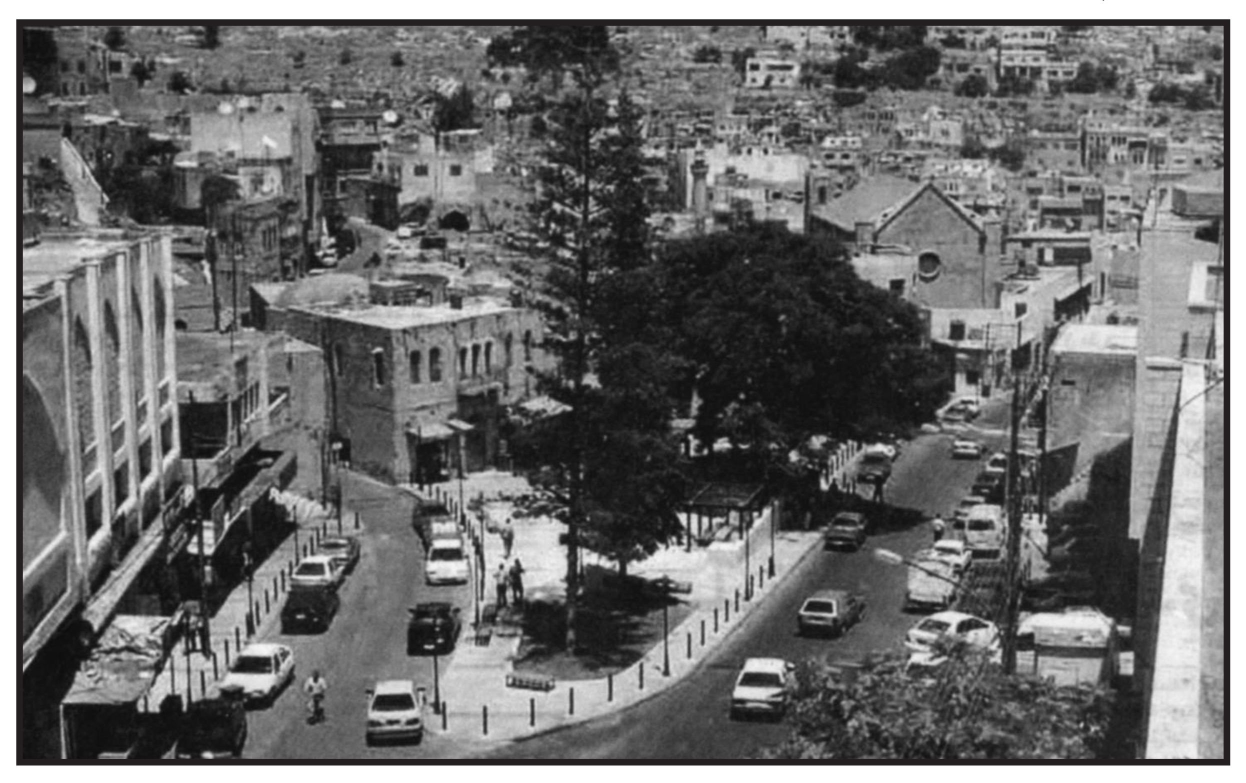
داخل مدرسة جميل شاكر الثانوية الشاملة للبنين - حي الصويفية - عمان



وزير التربية والتعليم السوري الدكتور علي سعد يتسلم درع مدرسة جميل شاكر الخانجي من مدير المدرسة بينما يقف السفير السوري في عمان ووزير التربية في الأردن الدكتور خالد طوقان يصفق



مدينة السلط: حاضرة البلقاء تعتلي بكبريائها إحدى قمم جلعاد. تطل على الأغوار من علٍ، وتمد يدها إلى جبل النار وأهله. يتميز واديها بعيون الماء والأشجار المثمرة



مدينة السلط ذات الجبال المتقابلة نستحضرها ونستعيدها كلما نادتها أشواقنا إليها

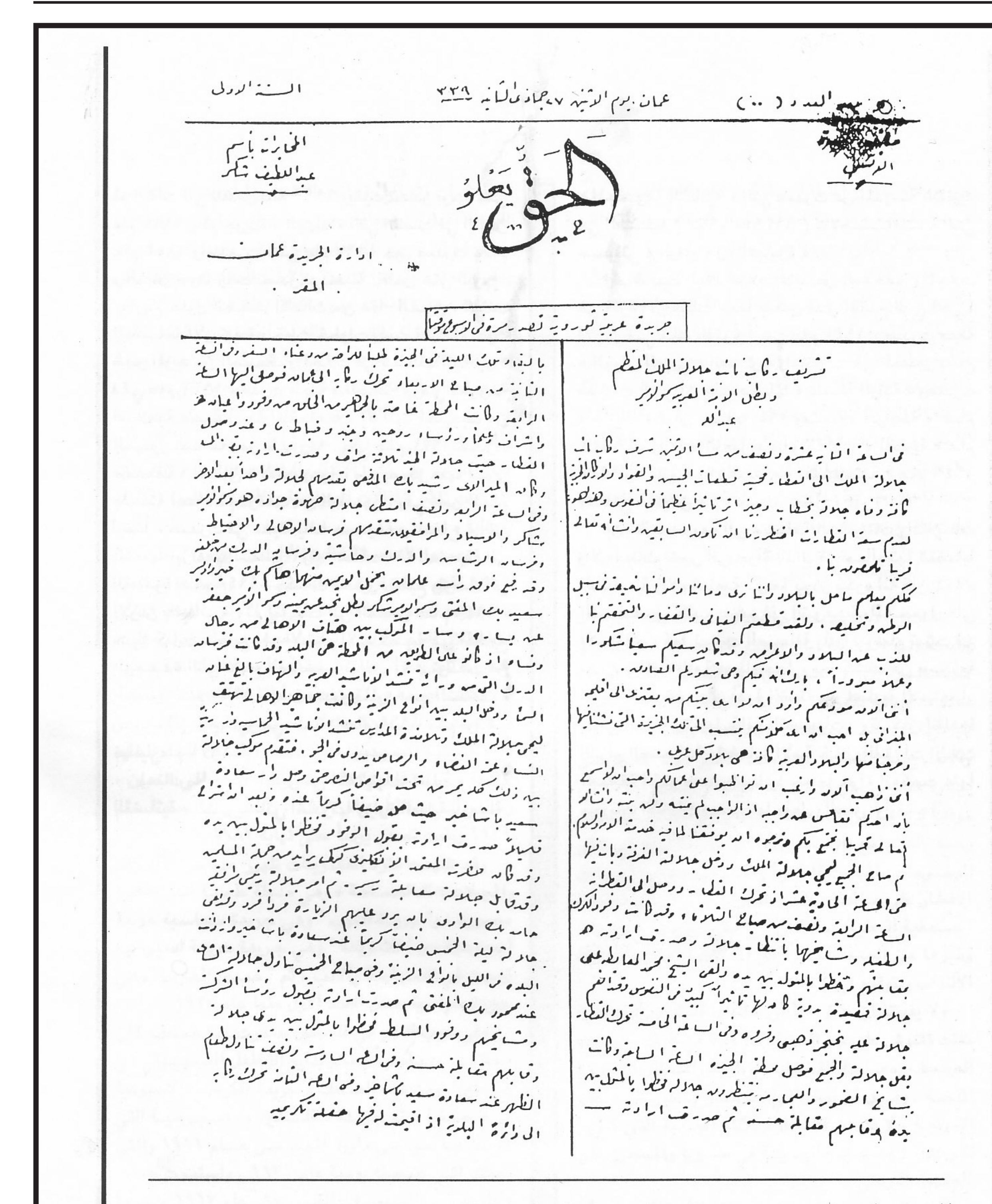


رسالة الى رئيس اللجنة الوطنية في عجلون «مصطفى حجازي» قبيل موقعة سمخ بتوقيع عمر شاكر «دمشق»

الشيفرة الخاصة لتحرك القوات قبل موقعة سمخ و هي بتوقيع عمر شاكر «دمشق»

رسالة من كامل القصاب الى مصطفى حجازي بعد موقعة سمخ و استشهاد الشيخ كايد

رسائل مشفرة بتوقيع عمر شاكر الخانجي لتحرك القوات عام ١٩٢٠ م (قبيل معركة سمخ) من اللجنة الوطنية العليا للثوار



السنة الاولى

عمان يوم الاثنين ٢٧ جمادى الثانية ٣٣٩

العدد (٥)

المخابرة باسم
عبد اللطيف شاكر

الحق يعلو

ادارة الجريدة عمان
المقر

جريدة عربية ثورية تصدر مرتين في الاسبوع مؤقتا

تشريف ركاب جلالة الملك المعظم
ولي العهد الامير العربي سمو الامير
عبد الله

الحق يعلو : أول جريدة صدرت في الأردن ، ظهرت في معان في خريف سنة ١٩٢٠م ، في مخيم المغفور له الملك الشهيد عبد الله بن الحسين . صدر منها أربعة أعداد في معان وعددان في عمان .

الحق يعلو : أول جريدة صدرت في الأردن خريف عام ١٩٢٠م وقام بتحريرها عبد اللطيف شاكر الخانجي ومحمد الأُنسي



أبو الخير الجندي



عبد الرحمن الكواكبي





صموئيل هنتنغتون



الشاعر محمود الأفغاني



محمود كردعلي



فؤاد المحاسني

الجد الأكبر لصاحب المذكرات

محمود باشا سري الخانجي

صهر صاحب الجلالة ملك مصر والسودان فؤاد الأول(٧١٢)

تبع جدنا الأكبر محمود باشا سري الخانجي طريقة شيخ الصوفية العارف بالله الشيخ محيي الدين بن عربي ولحق به إلى بلاد الشام. وعندما توفي عام ١٣٢٩هـ دُفن في مسجد الشيخ محيي الدين، ولا يزال قبره هناك إلى جانب قبر شيخه محيي الدين بن عربي المكنى بأبي عبد الله المتوفى ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ٦٣٨هـ. وقد دُفن إلى جنبه ولداه: سعد الدين – وعماد الدين. وضريح جدنا الأكبر محمود باشا سري الخانجي مبني من الرخام الأبيض ولا يزال موجودًا هناك إلى جهة مصلى النساء.



مقام الضريح الشيخ محي الدين بن عربي



الملك فؤاد الأول

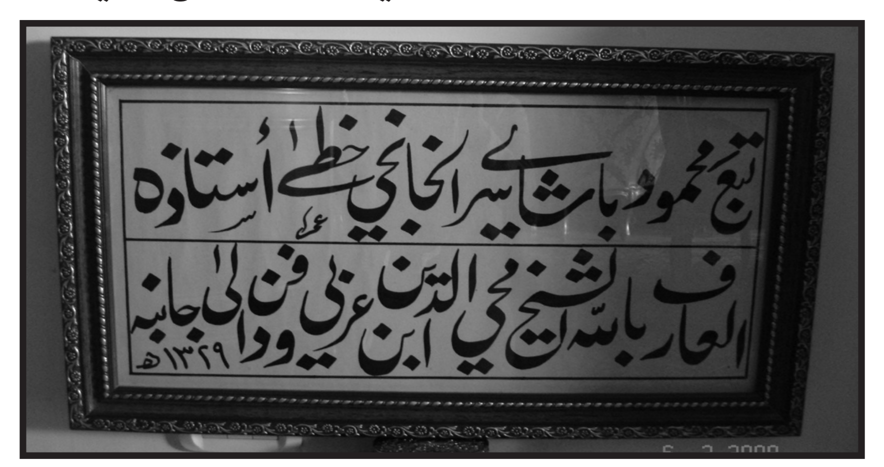
(٧١٢) فؤاد الأوّل (أحمد فؤاد) (١٨٦٨-١٩٣٦): ابن الخديوي إسماعيل تسمى سلطان مصر ثم ملك مصر. قضى معظم سني حكمه في صراع مع حزب الوفد المصري بزعامة سعد زغلول. وقد حاول اقصاء هذا الحزب عن الحكم بالرغم من شعبيته العارمة وفوزه في الانتخابات العامة عام ١٩٢٣م وعام ١٩٢٥م وعام ١٩٢٩م. ولما مات رثاه أحمد شوقي:

هـوتْ كفـةُ الميزان منـهُ إلـى الثـرى وخفّـتْ بـه الأخـرى فعُلّـقَ بالفلـكْ

وقد خلفه ابنه فاروق الأول.



قبر الجد الأكبر محمود باشا سري الخانجي في مقام الشيخ محي الدين بدمشق



اللوحة المعلقة إلى جانب قبر محمود باشا الخانجي في مقام الشيخ محي الدين بدمشق



مدفن العائلة ... حيث يرقد المرحوم جميل شاكر الخانجي

والد صاحب المذكرات

شاكر بن عمر الخانجي

توفي في صفر ١٣٢٩هـ / ١٩٠٧م ودفن في باب صغير (مقبرة سيدي بلال) – وضريحه يحمل الرقم ٩٠٧/هـ.

والدته زاهدة.

وزوجته: عربية بنت محمود الميداني توفيت في ربيع الأول ١٣٣٦هـ/الموافق لـ١٩١٤م.

أشقاء صاحب المذكرات

جميل بن شاكر الخانجي

(١٨٩٨-١٩٧٦م)

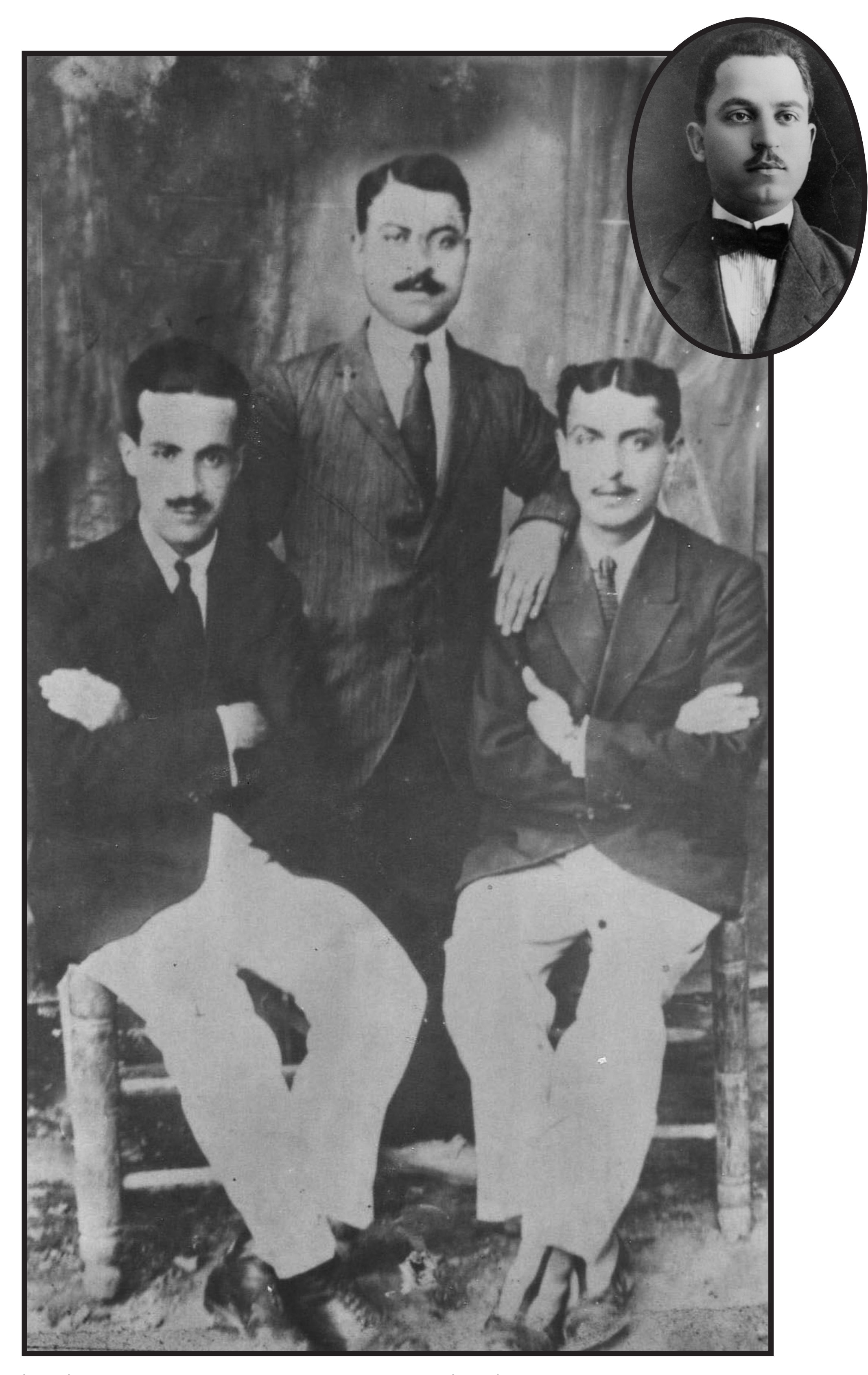
- توفيق بن شاكر الخانجي: (١٨٨٧-١٩١٧م)
- عمر بن شاكر الخانجي: (١٨٩١-١٩٢٥م)
- عبد اللطيف بن شاكر الخانجي: (١٨٩٣-١٩٦٨م)

السجل العثماني: خانة رقم ٥ شاغور منجدين – تحرير ١٣٢١هـ الموافق عام ١٩٠٢م.

زوجاته:

١ – بشرى بنت أمين الأصيل (توفيت في ١٦/١١/١٩٨٠م)

٢ – وداد بنت علي الركابي (توفيت في ١٠/٥/١٩٩٢م)



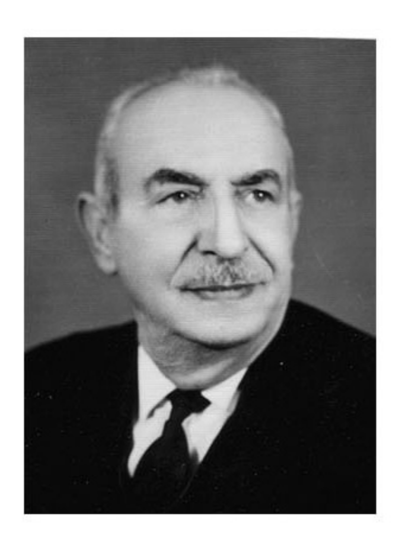
اشقاء صاحب المذكرات : (من اليسار) الأخ الأكبر توفيق - في الوسط عبد اللطيب والأخ الأصغر جميل والأخ الغائب عمر

لجنة تابين فقيد التربية والتعليم
المرحوم
الحاج جميل شاكر الخانجي

تدعوكم الى المشاركة في حفل التأبين الذي سيقام في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٨ ربيع الاول ١٣٩٦هـ الموافق ٩ آذار ١٩٧٦م

وذلك في قاعة الكلية العلمية الاسلامية
بجبل عمان

بطاقة الدعوة من لجنة تأبين المرحوم جميل شاكر الخانجي



المرحوم جميل شاكر

- ولد الفقيد بدمشق عام ١٨٩٨م. وتلقى دراسته بدار المعلمين العليا
- شارك في الحرب الحجازية . وواكب الثورة العربية الكبرى
- حارب المستعمرين ابان الثورة السورية كمدير لقلم الاستخبارات
- حكمت عليه السلطات الفرنسية بالاعدام وصادرت ممتلكاته
- خدم في حقل التربية والتعليم لاكثر من اربعين عاماً بالاردن
- حصل على وسام النهضة من جلالة المغفور له الملك الحسين بن علي ووسام الاستقلال العالي الشأن من جلالة المغفور له الملك علي بن الحسين ووسام التربية والتعليم من جلالة الملك الحسين بن طلال المعظم
- ورد نبذة عن تاريخ حياة الفقيد في كتب الايام الحمراء لسعيد العاص وتاريخ الثورات السورية لادهم آل الجندي وتاريخ الاردن في القرن العشرين لمنيب الماضي . وللفقيد نشاطات اسلامية وثقافية واجتماعية وله عدة مقالات نشرت في الصحف والمجلات والجرائد
- شارك في ندوات دار الاذاعة الاردنية ببرنامج الاردن رجال وتاريخ
- اولاد الفقيد : عادل ورفيق ونشأت ومروان وبرهان واحمد ومسعود
- انتقل الى رحمة ربه راضياً مرضياً وهو يؤدي صلاة المغرب في يوم الجمعة الموافق ١٩٧٦/١/٣٠م اسكنه الله فسيح جناته .

حفل تأبين صاحب المذكرات

المجاهد الثائر

الحاج جميل شاكر الخانجي

١٨٩٨م – ١٩٧٦م

[مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّه عَلَيه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا] [سورة الأحزاب: ٢٢]

أقامت لجنة تأبين المجاهد الثائر والمربي الكبير الحاج جميل شاكر الخانجي حفلاً تأبينيًا كبيرًا. وجرى الاحتفال في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٩٦هجرية، الموافق ٩ آذار ١٩٧٦ ميلادية، في قاعة الكلية العلمية الإسلامية في عمان.

وكان عريف الحفل: معالي الأستاذ (ضيف الله بك الحمود)... وهو الأديب المعروف والصحافي اللامع، صاحب جريدة (الصحفي).



وقد تضمن برنامج الحفل الفقرات التالية:

١- كلمة عريف الحفل معالي الأستاذ ضيف الله الحمود.
٢- تلاوة آي من الذكر الحكيم الشيخ محمد أبو شوشة.
٣- كلمة معالي الأستاذ فضل الدلقموني.
٤- كلمة معالي الدكتور إسحق الفرحان.
٥- كلمة وزارة التربية والتعليم للأستاذ شوكت تفاحة.
٦- كلمة الأستاذ صيّاح الروسان.
٧- كلمة الأستاذ المحامي فهد أبو العثم.
٨- كلمة الأستاذ المؤرخ محمود العابدي.
٩- كلمة الصحافي الأديب الأستاذ تيسير ظبيان صاحب جريدة (الجزيرة) و(مجلة الشريعة)

١٠- قصيدة شاعر شباب فلسطين الأستاذ محمود الأفغاني.
١١- كلمة آل الفقيد للأستاذ رفيق جميل شاكر الخانجي.

وقد تقدمت أسرة الفقيد عبر وسائل الإعلام بتقديم وافر الشكر وعظيم الامتنان والتقدير، لكل من تفضّل بالمواساة بفقيد وعميد الأسرة، وقد كان لهذه المشاركة أطيب الأثر، في تخفيف المصاب الجلل.....



هذا وقد أُقيم في قاعة الكلية العلمية الإسلامية بعمان في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثلاثاء التاسع من آذار / مارس ١٩٧٦م حفل تأبيني كبير للمرحوم الحاج جميل شاكر الخانجي بعد مرور أربعين يومًا على وفاته. وحضر الحفل عدد كبير من رجالات الدولة والشخصيات. كما حضره رجال الدين الإسلامي والمسيحي.

وقررت وزارة التربية والتعليم تخليد اسم الراحل الكبير: "جميل شاكر الخانجي" على مدرسة ثانوية في حيّ "الصويفية" في مدينة عمان. كما أطلقت أمانة العاصمة في عمان اسمه على شارع في منطقة طارق.

وتكريمًا لذكراه وخدماته لأبناء أمته ووطنه، أطلق مجلس بلدية مدينة السلط[٧١٣] اسمه على أحد شوارع المدينة العريقة، وعلى حديقة مدرستها الثانوية.

وهذه بعض كلمات التأبين:

(٧١٣) السلط: مدينة أردنية أسماها الرومان (سالتوس) ومعناها أرض التين والعنب والوادي المشجّر. تقع على ثلاثة جبال رئيسية وتبعد عن العاصمة عمان ٣٠كم، وعدد سكانها (١٢٥) ألف نسمة، ومساحتها ٨٠كم مربع، وترتفع ٩٠٠م عن سطح البحر. وتتميز بإطلالتها المباشرة من الجهة الغربية على جبال الضفة الغربية ومدينة الخليل، كما تطل من ناحية الشمال على مدينة القدس ونابلس. وكان أهم تبادل تجاري للسلط مع مدينة نابلس الفلسطينية، كما كانت أكثر الهجرات إليها من أهل نابلس، وتتميز مدينة السلط بطبيعتها الجبلية وكثرة عيون الماء وتراص بيوتها المتقابلة على سفحي الجبلين المتقابلين. سُميت السلط مدينة الأوائل إذ تأسست فيها أول مدرسة ثانوية، تخرّج منها الرعيل الأول. ومن أحيائها: الجدعة والكراد والسلالم والعيزرية والجادور ووسط المدينة. وتتبعها منطقة زي وأم العمد والمغاريب وجلعد وتشهد محافظة السلط حركة عمرانية نشطة، وحراكاً تطويريًا شاملاً ومشاريع متعددة كالسوق التراثي للحرف التقليدية والاستراحات وفنادق تجذب السياحة.

كلمة المؤرخ الأستاذ محمود العابدي

بالأمس ودع أصدقاء وأحباء وتلامذة المربي الفاضل والمجاهد الأستاذ جميل شاكر إلى مثواه الأخير وفي القلوب حسرة وفي العيون دمعة.

مشى وراء نعشه رتل كبير من السيارات وودعه مئات من رجال الأردن ومسؤوليه ليحييوا أحد أعلام الأردن ورجاله البارزين الذين قامت على أكتافهم نهضة البلد الحبيب، والذي أعطاه المرحوم من نور عينيه وقلبه الشيء الكثير.

أحب المرحوم الأردن وأفنى زهرة عمره يربي وينشئ الجيل تلو الجيل كل فكره وطاقاته. فضمه الثرى بين أحضانه.

اليوم يفتقد الأردن ذاك الابن البار الذي شارك في النهضة العربية الكبرى مع المنقذ الأعظم ومع أولاده وأحفاده. في عهد جلالة الملك الحسين المعظم الذي قلده أرفع الأوسمة. كما شارك في الثورة السورية وفي النهضة التعليمية في المملكة الأردنية الهاشمية.

هوى بالأمس علم من أعلام التربية. رحل للقاء ربه وهو مطمئن النفس راضيًا مرضيًا مؤديًا واجبه نحو أمته وبلاده ودينه.

[يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] [الفجر ٢٧-٣٠].

رحم اللّه الفقيد الكبير رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر وحسن العزاء. وإنَّا للّه وإنا إليه راجعون.



كلمة الأديب الأستاذ حسني فريز

هذا المجاهد من أسرة الخانجي التي قدَّمت بسخاء المجاهدين والشهداء.

أحسب أن أهم ما يبقي للإنسان بعد رحيله هو الدروس التي يتركها في نفوس الناس ومنهم بنوه، وأحسب أيضًا أن المدنية العالمية لم تكن من صنع العباقرة وحدهم، بل إن الإنسان الذي لم يبلغ هذا المدى يستطيع أن يترك للناس كثيرًا من العبر والدروس ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالقيم، فالأستاذ المجاهد جميل شاكر الخانجي من هذا الطراز الصافي الجوهر آمن بعروبته ووطنه، وآمن أن من واجبه أن يترجم ذلك إلى عمل ملموس فعمل في أقدس عملية: الجهاد والتعليم.

إنه من معدن التضحية والوفاء، لم ينل في حياته ألقابًا ولكن جبينه ازدان بلقب المجاهد، ولم ينل حظًا من دنيا المال ولكنه عاش على خبز الحب والكفاف أملاً أن يبقى له ذكر حسن وقد بقي.

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته   ما قاته وفضول العيش أشغال

إننا في هذه المناسبة لنذكر أنه كان ممن بلغوا الغاية في الكرم، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فقد بذل أقصى طاقته وقدم روحه أيام قوته وعاش ومات بقلب مطمئن وحسبه ذلك هناء وفخرًا رحمه الله رحمة واسعة.



كلمة الدكتور إسحاق الفرحان رئيس الجامعة الأردنية

عمل المرحوم جميل شاكر في حقل التربية أكثر من أربعين عامًا وهو لا يكل ولا يمل، يعطي فيخلص في عطائه، ويربي فيجدّ في تربيته. فكان بذلك مثالاً للمعلم القدوة، ذي الرسالة السامية الذي يتقي الله في عمله، ويرسي القواعد الأخلاقية لمهنة التربية والتعليم، بعمله وسلوكه، معززًا العلاقة الواشجة بينه وبين طلابه على نور من العقيدة وبصيرة من المعرفة.

فاستحق بذلك الذكر الطيب والثناء العاطر من كل من كانت له به صلة، واستحق بذلك وسام التربية والتعليم كرمز لمحبة أسرة التربية لفقيدها المفضال.

ولم تقتصر شخصية فقيدنا المربي على التربية والتعليم، بل كانت هذه حلقة من حلقات سيرته العطرة إذ بدأ حياته مجاهدًا مع المجاهدين في الثورة العربية السورية ضد الفرنسيين الغزاة، وكثيرًا ما راوح في بداية حياته بين التعليم والجهاد وكأنه أراد عليه رحمة الله أن يربط بين جهاد النفس، وتربية الجيل، وإعداده من جهة وبين جهاد الأعداء والمستعمرين، واستعمال القوة العسكرية من جهة أخرى.

لقد مضى أبو عادل إلى جوار ربه بعد عمر مديد يزخر بالقول الطيب والجهاد الصادق، والعمل الصالح إن شاء الله، واختار أن يلقى ربه وهو ساجد بين يديه، وهو أقرب ما يكون إلى ربه لقوله عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون المرء من ربه وهو ساجد».

فهنيئًا لك يا أستاذنا، حياتك الثرة بالخير، وهنيئًا لك لقاءك ربك وأنت ساجد، في محراب صلاتك له، والله أسأل أن يتغمدك برحمته وأن يلهم أبناءك، وذويك الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة الصحافي الأستاذ تيسير ظبيان

أما وقد طويت تلك الصفحة المشرقة الوضاءة من سجل النهضة العربية، وخبا ذلك النور الساطع في سماء الأردن فخليق بي أن أحفظ للجميل جميله وأن أقول كلمتي في الفقيد الكبير الذي فجعنا به في هذين اليومين المرحوم (جميل شاكر) رفيق العمر في الدرب الطويل الذي قطعنا مراحله واجتزنا أشواطه في ساحات الوغى، وفي ميادين الجهاد، وفي حلبات النضال السياسي وفي حلقات التربية والتعليم وفي مجالات الأعمال الخيرية والمشروعات الإنسانية.

فقد كان الفقيد رحمه الله مثالاً يحتذى في الوفاء والصدق والنَّزاهة والإخلاص ومكارم الأخلاق وطيب الشمائل.

كان مرهف الشعور، سليم الطوية، جم النشاط، عميق التفكير، حاضر الذهن سريع البديهة حتى اللحظات الأخيرة من حياته الحافلة بجلائل الأعمال.

كان قلمه سيالاً، وذهنه وقادًا، وثقافته واسعة في مختلف المجالات الدينية والأدبية والتاريخية.

كان حديثه عذبًا زاخرًا بالطرائف المستظرفة، والنوادر المستملحة وما زلت احتفظ بطائفة من هذه الطرائف والنوادر التي كان يتحف بها مجلة الشريعة من حين لآخر وبرسائله القيمة التي تتقد حماسة وتنطوي على أسمى ما يحمله إنسان من شعور فياض، ومثل عليا وأهداف سامية.

لقد كان رحمه الله في طليعة المساهمين في إقامة كيان الدولة السورية وليدة الثورة العربية الكبرى في العهد الفيصلي عام ١٩١٨م وكان له القدح المعلى في إشعال نار الثورة الوطنية في ربوع (حوران) على أثر احتلال فرنسا للوطن السوري، وقد أفضت هذه الثورة إلى مصرع رئيس الحكومة السورية وبعض وزرائه الذين أوفدتهم السلطات الفرنسية لتهدئة الخواطر وتلطيف حدة الجو في تلك الربوع.

أما في مجال التربية والتعليم فحسبي أن أسجل في هذه العجالة أنه كان أول مدرّس وفد إلى الأردن من دمشق عام ١٩٢٠ وتولى إدارة مدارس قضاء (إربد) وأمضى في هذا المجال – مجال التربية والتعليم – نحو أربعين عامًا فكان مثال المربي الفاضل والمدير الحكيم والأستاذ القدير.

وعلى الرغم من قيامه بأعماله الرسمية في المدارس والمعاهد فإنه كان على صلة وثيقة بالحركات الوطنية في الأردن وفلسطين وسورية حتى أنه بادر إلى امتشاق السلاح عام ١٩٢٦م حين اندلع لهيب الثورة الوطنية في سورية بقيادة البطل الكبير (سلطان باشا الأطرش) وتخلى آنئذ عن أعماله ووظيفته الرسمية، واشترك في قتال المستعمرين الفرنسيين مع رفاقه في الجهاد: الدكتور شهبندر، وخالد الخطيب، ومحمد الأشمر، وعادل أرسلان، وحسن الخراط، وعز الدين الجزائري، وغيرهم من الشهداء الأبرار الذين قضوا نحبهم في ساحات القتال في الغوطة وجبل العرب.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وطيب ثراه، وجعل الجنة مأواه، وألهم آله وذويه ورفاقه في الجهاد وأنجاله الأعزاء الصبر والسلوان.

❖❖❖



صاحب المذكرات جميل شاكر بلباس الحج ١٩٢٤ م

كلمة شاعر شباب فلسطين محمود الأفغاني[٧١٤]

فحبذا الموت.. بعد القدس والحرم

يطويه الردى.. من الرعيل الأول الذين أدوا واجبهم بأمانة وإخلاص وشرف. عاش للتربية والتعليم والتأليف والصحافة ومات محبوبًا من الجميع. تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأصدق التعازي إلى أهله وذويه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بالأمس غردت شعرًا رائع النغم ... بذكر مَنْ جاهدوا بالروح والقلم

غردت شعري بمن شادوا ومَنْ رفعوا ... منائر العلم والأخلاق في الأمم

ومَنْ أناروا دروب المجد ساطعة ... بعلمهم، فأضاءوا حالك الظلم

ومَنْ يموتون كي تحيا شعوبهمو ... حياة عزّ ومجد غير منصرم

معلمي الجيل مَنْ أفنوا حياتهمو ... ليبعثوها بروح الجيل في الهمم

ومَنْ سواهم جدير بالفخار إذا ... تفاخر الناس كل الناس بالقيم

أخي، أبا عادل، عفوًا، ومعذرة ... فما أقول؟ وقلبي ذاب من ضرمي

أتذكر اليوم ما كنا نداوله ... من الحديث عن الإسلام والذمم

وعن فلسطين، عن قومي ومحنتهم ... وما يلاقون من ويل ومن ظلم؟!

وكم تحمل شعبي فوق طاقته ... من المظالم؟ ما أربى على الديم

وكم تساءلت أين العرب والهفي؟ ... أين البطولات؟ أين الأسد في الأجم؟

متى يهبون من أجداث غفلتهم؟ ... متى يفيقون يا رحمان من حلم

وكم تمنيت أن تلقى المنون غدا ... مجاهدًا عند أقصى سيد الأمم

لكن قضيت، وما زالت قضيتنا ... تلهو بها في صغار «عصبة الأمم»

فما أقول؟ وما يجدي الكلام؟ وما ... يجدي القريض؟ وكل العرب في صمم



(٧١٤) محمود عبد الحميد الأفغاني: لقب بشاعر شباب فلسطين، وُلد في يافا عام ١٩١٢م وتتلمذ على أيدي أساتذة وعلماء أجلاء. كان عضواً في عدة مجامع لغوية وتوفي في ١٩٧٨/١١/٤م. له ديوان شعر وطني «ديوان الأفغاني» يقول فيه:

لا عيد إن لم تعد أرضي محررة ... من اليهود ويعلو فوقها عَلَمي

أخي، أبا عادل، والموت فرقنا ... وكلنا سائر في الدرب عن رغم
لكن في مهجتي نارًا، وفي كبدي ... من أمة العرب نار الحقد والنقم
فلا تلمني إذا ما غبت عن رشدي ... ولا تلمني إذا ما قد قست كلمي
فكم أبيت على النيران أصهرها ... في خافق قد تنَزى بالدم العنم
ضاعت فلسطين، والأقصى، وأهله ... ما بين مصطرع الإعراب كلهم
ناموا على الضيم في أوكار غفلتهم ... صرعى خصام.. فوا ذلاه للشمم
فحبذا الموت والإسلام منقسم ... ما بين مختصم منهم، ومنهزم!!
وحبذا الموت والإسلام قد أفلت ... نجومه الزهر في سهل وفي أكم
وحبذا الموت بعد الأهل في وطني ... وحبذا الموت بعد القدس والحرم

❖❖❖

أخي، أبا عادل ماذا أقول؟ وقد ... أفنيت عمرك تبني راسخ القدم
بنيت لله، في صدق وفي جلد ... ما قد تشاء العلى في قمة القمم
تعلم النشء ما يبني حياتهمو ... ليبتنوا المجد خفاقًا.. بعلمهم
فحسبك اليوم أن أديت ما رضيت ... عنه العلى يا فقيد العلم من خدم
وللمكارم ما حملت من نصب ... وللمهيمن ما قدمت من ذمم
فاسكن جنان خلود الله مغتبطًا ... برحمة الله، وأنزل خير معتصم
أما فلسطين فالرحمان حارسها ... يحمي حماها ويرعاها بكل كمي
للبيت رب.. فإن نامت عروبتنا ... عن اليهود، فعين الله لم تنم

❖❖❖

كلمة الشاعر محمد منصور
عاش ثائر

المـنـايـا.. سـهـامـهـن بـواتر   يـتـخـيرن.. يـنـتـقين الجواهر
كـلـنـا في انـتـظـارهـا تتغشى   كـل مـن حـان حينه كـي يسافر
عـائـدًا لـلـمـصـير لا بـد منه   ومـصـير ابـن آدم للمقابر
كـلـنـا صـائـر إلى الله بالمنايا   والمـنـايـا.. أسـبـابـهـن كواثر

❖❖❖

كأبي عـادل.. جميل بن شاكر   بـعـد سـبـعـين كـلـهـن منائر
عـاد لله مـطـمـئـنًـا رضيًا   مـالـئًـا عـمـره ببيض المفاخر
من رجـالات سوريـا.. من ذراها   ثـائـر في سبيلها.. عـاش ثائر
لا يـبـالي بـغـير كـر وفر   في سبيل الجـهـاد ظـل يغامر
ذا سلاحين في الميادين سيف   ويـــراع جــد بـاتر
هـكـذا سـيرة الهـمـام جهاد   في جـهـاد.. ميـامـنًـا ٍ ومياسر

❖❖❖

«فأبـو عـادل ورهـط النشامى»   عـاطـر في المـدى فـسـمـاه بـاهر
روحـه في الـسـمـاء تعلو علوًا   بـين أمـثـالـه هـنـاك الجواهر
رحمـة الله من حواليـه تترى   رحمـة الله لـلـفـضـيـل تسامر
وعــــزاء لآلــه وذويه   كـلـهـم مـثـلـه، ونِـعـم الذخائر

❖❖❖

تأبين الصحف:
«كلمة المحرر»: للصحافي فوز الدين البسومي

طافت بي الذكريات وأنا أطالع نعي جميل شاكر الخانجي، واستعدت في ذاكرتي شريطا من الذكريات والأحداث لا أنساها.. كان ذلك في عام ١٩٥٢م وكان المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، وفي رحاب الأقصى بالذات كنت يومها منتدبًا لمرافقة المناضل التونسي المرحوم محيي الدين القليبي، ورغم الإجهاد الذي كان يبدو على وجه الرجل. فقد تحمل مشقة التطلع إلى النصف الآخر من شعبنا والذي يعيش في النصف الشمالي من قرية بيت صفافا.. كان أفراد الوفود يزورون تلك القرية. وكان أهالي القرية ينظرون إلى المؤتمرين وكأنهم يناشدونهم يوم الخلاص. يومها شعرت بيد تربت على كتفي، وألتفت.. كان الواقف خلفي رجلا مهيب الطلعة... أبيض الوجه يطفح البشر منه سألني الرجل يومها: من أين الأخ؟ ثم ألتفت إلى المرحوم القليبي وأنا أهتف: إنني أرافق هذا الرجل الذي طلبت رأسه القوات الأجنبية أكثر من مرة.. قلت: وأنت.

ضحك وهو يقول: لو كنت من الجيل الذي تعلم في مدارسي لعرفتني.. كلماته التي ألقاها على مسامعي.. ألحت علي أن أعرفه.. فرحت أسأل بعض أعضاء الوفد الأردني للمؤتمر: من هذا الرجل؟

قال بعضهم: إنه جميل شاكر أحد رجال الرعيل الأول في البلد.. ودارت الأيام لنلتقي فيما بعد في مناسبات شتى.. وكان الرجل يتمتع بذاكرة قوية.. ويروح هو يسألني: أتذكرني؟ قلت: أجل التقينا في القدس.

أشاح الرجل بوجهه وهو يتمتم: لابدك أنك كنت تلميذًا من تلاميذي .. لأن كل تلاميذي يحبون بلادهم مثلك.

في اللحظة التي مات فيها جميل شاكر كان يضع رأسه على المصلى يؤدي الركعة الأخيرة من صلاة المغرب.. فقد أبى أن يرحل قبل أن يتمم واجبًا عليه علمه كيف يكون مربيًا لجيل لا زال يذكره بالخير والعرفان.

رحم الله جميل شاكر الخانجي بقدر ما قدم لأمته. وما أسدى لأبناء هذا الجيل وعزاء لأسرته.



كلمة الصحافي الأستاذ أسعد حمّاد

انتقل إلى رحمته تعالى مجاهد كبير ومرب فاضل هو الأستاذ جميل شاكر، لقد كانت حياته حياة جهاد وكفاح، جهاد في سَاحة المعارك في الثورة السورية والثورة العربية الكبرى، حيث نضاله مع أخوته ضد الاستعمار الفرنسي، كما أثار أهل حوران ضد الفرنسيين فحكمت عليه السلطات الفرنسية بالإعدام وصودرت أملاكه، فأتى إلى الأردن وواصل الكفاح منذ عام ١٩١٨م حيث عمل مديرًا في تربية النشء لأكثر من خمسة وأربعين عامًا.

في إربد والكرك وجرش وسوف وعجلون والسلط وعمان وأصبح تلامذته يحتلون مناصب رفيعة.

ونال خلال فترة جهاده وكفاحه وسام النهضة من جلالة المغفور له الملك الحسين بن علي ووسام الاستقلال من سمو الأمير والمغفور له علي بن الحسين ووسام التربية في عهد جلالة الملك حسين المعظم.

ويعتبر المرحوم من رجال الرعيل الأول الذين ساهموا في نهضة الأردن التربوية والتعليمية.

وكان رحمه الله عضوًا في لجنة رعاية شؤون الحج وعضوًا في رابطة العلوم الإسلامية وعضوًا في لجنة تعليم أبناء أسر الشهداء وكان ذا اطلاع واسع وله مقالات ودراسات كثيرة نشرتها الصحف والمجلات المحلية كما وردت نبذة عن تاريخ حياة المرحوم وكفاحه في كتاب الأيام الحمراء لسعيد العاص وفي كتاب تاريخ الأردن في القرن العشرين وقد اشترك في ندوات نظمتها إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية عن تاريخ الأردن في العشرينات والثلاثينات، كما طلبت منه دائرة المطبوعات والنشر تزويدها بالمعلومات التاريخية عن تلك الفترة من تاريخ الأردن، وكانت حياته كلها عملاً دائبًا ونشاطًا في كثير من المجالات وحتى آخر لحظة من حياته كان نشاطه مثار الإعجاب والتقدير من جميع معارفه حيث كان شعلة في فترة كانت البلاد بحاجة ماسة إلى أمثاله، وقد انتقل إلى رحمته وهو في الصلاة مستريح البال مطمئن الفؤاد، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه الجزاء الأوفى بما قدم لأمته ووطنه.



كلمة الأستاذ عيسى الضمور

كان المرحوم جميل شاكر الخانجي مثلاً شامخًا في متانة الخلق، وعزَّة النفس، ورجاحة العقل ونزاهة المقصد والإيمان العميق بالله وبقضائه وقدره.

وكان يعتقد جازمًا أن عمل المعلم يتعدى الوقوف عند الحصص والدروس في حجرات الصفوف والمدارس، ولذا كان دائم العطاء والمشاركة في كل النشاطات والمناسبات القومية دائم المطالعة، والكتابة حول الأمور التي تهزه للكتابة من شأن عام، أو كتاب له أهمية قرأه. وهذا كله ينبع عنده رحمه الله من فهم حقيقي لدور المعلم وهو دور متكامل شامل، يتناسب وشرف مهنة التربية والتعليم وقدسية رسالتها، وعمق تأثيرها في إقامة صرح بنيان الأمة وتوطيد السبيل أمام مستقبلها وسؤودها. فكان بهذه الصفات والسجايا المعلم الحق والإنسان العامل المتفاني.

رحم الله جميل شاكر الخانجي وعوّض الأمة بكثير من أمثاله.



الفارسة المقاتلة

في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الأحد ٢٨/١٠/٢٠٠٧م الموافق ١٧ شوال ١٤٢٨هـ غيّب الموت (حفيدة صاحب المذكرات) – منال – ابنة المؤلف الأستاذ نشأت جميل شاكر الخانجي المولودة في ١/١/١٩٦٤م عن عمر لا يتجاوز (٤٣) عامًا. أسلمت الروح لبارئها وتركت خلفها (بنتان وولدان صغيران). وقد نشرت هذه الكلمة التأبينية في (جريدة الغد الأردنية العدد ١٢٤٢ تاريخ ١٠/١/٢٠٠٨م) وكلمة تأبينية أخرى في (جريدة تشرين السورية العدد ١٣٣٢ تاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٨م).



ثمة أُناس لا تتسع لهم الحياة... يعاجلهم الموت ولا يمهلهم المرض. ففي نهاية العام المنصرم رحلت ابنتي الكبرى إلى بارئها في عمر الورود... وتبدو استعادة

ذكراها موجعة مؤلمة لأن فيها إحساس شديد بالفقد، وتجديد دائم للحزن.!!

❖❖❖

لملم العام الماضي أوراقه وأشياءه وذهب بخطى باردة وئيدة بأحزانه وأتراحه وآلامه وآماله في صورة احتفالية باهتة!! خطف النوم من عيوننا وأعلن الحرب على الفارسة المقاتلة ابنتي الكبرى «منالٍ» ذات الروح الوثابة والشعلة المتقدة، وصبَّ المرض جام غضبه على أمومتها متكئًا على المساحات المختزلة من جسدها النحيل وأوردتها وشرايينها المُتعبة، واتخذ من كيانها المُرهف بؤرة لنشاطاته المختلفة، وعزف نشيده في تجويف صدرها، فنبتت زنابق الموت في رئتيها، وألقى خلاياه تتدحرج في كريات دمها، متجولاً بأصابعه الأخطبوطية في كل أنحاء جسمها، حتى ذوى عودها وانتصر الموت عليها كنهاية أبدية. اختارت لحظة انتهاء الأجل لتتحرر من أسمال الحياة وتعود للاستراحة في رحم الأرض، مُعلنة بشفافيتها المعهودة في ليلة القدر أنها ستذهب للقاء ربها بعد «ثلاث»... وكانت تسأل دومًا كم يومًا بقي من الأسابيع الثلاثة الباقية للرحيل ولقاء الحبيب في أزمنة وفضاءات أخرى عُلوية بعد أن أغراها السُرر والأرائك والحور العين والولدان المُخلَّدون.

أَهَلْنا على قبرها التراب الذي بدأت به وانتهت إليه والدمع في الأحداق، وأورينا تلك الإنسانة التي امتلأت بالحياة وأحلامها. «أم عمر» كانت مسكونة بحب بيتها وأولادها تُحصي الحروف على لسانها لترسم خفقات قلبها. سمحت لنفسها على غفلة منا بالرحيل تحمل أوراق الورود والرياحين لتستعيد ذكريات فرح ابنتها الكبرى وضحكات صغيرها. راوغت كل المتاهات في مقاربة رسمت كلها بلغة التفاصيل ووضوح الرؤية، لتتأمل منظر الغروب الدامي على الشاطئ وهو يشق طريقه في البحر اللازوردي. أكاد أجزم أنه لم يكن لها عدو يكرهها أو مبغض يسيء إليها.. أحبت الجميع وجمعتهم إلى مأدبة وداع قبل رحيلها.

كانت مُعجبة بالكاتب الكولمبي «غابرييل غارسيا ماركيز» الذي أنهكه المرض الخبيث وحوّل فكرة الموت إلى الحياة: «سأحلم كثيرًا وأنام قليلاً مدركًا أن كل لحظة نوم خسارة لستين ثانية من النور. لو شاء ربي أن يهبني حياة أخرى سأُبرهن للناس كم يخطئون لو اعتقدوا أنهم لن يكونوا عشاقًا متى شاخوا فهم لا يدركون أنهم يشيخون لو توقفوا عن حب غيرهم». اختصرت محنتها بصمت وذهبت بكبرياء إلى الموت، مبتسمة راضية مرضية بأناقة المدعوّ إلى حفلة عرس بعد أن استودعت الله في بيتها وأولادها.

وبقي دولاب الحياة مثابرًا على دورانه لا يتوقف، وغفت الفارسة في نومتها

الأبدية مفتونة بالأقمار التي تركتهم خلفها، والزمن يمضي في ثنائية الروح والجسد وجدلية الحياة والموت والحضور والغياب، متحررًا من الأمكنة وموجوداتها، مستلبًا عمر الورود في أوان تفتّحها.

خطف الموت الفارسة المقاتلة التي حاولت أن تنتصر على مرضها، وتصغي إلى أنفاس صهيل الخيل وحديث الأبراج وطوالع الأفلاك، فتداخل نسيج عمرها عبر فضاء تخييلي بين أروقة دهاليز المشافي وعالم الأسرّة البيضاء، مشرئبة في هزيع الليل الأخير تستطلع شرفات الغيب، مُدينة الضعف البشري.. صامدة أمام عجز الدواء في وقف نزيف الدماء..!!

وتوقفت كل المحاولات، وباءت كل الجهود، وأُغلقت كل الحدود، لكنها بقيت الأكثر قُدرة على تفكيك طلاسم الحياة وتطويعها وإخضاعها لمخزونها الإنساني، فكانت تمتلك ناصية الحاضر وأفق المستقبل، لكنها فشلت في قراءة شيفرة مرضها الذي أنهك جسدها، مما سبَّب لها مأزقًا وحَرَجًا جعلها في حالة تشتت وتوتر دائمين.

تسلّحت بإرادة لا تلين لمقاومة هذا الدخيل الغادر إلى جسدها النحيل، وتضاعفت إرادتها حتى تتجاوز المحنة وتقارب إسقاطات الحياة وتوازي متطلبات الأسرة، لكن المرض الخبيث اللعين اغتال شبابها الغضّ وحكايات عمرها وصرخات الأحلام في لحظات الاحتضار.

استجمعت كل قواها لتحرير علّة وجودها كهوية تميزها عن غيرها، وانطلقت روحها حرةً طليقة شامخةً متجاوزة كتل اللحم والدم إلى عالم علوي أرحب وأوسع... فكان الموت محطةً رحل إليها الجسد المرهق.

وسقطت الأحلام البرتقالية وزهرات أشجار الكرز أمام الشفق الناريّ الأحمر يقتلها أرض الواقع، ووطأت أقدام القَدَر العائد بقوة الحلم الوردي وحطّمته.

وأسلمت الفارسة المقاتلة الروح بين يدي... سكبت أنفاسها وأسبلت جفنيها في الوداع الأخير، وأقفلت رحلة الحياة بالموت هاتفة بالرغبة الأبدية، تاركة ثيابها معلقة في البيت، وصغارها عراة في الحقول باحثة عن خصوصية المكان، لترفع الراية البيضاء وتخلد إلى النوم الأبدي..!!

نشأت «جميل شاكر» الخانجي
nashat@khanji.info



وتنكأ الأيام الجراح ! !

أسرار الكاتب وعذاباته يبوح بها لقلمه، فتتدفق الحروف كشلال، وتتجمع المفردات في كلمات حتى تأسرنا وقع الكلمات أو تهز الضمير والوجدان..!

في خريف العمر نعيش معركة مبارزة مع الحياة، والحياة كالدواء المرّ لابدَّ أن نتجرعه كي نشفى..! والعمر يمضي وعقارب الزمن لا يمكن أن تعود إلى الوراء..!!

في مثل هذا اليوم منذ عام واحد مضى غيّب الموت ابنتي الكبرى «منال».. وتتجدد الأحزان كل عام..!

إذ ثمة أُناس يولدون للموت المبكر، يتوهجون كالشهب... يشعلون الشموع بأيديهم من طرفيها حتى يتآكلها اللهب، فيكون النور أبهر والعمر أقصر، وهم مأخوذون بالنور الأبهر..!! يزرعون في رحم الأرض اليباب الحضور والغياب المثقل بالأحزان، ويضؤون المحراب صلاة وابتهالاً ونذورًا..!!

حتى اليوم لا يَزال يُربكنا الغياب القسري ونشعر بضعفنا وعجزنا وقهرنا وتآكل صبرنا، ونحن نحاول لملمة حطام الذات لاستعادة النهوض وترميم الأنفاس وردم فجوة الزمان..!

نحاول إسكات الأيام وتدجينها، وإخراسها بقوة حتى لا تراودنا الذكريات..!! أدمنا تناول المسكّنات، فأشواق الأرواح تتكاثف بسرعة تكاثف الغيوم في كبد السماء، تتماهى مع ما يختزنه الوجدان، فتنبض الشرايين وترتد الذكريات تلقائيًا، وتشتعل الأشواق بدقائق ولحظات..!! والصورة بقيت ملء القلوب والأسماع لم تفارق المخيلة والوجدان رغم تساقط الأحداث التي تفقد الاتزان..!! يسكننا حنين مضن.. وظلال حزينة ارتسمت انعطافاتها حروفًا خجولة تمور مفرداتها في حيرةً ورعشة..! مسكونون بالعاطفة ونتظاهر بأننا أقوياء وعيوننا تدمع بالحب والحنين... والحزن الدفين..!

نحاول عبثًا تفريغ أحزاننا، وإخماد نيران الأشواق التي تتفجر في أعماقنا، وفي صدورنا صناديق قهر مكتومة لا نستطيع استبدالها أو ترحيلها، وبين أضلعنا حزن مسكون بأهات طاغية..!!

الموت لم يكن يومًا غيابًا مطلقًا، هو محطة يرحل إليها الجسد المرهق في لحظة العبور إلى الأبدية ليتساوى الموت مع الحياة..!!

لغة الذكريات العصيّة على الترميز تتفجر في الأعماق وتتجدد في

مسرح الحياة..!!

ترافقني ابتسامتك دائمًا، حتى عندما قال القَدَر كلمته الأخيرة بقيت ابتسامة الموت مرسومة على الشفتين لا تفارقهما أبدًا..!

لم يفارقني الذهول وأنا أرى حراكها عكس مسار الزمان – الذي أضاع اتجاهه – وهي ترسم خط النهاية في الرحلة الأبدية، وتقدّم الجسد المنهك والروح الوثابة كقربان، ولا تتوقف عن تعداد الأحلام. كانت تدهش الجميع برفيف الروح المرهفة، وصدق تأويل الرؤيا، والألق الدائم والحضور الآسر..!! وعندما كانت ترمق أطفالها الصغار بإعجاب كانت تسرّع عقارب الزمن، وتقبض على اللحظة في الوجدان والصرخة في الأعماق، وتبحث في كيمياء الدواء عن الترياق، وهي تحتفظ بالموت كسّر صامت في خلايا الجسد..!!

كنت أراها وهي ترزح تحت وطأة المرض اللعين، فتلجأ إلى كتاب الله وتقف بين يدي ربها راضية مرضية الساعات الطوال لامتلاك الطمأنينة وطلب العون الإلهي لمواجهة الأوجاع والآلام والضغط النفسي والتوتر العصبي.

كانت تدهشها ألوان الياسمين والبنفسج وتدغدغ الأحلام في داخلها، وورود الأقحوان تطرّز الفستان الأسود وهي تختال به كعروس في عرس ابنتها الكبرى، حاملة أحلامها وطوالع أبراجها في مقاربة للسؤال المسكوت عنه..!!

وهاأنذا استدعي طفولتك الأولى وأنا أحملك بين ذراعي وأنت تزدادين تفتحًا وحيوية ودهشة، حتى غدوت صبية تخترقين القلوب في ظل متغيرات اكتمال النضج والعطاء.

ففي الخريف يسقط كل شيء... إلا الماضي يبقى بكل ألوانه وأطيافه يسكننا، ويهيمن بذكرياته وحضوره وثقله كقطع فسيفساء صغيرة تتجمع لتشكّل لوحة زيتية تتزاحم فيها الظلال وتتراكم الأحلام بكل التفاصيل الصغيرة والمتروكة..!!

اختارت لحظات الاندهاش وتخلصت من أثقالها في لغة صامتة، متجاوزة كتل اللحم والدم، ضامنة لنفسها حالة صوفية صاخبة نادرة في دائرة (السريالية) الصارمة دون حدود فاصلة وجدران عازلة، وجسّدت (اليوتوبيا) بوصفها النموذج الأمثل لحلمها الإنساني، وعاشت في سباق مع الزمن تلك اللحظات المتأرجحة الحرجة بين الحياة والموت، تختصر المسافات وفصولها الأخيرة في ومضات خاطفة وإيقاعات سريعة في محتواها وإيحاءاتها، مثيرة في أحداثها، غريبة في تداخلها..!!

استعيد الزمن معك يومًا بيوم وساعة بساعة... والزمن في متناول اليد لا يتخلف أبدًا... يوم قلت – وكنتِ تعدّين ابنتك الكبرى وتجهزينها لزوجها

– بأنها تحب أختها الصغرى كثيرًا لدرجة أنها كانت تعطيها ملابسها التي تلبسها لارتدائها، وتضطرين أنت دائمًا لشراء ملابس جديدة لابنتك الكبرى لتلبسها..! فقد تركتِ وراءك غيمة دون أشرعة وتوأمتان وناي حزين..!

ثمة ينابيع عطاءٍ فيك تتدفق من الأعماق لا تنضب، وأحاسيس خيّرة تتفجر نقاء تسقى العطاشى لا تهدأ، وأزاهير ياسمين بكل ألوان الطيف تتفتح أكمامها أمامك في ديمومه استثنائية.

كم انتظرتِ لحظات الاستدعاء.. عبر اللحظة العابرة والمتشظية..! أفضت إليك السماءِ بأسرارها، وفتحت لك أبوابها، وانطلقت مآذنها تكبّر مبايعة على الفردوس الأعلى وجنان الخلد والسرر والأرائك والولدان المخلّدون..! وكانت الآجال تتراقص لاهثة معلنة عن سلطانها في كل البطاح تخفي وطء الجراح لتساقط الثمار! ويضيع الليل مع تباشير الصباح ويموت الكلام في أحداق العيون، وتنطلق الروح بلا حدود محطمة القيود متجاوزة الجاذبية الأرضية لعناق الضوء.. فتهز الثابت في يقينه وتقلب الموازين.

كانت تتوجع صمتًا وتتجشأ ألمًا.. احتفظت بالآلام وكابدتِ الأوجاع، وأخفت معاناتها عن أطفالها الصغار، واستوقدت من آلامها أملاً، وانشغلت بقضايا غيرها وهي تحمل على كتفيها همومهم وتشفق على قضاياهم وكأنها الشخص الأقوى.

راوغت كل سنين العمر، وكانت أحلامها تنزف حتى آخر قطرة.. فلم تعد مشافي لندن تنفع، ولا غرف العناية الفائقة تثير الدهشة..! حتى تلاشت نسمات الربيع وحان الرحيل والوداع الأخير.

والمتعبون يخترقون حواجز الصمت باقتدار، يعزفون سيمفونية الرحيل ليدقّوا أبواب الجنان...! يشعلون أنوارًا تتلألأ، ويلبسون ثياب خضر واستبرق، متكئين على الأرائك، يغريهم الظل الظليل والقطوف الدانية، كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الماضية.!!

ويسكن الكون ويغفى في ابتهال ومناجاة وسجود..! ويُنحت الاسم ويوم الرحيل على صلصال يتصدع ولوح رخام يتكسر..!!

وتنكأ الأيام الجراح لتداعب بكائية الرحيل، فتتصدع الأرض وتتفجر البراكين وتتأجج النيران المشتعلة من لوعة الفراق..!

وتنتفض الأشواق، وتفور العواطف، وتلتهب المشاعر، وتتفجر الدموع في الأحداق..!

رحيلك يا (منال) مازال عصيًا على الاستيعاب، ومازلنا نترنح تحت وطأة المصيبة وكأننا تناولنا نبتًا شيطانيًا..!! مخدّرين سُلبت منا الإرادة والمناعة.!!

والكلمات خرساء شوهاء... والشوق نيران مختزنة تحرق الفؤاد... فكيف نخرجها يا ابنتي من أعماق الوجدان؟ وكيف نغيّر الأقدار بعد أن جفّت الأقلام وآثار أقدامك مطبوعة على عتبة الباب وقد كشفت الرمال آثار الأقدام..!!

نشأت «جميل شاكر» الخانجي
nashat@khanji.info



صاحب المذكرات جميل شاكر بلباس الثوار



أعضاء رابطة رجال الثورة السورية : (من اليمين) فوزي البيطار - عمر الأرناؤوط - عبد الحميد حجازي الكيلاني - نشأت جميل شاكر الخانجي



أبناء جميل شاكر الخانجي يرحبون بالداعية الاسلامي الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني (الثالث من اليمين)

رابطة رجال الثورة السورية

تأسست رابطة رجال الثورة السورية عام ١٩٥٥م ترخيص رقم (١٢٠٤٩) تاريخ ١٣/١٢/١٩٥٥م. وكان مقرها الأول في ساحة عرنوس. كما كانت اللجنة التنفيذية العليا مؤلفة من سبعة أشخاص. وقد تحوّل الاسم من «رابطة المجاهدين السوريين» إلى «رابطة رجال الثورة السورية» عام ١٩٥٩م، كما افتُتِح المستوصف الخيري في مقر الرابطة.

وقد تعاقب على رئاسة رابطة رجال الثورة السورية بعد أن افتتحت فروعًا لها في حلب وجبل العرب والقلمون السادة:

نسيب البكري – نزيه المؤيد العظم – نجيب عويد – علي الأطرش – سعيد غنيم[٧١٥] – زيد الأطرش – زكي الركابي – عبد الرحمن حمزة – أسعد عمر دياب – كامل دغمش[٧١٦] – فوزي البيطار[٧١٧].

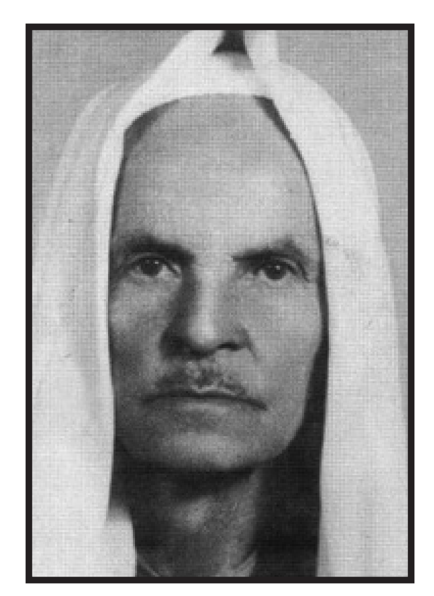
- عمر بن محمد علي أرناؤوط (أبو فواز): من مواليد دمشق ١٩٢٠م. اعتُقل أكثر من مرة زمن الفرنسيين. تطوّع بجيش الإنقاذ مع فوزي القاوقجي وطه باشا الهاشمي عام ١٩٤٨م في فلسطين ونال وسام الحرب. انتُخب في مجلس محافظة دمشق ونائبًا لمدير رابطة المجاهدين.
- الحاج عبد الحميد بن الشيخ محمد حجازي الكيلاني (أبو ظافر): من مواليد قبر عاتكة بدمشق عام ١٩٣٤م. نشأ يتيمًا في كنف والدته شاهندة بنت رشيد الزعفراني ودرس في المعهد العربي الإسلامي. أعمامه من الثوار: الشهيد سعيد والشهيد منير ومحمود ورسلان

(٧١٥) سعيد غنيم: وُلد بدمشق في حي سوق ساروجا عام ١٨٩٩م، وتخرّج من مدرسة الضباط وتولى التدريب في الجيش التركي. حضر معارك الحجاز ثم انضم للثورة السورية والتحق بالقائد مصطفى وصفي السمّان في معارك الغوطة. تسلّم في أوائل الستينات رابطة رجال الثورة السورية لمدة عام. وتوفي عام ١٩٧٧م.

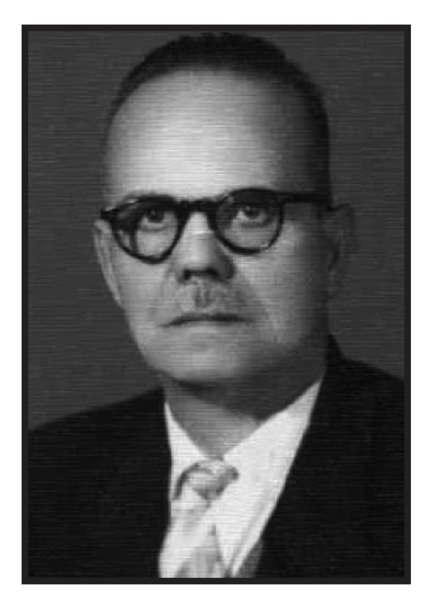
(٧١٦) المجاهد كامل دغمش: ولد المجاهد كامل دغمش في غوطة دمشق، «المليحة– البلاط» عام ١٨٨٢م. وكان أحد ثوار الغوطة الذين شاركوا في معركة ميسلون، ومعركة «الزور الكبرى». باع أملاكه التي ورثها عن أبيه لإمداد الثورة السورية بالسلاح والطعام. كما ترأس رابطة «رجال الثورة السورية»، وتوفي عن عمر يقارب المئة عاماً، في نهاية القرن العشرين.

(٧١٧) الحاج فوزي البيطار (أبو تحسين): تسلّم رئاسة رابطة رجال الثورة السورية عام ٢٠٠٤م بعد وفاة رئيسها. وهو من مواليد حي السنانية – شاغور بدمشق عام ١٩٠٤م، واشترك مع عصابة حسن الخراط وسجنه الفرنسيون في الجزماتية وافتكه والده بدفع تسعين ليرة ذهبية.

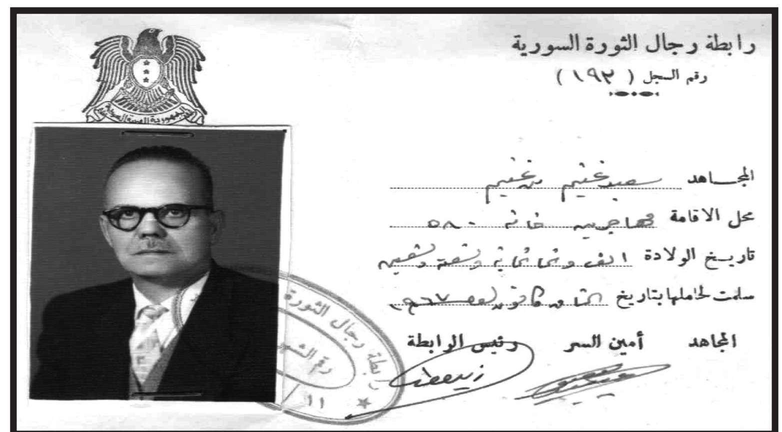
وعبد الغني وشقيقه أستاذ اللغة العربية المرحوم صلاح الدين. انتُخب مديرًا لرابطة المجاهدين وهو من المؤسسين لرابطة الخيول العربية.



المجاهد كامل دغمش



المجاهد سعيد غنيم



رابطة رجال الثورة السورية

رقم السجل (١٩٢)

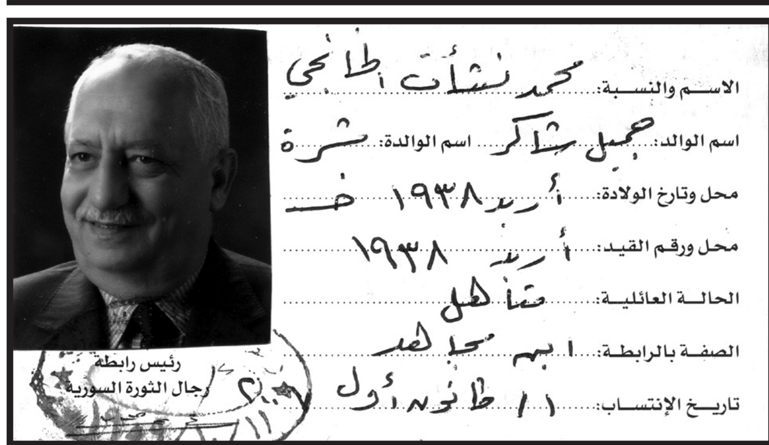
المجاهد: [illegible]

محل الاقامة: [illegible]

تاريخ الولادة: [illegible]

سلمت لحاملها بتاريخ: [illegible]

المجاهد   أمين السر   رئيس الرابطة



الاسم والنسبة: محمد نشأت الخانجي

اسم الوالد: جميل شاكر   اسم الوالدة: بشرة

محل وتارخ الولادة: إربد ١٩٣٨

محل ورقم القيد: إربد ١٩٣٨

الحالة العائلية: متأهل

الصفة بالرابطة: ابن مجاهد

تاريخ الإنتساب: ١/ كانون أول

رئيس رابطة رجال الثورة السورية

كلمة الختام

هذا الحب العظيم الذي زرعه جيل الرعيل الأول، في الأجيال الشابة التي أشرف على تربيتها أنبت الانتماء لكل ذرة من تراب الوطن، الذي أمعنت الصهيونية في تشويه أديمه، فسالت دموع أشجاره وهي تشكو ظلم وقسوة الغاصب المحتل وهو يجتثّها بجرافاته ليزرع حقدًا وكراهية وعداوة وجدارًا عنصريًا.

كما رسم جيل الرعيل الأول خريطة جديدة للمواطنة تعتمد على أسس وطنية قومية دينية ثابتة، مع ربطها بالثقافة الوطنية التي تعتمد على تعريف المواطن بهويته الوطنية وليس الطائفية أو العرقية.

وقد عملت هذه النُخب المثقفة[٧١٨] على تكريس الوعي بالمواطنة وثوابتها الوطنية فالوعي بالمواطنة بالنسبة لهم شرط لاكتسابها.

وقد تحمّل جيل الآباء والأجداد كافة التضحيات لمحاربة ومقارعة الغزاة المحتلين، وكان يُعبّر عن روح الأمة وضميرها، حتى تمَّ جلاء المحتل المغتصب عن أرض الوطن، ورفرفت أعلام الحرية والاستقلال فوق ربوع بلادنا وقد أحبوا الوطن وعاشوا من أجله، ومَنْ عاش من أجل الوطن أحبَّ أن يُستشهد في سبيله. إننا نعيش اليوم مرحلة صعبة وقاسية من تاريخ أمتنا، في واقع عربي مأزوم أسهم في تمزيق الأمة وتدمير وحدة صفها والوصول بها إلى الحضيض.

---

(٧١٨) الأدباء لا يموتون هم باقون في ضمائرنا وفي وجدان الأمة، يشعرون فيتألمون فيكتبون. بإمكان الأدباء والنُخب المثقفة من خلال إبداعاتهم في «أدب المقاومة» إشعال نار الثورة ضد العدو المحتل حتى تُوقظ كلماتهم النائمين! فالمقاومة رمز وتراث وثقافة قدّمت الأمثولة الحية لمعنى الإرادة في التحرر وعدم الاستسلام في جنوب لبنان وفلسطين، لهذا قدّستها الجماهير العربية والإسلامية في زمن الانهيار والانكسار. ولأن الأديب جزء من مجتمعه فهو ينخرط في قضايا الوطن والأمة والحرية، ويسخر قلمه لقضايا الوطن بكثير من الوعي والعمق الإبداعي، ويشارك أمته حياتها العامة وقضاياها الإنسانية ويتفاعل معها من خلال إبداعاته الأدبية. وعلى الأدباء تقع مسؤولية ترسيخ ثقافة المقاومة التي قاتلت العدو الإسرائيلي في ١٢ تموز ٢٠٠٦م في لبنان بشجاعة نادرة وهزمته، وأظهرت حقيقة الصهاينة الجبناء عندما يصبحون وجهًا لوجه أمام مقاتل من مقاتلي المقاومة فنحن قوم نحب الموت كما يحبون الحياة. وكانت تجربة المقاومة مع العدو مدهشة لكل وطني ومُربكة للمتصهينين في إقصاء غير مسبوق تاريخيًا. فجدلية المقاومة والإرهاب لا تزال حالة انتظار مستعصية غير قابلة للحل في واقع عربي مهترئ! علينا أن نعرّي أصحاب الحملات الظالمة من أقزام وسماسرة، مع حَمَلَة الخناجر المسمومة الذين امتلأت صدورهم بالحقد والكراهية على انتصار المقاومة، كما علينا أن نعرّي من ورقة التوت هؤلاء الذين تصوروا أن يكون بإمكان العدو إعادة إنتاج الوهم السابق من جديد، تحت إمرة أميركية! لكن قصور الرمال السابقة انهارت مع صهيل خيول المقاومة وصواريخها التي وصلت إلى غرف نوم قادة العدو.

وعلى النُّخب المثقفة تقع مسؤولية خلق جيل جديد يؤمن بقُدرات أمته ويكون انتماؤه أبدًا لوطنه ويكره الاستهتار بالقِيم.

لقد أنجبت أمتنا العربية عبر تاريخها الطويل مئات العظماء الأفذاذ، الذين كان لهم الأثر الكبير في استقلال الوطن. فهل يسجّل التاريخ أننا أمة تريد استرجاع ريادتها للأمم، أم يسجّل أننا أمة مستهترة مهزومة تلهث وراء الضياع والتردّي؟ وكأن الأمر لا يهمها، أو أن الفجيعة ليست فجيعتها.

لكن «المقاومة» قلبت كل الموازين والمفاهيم تحدّت جنود جيش الاحتلال وآلته الحربية التي كان يفاخر بها، ورفضت أن يرتفع صوت الهزيمة مع ارتفاع صوت المنهزمين، أو أن تنتصر ثقافة المتخاذلين. وبقيت ثقافة المقاومة مطلبًا وطنيًا بامتياز، لتبقى هذه الثقافة حية في نفوس أبناء الشعب تُرسل اشعاعاتها رغم التدمير وقوة الحديد والنار، وتختزن كل القيم السامية والمعاني الإنسانية النبيلة، وتسجّل في قاموس الوطن أنَّ المقاوم ثائر زُرع في الأرض التي انتمى إليها والتصق بها وسقاها بالمُهج والأرواح.

وقد أعادت المقاومة الألق لتاريخنا وأمتنا، وأعطت دفقًا قويًا للأجيال القادمة من أجل أن تنهض الأُمة من جديد، وتُعيد دورها وتثبت موقعها القيادي بين الأمم.

وحتى تبقى المقاومة هي المُعبّر عن أصالة هذه الأُمة عقيدةً وانتماءً وإرادةً، كان لا بدّ لها أن تشقّ طريقًا للأُمة عبر الهزائم المتكررة والانهيارات والانكسارات المتعددة في الجبهات العسكرية. والمقاومة ليست بالسلاح وحده فتلك وظيفة الجيوش المقاتلة بل هي أيضًا بالفكر والثقافة.

ورغم الخراب والدمار الذي حمله «دعاة الاجتياح الديمقراطي» من العنصريين والمتصهينين مع بدءِ هجومهم الجوي على العراق في آذار ٢٠٠٣م. ورغم الحزن المنثور مع نجيع الدم، لم تطأطئ المقاومة لهم الرؤوس ولم تخرّ الجباه. أنكرت النفوس الأبيّة تعويذة الموت، وخبّأت حزن الوطن بين أهداب العيون، واستقبلت الشهادة على طريق الخلود وهي تحمل صولجان الحق، والحق قادر دومًا على اجتراح المعجزات. وقد تكسّرت على صخرة إرادة المقاومة اللبنانية جميع الأحلام الوردية للغزاة، وانحسر المدّ الاستعماري بعد أن كان مكتسحًا كأمواج «تسونامي» وانهارت أمام إرادة المقاومة بيوت الرمال، لتنسج انتصارًا يُخلَّد في ذاكرة الشعوب. وتمضي أسطورة «دولة الجيش» الذي لا يُقهر إلى قيعان البحار، ويصطفق قلوب الملايين بنشوة الانتصار الذي أحرزته المقاومة اللبنانية، لتسقط أقنعة الصهاينة الجبناء تحت سنابك صواريخ المقاومة.

لقد حاول الغزاة المحتلون انتزاع هويتنا الوطنية أو محوها لتركيع أمتنا،

وتكريس ثقافة الانهزام وفرض شروط الاستسلام، ونزع السلاح المقاوم من أيدي المدافعين عن الوطن، وتفتيت عالمنا العربي إلى دويلات صغيرة، وزرع الفتن الطائفية والاصطفاف الطائفي والعرقي، تحت مظلة أممية وهجمة استعمارية شرسة، لوأد المشروع النهضوي.

وفي أيامنا أمسى توازن روحي وحضاري للمفكّر والمثقف العربي بأعراقه المتعددة، وعمل كل المواطنين في هذا المشروع النهضوي للأمة. فقد كان هذا المشروع يسكن في ضمير كل مواطن ويختلج في وجدانه، ويدور في أذهان وأجواء كل المفكرين والمثقفين، للخروج من حالة الفراغ وفقدان الذات التي كان يعاني منها مثقفنا العربي مع التحديات التي تقف أمامه.

كان الفكر القومي في أيامنا بمفهومه العميق هو الانتماء للوطن، والدعوة إلى الوحدة العربية التي تضم كل أعراق وتيارات الأمة من الوطنيين. أما المشاريع القطرية بنظرتها الإقليمية الضيقة فلم تكن مطروحة في الساحة كمرتكز في مشروع نهوض الأُمة رغم الثغرات والممارسات والسلبيات وحساسيتها التي شابت العمل الوطني في بعض الأحيان. لكن من المؤكد أن الجميع كانوا يعملون في إطار الوحدة الوطنية، ومواجهة دبابات المحتل وسياط الجلادين وضد التفِرقة والتشرذم والتقطرن محصّنين بانتمائهم للوطن. فتلاقت كل تيارات الأُمة وتواصلت وتفاعلت وتلاقحت مؤكدة على قِيم التسامح وعمق الروابط بين أبناء الوطن الواحد. ولسان الحال يقول:

تقضي المـروءة أن نمـدَّ جسومنا جسرًا فقل لرفاقنا أن يعبروا

أما الحرية التي روّجت لها قوات الاحتلال الغازية وجاءت بها على ظهور الدبابات، والديمقراطية الشوهاء واطروحاتها الاستعمارية التي بشّر بها «صموئيل هنتنغتون»[(٧١٩)] في كتابه «صراع الحضارات» والتي وصلت مع رائحة

(٧١٩) يعتبر (صموئيل هنتنغتون) في كتابه (صراع الحضارات) الذي صدر عام ١٩٩٣م أن الإسلام هو العدو الأول. وقد حثَّ أميركا على إعلان الحرب على الإسلام، وشحن النفوس الأميركية ضد كل ما هو غير أميركي، وإبراز الأميركي المنتصر في كل معاركه مع الآخرين. وكان يُعبّر عن مشاعر الحقد الدفينة والفاشية المعاصرة التي غزت العالم. وطالب «هنتنغتون» في كتابه «إعادة بناء النظام العالمي» بعسكرة المجتمعات تحت وصاية إمبراطور أعظم!! كما طالب في أُطروحاته بتحديث المجتمعات في العالم الثالث في ظل أنظمة «مستبدة» في خطوة استراتيجية لإعادة تشكيل العالم. ثم أصدر هنتنجتون كتابه (التحديات التي تواجه الهوية الأميركية) وقال: بأن العالم قد دخل في عصر المدّ الديني الذي يشهد صراعًا يتم فيه استبدال المعارك بين المعسكرين الغربي والشرقي بحرب ثقافية ودينية شاملة ضد الإسلام المقاتل أو الجهادي! وأن التعامل العسكري الممتد

البارود والأشلاء والدماء حرية دموية مبتورة وديمقراطية مزيفة عوراء. فالحرية تؤخذ وتُنتزع عنوة باقتدار ولا تُعطى منَّة ومنحة والديمقراطية تنبع من وسط نسيج المجتمع ولا تُستورد من وراء البِحار كالمعلبات!

ولا نزال نتتبع آثار خطى الرعيل الأول المطبوعة على أديم هذه الأرض نبكي فراقهم الموجع الأليم مرددين كلماتهم حاملين صدى أنفاسهم، فالكلمة أقوى وأمضى سلاحًا من السيف، لأنها هي مَنْ يصوغ وجدان حامل السيف وصانعه ترسم ملامح الفرح على الجباه الوضَّاءة، وتحفر أخاديد الشموخ فوق الجدران والحجارة الصامتة، لتتسلق عليها أنوار الأمل ونحن نردد ونقف أمام عظمة التاريخ العابق بالأرج والعطر:

بـــلادي صبــاحــك وردٌ وعنبــر   وأنــت مــن الــوردِ أحلى وأنضر
هـــواؤك وجـــدٌ ومـــاؤك سكّـر   وفي كــل يـــوم أُحــبــك أكثر

❖❖❖

لقد ترك الراحل الكبير جميل شاكر الخانجي إرثًا فكريًا يهيب بنا قراءته واستلهامه، فقد شغلته قضايا أمته عبر تاريخها وثقافتها، وهي القضايا التي ما زالت رحاها تدور. فكان الباحث والمفكّر الذي يتحلى بالأمانة والصدق في استشراف مستقبل الأمة ومكامن عزتها.

رحل المربي والمجاهد والمفكر وبقيت أعماله في الوطن الذي يهوى، والعمل الذي يُنتج الخير، والفكر الذي يُنير الظلمات.

وفي الختام وعرفانًا بالجميل والفضل، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان للدكتور إحسان الهندي ,والمستشار نزار التوام والأستاذ عبد الرؤوف عدوان الذي قام مشكورًا بقراءة متأنية لتدقيق نصوص الكتاب: يلتقط الأخطاء المطبعية واللغوية فيعيد تصحيحها، موصيًا بمراعاة قواعد علامات الترقيم كالفواصل والأقواس وإشارات التعجب والاستفهام. كما أخص بالشكر السيد وسيم اليافي الذي قام بتصميم الطبعة الثانية من الكتب التي صدرت لي ، والسيد معتصم السمان الذي وضع صور الكتاب ونقحها، والسيد عمار البخاري الذي قام بتنضيد الكتاب، والسيد وسيم قدورة الذي قام بالإخراج.

شاكرًا كل مَنْ قدّم الرأي والمعلومة والصورة والخبرة لإنجاز هذا العمل الذي استغرق أعوامًا عديدة.

والله من وراء القصد.

نشأت جميل شاكرالخانجي

إلى قرون بين الإسلام والغرب غير مرشح للزوال وسوف يصبح أكثر قسوة.



الجيش الصهيوني الذي لا يقهر هزمته المقاومة

ISRAEL

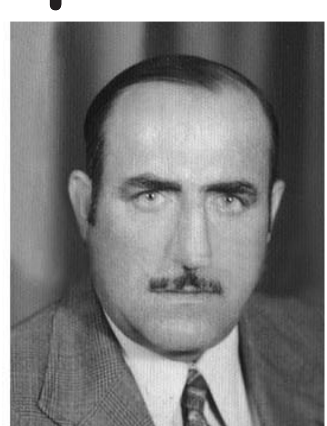
الحزب الجمهوري

الحزب الديموقراطي

اللوبي الصهيوني

وجهان لعملة واحدة

أنجال صاحب المذكرات



عادل
١٩ / ٨ / ١٩٣١ م



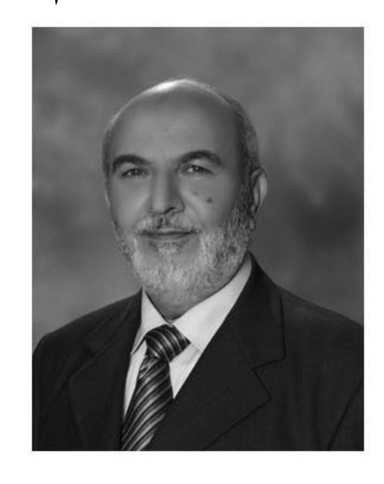
رفيق
٢١ / ١٢ / ١٩٣٣ م



نشأت
٢٠ / ٤ / ١٩٣٨ م



مروان
٢٨ / ٧ / ١٩٣٩ م



برهان
١٠ / ٦ / ١٩٤٣ م



أحمد
١ / ٦ / ١٩٤٦ م





مسعود
١٤ / ٣ / ١٩٤٨ م

مصادر الكتاب ومراجعه

الكتاب	المؤلف
تاريخ الثورات السورية	أدهم آل جندي
المعجم الجغرافي (٥) أجزاء	مركز الدراسات العسكرية
معجم أعلام المورد	منير البعلبكي
موسوعة المورد العربية (٤) أجزاء	منير البعلبكي
موسوعة الحرب العظمى	عمر أبو النصر
أطلس التاريخ العربي الاسلامي	د.شوقي أبو خليل
موسوعة رجالات من بلاد العرب	د.صالح زهر الدين
صفحة من الأيام الحمراء ١و٢و٣	سعيد العاص
تاريخ الثورة السورية	د.محي الدين السفرجلاني
معالم وأعلام	أحمد قدامة
كفاح الشعب العربي السوري	د.إحسان الهندي
محمد تيسير ظبيان	د.أسامة يوسف شهاب
نضال شعب وسجل خلود	جميل العلواني
الثورة العربية الكبرى ج ١و٢و٣	د.أمين سعيد
الكتاب الذهبي لجيوش الشرق	ترجمة ادوار البستاني
مرآة الشام	عبد العزيز العظمة
يوم ميسلون	ساطع الحصري
صفحة من حياة الشهبندر	حسن الحكيم
خبراتي في الحكم	حسن الحكيم
الهاشميون والثورة العربية	أنيس الصايغ

رسائل عبد الرحمن الشهبندر	دعد الحكيم
الثورة السورية الوطنية	د.عبد الرحمن الشهبندر
حديث العبقريات	عبد الغني العطري
عبقريات من بلادي	عبد الغني العطري
عبقريات وأعلام	عبد الغني العطري
عبقريات	عبد الغني العطري
أعلام ومبدعون	عبد الغني العطري
فارس الخوري	حنا خباز وجورج حداد
الجامع	محمد فارس بركات
أحمد مريود	محمود عبيدات
تاريخ الأردن في القرن العشرين	منيب الماضي وسليمان الموسى
حرية بعد ثورة	إبراهيم الأسعد
بنو إسرائيل في ميزان القرآن	البهيّ الخولي
بيت المقدس	محمد حسن شراب
المجاهد الصامت محمد الأشمر	لجنة الدراسات التاريخية
ثورة الحرية	عدنان العطار
الموسوعة الموجزة	حسّان بدر الدين الكاتب
أعلام من آل السفرجلاني	صلاح الدين السفرجلاني
سيرة المناضل عارف التوام	د.ممدوح حقي
المسجد الأقصى المبارك	عبد الحميد الشاقلدي
أهل الكهف	محمد تيسير ظبيان
مشيدات دمشق	د.قتيبة الشهابي
أسواق دمشق القديمة	د.قتيبة الشهابي

أبواب دمشق	د.قتيبة الشهابي
دمشق أقدم عاصمة في العالم	حسن زكي الصواف
دمشق في مطلع القرن العشرين	أحمد حلمي العلاف
عبيد الحق أحرار	نشأت الخانجي
الطريق إلى دمشق	القائد صبحي العمري
ميسلون نهاية عهد	القائد صبحي العمري
لورنس الحقيقة والأكذوبة	القائد صبحي العمري
صحافة وسياسة: سورية في القرن العشرين	نصوح بابيل
الكتاب الذهبي للثورات السورية	منير الريس
الرعيل العربي الأول	خيرية قاسمية
سارة المرأة التي هدمت الإمبراطورية العثمانية	لطفي أكدوغان
تاريخ القبائل العربية في الأردن	علي نصوح الطاهر



الأعلام العربية تخفق بيوم الإستقلال ١٧/٤/١٩٤٦م

محتويات كتاب

عنوان المؤلف

DAMASCUS - SYRIA- سورية
E-mail: hkhanji@technolead.com
نشأت جميل شاكر الخانجي
ص.ب: ٥٦١٣
دمشق - سورية
هاتف: ٣٧٣٧٨٩٦
٣٧٣٨٠٠٤
جوال: ٠٩٦٦/٢٠٣٠٣١
٠٩٤٤/٤٧٣٧٨٩٦

AMMAN - JORDAN- الأردن
E-mail: ahmadshaker@hotmail.com
ص.ب: ٩٥٠٥٣٠
عمان – الأردن
هاتف : ٠٠٩٦٩٢٦/٥٥٣٤٩٧٥
جوال : ٠٠٩٦٢٧٩/٥٥٥٥٥٨٢